

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_232779

UNIVERSAL
LIBRARY

* (فهرسة الجزء السادس من فتح البيان) *

صحيفة

٠٠٢ سورة مريم

٠٤٨ سورة طه

١٠٦ سورة الانبياء

١٥٧ سورة الحج

٢١٨ سورة المؤمن

٢٦٦ سورة النور

٣٥٣ سورة الفرقان

* (تمت) *

* (فهرسة الجزء السادس من تفسير الحافظ

ابن كثير) *

صحيفة

٠٠٢ تفسير سورة سبحان

١١٧ تفسير سورة الكهف

١٨١ تفسير سورة مريم

٢٢٥ تفسير سورة طه

٢٦٩ سورة الانبياء

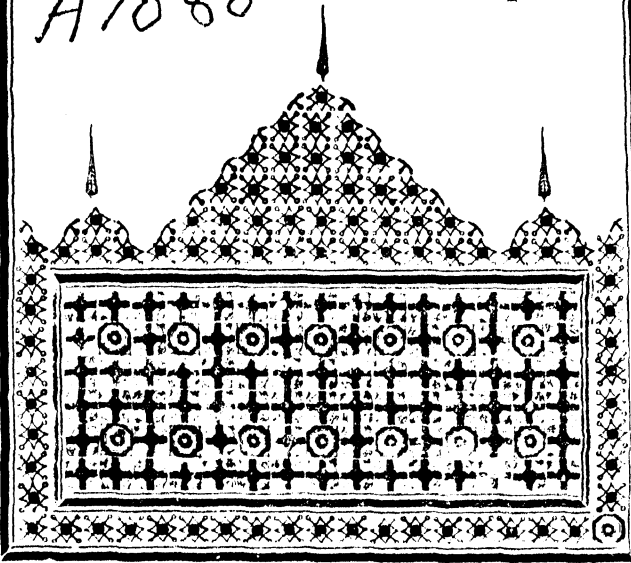
٣١٣ سورة الحج

* (تمت) *

(الجزء السادس)
من التفسير المسمى فتح البيان
في مقاصد القرآن للسيد الامام المجتهد المحقق
الهمام المؤيد من مولاه القدير الباري أبي الطيب
صديق بن الحسن القنوجي البخاري ملك
مدينة بهم وبالأقطار الهندية
لا زالت كواكب فضله
في الآفاق زاهرة
مضـيه
آمين

وبها مشتهر تفسير الامام الجليل الكبير الحافظ عماد الدين أبي الفداء اسمعيل بن عمر بن
كثير القرشي الدمشقي المولود سنة سبعة مائة وعشرة المتوفى سنة سبع مائة وأربعة وسبعين
وهذا التفسير جليل فسر بالاحاديث والآثار مسندة من أصحابهم مع
الكلام على ما يحتاج اليه جرحا وتعديلا ٥١ من كشف الظنون

—••—
(الطبعة الاولى)
(بالمطبعة الكبرى الميرية بيولا ق مصر المعزية)
سنة ١٣٠١ هجرية



بسم الله الرحمن الرحيم

* (سورة مريم هي مكية وآياتها ثمان أو تسع وتسعون آية) *

قال ابن عباس أنزلت بمكة وعن ابن الزبير وعائشة مثله وفي البضاوي الآية السجدة وفي الجلائن السجدة ثمانية أو الألف من بعدهم خلف الآيات وأخرج أحمد والبيهقي وابن أبي حاتم عن أم سلمة أن النجاشي قال لجعفر بن أبي طالب هل معك مما جاء به يعني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الله شيء قال نعم فقرأ عليه صدر من كهيعص فبكى النجاشي (١) حتى أخذت لحية وبكت أسواقته حتى أخذوا صاحبه من حين سمعوا ما نلى عليهم ثم قال النجاشي ان هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة وقد ذكر ابن اسحق القصة بطولها وقد تقدم في الجزء الاول من هذا التفسير ان أسماء السور وترتيبها وترتيب الآيات توقيفي ولم تذكر امرأة باسمها صريحاً في القرآن الامر به فذكرت فيه في ثلاثين موضعاً

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(كهيعص) قال ابن عباس كبير هاد أمين عزيز صادق وعن ابن مسعود وناس من الصحابة هو الهجاء المقطع الكاف من المالك والهاء من الله والياء والعين من العزيز والصاد من المصور وعن أم هانئ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال كاف هاد عالم صادق وعن علي كان يقول يا كهيعص اغفر لي وعن السدي قال كان ابن عباس يقول

* (تفسير سورة سبحان وهي مكية) * قال الامام البخاري حدثنا آدم بن أبي أياس حدثنا شعبة عن أبي اسحق قال سمعت عبد الرحمن بن يزيد سمعت ابن مسعود رضي الله عنه قال في بني اسرائيل والكهف ومريم انهن من العتاق الاول وهن من تلاميذ وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن حماد بن زيد عن مروان عن أبي لبابة سمعت عائشة تقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول ما يريد أن يظروا وينظر حتى نقول ما يريد أن يصوم وكان يقرأ كل ليلة بني اسرائيل والزمر

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لئن لم يكن آياتنا أنه هو السميع البصير) يجيد تعالى نفسه ويعظم شأنه لئلا يدرته على ما لا يقدر عليه أحد سواه فلا اله غيره ولا رب سواه الذي أسرى بعبده يعني محمداً صلى الله عليه وسلم ليلاً أي في جحج الليل من المسجد الحرام وهو مسجد مكة إلى المسجد الأقصى وهو بيت المقدس الذي بابلية معدن الانبياء من لدن ابراهيم الخليل عليه السلام ولهذا جمعوا له هناء كلهم فأمرهم في محلاتهم ودارهم فدل على انه هو الامام الاعظم والرئيس المقدم صلوات الله وسلامه عليه

(١) اخضل الشيء اخضالا

واخضوضل أي ابتل اه صحاح والاستقف رئيس من رؤساء النصارى في الدين والجمع أساقفته اه

وعليهم أجمعين وقوله تعالى الذي باركنا حوله أي في الزرع والثمار لربه أي محمد من آياتنا أي العظام كما قال تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى وسند كرم ذلك ما وردت به السنة من الأحاديث عنه صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى انه هو السميع البصير أي السميع لا أقوال عبادهم ومؤمنهم وكافرهم مصدقهم ومكذبهم البصير بهم فمعظم كلامهم ما يستحقه في الدنيا والآخرة * (ذكر الأحاديث الواردة في الاسراء) رواية أنس بن مالك رضي الله عنه قال الامام أبو عبد الله البخاري حدثني عبد العزيز بن عبد الله حدثنا سليمان هو ابن بلال عن شريك بن عبد الله قال سمعت أنس بن مالك يقول ليله أمسرى (٢) برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد

الكعبة انه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يبعث اليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال أولهم أيهم هو فقال أوسطهم هو خيرهم فقال آخرهم خذوا خيرهم فكانت تلك الليلة فلم يرههم حتى أتوه ليله أخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعه عند بئر زمزم فتولاه منهم جبريل فشق جبريل ما بين فخريه إلى لبتة حتى فرغ من صدره وجوفه فغسله من ماء زمزم بيده حتى أتى جوفه ثم أتى بطست من ذهب فيه نور من ذهب محشوا إيماناً وحكمة فحشاه صدره ولغاد يده يعني عروق حلقه ثم أعطيه ثم عرج به إلى السماء الدنيا فضرب باباً من أبوابها فتدأه أهل السماء من هذا فقال جبريل قالوا ومن معك قال معي محمد قال وقد بعث اليه قال نعم قالوا فحشاه وأهلاً يستبشرون به أهل السماء لا يعلم أهل السماء بما يريد الله به في الأرض حتى يعلمهم فوجد في السماء الدنيا آدم فقال له جبريل

في كهيعص وحم ويس وأشباه هذا هو اسم الله الأعظم وعن ابن عباس هو قسم أقسم الله به وهو من أسماء الله وقال قتادة هو اسم من أسماء القرآن وقيل هو اسم السورة وعن الكلبي هو ثناء أثنى الله به على نفسه وكما وقع الخلاف في هذا وأما له بين الصحابة وقع بين من بعدهم ولم يصح مرفوعاً في ذلك شيء ومن روى عنه من الصحابة في ذلك شيء فقد روى عن غيره ما يخالفه وقدير روى عن الصحابي نفسه التفسير المتخالف المتناقضة في هذه النواحي فلا يقوم شيء من ذلك حجة بل الحق الوقف ورد العلم في مناهيها إلى الله سبحانه ولذا قال في الجلالين الله أعلم به رده بذلك وفي الخطيب انه من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه وقد قدمنا تحقيق هذا في فاتحة سورة البقرة (ذكر) أي هذا ذكر أو المثلوث ذكر وقيل انه خبر الحروف المقطعة وهو قول يحيى بن زياد قال أبو البقاء وفيه بعد وقيل هو مبتدأ محذوف الخبر أي فيما يلي عليه ذكر قال الزجاج المعنى هذا الذي تلوه عليكم ذكر (رحمة ربك) مضاف لتأمله ومفعوله (عبد ذكراً) يعني إجابته إياه حين دعاه وسأله الولد قيل عبده مفعول ذكر ومعنى ذكر الرحمة بلوغها وإصابتها كما يقال ذكرني معروف فلان أي بالغني عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال كان زكريا نجاراً أخرجه أحد أبوي يعلى والحاكم وصححه وعن ابن مسعود قال كان آخر أنبياء بني إسرائيل زكريا بن آزر بن مسلم من ذرية يعقوب (أذنأدى ربه) ظرف زمان للرحمة أي رحمة الله إياه وقت ان ناداه (نداء) مشتقاً على دعاء (خفياً) سر اجوف الليل لأنه أسرع إلى الإجابة واختلف في وجه كون نداءه هذا خفياً قيل لأنه أبعده عن الرياء وأقرب إلى الصفاء وقيل أخفاه الله لا يلام على طلبه للولد في غير وقته ولكونه من أمور الدنيا وقيل أخفاه مخافة من قومه وقيل كان ذلك منه لكونه قد صار ضعيفاً لا يقدر على الجهر لانه كان ابن خمس وسبعين أو ثمانين سنة وكان النداء في الجرب (قال رب اني وهن العظم مني) هذه الجملة مفسرة لقوله نادى ربه فالنداء أوله قوله هذا وآخره قوله الاتي واجعله رب رضىاً فجملة النداء ثمان جل والدعاء منه هو قوله فهب لي من لدنك ولياً كما سألت والوهن الضعف يقال وهن يهن وهناً من باب وعداذا ضعف فهو واهن في الأمر والعمل والبدن وهنته أضعفته بتعدى ولا يتعدى في لغة فهو وهو البدن والعظم والاجود أنه يتعدى بالهمزة فيقال أو هنته والوهن ينتحى في لغة في المصدر وهن يهن بالكسر فيه ما لغة وقرئ بالحركات الثلاث أراد

هذا أبولآدم فسلم عليه فسلم عليه ورد عليه آدم فقال مرحباً وأهلاً يا بني نعم الابن أنت فاذا هو في السماء الدنيا بنهرين بطردان فقال ما هذان النهران يا جبريل قال هذان النيل والفرات عنصرهما ثم مضى به في السماء فاذا هو بنهر آخر عليه قصر من أولو ووزبرجد فضرب بيده فاذا هو مسك أدفر فقال ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي خبأ لك ربك ثم عرج به إلى السماء الثانية فقالت الملائكة له مثل ما قالت له الملائكة الأولى من هذا قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد صلى الله عليه وسلم قالوا وقد بعث اليه قال نعم قالوا مرحباً به وأهلاً ثم عرج به إلى السماء الثالثة فقالوا له مثل ما قالت الأولى والثانية ثم عرج به إلى السماء الرابعة فقالوا له مثل

ذلك ثم عرج به الى السماء الخامسة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به الى السماء السادسة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به الى السماء السابعة فقالوا له مثل ذلك كل سماء فيها أنبياء قد سماهم فوعيت منهم ادريس في الثانية وهرون في الرابعة وآخر في الخامسة لم أحفظ اسمه وابراهيم في السادسة وموسى في السابعة بتفضيل كلام الله تعالى فقال موسى رب لم أظن ان ترفع علي أحد ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله عز وجل حتى جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى فأوحى اليه فيما يوحى خمسين صلاة على امته كل يوم وليلة ثم خطبه (٤) حتى بلغ موسى فاحتبسه موسى فقال يا محمد ما ذا عهد اليك ربك قال عهد

الى خمسين صلاة كل يوم وليلة قال ان أمته لا تستطيع ذلك فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم فانتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل كأنه يستشير في ذلك فأشار اليه جبريل ان نعم ان شئت فعلا به الى الجبار تعالى وتقدس فقال وهو في مكانه يا رب خفف عنا فان أمي لا تستطيع هذا فوضع عنه عشر صلوات ثم رجع الى موسى فاحتبسه فلم يزل يردده موسى الى ربه حتى صارت الى خمس صلوات ثم احتبسه موسى عند الخمس فقال يا محمد والله لقد راودت بنى اسرائيل قومي على أدنى من هذا فضعفوا فتركوه فامتهك أضعف أجسادا وقلوبا وأبدانا وابصارا واسماعا فارجع فليخفف عنك ربك كل ذلك يلتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل يشير عليه ولا يكره ذلك جبريل فرفعه عند الخامسة فقال يا رب ان أمي ضعفاء أجسادهم وقلوبهم واسماعهم وابصارهم وأبدانهم تخفف عنا فقال الجبار تبارك وتعالى يا محمد قال ليك وسعديك قال انه لا يدل

ان عظامه فترت ورقت وضعفت قوته من الكبر وذكر العظم لانه عمود البدن وبه قوامه وهو أصل بنيائه فاذا وهن تداعى وتساقطت قوته ولانه أشد ما في الانسان واصلبة فاذا وهن كان ما وراءه أو وهن ووجد العظم قصد الى الجنس المنفصل ليهول الوهن لكل فرد من أفراد العظام وقيل اشتكى سقوط الاضراس (واشعل الرأس شيئا) الاشتعال في الاصل انتشار شعاع النار فشبه به انتشار بياض شعر الرأس في سواده بجماع البياض والانارة ثم أخرجه مخرج الاستعارة بالكناية بان حذف المشبه بأداة التشبيه وهذه الاستعارة من أبدع الاستعارات وأحسنها قال الزجاج يقال للشيب اذا كثر جدا اشتعل رأس فلان (ولم أكن بدعائت) أي بدعائ اياك (رب شقيا) يقال شقي بكذا أي تعب فيه ولم يحصل مقصوده منه فالعني لم أكن خائبا في وقت من الاوقات بل كما دعوتك استجيت لي وهذا توسل بمسلف له من الاستجابة وتنبيه على ان المطلوب وان لم يكن معتادا فاجابته لدعائه معتادة وقد عوده سبحانه بالاجابة واطمعه ومن حق الكريم ان لا يخيب من أطمعه قال العلماء يستحب للمرأة أن يجمع في دعائه بين الخضوع وذكر نعم الله عليه كما فعل زكريا ههنا فان في قوله الماضي غاية الخضوع والتذلل واطهار الضعف والقصور عن نيل مطالبه وبلوغ ما ربه وفي هذا ذكر ما عوده الله من الانعام عليه بالاجابة أدعيته والتعرض في الموضعين بوصف الربوبية لتحرريك سلسلة الاجابة بالمبالغة في التضرع (واني خفت) بكسر الخاء (الموالي من ورائي) وقرئ خفت بكسر التاء وفاعله المولى أي قلوا وعجزوا عن القيام بامر الدين بعدى أو انقطعوا بالاموت مأخوذ من خفت القوم اذا ارتحلوا وهذه قراءة شاذة وبعيدة عن الصواب والمولى هنا هم الاقارب الذين يرثون وسائر العصابات من بنى العم ونحوهم والعرب تسمى هؤلاء موالى وقيل هم الناصرون له وقيل الكلاله وقيل جميع الورثة واختلفوا في وجه الخفاقة من زكريا المولى به من بعده فقيل خاف ان يرثوا ماله وأراد أن يرثه ولده فطلب من الله سبحانه أن يرزقه ولدا وقال آخرون انهم كانوا مهملين لامر الدين خاف ان يضيع الدين بموته فطلب وليا يقوم به بعده مونه وهذا القول أرجح من الاول لان الانبياء لا يرثون وهم أجل من أن يعتنوا بامور الدنيا فليس المراد هنا وراثته المال بل المراد وراثته العلم والنبوة والقيام بامر الدين وقد ثبت عن نبينا صلى الله عليه وآله وسلم انه قال نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة (وكانت امرأتى عاقرا) هي التي لا تلد لكبر

القول لدى كما فرضت عليك في أم الكتاب قال فكل حسنة بعشر امثالها فهي خمسون في أم الكتاب وهي خمس سنها عليك فرجع الى موسى فقال كيف فعلت فقال خفف عنا أعطانا بكل حسنة عشر امثالها قال موسى قد والله راودت بنى اسرائيل على أدنى من ذلك فتركوه ارجع الى ربك فليخفف عنك أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا موسى قد والله استجيت من ربى عز وجل مما أختلف اليه قال فاهبط باسم الله قال واستيقظ وهو في المسجد الحرام هكذا ساقه البخاري في كتاب التوحيد ورواه في صفة النبي صلى الله عليه وسلم عن اسمعيل بن أبي أويس عن أخيه أبي بكر عبد الحميد عن سليمان بن بلال

ورواه مسلم عن هرون بن سعيد عن ابن وهب عن سليمان قال فزاد ونقص وقدم وأخر وهو كما قال مسلم فان شريك بن عبد الله بن أبي غرابطرب في هذا الحديث وساء حفظه ولم يضبطه كما سيأتي بيانه ان شاء الله في الاحاديث الاخر ومنهم من يجعل هذا مناما نوطمة لما وقع بعد ذلك والله أعلم وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقي في حديث شريك زيادة تفرد بها على مذهب من زعم انه صلى الله عليه وسلم رأى الله عز وجل يعني قوله ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى قال وقول عائشة وابن مسعود وأبي هريرة في جملهم هذه الآيات على رؤية جبريل أصح وهذا الذي قاله (٥) البيهقي رحمه الله في هذه المسئلة هو الحق فان

أبازر قال يا رسول الله رأيت ربك قال نوراً نرى أراه وفي رواية رأيت نوراً آخر حجه مسلم وقوله ثم دنا فتدلى انما هو جبريل عليه السلام كما ثبت ذلك في الصحيحين عن عائشة أم المؤمنين وعن ابن مسعود وكذلك هو في صحيح مسلم عن أبي هريرة ولا يعرف لهم مخالف من الصحابة في تنسيب هذه بهذا وقال الامام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا جابر بن سلمة اخبرنا ثابت البناني عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتيت بالبراق وهو دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه فركبته فسار بي حتى أتيت بيت المقدس فربطت الدابة بالحلقة التي يربط فيها الانبياء ثم دخلت فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فأثنى جبريل بآنا من خير وانا من ابن فاخترت اللبن فقال جبريل أصبت الفطرة قال ثم عرج بي الى السماء الدنيا فاستفتح جبريل فقيل له من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال قد أرسل اليه ففتح

سنة والى لا تلد أيضاً الغير كبروهى المرادة هنا ويقال للرجل الذى لا يلد عاقراً أيضاً قال ابن جرير وكان اسم امرأته اشاع بنت فافود بن ميسل وهى أخت حنسة وهى أم مريم فولد لاشاع يحيى ولحنه مريم وقال القتيبي هى اشاع بنت عمران فعلى القول الاول يكون يحيى بن زكريا بن خالة أم عيسى وعلى الثانى يكونان ابني خالة كما ورد في الحديث الصحيح (فهب لى من لذك) أى أعطى من فضلك (ولياً) مرضياً لان مثله لا يرجى الا من فضلك وكما قدرت لك ولم يصرح بطلب الولد لما علم من نفسه بانه قد صار هو وامرأته في حالة لا يجوز فيهما حدوث الولد بينهما وحصوله منهما وقد قيل انه كان ابن بضع وتسعين سنة وقيل بل أراد بالولى الذى طلبه هو الولد ولا مانع من سؤال من كان مثله لما هو خارج للعادة فان الله سبحانه قد يكرم رسله بما يكون كذلك فيكون من جملة المعجزات الدالة على صدقهم (يرثى ويرث من آل يعقوب) قرئ بالرفع في النعملين جميعاً على انهما صفتان للولى وليسا بجواب الدعاء وقرئ بالجرم فيهما على انهما جواب للدعاء ورجح الاولى أبو عبيد وقال هى أصوب فى المعنى لانه طلب ولياً لهذه صفة فقال هب لى الذى يكون وارثى ورجح ذلك الخداس والوراثه هنا هى وراثه العلم والنبوته على ما هو الراجح كما سلف وقد ذهب أكثر المفسرين الى ان يعقوب المذكور هنا هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم وزعم بعضهم انه يعقوب بن ماثان أخو عمران بن ماثان وبه قال الكلبي ومقاتل وآل يعقوب هم خاصته الذين يؤل أمرهم اليه للقرابة أو الصعوبة أو الموافقة فى الدين وقد كان فيهم أنبياء وملوك وقرئ يرثى وارث آل يعقوب وقرئ وارث آل يعقوب أى أنا وقرئ وارث آل يعقوب على ان هذا المذخر فاعل يرثى وهذه القراءات فى غاية الشذوذ والنظاومعنى (واجعله رب رضى) أى مرضياً فى أخلاقه وأفعاله وقيل راضياً بقضائك وقدرك وقيل رجلاً صالحاً رضى عنه وقيل نبياً كما جعلت آباءه انبياء (يا زكريا) بالهمز وحذفه سبعيتان قال جمهور المفسرين ان هذا النداء من الله سبحانه وقيل من جهة الملائكة لقوله فى آل عمران فنادته الملائكة ويمكن أن يكون وقع له الخطاب مرتين مرة بواسطة الملائكة وأخرى من غير واسطة وفى الكلام حذف أى فاستجاب له دعاءه فقال يا زكريا (انا نبشرك بغلام) وبين هذه البشارة ووجود الغلام فى الخارج بالنسبة لثلاث عشرة سنة لان طلب زكريا بالولادة البشارة كان فى صغر مريم وهى فى كفالتها وان الحمل يحيى

لنا فاذا أنا بآدم فرحب ودعالى بخير ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل له من انت قال جبريل فقيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال قد أرسل اليه ففتح لنا فاذا أنا بآبى الخالة يحيى وعيسى فرحبناى ودعواى بخير ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل له من انت قال جبريل فقيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه ففتح لنا فاذا أنا بآبى يوسف واذا هو قد أعطى شطر الحسن فرحب ودعالى بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة فاستفتح جبريل فقيل له من انت قال جبريل فقيل ومن معك قال محمد فقيل وقد أرسل اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بآبى ريس فرحب ودعالى بخير ثم يقول الله تعالى ورفعه مكاناً

كان مقارنا للعمل بعيسى وكانت مريم اذ ذلك بثلث ثلاث عشرة سنة وان اشاع حاتم به
قبل حمل مريم بعيسى بسنة أشهر (اسمه يحيى) قد تقدم في آل عمران وجه التسمية يحيى
وزكريا قال الزجاج سمي يحيى لانه حي بالعالم والحكمة التي اوتياها وهو ممنوع من الصرف
للعلمية والعجمة وقد قول في تسميته يحيى بان رفعا ويحيى نصبا وجر او في جمع سلامته يحيون
رفعا ويحيى نصبا وجر (لم يجعل له من قبل سميا) فعيل بمعنى مفعول اى سمي يحيى قال
أكثر المفسرين معنى اسم احد اقبله يحيى وقال مجاهد وابن عباس وجاعته معناه انه
لم يجعل له مثالا ولا نظيرا فيكون على هذا مأخوذ من المساماة أو السموة وردها بانه يقتضى
تفضيله على ابراهيم وموسى وقيل معنى لم تلد عاقرة مثله والاول اولى وفي اخباره سبحانه بانه
يسمى بهذا الاسم قبله احد افضيله له من جهتين الاولى ان الله سبحانه هو الذى تولى
تسميته به ولم يكلمها الى الابوين وسماه بخصوص يحيى لانه به حي رحم أمه بعد موته بالعقم
والجهة الثانية ان تسميته باسم لم يوضع لغيره تفيد تشر بفه وتعظيمه (قال رب أنى) أى
كيف ومن أين (يكون لى غلام) وایس معنى هذا الاستفهام الاستبعاد والانكار بل
التعجب والاستكشاف من قدرة الله وبديع صنعه حيث يخرج ولدا من امرأة عاقرة
شيخ كبير (وكانت امرأتى عاقرا) أى لاتلد والحالة حال من الياء فى وقد تقدم الكلام
على مثل هذا فى آل عمران (وقد بلغت من الكبر عتيا) أى بأساير بذلك تحول الجسم
والجلد ودقة العظم أو يبسا وجداوة (۱) فى المفاصل والعظام من أجل الكبر والبطون
السن العالية يقال عتيا الشيخ يعتو عتيا اذا انتهت سنه وكبر وشيخ عات اذا صار الى حال
ليس والحناف والاصل عتو الا انه من ذوات الواو فانه لو هاء ايا لكونها أخف قال السمين
فيه أربعة أوجه أظهرها انه مفعول به أو مصدر مؤن كالمعنى الفعل أو مصدر وقع موقع
الحال أى عتيا أو ذاعتقوا الرابع انه تمييز وزعم هذه الواجهة الثلاثة من مزيدة ذكره أبو
نعمان والاول هو الوجه انتهى وقرئ عتيا بكسر العين وبضها وهما الغتان وكتبا الجملتين
تأكيد الاستبعاد والتعجب المستفاد من قوله أنى يكون لى غلام قال ابن عباس لا ادرى
كيف كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ هذا الحرف عتيا أو عتيا وعن عطاء
قوله عتيا قال ابى زمامانى الكبير وقال السدى هروما والمعنى كيف يحصل بيننا ولدا الآن
قد كانت امرأتى عاقرة لم تلد فى شياها شياها روى الآن يجوزوا ناشيها هروم ثم اجاب

ومن هم بسيرة فلم يعملها لم تكتب فان علمها كتبت سيرة واحدة ففزات حتى انتهيت الى موتى فاخبرته فقال الله

ارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامة فان امتسك لا تطحق ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رجعت الى ربي حتى استحيت ورواه مسلم عن شيبان بن فروخ عن حماد بن سلمة بهذا السياق وهو أصح من سياق شريك قال البيهقي وفي هذا السياق دليل على ان المعراج كان ليلة أسرى به عليه الصلاة والسلام من مكة الى بيت المقدس وهذا الذي قاله هو الحق الذي لا شبه فيه (١) جسا اضد لطف وجست اليد وغيرها جسا و اجسا ويبست وجسا الشيخ جسا بلغ غاية السن والماء جسا ا ه صباح

ولامرية وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة عن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم أتى بالبراق ليلة أسرى به مسرجا ملجما ليركبه فاستصعب عليه فقال له جبريل ما يحملك على هذا فوالله ما ركبك قط أكرم على الله منه قال فارتفع عرقا ورواه الترمذي عن اسحق بن منصور عن عبد الرزاق وقال غريب لا نعرفه الا من حديثه وقال أحمد أيضا حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان حدثني راشد بن سعيد وعبد الرحمن بن جبير عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للماعرج بن الربيع عز وجل مررت بقوم لهم اظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم فقلت (٧) من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين

يا كلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم وأخرجهم ابوداود من حديث صفوان بن عمرو وبه ومن وجه آخر ليس فيه أنس قاله أعلم وقال أيضا حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن سليمان التيمي عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة أسرى بي على موسى عليه السلام فأنما يصلي في قبره ورواه مسلم من حديث حماد ابن سلمة عن سليمان بن طرخان التيمي وثابت البناني كلاهما عن أنس قال النسائي هذا أصح من رواية من قال سليمان عن ثابت عن أنس وقال أبو يعلى الموصلي في مسنده حدثنا وهب ابن بقية حدثنا خالد عن التيمي عن أنس قال أخبرني بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به مر على موسى وهو يصلي في قبره وقال أبو يعلى حدثنا ابراهيم بن محمد بن عرعرة حدثنا معتمر عن أبيه قال سمعت أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به مر على موسى وهو يصلي في قبره قال أنس ذكرناه جل على البراق فأوثق الدابة أو قال الفرس قال أبو بكر صنفه الى فقال رسول

الله سبحانه عن هذا السؤال المشعر بالتعجب والاستبعاد بقوله (قال) اي الملك المبلغ للبشارة وهو كما قال الكواشي جبريل عليه السلام والاكثر على انه الله تعالى لسلامته عن فن النظم (كذلك) اي الامر كذلك تصديق له والاشارة الى ما سبق من قول زكريا ثم ابتدأ بقوله (قال ربك) أو قال قولامثل ذلك والاشارة الى مبهم يفسره قوله (شع على هين) وعلى الاول هذه الجملة مستأنفة مسوقة لازالة استبعاد زكريا بعد تقريره وانما ابتدأ قال ربك اهتماما أي قال هو مع بعده عندك على هين وهو فيعمل من هان الشيء يهون اذ لم يصعب ولم يتع من المراد قال الفراء أي خلقه على هين بان ارد عليه قوة الجماع وأفتقر رحم امرأك للعلق (وقد خلقتك من قبل) أي من قبل يحيى والجملة حال وقراءا لالكوفيين وقد خلقناك (ولم تك شيئا) لان المعلوم ليس بشئ هذه الجملة مقررة لما قبلها قال الزجاج أي خلق اولئك كخلق والمسمى ان الله سبحانه خلقه ابتداء وأوجده من العدم المحض فايجداد الولد بطريق التوالد المعتاد أهون من ذلك وأسهل منه وانما لم ينسب ذلك الى آدم عليه السلام لانه المخلوق من العدم حقيقة بان يقول وقد خلقت أياك آدم من قبل ولم يكن شيئا للذلالة على ان كل فرد من أفراد البشرية حفظ من انشاء آدم من العدم (قال رب اجعل لي آية) أي علامة تدلني على وقوع المسؤل وتحققه وحصول الحبيل والمقصود من هذا السؤال نعر يفهمه وقت العلق حيث كانت البشارة مطابقة عن تعيينه قال ابن الانباري وجه ذلك أن نفسه تاقط الى سرعة الامر فسأل الله آية يستدل بها على قرب ما من به عليه وقيل طلب آية تدل على ان البشري من الله سبحانه لامن الشياطين لان إبليس أوهمه بذلك كذا قال الخصال والسادى وهو بعيد جدا (قال آيتك أن لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا) نصب على الحال أي آيتك ان لا تقدر على الكلام والحال انك سوى الخلق صحيح سليم من غير بأس ليس بك آفة تمنع منه والمراد ثلاث ليال بياها كافي آل عمران ثلاثة أيام وانما عبر هنا بالليالي وهنالك بالأيام لان هذه السورة مكية والمكي سابق على المدني والليل سابق على النهار فأعطى السابق للسابق وأعطى المؤخر للمؤخر وقيل ثلاث ليال متتابعات والاول أولى قال ابن عباس اعتقل لسانه من غير مرض وفي لفظ من غير خرس (أخرج على قومه من المحراب) أي من مصلاه متغير اللون عاجز الكلام فأنكروا ذلك عليه في

الله صلى الله عليه وسلم ذكر كلمة فقال أشهد انك رسول الله وكان أبو بكر رضى الله عنه قد راها وقال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمر والبخاري في مسنده حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا سعيد بن منصور حدثنا الحرث بن عبيد عن أبي عمران الجوني عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما أنا نائم إذ جاء جبريل عليه السلام فوكز بين كفتي فتمت الى شجرة فيها كوكرى الطير فقعدي أحدعما وقعدت في الآخر فسمت وارتفعت حتى سدت الخافقين وأنا أقاب طرفي ولوشئت ان أمس السما لمست فالتفت الى جبريل كأنه حلس لا طرفة ففضل عليه بالله على وفتح لي باب من أبواب السماء فرأيت النور

الاعظم واذا دون الحجاب رفرف الدروياقاوت واوحى الى ماشاء الله ان يوحى ثم قال ولا نعلم روى هذا الحديث الانس ولا نعلم رواه عن أبي عمران الجوني الا الحرث بن عبيد وكان رجلا مشهورا من أهل البصرة ورواه الحافظ البيهقي في الدلائل عن أبي بكر القاسبي عن أبي جعفر محمد بن علي بن دحيم عن محمد بن الحسين بن أبي الحسين عن سعيد بن منصور فذكره بسنده مثله ثم قال وقال غيره في هذا الحديث في آخره ولطدوني أو قال دون الحجاب رفرف الدروياقاوت ثم قال هكذا رواه الحرث بن عبيد ورواه حماد بن سلمة عن أبي عمران الجوني عن محمد بن عيسى بن (٨) عطاء رداً النبي صلى الله عليه وسلم لم كان في ملا من أصحابه فجاءه جبريل

فنكت في ظهره فذهب به الى الشجرة وفيها مثل وكرى الطير فقعده في أحدهما وقعد جبريل في الآخر فنشأت بناحتي بلغت الافق فلويستت يدي الى السماء لثمتها فدل بسبب وهبط الى النور فوقع جبريل مغشياً عليه كأنه جلس فعرفت فضل خشيتي على خشيتي فأوحى الى نبيي ملكاً أو نبيي عبداً والى الجنة ما أنت فأوماً الى جبريل وهو من طبع أن تواضع قال قلت لآل نبيي عبداً قلت وهذا ان سمع يقتضى انها واقعة غير ليلة الاسراء فانه لم يذكر فيها بيت المقدس ولا الصعود الى السماء فهي كأنه غير ما نحن فيه والله أعلم وقال البزار أيضاً حدثنا عمرو بن عيسى حدثنا أبو جبر حدثنا شعبة عن قتادة عن أنس ان محمد صلى الله عليه وسلم رأى ربه عز وجل وهذا قريب وقال أبو جعفر بن جرير حدثنا يونس حدثنا عبد الله بن وهب - حدثنا يعقوب ابن عبد الرحمن الزهري عن أبيه عن عبد الرحمن بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص عن أنس بن

القاسموس الخراب الغرفة وصدر البيت وأكرم مواضعه ومقام الامام من المسجد والموضع الذي يتقرب به الملك فيتباعه من الناس ومحارب بني اسرائيل مساجدهم التي كانوا يجلسون فيها وفي الشهاب وأما الخراب المعروف الآن وهو طاق مجوف في حائط المسجد يصل فيه الامام فهو محدث لا تعرفه العرب فتسميته محرراً باصطلاح للفقهاء انتهى وهو ممنوع بل هو معنى لغوي اذهون من افراد المعنى اللغوي الذي ذكره في القاموس بقوله ومقام الامام بالمسجد واشتقاقه من الحرب كأن ملازمه يحارب الشيطان وقيل من الحرب محرراً كأن ملازمه يلقي حراباً وتعباً ونصباً (فأوحى اليهم) أي أوماً وأشار بدليل قوله في آل عمران الارمزا وقيل كتب لهم على الارض وبالأول قال الكلبي والقرطبي وقاتدة وابن منبه والثاني قال مجاهد وقد يطلق الوحي على الكتابة قال ابن عباس كتب لهم كتاباً (أن سبحوا) مصدرية أو مفسرة والمعنى فأوحى اليهم بأن صلوا أو أي صلوا (بكرة وعشيا) أي زهوا ربكم طرفي النهار فهو ماظر فآزمان للتسبيح وانصرفت بكرة لأنه لم يتقدمها العلمية فلوقصد بها العلمية امتنعت من الصرف قال القراء العشي يؤث ويجوز تذكير اذا أجمعهم قال وقد يقال العشي جمع عشيمة قيل والمراد صلاة الصبح والعصر وقيل المراد بالتسبيح هو قولهم سبحان الله (يا يحيى) أي قال الله للمولود يا يحيى أولاده مولود فبلغ المبلغ الذي يجوز أن يخاطب فيه فقلنا له يا يحيى وقال الزجاج المعنى فوهبنا له وقلنا له يا يحيى أي بعد ولادته بثلاث سنين على ما قاله قتادة وقيل بسنتين يعني على لسان الملك كما قاله أبو حيان (خذ الكتاب) المراد به التوراة لأنه المعهود حينئذ ويحتمل أن يكون كتاباً مختصاً به وان كان لا نعرفه الآن والمراد بالاختصاص ما لا اخذ الحسي أو الاخذ من حيث المعنى وهو القيام بما فيه كما ينبغي وذلك بتحصيل ملكة تقتضي سهولة الاقدام على الأمور وبوالاجسام عن المنهى عنه ثم أكد بقوله (بقوة) أي متلبساً بجدة وعزيمة واجتهاد قاله مجاهد (واقبوا الحكم صيباً) المراد بالحكم الحكمة وهي الفهم للكتاب الذي امر باخذه وفهم الاحكام الدينية وقيل هي العلم وحفظه والعمل به وقيل النبوة وقيل العقل قال مجاهد الفهم وقال مالك بن دينار اللب ولا مانع من حمل الحكم على جميع ما ذكره الجمله مستأنفة قال ابن عباس اعطى الفهم والعبادة وهو ابن سبع سنين وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الغلمان ليحيى بن زكريا اذهب بنا لعب

مالك قال لما جاء جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبراق فكانها حركت ذنبها فقل لها جبريل مه يبارق فقال

فوالله ما ركبت مثله وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو بهجوز على جانب الطريق فقال ما هذه يا جبريل قال سرياً محمد قال فسار ماشاء الله ان يسير فاذنبي يدعوهم متخيماً عن الطريق فقال لهم يا محمد فسار ماشاء الله ان يسير قال فليقه خلق من خلق الله فقالوا السلام عليكم يا أول السلام عليكم يا آخر السلام عليكم يا حاضر فقال له جبريل اردد السلام يا محمد فرد السلام ثم لقيه الثانية فقال له مثل مقالته الاولى ثم الثالثة كذلك حتى انتهى الى بيت المقدس فعرض عليه الماء والخمر واللبن فتناول رسول الله

صلى الله عليه وسلم اللبن فقال له جبريل أصبت الفطرة ولو شربت الماء لغرقت وغرقت أمتك ولو شربت الخمر لغويت ولغوت أمتك ثم بعث له آدم فمن دونه من الانبياء عليهم السلام فأمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة ثم قال له جبريل اما المجوز التي رأيت على جانب الطريق فلم يبق من الدنيا الا كباقي من عمر تلك المجوز واما الذي أراد أن تمسك اليه فذاك عدو الله ابليس أراد ان تميل اليه واما الذين سلوا عليك فابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وهكذا رواه الحافظ البيهقي في دلائل النبوة من حديث ابن وهب وفي بعض النسخة منكرة وغرابة طريق أخرى عن أنس بن مالك (٩) وفيها غرابة ونكارة جدا وهي في سنن

النسائي المجتني ولم أرها في الكبير قال حدثنا عمرو بن هشام حدثنا محمد بن وهبان بن الحسين عن سعيد بن عبد العزيز بن حدثنا ابن يذبن أبي مالك حدثنا أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتيت بدابة فوق الحار ودون البغل خطوها عند منتهى طرفها فركبت ومعى جبريل عليه السلام فسرت فقال انزل فصل فصلت فقال أتدري أين صليت صليت بطيبة واليه المهاجرة ثم قال انزل فصل فصلت فقال أتدري أين صليت صليت بطور سيناء حيث كلم الله موسى ثم قال انزل فصل فصلت فقال أتدري أين صليت صليت بيت لحم حيث ولد عيسى عليه السلام ثم دخلت بيت المقدس فجمع لي الانبياء عليهم السلام فقدمني جبريل عليه السلام حتى أمتهم ثم سعدني الى السماء الدنيا فاذا فيها آدم عليه السلام ثم سعدني الى السماء الثانية فاذا فيها ابنا الخالة عيسى ويحيى عليهما السلام ثم سعدني الى السماء الثالثة فاذا فيها يوسف عليه السلام ثم سعدني

فقال يحيى مالا لعب خلقنا اذهبوا نصلى فهو قول الله وآتيناه الحكم صبيا أخرجنا الحاكم في تاريخه وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن قبل ان يحتمل فهو بمن أو في الحكم صبيا أخرجنا البيهقي وأخرجنا ابن أبي حاتم موقوفا عليه (وحنانا) معطوف على الحكم قال جمهور المفسرين الحنان الرحمة والرفقة والشفقة والعطف والمحبة وأصله توفان النفس مأخوذة من حنين الناقة على ولدها قال أبو عبيد يقول حنانك يارب وحنانك يارب بمعنى واحد ويرد حنك قال ابن الاعرابي الحنان مشددا من صفات الله عز وجل والحنان مخففا للعطف والرحمة والحنان الرزق والبركة قال ابن عطية والحنان في كلام العرب أيضا ما عظم من الامور في ذات الله ومنه قول زيد بن عمرو بن نذيل والله لئن قتلتم هذا العبد لاتخذن قبره حننا يعني بالالام حربه وهو يعذب وقيل ان القائل لذلك هو ورقة ابن نوفل قال الازهرى معنى ذلك لا ترجى عليه ولا عطفن عليه لانه من أهل الجنة ومعنى (من لدنا) من عندنا ومن جنابنا وقيل المعنى أعطيناه رحمة من لدنا كأنه في قلبه يتحنن بها على الناس ومنهم أبواه وقرباؤه حتى يخلصهم من الكفر قال ابن عباس في حناننا لا أدري ما هو الا اني أظنه يعطف الله على عبده بالرحمة وقد فسرها جماعة من السلف بالرحمة كما مر ومنه قول الشاعر

وعسير بلا حاق به * ويسير حنانك يدفعه

(وزكاة) معطوف على ما قبله والزاكاة التطهير والبركة والتخمة والبرأى جعلناه مباركا للناس يهديهم الى الخير وقيل زكينا بمعنى من الشفاء عليه كتر كرامة الشهود وقيل صدقة تصدقنا بها على أبيه قاله ابن قتيبة وقيل تصدقا على الناس أى أعطيناه توفيقا للتصدق عليهم وقيل يعني بالزكاة الطاعة والاخلاص وقيل هي العمل الصالح فم يعمد بذهب (وكان تقيا) قال ابن عباس طهر فلم يأت بذهب أى متجنبنا المعاصي الله سبحانه مطيعا له بطيعه وقد روى انه لم يعمل معصية ولم يهملها قط ومن جله تقواه انه كان يقوت بالعشب وكان كثير البكاء فكان له معه مجارى على خده (وبرا) فعل بمعنى فاعل أى بارا (بو لديه) والمعنى اطيعنا فهاهم محسننا اليهما لانه لا عبادة بعد تعظيم الله أعظم من برهما بديل عليه قوله تعالى وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا (ولم يكن جبارا عصيا) أى لم يكن متكبرا يقتل ويضرب على الغضب ولا عاصيا والديه أوله به وهذا وصف له عليه السلام

(٢ - فتح البيان سادس) الى السماء الرابعة فاذا فيها هرون عليه السلام ثم سعدني الى السماء الخامسة فاذا فيها ادريس عليه السلام ثم سعدني الى السماء السادسة فاذا فيها موسى عليه السلام ثم سعدني الى السماء السابعة فاذا فيها ابراهيم عليه السلام ثم سعدني فوق سبع سموات وأتيت سدرة المنتهى فغشيتني ضبابه خررت له ساجدا فقبل لى انى يوم خلقت السموات والارض فرضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة فقم بها أنت وأمتك (١) لأنك ولأمتك فأرجع الى ربك فاسأله التخفيف فرجعت الى ربى فخفف عني عشرةا ثم أتيت موسى فأمرني بالرجوع فرجعت هكذا باض بالاصل (١)

فخفف عني عشر اثم رديت الى خمس صلوات قال فارجع الى ربك فاسأله التخفيف فانه فرض على بني اسرائيل صلاتين فما قاموا بها
فرجعت الى ربي عز وجل فسأله التخفيف فقال اني يوم خلقت السموات والارض فرضت عليك وعلى أمتك خمس صلوات فخمس
بخمسين فقم بها أنت وأمتك قال فعرفت انها من الله عز وجل مري فرجعت الى موسى عليه السلام فقال ارجع فعرفت انها
من الله صري يقول أي حتم فلم أرجع طريق أخرى وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن عمار حدثنا خالد بن يزيد بن
أبي مالك عن أبيه عن أنس بن مالك (١٠) رضي الله عنه قال لما كان ليلة أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم

بلين الجانب وخضع الجناح والمراد أصل الفعل فالمنفي أصل الجبر والعصيان لا المبالغة
فيهما (وسلام) منا (عليه) قال ابن جرير وغيره معناه أمان عليه من الله قال ابن عطية
والأظهر عندي انها التحية المتعارفة فهي أشرف وأنبه من الأمان لأن الأمان متحصل له
بنفي العصيان عنه وهو أقل درجته وانما الشرف في ان يسلم الله عليه وقال سلام هنا
منكر وفي قصة عيسى والسلام معرفتان الاول من الله والقليل منه كثير والثاني من
عيسى ومعنى (يوم ولد) انه آمن من الشيطان وغيره في ذلك اليوم وسلم من ان ياله
الشيطان كما ينال سائر بني آدم وان الله حياه في ذلك اليوم (ويوم يوت ويوم يعث حيا)
قيل أو حش ما يكون الانسان في ثلاثة مواطن يوم ولد لانه خرج مما كان فيه ويوم يموت
لانه يرى قوما لم يكن قد عرفهم وأحكام ليس لديهم ما عهد ويوم يعث لانه يرى عول يوم
القيامة فخص الله سبحانه يحيي بالكرامة والسلامة في المواطن الثلاثة (واذ كرى
الكتاب مريم) هذا شروع في ابتداء خلق عيسى والمراد بالكتاب هذه السورة أي اذ كر
يا محمد للناس في هذه السورة قصة مريم وخبرها ونبأها والمراد به جنس القرآن وهذه
السورة منه (اذ انبذت) السبذ الطرح والرمي قال تعالى فنبذوه وراء ظهورهم والمعنى
انها نجت وتباعدت وقال ابن قتيبة اعترت وقيل انفردت (من أهلها) أي من قومها
والمعاني متقاربة واختلاف في سبب ابتذالها فقل لا حمل أن تعب رآه سبحانه وقيل
للتظهر من حيثها (مكنانا شرقيا) أي من جانب الشرق والنصب على الظرفية أو مفعول
به على ان معنى انبذت أنت مكنانا كافي السمين وفي المصباح ما يؤيده والشرق يسكون
الراء المكان الذي تشرق فيه الشمس وانما خص المكان بالشرق لاهم كانوا يعظمون
جهة الشرق لانها مطلع الانوار حكى معناه ابن جرير قال ابن عباس مكانا أظلمها الشمس
ان يراها أحد منهم وقال انما اتخذت النصارى المشرق قبله لان مريم اتخذت من أهلها
مكنانا شرقيا فاتخذوا مبلاده قبله وانما سجدت اليه ود على حرف حين تنق فوقهم الجبل
فجعلوا يخفون وهم ينظرون اليه يخفون ان يقع عليهم فمسجدوا وسجدوا رضيها الله
فاتخذوها سنة وقيل كان ذلك اليوم شاتيا شديدا البرد فجلست في مشرقه فتلقى رأسها
فاتخذت (أي ضربت) (من دونهم) أي من دون أهلها (حجابا) أي حاجزا واستترت بها
عنهم لئلا يروها حال العبادة أو حال التطهر من الحيض والحجاب استروا الحاجز (فارسلنا

الى بيت المقدس أتاه جبريل بدابة
فوق الحمار ودون البغل حله جبريل
عليها ينتهي خفها حيث ينتهي
طرفها فلما بلغ بيت المقدس فبلغ
المسكن الذي يقال له باب محمد صلى
الله عليه وسلم أتى الى الحجر الذي ثمة
فغمزه جبريل باصبعه فغقه ثم
ربطها ثم صعد فلما استويا في صرحه
المسجد قال جبريل يا محمد هل
سألت ربك ان يريك الحور العين
فقال نعم فقال فانطلق الى أولئك
النسوة فسلم عليهن وهن جلوس عن
يسار الصخرة قال فأتينهم فسلمت
عليهن فرددن على السلام فقلن
من أنتن فقلن نحن خيرات حسان
نسأقوم أبرار نقوا فلم يدرنوا
وأقاموا فلم يظعنوا وخلدوا فلم
يعونوا قال ثم انصرفت فلم ألبث
الا يراحتي اجمع ناس كثير ثم اذن
مؤذن وأقيمت الصلاة قال فقمنا
صفوا فانتظر من يؤمنا فأخذ بيدي
جبريل عليه السلام فقدمني
فصليت بهم فلما انصرفت قال
جبريل يا محمد أتدري من صلى
خلقك قال قلت لا قال صلى خلقك
كل نبي بعثه الله عز وجل قال ثم
أخذ بيدي جبريل فصعدني

الى السماء فلما انتهينا الى الباب استفتح فقالوا من أنت قال انا جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد بعث اليه اليها
قال نعم قال ففتحوا له وقالوا مرحبا بك وعن معك قال فلما استوى على ظهرها اذ افهم آدم فقال لي جبريل يا محمد لا تسلم على أهلك
آدم قال قلت بلى فأتيتك فسلمت عليه فرد علي وقال مرحبا بابي والنبي الصالح قال ثم عرج بي الى السماء الثانية فاستفتح فقالوا من
أنت قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد بعث اليه قال نعم ففتحوا له وقالوا مرحبا بك وعن معك قالوا فافهم عيسى وابن
خاتمه يحيي عليهما السلام قال ثم عرج بي الى السماء الثالثة فاستفتح فقالوا من أنت قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد

بعث اليه قال نعم ففتحوه وقالوا امر حبابك وعين معك فاذا فيها يوسف عليه السلام ثم عرج بي الى السماء الرابعة فاستفتح قالوا من أنت قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد بعث اليه قال نعم ففتحوه وقالوا امر حبابك وعين معك فاذا فيها يوسف عليه السلام ثم عرج بي الى السماء الخامسة فاستفتح جبريل فقالوا من أنت قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد بعث اليه قال نعم ففتحوه وقالوا امر حبابك وعين معك فاذا فيها يوسف عليه السلام ثم عرج بي الى السماء السادسة فاستفتح جبريل فقالوا من أنت قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد بعث اليه قال نعم قال (١١)

موسى عليه السلام ثم عرج بي الى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقالوا من أنت قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد بعث اليه قال نعم ففتحوه وقالوا امر حبابك وعين معك فاذا فيها ابراهيم عليه السلام فقال جبريل يا محمد ألا تسلم على ابيك ابراهيم قلت بلى فأتيتته فسلمت عليه فرد علي السلام وقال مرحبا يا بني والنبي الصالح ثم انطلق بي على ظهر السماء السابعة حتى انتهت بي الى نهر عليه جام اللؤلؤ والياقوت والزبرجد وعليه طير خضر أدم طير رأيت فقلت يا جبريل ان هذا الطير لنا عم قال يا محمد آكله أنعم منه ثم قال يا محمد أتدري أي نهر هذا قال قلت لا قال هذا الكوثر الذي أعطاك الله اياه فاذا فيه آتية الذهب والفضة تجري على رضراض من الياقوت والزمرذ ماؤه أشد بياضا من اللبن قال فأخذت من آتيته آتيته من الذهب فاعترفت من ذلك الماء فشربت فاذا هو أحلى من العسل وأشد رائحة من المسك ثم انطلق بي حتى انتهيت الى الشجرة فغشيتني سحابة فيها من كل لون فرفضني جبريل

اليها روحنا) هو جبريل عليه السلام ليبشرها بالغلام ولينبئ فيها ففهم له به وقد اختلف الناس في نبوة مريم فقيل انها نبية لمجرده هذا الارسال اليها ومحاطة بالملك وقيل لم تكن نبية لانه انما كلمها الملك وهو على مثال البشر والمتفق عليه ان المنى وحى الرسالة لا مطلق الوحي والوحى هنا انما هو ببشارة الولد لا بالرسالة وقد تقدم الكلام على هذا في آل عمران وقيل هو روح عيسى لان الله سبحانه خلق الارواح قبل الاجساد والاول اول لقوله (فقتل) أي جبريل عليه السلام (لها) بعد لبسها ثيابها (بشراسويا) تاما مستوى الخلق لم يبق من نعوت بني آدم شيئا قال البضاوي ولعله أي التمثيل ليهج شهورها فتخدر نطفتها الى رحمتها انتهى قال في الخيس في أحوال انفس نفيس فيه نظراته ولم يبين أحدها هذا النظر الصحيح لاهو ولا غيره من المفسرين فيما تصنعت الآباء السعدون حيث قال هو مع مخالفة المقام بيان آثار القدرة الخارقة للعادة يكذبه قوله تعالى قالت اني أعوذ بالرحمن منك فإنه شاهد عدل بأنه لم يخطر ببالها شائبة ميل ما اليه فضلا عما ذكر من الحالة المرتبة على أقصى مراتب الميل والشهوة نعم كان غلبه على ذلك الحسن الفائق والجمال الرائق لا بلهائم وسرعة اوله فقد ظهر منها من الورع والعفاف ما لا غاية وراءه وذكره تعالى بعنوان الرحمانية لانه بالغصة في العبادته تعالى واستجاب آثار الرحمة الخاءة التي هي العصمة مما دهمها انتهى وقد تكلموا في كيفية غلبه فقال امام الحرمين يفتي الله الزائد من خلقه أو يزيد عنه ثم يعيده اليه يعني ان له أجزاء أصلية ككافي الانسان وأجزاء زائدة وجزم ابن عبد السلام بالازالة دون التناقص وقال ابن حجر ان القدر الزائد لا يزول ولا يفتنى بل يحفيه الله تعالى عن الرائي فقط قاله الكرخي وقيل انما ظهر لها في صورة البشر لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه فتنههم كلامه ولوبد لها في صورة الملائكة لتفرت ولم تقدر على استماع كلامه وانما لا تطيق ان تنظر الى الملك وهو على صورته فلما رأى أنه في صورة انسان حسن كامل الخلق قد خرق عليها الحجاب ظنت انه يريد هابسوا فاستعادت بالله منه (وقالت اني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا) أي ممن يتقى الله ويخافه ويعامل بمقتضى التقوى والايمان وخصت الرحمن بالذكرك ليرحم ضعفها وعجزها عن دفعه وقيل ان تقيا اسم رجل صالح فتعوذت منه تعجبا وقيل انه اسم رجل فاجر معروف في ذلك الوقت والاول أولى وقوعه من تلك الصورة الحسنة دل على كمال غفلة واعياية ورعها وجواب الشرط

وخررت ساجدا لله عز وجل فقال الله لي يا محمد اني يوم خلقت السموات والارض افترضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة ففهم بها أنت وأمتك قال ثم انجلت عني السحابة فاخذ بيدي جبريل فأنصرفت سرى فأتيت على ابراهيم فلم يقل لي شيئا ثم أتيت على موسى فقال ما صنعت يا محمد فقلت فرض علي وعلى أمتي خمسين صلاة قال فلن تستطيعها أنت ولا أمتك فارجع الى ربك فأسأله أن يخفف عنك فرجعت سرى فأتيت الى الشجرة فغشيتني السحابة فرفضني جبريل وخررت ساجدا وقلت رب انك فرضت علي وعلى أمتي خمسين صلاة ولني أستطيعها أنا ولا أمتي تخفف عنا قال قد وضعت عنكم عشرين قال ثم انجلت عني السحابة وأخذ بيدي

جبريل قال فأنصرفت سرىا حتى أقبت على ابراهيم فلم يقل لي شيئا ثم أتيت على موسى فقال لي ما صنعت يا محمد فقلت وضع عنى ربى عشر اقال فأربعون صلاة لن تستطيعها أنت ولا أمك فأرجع الى ربك فاسأله أن يخفف عنكم فذكر الحديث كذلك الى خمس صلوات وخمس بخمسين ثم أمر موسى أن يرجع فبأسأله التخفيف فقلت انى قد استجيت منه تعالى قال ثم انحدرد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل ما لى لم أت أهل سماء الارحجوابى وضحكوا الى غير رجل واحد فسلمت عليه فرد على السلام ورحب بى ولم يضحك لى قال يا محمد ذاك مالك حازن (١٢) جهنم لم يضحك منذ خلق ولو ضحك الى أحد لضحك اليك قال ثم ركب

منصرفا فبينما هو فى بعض الطريق مر بعير لقريش يحمل طعاما منها جل عليه غرارتان غرارة سوداء وغرارة بيضاء فلما حذى بالعير نفرت منه واستدارت وصرع ذلك البعير وانكسر ثم انه مضى فاصبح فأخبر عما كان فلما سمع المشركون قوله أو أبا بكر فقالوا يا أبا بكر هل لك فى صاحبك يخبر أنه أتى فى ليلة هذه مسيرة شهر ورجع فى ليلة فقال أبو بكر رضى الله عنه ان كان قاله فتقد صدقوا بالنصدقه فيما هو أبعد من هذا النصدقه على خبر السماء فقتل المشركون لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما علامة مات قول قال مررت بعير لقريش وهى فى مكان كذا وكذا فنفرت الابل منا واستدارت وفيها بعير عليه غرارتان غرارة سوداء وغرارة بيضاء فصرع فانكسر فلما قدمت العير سألوهم فأخبروهم الخبر على مثل ما حدثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ذلك سمى أبو بكر الصديق وسأله وقالوا هل كان فىن حضر معك موسى وعيسى قال نعم قالوا فصفهم لنا قال نعم اما موسى فرجل آدم كانه من رجال ازد عمان وأما عيسى فرجل ربعة

محذوف أى فلا تعرض لى واتركنى والله عنى أو فتنهسى عنى لتعودى وهذه الجملة كقول القائل ان كنت مؤمنا فلا تظلمنى (قال) جبريل (انما أنا رسول ربك) الذى استعذت به ولست بمن يتوقع منه ما خذار على بالك من ارادة السوء وانما جئت (لا هب لك) جعل الهبة من قبله لكونه سبيبا فيها من جهة كون الاعلام لها من جهته أو من جهة كون النفخ الذى قام به فى الظاهر وبقوى به مافى بعض المصاحف أمرنى ان أهبط لك وقرئ ليهب على معنى أرسلنى الله ليهب لك (غلاما زكيا) هو الطاهر من الذنوب الذى يغوى على التزاهة والعنة وقيل المراد بالزكى النبي (قالت أنى يكون لى غلام) الحال انى (لم يمسنى) أى لم يقربنى (بشر) زوج ينكح (ولم أكن بغيا) أى فاجرة فجعلت المس عبارة عن النكاح الحلال لانه كناية عنه والزنا ليس كذلك وانما يقال فيه فجر بها وحنث بها وما أشبه ذلك والبعى هى الزانية التى تبغى الرجال قال المبرد أصـ له بغوى على فقول وقال ابن جنى انه فعيل قال ابن الانبارى ان بغيا غالب فى النساء اجراء له مجرى حائض وعافر وقلنا تقول العرب رجل بغى وزيادة ذلك يتناول الحلال والحرام لقصد التأكيد تنزيها لها عنها من الفحشاء يعنى ان الولد لا يكون الامن نكاح أو سفاح ولم يكن هنا واحدا منها ما قيل وما استبعدت من قدرة الله شيئا ولكن أرادت كيف يكون هذا الولد هل من قبل زوج تزوجه فى المستقبل أم بخلقه الله سبحانه ابتداء (قال) جبريل (كذلك) أى الامر هكذا من خلق غلام منك من غير أب (قال ربك هو) أى خلق ولدك بلا أب (على هين) بان ينفخ بأمرى جبريل فىك فتعجل به والجملة مستأنفة والكلام فيها كالكلام فيما تقدم من قول زكريا (وخلقناه) (لنجعله) أى هذا الغلام أو خلقه بلا أب (آية للناس) يستدلون به على كمال القدرة على أنواع الخلق فانه خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى وخلق حواء من ذكر بلا أنثى وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر وخلق بقية الخلق من ذكر وأنثى قاله الكرخى (و) لنجعله (رحمة) عظيمة كائنة (منا) للناس لمن آمن به لما ينالونه منه من الهداية والخير الكثير لان كل نبى رحمة لأمته (وكان) خلقه (أمر امقضا) به فى على مقدرا محكما مفروغا منه لا يرد ولا يبدل ولا يتغير مسطورا فى اللوح المحفوظ قد قدره الله سبحانه وجفبه القلم (خملته) أى الموهوب ههنا كلام مطوى والتقدير فاطمأنت الى قوله فدانها فنفخ فى جيب درعها وهو بعبد عنها فوصلت النفع الى بطنها فحملته وأحست فى بطنها مصورا وكان سنها

سبط تعالوه حرة كأنما يتحادر من شعره الجمان هذا سياق فيه غرائب عجيبه رواية أنس بن مالك عن مالك بن ثلاث صعبة قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا همام قال سمعت قتادة يحدث عن أنس بن مالك ان مالك بن صعبة حدثه ان نبى الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسرى به قال بينما أنا فى الحطيم وربما قال قتادة فى الحجر مضطجعا اذا نأت فجعل يقول لصاحبه الاوسط بينا السلاثة قال فأتانى فتقدوسمعت قتادة يقول فشق ما بين هذه الى هذه وقال قتادة فقلت للجارود وهو الى جنبى ما يعنى قال من ثغرة ثغره الى شعرته وقد سمعته يقول من قصته الى شعرته قال فاستخرج قلبي قال فأتيت بطاست من ذهب مملوءة ايماناً

وحكمة فغسل قلبي ثم حشي ثم أعيد ثم أتيت بدابة دون الغسل وفوق الجمار أبيض قال فقال الجارود وهو البراق يا أبا جزة قال نعم يتبع خطوه عند أقصى طرفه قال فحملت عليه فانطلق بي جبريل عليه السلام حتى أتاني الى السماء الدنيا فاستفتح فقبل من هذا قبل جبريل قبل ومن معك قال محمد قيل أو قد أرسل اليه قال نعم فقيل مرحباً به ونعم المجيء جاء قال ففتح لنا فلما خلصت فإذا فيها آدم عليه السلام قال هذا أبوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح ثم صعد حتى أتى السماء الثانية فاستفتح فقبل من هذا فقال جبريل قبل ومن معك قال محمد (١٣) قيل أو قد أرسل اليه قال نعم قبل مرحباً به ونعم المجيء جاء قال ففتح لنا فلما

خلصت فإذا عيسى ويحيى وهما ابنا الخالة قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهم ما قال فسلمت فرد السلام ثم قال امرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد حتى أتى السماء الثالثة فاستفتح فقبل من هذا قال جبريل قبل ومن معك قال محمد قيل أو قد أرسل اليه قال نعم قبل مرحباً به ونعم المجيء جاء قال ففتح لنا فلما خلصت إذا يوسف عليه السلام قال هذا يوسف قل فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحباً بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح فقبل من هذا قال جبريل قبل ومن معك قال محمد قيل أو قد أرسل اليه قال نعم قبل مرحباً به ونعم المجيء جاء قال ففتح لنا فلما خلصت فإذا ادريس عليه السلام قال هذا ادريس قال فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحباً بالاخ الصالح والنبي الصالح قال ثم صعد حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح فقبل من هذا قال جبريل قبل ومن معك قال محمد قيل أو قد أرسل اليه قال نعم قبل مرحباً به ونعم المجيء جاء ففتح لنا فلما خلصت فإذا هرون عليه السلام

ثلاث عشرة سنة أو عشرين أو ثمانين أو ست عشرة سنة وقيل كانت النفخة في ذيلها أو كها وقيل في فخها وليس المراد انه نفخ في فرجها مباشرة عن أبي بن كعب قال تمثل روح عيسى في صورة بشر فحملته قال حملت الذي خاطبها دخل في فيه أقبل ان وضعها كان متصلاً بهذا الحمل من غير مضى مدة للعمل ويدل على ذلك قوله (فالتبذت به مكاناً قصياً) أي تحت بالحمل مصاحبة له واعتزلت الى مكان بعيد من أهلها مخافة اللائمة قيل كان هذا المكان وراء الجبل وقيل أبعد مكان في تلك الدار وقيل أقصى الوادي وهو وادي بيت لحم وقيل انها حملت به ستة أشهر وقيل ثمانية أشهر وذلك آية أخرى لانه لا يعيش من ولد لثمانية أشهر وقيل سبعة أشهر وقيل تسعة أشهر كحمل النساء وقيل كان الحمل والولادة في ساعة واحدة وقيل حملته في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة حين زالت الشمس من يومه وكانت قد حاضت حينئذ قبل أن تحمل بعيسى قلت وهذا التفصيل لا دليل عليه ولا مستدله الأخبار إلا أخباراً أو آراء الرجال ولو صح من نص صحيح لوجب المصير اليه وكان آية أخرى (فأجاءها) يقال جاء وأجاء لغتان بمعنى واحد أي أجأها واضطرها وجاءها وقرأ شبل فأجأها من المفاجأة وفي مصحف أبي فلما أجأها قال في الكشف ان أجأها منقول من جاء إلا ان استعماله قد تغير بعد النقل الى معنى الإجاء وفيه بعد والظاهر ان كل واحد من الفعلين موضوع موضع مستعمل (الخصاض) أي وجع الولادة وهو مصدر مخضت المرأة تمخض مخضاً ومخاضاً إذا نادى ولادها قرأ الجمهور بفتح الميم وقرئ بكسرهما (الى جذع النخلة) الجذع ساق النخلة اليابسة التي لأرأس لها كانتها طلبة شيئاً تستند اليه وتعتد عليه وتعلق به كما تعلق الحامل لشدة وجع الطلق بشيء مما تتجده عندها والتعريف اما للجنس أو للعهد والمستفيض المشهور ان ولادة عيسى كانت بيت لحم وانها لما هربت وخافت عليه أسرعت به وجاءت به الى بيت المقدس فوضعتة على صخرة فانخضت الصخرة له وصارت كالهدوهي الآن موجودة تزار بحرم بيت المقدس ثم بعد أيام توجهت به الى بحر الاردن فغمسته فيه وهو اليوم الذي تتخذه النصارى عيداً ويسمونه يوم الغطاس وهم يظنون ان المياه في ذلك اليوم قدس فلذلك يغطسون في كل ماء ومن زعم انها ولدت بمصر قال بكورة انحاس ولم يثبت انتهى من البحر لابي حيان وانحاس بجانب البنسنا (قالت) جرعاً مما أصابها (يا) للتنبيه لان المنادى غير عاقل (ليني مت قبل

قال هذا هرون فسلم عليه قال فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحباً بالاخ الصالح والنبي الصالح قال ثم صعد حتى أتى السماء السادسة فاستفتح فقبل من هذا قال جبريل قبل ومن معك قال محمد قيل أو قد أرسل اليه قال نعم قبل مرحباً به ونعم المجيء جاء ففتح لنا فلما خلصت فإذا نوح عليه السلام قال هذا نوح فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحباً بالاخ الصالح والنبي الصالح قال فلما تجاوزته بكى قبل له ما يبكيك قال أبكي لأن غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي قال ثم صعد حتى أتى السماء السابعة فاستفتح فقبل من هذا قال جبريل قبل ومن معك قال محمد قيل أو قد بعث اليه قال نعم قبل مرحباً به

ونعم المجي مجاء قال ففتح لنا فلما خلصت فاذا ابراهيم عليه السلام فقال هذا ابراهيم فسلم عليه قال وسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح قال ثم رفعت الى سدرة المنتهى قال فاذا بقى هاهنا مثل قلال هجر واذا ورقيها مثل آذان الفيلة فقال هذه سدرة المنتهى قال واذا اربعة انهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذا يا جبريل قال اما الباطنان فنهران في الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات قال ثم رفع الى البيت المعمور وقال قتادة وحدثنا الحسن عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه رأى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألفاً (١٤) ثم لا يعودون فيه ثم رجع الى حديث أنس قال ثم أتيت بانام من خروا نام من

لبن ونام من غسل قال فاخذت اللبن قال هذه الفطرة انت عليها أمتك قال ثم فرضت على الصلاة خمسين صلاة كل يوم قال فزلت حتى أتيت موسى فقال ما فرض عليك على أمتك قال فقلت خمسين صلاة كل يوم قال ان أمتك لا تستطيع لخمسين صلاة وانى قد خبرت الناس قبلك وعالجت بنى اسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك فأسأله التخفيف لأمتهك قال فرجعت فوضع عني عشر قال فرجعت الى موسى فقال بما أمرت قلت بأربعين صلاة كل يوم قال ان أمتك لا تستطيع بأربعين صلاة كل يوم وانى قد خبرت الناس قبلك وعالجت بنى اسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك فأسأله التخفيف لأمتهك قال فرجعت فوضع عني عشر آخر فرجعت الى موسى فقال بما أمرت فقلت بأربعين صلاة كل يوم قال ان أمتك لا تستطيع بأربعين صلاة كل يوم وانى قد خبرت الناس قبلك وعالجت بنى اسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك فأسأله التخفيف لأمتهك قال فرجعت فوضع عني

هذا الوقت أو الامر تمت الموت استحياء من الناس أو خوفاً من النضيضة لانها خافت ان يظن بها السوء في دينها أو لئلا يقع قوم بسببها في البهتان (وكنتم نسيام نسياً) أى شيئاً حقيرامتروكا والنسي في كلام العرب الشئ الحقير الذى من شأنه ان ينسى ولا يذكر ولا يعرف ولا يتألم للنقد كالوتد والحبل وقال الفراء النسي ما تلقى المرأة من خرق اعتلاها فقتل مريم نسيام نسياً أى حيضة ملقاة وقد قرئ بفتح النون وكسر ها وهما لغتان مثل الجرو والجرو والوتر والوتر وقرأ القرطبي نسياماً به مزع كسر النون ونوف البكى بالهمز مع فتح النون والمنسى المتروك الذى لا يذكر ولا يعرف ولا يخطر ببال أحد من الناس قال ابن عباس نسيام نسياً أى لم اخلق ولم أنشأ (فناداها) أى خاطبها لما سمع قولها (من) قرئ بكسر الميم وفتحها وهما سبع عتات (تحتها) الضمير الما لمريم واما اللخلة والاول أولى لتوافق الضميرين وكانت على أكمة وكان جبريل أسفل منها تحت الأكمة قال قتادة الذى ناداها جبريل وبه قال ابن عباس وزاد ولم يتكلم عيسى حتى أتت به قومها وقد اختلفت الروايات عن السلف هل هذا النادى هو جبريل أو عيسى فن قرأ من بالفتح فهو عيسى ومن قرأ بالكسر فهو جبريل (أن لا تحزنى) تفسير لانداء والمعنى بان لا تحزنى على انها مصدرية ولا ناهية أو نافية (قد جعل ربك تحتك) أى قربك (سرياً) قال جمهور المفسرين السرى النهر الصغير لان الماء يسرى فيه والسرى الجدول والجمع سرىان والسرى الرئيس والجمع سرة وهو عزيز لا يكاد يبدله لانه لا يجمع فعيل على فعلة وجمع السرة سرات وسرى منعول وجعل بمعنى صير او خلق وقيل السرى من سريت الثوب أى نزعت وسريت الحبل عن الفرس والاول أولى والمعنى قد جعل تحت قدمك نهر اقليل كان هذا قد انقطع عنه الماء فأرسل الله فيه الماء لمريم وأحيى به ذلك الجدع اليابس الذى اعتمدت عليه حتى أوراق وأغصان وقيل معنى تحتك تحت أمرك أى ان أمرته ان يجرى جرى وان أمرته بالامساك أمتك والاول أولى وعن جماعة من التابعين ان المراد بالسرى هنا عيسى والسرى العظيم من الرجال ومنه قولهم فلان سرى أى عظيم ومن قوم سرة أى عظام أخرج الطبرانى وابن الجبار وابن مردويه عن ابن عمر انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان السرى الذى فى الآية نهر أخرجه الله لها للشرب منه وفى سنده أيوب ابن نهمك الجبلى قال فيه أبو حاتم الرازى ضعيف وقال أبو زرعة منكر الحديث وقال أبو

عشر آخر فرجعت الى موسى فقال بما أمرت قلت بعشرين صلاة كل يوم فقال ان أمتك لا تستطيع بعشرين صلاة كل يوم وانى قد خبرت الناس قبلك وعالجت بنى اسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك فأسأله التخفيف لأمتهك قال فرجعت فوضع عني عشر آخر فرجعت الى موسى فقال بما أمرت فقلت بعشر صلوات كل يوم فقال ان أمتك لا تستطيع لعشر صلوات كل يوم وانى قد خبرت الناس قبلك وعالجت بنى اسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك فأسأله التخفيف لأمتهك قال فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال بما أمرت فقلت بخمس صلوات كل يوم قال ان أمتك لا تستطيع لخمس صلوات كل يوم وانى قد خبرت الناس قبلك وعالجت بنى اسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك

فأما له التخفيف لامتك قال قلت قد سألت ربي حتى استحييت ولكن ارضى وأسلم فمفقت فتناداني مناد قد ارضيت فريضي وخففت عن عبادي وأخرجاه في الصحيين من حديث قتادة بنحوه رواية أنس عن أبي ذر قال البخاري حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب عن أنس بن مالك قال كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب فمملئت بحكمة وإيمانا فأفرغها في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فخرجني إلى السماء الدنيا فلما جئت إلى السماء قال جبريل (١٥) نأزنا السماء افتح قال من هذا قال جبريل قال هل

معك أحد قال نعم معي محمد صلى الله عليه وسلم فقال أرسل الله قال نعم فلما افتح علونا السماء الدنيا فاذا رجل قاعد على عينه أسودة وعلى يسلمه أسودة اذا نظر قبل عينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قلت لجبريل من هذا قال هذا آدم وهذه الاسودة عن عينه وعن شماله نسيم بينه فاهل العيين منهم أهل الجنة والاسودة التي عن شماله أهل النار فاذا انظر عن عينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى حتى عرجني إلى السماء الثانية فقال لخازنها افتح فتدال له خازنها مثل ما قال الاول ففتح قال أنس فذكر انه وجد في السموات آدم وادريس وموسى وعيسى وابراهيم صلوات الله عليهم ولم يثبت كيف منازلهم غير انه ذكر انه وجد آدم في السماء الدنيا وابراهيم في السماء السادسة قال أنس فلما مر جبريل بالنبي صلى الله عليه وسلم بادريس قال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح فقلت من هذا قال هذا ادريس ثم مررت بعيسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح قلت من هذا قال موسى

الفتح الارزى متروك الحديث وقال الطبراني بعد احراره انه غريب جدا (وهزى اليك بجذع النخلة) الهز النحر يك يقال هزه فاهتزوا البناء مزيدة للتأكيد وقال الفراء العرب تقول هزه وهز به والجذع هو أسند الشجرة قال قطرب كل خشبة في أصل شجرة فهي جذع (تساقط عليك) أصله تساقط وقرئ تسقط ويسقط فن قرأ بالفوقية جعل الضمير للنخلة ومن قرأ بالتحسية جعله للجذع (رطبا جنيا) الجنى المأخوذ رطبا وقيل هو مطاب وصلاح للجنى وهو فعيل بمعنى منقول أي رطباً طرياً طيباً قاله ابن عباس أي استحق ان يجنى (فكلى) من ذلك الرطب (واشرب) من ذلك الماء أو من عصير الرطب وقدم الاكل مع ان ذكرنا مقدم على الرطب لان احتياج النفس الى اكل الرطب أشد من احتياجها الى شرب الماء ثم قال (وقرى عينا) قرأ الجهور بفتح القاف وقرئ بكسر ها قال ابن جرير هي لغة نجد والمعنى طيبي نفسا وارضى عنك الحزن وهو مأخوذ من القروا القرة وهما البرد والمسرور بارد القلب ساكن الجوارح وذلك ان العين اذا فرح صاحبها كان دمها قاراً أي بارداً واذا حزن كان دمها حاراً ولذلك قالوا في الدعاء عليه أسخن الله عينه وقيل المعنى وقرى عينا برفية الولد الموهوب لك وقال الشيباني معناه نأى قال أبو عمر وأقر الله عينه أي أنام عينه واذهب سهره وقيل مأخوذ من الاستقرار أي أعطاه الله ما يسكن عينها فلا تطمح الى غيره (فامترين) أصله ترأين مثل تسمعين (من البشر أحد افقولى) أي ان طلب منك الكلام أحد من الناس فقولى وبهذا المقدر يقتلص من اشكال وهو ان قولها فلن أكلم اليوم انسياً كلام فيكون ذلك تناقضا لانهم اقد كلمت انسياً بهذا الكلام وقيل قوله فتقولى أي بالاشارة وليس بشئ بل المعنى فلن أكلم اليوم انسياً بعد هذا الكلام قاله السمين (اني نذرت للرحمن صوما) قيل المراد به الصوم الشرعي وهو الامساك عن المنطرات (١) والاول اولى وفي قراءة أبي صوما صمتا بالجمع بين اللفظين وكذا روى عن أنس وروى عنه الواو بينهما والذي عليه جمهور المفسرين ان الصوم هنا الصمت ويدل عليه فلن أكلم اليوم انسياً كما سيأتى ومعنى الصوم في اللغة أوسع من المعنيين قال أبو عبيدة كل مسك من طعام أو كلام أو سير فهو صائم وقراءة أبي تدل على ان المراد بالصوم هنا الصمت لانه نفس للصوم وقراءة أنس تدل على ان الصوم هنا غير الصمت كما يفيد الواو ومعنى (فلن أكلم اليوم انسياً) انها لا تكلم أحد من الانس بعد اخبارهم بهذا الخبر بل انما

ثم مررت بعيسى فقال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح فقلت من هذا قال عيسى ثم مررت بابراهيم فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قلت من هذا قال هذا ابراهيم قال الزهري فأخبرني ابن حزم ان ابن عباس واباحبة الانصاري كانا يقولان قال النبي صلى الله عليه وسلم ثم عرجني حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الاقلام قال ابن حزم وأنس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرض الله على أمتي خمسين صلاة فرجعت بذلك حتى مررت على موسى فقال ما فرض الله لك على امتك قلت فرض خمسين صلاة قال موسى فارجع الى ربك فان امتك لا تطيق ذلك فراجعت فوضع شطرها فرجعت الى موسى قلت وضع شطرها فقال (١) قوله والاول اولى لم يذكر الاول وأصل التركيب بعد قوله صوما اي اسما كوا وسكو تا وقيل المراد بالخ فتمل ان مصححه

ارجع الى ربك فان استك لا تطيق ذلك فرجعت فوضع شطرها فرجعت اليه فقال ارجع الى ربك فان أمتك لا تطيق ذلك فراجعت
فقال هي خمس وهي خمسون لا يبدل القول لدى فرجعت الى موسى فقال ارجع الى ربك قالت قد استحييت من ربي ثم انطلق بي حتى
انتهيت الى سدرة المنتهى وغشيها ألوان لا أدري ماهي ثم أدخلت الجنة فاذا فيها جنازة اللؤلؤ وإذا ترابها المسك هذا لفظ البخاري
في كتاب الصلاة ورواه في ذكر بني اسرائيل وفي الحج وفي احاديث الانبياء من طرق أخر عن يونس بن مرقا ورواه مسلم في صحيحه في كتاب
الايمان منه عن حرملة عن ابن وهب عن يونس بن مخنف (١٦) وقال الامام احمد حدثنا عفان حدثنا هشام عن قتادة عن عبد الله

ابن شقيق قال قلت لابي ذر لو رأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم لسأله
قال وما كنت تسأله قال كنت أسأله
هل رأى ربه فقال اني قد سأله فقال
قد رأيته نورا اني أراه هكذا قد وقع
في رواية الامام أحمد وخرج مسلم
في صحيحه عن أبي بكر بن أبي شيبة
عن وكيع عن يزيد بن ابراهيم عن
قتادة عن عبد الله بن شقيق عن ابي
ذر قال سألت رسول الله صلى الله
عليه وسلم هل رأيت ربك قال نور
انني أراه وعن محمد بن يسار عن
معاذ بن هشام حدثنا ابي عن قتادة
عن عبد الله بن شقيق قال قلت لابي
ذر لو رأيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم لسأله فقال عن أي شيء كنت
تسأله قال كنت أسأله هل رأيت
ربك قال أبو ذر قد سألت فقال
رأيت نورا رواية أنس عن ابي بن
كعب الانصاري رضي الله عنه
قال عبد الله بن الامام أحمد حدثنا
محمد بن اسحق بن محمد المسيبي
حدثنا أنس بن عياض حدثنا يونس
ابن يزيد قال قال ابن شهاب قال أنس
ابن مالك كان ابي بن كعب يحدث
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل

تسكلم الملائكة وتناجى ربه او لما اطمانت مريم عليها السلام عارأت من الآيات (فأتت
به) أي بعيسى (قومها تحمله) أي أنت مصاحبة له وكان اتيانها اليهم من المكان القصي
الذي اتبذت فيه للوضع قيل في يوم الوضع وقيل بعد ان طهرت قال ابن عباس بعد أربعين
يوما بعد ما تعالت من نفاسها فلما رأوا الولد معها حزنوا وكانوا أهل بيت صالحين (قالوا)
منكرين لذلك (يا مريم لقد جننت) أي فعلت وارتكبت (شيئا أفريقيا) عيبا نادرا قاله أبو
عبيدة وقال مجاهد الفري العظيم أي من الامرية لفي الخير والشر وقال قطرب الفري
الجلديد من الاسقية أي جئت بامر يدع جديد لم تسبق اليه وقيل الفري القطع أي شيئا
قاطعا وخارفا للعادة التي هي الولادة بواسطة الاب وقال سعيد بن مسعدة الفري المخلق
المتفعل والاسم الثرية ويقال فريت الجلود وأفريت بعني واحدا قد قطعته والولد من الزنا
كالشيء المنترى قال تعالى ولا يأتين بهتان ينترينه بين ايديهم وأرجلهم (يا أخت هرون)
هذا من كلامهم أيضا وقد وقع الخلاف في معنى هذه الاخوة وفي هرون المذكور من هو
فقيل هو هرون أخو موسى والمعنى ان من كانت نظما مثل هرون في العبادة كيف تأتي
بمثل هذا وقيل كانت مريم من ولد هرون أخي موسى فقيل لها يا أخت هرون كما يقال لمن
كان من العرب يا أخا العرب وقيل كان لها أخ من أبيها اسمه هرون وقيل هرون هذا رجل
صالح في ذلك الوقت شبهت به في عفتها وصلاحها وقيل بل كان في ذلك الوقت رجلا فاسقا
اسمه هرون فسموها اليه على جهة التعيير والتوبيخ حكاه ابن جرير ولم يسم قائله وهو
ضعيف وأخرج أحمد ومسلم والترمذي والنسائي وعبد بن حميد وابن أبي شيبة وغيرهم عن
المغيرة بن شعبه قال بعني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى أهل نجران فقالوا رأيت
ما تشرون يا أخت هرون وموسى قبل عيسى بكذا وكذا قال فرجعت فذكرت ذلك لرسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال ألا أخبرتهم انهم كانوا يسمون بالانبياء والصالحين قبلهم
وهذا التنسيع النبوي يعني عن سائر ما روى عن السلف في ذلك (ما كان أبوك) أي عمران
(امراؤهم) ما كانت امك (أي حنة) بغيا هذا فيه تشريفا تقدم من التعيير والتوبيخ
وتنبه على ان الفاحشة من ذرية الصالحين مما لا ينبغي ان تكون (فأشارت) أي مريم
(اليه) أي الى عيسى أن كلوه وانما كنت بالاشارة ولم تأمره بالاطلاق لانها اندرت للرجن
صوما عن الكلام كما تقدم هذا على تقدير انها كانت اذ ذاك في أيام ندرها وعلى تقدير انها

جبريل ففرج صدرى ثم غسله من ماؤه من ثم جاء بطست من ذهب مملئى حكمة وايماناففرغها في صدرى ثم أطبقه ثم اخذ قد
بيدى فعرج بي الى السماء فلما جاء السماء الدنيا اذ ارجل عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة فاذا انظر قبل يمينه تبسم واذا انظر قبل يساره
بكي فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال قلت لجبريل من هذا قال هذا آدم وهذه الاسودة التي عن يمينه وعن شماله نسم بينه
فاهل يمينه هم أهل الجنة والاسودة التي عن شماله هم اهل النار فاذا انظر قبل يمينه ضحك واذا انظر قبل يساره بكى قال ثم عرج بي جبريل
حتى اتى السماء الثانية فقال لخبازها أفتح فقال له خازنها مثل ما قال خازن السماء الدنيا ففتح له قال أنس قد ذكرناه وجد في السموات آدم

(17)

قد خرجت منها فيمكن ان يقال ان اقتصارها على الاشارة للمبالغة في اظهار الالة العظيمة وان هذا المولود يفهم الاشارة و يقدر على العبارة (قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا) هذا الاستفهام للانكار والتعجب من اشارتها الى ذلك المولود بان يكلمهم قال أبو عبيدة في الكلام حشوزا والمعنى كيف نكلم صبيا في المهد وقال الزجاج الاجود ان يكون من في معنى الشرط والجزء والمعنى من يكون في المهد صبيا فكيف نكلمه ورجحه ابن الانباري وقيل ان كان هذا التامة التي هي بمعنى الحدوث والوجود وورد بانها لو كانت تامة لاستغنت عن الخبر وقيل انها بمعنى صار وقيل انها الناقصة على بابها من دلالتها على اقتران مضمون الجملة بالزمان الماضي من غير تعرض للانقطاع ولذلك يعبر عنها بانها ترادف لم يزل والمهد هو شيء معروف يتخذ لتدويم الصبي ولنظ القاموس المهد الموضع بهما للصبي وبوطأ والارض كالهاد والجمع مهود انتهى وقيل هو هنا شجر الام وقيل سريركل المهد والمعنى كيف نكلم من سبيله أن ينوم في المهد لصغره فلما سمع عيسى كلامهم ترك الرضاع وأقبل عليهم (قال اني عبدالله) فكان أول مناطق به الاعتراف بالعبودية لله لئلا يتخذوه الها وفيه ازالة التهمة عن الام لان الله لم يختص بهذه المرتبة العظيمة من ولد في زمانا ووصف نفسه بصنات غمانية وأولها العبودية وآخرها تأمين الله في أخوف المقامات (آتاني الكتاب) أي الانجيل (وجعلني نبيا) أي حكمي بآيات الكتاب والنسوة في الازل وان لم يكن قد نزل عليه في تلك الحال ولا قد صار نبيا وقيل انه آتاه الكتاب وجعله نبيا في تلك الحال وهو بعيد جدا عن أنس قال كان عيسى قد درس الانجيل وأحكامها في بطن أمه فذلك قوله آتاني الكتاب وهو أبعد وقال عكرمة قضي أن أكون كذلك ومثله قوله صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وادم بين الروح والجسد (وجعلني مباركا) البركة أصلها من بروك البعير والمعنى جعلني ثابتا في دين الله (أي بما كنت) وقيل البركة الزيادة والعلو فكأنه قال جعلني في جميع الاشياء زائدا عاليا متجعا وقيل معنى المبارك الشفاع للعباد لانه كان ينجي الموتى ويبرئ الاكهم والابرص ويرشدوهم وهدى وقيل المعلم للخبر وقيل الامر بالمعروف الناهي عن المنكر وعن ابى هريرة عنه صلى الله عليه وسلم قال جعلني شفاعا للناس أي بما اتجهت أخرجه الاسماعيل في معجمه وأبو نعيم في الحلية وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال معلما ومؤدبا أخرجه ابن عدى وابن عساکروا وإنما شرطية

(۳ - فتح البیان سادس)

وقال غريب رواية جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال الامام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أي عن صالح عن ابن شهاب قال قال أبو سلمة سمعت جابر بن عبد الله يحدث أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما كذبتني قريش حين أسري بي إلى بيت المقدس قلت في الحجر فإني إلى بيت المقدس فطفقت أخبرهم وأنا أنظر إليه أخرجه في الصحيين من طرق عن حديث الزهري به وقال البيهقي حدثنا أحمد بن الحسن القاضي حدثنا أبو العباس الأصم بن محمد الدوري حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا أي عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب قال (١٨) سمعت سعيد بن المسيب يقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انتهى

لا استنهامية وجوابها ما محذوف وأما هو المتقدم عند من يرى ذلك (وأوصاني) أي أمرني (بالصلاة والزكاة) أي بركة المال إذا ملكته أو تطهر النفس عن الرذائل في الوقت المعين لهما وهو البلوغ أو الآن قولان للمفسرين والاول أولى (مادمت حيا) أي مدة دوام حياتي وهذه الافعال الماضية هي من باب تنزيل ما لم يقع منزلة الواقع تنبيهها على تحقق وقوعه ليكون قد سبق في القضاء المبرم وقيل المراد ان الله صبره حين انفصل عن أمه بالغاء اقلا قال الخازن وهذا القول أظهر قلت بل أبعده ويحتاج الى مستند صحيح ثابت (وبرأو الذي) اقتصر على البرؤا لانه قد علم في تلك الحال انه لم يكن له أب وقرئ برأبكر الباء ما على حذف مضاف وما على انه مصدر ووصفه بمبالغة (ولم يجعاني جبارا شقيا) الجبار المتعظم الذي لا يرى لاحد عليه حقا والشقي العاصي له به وقيل الخائب وقيل العاق وقال ابن عباس شقيا عصيا أي بل أنا خاضع متواضع ومن تواضعه انه كان يأكل ورق الشجر ويجلس على التراب ولم يتخذ له مسكرا روى انه قال قلبي لين وأنا صغير نفسي (والسلام) قال المنصورون هو هنا بمعنى السلامة أي الامان من الله (على) والالف واللام فيه للعهد لانه قد تقدم لفظه في قوله وسلام عليه أي ذلك السلام الموجه الى يحيى موجه أو وقال الزمخشري والصحيح أن يكون هذا التعريف تعريضا للنعنة على منتهى مريم وأعداؤها من اليهود وتحقيقه ان اللام للجنس أي جنس السلام على خاصة فتدع عرض بان ضده عليكم وتطيره والسلام على من اتبع الهدى (يوم ولدت) فلم يضرني الشيطان في ذلك الوقت بالطعن ولا اغواني (ويوم أموت) أي ولا عند الموت (ويوم أبعث حيا) أي ولا عند البعث وانما خص هذه المواضع لكونها أخوف من غيرها وهذا آخر كلامه فعلموا ببراءة أمه ولم يتكلم بعد هذا الكلام حتى بلغ المدة التي يتكلم فيها الصبيان في العادة (ذلك) أي المتصف بالاوصاف الثمانية السابقة وقال الزجاج ذلك الذي قال اني عبد الله (عيسى بن مريم) لاما نقوله النصاري من أنه ابن الله وأنه اله (قول الحق) قرئ بان نصب عن المدح أو على انه مصدر وكذا لقال اني عبد الله قاله الزجاج وقرئ بالرفع على انه نعت لعيسى قاله الكسائي وسمى قول الحق كما سمي كلمة الله والحق هو الله عز وجل قاله قتادة وقال أبو حاتم المعنى هو قول الحق وقيل التقدير هذا الكلام قول الحق وهو من باب اضافة الموصوف الى الصفة مثل حق اليقين وقيل الاضافة للبيان

الى بيت المقدس اتي فيه ابراهيم وموسى وعيسى وأنه أتي بقدر حين قدح من لبن وقدح من خمر فنظر اليهما ثم أخذ قدح اللبن فقال جبريل أصبت هديت للفقرة لو أخذت الخمر لغوت أمتك ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة فأخبره أنه أسري به فافقت ناس كثير كانوا قد صلوا معه قال ابن شهاب قال أبو سلمة بن عبد الرحمن فقبضوا وكلمة نحوها ناس من قريش الى أبي بكر فقتلوا هبل لك في صاحبك يزعم انه جاء الى بيت المقدس ثم رجع الى مكة في ليلة واحدة فقال أبو بكر أو قال ذلك قالوا نعم قال فانا أشهد لئن كان قال ذلك لقد صدق قالوا فتصدقه في ان يأتي الشام في ليلة واحدة ثم رجع الى مكة قبل أن يصبح قال نعم أنا أصدقه بأبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء قال أبو سلمة فيها عيسى أبو بكر الصديق قال أبو سلمة سمعت جابر بن عبد الله يحدث انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما كذبتني قريش حين أسري بي الى بيت المقدس قلت

وقرئ

رواية حذيفة بن اليمان قال

الامام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا سليمان عن شيبان عن عاصم عن زربن حميش قال أتيت علي حذيفة بن اليمان وهو يحدث عن ليلة أسري بمحمد صلى الله عليه وسلم وهو يقول فأنظرا لفتنا حتى أتينا على بيت المقدس فلم يدخله رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلته وصلى فيه قال ما اسمك يا أصلي فأنى أعرف وجهك ولما أدري ما اسمك قال قلت أنا زربن حميش قال فما علمك بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى فيه ليلة ثم قلت القرآن يخبرني بذلك قال فن تكلم بالقرآن فلم أقرأ فقلت سبحان الذي

أسرى بعبد له لآمن المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى قال يا أ صلح هل تجد صلى فيه قلت لا قال والله ما صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلته وذو لوصلى فيه لكتب عليكم صلاة فيه كما كتب عليكم صلاة في البيت العتيق والله ما زالا البراق حتى فتحت لهما أبواب السماء فقرأ بالجنة والنار و وعد الآخرة أجمع ثم عاد عودهما على يديهما ما قال ثم ضحك حتى رأيت نواجذه قال ويحدثون انه ربطه لا يفر منه وانما سخر له عالم الغيب والشهادة قلت يا عبد الله أى دابة البراق قال دابة آيض طوليل هكذا خطوه مد البصر ورواه أبو داود الطيالسي عن حماد بن سلمة عن عاصم به ورواه (١٩) الترمذى والنسائى فى التفسير من حديث عاصم وهو ابن أبى النخود به

وقال الحق وروى ذلك عن ابن مسعود وقرأ الحسن قول الحق بضم القاف والقول والقول والقول والمقال بمعنى واحد (الذى فيه يمترون) أى ذلك عيسى بن مريم الذى فيه يمترون ومعناه يختلفون على انه من الممارسة أو يشكون على انه من المرية وقد وقع الاختلاف فى عيسى فقالت اليهود هو ساحر وانه ابن يوسف النجار وقالت النصارى هو ابن الله أو اله وعن قتادة فى الآية قال اجتمع بنو اسرائيل فأخرجوا منهم أربعة نفر أخرج كل قوم عالمهم فامتر وافى عيسى حين رفع فقال أحدهم هو الله هبط الى الارض فاحي من أحى وأمات من أمات ثم صعد الى السماء وهم اليعقوبية فقالوا كذبت ثم قال اثنتان منهم للثالث قل فيه فقال هو ابن الله وهم النسطورية فقالوا كذبت ثم قال أحد الاثنى للآخر قل فيه فقال هو ثالث ثلاثة الله اله وعيسى اله وأمسه اله وهم الاسرائيلية وهم ملوك النصارى فقال الرابع كذبت هو عبد الله ورسوله وروحه من كلمته وهم المسلمون فكان لكل رجل منهم أتباع على ما قال فاقتتلوا وظهروا على المسلمين فذلك قول الله سبحانه ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس قال قتادة وهم الذين قال الله فيهم فاختلف الأحزاب من بينهم فاختلفوا فيه فصاروا أحزابا فاختصم القوم فقال المرء المسلم أنشدكم بالله هل تعلمون ان عيسى كان يطعم الطعام وان الله لا يطعم قالوا اللهم نعم قال فهل تعلمون ان عيسى كان ينام وان الله لا ينام قالوا اللهم نعم فخصمهم المسلمون فاقتتل القوم فذكر لنا ان اليعقوبية ظهرت يومئذ واصيب المسلمون فانزل الله فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم (ما كان الله ان يتخذ من ولد) أى ماصح ولا استقام ذلك قال الزجاج من مؤكدة تدل على نبي الواحد والجماعة والمعنى ما كان من صفته اتخذ الولد أى ثبوت الولد له محال ثم نزه الله نفسه فقال (سبحانه) أى تنزهه وتقدس عن مقالتهم هذه ثم صرح سبحانه بما هو شأنه تعالى سلطانه فقال (اذ قضى أمرا) من الامور وهذا بمنزلة التعليق لما قبله (فانما يقول له كن فيكون) أى فيكون حينئذ بلا تأخير لا يتعذر عليه ايجاده على الوجه الذى أرادته وفى ايراد فى هذا الموضع تكسبت عظيم والزام بالحجة للنصارى أى من كان هذا شأنه كيف يتوهم أن يكون له ولد وقد سبق الكلام على هذا مستوفى فى البقرة (وان الله) بفتح ان بتقدير اذ كراولان واليه ذهب المخشري تابعه اللخيل وسبويه وبكسرهما بتقدير قل أو على الاستئناف وقيل على الاول انهم اعطف على الصلاة أى

وقال الحق وروى ذلك عن ابن مسعود وقرأ الحسن قول الحق بضم القاف والقول والقول والقول والمقال بمعنى واحد (الذى فيه يمترون) أى ذلك عيسى بن مريم الذى فيه يمترون ومعناه يختلفون على انه من الممارسة أو يشكون على انه من المرية وقد وقع الاختلاف فى عيسى فقالت اليهود هو ساحر وانه ابن يوسف النجار وقالت النصارى هو ابن الله أو اله وعن قتادة فى الآية قال اجتمع بنو اسرائيل فأخرجوا منهم أربعة نفر أخرج كل قوم عالمهم فامتر وافى عيسى حين رفع فقال أحدهم هو الله هبط الى الارض فاحي من أحى وأمات من أمات ثم صعد الى السماء وهم اليعقوبية فقالوا كذبت ثم قال اثنتان منهم للثالث قل فيه فقال هو ابن الله وهم النسطورية فقالوا كذبت ثم قال أحد الاثنى للآخر قل فيه فقال هو ثالث ثلاثة الله اله وعيسى اله وأمسه اله وهم الاسرائيلية وهم ملوك النصارى فقال الرابع كذبت هو عبد الله ورسوله وروحه من كلمته وهم المسلمون فكان لكل رجل منهم أتباع على ما قال فاقتتلوا وظهروا على المسلمين فذلك قول الله سبحانه ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس قال قتادة وهم الذين قال الله فيهم فاختلف الأحزاب من بينهم فاختلفوا فيه فصاروا أحزابا فاختصم القوم فقال المرء المسلم أنشدكم بالله هل تعلمون ان عيسى كان يطعم الطعام وان الله لا يطعم قالوا اللهم نعم قال فهل تعلمون ان عيسى كان ينام وان الله لا ينام قالوا اللهم نعم فخصمهم المسلمون فاقتتل القوم فذكر لنا ان اليعقوبية ظهرت يومئذ واصيب المسلمون فانزل الله فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم (ما كان الله ان يتخذ من ولد) أى ماصح ولا استقام ذلك قال الزجاج من مؤكدة تدل على نبي الواحد والجماعة والمعنى ما كان من صفته اتخذ الولد أى ثبوت الولد له محال ثم نزه الله نفسه فقال (سبحانه) أى تنزهه وتقدس عن مقالتهم هذه ثم صرح سبحانه بما هو شأنه تعالى سلطانه فقال (اذ قضى أمرا) من الامور وهذا بمنزلة التعليق لما قبله (فانما يقول له كن فيكون) أى فيكون حينئذ بلا تأخير لا يتعذر عليه ايجاده على الوجه الذى أرادته وفى ايراد فى هذا الموضع تكسبت عظيم والزام بالحجة للنصارى أى من كان هذا شأنه كيف يتوهم أن يكون له ولد وقد سبق الكلام على هذا مستوفى فى البقرة (وان الله) بفتح ان بتقدير اذ كراولان واليه ذهب المخشري تابعه اللخيل وسبويه وبكسرهما بتقدير قل أو على الاستئناف وقيل على الاول انهم اعطف على الصلاة أى

بصرى حتى خرجت من المسجد فاذا أنا بدابة أدنى شبهه بدوابكم هذه بغالكم هذه مضطرب الاذنين يقال له البراق وكانت الانبياء تركبه قبله يقع حافره عند مدبصره فركبته فينبأ أنا أسير عليه اذ دعانى داع عن يمينى يا محمد انظرنى أسألك يا محمد انظرنى أسألك يا محمد انظرنى أسألك فلم أجبه ولم أقم عليه فينبأ أنا أسير اذ أنا امرأة حاسرة عن ذراعيها وعليها من كل زينة خلقها الله فقالت يا محمد انظرنى أسألك فلم التف اليها ولم اقم عليها حتى أتيت بيت المقدس فاوثقت دابتي بالحلقة التى كانت الانبياء وثقها به أنانى جبريل عليه السلام باناه من أحد هما خير

والآخر ابن فسر بت اللب وأبيت الجرف قال جبريل أصبت الفطرة فقلت الله أكبر الله أكبر فقال جبريل ما رأيت في وجهك هذا قال فقلت بينما أنا أسير أزدعاني داع عن عيني يا محمد انظرنى أسألك فلم أجبه ولم أقم عليه قال ذلك داعي اليهود ما نك لو أجبتهم أو وقفت عليه لتهودت أمتك قال فينما أنا أسير أزدعاني داع عن يساري قال يا محمد انظرنى أسألك فلم أنفث ولم أقم عليه قال ذلك داعي النصارى ما نك لو أجبتهم لتتصرت أمتك قال فينما أنا أسير إذا أنا امرأة حاسرة عن ذراعيها عليها من كل زينة خلقها الله تقول يا محمد انظرنى أسألك فلم أجبه ولم أقم (٢٠) عليها قال تلك الدنيا ما نك لو أجبتهم وأقت عليها لا اختارت أمتك

أوصاني بالصلاة وبان الله واليه ذهب الفراء ولم يذ كرمي غيره وقيل على الثاني عطف على قوله انى عبد الله وهو من البعدى كان (ربى وربكم فاعبدوه) هذا من تمام كلام عيسى بدليل ما قلت لهم الاما أمرتنى الآية (هذا صراط مستقيم) أى الذى ذكرته لكم من أنه ربى وربكم هو الطريق القيم الذى لا اعوجاج فيه ولا يضل سالكه (فاختلف الأحزاب) أى اليهود والنصارى (من بينهم) أى فاختلفت الفرق من أهل الكتاب فى أمر عيسى فأفرطت النصارى وغلت وفرطت اليهود وقصرت ومن زائدة وقيل للتبعيض اذبقى منهم فرقة أخرى مؤمنة يقولون انه عبد الله كأنهم (فويل للذين كفروا) وهم المختلون فى أمره عبر عنهم بالموصول ايذا ناكفروهم جميعا واشعرا بابعة الحكم (من مشهد يوم عظيم) أى من شهود يوم القيامة وما يجرى فيه من الحساب والجزاء والعقاب أو من مكان الشهود فيه أو من شهادة ذلك اليوم عليهم وقيل المعنى فويل لهم من حضورهم المشهد العظيم الذى اجتمعوا فيه للتشاور (أسمع بهم وأبصر) قال أبو العباس العرب تقول هذا فى موضع التعجب فيقولون أسمع بزيدا وأبصر بذاى ما أسمع وأبصره فعجب الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم منهم وقال السمين هذا النظر أمر ومعناه التعجب وقيل بل هو أمر حقيقة والمأمور هو رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى أسمع الناس وأبصرهم بهم وجمالهم ماذا تصنع بهم من العذاب وهو منقول عن أبى العالسة وقال ابن عباس يقول الكفار يومئذ أسمع شئ وأبصره وهم اليوم لا يسمعون ولا يبصرون (يوم يأتوننا) للحساب والجزاء (الكن الظالمون) الاصل لكنهم وهو من اقامة الظاهر مقام المضمحل لا يذان بانهم فى ذلك ظالمون لانفسهم (اليوم) أى فى الدنيا (فى ضلال) أى خطأ (مبين) أى واضح ظاهر ولكنهم أغفلوا التفكير والاعتبار والنظر فى الآثار (وأندرهم) أى خوف يا محمد كفار مكة (يوم الحسرة) أى يوم تحسرون جميعا فالمسىء يتحسر على اساءته والمحسن على عدم استكثاره من الخير وعن ابن عباس قال يوم الحسرة هو من أسماء يوم القيامة وقرأ ان تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله وفى سنده على بن أبى طلحة وهو ضعيف والآية التى استدلل بها ابن عباس لا تدل على المطلوب لا بمطابقة ولا تضمن ولا التزام (اذ قضى الامر) من الحساب وطويت الصحف وصار أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار (وهم فى غفلة) أى غافلين عما يعمل عملهم

الدنيا على الآخرة قال ثم دخلت أنا وجبريل بيت المقدس فصلى كل واحد مناركتين ثم أتيت بالمعراج الذى كانت تعرج عليه أرواح بنى آدم فلم تزل الخلائق أحسن من المعراج أما رأيت الميت حين يشق بصره طامحا الى السماء فأنما يشق بصره طامحا الى السماء عجب به بالمعراج قال فصعدت أنا وجبريل فاذا أنا بك يقول له اسمعيل وهو صاحب السماء الدنيا وبين يديه سبعون ألف ملك مع كل ملك جنوده مائة ألف ملك قال قال الله عز وجل وما يعلم جنود ربك الا هو قال فاستفتح جبريل باب السماء وقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل أو قد بعث اليه قال نعم فاذا أنا بآدم كهنية يوم خلقه الله عز وجل على صورته تعرض عليه أرواح ذريته من المؤمنين فيقول روح طيبة ونفس طيبة اجعلوها فى عالين ثم تعرض عليه أرواح ذريته الفجار فيقول روح خبيثة ونفس خبيثة اجعلوها فى سجين فخصيت هنية فاذا أنا بأخونة عليها لحم مشرحة ليس بقربها أحد واذا أنا

وتلك

ياخونة أخرى عليها لحم قد أرواح وأنت عندها أنا يا كلون منها قلت يا جبريل من هؤلاء

قال هؤلاء من أمتك يا تون الحرام وبتكون الحلال قال ثم مضيت هنية فاذا أنا باقوام مشافرههم كشافرا لابل قال فيفتح على أقواهم فيلقمهم من ذلك اللحم ثم يخرج من أسافلهم فسمعتهم يضحجون الى الله عز وجل فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء من أمتك الذين يا كلون أموال النباي ظلمناهم يا كلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا قال ثم مضيت هنية فاذا أنا بنساء يعاقبن بنديهن فسمعتهم يضحجن الى الله عز وجل قلت يا جبريل من هؤلاء النساء قال هؤلاء الزناة من أمتك قال ثم مضيت

هنية فاذا اناب اقوام بطونهم أمثال البسوت كلانهم ضأحدهم خرفيقول اللهم لاتقم الساعة قال وهم على سابلة آل فرعون قال فتحي السابلة فقطأهم قال فسمعتمهم يضجون الى الله قال قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء من أمتك الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس قال ثم مضيت هنية فاذا اناب اقوام يقطع من جنوبهم اللحم فيلقمون فيقال له كل كما كنت تأكل من لحم اخيك قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الهما ازون من امةك الصارون قال ثم صعدنا الى السماء الثانية فاذا اناب رجل أحسن ما خلق الله عز وجل قد فضل الناس في الحسن (٢١) كالقمر ليلة البدر على سائر الكواكب قلت

يا جبريل من هذا قال هذا أخوك يوسف ومعه نفر من قومه فسلمت عليه فرد على ثم صعدت الى السماء الثالثة فاستفتح فاذا اناب يحيى وعيسى عليهما السلام ومعهما نفر من قومهما فسلمت عليهما وسلمنا على ثم صعدت الى السماء الرابعة فاذا اناب ادريس قد رفعه الله مكانا عليا فسلمت عليه وسلم على قال ثم صعدت الى السماء الخامسة فاذا اناب هرون ونصف لحية بيضاء ونصفها سوداء تكاد لحية تصيب سترته من طولها قلت يا جبريل من هذا قال هذا المحب في قومه هذا هرون بن عمران ومعه نفر من قومه فسلمت عليه وسلم على ثم صعدت الى السماء السادسة فاذا اناب موسى بن عمران رجل آدم كثير الشعر غير لو كان عليه قيصان لفتد شعره دون القميص فاذا هو يقول يزعم الناس اني أكرم على الله من هذا بل هذا أكرم على الله مني قلت يا جبريل من هذا قال هذا أخوك موسى بن عمران عليه السلام ومعه نفر من قومه فسلمت عليه وسلم على ثم صعدت الى السماء السابعة فاذا اناب ابراهيم خليل الرحمن ساند ظهره

وتلك الحال متضمنة للتعليل أي انذرهم لانهم في حالة يحتاجون فيها الى الانذار وهي الغفلة والكفر (وهم لا يؤمنون) به آخر ج البخاري ومسلم وغيرهم عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يجام بالموت كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار يقال يا أهل الجنة هل تعرفون هذا فيشر تبون وينظرون اليه فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه ثم ينادى يا أهل النار هل تعرفون هذا فيشر تبون وينظرون اليه فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه فيؤمن به فيذبح ويقال يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وانذرهم يوم الحسرة الآية وأشار بيده فقال أهل الدنيا غفلة وأخر ج النسائي وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي هريرة مرفوعا نحوه (انا نحن) قأكيد للضمير في انالانه بمعناه (نرث الارض) أي غنمت سكانها فلا يبقى بها احد يرث الاموات فكانت له سبحانه ورث الارض (ومن عليها) حيث اماتهم جميعا (والينا يرجعون) أي يردون النيا يوم القيامة فنجازي كلا بعمله وقد تقدم مثل هذا في سورة الحجر (واذكر) لكفار مكة (في الكتاب ابراهيم) أي خبره المراد به ذكر الرسول ايا في الكتاب ان يلو ذلك على الناس كقوله واتل عليهم نبأ ابراهيم قالمراد ما ذكره والافاذا كره هو الله في كتابه وعاش ابراهيم من العمر مائة وخمسا وسبعين سنة وبينه وبين آدم ألفا سنة وبينه وبين نوح ألف سنة ذكره السيوطي في التكميل (انه كان صديقا نبيا) تعليل لما تقدم من الامر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يذكره وهي معترضة ما بين البذل والمبدل منه والصدق كثير الصدق بليغه أي اذكر ابراهيم الجامع لهذين الوصفين ولما ثبت ان كل نبي يجب ان يكون صديقا ولا يجب في كل صديق ان يكون نبيا ظهر بهما ذقرب مرتبة الصديق من مرتبة النبي فلماذا انتقل من ذكر كونه صديقا الى ذكر كونه نبيا (اذ قال لايه) بدل اشتمال من ابراهيم وتعليق الذكربالوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث للمبالغة وابواب ابراهيم هو آزر على ما تقدم تقريره (بابايت) التاء عوض عن الباء ولهذا لا يجتمعان (لم تعبد) الاستفهام لانكار والتوبيخ أي لاى شيء ولاى سبب تعبد (مالا يسمع) ما تقوله من النشاء عليه والدعاء (ولا يبصر) ما تفعله من عبادة ومن الافعال التي تفعلها امر يداجها الثواب ويجوز ان يحمله نفي السمع والابصار على ما هو أعم

الى البيت المعمور كأن حسن رجل قلت يا جبريل من هذا قال هذا ابراهيم خليل الرحمن ومعه نفر من قومه فسلمت عليه وسلم على واذا اناب انا متى شطرين شطر عليهم ثياب بيض كأنهم القراطيس وشطر عليهم ثياب سود قال فدخلت البيت المعمور ودخل معي الذين عليهم الثياب البيض وحجبا الآخرون الذين عليهم الثياب الرمادية على خير فصليت انا ومن معي في البيت المعمور ثم خرجت انا ومن معي قال والبيت المعمور يصلى فيه كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليه الى يوم القيامة قال ثم رفعت الى سدة المنتهى فاذا كل ورقة منها تكاد تغطي هذه الامة واذا فيها عين تجري يقال لها سبيل فينشق منها نهران أحدهما الكوثر

والآخر يقال له نهر الرحمة فاعتسلت فيه فغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر ثم اني رفعت الى الجنة فاستقبلتني جارية فقلت لمن انت يا جارية قالت لزيد بن حارثة واذا بانها من ماء غير آسن وانها من لبن لم يتغير طعمه وانها من خمر لذة للشاربين وانها من غسل مصفى واذا رماها كاللآلء عظماء واذا اباطير كانوا يتحكمون هذه فقال عندها صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قد اعد لعباده الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم قال عرضت على النار فاذا فيها غضب الله وزجره ونقمته ولو طرحت فيها التجارة والحديد لا كثر انهم أغلقت (٢٢) دوني ثم اني رفعت الى سدرة المنتهى فتغنشني فكان بيني وبينه قاب قوسين

أو أدنى قال ونزل على كل ورقة منها ملك من الملائكة قال وفرضت على خسوف صلاة وقال لك بكل حسنة عشر فاذا هممت بالحسنة فلم تعملها كتب لك حسنة فاذا علمتها كتبت لك عشر اواذا هممت بالسئة فلم تعملها لم يكتب عليك شيء فان علمتها كتبت عليك سئة واحدة ثم رجعت الى موسى فقال فبما أمرتك ربك قلت بخمس مائة صلاة قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك فان امتك لا تطيق ذلك ومضى لا تكسر (٣) فرجعت الى ربي فقلت يا رب خفف عن امتي فانها أضعف الامم فوضع عني عشر اوجعلها أربعين فازلت أختلاف بين موسى وربى كلما أتيت عليه قال لي مثل مقالته حتى رجعت اليه فقال لي بما أمرت فقلت أمرت بعشر صلوات قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك فرجعت الى ربي فقلت اي رب خفف عن امتي فانها أضعف الامم فوضع عني خمسا وجعلها خمسا فناداني ملاك عندها تمت فريضتي وخففت عن عبادي وأعطيهم بكل حسنة

من ذلك اي لا يسمع شيئا من المسموعات ولا يبصر شيئا من المبصرات (ولا يغني عنك شيئا) من الاشياء فلا يجلب لك نفعاً ولا يدفع عنك ضرراً هي الاصنام التي كان يعبدونها آزر أو رد ابراهيم عليه السلام على آية الدلائل والنصائح وصدرك لا منها بالنداء المتضمن للرفق واللين استالة لقلبه وامثالا لمرربه ووصف الاصنام بثلاثة أشياء كل واحد منها قادح في الالهية ورتب هذا الكلام على غاية الحسن ثم كرر دعوته الى الحق فقال (يا أبت اني قد جئت من العلم ما لم يأتك) اي بعض العلم وهو علم الوحي أو التوحيد وأوالا آخره اقوال ثلاثة ذكرها ابو حيان فاخبر انه قد وصل اليه من العلم نصيب لم يصل الى آية وانه قد تجدد له حصول ما يتوصل به منه الى الحق ويقتهربه على ارشاد الضال ولهذا امره بالتباعد فقال (فاتبعني) في الايمان والتوحيد (أهدك صراطا سويا) مستويا موصلا الى المطلوب منجيا من المذكور ثم أكد ذلك بنصيحة أخرى زاجرة له عما هو فيه فقال (يا أبت لا تعبد الشيطان) أي لا تطعه فان عبادة الاصنام هي من طاعة الشيطان ثم عمل ذلك بقوله (ان الشيطان كان للرحمن عصيا) حين ترك ما أمر به من السجود لا آدم ومن اطاع من هو عاص لله سبحانه فهو عاص لله والعاصي حقيق بان تسلب عنه النعم وتحل به النقم قال الكسائي العصى والعاصي واحد ثم بين له الباعث على هذه النصائح فقال (يا أبت اني أخاف أن يسلك عذاب من الرحمن) ان لم تنب قال الفراء معنى أخاف هنا علم وبه فسر الاقلون الآية واليه أشار في التقرير وقال الاكثرون ان الخوف هنا محمول على ظاهره لان ابراهيم غير جازم بعوت آية على الكفر اذ لو كان جازما بذلك لم يشتغل بنصحه فوجب اجراؤه على ظاهره ومعنى الخوف على الغير هو ان يظن وصول الضرر الى ذلك الغير (فتكون للشيطان وليا) أي انك ان أطعت الشيطان كنت معه قريبا في النار واللعنة فتكون بهذا السبب مواليا له وتكون بسبب موالاة في العذاب معه وليس هناك ولاية حقيقة لقوله سبحانه الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو وقيل الولي بمعنى التالي وقيل بمعنى القريب قال الشهاب الولي من الولي وهو القرب وكل من المتقاربين قريب من صاحبه أي تكون للشيطان قريبا منه في النار عليه ويذكر فلما مرت هذه النصائح النافعة والمواظع المقبولة بسمع آزر قابلهما بالغلظة والفظاظة والتسوية المفرطة حيث (قال أراغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم) ناداه باسمه ولم يقابل يا أبت ييا بني وأخره وقدم

عشر أمثالها ثم رجعت الى موسى فقال بما أمرت فقلت بخمس صلوات قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فانه الخبر لا يؤده شيء فاسأله التخفيف لامتك فقلت رجعت الى ربي حتى استجيت ثم أصبح بمكة يخبرهم بالاعاجيب اني أتيت البارحة بيت المقدس وعرجي بي الى السماء ورأيت كذا وكذا فقال ابو جهل يعني ابن هشام الانعجبون مما قال محمد يزعم انه أتى البارحة بيت المقدس ثم أصبح فينا وأحدنا يضرب مطبته مصعدة شهر او مقبله شهر افهذه مسيرة شهرين في ليلة واحدة قال فأخبرهم بغير لقريش لما كانت في معدى رأيتها في مكان كذا وكذا وانها فترت فلما رجعت وجدت عند العتبة وأخبرهم بكل رجل وبغيره كذا وكذا ومتاعه كذا وكذا فقال ابو جهل يخبرنا بأشياء فقال رجل منهم أنا أعلم الناس بيت المقدس وكيف بناؤه وهيته وكيف (٣) قوله ومتى لا تكسر كذا في النسخ وحرر اه معجيه

قربه من الجبل قال فرفع لرسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المقدس من مقعده فنظر اليه كمنظر أحدنا الى بيته قال بناؤه كذا وكذا
وهيئته كذا وكذا وقربه من الجبل كذا وكذا فقال الآخر صدقت فرجع اليهم فقال صدق محمد فيما قال أو نحو من هذا الكلام
وكذا رواه الامام أبو جعفر بن جرير بطوله عن محمد بن عبد الاعلى عن محمد بن ثور عن معمر عن أبي هرون العبدى وعن الحسن
ابن يحيى عن عبد الرزاق عن معمر عن أبي هرون العبدى به ورواه أيضا من حديث ابن اسحق حدثني روح بن القاسم عن أبي
هرون به نحو سياقه المتقدم ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن أحد بن (٢٣) عبدة عن أبي عبد الصمد عبد العزيز بن

عبد الصمد عن أبي هرون العبدى
عن أبي سعيد الخدري فذكره
بسياق طويل حسن أتيت أجود
مما ساقه غيره على غرابته وما فيه من
النكارة ثم ذكره اليهم في أيضا من
رواية روح بن قيس الحداني وهشيم
ومعمر عن أبي هرون العبدى
واسمه عمارة بن جوين وهو مضعف
عند الأئمة وإنما ساقنا حديثه ههنا
لما فيه من الشواهد لغيره ولما رواه
اليهم في أخبرنا الامام أبو عثمان
اسماعيل بن عبد الرحمن أنبأنا أبو
نعيم أحمد بن محمد بن إبراهيم البزار
حدثنا أبو حامد بن بلال حدثنا أبو
الازهر بن يذبن ابى حكيم قال رأيت
في النوم رسول الله صلى الله عليه
وسلم قلت يا رسول الله رجل من
أمتك يقال له سفيان الثوري
لابأس به فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا بأس حدثنا عن ابى
هرون العبدى عن ابى سعيد
الخدري عنك ليلة أسرى بك قلت
رأيت في السماء فحدثه بالحديث
فقال لي نعم فقلت له يا رسول الله ان
ناسا من أمتك يحدثون عنك في
السرى بهما تب فقال لي ذلك

الخبر على المبتدأ وصدره بمزة الاستفهام للتقريع والتوبيخ والتجيب ولا نكار نفس
الرغبة كأنها مما لا يرغب عنها عاقل والمعنى أمعرض أنت عن ذلك ومنصرف الى غيره ثم
توعده وهدده فقال (لئن لم تنته) عن مقاتلتك فيها أو الرغبة عنها واللام للقسمة (لا ترجعنك)
بالجارة حتى تموت وقيل باللسان فيكون معناه لا شتمنك قاله ابن عباس وقيل معناه
لا ضربنك وقيل لا بعدنك عني بالقول القبيح وقيل لا تظهرن أمرك فأحدثني (واهجرتي
مليا) أي زمانا طويلا وقال ابن عباس حينما قال الكسائي يقال هجرتك مليا وملاوة وملاوة
بمعنى الملاوة من الزمان وهو الطويل وقيل معناه اعتزلني سالم العرض سويلا لا تصيبك مني
معرفة واختار هذا ابن جرير وعن ابن عباس قال اجتنبني سويلا واجتنبني سالما فقبل أن
تصيبك مني عقوبة وعن عكرمة مبادها راع عن قتادة سالما وعن الحسن مثله فلما رأى
إبراهيم أصرا رأيه على العناد (قال سلام عليك) أي تحية توديع ودق طاعة ومتاركة
كقوله تعالى وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وقيل معناه أمنة مني لك قاله ابن جرير وإنما
أمنه مع كذره لأنه لم يوهب بقتاله والاول أولى وبه قال الجمهور وقيل معناه الدعاء له بالسلامة
استماله له ورفقاه وهذا في مقابلة قوله لئن لم تنته وهذا مقابلة للسيئة بالحسنة ثم وعده
بأن يطالبه بالمغفرة من الله سبحانه فألغاه وطمعا في لئنه وذهاب قسوته
والشيخ لا يترك أخلاقه * حتى يوارى في ثرى رمسه

فقال (سأستغفر لك ربي) وكان منه هذا الوعد قبل أن يعلم أنه يموت على كفره وتحق عليه
الكلعة ولهذا قال الله سبحانه في موضع آخر فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه بعد قوله
وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه وقيل المراد بأب استغفاره له طلب
توفيقه للإيمان الموجب للمغفرة أي سأسأل لك ربي توبة تنال بها المغفرة يعنى الاسلام
والاستغفار للكافر بهذا الوجه جائز كأنه يقول اللهم وفقه للاسلام أرتب عليه واهده
قاله الكرخي والصحيح هو الاول (أنه كان بي حنفا) تعليل لما قبلها والمعنى سأطلب لك
المغفرة من الله فإنه كان بي كثير البر واللطيف يقال حفي به وتحفي إذا بره قال الكسائي
يقال حفي بي حفاوة وحنوة أي اعتنى بي وبالغ في اكرامى والطافى وقال الفراء حنفاى
عالم الطينايحيني إذا دعوته وبه قال ابن عباس والحفي ايضا المستقصى في السؤال ومنه
كانك حفي عنها ثم صرح الخليل بما تضمنه سلامه من التوديع والمتاركة فقال

حديث القصاص رواية شدد ابن اوس قال الامام ابو اسمعيل محمد بن اسمعيل الترمذي حدثنا اسحق بن ابراهيم بن العلاء بن
الضحاك الزبيدي حدثنا عمرو بن الحرث عن عبد الله بن سلام الأشعري عن محمد بن الوليد بن عامر الزبيدي حدثنا الوليد بن عبد
الرحمن بن جبير بن نفير حدثنا شدد ابن اوس قال قلنا يا رسول الله كيف أسرى بك قال صليت لأصحابي صلاة العمة بمكة معتمدا فأتاني
جبريل عليه السلام بدابة أبيض أو قال بيضا فوق الحمار ودون البغل فقال اركب فأسست فصعب على فزارها بذنبا ثم جلني عليها
فانطلقت تهوى بنا يقع حافرها حيث انتهت طرفها حتى بلغنا أراضا ذات نخيل فأنزلني فقال صل فصليت ثم ركبته فقال أنذري أين

صليت قلت الله أعلم قال صليت يثرب صليت بطيبة فانطلقت تهوى بنا يقع حافرها عنده منتهى طرفها ثم بلغنا أرضا قال انزل ثم قال صل فصليت ثم ركبنا فقال أتدري أين صليت قلت الله أعلم قال صليت بدين صليت عند شجرة موسى ثم انطلقت تهوى بنا يقع حافرها حيث أدرك طرفها ثم بلغنا أرضا صليت لنا قصور فقال انزل فقلت فقال صل فصليت ثم ركبنا فقال أتدري أين صليت قلت الله أعلم قال صليت بطن لحم حيث ولد عيسى المسيح بن مريم ثم انطلق بي حتى دخلنا المدينة من بابها اليماني فأني قبله المسجد فربط فيه دابته ودخلنا المسجد (٢٤) من باب تبيل فيه الشمس والقمر فصليت من المسجد حيث شاء الله

وأخذني من العطش أشد ما أخذني فأتيت بأمان في أحد هملين وفي الآخر غسل أرسل إلى بهما جيعا فعدلت بينهما ثم هداني الله عز وجل فأخذت اللبن فذربت حتى عرفت به جيعي وبين يدي شيخ متكى على منواله فقال أخذ صاحبك الفطرة أنه ليهدى ثم انطلق بي حتى أتينا الوادي فاذا جهنم (٣) عن مثل الزباني قلت يا رسول الله كيف وجدت قال وجدتها مثل الحمة السخنة ثم اندرف في فريزنا عبر لقريش بمكان كذا وكذا فادأضوا بعير الهم قد جمعه فلان فملت عليهم فقال بعضهم هذا صوت محمد ثم أتيت أخصبي قبل الصبح بمكة فأناني أبو بكر رضي الله عنه فقال يا رسول الله أين كنت الليلة فقد التمسك في مظانك فقال علمت اني اتيت بيت المقدس الليلة فقال يا رسول الله انه مسيرة شهر فصفه لي قال فنتحلي صراط كافي انظر اليه لا يسألني عن شيء الا ابأنه به فقال أبو بكر أشهد انك لرسول الله وقال المشركون انظروا إلى ابن أبي كبشة يزعم انه أتى بيت المقدس الليلة قال فقال

(وأعزلكم وما تدعون من دون الله) أي اهاجر بدني عنكم وعن معبوداتكم حيث لم تقبلوا نهي ولا نجحت فيكم دعوتي وهذا في مقابلة قوله واهجرني مليا (وأدعوربي) وحده (عسى أن لا اكون بدعاري شقيا) أي خائبا كما شقيتم بعبادة الاوثان وقيل عاصيا قيل اراد بهذا الدعاء هو ان يهب الله له ولدا واهلا يستأنس بهم في اعتراله ويطمئن اليهم عند وحشته وفي تصدير الكلام بعسى التواضع وهضم النفس والتنبية على ان الاجابة والا ثابة تنزل منه تعالى غير واجبين وان ملاك الامر خاتمه وهو غيب وقيل اراد دعاه لايه بالهداية وعسى للشك لانه كان لا يدري أيستجاب له فيسه ام لا والاول اولى لقوله (فلما اعترلهم وما يعبدون من دون الله) أي بان ذهب مهاجرا من بابل او كوني الى الارض المقدسة (وهبنا له اسحق ويعقوب) أي جعلنا عذبن المو هو بين له اهلا وولدا بديل الاهل الذين فارقههم يأنس بهم ما وهذا يقتضي انه عاش حتى رأى يعقوب وهو كذلك كما مرّت الاشارة اليه في قوله فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب وخصهما لانه سيذكر اسمعيل بفضل منفردا قال ابن عباس وهبنا له اسحق ابنا ويعقوب ابن ابنه (وكلا) مفعول جعلنا قدم عليه للتخصيص لكن بالنسبة اليهم أنفسهم بالنسبة الى من عداهم أي كل واحد منهم (جعلنا نبيا) لابعضهم دون بعض (وهبنا لهم من رحمتنا) أي للثلاثة بأن جعلناهم أنبياء وذكرا هذا بعد التصريح بجعلهم أنبياء لبيان ان النبوة هي من باب الرحمة وقيل المراد بالرحمة هنا المال وسعة الرزق وقيل كثرة الاولاد وقيل الكتاب ولا يبعد ان يندرج تحتها جميع هذه الامور ومن للتبعية (وجعلنا لهم لسان صدق عليا) أي الثناء الحسن قاله ابن عباس عبر عنه باللسان لكونه يوحده كما عبر باليد عن العطية واضافته الى الصدق ووصفه بالعلو للدلالة على انهم احقوا بما يقال فيهم من الثناء على اللسان العباد في اللسان مجاز مرسل من الاطلاق اسم الآلة واردة ما ينشأ منها والمعنى وجعلنا لهم ثناء مصادقا يذكروهم الامم كلها الى يوم القيامة بما لهم من الخصال المرضية ويصلون على ابراهيم وعلى آله الى قيام الساعة وهذا توخي لكفار مكة اذ كان مقتضى ترضيهم وثنائهم على المذكورين ان يتبعوهم في الدين مع انهم لم يفعلوا ثم في الله سبحانه قصة ابراهيم بقصة موسى لانه تلوه في الشرف وقدمه على اسمعيل لثلاثة افعال بينه وبين ذكركه يعقوب فقال (واذ كرفي الكتاب) أي واقرا عليهم من القرآن قصة (موسى انه كان مخلصا) بفتح اللام أي

جعلناه

ان من آية ما أقول لكم اني مررت بعير لكم في مكان كذا وكذا وقد أضلوا بعير الهم فجمعه لهم

فلان وان مسيرهم ينزلون بكذا ثم بكذا أو يأتونكم يوم كذا وكذا يقدّمهم جل آدم عليه مسح اسود وغرارتان سوداوان فلما كان ذلك اليوم أشرف الناس ينظرون حين كان قريبا من نصف النهار حتى اقبلت العير يتقدمهم ذلك الجمل الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا رواه البيهقي من طريقين عن ابي اسمعيل الترمذي به ثم قال بعد ثنائه هذا اسناد صحيح وروي ذلك مفرقا من احاديث غيره ونحن نذكر من ذلك ان شاء الله ما حضرنا ثم ساق احاديث كثيرة في الاسراء كالشاهد لهذا

(٣) عن مثل الزباني كذا بالاصل وحرر الرواية اه

الحديث وقد روى هذا الحديث عن شداد بن أوس بطوله الامام أبو محمد عبد الرحمن ابن أبي حاتم في تفسيره عن أبيه عن اسحق بن ابراهيم بن العلاء الزبيدي به ولا شك ان هذا الحديث أعني الحديث المروى عن شداد بن أوس مشتمل على أشياء منها ما هو صحيح كما ذكره البيهقي ومنها ما هو منكر كالصلاة في بيت لحم وسؤال الصديق عن نعت بيت المقدس وغير ذلك والله أعلم رواية عبد الله ابن عباس رضي الله عنه ما قال الامام أحمد حدثنا عثمان بن محمد حدثنا جابر بن عبد الله عن قابوس عن أبيه قال حدثنا ابن عباس قال ليلة أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم دخل الجنة فسمع في جانبها وخشفا فقال (٢٥) يا جبريل ما هذا قال هذا بلال المؤذن فقال

النبي صلى الله عليه وسلم حين جاء الى الناس قد أفلح بلال رأيت له كذا وكذا قال فلقية موسى عليه السلام فرحب به وقال مرحبا بالنبي الامي قال وهو رجل آدم طويل سمط شعره مع أذنيه أو فوقهما فقال من هذا يا جبريل قال هذا موسى قال ففضي فلقية شيخ جليل متعيب فرحب به وسلم عليه وكلهم يسلم عليه قال من هذا يا جبريل قال هذا أبو بكر ابراهيم قال ونظر في النار فاذا قوم يأكلون الحيف قال من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ورأى رجلا أزرق جدا قال من هذا يا جبريل قال هذا عاقر الناقة قال فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد الأقصى قام يصلي فاذا النبيون أجمعون يصلون معه فلما انصرف جئى به قد حيا أحدهما عن اليمين والآخر عن الشمال في أحدهما البين وفي الآخر عسل فأخذ اللبن فشرب منه فقال الذي كان معه القسح أصبت الفطرة اسناد صحيح ولم يخرجه طريق آخر قال الامام أحمد حدثنا حسن حدثنا ثابت ابو زيد حدثنا

جعلناه مختارا وأخلصناه وقرئ بكسر هاء أى أخلص العباداة والتوحيد لله غير مراءى للعباد (و) انه (كان رسولا نبيا) أى أرسله الله الى عباده فأبشروا بهم عن الله بشراثة التي شرعها لهم فهذا وجه ذكر النبي بعد الرسول مع استلزام الرسالة للنسبة فكانت أرا دبال رسول معناه اللغوي لا الشرعي والله أعلم وقال النسائي يورى الرسول النبي الذي معه كتاب والنبي الذي ينبي عن الله عز وجل وان لم يكن معه كتاب وكان المناسب ذكر الاعم قبل الاخص الا ان رعاية الفواصل اقتضت عكس ذلك كتوله في طهر ب هرون وموسى قال مجاهد النبي هو الذي يكلم وينزل عليه ولا يرسل وفي لفظ الانبياء الذين ليسوا برسول يوحى الى أحدهم ولا يرسل الى أحد والرسول الانبياء الذين يوحى اليهم ويرسلون (وناديتاه) أى كلناها كفى سورة القصص في قوله فلما أتاهانودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى انى أنا الله رب العالمين (من جانب الطور الايمن) أى من ناحيته اليمنى وهو جبل بين مصر ومدين اسمه زبير ومعنى الايمن انه كان ذلك الجانب عن يمين موسى حين أقبل من مدين متوجها الى مصر فان الشجرة كانت في ذلك الجانب والنداء وقع منها وليس المراد يمين الجبل نفسه فان الجبال لا يمين لها ولا شمال وقيل معنى الايمن الميمون ومعنى النداء انه مثل له الكلام من ذلك الجانب قال قتادة جانب الجبل الايمن وهذا صريح في ان المراد بالطور هو الذي عند بيت المقدس لا الطور الذي عند السويس لانه يكون على يسار المتوجه من مدين الى مصر كما هو محسوس (وقربناه نجيا) أى أدنياه بتقريب المتزلة حتى كلمناه والنهي بمعنى المناجى كالجليس والتدبير فالتقريب هنا هو تقرب التشريف والاكرام مثلت له بحال من قربته الملك لما ناجاه قال الزجاج قربته منه في المتزلة حتى سمع مناجاته وقيل ان الله سبحانه رفعه حتى سمع صريف القلم روى هذا عن بعض السلف وبه قال أبو العالمة وروى نحوه عن جماعة من التابعين قال ابن عباس حتى سمع صريف القلم يكتب في اللوح المحفوظ وأخرجه الديلمي عنه مرفوعا قال قتادة في شجيانجي بصدقه (ووهبنا له من رحمته) أى من نعمتنا وفي من هذه وجهان أحدهما انها تعليمية أى من أجل رحمتنا والثاني انها تلبية أى بعض رحمته (أخاه هرون نبيا) وذلك حين سأل ربه وقال واجعل لي وزيراً من أهلي هرون أخى قال ابن عباس كان هرون أكبر من موسى أى بربع سنين ولكن انما وهب له نبوته (واذكر في الكتاب اسمعيل انه

(٤ - فتح البيان سادس) هلال حدثني عكرمة عن ابن عباس قال أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس ثم جاء من ليلته فحدثهم بعسيرة وبعلامات بيت المقدس وبعيرهم فقال ناس نحن لانصدق محمد بما يقول فارتدوا وكفارا فاضرب الله رقابهم مع أبي جهل وقال أبو جهل بخوفنا محمد بشجرة الرقوم ها توأما وزيدا افترقوا ورأى الدجال في صورته رؤيا عين ليس برؤيا منام وعيسى وموسى وابراهيم وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الدجال فقال رأيت في ليلناية أقره جنان احدى عينيه قائمة كأنها كوكب دري كان شعر رأسه أغصان شجرة ورأيت عيسى عليه السلام أبيض جعد الرأس حميد البصر مبطن الخلق ورأيت

موسى عليه السلام أحجم آدم كثير الشعر شديد الخلق ونظرت الى ابراهيم عليه السلام فلم أنظر الى ارب منه الا نظرت اليه منى حتى كادت صاحبكم قال جبريل سلم على أبيك فسلمت عليه ورواه النسائي من حديث أبي زيد ثابت بن زيد عن هلال وهو ابن حبان به وهو اسناد صحيح طريق أخرى وقال البيهقي انبأنا أبو عبد الله الحافظ انبأنا أبو بكر الشافعي انبأنا اسحق بن الحسن حدثنا الحسين بن محمد حدثنا شيبان عن قتادة عن أبي العالية حدثنا ابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة أسرى بن موسى بن عمران رجلا (٢٦) طوالا جعدا كآته من رجال شنوءة ورأيت عيسى بن مريم مربوع الخلق

الى الحجر والبياض سبعة الرأس ومالك الكاخن النار والدجال في آيات أراه من الله اياه قال فلا تكن في مرة من لقائه فكان قتادة يفسرها ان نبي الله قد لاقى موسى صلى الله عليه وسلم وجعلناه هدى لبني اسرائيل قال جعل الله موسى هدى لبني اسرائيل رواه مسلم في الصحيح عن عبد بن حميد عن أنس بن محمد عن شيبان وأخرجه من حديث شعبة عن قتادة مختصرا طريق أخرى قال حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أسرى بنى مرت بن راحة ضيعة فقلت ما هذه الراحة قال ماشطة بنت فرعون وأولادها سقط المشط من يدها فقالت بسم الله فقالت بنت فرعون أى قالت ربي وربك ورب أبيك قالت نعم ربي وربك ورب أبيك الله قال فدعاها فقال ألك رب غيري قالت نعم ربي وربك الله عز وجل قال فأمر جيرة من نحاس فأجيت ثم أمر بها لتلقى فيها قالت ان لي اليك حاجة قال

كان صادق الوعد وصف الله سبحانه اسمعيل بصدق الوعد مع كون جميع الانبياء كذلك لانه كان مشهورا بذلك بالغافية وناهيك انه وعد الصبر من نفسه على الذبح فوفى بذلك وكان ينتظر ان وعدة بوعد الايام والليالي حتى قيل انه اتلوا لبعض من وعدة حولا والمراد باسمعيل هنا هو اسمعيل بن ابراهيم ولم يخالف في ذلك الا من لا يعتد به فقال هو اسمعيل بن حرقيل بعنه الله الى قومه فسلخوا وجلدوا رأسه فخير الله فيما شاء من عذابهم ونوابه فاستعناذ ورضى بنوابه (وكان رسولا نبيا) قد استدلل بهذا على ان الرسول لا يجب ان يكون صاحب شريعة فان أولاد ابراهيم كانوا على شريعتهم وقيل انه وصفه بالرسالة ليكون ابراهيم أرسله الى جرهم وهم قبيلة من عرب اليمن نزلا على هاجر أم اسمعيل بوادي مكة (وكان يأمر أهله) المراد به هنا أمته وقيل جرهم وقيل عشرين كافي قوله وأندر عشرينك الاقربين والمراد (بالصلوة والزكاة) هنا هما العبادتان الشريعتان ويجوز أن يراد معناه المغوى (وكان عند ربه مرضيا) أى رضى به ليكافأه والمعنى فأنعم الله بطاعته وقيل رضى له لنبوته ورسالته وهذا نهاية في المدح لان المرضي عند الله هو الفائز في كل طاعة بأعلى الدرجات قال الفراء والكسائي من قال مرضى بنى على رضى قال وأمل الجازية يقولون مرضو (واذكر في الكتاب ادريس) هو ابن شيث بن آدم لصلبه أقاده السيموطى في التكمير واسمه اخنوخ قيل هو جد نوح فان نوحا هو ابن لمث بن متوشلح بن اخنوخ وعلى هذا فيكون جد أبي نوح ذكره الشعاب وغيره وقد قيل ان هذا خطأ وامتناع ادريس للعجوة والعلمية وقولهم سمي به لكثرة دراسته انكسب لايصيح لانوا كان افعيلا من الدرس لم يكن فيه الاسباب واحد وهو العلمية وكان منصرفا وهو أول مرسل بعد آدم عليه السلام وأول من أعطى النبوة من بنى آدم وأول من خطب الله ونظر في النجوم والحساب وأول من خاط الثياب وأول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار (انه كان صديقا نبيا) وذلك ان الله شرفه بالنبوة وأمره عليه ثلاثين صحيفة وقد اختلف في معنى قوله (ورفعناه مكانا عليا) فقيل ان الله رفعه الى السماء الرابعة وقيل الى السادسة وقيل الى الثانية وقد روى البخاري في صحيحه من حديث الامراء وفيه ومنهم ادريس في الثانية وهو غلط من رواه بشر بن عبد الله بن أبي غرر الصحيح انه في السماء الرابعة كما رواه مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقيل ان المراد برفعه ما أعطيه

ما هي قالت تجمع عظامي وعظام ولدى في موضع قل ذلك للمالك عليه من الحق قال أمرهم فم قالوا واحدا من واحد حتى بلغ رضى عافهم فقال يا معقبي ولا تقاعسي فانك على الحق قال وتكلم أربعة في المهودهم صغار هذا وشاهد يوسف وصاحب جريه وعيسى بن مريم عليه السلام اسنادا لا بأس بدولم يخرجوه طريق أخرى قال الامام أحمد أيضا حدثنا محمد بن جعفر وروح بن المعنى قالوا حدثنا عوف عن زرارة بن أوفى عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان ليلة أسرى بنى فاصبحت بمكة فظعت وعرفت ان الناس مكذبى ففعدم معتزلا حتى يناقره عدو الله أبو جهل فجاء حتى جلس اليه فقال له كالمستزى

هل كان من شيء فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال وما هو قال اني أسرى بنى الليلة قال الى أين قال الى بيت المقدس قال ثم أصبحت بين ظهرائنا قال نعم قال فلم ير ان يكذبه مخافة ان يجحد الحديث ان دعا قومهم اليه فقال أرايت ان دعوت قومك أتحدثهم بما حدثتني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فقال هيا معي بنى كهيب بن لوى قال فانتبذت اليه المجالس وجاؤا حتى جلسوا اليهم ما قال حدث قومك بما حدثتني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني أسرى بنى الليلة فقالوا الى أين قال الى بيت المقدس قالوا ثم أصبحت بين ظهرائنا قال نعم قال فن بن مصنف ومن بن واضح يده على (٢٧) راسه متعجبا للكدب زعم قالوا وتستهطيع ان

تنتعت لنا المسجد وفيهم من قد سافر الى ذلك البلاد وراى المسجد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فبازلت أنت حتى التبس على بعض النعت قال بلى بالمسجد وانا انظر اليه حتى وضع دون دار عقيل أو عقيل فنعته وانا انظر اليه قال وكان مع هذانعت لم احفظه قال فقال القوم أما النعت فوالله ان قد أصاب فيه أخرجه الناس من حديث عوف وابى جميلة وهو الاصبهانى ورواه البيهقي من حديث النضر بن سميل وهو ذى عن عوف وهو ابى جميلة الاعرابى أحد الأئمة الثقات به رواية عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال الحافظ أبو بكر البيهقي حدثنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب حدثنا السرى بن خزيمة حدثنا يوسف بن بهلول حدثنا عبد الله بن عمر عن مالك بن مغلول عن الزبير بن عدى عن طلحة بن مصرف عن مرة الهمداني عن عبد الله بن مسعود قال لما أسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنتهى الى سدة المنتهى وهى فى السماء السادسة واليهما ينتهى ما يصعد به حتى يقبض منها واليهما ينتهى ما يهبط به من فوقها حتى يشبض اذ يغشى السدرة ما يغشى قال غشها فراس من ذهب وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس وخواتيم سورة البقرة وغفران لا يشرك بالله المقدمات يعنى الكبار ورواه مسلم فى صحيحه عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن زهير بن حرب كلاهما عن عبد الله بن عمرو بن عبد الله بن مسعود طرف من حديث المعراج وقد رواه أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم رواه مرة من رسلنا من دون ذكرهما ثم ان البيهقي ساق الاحاديث الثلاثة كما تقدم قلت وقد روى عن ابن مسعود باسط من هذا

من شرف النبوة والزاني عند الله وقيل انه رفع الى الجنة وقيل هو الرفع بعلم المرتبة فى الدنيا والاول اصح عن ابن عباس قال كان ادريس خياطوا كان لا يغرز غرزة الا قال سبحان الله وكان عيسى حين عسى وليس على الارض افضل علامته فاستأذن ملك من الملائكة ربه فقال يا رب ائذن لى فاهبط الى ادريس فأذن له فأتى ادريس فقال انى جئت لك لخدمك قال كيف تخدمنى وأنت ملك وأنا انسان ثم قال ادريس هل بينك وبين ملك الموت شيء قال الملك ذاك أنى من الملائكة قال هل تستطيع ان تمنعنى قال أما نؤخر شيئا أو نقدمه فلا ولكن سأكل لك في فوقك عند الموت فقال اركب بين جناحي فركب ادريس فصعد الى السماء العليا فلقى ملك الموت وادريس بين جناحيه فقال له الملك ان لى اليك حاجة قال علمت حاجتك تكلمنى فى ادريس وقد سمعته من العنيفة فلم يبق من أجله الا نصف طرفة عين فأتى ادريس بين جناحي ملك أخرجه ابن أبى حاتم وعنه سالت كعبا فذكر نحوه فهذا هو من الاسرار لميات التي رويها كعب وعنه قال رفع ادريس الى السماء السادسة وأخرجه الترمذى وصححه وابن المنذر وابن مردويه قال حدثنا أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لما عرج بي رأيت ادريس فى السماء الرابعة وأخرج ابن مردويه عن أبى سعيد الخدرى مرفوعا نحوه وعن مجاهد قال رفع ادريس كرافع عيسى ولم يمت وعن ابن مسعود قال ادريس هو الياس وحسنه السيوطى (أولئك) خطاب لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم والاشارة الى الانبياء المذكورين من أول السورة الى هنا وهم عشرة أولهم فى الذر كزكريا وآخرهم فيه ادريس وهو مبدأ أو قوله (الذين أنعم الله عليهم) صفته (ومن الذين) بيان للموصول من بيان العام بالخاص و(من ذرية آدم) بدل منه باعادة الخافض وقيل من فيه التبعيض يعنى ادريس ونوحا (ومن حملنا مع نوح) أى من ذرية من حملنا معه فى السفينة وهم من عدا ادريس فان ادريس من ذرية آدم اقرب منه من ذرية ابراهيم من ذرية من حمل مع نوح لانه من ذرية سام بن نوح فان ابراهيم بن آزر بن ينس و(بين نوح عشرة قرون) كفى التكبير (ومن ذرية ابراهيم) وهم الباقون (و) من ذرية (اسرائيل) وهو يعقوب وكان منهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى وفيه دليل على ان اولاد البنات من الذرية وقيل انه أراد بقوله من ذرية آدم ادريس وحده وبقوله من حملنا مع نوح ابراهيم وحده وبقوله ومن ذرية ابراهيم اسمعيل واسحق ويعقوب

يقبض منها واليهما ينتهى ما يهبط به من فوقها حتى يشبض اذ يغشى السدرة ما يغشى قال غشها فراس من ذهب وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس وخواتيم سورة البقرة وغفران لا يشرك بالله المقدمات يعنى الكبار ورواه مسلم فى صحيحه عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن زهير بن حرب كلاهما عن عبد الله بن عمرو بن عبد الله بن مسعود طرف من حديث المعراج وقد رواه أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم رواه مرة من رسلنا من دون ذكرهما ثم ان البيهقي ساق الاحاديث الثلاثة كما تقدم قلت وقد روى عن ابن مسعود باسط من هذا

وفيه غربة وذلك فيمارواه الحسن ابن عرفة في جرحته المشهور وحديثنا هو وان بن معاوية عن قتادة بن عبد الله النهدي حدثنا ابو ظبيان الجني قال كاجلوسا عند أبي عبيدة بن عبد الله يعني ابن مسعود ومحمد بن سعد بن أبي وقاص وهما جالسا ان محمد بن سعد لابي عبيدة حدثنا عن أبيك ليه أنسرى بمحمد صلى الله عليه وسلم فقال أبو عبيدة لا بل حدثنا أنت عن أبيك فقال محمد لوسألتني قبل ان أسألك لعلك قال فانشأ أبو عبيدة يحدث يعني عن أبيه كما سئل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أناني جبريل بدابة فوق الحمار ودون البعل فحملني عليه ثم انطلق بهوى بنا (٢٨) كلما بعد عقبه استوت رجلاه كذلك مع يديه واذا هبط استوت يداه مع رجليه

حتى مررنا برجل طوال سبط آدم كأنه من رجال أزد شنوءة وهو يقول فرفع صوته يقول أكرمته وفضلته قال قد فدفعنا إليه فسلمنا عليه فرد السلام فقال من هذا معك يا جبريل قال هذا أحد قدامي مرحبا بالنبي الامي العربي الذي بلغ رسالة ربه ونصح لأمته قال ثم اندفعنا فقلت من هذا يا جبريل قال هذا موسى بن عمران قال قلت ومن يعاتب قال يعاتب ربه فيك قلت ويرفع صوته على ربه قال ان الله قد عرف له حديثه قال ثم اندفعنا حتى مررنا بشجرة كأن ثمرها السرج تحتها شجيرة وعياله قال فقال لي جبريل اعمد الى أبيك ابراهيم فدفعنا اليه فسلمنا عليه فرد السلام فقال ابراهيم من هذا معك يا جبريل قال هذا ابنك أحد قال فقال مرحبا بالنبي الامي الذي بلغ رسالة ربه ونصح لأمته يا بني انك لا تترك الليلة وان أمة آخر الامم وأضعفها فان استطعت أن تكون حاجتك أو جملها في أمتك فافعل قال ثم اندفعنا حتى انتهينا الى المسجد الأقصى فنزلت فربطت الدابة

وبقوله اسرائيل موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى قال السدي هذه تسمية الانبياء الذين ذكرهم أمامن ذرية آدم فادريس ونوح وأمامن ذرية من حمل مع نوح فابراهيم وأمادرية ابراهيم فاسماعيل واسحق ويعقوب وأمادرية اسرائيل فموسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى لان مرهم من ذريته (ومن هدينا) أي من جملة من هدينا الى الاسلام (واجتبيينا) بالايان وقيل على الانام وهذا آخر الصفات والتقدير والباكتين من هدينا الخ واعلم انه تعالى أثني على كل واحد ممن تقدم ذكره من الانبياء بما يخصه من الثناء ثم جمعهم آخر افعال أولئك الخ فرب تعالى أحوال الانبياء الذين ذكرهم على هذا الترتيب منهم ابدلك على انهم كما فضلوا بما لهم فلم ينزل في الفضل بولادتهم من هؤلاء الانبياء ثم بين انهم من هدينا واحدينا منهم ابدلك على انهم خصوا بهذه المنازل لهداية الله لهم ولانه اختارهم للرسالة (اذ أتلى عليهم آيات الرحمن خروا وسجدوا وبكوا) وهذا خبر لا أولئك ويجوز أن يكون الخبر هو الذين انعم الله عليهم وهذا الاستئناف لبيان خشوعهم لله وخشيته منهم والسجود والبي جمع ساجد قياسيا وبال على غير قياس وقياسه بكاء كفاض وقنصة وقد تقدم في سببان بيان معنى خروا وسجدوا يقال بكى بكاء وبكيا قال الخليل اذ اقصر البكاء فهو مثل الحزن أي ليس معه صوت ومنه قول الشاعر
بكت عيني وحق لها بكاء * وما يغني البكاء ولا العويل

قال الزجاج قد بين الله ان الانبياء كانوا اذا سمعوا آيات الله بكوا وسجدوا وخضعوا وخشعوا وخوفوا وحذروا والمراد من الآيات ما خصهم به من الكتب المنزلة عليهم وقيل المراد بها ذكر الجنة والنار والوعود والوعيد وفيه استحباب البكاء وخشوع القلب عند سماع القرآن قال صالح المري قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنام فقال لي يا صالح هذه القراءة فابن البكاء وفي الحديث اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتبكوا وعن ابن عباس اذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبكوا عين أحدكم فليبك قلبه وقد استدلل بهذه على مشروعية سجود التلاوة وهذه السجدة من عزائم سجود القرآن فيسن للداري والمستمع ان يسجد عند تلاوة هذه الآية وقال بعضهم انه الصلاة وقال الرازي يحتمل انهم عند الخوف كانوا قد تعبدوا بالسجود فينبغي ان لا يجل ذكر السجود في الآية ولما مدح الله سبحانه هؤلاء الانبياء بهذه الصفات ترغيبا

في الخلقة التي في باب المسجد التي كانت الانبياء تربطها ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين من بين قائمورا كع وساجد لغيرهم قال ثم أتيت بكاسين من عسل ولبن فاخذت اللبن فذربت فضر جبريل عليه السلام منكبي وقال أصبت النظرة ورب محمد قال ثم أقيمت الصلاة فامتهم ثم انصرفنا فاقبلنا اسنادا غريب ولم يخرجوه فيه من الغرائب سؤال الانبياء عنه عليه السلام ابتداء ثم سؤل عنهم بعد انصرفوا والمشهور في الصحاح كما تقدم ان جبريل كان يعلمهم اول الاسلام عليهم سلام معرفة وفيه انه اجتمع بالانبياء عليهم السلام قبل دخوله المسجد الأقصى والصحيح انه اجتمع بهم في السموات ثم نزل الى البيت المقدس نائيا عنهم معه وصلى بهم

فيه ثم انه ركب البراق وكثر ارجعوا الى مكة والله أعلم طريق اخرى قال الامام احمد حدثنا هشيم حدثنا العوام عن جبل بن هب عن مرثد بن غفارة عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لقيت ليلة اسرى بي ابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام فتذاكروا امر الساعة قال فردوا امرهم الى ابراهيم عليه السلام فقال لا علم لي بها فردوا امرهم الى عيسى فقال ما اوحيتا فلا يعلم بها احد الا الله عز وجل وفيما عهد الى ربي ان الدجال خارج قال ومعى قضبان فاذا رآني ذاب كأيذوب الرصاص قال فيها لك الله اذا رآني حتى ان الحجر والشجر (٢٩) يتول يامسلم ان تحتي كافرا فتعال فاقتله

قال فيها لكم الله ثم يرجع الناس الى بلادهم وأوطانهم قال فعند ذلك يخرج بأجوح وأجوح وهم من كل حذب ينسلون فيطؤون بلادهم فلا يأتون على شيء الا أهل كوه ولا يبرون على ماء الا شربوه قال ثم يرجع الناس الى فيسكونهم فادعوا الله عليهم فيها لكم وعييتهم حتى تحوى الارض من تنريحهم اى تنين قال فينزل الله المطر فيجترف اجسادهم حتى يقدفهم في البحر فنعما عهد الى ربي ان ذلك اذا كان كذلك ان الساعة كالخامل المم لا يدري أهلها متى تنجؤهم بولادها لئلا أو نهرا أو أخرجه من ما به عن بن ساد عن يزيد بن هرون عن العوام بن حوشب رواية عبد الرحمن بن قزط عن عبد الرحمن بن قزط النخلى قال سمعت بن منصور حدثنا مسكين بن ميمون مؤذن مسجد الرملة حدثني عروة بن رويم عن عبد الرحمن بن قزط ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى من بين زمزم والمقام

لغيرهم في الاقتداء بهم وسلك طريقهم كراضادهم تنفير الناس عن طريقهم فقال (نخاف) أى وجدو حدث (من بعدهم) أى من بعد النبيين المذكورين (خلف) أى عقب سوء قال أهل اللغة يقال لعقب الخير والصدق خلف بفتح اللام ولعقب الشر والسوء خلف بسكون اللام وقد قدمنا الكلام على هذا في آخر الاعراف (أضاعوا الصلاة) أى أخروها عن وقتها قاله الاكثر وهو أن لا يصل الظهر حتى يأتى العصر ولا العصر حتى يأتى المغرب وقيل أضاعوا الوقت وقيل كنروا بها وجدوا وجوبها وقيل لم يأتوا بها على الوجه المشروع وقيل تركوها كاليهود والنصارى والظاهر ان من أخر الصلاة عن وقتها وترك فرضا من فروضها أو شرطا من شروطها أو ركنا من أركانها فسد أضاعها ويدخل تحت الضاعة من تركها بالمرء أو وجدها دخولا أو بابا واختلفوا فيمن زلت هذه الآية فتعمل في اليهود وقيل في النصارى وقيل في قوم من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم يأتون في آخر الزمان وقال بالاولين السدى وقال بالثالث مجاهد ولفظه هم من هذه الأمة يتراكبون في الطرق كما تراكب الانعام لا يستحيون من الناس ولا يخافون من الله في السماء وعن ابن مسعود قال ليس اضاعتها تركها قد يضيع الانسان الشيء ولا يتركه ولكن اضاعتها اذا لم يصلها الوقتها (واتبعوا الشهوات) أى فعلوا ما تشتهيه أنفسهم وترغب اليه من المحرمات كشرب الخمر والزنا (فسوف يلتون عيا) هو الشر عند أهل اللغة كما ان الخير هو الرشاد والمعنى انهم سيموتون شر الاخير او قيل الغي الضلال وقيل الخيبة وقيل الخسران وقيل الهلاك وقيل العذاب وقيل هو اسم وادى جهنم تستعيد من حره أو ديتها أعد للزنا وشربة الخمر وشهادة الزور وأكلة الربا والعاقين لوالديهم وقيل في الكلام حذف والتقدير سيموتون جزاء الغي قاله الزجاج ومثله قوله سبحانه يلقى أنا ما أى جزاء أنا ما أخرج أحمد وابن سنان والحاكم وصححه والبيهقي وغيرهم عن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تلا هذه الآية قال يكون خلف من بعد ستين سنة أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقن غياثم يكون خلف يقرؤون القرآن لا يعيدون تراثيهم ويقرأ القرآن ثلاثة مؤمن ومنافق وفاجر وأخرج أحمد والحاكم وصححه عن عقبه بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لا أعلم من أمتي أهل الكتاب وأهل الدين قلت يا رسول الله ما أهل الكتاب قال قوم يتعلمون الكتاب يجادلون به الذين آمنوا فأت

جبريل عن عيسى وميكائيل عن يساره قطاربه حتى بلغ السموات العلى فلما رجع قال سمعت تسبيحتها في السموات العلى مع تسبيح كثير سبحت السموات العلى من ذى المهابة شفقات من ذى العلو بما علا سبحانه العلى الاعلى سبحانه وتعالى ويذكر هذا الحديث عنه قوله تعالى من هذه السورة تسبح له السموات السبع الآية رواية عمر بن الخطاب قال الامام أحمد حدثنا أسود بن عامر حدثنا جاد ابن سلمة عن أبي سنان عن عبيد بن آدم وأبي مريم وأبي شعيب ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان بالجابية فذكر فتح بيت المقدس قال قال ابو سلمة فحدثني أبو سنان عن عبيد بن آدم قال سمعت عمر بن الخطاب يقول لكعب أين ترى أن اصلى فقال ان أخذت عنى صليت

خلف الصخرة فكانت القدس كلها بين يديك فقال عمر ضاهيت اليهودية ولكن أصلي حيث صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم إلى القبلة فصلى ثم جاء فبطرداءه وكس الكساسة في رداءه وكس الناس فلم يعظم الصخرة تعظيمها يصلي وراءها وهي بين يديه كما أشار به كعب الأحبار وهو من قوم يعظمونها حتى جعلوها قبلة لهم ولكن من الله عليه بالاسلام فهدى إلى الحق ولهذا لما أشار بذلك قال له أمير المؤمنين عمر ضاهيت اليهودية ولا اهانها اهانته النصارى الذين كانوا قد جعلوها من قبل من أجل أنها قبله اليهود ولكن اماط عنها الأذى (٣٠) وكس عنها الكساسة برداءه وهذا شبهه بما جاء في صحيح مسلم عن أبي

مرثد الغنوى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها رواية أبي هريرة وهي مطولة جسد فيها غرابة قال الامام أبو جعفر بن جرير في تفسير سورة سبحان حدثنا علي بن سهل حدثنا حجاج حدثنا ابو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية الرياحي عن أبي هريرة وغيره حدثنا أبو جعفر في قول الله عز وجل سبحان الذي أسمى بعبد له الآية قال جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ميكائيل فقال جبرائيل لميكائيل ائتني بطست من ماء زمزم كيما اضهر قلبه واشرح له صدره قال فشق عنه بطنه فغسل له ثلاث مرات واختلف اليه ميكائيل بثلاث طاس من ماء زمزم فشرح صدره فترع ما كان فيه من غل وملاؤه علما وحكما وإيمانا وبقيةا واسلاما وختم بين كتفيه بحجاء النبوة ثم أتاه بفرس فحمل عليه كل خطوة منه منتهى بصره أو أقصى بصره قال فسار وسار معه جبريل

ما أهل اللبن قال قوم يتبعون الشهوات ويضيعون الصلوات وعن عائشة أنها كانت ترسل بالصدقة لأهل الصدقة وتقول لا تعطوا منها بربريا ولا بربرية فأنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول هم الخلف الذين قال الله يخلف من بعدهم خلف أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم وصححه وعن ابن مسعود قال النبي عمر وأد في جهنم من قبح بعبد التفرخ حيث الطم ينف فيه الذين يتبعون الشهوات وقد قال بانوداد في جهنم البراء بن عازب وأخرج بن جرير والطبراني وابن مردويه والبيهقي عن أبي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو أن نخرة زنة عشرة عشر أواق قذف بها من شفير جهنم ما بلغت قعرها سبعين خريفا ثم ينتهي إلى النقي وأثم قلت رماني وأثم قال نهران في أسفل جهنم يسيل فيهما صديد أهل النار وهما اللذان ذكر الله في كتابه فوف يلقون غيا ومن يفعل ذلك يلقى أثاما وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال النبي وأد في جهنم (لا نأب) ثم فرط منه من تضيق الصلاة واتباع الشهوات فرجع إلى طاعة الله (وآمن) به (وعمل) عملا (صالحا) الاستثناء منقطع قاله الزجاج وجرى أبو حيان وغيره على أنه منتهى لوجوه ظاهر الآية لما روى عن قتادة أنها في حق هذه الأمة ويجوز أن يحمل على التغليب كما قال تعالى من استطاع إليه سبيلا وهذا التأويل يحسن قول قتادة هذا الكلام نازل في شأن أمته محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقيل في هذا الاستثناء دليل على أن الآية في الكفرة لا في المسلمين (فأولئك يدخلون الجنة) بفتح الياء ومن الخاء وقرئ بضم الياء وفتح الخاء (ولو يظلمون شيئا) أي لا ينقص من أجورهم شيء وإن كان قليلا فإن الله سبحانه يوفي أجورهم اليهم (جنات عدن) قرئ بالرفع على التثنية وقرئ بالنصب على التثنية من الجنة قبل البعض لتكون جنات عدن بعضها من الجنة وعلى المدح أيضا قال أبو حاتم ولولا الخط لمكان الجنة عدن يعني بالافراد مكان الجمع وليس هذا بشيء فإن الجنة اسم جموع الجنات التي هي تنزلة الأنواع للجنس وقرئ بصرف عدن ومنعها عن الصرف على أنها علم بمعنى العدن وهو الإقامة أي بساكنين إقامة وصفها بالدوام في جنات عدن الدنيا فأنها لا تدوم أو علم لارض الجنة لكونها مقام إقامة (التي وعد) ها (الرحمن عباده) متلبسة أو متلبسين (بالعيب) والمعنى أنهم لا يرون فيها عيبا غائبة عنهم أو هم غائبون عنها (إنه) أي الرحمن وقيل أنه ضمير الشأن والامر لأنه مقام تعظيم وتنظيم

عليها السلام قال فأتى على قوم يزعمون في يوم ويحسدون في يوم كلما حسدوا عاد كما كان فقال وتنظيم النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل ما هذا قال هؤلاء الأخاهدون في سبيل الله تصاعف لهم الجنة بسبع مائة ضعف وما أنفقوا من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ثم أتى على قوم ترشح رؤسهم بالصخرة كما رخصت عادت كما كانت ولا يشترعهم من ذلك شيء فقال ما هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين قتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ثم قتلوا رؤسهم وقاموا على أديارهم رفعا يسرحون كما تسرح الإبل والنعم وبأكلون الضربيع والزقوم ورضف جهنم وبجارتها قال ما هؤلاء الذين

لا يؤدون صدقات أموالهم وما ظلمهم الله تعالى شيئا وما الله بظلام للعبيد ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نصيب في قدر ولحم آخر في قدر خبيث فجعلوا يأكلون من اللحم التي الخبيث ويدعون النضج الطيب فقال ما هؤلاء يا جبريل فقال هذا الرجل من أمتك تمسك تمسكون عنده المرأة الحلال الطيبة فيأتي امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح والمرأة تقوم من عندها زوجها حلالا طيبا فتأتي رجل خبيثا فنبيت معه حتى تصبح قال ثم أتى على خشبة على الطريق لا يمر بها ثوب الا شقته ولا شيء الا رقتة قال ما هذا يا جبريل قال هذا مثل اقوام من أمتك يبعدون على الطريق فيقطعونها ثم تلاقوا لا تتعقدوا بابل (٣١) سراط يبعدون وتصدون الآية قال ثم أتى

على رجل قد جع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها وهو يز يد عليها فقال ما هذا يا جبريل قال هذا الرجل من أمتك يكون عليه أمانات الناس لا يقدر على أدائها وهو يريد أن يحمل عليها ثم أتى على قوم تقرض أسننتهم وشفاهم بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت كما كانت لا يشترعهم من ذلك شيء فقال ما هذا يا جبريل فقال هؤلاء خطباء الفتنة ثم أتى على حجر صغير يخرج منه نور عظيم فجعل النور يريده أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع فقال ما هذا يا جبريل فقال هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع أن يردّها ثم أتى على واد فوجد رجلا يحاطية باردة ويريح مسك وسمع صوتا فقال يا جبريل ما هذه الريح الطيبة الباردة وما هذا المسك وما هذا الصوت قال هذا صوت الجنة تقول يا رب ائني بما وعدتني فقد كثرت غري واستبرقي وحريري وسندي وعبري ولؤلؤي ومرجاني وفضي وذهي وكواي وصفاي وأباريقي وأكؤسي وعسلي ومائي ولبني

وتنخيم (كان وعده) أي مووعوده على العموم فيدخل فيه الجنات دخولا وليا وقيل الودع مصدر على باب (مأتميا) أي هم يأتمونها قال النراء بل آتيا لان كل مأتمك فقد أتمته وكذا قال الزجاج وقال الزمخشري كان وعده منعو ولا منجزا (لا يسمعون فيها لغوا) هو الهدر والنضول من الكلام الذي يلغى ولا طائل تحته وهو كناية عن عدم صدور اللغو منهم وقيل اللغو كل ما لم يكن فيه ذكر الله (الاسلام) هو استثناء منقطع أي سلام بعضهم على بعض أو سلام الله أو سلام الملائكة عليهم وقال الزجاج السلام اسم جامع للخير لانه يتضمن السلامة والمعنى ان أهل الجنة لا يسمعون ما يؤلمهم وانما يسمعون ما يسلمهم وأبدي الزمخشري فيه ثلاثة أوجه ذكرها سليمان الجلي (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) قال المفسرون ليس في الجنة بكرة ولا عشاء ولا نهار ولا ليل بل ضوء نور أبدي ولكنهم يؤتون رزقهم على مقدار ما يعرفون من الغدائر العشاء في الدنيا وفيه قال ابن عباس وانما يعرفون الليل بانهما الحجب وغلق الابواب والنهار ينتحها ورفع الحجب كما روى والرزق في البكرة والعشي أفضل انعمش عند العرب وقيل أراد دوام الرزق أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الاصول عن الحسن وأبي قلابة قال قال رجل يا رسول الله هل في الجنة من ليل قال وما هيحك على هذا قال سمعت الله يذكري الكتاب ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا فقلت الليل من البكرة والعشي فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليس هناك ليل وانما هو ضوء نور يرد الغدو على الروح والروح على الغدو وتأتمهم طرف الهدايا من الله عواقيت الصلاة التي كانوا يصلون فيها في الدنيا وتسلم عليهم الملائكة (تلك الجنة التي نورت من عبادنا من كان تقيا) أي هذه الجنة التي وصفنا أحوالها نورها ونعطيها وننزل بها من كان من أشمل التقوى كما يتق على الوارث مال مورثه ولا يرد كالميراث الذي يأخذ الوارث فلا يرجع فيه المورث أي يتقيهم علمهم من غرة تقواهم قرئ نورت بفتح الواو وتشديد الراء من ورت مضاعفا والتخفيف وقرأ الأعمش نورهم بابا راعا الموصول وقيل في الكلام تقديم وتأخير أي نورت من كان تقيا من عبادنا والوراء أقوى لفظ يستعمل في التلميح والاستحقاق من حيث انها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع ولا تبطل برد ولا اسقاط وقيل يورث المتقون من الجنة المساكين التي كانت لأهل النار لو أطاعوا رايادتي كرامتهم والآية تدل على ان المتق يدخلها وليس فيها دلالة على ان غير المتق لا يدخلها وأيضا

وخرى فأنتي بما وعدتني فقال لك كل مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة ومن آمن بي وبرسلي وعمل صالحا ولم يشرك بي شيئا ولم يتخذ من دوني ندا ومن خشيتي فهو آمن ومن سألني أعطيته ومن أقرضني جزيته ومن توكل على كفتيته اني أنا الله لا اله الا أنا لا خلف المعاد وقد أطلع المؤمنين وتبارك الله أحسن الخالقين قالت قد رضيت قال ثم أتى على واد فسمع صوتا منكر او بهدر يحا خبيثة فقال ما هذه الريح يا جبريل وما هذا الصوت فقال هذا صوت جهنم تقول يا رب ائني بما وعدتني فقد كثرت سلاسل وأغلالي وسعيري وحمي وضريبي وغساقي وعذابي وقد بعد قعري واشتد حري فأنتي بما وعدتني قال لك كل مشرك ومشركة وكافر وكافرة

وكل خبيث وخبيثة وكل جبار لا يؤمن يوم الحساب قالت قد رضيت قال ثم سار حتى أتى بيت المقدس فنزل فربط فرسه الى الصخرة ثم دخل فصلى مع الملائكة فلما قضيت الصلاة قالوا يا جبريل من هذا معك قال محمد صلى الله عليه وسلم قالوا أوقد أرسل اليه قال نعم قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجي مجيء قال ثم أتى ارواح الانبياء فأنشأوا على ربهم فقال ابراهيم عليه السلام الحمد لله الذي اتخذني خليلا واعطاني ملكا عظيما وجعلني أمة قاتبا يؤتمني وانقذني من النار وجعلها على بردا وسلاما ثم ان موسى عليه السلام أثنى على ربه (٣٢) فقال الحمد لله الذي كلمني تسليما وجعل هلاك آل فرعون ونجاة بني

اسرائيل على يدي وجعل من أمتي قوما يهدون بالحق وبه يعدلون ثم ان داود عليه السلام أثنى على ربه فقال الحمد لله الذي جعل لي ملكا عظيما وعلاني الربور والآن لي الحديد وسخر لي الجبال يسبحن والطير واعطاني الحكمة وفصل الخطاب ثم ان سليمان عليه السلام أثنى على ربه فقال الحمد لله الذي سخر لي الرياح وسخر لي الشياطين يعدلون لي ماشئت من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات وعلاني منطق الطير وآتاني من كل شيء فتسلا وسخر لي جنود الشياطين والانس والطير وفضلني على كثير من عباده المؤمنين وآتاني ملكا عظيما لا ينبغي لاحد من بعدي وجعل ملكي ملكا طيبا ليس فيه حساب ثم ان عيسى عليه السلام أثنى على ربه عز وجل فقال الحمد لله الذي جعلني كلمته وجعل مثلي كمثل آدم خلقتني من تراب ثم قال له كن فيكون وعلاني الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل وجعلني اخلق من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون

صاحب الكبيرة متق عن الكفر (وما تنزل الابرار ربك) أي قال الله سبحانه قال يا جبريل وما تنزل وقتنا غيب وقت الابرار الله على ما تقتضيه حكمته وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استبطأ نزول جبريل عليه حين سأله في أمر الروح وأصحاب الكهف وذى القرنين فأمر جبريل ان يخبره بان الملائكة ما تنزل الابرار الله قيل احتبس جبريل عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أربعين يوما وقيل خمسة عشر وقيل اثني عشر وقيل ثلاثة أيام وقيل ان هذا حكاية عن أهل الجنة وانهم يقولون عند دخولها وما تنزل هذه الجنان الابرار ربك والاول أرى بدلا لما قبله ومعناه يحتمل وجهين الاول وما تنزل عليك الابرار ربك لنا يا تنزل والثاني وما تنزل عليك الابرار ربك الذي يأمر بك بما شرع لك ولا تمتك وانتزل انزل على مهل فانه مطاوع نزل بالتشديد وقد يطلق على مطلق النزول كما يطلق نزل المشدد بمعنى أنزل وقد اخرج البخاري وغيره عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لجبريل ما يمنعك ان تزورنا أ كثر مما تزور فنزلت هذه الآية الى آخرها وكان ذلك الجواب لحمد صلى الله عليه وآله وسلم وفي الباب روايات تدل على انه السبب في النزول ثم أكد جبريل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال (له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك) أي من الجهات والاماكن أو من الأزمنة الماضية والمستقبلية وما بينهما من الزمان أو المكان الذي نحن فيه فلا ننظر ان نتقبل من جهة الى جهة ومن مكان الى مكان أو من زمان الى زمان الابرار ربك ومشيئته وقيل المعنى له ما سلف من أمر الدنيا وما يستقبل من أمر الآخرة قاله السعيد بن جبير وقيل ما امامنا من أمور الآخرة وما خلفنا من أمور الدنيا وما بين ذلك أي ما يكون من هذا الوقت الى قيام الساعة وقيل هو ما بين النفعين قاله قتادة وقيل الارض التي بين أيدينا وانزلنا والسماء التي وراينا وما بين السماء والارض وقيل ما مضى من أعمالنا وما غير منها والخالق التي نحن فيها وعلى هذه الأقوال كلها يكون المعنى ان الله سبحانه هو المحيط بكل شيء لا يخفى عليه خافية ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة فلا تقدم على أمر الا باذنه وقال ما بين ذلك ولم يقل ما بين ذلك لان المراد ما بين ما ذكرنا كافي قوله سبحانه وعوان بين ذلك (وما كان ربك نسيا) ناسيا أي لم ينسك ولم يتركك وان تأخر عنك الوحي وقيل المعنى انه عالم بجميع الاشياء لا ينسى منها شيئا وقيل المعنى وما كان ربك ينسى الارسال اليك عند الوقت

طير اياذن الله وجعلني أبرى الاكد والابرص وأحيى الموتى باذن الله ورفعني وطهرني وأعاذني وامني من الشيطان الذي الرجيم فلم يكن للشيطان عليا ناسيلا قال ثم ان محمد صلى الله عليه وسلم أثنى على ربه عز وجل فقال كلحكم أثنى على ربه وانى منى على ربي فقال الحمد لله الذي أرسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وأنزل على الفرقان فيه بيان لكل شيء وجعل أمتي خيرا أمة اخر جت للناس وجعل أمتي أمة وسطا وجعل أمتي هم الاولين وهم الآخرين وشرح لي صدري ووضع عني وزري ورفع لي ذكري وجعلني فاحصا وخافيا فقال ابراهيم عليه السلام هذا فضلكم محمد صلى الله عليه وسلم قال أبو جعفر الرازي خاتم النبوة فاتح

بالشفاعة يوم القيامة ثم أتى بآية ثلاثة مغطاة افواهاها فأتى بأنا من افيه ماء فقيل له اشرب فشرب منه يسيرا ثم دفع اليه انا آخر فيه ابن فقيل له اشرب فشرب منه حتى روى ثم دفع اليه انا آخر فيه خر فقيل له اشرب فقال لا أريده قد رويت فقال له جبريل أما انهم استحرم على امتك ولو شربت منهم لم يتبعك من أمتك الا القليل قال ثم صعد به الى السماء فاستفتح فقيل من هذا يا جبريل فقال محمد فقالوا وقد أرسل اليه قال نعم قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فقم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء ففتح لهما فدخل فاذا هو برجل تام الخلق لم ينقص من خلقه شيء كما ينقص من خلق الناس (٢٣) عن يمينه باب يخرج منه ريح طيبة وعن شماله

باب يخرج منه ريح خبيثة فاذا نظر الى الباب الذي عن يمينه ضحك واستبشر واذا نظر الى الباب الذي عن شماله بكى وحزن فقلت يا جبريل من هذا الشيخ التام الخلق الذي لم ينقص من خلقه شيء وما هذان البابان فقال هذا أبوك آدم وهذا الباب الذي عن يمينه باب الجنة فاذا نظر الى من يدخل الجنة من ذريته ضحك واستبشر والباب الذي عن شماله باب جهنم اذا نظر الى من يدخلها من ذريته بكى وحزن ثم صعد به جبريل الى السماء الثانية فاستفتح فقيل من هذا معك فقال محمد رسول الله قالوا وقد أرسل اليه قال نعم قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فقم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء ففتح لهما فدخل فاذا هو بشابين فقال يا جبريل من هذان الشبان قال هذا عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا ابنا الخالة عليهما السلام قال فصعد به الى السماء الثالثة فاستفتح فقالوا من هذا قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد أرسل اليه قال نعم قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فقم الاخ ونعم الخليفة ونعم

الذي يرسل فيه رسوله أخرج البرار وابن المشرور ابن أبي حاتم وابن مردويه والطبراني والبيهقي والحاكم وصححه عن أبي الدرداء رفع الحديث قال ما أحل الله في كتابه فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو عافية فاقبلوا من الله عافيته فان الله لم يكن لينسى شيئا ثم تلا وما كان ربك نسيا ومن حديث جابر عند ابن مردويه مثله (رب السموات والارض) أي خالقهما (و) خالق (ما بينهما) وما لك ما بينهما وما من كان هكذا فالنسيان محال عليه وكيف يتصور أن يحوم حول ساحته الغفلة وفيه دليل على أن فعل العبد خلق الله لانه حاصل بين السموات والارض ثم أمر الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بعبادته والصبر عليها فقال (فاعبدوا صطبر لعبادته) الفاء للسببية لان كونه لا ينسأ وكونه رب العالمين سبب وجب لان يعبد وعدى فعل الصبر باللام دون على التي يتعدى بها التضمنة معنى الثبات (هل تعلم له سميا) الاستفهام لانكار والمعنى انه ليس له مثل ولا نظير حتى يشاركه في العبادة فيلزم من ذلك أن تكون غير خالصة له سبحانه فبما أتى في المشاركة استحق الله سبحانه أن يفرق بالعبادة ويخلص له هذا مبنى على أن المراد بالسمى هو الشريك في المسمى وقيل المراد به الشريك في الاسم كما هو الظاهر من لغة العرب فقيل المعنى انه لم يسم شيئا من الاصنام ولا غيرها بالله قط يعني بعد دخول الالف واللام التي عوضت عن الهمزة ولزم أن يورب السموات والارض واليه فها أبو العود والجللة تأكيده لما أفادته الفاء من علمه ربوبيته العامة لوجوب تخصيصه بالعبادة تعالى قال الزجاج تأويله والله أعلم هل تعلم له سميا يستحق أن يقال له خالق وقادر وعالم بما كان وبما يكون وعلى هذا الاسمى لله في جميع أسمائه لان غيره وان سمي بشي من أسمائه فله سبحانه حقيقة ذلك الوصف والمراد بنبي العلم المستفاد من الانكار ههنا في المعلوم على أبلغ وجه وأكمله وقال ابن عباس هل تعلم أي تعرف للرب شيئا أو مثلا ليس أحدي سمي الرحمن غيره وعنه قال يا محمد هل تعلم لالهك من ولد (ويقول الانسان) المراد به ههنا الكافر لان الاستفهام هنا لانكار والاستهزاء وانتكذيب بالبعث قال ابن جرير الانسان هو العاص بن وائل وقيل أي بن خلف والوليد بن المغيرة النازل فيه الآية وهذان قبيل العام الذي اريد به الخاص وقيل اللام في الانسان للجنس بأسره وان لم يقل هذه المقالة إلا بعضهم وهم الكفرة فقد يستند الى الجماعة

(٥ - فتح البيان سادس) المجيء جاء قال فدخل فاذا هو برجل قد فضل على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب قال من هذا يا جبريل الذي قد فضل على الناس في الحسن قال هذا أخوك يوسف عليه السلام قال ثم صعد به الى السماء الرابعة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد أرسل اليه قال نعم قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فقم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء قال فدخل فاذا هو برجل قال من هذا يا جبريل قال هذا ادريس عليه السلام رفعه الله مكانا علما ثم صعد به الى السماء الخامسة فاستفتح فقالوا من هذا قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد أرسل اليه قال نعم

قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعلم الأخ ونعلم الخليفة ونعم المجيء جاء قال فدخل فاذا هو برجل جالس وحوله قوم يقص عليهم قال من هذا يا جبريل ومن هؤلاء حوله قال هذا هم المحبب وهؤلاء بنو اسرائيل ثم صعد به الى السماء السادسة فاستفتح فقالوا من هذا قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد ارسل اليه قال نعم قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعلم الأخ ونعلم الخليفة ونعم المجيء جاء قال فدخل فاذا هو برجل جالس فخاوزه فبكي الرجل فقال يا جبريل من هذا قال موسى قال فباليه يبكي قال زعم بنو اسرائيل اني اكرم بنى آدم على الله عز وجل (٢٤) وهذا رجل من بنى آدم قد خلقت في دنيا وانا في الاخرى فلوانه بنفسه

لم أبال ولكن مع كل نبى أمته قال ثم صعد به الى السماء السابعة فاستفتح فقبل من هذا قال جبريل قبل ومن معك قال محمد قالوا وقد ارسل اليه قال نعم قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعلم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء قال فدخل فاذا هو برجل أشمط جالس عند باب الجنة على كرسي وعند قدميه قوم جلوس يبض الوجوه أمثال القراطيس وقوم في ألوانهم شئ فتسام هؤلاء الذين في ألوانهم شئ فدخلوا نهارا فغسلوا فيه فخرجوا وقد خلص من ألوانهم شئ ثم دخلوا نهارا آخر فغسلوا فيه فخرجوا وقد خلصت ألوانهم شئ ثم دخلوا نهارا آخر فغسلوا فيه فخرجوا وقد خلصت ألوانهم فصارت مثل ألوان أصحابهم فخاوا فخلصوا الى أصحابهم فقال يا جبريل من هذا الاشمط ثم من هؤلاء البيض الوجوه ومن هؤلاء الذين في ألوانهم شئ وما هذه الأنهار التي دخلوا فيها واودعت ألوانهم قال هذا أبول ابراهيم أول من شمط على وجه الأرض وأما هؤلاء البيض الوجوه فتقوم لم يلبسوا ايمانهم بنظم وأما هؤلاء الذين في ألوانهم شئ فتقوم خلطوا اعمالا صالحا

ما قام بواحد منهم وعلى كل فلفظ الانسان لا يشمل المؤمنين (انذامات) قرئ على الاستنهام وعلى الخبر (السوف اخرج حيا) من القبر كما يقول محمد صلى الله عليه وآله وسلم والاستنهام بمعنى النفي اى لا حي بعد الموت وحيا حال مؤكدة لان من لازم خروجه من القبر ان يكون حيا وهو كقولهم ويوم ابعث حيا (أولاد كرا الانسان نا خلقناه) الهمة لانكار التوبخى والوالو لعطف الجملة على أخرى مقدره اى يقول ذلك ولا يد كروقرى يز كرا التذنيف وبالتشديد وأصله يتد كروقرى قراءة ثنى أولاد كروقرى كرها اعمال الفكر اى ألا يتفكر هذا الجاحد في أول خلقه فيستبدل بالابتداء على الاعادة والابتداء أعجب واغرب من الاعادة لان النشأة الاولى هي اخراج هذه المخلوقات من العدم الى الوجود ابتداء واختراع عالم يتقدم عليه ما يكون كالمثال له وأما النشأة الآخرة فقد تقدم عليها النشأة الاولى فكانت كالمثال لها ومعنى (من قبل) من قبل بعنه وقدره الزمخشري من قبل الحالة التي هو عليها الآن ومعنى حاله بقاءه (ولم يك شيئا) اى والحال ان لم يكن حينئذ شيئا من الأشياء أصلا فالاعادة بعد أن كان شيئا موجودا السهل وايسر واهون ثم لما جاء سبحانه وتعالى به هذه الخلة التي اجمع العقلاء على أنه لم تكن في حجب البعث حجة أقوى منها اكدها بالقسم باسمه سبحانه مضافا الى رسوله تنشر بذاته وتعتظما ولان العادة جارية بما كيد الخبر باليمين فقال (فوربك لنحشرنهم) أى لنسوقهم الى الحشر بعد اخراجهم من قبورهم احياء كما كانوا (والاشياطين) والوالو للعطف أو بمعنى مع والمعنى ان هؤلاء الجاحدين للبعث يحشرهم الله مع شياطينهم الذين اغووههم واضلوه في سلسلة وهذا ظاهر على جعل اللام في الانسان للعهد وهو الانسان الكافر وأما على جعلها للجنس فذلك لكونه قد وجد في الجنس من يحشر مع شياطينه (ثم لنحشرنهم حول جهنم) من خارجها قبل دخولها وقيل من داخلها (جنيا) جمع جاث من قولهم جثا على ركبتيه يجثو وجثوا اى جثوا على ركبهم لايصيحهم من هول الموقف وروعة الحساب أو يكون الجثى على الركب شأن أهل الموقف كما في قوله سبحانه وترى كل أمة جاثية وقيل المراد بقوله جثيا جماعات وأصله جمع جثوة والجثوة هي المجموع من التراب والحجارة قال ابن عباس جثيا فعودا (ثم لننزعن من كل شيعة) أى من كل أمة وفرقة وأهل دين وملة من الكفار والشيعية النورية التي تبعت ديننا من الاديان وخصص ذلك الزمخشري فقال هي الطائفة التي

وآخر شيئا فواقتاب الله عليهم وأما الأنهار فأولها رحمة الله والثاني نعمة الله والثالث سقاهاهم ربهم ثم بباطهورا شاعت قال ثم انتهى الى السدرة فقبل له هذه السدرة ينتهى اليها كل أحد خلا من أمتك على سنتك فاذا هي شجرة يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لشاربين وأنهار من عسل مصفى وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعة عيام لا يقطعها والورقة منها انعطى الامة كلها قال فعشينا نورا لخلق عز وجل وعشيتها الملائكة أمثال الغربان حين وقع على الشجرة من حب الرب تبارك وتعالى قالوا فكلهم الله عند ذلك فقال له سل فقال انك اتخذت ابراهيم خديرا وعطيتهم ملكا

أمرت قال أمرت بعشرين قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان أمثلك أضعف الامم وقد لقيت من بنى اسرائيل شدة قال فرجع الى ربه فسأله التخفيف فوضع عنه عشرين افرجع الى موسى فقال بكم أمرت قال أمرت بعشرين قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان أمثلك أضعف الامم وقد لقيت من بنى اسرائيل شدة قال ارجع الى ربه فسأله التخفيف فان أمثلك أضعف الامم وقد لقيت من بنى اسرائيل شدة قال قد رجعت الى ربي حتى استحييت (٣٦) فأتانا بارجع اليه قيل أما أنت كما صبرت نفسك على خمس صلوات

فانهم يجزيين عند خمسين صلاة فان كل حسنة بعشرين أمثالها قال فرضى محمد صلى الله عليه وسلم كل الرضا قال وكان موسى عليه السلام من أشدهم عليه حين مر به وخبرهم له حين رجع اليه ثم رواد ابن جرير عن محمد بن عبيد الله عن أبي النضر هاشم بن القاسم عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالبة أو غيره شك أبو جعفر عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره بمعناه وقد رواه الحافظ أبو بكر البيهقي عن أبي سعيد الماليني عن ابن عدي عن محمد بن الحسن السكوني البجلي بالمرلة حديثا على من سهل فذكر مثل ما رواه ابن جرير عنه وذكر البيهقي ان الحاكم أباعه الله رواه عن اسمعيل بن محمد بن الفضل بن محمد الشعرائي عن جده عن ابراهيم بن حمزة الزبيرى عن حاتم بن اسمعيل حدثني عيسى بن ماهان يعنى أبا جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالبة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره وقال ابن أبي حاتم ذكره أبو زرعة

ويستثنى الانبياء والمرسلون وتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم وقالت فرقة الورود هو المرور على الصراط لان الصراط مدود عليه ايسلم أهل الجنة ويتناذف أهل النار وعلى هذا لا يستثنى الانبياء والمرسلون بل يرغم عليه جميع الخلق روى ذلك عن ابن عباس وكعب الانبار والسدي ورواه السدي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والحسن وعن مجاهد ورود المؤمن النار هو من الحى حسنة في الدنيا لقوله صلى الله عليه وآله وسلم الحى - فكل مؤمن من النارونية بعد وقيل ليس الورود الدخول انما هو كما تقول وردت البصرة ولم أدخلها وقد توقف كثير من العلماء عن تحقيق هذا الورود وحمله على ظاهره لقوله تعالى ان الذين سبقتم لهم من الجنة أولئك عنها مبعدون قالوا فلا يدخل النار من ضمن الله ان يبعده عنها أو أجابوا عنه بان معناه أنهم مبعدون عن العذاب فيها والاحتراق بها فحق دخلها وهو لا يشعر بها ولا يحس منها وجعا ولا المأفوق مبعدها وقالت فرقة الورود هو الاشراف والاطلاع والقرب وذلك أنهم هم يحضرون موضع الحساب وهو يشرب جهنم فيرون ما يظنون اليها في حالة الحساب ثم يخفى الله الذين اتقوا عما ينظرون اليه ويصارهم الى الجنة كما سألنى ومما يدل على ان الورود لا يستلزم الدخول قوله تعالى فلما ورد ماء مدائن فان المراد ان أشرف عليه لا انه دخل فيه ولا يخفى ان القول بان الورود هو المرور على الصراط والورود على جهنم رضى عنه فليس به جمع بين الأدلة من الكتاب والسنة في معنى جل هذه الآية على ذلك انه قد حصل الجمع بحمل الورود على دخول النار مع كون الداخل من المؤمنين مبعدا من عذابها أو بمحمله على المضى فوق الجسر المنصوب عليها وهو الصراط وأخرج أحمد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي والحاكم وصححه عن أبي سمينة قال اختلفنا في الورود فقال بعضهم لا يدخلها مؤمن وقال بعضهم لا يدخلونها جميعا ثم تجبى الذين اتقوا فلقيت جابر بن عبد الله فذكرت له فقال وأهوى باصبعه الى اذنيه ثم قال لم أكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يبقى برؤفة فاجر الا دخلها فمات كونه على المؤمن بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم حتى ان للنار ضجيجا من ردها ثم تجبى الذين اتقوا الآية وأسند أبو عمرو في كتاب التمهيد وعلى هذا فالورود الدخول وهو قول ابن عباس وخالد بن معدان وابن جرير وغيرهم وفي الحديث فتقول النار لاهل المؤمنين جزا مؤمن فقد ادا طنا نورك لاهل

حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير حدثنا يونس بن بكير حدثنا عيسى بن عبد الله التميمي عن أبي جعفر وعن الرازي عن الربيع بن أنس اليمسكرى عن أبي العالبة أو غيره شك عيسى عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في قول الله سبحانه الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام فذكر الحديث بطوله كنه ومما سقاه قلت وأبو جعفر الرازي قال فيه الحافظ أبو زرعة الرازي يهيم في الحديث كثيرا وقد ضعفه غيره أيضا ووثقه بعضهم والظاهر انه سقى الحفظ فنيما تشرده نظر وهذا الحديث في بعض ألفاظه غريبة ونكارة شديدة وفيه شئ من حديث المنام من رواية تمر بن جندب في المنام الطويل عند البخاري ويشبهه

(२७)

وعن مجاهد قال خاتم نافع بن الأزرق ابن عباس فقال الورد والدخول وقال نافع لا
فقرأ ابن عباس انكم وماتعدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون وقال أوورد
أم لا قرأ يقدم وموم يوم القيامة فأورد هم النار أوورد أم لا أمأنا أوأت فسند خلفها فأنظر
هل نخرج منها أم لا وقرأ ابن مسعود وان منكم الا دخلها مكان واردها وعنه قال
ورودها الصراط وقال رجل من الصحابة لا آخر أيقنت بالورد قال نعم قال وايقنت
بالعدو قال لا قال فقيم الضحك وفيه التناقل وأخرج أحمد والترمذي والحاكم وصححه
والبهيقي وغيرهم عن ابن مسعود في الآية قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرد
الناس كلهم النار ثم يصدرون منها بأعمالهم فاولهم كلح البرق ثم كالريح ثم تخضر الشرس ثم
كالراكب الجدى في رحله ثم كشد الرجل في شبيهه وقد روى نحوه عنه من طريق وهو في
مسند الدارمي أيضا وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وان منكم
الا واردها يقول مبتاز فيها وأخرج مسلم وغيره عن ام مبشر قالت قال رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم لا يدخل النار أحد شهيداً او الحديمية قالت حنيفة أليس الله يقول
وان منكم الا واردها قال ألم تسمع به يقول ثم تنجي الذين اتقوا وأخرج البخاري ومسلم
وغيرهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يموت لمسلم ثلاث من الولد فيلج النار
الا تحلة التسم ثم قرأ نبيان وان منكم الا واردها وأخرج أحمد والبخاري في تاريخه
وأبو يعلى والطبراني عن معاذ بن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال من
جهنم من وراء المسلمين في سبيل الله متطوعا لا يأخذ منه سلطان لم ير النار بعينه الا تحلة
التسم فان الله يقول وان منكم الا واردها والاحاديث في تفسيره هذه الآية كثيرة جدا
واما فائدة دخول المؤمنين النار اذا لم يكن عذاب فموجوه أحدها ان ذلك لما بين يدهم
سرور اذا عملوا الخلاص منه وثانيها ان فيه مزيدهم على اهل النار حيث يرون المؤمنين
يتخلصون منها وهم باقون فيها وثالثها انهم اذا شاهدوا ذلك العذاب على الكفار صار ذلك
سببا لزيد التذادهم بنعيم الجنة ولا تقول سر يحا ان الانبياء يدخلون النار أدبا معهم
ولكن نقول ان الخلق جميعا يريدونها كما دللت عليه أحاديث الباب فالعصاة يدخلونها
بجرائعهم والاولياء والسعداء يدخلونها الشفاعتهم فبين الداخلين بون (كان على ربك
حقما مقصدا) اى كان ورودهم المذكور أمرا محتوما لازما مقدضى سبحانه انه لا بد من

انتهيت الى السماء السابعة ففطرت فوق فاذا رعد و برق وصواعق قال واثبت على قوم بطونهم كالبيوت فيها الحيات ترى من خارج بطونهم فقتلهم من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء آكلوا الربا فلما نزلت الى الدنيا انظرت اسفل مني قال فاذا أنا برهيج ودخان وأصوات فقتلهم من هؤلاء يا جبريل قال هذه الشياطين يحومون على أعين بني آدم لا يتفكرون في ملكوت السموات والارض ولولا ذلك لرأوا العجائب ورواه الامام أحمد عن حسن وعفان كلاهما عن حماد بن سلمة ورواه ابن ماجه من حديث حماد بن رواحة جماعة من البجاية ممن تقدم وغيرهم قال الحافظ البيهقي حدثنا ابو عبد الله يعني الحارث بن محمد حدثنا عبد الله بن يزيد بن يعقوب الدقاق

أحمداني حدثنا إبراهيم بن الحسين الهمداني حدثنا أبو محمد هو اسمعيل بن موسى الفزاري حدثنا عمر بن سعد النصرى من بني نصر ابن معين حدثني عبد العزيز وليث بن أبي سليم وسليمان الأعشى وعطاء بن السائب بعضهم يزيد في الحديث على بعض عن علي ابن أبي طالب وعن عبد الله بن عباس ومحمد بن الحنفى بن يسار عن حدثه عن ابن عباس وعن سليم بن مسلم العقيلي عن عامر الشعبي عن عبد الله بن مسعود وجو بير عن الضحالك بن مزاحم قالوا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت أم هانئ راقد وقد صلى العشاء الآخرة قال أبو عبد الله الحاكم (٣٨) قال لنا هذا الشيخ وذكر الحديث فكتبته المتن من نسخة مسهورة منه

وقوعه لا محالة بمقتضى حكمته لا بإيجاب غيره عليه قال مجاهد متفقاً قضاء من الله وقال عكرمة قسما وأجبا قالت الأشاعرة إن هذا مشبه بالواجب من جهة استحالة تطرق الخلف إليه وقد استدل المعترلة بهم هذه الآية على أن العقاب واجب على الله وإن صاحب الكبيرة مخلد والناسق مخلد في النار بدليل أن الله بين أن الكل يردونها ثم بين صفة من ينجو وهم المتقون والناسق لا يكون متقياً فحق في النار أبداً وأجيب عن ذلك بأن المتق هو الذى يبقى الشرك فصاحب الكبيرة متق فوجب أن يخرج من النار بعموم قوله ثم نخصي الذين اتقوا فالآية التى تؤهموها دليل اللهم هى من أقوى الدلائل على فساد قولهم وهذا من حيث البحث وأما من حيث النص فتدور أدبيات تدل على إخراج المؤمن الموحّد من النار وهى معروفة (ثم نخصي) أى نخرج (الذين اتقوا) ما يوجب النار وهو الكفر بالله ومعاصيه وترك ما شرعه وأوجب العمل به من النار فلا يخلدون بعد أن أدخلوها قرئ نخصي بالتحذيف من النجى وقرئ بالتشديد وهو ما سبعة (ونذر) أى تترك (الظالمين) الذين ظلموا أنفسهم بنعل ما يوجب النار أو ظلموا غيرهم بظلمة في النفس أو المال أو العرض (فيها) أى في النار (جنياً) على الركب جمع جاث وقد تقدم قريباً فإن ابن عباس جنبا باقياً فيها (وإذا تلى عليهم آياتنا بينات) وانصحت لا يلبس معانيها وقيل طاعرات الانحياز وقبل أنها صحيح وبراهين والاول أولى وهى حال مؤكدة لأن آيات الله لا تكون الا واضحة والضمير في عليهم راجع الى الكفار الذين سبق ذكرهم في قوله أنذامات لسوف أخرج حيا أى هؤلاء إذا قرئ عليهم القرآن تعذروا بالنيابا وقالوا لو كنتم على الحق وكنا على الباطل لكان حالكم في الدنيا أطيب من حالنا ولم يكن بالعكس لأن الحكيم لا يلبس به أن يهين أولياءه ويعز أعداءه وقيل عليهم أى على المؤمنين والاول أظهر ووضع الظاهر موضع الضمير في قوله (قال الذين كنروا) للاشعار بأن كفرهم هو السبب لصدور هذا القول عنهم وقيل المراد بهم هنا هم المتمرّدون المصرون منهم والاعنياء المتجهلون بالنيابا وغيرهما ومعنى (لذين آمنوا) قالوا لاجلهم وقيل هى لام التبليغ كما في قوله وقال لهم أي خاطبوههم وشافهوههم بذلك وبلغوا القول اليهم يعنى فقرأ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت فيهم قشافة وفي عيشهم خشونة وفي ثيابهم رائحة وفي منزلهم ضيق وكان المشركون يجلون شعورهم ويدهنون

فذكر حديثاً طويلاً يلاذ كرفسه عدد الدرج والملائكة وغير ذلك مما لا ينكر شئ منها في قدرة الله أن صحت الرواية قال البيهقي فيما ذكرنا قبل في حديث أبي هريرة العبدى في اثبات الاسراء والمعراج كفاية وبالله التوفيق قلت وقد أرسل هذا الحديث غير واحد من التابعين وأئمة المنسرين رجة الله عليهم أجمعين * رواية عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قال البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحاكم في أخبار بكرم ابن حمد القاضى حدثني إبراهيم بن الهيثم البكرى حدثني محمد بن كثير الصنعاني حدثنا عمر بن راشد عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد الأقصى أصبح يحدث الناس بذلك فارتد الناس ممن كانوا آمنوا به وصدقوه وسعوا بذلك الى أبي بكر فقلوا لعل لك في صاحب يزعم أنه أسرى به الليلة الى بيت المقدس فقال أو قال ذلك قالوا نعم قال لئن كان قال ذلك لقد صدق قالوا فتصدقه انه ذهب الليلة الى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح قال نعم انى لاصدقه فيما هو أبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة فذلك من أبو بكر الصديق * رواية أم هانئ بنت أبي طالب قال محمد بن الحنفى حدثني محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح بالاذان عن أم هانئ بنت أبي طالب في مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها كانت تقول ما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو في بيتي نائم عندي تلك الليلة فعلى العشاء الآخرة ثم نام وغنما كان قبيل الفجر أجهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى الصبح وصلينا معه قال يا أم هانئ لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الراوى ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت صلاة الغداة معكم الآن كما ترون الكلبي متروكاً بمرة ساقت لكن رواه أبو يعلى

ذلك أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة فذلك من أبو بكر الصديق * رواية أم هانئ بنت أبي طالب قال محمد بن الحنفى حدثني محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح بالاذان عن أم هانئ بنت أبي طالب في مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها كانت تقول ما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو في بيتي نائم عندي تلك الليلة فعلى العشاء الآخرة ثم نام وغنما كان قبيل الفجر أجهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى الصبح وصلينا معه قال يا أم هانئ لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الراوى ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت صلاة الغداة معكم الآن كما ترون الكلبي متروكاً بمرة ساقت لكن رواه أبو يعلى

في مسنده عن محمد بن اسمعيل الانصاري عن شمرة بن ربيعة عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني عن أبي صالح عن أم هانئ أباسط من هذا السياق فليكتب ههنا وروى الحافظ أبو القاسم الطبراني من حديث عبد الأعلى بن أبي المساور عن عكرمة عن أم هانئ قالت بات رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به في بيتي فنقدته من الليل فاستمع مني النوم مخافة أن يكون عرض له بعض قرش فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن جبريل عليه السلام أتاني فأخذ يدي فأخرجني فإذا على الباب دابة دون البغل وفوق الحمار فخلني عليها ثم انطلق حتى انتهى بي إلى بيت المقدس فاراني إبراهيم يشبهه (٢٩) خلقه خلقى ويشبه خلقى خلته وأراني

موسى آدم طوبى بلا سبط الشجر شبهته برجال ازدشنوة وأراني عيسى بن مريم ربعة أبيض يضرب إلى الحرة شبهته بعروة بن مسعود النقي وأراني الدجال مسح العين اليمنى شبهته بقطن بن عبد العزى قال وأنا أريد أن أخرج إلى قرش فأخبرهم بما رأيت فأخذت بنو به قتلني أنى أذكر لك الله أنك أتى قومك يكذبونك وينكرون مقاتل بن حيان قال فأتى أن يسطوا بك قالت فاضرب ثوبه من يدي ثم خرج إليهم فأنعم بهم وجلس فأخبرهم ما أخبرني فقام جبير بن مطعم فقال يا محمد إن لو كنت لك شأن كما كنت ما تكلمت بما تكلمت به وأنت بين ظهراني فقال رجل من القوم يا محمد هل مررت لنسابة في مكان كذا وكذا قال نعم والله قد وجدتكم قد أضلوا غير الهم فهم في طلبه قال هل مررت بابل لبني فلان قال نعم وجدتكم في مكان كذا وكذا وقد انكسرت لهم ناقه جراء وعندهم قصعة من ماء فشربت ما فيها قالوا فأخبرنا عدها وما فيها من الرعاة قال قد كنت عن عدها مشغولا فأتى بالابل

روى عنهم ويلبسون الخريجاتهم (أي الثريقين) المراد بهما المؤمنون والكافرون كأنهم قالوا فريقنا (خير مقام) أم فريقكم وقرئ بضم الميم وهو موضع الإقامة أو صدر عنهما وبالفتح منزلا ومسكنا فهو غير النادى إذ هو متحد القوم وقيل هو الموضع الذي يقام فيه بالأمور الجليدة والمعنى أى الثريقين أكبر جها وأكثرا عوانا وأنصارا وعن مجاهد في الآية قال قرش تقوله لها ولا تحب محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقال ابن عباس مقام المنازل (وأحسن ندبا) قال ابن عباس ندبا الجالس والندى والنادى مجلس القوم ومحدثهم ومجتمعهم ومنه قوله تعالى وتأتون في ناديتكم المنكر وقوله فليدع ناديه أى أهل ناديه وناداه جالسه في النادى ومنه دار الندوة لأن المشركين كانوا يتشاورون فيها في أمورهم وقيل هو مشتق من الندى وهو الكرم لأن الكرماء يجتمعون فيه (ولم) أى كثيرا (أهل كذا قبلهم من قرن) هى الجماعة والأئمة الماضية وهو مفرد النظام متعدد معنى (هم أحسن أثانا) هو المال أجمع الابل والغنم والبقر والعبيد والمناخ وقيل هو متاع البيت خاصة وقيل هو الجدي من الثرى وقيل اللباس خاصة (ورثنا) بمعنى الميراث وهو كالذبح والطعن بمعنى المذبوح والمطعون قرئ بالهمزة وقرئ بالياء المشددة من رأيت أى هم أحسن منظرا وبه قال جمهور المفسرين وحسن المنظر يكون من جهة حسن اللباس وحسن الألبان وتنعيمها واتجوع الامرين ومعنى القراءة الاولى معنى الثانية قال الجوهري من همز جعله من المنظر من رأيت وهو ما رأته العين من حال حسنة وكسوة ظاهرة ومن لم يهمز اما ان يكون من تخفيف الهمزة او يكون من رويت ألوانهم وجلودهم راي اى امثلاث وحسنت وقد ذكر الزجاج معنى هذا وقرئ زيا وهو الهيئة والحسن والصورة ويجوز أن يكون من زويت أى جمعت والزى محاسن مجموعة (قل) امر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ان يجيب على هؤلاء المفتخرين بحظوظهم الدنيوية والكنار القائلين للمؤمنين اى الثريقين خير مقاماً وأحسن ندبا بقوله (من كان) مستقرا (في الضلالة) اى الكفر والجهل والغفلة عن عواقب الامور وهذا شرط وجوابه (فليدله الرحمن مددا) فى الدنيا يستدرجه وهذا وان كان على صيغة الامر فالمراد به الخبر وانما خرج الامر لبيان الامهال منه سبحانه للعصاة وأن ذلك كائن لا محالة لينقطع معاذير أهل الضلال ويقال لهم

فعدوها علم ما فيها من الرعاة ثم أتى قرش فقال لهم سألتوني عن ابل بنى فلان فهى كذا وكذا وفيها من الرعاة فلان وفلان وسألتوني عن ابل بنى فلان فهى كذا وكذا وفيها من الرعاة بنى ابي خافة وفلان وفلان وهى تصحبكم بالغداة على الثنية قال فعدوها على الثنية ينظرون أصدقهم ما قال فاستقبلوا الابل فسألواهم هل ضل لكم بعير فقالوا نعم فسألوا الآخر هل انكسرت لكم ناقه جراء قالوا نعم قالوا فهل كانت عندكم قصعة قالوا بكرة أنا والله وضعتها فاشربها أحد ولا أفرأوه فى الارض فصدهم أبو بكر وأمن به فسمى يومئذ الصديق (فصل) * واذا حصل الوقوف على مجموع هذه الاجاديت صحبها وحسنها وضعيفها وتحصل مضمون ما انتقلت عليه

من مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى بيت المقدس وانه مرة واحدة وان اختلفت عبارات الرواة في أدائه أو زاد بعضهم فيه أو نقص منه فان الخطأ جاز على من عدا الانبياء عليهم السلام ومن جعل من الناس كل رواية خالفت الاخرى مرة على حدة فثبت اسرار آت متعددة فقد أبعد وأغرب وهرب الى غير مهرب ولم تحصل على مطلب وقد صرح بعضهم من المتأخرين بانه عليه السلام أسرى به مرة من مكة الى بيت المقدس فقط ومرة من مكة الى السماء فقط ومرة الى بيت المقدس ومنه الى السماء وفرح بهذا المسلك وانه قد ظفر بشئ يخص به (٤٠) من الاشكالات وهذا بعيد جداً ولم ينقل هذا عن أحد من

السلف ولو تعدد هذا التعدد لا يخبر النبي صلى الله عليه وسلم به أمته ولنقله الناس على التعدد والتكرار قال موسى بن عقبة عن الزهري كان الاسراء قبل الهجرة بسنة وكذا قال عروة وقال السدي بسنة عشر شهرا والحق انه عليه السلام أسرى به بقطة لا مناس من مكة الى بيت المقدس راكبا البراق فلما انتهى الى باب المسجد ربط الدابة عند الباب ودخله فضلي في قبلته تحية المسجد ركعتين ثم أتى بالمعراج وهو تأسلم ذو درج يرتقي فيها فصعد فيه الى السماء الدنيا ثم الى بقية السموات السبع فلقاه من كل سما مقر بوها وسلم على الانبياء الذين في السموات بحسب منازلهم ودرجاتهم حتى مر بعيسى الكليم في السادسة وابراهيم الخليل في السابعة ثم جاوزوا نزلهم ما صلى الله عليه وسلم وعلى سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام حتى انتهى الى مستوى يسمع فيه دريف الاقلام أى أقلام القدر بما هو كائن ورأى سبدة المنتهى وغشها من امر الله تعالى عظمة عظيمة من فراس من ذهب

يوم القيامة أول نعمر كم مائة كرفيه من تذكراً ولا استدراج كقوله سبحانه اغنا على لهم ليزدادوا انما والتعرض لعنوان الرجانية لما أن المذ من أحكام الرحمة الدنيوية وذكر لفظ الرحمن في هذه السورة في ستة عشر موضعاً وقيل المراد بالآية الدعاء بالممد والتفديس قال الزجاج تأويله ان الله جعل جزاء ضلالتك ان يتركه ويمد فيه لان لفظ الامر يؤكده معنى الخبر كأن المتكلم يقول أفعل ذلك وأمر به بنفسى وقال مجاهد مد معناه فليدعه الله في طغيانه وفي حرف أى من كان في الضلالة فانه يزيد الله ضلاله وطغيانا واستدراجاً بان يطيل عمره ويكثر ماله ويمكنه من التصرف فيه (حتى) حرف ابتداء وليست جارة ولا عاطفة قاله الكازرونى والشهاب وفى زكريا انها جارة أى فيستقرون في الطغيان الى ان يشاهدوا الموعد (أذا رأوا) يعنى الذين مد لهم في الضلالة (ما يوعدون) جاء بضمير الجماعة اعتبار المعنى من كان قوله من كان في الضلالة فلم يدله اعتباراً بالنظرها وقيل هذه غاية للمد لا لتول المتفكرين اذ ليس فيه امتداد والغاية في الحقيقة هي قوله فسيعلمون الا ترى (اما العذاب واما الساعة) هذا تفصيل لقوله ما يوعدون أى هذا الذى يوعدون هو أحد الامرين اما العذاب فى الدنيا بالقتل والاسر كما وقع لهم يوم بدر واما يوم القيامة وما يحل بهم حينئذ من العذاب الاخرى فاما حرف تفصيل وهى مانعة خلوتجوز الجمع والعذاب والساعة قبلان من ما (فسيعلمون) جواب اذا أى هؤلاء السائلون أى الفريقين خير مما اذا عاينوا ما يوعدون به من العذاب الدنيوى بايدى المؤمنين أو الاخرى (من هو شر مكاناً) من الفريقين (وأضعف جنداً) قابل به أحسن ندبا من حيث ان حسن النادى يكون باجتماع وجوه القوم وأعيانهم وظهور رشوكتهم واستظهارهم والمعنى فسيعلمون أنهم خير وهم وجندهم الشياطين فى النار أم المؤمنون وهم فى الجنة وعندهم ملائكة الرحمن ومن على هذا استنهامية وهو أحد وجهين ويجوز أن تكون موصولة بمعنى الذى وليس المراد أن للمتفكرين هنالك جنداً ضعفاً بل لا جند لهم أصلاً كفى قوله سبحانه ولم تكن له فئة ينصره من دونه وما كان منتصراً ثم لما أخبر سبحانه عن حال أهل الضلالة أراد أن يبين حال أهل الهداية فقال (ويزيد الله الذين اهتموا) بالايان (هدى) بما ينزل عليهم من الآيات وذلك ان بعض الهدى يجر الى البعض الآخر والخير يدعو الى الخير وقيل المراد بالزيادة العبادة من المؤمنين والجملة

والوان متعددة وغشيتها الملائكة ورأى هنالك جبريل على صورته وله ستمائة جناح ورأى رفراً أخضر قد سد مسأنة الافق ورأى البيت المعمور الذى ابراهيم الخليل بالكعبة الارضية مسند ظهره اليه لانه الكعبة السماوية يدخله كل يوم سبعون الف من الملائكة يتعبدون فيه ثم لا يعودون اليه الى يوم القيامة ورأى الجنة والنار وفرض الله عليه هنالك الصلوات خمسين ثم خففها الى خمس رجة منه ولطفنا بعباده وفى هذا اعتبار عظيم بشرف الصلاة وعظمتا ثم هبط الى البيت المقدس وهبط معه الانبياء فصلى بهم فيه لمباحات الصلاة ويحتمل انها الصبح من يومئذ ومن الناس من يزعم انه أمرهم فى السماء والذى تظاهرت

به الروايات انه سببت المقدس ولكن في بعضها ان كان أول دخوله اليه والظاهر انه بعد رجوعه اليه لانه لما تزيهم في منازلهم جعل يسأل عنهم جبريل واحد واحد وهو يجبرهم وهذا هو اللائق لانه كان أولاً مطلوب الى الجناح العلوي ليفرض عليه وعلى امته ما يشاء الله تعالى ثم لما فرغ من الذي أريد به اجتمع به هو واخوانه من النبيين ثم اظهر شرفه وفضله عليهم بتقديمه في الامامة وذلك عن اشارة جبريل عليه السلامه في ذلك ثم خرج من بيت المقدس فركب البراق وعاد الى مكة بغلس والله سبحانه وتعالى أعلم وأما عرض الآتية عليه من اللبن والعسل أو اللبن والخمر أو اللبن والماء أو الجميع (٤١) فتدور دانه في بيت المقدس وجاءه انه في

السماء ويحتمل أن يكون ههنا وههنا لانه كالضيافة للقادم والله أعلم ثم اختلف الناس هل كان الاسراء بيده عليه السلام وروحه أو بروحه فقط على قولين فلا كثرون من العلماء على انه أسرى بيده وروحه بقطعة لا منما ولا يشكر أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى قبل ذلك منما وراه بعده بقطعة لانه كان عليه السلام لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح والدليل على هذا قوله تعالى سبحانه الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله فالتسبيح انما يكون عند الامور العظام فلو كان منما لم يكن فيه كبير شيء ولم يكن مستعظما ولم يبادرت كفار قريش الى تكذيبه ولم ارتدت جماعة ممن قد أسلموا وأيضاً فان العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد وقد قال أسرى بعبده ليلا وقد قال تعالى وما جعلنا الرؤية التي أريناك الا فتنة للناس قال ابن عباس هي رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم رواد البخاري وقال

مستأنفه لبيان حال المهتدين وقيل الواو للعطف على جملة الشرط المحكية بالقول قال الزجاج المعنى ان الله يجعل جزاء المؤمنين ان يزيدهم بيتين كما جعل جزاء الكافر بن ان يدهم في ضلالتهم (والباقيات الصالحات) أي الطاعات المؤدية الى السعادة الابدية التي تبقى لصاحبها (خير عند ربك ثوابا) مما يتمتع به الكفار من النعم الدينية التي افترضوا بها (وخير مراد) هو ههنا صدر كل رد والمعنى وخير رد الاثواب على فاعلها ليست كأعمال الكفار التي خسروا فيها والمراد المرجع والعاقبة أي ما يرد اليه ويرجع وهو الجنة وأفضل التفضيل للتمكيم بهم على سبيل المشاكلة للقطع بان أعمال الكفار لا خير فيها أصلاً ثم أورد سبحانه مقالة هؤلاء المنتخزين باخرى مثلها على سبيل التعجب فقال (أفرايت الذي كفر باياتنا) استفهام تعجب أي أخبرني بقصة هذا الكافر يعني عاص بن وائل واذا كر حديثه عقب حديث أولئك وانما استعملوا أرايت بمعنى أخبر لان رؤية الشيء من أسباب صحة الخبر عنه والآيات تتم كل آية ومن جملتها آية البعث والفناء للعطف على مقدر أي أتنبأت فرايت واللام في (وقال لا وتبين) هي الموطئة للتقسيم كانه قال والله لا وتبين في الآخرة (مالا وولدا) وهذا من شدة نعتته بكفره أي انظر الى حال هذا الكافر وتعجب من كلامه وتألمه على الله مع كفره بتكذيبه باياته أخرج البخاري ومسلم وغيرهما في الآية من حديث خباب بن الارت قال كنت رجلاً لا قيناً وكان لي على العاص بن وائل (١) دين فأتيته انتفاضه فقال لا والله لا افضيك حتى تكفر بمعمد صلى الله عليه وسلم فقلت والله لا أكفر بمعمد حتى تموت ثم تبعث قال فاني اذا مت ثم تبعث جنتني ولي ثم مال وولد فاعطيت فأنزل الله فيه هذه الآية وقرئ ولد بالضم الواو وبفتحها قيل هما الغتان معناهما واحد يقال ولد وولد كما يقال عدم وعدم وقيل بالضم للجمع وبالفتح للواحد وقد ذهب الجمهور الى ان هذا الكافر أراد بقوله لا وتبين مالا وولدا انه يؤتى ذلك في الدنيا وقال جماعة في الجنة قيل والمعنى ان أقت على دين أبائي لا وتبين وقيل المعنى لو كنت على باطل لما أتيت مالا وولدا ثم أجاب الله سبحانه عن قول هذا الكافر بما يدفعه ويبطله فقال (أطلع الغيب) بنسخ الهزيمة الاسمية واطلع متعدي بنفسه كقوله اطلع الجبل قال المغرب وليس متعديا يعلى كقوله بعضهم حتى يكون من الحذف والا يصال لكن في القاموس اطلع عليه فكأنه يتعدي ولا يتعدي يقال اطلع الجبل اذا ارتقى الى أعلاه

(٦ - فتح البيان سادس) تعالى ما زاع البصر وما طغي البصر من آلات الذات لا الروح وأيضاً فانه جل على البراق وهو دابه يضاء برأقه لها المعان وانما يكون هذا للبدن لا للروح لانها لا تحتاج في حركتها الى مركب تركب عليه والله أعلم وقال آخرون بل أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم بروحه لا بجسده قال محمد بن اسحق بن يسار في السيرة حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة ابن الاخنس ان معاوية بن أبي سفيان كان اذا سئل عن مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت رؤيا من الله صادقة وحدثني بعض آل أبي بكر أن عائشة كانت تقول ما فقد جسداً رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن أسرى بروحه قال ابن اسحق (١) هو أبو سيدنا عمر وهو جد عبد الله بن عمر أحد العبادلة اه منه

فلم ينكر ذلك من قولها القول الحسن ان هذه الآية نزلت وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس ولقول الله في الخبر عن ابراهيم اني أرى في المنام اني أذبحك فانظر ماذا ترى قال ثم مضى على ذلك فعرفت ان الوحي يأتي للأنبياء من الله ايقاظا ونيا مافكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تمام عيناي وقلبي يقظان والله أعلم أي ذلك كان قد جاءه وعائين من الله فيه ما عاين على أي حالاته كان ناعماً أو يقظاً ناكل ذلك حق وصدق انتهى كلام ابن ابي حنيفة وقد تعقبه أبو جعفر بن جرير في تفسيره بالرد والانكار والتشنيع بان هذا خلاف ظاهر سياق القرآن (٤٢) وذ كر من الأدلة على رده بعض ما تقدم والله أعلم * (فائدة حسنة جليلة) *

روى الحافظ أبو نعيم الأصبهاني في كتاب دلائل النبوة من طريق محمد بن عمر الواقدي حديثي مالك بن أبي الرجال عن عمرو بن عبد الله بن محمد بن كعب القرظي قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم دحية ابن خليفة الى قبصة فذ كر وروده عليه وقدومه اليه وفي السياق دلالة عظيمة على وفور عقل هرقل ثم استدعاه من الشام من التجار فجاءه بأبي سفيان صخر بن حرب وأصحابه فسألهم عن تلك المسائل المشهورة التي رواها البخاري ومسلم كما سيأتي بيانه وجعل أبو سفيان يجهد أن يحقر أمره ويصغره عنده قال في هذا السياق عن أبي سفيان والله ما منعتني من أن أقول عليه قرلا أسقطه من عينه الا اني أكره أن أكذب عنده كذبة يأخذها علي ولا يصدقني بشئ قال حتى ذ كر قوله ليلة اسرى به قال فقلت أيها الملك ألا أخبرك خبر أعرف انه قد كذب قال وما هو قال قلت انه يزعم لنا انه خرج من أرضنا أرض الحرم في ليلة خفاء مسجدكم هذا مسجد ايليا ورجع اليها تلك

والمعنى أعلم ما غاب عنه حتى يعلم انه في الجنة (أم اتخذ عند الرحمن عهدا) بذلك أي بان يؤتى ما قاله فانه لا يتوصل الى هذا العلم الا بأحدى طريقتين وقيل المعنى أنظر في اللوح المحفوظ أم اتخذ عند الله عهدا وقيل المعنى أم قال قال لا اله الا الله فارجحه بها ويرجوها قاله ابن عباس وقيل المعنى أم قدم عملا صالحا فله ويرجوه (كلا) حرف ردع وزجر أي ليس الامر على ما قال هذا الكافر من انه يؤتى المال والولد ولنظرة كلا فيهما للتحاسة مذهب أحداهما وهو مذهب جهو والبصريين كالخليل وسيبويه وأبي الحسن الاخفش وأبي العباس المبرد انهما حرف ردع وزجر وهذا معنى لا يقيها حيث وقعت في القرآن وما أحسن ما جاءت في هذه الآية زجرت وردعت ذلك القائل والثاني وهو مذهب النضر بن شميل انه حرف تصديق بمعنى نعم فتكون جوابا ولا بد حينئذ من ان يتقدمها شيء لفظا أو تقديرا وقد تسمعت في القسم والثالث وهو مذهب النكسائي وأبي بكر بن الابباري ونضر بن يوسف وابن واصل انها بمعنى حقا والرابع وهو مذهب أبي عبد الله الباهلي انها رد لما قبلها وهذا قريب من معنى الردع الخامس انها صلة في الكلام بمعنى أي كذا قيل وفيه نظر فان أي حرف جواب ولكنه مختص بالقسم السادس انها حرف استفتاح وهو قول أبي حاتم قال السمين ولتقرر هذه المذاهب موضع هو أليق بها قد حققها بحمد الله فيه انتهى وذ كر كلا في القرآن في النصف الثاني فقط وذ كر في خمس عشرة سورة منه كلها مكية وجملة ما ذ كر ثلاثة وثلاثون مرة ترجع الى أقسام ثلاثة قسم يجوز الوقف عليها وعلى ما قبلها فابتدأها وهذا باتفاق وقسم اختلف فيه هل يجوز الوقف عليها أو يتعين على ما قبلها وقسم لا يجوز الوقف عليها باتفاق فالقسم الأول خمسة مواضع اللتان في هذه السورة واللتان في سورة الشعراء واحدة في سورة سبأ والقسم الثاني تسعة واحدة في سورة المؤمنين واثنان في سورة سائل واثنان في سورة المذثر الأولى والثالثة والأولى في سورة التوبة والثانية في سورة بول للمطففين والأولى في سورة النجر والى في سورة ويل لكل والقسم الثالث هو التسع عشرة الباقية ذ كره عز بن جماعة (سنتكتب) أي سنحفظ عليه (ما يقول) فنجازيه به في الآخرة أو سنظهر له ما يقول ونعلمه أو سننتقم منه انتقام من كتب معصيته (ونعلمه من العذاب مدا) أي نزيده عذابا فوق عذابه مكان ما يدعيه لنفسه من الامداد بالمال والولد وأنطول له من العذاب

الليلة قبل الصباح قال وبطريق ايليا عند رأس قبصة فقال بطريق ايليا قد علمت تلك الليلة قال فنظر في قصر وقال ما علمك بهذا قال اني كنت لا نام ليلة حتى أغلق أبواب المسجد فلما كان تلك الليلة أغلقت الابواب كلها غير باب واحد غلبنى فاستعنت عليه عمالي ومن يحضري كلهم فعاالجته فغلبنى فلم نستطع أن نحركه كأنما تراول به جيلا فدعوت اليه التجار فتنظروا اليه فقالوا ان هذا الباب سقط عليه النجاف والبنيان ولا نستطيع ان نحركه حتى نصبح فننظر من أين اني قال فرجعت وتركت البابين مفتوحين فلما أصبحت غدوت عليها فاذا الحجر الذي في زاوية المسجد منتهقوب واذا فيه أثر مريض لدابة قال فقلت لا صحابي

ما حبس هذا الباب الليلة الأعلى نبي وقد صلى الليلة في مسجدناؤذ كرتام الحديث * (فائدة) * قال الحافظ أبو الخطاب عمر بن
 دحيمة في كتابه التنوير في مولد السراج المنير وقد ذكر حديث الاسراء من طويق أنس وتكلم عليه فأجأوا فادغم قال وقد تواترت
 الروايات في حديث الاسراء عن عمر بن الخطاب وعلى وابن مسعود وأبي ذر ومالك بن معصعة وأبي هريرة وأبي سعيد وابن عباس
 وشداد بن أوس وأبي بن كعب وعبد الرحمن بن قريظ وأبي حبة وأبي لبلى الأنصاريين وعبد الله بن عمرو وجابر وحذيفة وبريدة
 وأبي أيوب وأبي امامة ومرة بن جندب وأبي الجراح وصهيب الرومي (٤٣) وأمهاني وعائشة وأسماء ابنتي أبي بكر
 الصديق رضي الله عنهم أجمعين

منهم من ساقه بطوله ومنهم من
 اختصره على ما وقع في المسانيد وان
 لم تكن رواية بعضهم على شرط الصحة
 فحديث الاسراء أجمع عليه
 المسلمون وأعرض عنه الزنادقة
 والمحدثون يريدون أن يطفئوا نور
 الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره
 الكافرون قوله تعالى (وآتيناه
 موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني
 اسرائيل أن لا تتخذوا من دوني
 وكذا ذرية من حملنا مع نوح انه كان
 عبدا شكورا) لماذا كرمنا على أنه أسرى
 بعد دمه صلى الله عليه وسلم
 عطف بذكر موسى عبده ورسوله
 وكلمه أيضا فانه تعالى كثيرا ما يقرن
 بين ذكر موسى ومحمد عليه من الله
 الصلاة والسلام وبين ذكر التوراة
 والقرآن ولهذا قال بعد ذكر الاسراء
 وآتيناه موسى الكتاب يعني التوراة
 وجعلناه أي الكتاب هدى أي هاديا
 لبني اسرائيل أن لا تتخذوا أي لا
 تتخذوا من دوني وكبلا أي ولما
 ولا نصيرا ولا معبودا دوني لان
 الله تعالى أنزل على كل نبي
 أرسله أن يعبد وحده لا شريك له

ما يستحقه وهو عذاب من جمع بين الكفر والاستهزاء (وترثه ما يقول) أي غيبته فترثه
 المال والولد الذي يقول انه يرثاه والمعنى ما يقول ومصادقه قاله أبو السعود وقيل
 المعنى تخبره ما تنهيه في الآخرة ونعطيته غيره من المسلمين قاله القرطبي (وآتيناه) يوم
 القيامة (فردا) لاملاله ولا ولد ولا عشيرة بل نسبته ذلك فكيف يطمع في ان نعطيته
 وقيل المراد بما يقول ننس القول لاسمائه والمعنى انما يقول هذا القول مادام حيا فاذا
 أمتهاه حملنا بينه وبين ان يقول له وآتيناه افضاله منفردا عنه والاول أولى (واتخذوا من
 دون الله آلهة ليكنوا لهم عزا) حتى سبحانه ما كان عليه هؤلاء الكفار الذين غنوا
 ما لا يبحونونه وتأولوا على الله سبحانه من اتخاذهم الآلهة من دون الله لاجل ان يتعزوا
 بذلك وقال أبو السعود حكاية لحنانية عامة لكل مستتبعه لصدماير جون تربته عليه اثر
 حكاية مثة الكافر المعهود واستباعتها النقيض مضموها وقال الهروي معناه ليكنوا
 لهم أعوانا وقال السراء ليكنوا لهم شفعاء عند الله في الآخرة وقيل معناه ليعززوا
 بهم من عذاب الله ويتعزوا بها (كلا سب كسرون بعبادتهم ويكفون عليهم ضدا)
 أي ايس الامر كما ظنوا ويهملهم واراضهم في الفعل اما لا آلهة أي ستجده هذه الاصنام
 عبادة الكفار لها يوم ينطقها الله سبحانه لانها عند أن عبدها جادات لا تعقل ذلك
 واما للمشركين أي سيجد المشركون انهم عبدة الاصنام وبديل على الوجه الاول قوله
 تعالى ما كانوا ياتوا يعبدون وقوله فالقوا اليهم القول انكم الكاذبون وبديل على الوجه
 الثاني قوله تعالى راى الله ربنا ما كنا مشركين قرئ كلا بضم الكاف والتثنية وهي بمعنى
 جميعا بالفتح مصدر رأى كل هذا رأى كلا والاصوب انها حرف ردع وزجر والمعنى
 تكون هذه الآلهة التي ظنوها عزاء لهم ضدا عليهم أي ضدا للعز و ضد العز الذل هذا على
 الوجه الاول وأما على الوجه الثاني فيكون المشركون للآلهة ضدا و أعداء يكفرون
 بهم بعد أن كانوا يعبدونها ويحبونها ويؤمنون بها قال ابن عباس عليهم ضدا أعوانا
 وحسرة وانما واحد الضم لأن كان خبرا عن جمع لا حد وجهين اما لانه مصدر في الاصل
 والمصدر موحدة مذكرة واما لانه مفرد في معنى الجمع (ألّم ترانا أرسلنا الشياطين على
 الكافرين) ذكر الزجاج في معنى هذا وجهين أحدهما ان معناه خليتنا بين الكافرين
 وبين الشياطين فلم نعصهم منهم ولم نعدهم بخلاف المؤمنين الذين قيل فيهم ان عبادي ليس

ثم قال ذرية من حملنا مع نوح تقديره ياذرية من حملنا مع نوح فيه توبيخ وتنبيه على المنسة أي بإسالة من نجسنا فحملنا مع نوح في
 السفينة تشبها بأبيكم انه كان عبدا شكورا فاذا كروا أنتم نعمتي عليكم بإرسالى اليكم محمد صلى الله عليه وسلم وقد ورد في الحديث
 وفي الأثر عن السلف ان نوحا عليه السلام كان يحمد الله على طعامه وشرابه ولباسه وشانه كله فلهذا سمي عبدا شكورا قال
 الطبراني حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن أبي حصين عن عبد الله بن سمنان عن سعد بن مسعود الثقفي
 قال انما سمي نوح عبدا شكورا لانه كان اذا أكل أو شرب حمد الله وقال الامام أحمد حدثنا أبو اسامة جد شار كريان أبي زائد عن

فسمع عبد بن أبي بردة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله ليرضى عن العبدان يأكل الأكلة أو يشرب الشربة فيحمد الله عليها وهكذا رواه مسلم والترمذي والنسائي من طريق أبي أسامة به وقال مالك عن زيد بن أسلم كان يحمد الله على كل حال وقد ذكر البخاري هنا حديث أبي زرعة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أنا سيد ولد آدم يوم القيامة بطوله وفيه فيأتون نوحا فيقولون يا نوح انك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وقد سمعك الله عبدا شكورا شففع لنا إلى ربك وذكر الحديث بأكمله (وقضينا إلى (٤٤) بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلمن علوا كبيرا فإذا

جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبدا لنا أولى بأس شديد فأسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ثم ردنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوفوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى ربكم أن يرجمكم وإن عذمت عندنا لجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) يخبر تعالى أنه قضى إلى بني إسرائيل في الكتاب أي تقدم إليهم وأخبرهم في الكتاب الذي أرسله عليهم أنهم سيفسدون في الأرض مرتين ويعلمون علوا كبيرا أي يتكبرون ويطغون وينفجرون على الناس كقوله تعالى وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصحين أي تقدمنا إليهم وأخبرناه بذلك وأعلمنا به وقوله فإذا جاء وعد أولاهما أي أولى الأفسادتين بعثنا عليكم عبدا لنا أولى بأس شديد أي سلطنا عليكم جنودا من خلقنا أولى بأس شديد أي قوة وعدة وعدة وسلطة شديدة فأسوا

للك عليهم سلطان الوجه الثاني أنهم أرسلوا عليهم وقبضوا عليهم بكفرهم كما قال ومن يعيش عن ذكر الرحمن نقبض له شيطانا فعنى الأرسال هنا التسليط ومن ذلك قوله سبحانه لا بليس واستفزز من استطعت منهم بصوتك ويؤيد الوجه الثاني تمام الآية وهو قوله (توزهم أزا) فإن الأزا والأزير والهز والهزير والاستفزاز أخوات معناها التحريك والتهيج وشدة الأزعاج فاخبر الله سبحانه أن الشياطين تحرك الكافرين وتهيجهم وتغويهم وتغريهم على المعاصي بالتسويبات وتحبيب الشهوات وذلك هو التسليط لها عليهم وقيل معنى الأزا الاستعجال وهو مقارب لما ذكرنا لأن الاستعجال تحريك وتهيج واستفزاز وأزعاج وسباق هذه الآية لتعجيب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حالهم وللتنبية على أن جميع ذلك باضلال الشياطين واغوائهم والجلالة حالية من الشياطين أو من الكافرين أو منهما أو مستأنفة كأنه قيل ماذا فعل الشياطين بهم قال ابن عباس توزهم أزا تغويهم أزا تغويهم واغواء وتحرض المشركين على محمدا وأصحابه وقال ترتجهم أزعاجا إلى معاصي الله وفي الآية دليل على أن الله مدبر جميع الكائنات (فلا تعجل عليهم) بأن تطلب من الله إهلاكهم بسبب تصميمهم على الكفر وعنادهم للعق وتغريهم عن داعي الله سبحانه حتى تستريح أنت والمؤمنون من شرورهم وتظهر الأرض من فسادهم ثم علل سبحانه هذا النهي بقوله (إنما نعد لهم عدا) يعني نعد الأيام والليالي والشهور والسنين من أعمارهم إلى انتهاء آجالهم فلا نهمل ما يفتح منهم بل نضبط عليهم حتى نؤاخذهم به وقيل نعد انفسهم وقيل خطواتهم وقيل لحظاتهم وقيل الساعات وقال قطرب نعد أعمالهم وقيل المعنى لا تعجل عليهم إنما تؤخرهم ليزدادوا عدا قال الشهاب إن العد كناية عن القلة ولا ينافي هذا ما مر من أنه عد لمن كان في الضلالة لأنه بالنسبة لظواهر الحال عندهم وهو قليل باعتبار عاقبته وعند العد ثم لما قرر سبحانه أمر الحشر وأجاب عن شبهة منكريه أراد أن يشرح حال المكلفين حينئذ فقال (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا) أي إذا كرناهم صلى الله عليه وآله وسلم يوم الحشر إلى الرحمن حشرهم إلى جنته ودار كرامته كقوله أني ذاهب إلى ربي والوفد جمع وفاد كالركب جمع ركب والحبب جمع صاحب يقال وفدي وفدا إذا خرج إلى ملك أو أمر خطير كذا قال الجوهري وعن ابن عباس قال وفد دار بكنا وعن أبي هريرة قال قال الأبل وعن علي قال علي نوق وفي

خلال الديار رأى ملكوا بلادكم وسلطوا عليكم أي يوتئكم أي يهينوا وسطها وانصرفوا ذاهبين وجائين لا يخافون الصيحين أحدا وكان وعدا مفعولا وقد اختلف المفسرون من السلف والخلف في هؤلاء المسلطين عليهم من هم فعن ابن عباس وقتادة أنه جالوت الجزري وجنوده سلط عليهم أولا ثم أدبوا عليه بعد ذلك وقتل داود جالوت ولهذا قال ثم ردنا لكم الكرة عليهم الآية وعن سعيد بن جبير أنه ملك الموصل واختار يب وجنوده وعنه أيضا وعن غيره أنه يجتصر ملكا يابل وقد ذكر ابن أبي حاتم قصة عجيبة في كيفية ترقيه من حال إلى حال إلى أن ملك البلاد وأنه كان فقيرا مقعدا ضعيفا يستعطي الناس ويستطعمهم ثم آل به الحال إلى

ما آل وانه سار الى بلاد بيت المقدس فقتل بها خلقا كثيرا من بني اسرائيل وقد روى ابن جرير في هذا المكان حديثا أسنده عن
 حذيفة مرفوعا مطولا وهو حديث موضوع لا محالة لا يستريب في ذلك أدنى من عنده معرفة بالحديث والعجب كل العجب كيف
 راج عليه مع جلالة قدره وامانته وقد صرح شيخنا الحافظ العلامة أبو الحجاج المزي رحمه الله بانه موضوع مكذوب وكتب ذلك على
 حاشية الكتاب وقد وردت في هذا آثار كثيرة اسرايلية لم أر تطويل الكتاب بذكرها لأن منها ما هو موضوع من وضع بعض
 زنادقتهم ومنها ما قد يحتل ان يكون صحيحا ونحن في غنية عنها والله الحمد (٤٥) وفيما قص الله علينا في كتابه غنية عما سواه

من بقية الكتب قبله ولم يحوجنا
 الله ولا رسوله اليهم وقد أخبر الله
 عنهم انهم لما طغوا وبغوا سلط الله
 عليهم عبدوهم فاستباح يضتهم
 وسلط خلال بيوتهم وأذلهم وقهرهم
 جزاء فاقا وما ربك بظلام للعبيد
 فانهم كانوا قد تردوا وقتلوا خلقا
 من الانبياء والعلماء وقد روى ابن
 جرير حديثي يونس بن عبد الاعلى
 حدثنا ابن وهب أخبرني سليمان
 ابن بلال عن يحيى بن سعيد قال
 سمعت سعيد بن المسيب يقول ظهر
 بختنصر على الشام فحرب بيت
 المقدس وقتلهم ثم أتى دمشق
 فوجد بها دما يغلى على كفا سألهم
 ما هذا الدم فقالوا أدر كآباءنا
 على هذا وكلما ظهر عليه
 الكيما ظهر قال فقتل على ذلك الدم
 سبعين ألفا من المسلمين وغيرهم فكن
 وهذا صحيح الى سعيد بن المسيب
 وهذا هو المشهور وأنه قتل أشرفهم
 وعلماءهم حتى انه لم يبق من يحفظ
 التوراة وأخذ معه منهم خلقا
 كثيرا أسرى من أبناء الانبياء
 وغيرهم وجرت أمور وكواثر يطول

الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحشر
 الناس يوم القيامة على ثلاث طرائق راغبين وراغبين اثنان على بعير وثلاثة على بعير
 واربعة على بعير وعشرة على بعير وتحشر بقيتهم النار تقبل معهم حيث قالوا وتبيت معهم
 حيث بانوا وتصيح معهم حيث أصبحوا وتسعى معهم حيث أمسوا والاحاديث في هذا الباب
 كثيرة جدا وقيل يركبون من أول خروجهم من القبور وهو ظاهر الآية وقيل من
 منصرفهم من الموقف وعلى كلا القولين فيسترون راكبين حتى يقرعون باب الجنة
 (ونسوق الجرمين) أي الكافر ينكثهم كالثاقب الهائم (الى جهنم وردا) مشاة عطاشا
 والسوق الحث على السير والورد العطاش قاله الاخفش وغيره وبه قال ابن عباس وأبو هريرة
 وقال القراء وابن الاعرابي هم المشاة وقال الأزرقي هم المشاة العطاش كالابل ترد الماء
 وقيل ورد أي للورد كقولك جئت اكراما أي للاكرام وقيل افرادا قيل ولا تنافض
 بين هذه الاقوال فهم يساقون مشاة عطاشا افرادا أو اصل الورد الجماعة التي ترد الماء من
 طير أو ابل أو قوم أو غير ذلك والورد الماء الذي يورد وقيل يساقون الى النار باهانة
 واستخفاف كأنهم نعم عطاش تساق الى الماء (لا يملكون الشفاعة) جملة مستأنفة لبيان
 بعض ما يكون في ذلك اليوم من الامور والضمير راجع الى الفريقين وقيل للمتقين خاصة
 وقيل للمجرمين خاصة والاول أولى والمعنى انهم لا يملكون ان يشفعوا لغيرهم وقيل
 لا يملك غيرهم ان يشفع لهم والاول أولى (الامن اتخذ عند الرحمن عهدا) هذا الاستثناء
 متصل على الوجه الاول أي لا يملك الفريقان المذكوران الشفاعة الا لمن تحلى واستأهل
 واستعد لذلك بما يصير به من جملة الشافعين لغيرهم بان يكون مؤمنا متقياف هذا معنى اتخاذ
 العهد عند الله وقيل معناه ان الله أمره بذلك كقولهم عهد الامير الى فلان بكذا اذا أمره
 به وقال ابن عباس شهادة ان لا اله الا الله وبيرأمن الحول والقوة ولا يرجو الا الله وعنه
 قال من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة وقيل غير ذلك وأما على الوجه الثاني فالاستثناء
 منقطع لان التقدير لا يملك المجرمون الشفاعة الا لمن اتخذ عند الرحمن عهدا وهم المسلمون
 والاول أوجه وبه جزم البضاوي كالكشف وقيل متصل على هذا الوجه أيضا والتقدير
 لا يملك المجرمون الشفاعة الا لمن كان منهم مسلما ودلت الآية على حصول الشفاعة لاهل
 البكائر وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

ذكرها ولو وجدنا ما هو صحيح أو ما يقارب به لجاز كتابته وروايته والله أعلم ثم قال تعالى ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلهما
 أي فعلهما كما قال تعالى من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وقوله فاذا جاء وعد الآخرة أي الكفرة الآخرة أي اذا فسدتم
 الكفرة الثانية وجاء أعداؤكم ليسوا ووجوهكم أي يهيمونكم ويتهرونكم وليدخلوا المسجد أي بيت المقدس كما دخلوه أول مرة أي
 في التي جاسوا فيها خلال الديار وليتبروا أي يدمروا ويحرقوا ما علوا أي ما ظهروا وعليه تبيها عسى ربكم أن يرجحكم أي
 فيصرفهم عنكم وان عدتم عدنا أي متى عدتم الى الافساد عدنا الى الادانة علمكم في الدنيا مع ما نجزه لكم في الآخرة من العذاب

والنكال ولهذا قال وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا أى مستقرا ومحصرا وسجنا لا محيد لهم عنه قال ابن عباس حصيرا أى سجننا وقال مجاهد يحصرون فيها وكذا قال غيره وقال الحسن فراش ومهاد وقال قتادة قد عاد بنو بني إسرائيل فسلط الله عليهم هذا الحى محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه يأخذون منهم الجزية عن يدهم صاغرون (ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عذابنا أليم) يدح تعالى كتابه العزيز الذى أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم (٤٦) وهو القرآن يهدي لأقوم الطرق وأوضح السبل ويبشر المؤمنين به

الذين يعملون الصالحات على مقتضاه أن لهم أجرا كبيرا أى يوم القيامة وان الذين لا يؤمنون بالآخرة أى ويبشر الذين لا يؤمنون بالآخرة ان لهم عذابا أليما أى يوم القيامة كما قال تعالى فيبشرهم بعذاب أليم (ويدع الانسان وكان الانسان عجولا) يخبر تعالى عن عجلة الانسان ودعائه في بعض الاحيان على نفسه أو ولده أو ماله بالشر أى بالموت أو الهلاك والدمار واللعنة ونحو ذلك فلو استجاب لربه لهلاك بدعائه كما قال تعالى ولو يجعل الله للناس الشر الآية وكذا فسر ما بن عباس ومجاهد وقتادة وقد تقدم في الحديث لا تدعوا على أنفسكم ولا على أموالكم أن توافقوا من الله ساعة يستجيب فيها وانما يحمل ابن آدم على ذلك قلقه وعجلته ولهذا قال تعالى وكان الانسان عجولا وقد ذكر سلمان الفارسي وابن عباس ههنا قصة آدم عليه السلام حين هم بالنهوض قائما قبل أن تصل الروح الى رجليه وذلك انه جاءته النفخة من قبل رأسه فلما وصلت الى

من أدخل على مؤمن سرورا فقد سرني ومن سرني فقد اتخذ عند الرحمن عهدا فلا تخسه النار ان الله لا يخاف الميعاد وأخرج الطبراني في الاوسط عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جاء بالصلوات الخمس يوم القيامة قد حافظ على وضوءها ومواقيتها وركوعها وسجودها لم ينقص منها شيئا جاء له عند الله عهد ان لا يعذبه ومن جاء قد انتقص منها شيئا فليس له عند الله عهد ان شاء عذبه (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) قرئ بفتح الواو وضمتها كما تقدم والجملة مستأنفة لبيان قول اليهود والنصارى ومن يزعم من العرب ان الملائكة بنات الله (لقد جئتم شيئا اذًا) فيه التفات من الغيبة الى الخطاب وفيه رد لهذه المقالة الشنعاء والاذ كما قال الجوهري الداهية والامر النطميع وكذلك الادة وجمع الادة ديد يقال أدت فلانا الداهية تؤده بالضم وتؤده بالكسر وتأده بالفتح اذا دهمته وقرئ بالفتح وقرأ الجمهور بالكسر وقرئ آدامش مل مادا وهى مأخوذة من الثقل يقال آده الحمل يؤده اذا أنثله قال الواحدى اذا أى عظمى فى قول الجميع وبه قال ابن عباس والمعنى قلتم قولا منكرا عظيما وقيل الاداء العجب والادة الشدة والماء فى متقارب التركيب يدور على الشدة والثقل (تسكد السموات يتفطرن منه) قرئ بالتحية وبالنفوقية وقرئ يتفطرون من الانظطار واختاره أبو عبيد لقوله اذا السماء انفطرت وقوله السماء منفطر به وقرأ ابن مسعود يتصدعن والانظطار والتفطر التثقيق (وتنشق الارض) كرر الفعل للتأكيده لان يتفطرن وتنشق معناه ما واحد أى تحسف بهم (وتنخر) أى تسقط وتنهدم (الجبال هدا) قال ابن عباس هدا هدا لان الشرى فزعت منه السموات والارض والجبال وجميع الخلائق الا النقلين وكادت تزول منه لعظمة الله سبحانه وكما لا يمنع مع الشرى احسان المشرى كذلك نرجو أن يغفر الله ذنوب الموحدين وانتصاب هدا على انه مصدر مؤكد لان الخروفي معناه وهو مصدر لثقل مقدرا أى وتنهد هدا أو على الحال أى مهدودة أو على انه مفعول له أى لانها تنهد قال الهروي هدى الامر وهدر كنى أى كسرني وبلغ منى قال الجوهري هدى البناء يدها كسره ضعه وهده المصيبة وهنت ركنه وانهد الجبل أى انكسر والهد صوت وقع الحائط كما قال ابن الاعرابى (أن) أى لان (دعوا) أو من أجل ان جعلوا (لارجن ولدا) وقال الكسائي هو بتقدير الخافض وقيل فى محل رفع على انه فاعل هدا أى هدا دعاء الولد والدعاء بمعنى التسمية أى

دماغه عطس فقال الحمد لله فقال الله يرحم ربك يا آدم فلما وصلت الى عينيه فتحهما فلما سرت الى أعضائه سموا

وجسده جعل ينظر اليه ويحبه فهم بالنهوض قبل أن تصل الى رجليه فلم يستطع وقال يارب عجل قبل الليل (وجعلنا الليل والنهار عتین فجونا بآية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلوا عدد السنين والحساب وكل شئ فصلناه تفصيلا) عتین تعالى على خلقه بآياته العظام فيها مخالفته بين الليل والنهار ليسكنوا فى الليل ويتشروا فى النهار للعباد والصنائع والاعمال والاسباق ولعلوا عدد الايام والجمع والشهور والاعوام ويعرفوا مضى الاجال المضروبة للديون والعبادات والمعاملات والابارات

وغير ذلك ولهذا قال لتبتغوا فضلا من ربكم أي في معاشكم وأسفاركم ونحو ذلك ولتعملوا عدد السنين والحساب فانه لو كان الزمان كله نسقا واحدا واسلوبا متساويا لما عرف شيء من ذلك كما قال تعالى قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة من الذي غير الله يأتكم بضياء فلا تسمعون قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة من الذي غير الله يأتكم بليل تسكنون فيه فلا تبصرون ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وقال تعالى تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرانيرا (٤٧) وهو الذي جعل الليل والنهار خلفته لمن أراد ان يذكر أو أراد شكورا وقال

تعالى وله اختلاف الليل والنهار وقال يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى ألا هو العزيز الغفار وقال تعالى فالتق الاصبح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم وقال تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ثم انه تعالى جعل ليل آية أي علامة يعرف بها وهي الظلام وظهور القمر فيه وللنهار علامة وهي النور وطلوع الشمس النسبة فيه وفاتت بين نور القمر وضياء الشمس ليعرف هذا من هذا كما قال تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق الى قوله لا يات لقوم يتقون وقال تعالى يسألونك عن الاهل قل هي مواقيت للناس والحج الآية قال ابن جرير عن عبد الله بن كثير في قوله فجعلنا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة قال ظلمة الليل وسدف النهار وقال ابن

سهم الرحمن ولدا أو بمعنى النسبة أي نسبه والدا (و) الحال انه (ما ينبغي) أي لا يصلح (للرحمن) ولا يليق به (ان يتخذ ولدا) لاستحالة ذلك عليه لان الولد يقتضي الجنسية والحدوث (ان كل من في السموات والارض) أي ما كل من فيهما (الا) وهو (أبى الرحمن) وحداني وآتيه الا في جملة على لفظ كل وهو اسم فاعل من أتى وهو مستقبل أي يأتيه يوم القيامة (عبدا) مقربا بالعبودية خاضعا لذليلهم عزيز وعيسى كما قال وكل أولوه آخر ين أي صاغرين والمعنى ان الخلق كلهم عبيده فكيف يكون واحد منهم ولدا (وقرئ آت على الاصل (لقد أحصاهم) أي حصرهم بعلم وعلم عددهم وأحاط بهم (وعدهم عدا) أي عددا تخاصهم وانفاسهم وأفعالهم وأيامهم وآثارهم بعد أن حصرهم فلا يخفى عليه أحد منهم ولا شيء من أمورهم (وكلهم) أي كل واحد منهم تحت قهره وقدرته وتدبيره (آتيه يوم القيامة فردا) أي وحيدا لا ناصر له ولا مال معه كما قال سبحانه يوم لا ينفع مال ولا بنون ثم ذكر الله سبحانه من أحوال المؤمنين بعض ما خصهم به بعد ذكره لقبا لمح الكافرين فقال (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) الجمهور من السبعة وغيرهم على ضم الواو وقرئ بكسر هاو ففتحها أي حبا في قلوب عبادي يجعل لهم من دون ان يطلبوه بالاسباب التي توجب ذلك كما يقذف في قلوب أعدائهم الرعب وهذا الجعل في الدنيا والدين للدلالة على ان ذلك لم يكن من قبل وانه مجعول من بعد نزول الآية لان المؤمنين كانوا بمكة حال نزول هذه الآية وكانوا بمقوتين حينئذ بين الكفرة فوجدهم الله تعالى بذلك اذا ظهر الاسلام فألف الله تعالى بين قلوب المؤمنين ووضع فيها المحبة أوفى القيامة حين تعرض حسنتهم على رؤس الاشهاد فينزعه ما في صدورهم من الغل وعن ابن عباس قال نزلت في علي بن أبي طالب والمعنى محبة في قلوب المؤمنين وعن البراء قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي قل اللهم اجعل لي عندك عهدا واجعل لي عندك ودا واجعل لي في صدور المؤمنين مودة فانزل الله الآية في علي أخرجه ابن مردويه والديلمي وعن ابن عباس قال محبة في الناس في الدنيا وعن علي قال سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن هذه الآية ما هو قال المحبة الصادقة في صدور المؤمنين وثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال اذا أحب الله عبد نادى جبريل اني قد أحببت فلانا فاجبه فينادي في

جرير عن مجاهد الشمس آية النهار والقمر آية الليل قال السواد الذي في القمر وكذلك خلقه الله تعالى وقال ابن جرير كان القمر يضيء كقاضى الشمس والقمر آية الليل والشمس آية النهار فجعلنا آية الليل السواد الذي في القمر وقدرى أبو جعفر بن جرير من طرق متعددة جيدة ان ابن الكوا أسأل امير المؤمنين علي بن أبي طالب فقال يا امير المؤمنين ما هذه اللطخة التي في القمر فقال ويحك أما تقرأ القرآن فجعلنا آية الليل فهذه نحوه وقال قتادة في قوله فجعلنا آية الليل كأنه حدث ان محمدا آية الليل سواد القمر الذي فيه جعلنا آية النهار مبصرة أي منيرة وخلق الشمس أنور من القمر وأعظم وقال ابن أبي شيبة عن ابن عباس وجعلنا الليل والنهار

آتين قال ليلاً ونهاراً كذلك خلقهما الله عز وجل (وكل انسان ألزمنه طائر في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً
 اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً) يقول تعالى بعد ذكر الزمان وذكر ما يقع فيه من أعمال بني آدم وكل انسان ألزمنه
 طائر في عنقه وطائر هو طائر عنقه من عمله كما قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما من خير بشر ويلزم به ويجازى عليه في عمله
 مثقال ذرة خير به ومن يعمل مثقال ذرة شراً يرده وقال تعالى عن العيين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقال
 وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون (٤٨) الآية وقال انما تجزون ما كنتم تعملون وقال من يعمل سوءاً يجزيه

والمقصود ان عمل ابن آدم محفوظ
 عليه قليلاً وكثيره ويكتب عليه ليلاً
 ونهاراً صباحاً ومساءً وقال الامام
 أحمد حدثنا قتيبة حدثنا ابن لهيعة عن
 أبي الزبير عن جابر سمعت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يقول لطائر كل
 انسان في عنقه قال ابن لهيعة حتى
 الطيرة وهذا القول من ابن لهيعة
 في تفسير هذا الحديث غريب
 جدا والله أعلم وقوله ونخرج له يوم
 القيامة كتاباً يلقاه منشوراً أي
 نجمع له عمله كله في كتاب يعطاه يوم
 القيامة اما به منه ان كان سعيداً
 أو بشماله ان كان شقيماً منشوراً
 أي مفتوحاً يقرؤه وهو وغيره فيه
 جميع عمله من اول عمره الى آخره
 ينبا الانسان يومئذ بما قدم وأخر
 بل الانسان على نفسه بصيرة ولو
 ألقى معاذيره ولهذا قال تعالى اقرأ
 كتابك كفى بنفسك اليوم عليك
 حسيباً أي انك تعلم انك لم تظلم ولم
 يكتب عليك الا ما عملت لانك
 ذكرت جميع ما كان منك ولا ينسى
 أحداً شيئاً مما كان منه وكل احد يقرأ
 كتابه من كاتب وأمر وقوله ألزمنه
 طائر في عنقه انما ذكر العنق لانه
 عضو من الاعضاء لا نظيره في

السماء ثم ينزل له المحبة في أهل الارض فذلك قوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سنجعل
 لهم الرجن ودا واذا أبغض الله عبداً نادى جبريل اني قد أبغضت فلان فنادى في أهل
 السماء ثم ينزل البغضاء في الارض والاحاديث والآثار في هذا الباب كثيرة ثم ذكر سبحانه
 تعظيم القرآن خصوصاً هذه السورة لاشتغالها على التوحيد والنسبة وبيان حال المعاندين
 فقال (فأنما يسرناه) أي القرآن بانزاله (بلسانك) أي على لسانك العربية وفصلناه
 وسرنا له والباء بمعنى على والفاء لتعليل كلام ينساق اليه النظم الكريم كانه قيل بلغ هذا
 المنزل أو بشر به وأذربه فأنما يسرناه الآية ثم علل ما ذكره من التيسير فقال (لتبشر به
 المتقين) أي المتلبسين بالتقوى المتصفين بها (وتذبره قوماً لدا) ولو أنزلناه بغيره لم
 يتيسر التبشير ولا الانذار لعدم فهم المخاطبين لغیر العربية واللذجع الادب وهو الشديد
 الخصومة ومنه قوله تعالى ألد الخصام وقال أبو عبيدة الاد الذي لا يقبل الحق ويدعي
 الباطل وقيل اللد الصم وقيل الظلمة وقال ابن عباس لد الخار عن الحسن قال
 سماه عن الحق (وكم أهمل كتابهم من قرن) أي أمة وجماعة من الناس وفي هذا وعد
 لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بهلاك الكافرين ووعد لهم وتخويف وانذار (هل
 تحس منهم من أحد) هذه الجملة مقرر لمضمون ما قبله أي هل تشعر باحد من القرون
 أو تراهم أو تجد أو تعلم والاحساس الادراك بالحاسة والحواس خمس والحس والحسيس
 الصوت الخفي (أو تسمع لهم ركزا) الركز الخفاء والصوت الخفي ومنذر كزالمرح اذا غيب
 طرفه في الارض وقال اليزيدي وأبو عبيدة الركز ما لا يفهم من صوت أو حركة وقال
 سعيد بن جبیر هل ترى منهم من أحد ركز اصواته وقال ابن عباس والمعنى لما أناهم
 عذاباً لم يبق شخص يرى ولا صوت يسمع يعني هلكوا كلهم قال الحسن بادوا جميع عافم
 يبق منهم عين ولا أثر يعني فكذلك هؤلاء ان أعرضوا عن تدبر ما أنزل عليك فعاقبتهم الهلاك
 فليهن عليك أمرهم والله أعلم بالصواب

* (سورة طه آياتها مائة وخمس وثلاثون آية أو أربعون واثنتان) *

قال القرطبي مكية في قول الجميع وبه قال ابن عباس وابن الزبير وقال السيوطي
 في الاتقان استثنى منها فاصبر على ما يقولون وأخرج ابن مردويه عن أبي امامة عن
 النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال كل القرآن يوضع عن أهل الجنة فلا يقرؤون منه شيئاً

الا
 الحسد ومن ألزمني شيء فيه فلا يحيدله عنه كما قال الشاعر اذهب بها اذهب بها * طوقها طوق الحامة
 قال قتادة عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا عروى ولا طيرة وكل انسان ألزمنه طائر في عنقه
 كذا رواه ابن جرير وقد رواه عبد بن حميد في مسنده متصلاً فقال حدثنا الحسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة عن أبي الزبير
 عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول طائر كل عبد في عنقه وقال الامام أحمد حدثنا علي بن اسحق حدثنا
 عبد الله حدثنا ابن لهيعة حدثنا يزيد بن ابا الخير حدثنا انه سمع عقبه بن عامر يحدث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ليس

من عمل يوم الا وهو يختم عليه فاذا مرض المؤمن قالت الملائكة يا ربنا عبدك فلان قد حبسته فيقول الرب جل جلاله اختموا له على مثل عمله حتى يبرأ او يموت اسناده جيد قوى ولم يخرجوه وقال معمر عن قتادة الزمناه طائرته في عنقه قال عمله ونخرج له يوم القيامة قال نخرج ذلك العمل كتابا يلقاه منشورا قال معمر ونلا الحسن البصري عن اليين وعن الشمال قعيد يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ووكلك ملكان كريان أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك فاما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك وأما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك فاعمل ما شئت أقل أو أكثر حتى اذا مت طويت (٤٩) صحيفة فخلعت في عنقك معك في قبرك حتى

تخرج يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك الانية فقد عدل والله من جعلك حسيب نفسك هذا من حسن كلام الحسن رحمه الله

(من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليه ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) يخبر تعالى ان من اهتدى واتبع الحق واقتفى أثر النبوة فانما يحصل عاقبة ذلك الجيدة لنفسه ومن ضل أى عن الحق وزاغ عن سبيل الرشاد فانما يجنى على نفسه وانما يعود وبال ذلك عليه ثم قال ولا تزر وازرة وزر أخرى أى لا يحمل أحد ذنب أحد ولا يجنى جان الاعلى نفسه كما قال تعالى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شئ ولا منفاة بين هذا وبين قوله ولا يحملن اثناهن وقوله ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم فان الدعاة عليهم اثم ضلالتهم في انفسهم واثم آخر بسبب ما أضلوا من أضلوا من غير ان ينقص من اوزار أولئك ولا يحمل عنهم شئ وهذا من عدل الله ورحمته بعباده وكذا قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا اخبار

الاسورة طه ويس فانهم يقرؤون بها في الجنة وعن أنس بن مالك فذكر قصة عمر بن الخطاب مع أخته وخباب وقرأتهم طه وكان ذلك سبب اسلام عمرو والقصة مشهورة في كتب السير

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(طه) قد اختلف أهل العلم في معنى هذه الكلمة على أقوال الاول انها من المتشابه الذي لا يفهم المراد به والثاني انها بمعنى يارجل في لغة عكل وفي لغة (١) عك قال الكلبي لوقات لرجل من عك يارجل لم يجب حتى تقول طه وقيل انها في لغة عك بمعنى يا حبيبي وقال قطرب هي كذلك في لغة طى أى بمعنى يارجل وكذا قال الحسن وعكرمة وقيل هي كذلك في اللغة السريانية حكاه المهدى وحكى ابن جرير انها كذلك في اللغة النبطية وبه قال السدي وسعيد بن جبير وحكى عن عكرمة انها كذلك في لغة الحبشة ولا مانع من أن تكون هذه الكلمة موضوعة لذلك المعنى في تلك اللغات كلها اذا صح النقل الثالث انها اسم من أسماء الله سبحانه الرابع انها اسم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم الخامس انها اسم للسورة السادس انها حرف مقطعة يدل كل واحد منها على معنى ثم اختلفوا في هذه المعاني التي تدل عليها هذه الحروف على أقوال كلها متكفئة متعسفة السابع ان معناها طوبى لمن اهتدى الثامن ان معناها طأ الارض يا محمد قال ابن الانباري وذلك ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يتحمل مشقة الصلاة حتى كادت قدماه تتورم ويحتاج الى التروح فقبل له طأ الارض أى لا تعب حتى تحتاج الى التروح وحكى القاضي عياض في الشفاء عن الربيع ابن أنس قال كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا صلى قام على رجل ورفع الأخرى فانزل الله طه بمعنى طأ الارض يا محمد وعن الحسن البصري انه قرأ طه على وزن دع أمر بالوطء والاصل طأ فقلبت الهمزة هاء التاسع انه قسم أقسم الله بطلوه وهذا به وعن أكثر المفسرين ان معناها يارجل يريد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو قول الحسن وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك وقتادة ومجاهد وابن عباس غير ان بعضهم يقول انها بلسان الحبشة والنبطية والسريانية ويقول الكلبي هي بلغة عك كما مر قال ابن الانباري ولغة قريش وافقت تلك اللغة في هذا المعنى لان الله سبحانه لم يخاطب نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بلسان غير قريش انتهى واذا تقرر ان هذا المعنى في لغة من لغات العرب كانت ظاهرة

(٧ - فتح البيان سادس) عن عدله تعالى وانه لا يعذب أحدا الا بعد قيام الحجة عليه بأرسال الرسول اليه كقوله تعالى كلما التي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شئ ان أنتم الا في ضلال كبير وكذا قوله وسبق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤوها فتمت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين وقال تعالى وهم يصطرون فيها ربنا (١) عك قبيلة من قبائل العرب اه خازن

اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا لعذاب اللظالمين من نصير الى غير ذلك من الآيات الدالة على ان الله تعالى لا يدخل أحدا النار الا بعد ارسال الرسول اليه ومن ثم طعن جماعة من العلماء في اللفظة التي جاءت مجمعة في صحيح البخاري عند قوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين حدثنا عبد الله بن سعد حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن صالح ابن كيسان عن الاعرج باسناده الى أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اختصمت الجنة والنار فذكر الحديث الى ان قال وأما الجنة فلا يظلم الله من خلقه أحد وأنه (٥٠) ينشئ للنار خلقا فيلقون فيها فتقول هل من مزيد ثلاثا وذكروا تمام

الحديث فهذا انما جاء في الجنة لانها دار فضل وأما النار فانما دار عدل لا يدخلها أحد الا بعد الاعذار اليه وقيام الحجة عليه وقد تكلم جماعة من الحفاظ في هذه اللفظة وقالوا لعله انقلب على الراوي بدليل ما أخرجه في الصحيحين واللفظ للبخاري وعبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم تحتاج الجنة والنار فذكر الحديث الى ان قال فاما النار فلا تمتلئ حتى يضع فيها قدمه فتقول قط قط فهنا لا تمتلئ ويروي بعضها الى بعض ولا يظلم الله من خلقه أحد وأما الجنة فان الله ينشئ لها خلقا بقي ههنا مثله قد اختلف الأئمة رحمهم الله تعالى فيها قديما وحديثا وهي الولدان الذين ماتوا وهم صغار وآباؤهم كفار ماذا يكلمهم وكذا الجنون والاسم والشيخ الخرف ومن مات في الفترة ولم تبلغه دعوة وقد ورد في شأنهم أحاديث أنا أذكرها لك يعون الله وتوفيقه ثم ذكر فصله المخلصان كلام الأئمة في ذلك والله المستعان فالحديث الاول عن الاسود بن سريع قال الامام أحمد حدثنا علي

المعنى واضحة الدلالة خارجة عن فوائح السور التي قدمنا بيان كونها من المتشابهة في فاتحة سورة البقرة وهم كذلك اذا كانت لهذا المعنى في لغة من لغات العجم واستعملتها العرب في كلامها في ذلك المعنى كسائر الكلمات العجمية التي استعملتها العرب الموجودة في الكتاب العزيز فانها اصارت بذلك الاستعمال من لغة العرب قال النسفي وما روى ان معناه يارب جل فان سمع فظاهر والا فالحق ما هو المذكور في سورة البقرة انتهى ولذا قال المحلى الله أعلم بمراده بذلك (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) مستأنفة مسوقة لتسليدة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عما كان يعتربه من جهة المشركين من التعب والشقاء يجي في معنى التعب وشأنه فيه قال ابن كيسان وأصل الشقاء في اللغة التعب والعناء ولعله عدل اليه للاستعارة بانه أنزل عليه ليسعد والمعنى ما أنزلنا عليك يا محمد القرآن لتتعب بفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم وتحسر لك على ان يؤمنوا لعلنا نعلمك الان بلغ فهو كقوله سبحانه فلعننا ما خضع نفسك قال النحاس بعض النحاة يقول هذه اللام في لتشقى لام النفي وبعضهم يقول لام الخلود وقال ابن كيسان هي لام الخفض وهذا التفسير للاية على قول من قال ان طه كسائر فوائح السور التي ذكرت تعديدا لاسماء الحروف وان جعلت اسماء السور كان قوله ما أنزلنا الخ خبرا عنها وأما على ان معناها يارب جل أو بمعنى الامر بوطء الارض فتكون الجملة مستأنفة أيضا مسوقة لصره صلى الله عليه وآله وسلم عما كان عليه من المبالغة في العبادة وعن ابن عباس قال ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أول ما أنزل عليه الوحي كان يقوم على صدر قدميه اذا صلى فانزل الله طه الآية وعنه قال قالوا لقد شقى هذا الرجل بر به فانزل الله هذه الآية وعنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا قام من الليل يربط نفسه بحبل لئلا ينام فانزل الله هذه الآية وعن علي كان يراوح بين قدميه يقوم على كل رجل حتى نزلت هذه الآية وحسن السير طي اسناده وانتصاب (الانذكرة) على انه مفعول لانزلنا كقولك ما نذر بذلك للتأديب الاشفاقا عليك وقال الزجاج هو بدل من لتشقى أي ما أنزلناه الانذكرة وانكره أبو علي الفارسي من جهة ان التذكيرة ليست الشقاء قال وانما هو منصوب على المصدرية أي أنزلناه التذكيرة تذكيرة أو على المفعول من أجله أي ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى به ما أنزلناه الا للتذكيرة وقيل الاستثناء منقطع لان التذكيرة ليست من جنس الشقاء الذي أي لكن أنزلناه عظة (لمن يحشى)

ابن عبد الله حدثنا عاذ بن هشام حدثنا أبي عن قتادة عن الاحنف بن قيس عن الاسود بن سريع أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال أربعة يحتجبون يوم القيامة رجل أصم لا يسمع شيئا ورجل أحمق ورجل هرم ورجل مات في فترة فاما الاسم فيقول رب قد جاء الاسلام وما أعشى شيئا أو ألاما لا حتى فيقول رب لقد جاء الاسلام واصبان يحذفوني بالبعر وأما الهرم فيقول رب لقد جاء الاسلام وما أعشى شيئا أو ألاما الذي مات في الفترة فيقول رب ما أناني للرسول فيأخذ موثقة لهم ليطيعه منه فيرسل اليهم ان ادخلوا النار فوالذي نفسي بيده لو دخلوها لكانت عليهم بردا وسلاما وبالاسناد عن قتادة عن الحسن عن أبي رافع عن أبي هريرة

مثله غير انه قال في آخره فن دخلها كانت عليه رد اوس لا ما ومن لم يدخلها يسحب اليها وكذا رواه اسحق بن راهويه عن معاذ بن هشام ورواه البيهقي في كتاب الاعتقاد من حديث حنبل بن اسحق عن علي بن عبد الله المديني به وقال هذا اسناد صحيح وكذا رواه جاد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي رافع عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة كلهم يدلي على الله بجمعة فذكر نحوهم ورواه ابن جرير من حديث معمر عن همام عن أبي هريرة فذكره مرفوعاً ثم قال أبو هريرة أقروا أن شتمت وما كنا معذبين حتى تبعث رسولا كذا رواه معمر عن عبد الله بن طاوس عن (٥١)

الثاني عن أنس بن مالك قال أبو داود الطيالسي حدثنا الربيع عن يزيد هو ابن أبان قال قلنا لانس يا أبا حنزة ما تقول في أطفال المشركين فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن لهم سيئات فيعذبون بها فيكونون من أهل النار ولم يكن لهم حسنات فيجوزوا بهم فيها كونوا من أهل الجنة الحديث الثالث عن أنس أيضا قال الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو خزيمة حدثنا جرير عن ليث عن عبد الوارث عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوثق بأربعة يوم القيامة بالمولود والمعنود ومن مات في الفترة والشيخ الفاني كلهم يتكلم بحجته فيقول الرب تبارك وتعالى لعنق من النار برزوي يقول لهم اني كنت أبعث الى عبادي رسلا من انفسهم واني رسول نفسي اليكم ادخلوا هذه قال فيقول من كتب عليه الشقاء يارب أني ندخلها ومنها كأنفر قال ومن كتب عليه السعادة يمضي فيقتحم فيها مسرعا قال فيقول الله تعالى أنتم لرسلي أشد تكذبا ومعصية فيدخل هؤلاء الجنة هؤلاء النار

أى لمن خاف الله أول من يؤل أمره الى الخشية أول من في قلبه خشية ورقة يتأثر بالانزال أول من علم الله انه يخشى بالتخوف منه فانه المستمع وكأنه يشير الى ان اللام في لمن للعاقبة (تزيلا من خلق الارض والسموات العلى) أى أنزلناه تنزيلا أو بدل من تذكرة أو منصوب على المدح أو يخشى تنزيلا من الله أو على الحال بالرفع على معنى هذا تنزيل وتخصيص خلق الارض والسموات ليكون ما أعظم ما يشاهد العباد من مخلوقاته عز وجل والعلى جمع العلى أى المرتفعة بجمع كبرى وصغرى على كبر وصغرى فى الآية اخبار لعباده عن كمال عظمتهم سبحانه وعظيم جلاله (الرجن على العرش) هو فى اللغة السرير وقيل هو ما علا فأظل وسمى مجلس السلطان عرشا اعتبارا بعلوه (استوى) استواء يلقى به قال نعلب الاستواء الاقبال على الشئ وكذا قال الزجاج والقراء وقيل هو كناية عن الملك والعز والسلطان واما استوى بمعنى استقر فتدروا البيهقي فى كتاب الاسماء والصفات بروايات كثيرة عن جماعة من السلف وضعفها كلها وعن مالك الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة قال البغوى أهل السنة يقولون الاستواء على العرش صفة الله بلا كيف يجب على الرجل الايمان به ويكل العلم به الى الله عز وجل وعن الثورى والاوزاعى والليث وابن عيينة وابن المبارك وغيرهم فى أمثال هذه الآيات التى جاءت فى الصفات أقروها كما جاءت بلا كيف وفيه مذهبان الاول القطع بكونه تعالى متعاليا عن المكان والجهة وعدم الخوض فى تأويلها وبه قال الخازن واختاره الثانى الخوض فيه على التفصيل وفيه قولان الاول العرش فى كلامهم هو السرير الذى يجلس عليه الملك فاذا استقام له ملكه واطرد أمره ونفذ حكمه قالوا استوى على عرشه واستوى على سرير ملكه قاله القفال قال الخازن والذى قاله حق وصواب والمراد منه نفاذ القدرة وجرى ان المشيئة ويدل على صحة هذا قوله فى سورة يونس ثم استوى على العرش يدبر الامر فقله يدبر الامر جري مجرى النفس يلقوله ثم استوى على العرش الثانى أن يكون استوى بمعنى استوى وهذا مذهب المعتزلة وجماعة من المتكلمين واحتجوا عليه بقول الشاعر

فداستوى بشر على عراق * من غير سيف ودم مهوراق
وردهذا بان العرب لا تعرف استوى بمعنى استوى وانما يقال استوى فلان على كذا اذا

وهكذا رواه الحافظ أبو بكر البزار عن يوسف بن موسى عن جرير بن عبد الحميد اسناده مثله الحديث الرابع عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال الحافظ أبو يعلى الموصلى فى مسنده أيضا حدثنا قاسم بن أبي شيبه حدثنا عبد الله يعنى ابن داود عن عمر بن ذر عن يزيد بن أبي أمية عن البراء قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اطفال المسلمين قال هم مع آبائهم وسئل عن اولاد المشركين فقال هم مع آبائهم فقيل يا رسول الله ما يعملون قال الله أعلم بهم ورواه عمر بن ذر عن يزيد بن أبي أمية عن رجل عن البراء عن عائشة فذكره الحديث الخامس عن ثوبان قال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار فى مسنده حدثنا ابراهيم بن سعيد

الجوهري حدثنا ریحان بن سعيد حدثنا عباد بن منصور عن أيوب عن أبي قلابة عن أسماء عن ثوبان أن النبي صلى الله عليه وسلم
عظم شأن المسئلة قال إذا كان يوم القيامة جاء أهل الجاهلية يحملون أوزارهم على ظهورهم فيألههم ربهم فيقولون ربنا
لم ترسل إلينا رسولا من قبلنا فلو أرسلت إلينا رسولا لكان أطوع عبادك فيقول لهم ربهم رأيتم أن أمرتكم بأمر تطيعونه
فيقولون نعم فيأمرهم أن يعمدوا إلى جهنم فيدخلوها فينطلقون حتى إذا ذنوبهم أوجدها لله تعالى فظافروا فرجعوا إلى ربهم
فيقولون ربنا أخرجنا وأجرنا منهم فيقول لهم ألم ترعوا أني أن أمرتكم بأمر تطيعونه فيأخذ
(٥٢)

على ذلك موافقة لهم فيقول اعمدوا
إليها فادخلوها فينطلقون حتى
إذا رأوها فرجوا منها ورجعوا فافتلوا
ربنا فرجنا منها ولا نستطيع أن
ندخلها فيقول ادخلوها إذا خرج
فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم
لودخلوها أول مرة كانت عليهم بردا
وسلاما ثم قال البرار ومن هذا
الحديث غير معروف الآمن هذا
الوجه لم يروه عن أيوب الأعمد
ولاعن عباد الأريحان بن سعيد
قلت وقد ذكره ابن حبان في ثقافته
وقال يحيى بن معين والنسائي
لابأس به ولم يرو عنه أبو داود وقال
أبو حاتم شيخ لابأس به يستب
حديثه ولا يثبت به الحديث
السادس عن أبي سعيد معد بن
مالك بن سنان الخدرى قال الإمام
محمد بن يحيى الذهلى حدثنا
سعيد بن سليمان عن فضيل بن
مرزوق عن عطية عن أبي سعيد
قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الهالك في الفترة والمعتوه
والمولود يقول الهالك في الفترة
لم يأتني كتاب ويقول المعتوب

لم يكن في ملكه ثم ملكه واستولى عليه والله تعالى لم يزل ما لا يشاء كاهها ومستوليا
عليها فأدى مخصص للعرش هنادون غيره من المخلوقات وقال أبو الحسن الأشعري المعنى
أن الله مستوعب على عرشه وأنه فوق الأشياء بائن منها لا يتحد ولا يتجلى ولا يماسها ولا يشبهها
وعن ابن الأعرابي جاء رجل فقال ما معنى هذه الآية قال أنه مستوعب على عرشه كما أخبر
فقال الرجل انما معنى قوله استوى استولى فقال له ابن الأعرابي ما يدريك العرب لا تقول
استوى فلان على الشيء حتى يكون له فيه مضاد فأيم مضاد قيل لمن غلب قد استولى عليه
والله تعالى لا مضاد له فهو على عرشه كما أخبر لا كما يظنه البشر وقد تقدم الكلام على هذه
الآية في سورة الأعراف وفيه رسائل مستقلة وكتب مفردة للعفاظ والمحدثين ونزاع قديم
بين المتقدمين والمتأخرين والحق ما ذهب إليه سلف الأمة وأئمتها من إمرار الصفات على
ظواهرها من غير تكليف ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تحريف ولا تنبيه ولا تأويل والذي ذهب
إليه أبو الحسن الأشعري أنه سبحانه مستوعب على عرشه بغير حد ولا كيف وإلى هذا القول
سبقة الجاهل من السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتبعهم والمحدثين الأربعة وأهل
الحديث والآثر الذين يمترون الصفات كما وردت من دون تحريف ولا تعطيل ولا تأويل
والبحث في تحقيق هذا بطول جدا وليس هذا موضع بسط ذلك ردًا وتعقبًا وقد أوضحنا
ذلك أيضا حاشيا في رسالنا الانتقاد الرجيع وهذاية السائل وبغية الرائد وغيرهما فليرجع
إليها قاله الشوكاني (له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما) من الموجودات وقيل يعنى
الهواء (وما تحت الثرى) هو في اللغة التراب الندى فإن لم يكن نديا فهو تراب ولا يقال له
حينئذ ترى أى ماتحت التراب الندى من شئ والمراد الأرضون السبع لأنها ماتحت
الواحدى والمفسرون يقولون أنه سبحانه أراد الثرى الذى تحت الصخرة التى عليه النور
الذى تحت الأرض ولا يعلم ماتحت الثرى إلا الله سبحانه قال قتادة الثرى كل شئ مبتدل
واخرج أبو يعلى عن جابر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سئل ماتحت هذه الأرض قال
الماء قيل فما تحت الماء قال ظلمة قيل فما تحت الظلمة قال الهواء قيل فما تحت الهواء قال
الثرى قيل فما تحت الثرى قال انقطاع علم المخلوقين عند علم الخالق واخرج ابن مردويه عنه
نحوه باطول منه (وان تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى) الجهر بالقول هو رفع الصوت به
والسر ما حدث به الإنسان غيره وأسر إليه وأخفى من السر هو ما حدث به الإنسان

نفسه

لم تجعل لى عقلا أعقل به خيرا ولا شر او يقول المولود رب لم أدرك العقل فترفع لهم نار

فيقال لهم ردوها قال فرددوها من كان في علم الله سعيد الوادرك العمل ويسلك عنهما من كان في علم الله شقيا لو أدرك العمل فيقول
اياى عصيت فكيف لو أن رسلي أتتكم وكذا رواه البزار عن محمد بن عمر بن هياج الكوفي عن عبيد الله بن موسى عن فضيل بن
مرزوق به ثم قال لا يعرف من حديث أبي سعيد الآمن طريقه عن عطية عنه وقال في آخره فيقول الله اياى عصيت فكيف برسل
بالغيب الحديث السابع عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال هشام بن عمار ومحمد بن المبارك الصوري حدثنا عمرو بن واقد عن

يونس بن جليس عن أبي ادريس الخولاني عن معاذ بن جبل عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال يؤتى يوم القيامة بالمسوخ عقلا وبالهالك في الفترة وبالهالك صغيرا فيقول المسوخ يا رب لو آتيتني ما كان من آتيتني عقلا باسعدني وذكري الهالك في الفترة والصغير فحوز ذلك فيقول الرب عز وجل اني امركم بامر فتطيعوني فيقولون نعم فيقول اذهبوا فادخلوا النار قال ولودخلوها ما نرتهم فتخرج عليهم قواص فيظنون انها قد اهلكت ما خلق الله من شيء فيرجعون سرا عانهم يا هرهم الثانية فيرجعون كذلك فيقول الرب عز وجل قبل ان اخلقكم علمت ما انتم عاملون وعلى علمي خلقتكم (٥٣) والى علمي تصيرون ضميرهم فتأخذهم النار

الحديث الثامن عن أبي هريرة رضي الله عنه وأرضاه قد تقدم روايته مندرجة مع رواية الاسود بن سريح رضي الله عنه وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنبع البهيمة بهيمة جماع هل تحسون فيها من جدعاء وفي رواية قالوا يا رسول الله ان رأيت من يموت صغيرا قال الله اعلم بما كانوا عاملين وقال الامام أحمد حدثنا موسى بن داود حدثنا عبد الرحمن بن ثابت عن عطاب بن قرعة عن عبد الله بن سمرة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما علمت أن موسى قال ذارني المسلمين في الجنة يكتفهم ابراهيم عليه السلام وفي صحيح مسلم عن عياض بن حماد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل انه قال اني خلقت عبادي حنفاء وفي رواية لغيره مسلمين الحديث التاسع عن سمرة رضي الله عنه رواه الحافظ أبو بكر البرقاني في كتابه المستخرج على

نفسه وأخطره بياله والمعنى ان تجهر بكرا لله ودعائه فاعلم أنه غني عن ذلك فانه يعلم السر وما هو أخفى من السر فلا حاجة لك الى الجهر بالقول وفي هذا معنى النهي عن الجهر كقوله سبحانه واذا كررت بك في نفسك تضرعا وخيفة وقيل السر ما أسر الانسان في نفسه والاخفى منه هو ما خفي على ابن آدم مما هو فاعلده وهو لا يعلمه وبه قال ابن عباس وزاد فانه يعلم ذلك كله فيما مضى من ذلك وما بقي علم واحد وجميع الخلائق عنده في ذلك ككنفس واحدة وهو كقوله ما خلقكم ولا بعثكم الا ككنفس واحدة وقيل السر ما أسر الانسان في نفسه والاخفى منه ما لم يكن ولا أسرهم أحد وقيل السر سر الخلائق والاخفى منه سر الله عز وجل وأنكر ذلك ابن جرير وقال ان الاخفى ما ليس في سر الانسان وسبكون في نفسه وعن ابن عباس أيضا قال السر ما علمته أنت وأخفى ما قد في الله في قلبك مما لم تعلمه وفي لفظ يعلم ما أسر في نفسك ويعلم ما تعمل غدا وفي الآية تنبيه على ان شرع الذكروا الدعاء والجهر فيهما ليس لاعلام الله تعالى واسمعه بل لغرض آخر كتصوير النفس بالذكروا وسوخ فيها ودفع الشواغل والوساوس ومنعها عن الاشتغال بغيره وبهضمها بالتضرع والجوار ثم ذكر ان الموصوف بالعبادة على الوجه المذكور هو الله سبحانه المستنزه عن الشريك المستحق لتسميته بالاسماء الحسنى فقال (الله) أي الموصوف بهذه الصفات السككية لله وجله (لا اله الا هو) مستأنفة لبيان اختصاص الالهية به سبحانه أي لا اله في الوجود الا هو وهكذا جلته (له الاسماء الحسنى) مبينة لاستحقاقه تعالى لها وهي التسعة والتسعون التي بها ورد الحديث الصحيح وقد تقدم بيانها في سورة الاعراف والحسنى تأنيث الاحسن فهي اسم تنضيل يوصف به الواحد من المؤنث والجمع من المذكر ثم قرر سبحانه أمر التوحيد الذي اليه انتهى مساق الحديث بذكر قصة موسى المشقة على القدرة الباهرة والخبر الغريب فقال (وهل أنالك حديث موسى) الاستنباهم للتقرير ومعناه أليس قد آتاك وقيل معناه قد آتاك وقال الكلبي لم يكن قد آتاه حديث موسى اذ ذلك وفي سياق هذه القصة تسلية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم لما يلاقيه من مشاق أحكام النبوة وتحمل أثقالها ومقاساة خطوبها وان ذلك شأن الانبياء قبله وأنه أمر مستتر فيما بينهم كابر اعان كابر والمراد بالحديث القصة الواقعة لموسى (اذ رأى نارا) أي اذ كروا وقت رؤيته نارا وقيل اي حين رأى نارا كان كيت وكيت وكانت رؤيته للنار في ليلة

النجاري من حديث عوف الاعرابي عن ابي رجاء العطاردي عن سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل مولود يولد على الفطرة فتداه الناس يا رسول الله وأولاد المشركين قال وأولاد المشركين قال الطبراني حدثنا عبد الله بن أحمد حدثنا عقبه بن مكرم الضبي عن عيسى بن شعيب عن عباد بن منصور عن أبي رجاء عن سمرة قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أطفال المشركين فقال هم خدم أهل الجنة الحديث العاشر عن عم خنساء قال أحمد حدثنا روح حدثنا عوف عن خنساء بنت معاوية بن بني صريم قالت حدثني عمي قال قلت يا رسول الله من في الجنة قال النبي في الجنة والشهيد في الجنة والمولود في الجنة والتيد في الجنة من ذهب الى الوقوف فيهم

لهذا الحديث ومنهم من حرم لهم الجنة لحديث - مرة بن جندب في صحيح البخاري انه عليه الصلاة والسلام قال في جله ذلك المنام حين مر على ذلك الشيخ تحت الشجرة وحوله ولدان فقال له جبريل هذا ابراهيم عليه السلام وهو لاء اولاد المسلمين واولاد المشركين قالوا يا رسول الله واولاد المشركين قال نعم واولاد المشركين ومنهم من حرم لهم النار لقوله عليه السلام هم مع آبائهم ومنهم من ذهب الى انهم يتجنون يوم القيامة في العرصات فن أطاع دخل الجنة وانكشف علم الله فيهم بسابق السعادة ومن عصي دخل النار داخرا وانكشف علم الله فيه بسابق الشقاوة (٥٤) وهذا القول يجمع بين الأدلة كلها وقد صرح به الاحاديث

المتقدمة المتعاضدة الشاهد بعنهها لبعض وهذا القول هو الذي حكاه الشيخ أبو الحسن علي بن اسمعيل الأشعري عن أهل السنة والجماعة وهو الذي نصره الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب الاعتقاد وكذلك غيره من محققي العلماء والحفاظ النقاد وقد ذكر الشيخ أبو عمر بن عبد البر النري بعض ما تقدم من أحاديث الامتحان ثم قال وأحاديث هذا الباب ليست قوية ولا يقوم لها حجة وأهل العلم ينكرونه لان الآخرة دار جزاء وليست بدار عمل ولا ابتلاء فكيف يكفون دخول النار وليس ذلك في وسع الخلقين والله لا يكاف نفسا الاوسعها والجواب عما قال ان أحاديث هذا الباب منها ما هو صحيح كما قد نص على ذلك كثير من أئمة العلماء ومنها ما هو حسن ومنها ما هو ضعيف يتقوى بالصحیح والحسن واذا كانت أحاديث الباب الواحد متصلة متعاضدة على هذا النمط أفادت حجة عند الناظر فيها وأما قوله ان الدار الآخرة دار جزاء فلا شك أنهم دار جزاء ولا ينافي التكليف في عرصات قبل دخول الجنة أو

منظمة مثلجة شاتبة شديدة البرد لما خرج مسافرا الى أمه بعد استئذانه لشعيب وكانت ليلة الجمعة (فقال لاهله امكنوا) المراد بالاهل هنا امرأته وهي بنت شعيب واسمها صنورا وقيل صنوريا وقيل صنورة واسم أختها البيا وقيل شرقا وقيل عبد أو اختلف في التي تزوجها موسى هل هي الصغرى أو الكبرى والجمع لظاهر انظر الاهل أول للتخيم وقيل المراد بهم المرأة والولد والخادم والمعنى أقوم امكانكم وذلك في مسيره من مدين طابا بمصر لما قضى الاجل الذي جعله عليه شعيب وبينها وبين مصر ثمان مراحل وعبر بالمكث دون الإقامة لانها انتهت فمضى الدوام والمكث ليس كذلك (اني آنتت نارا) أي أبصرت يقال آنتت الصوت سمعته وآنتت الرجل أبصرته وقيل الايناس الابصار البين ومنه انسان العين لانه يبصر به الاشياء وقيل هو الوجدان وقيل الاحساس فهو أعم من الابصار وقيل الايناس مختص بابصار ما يؤنس والجملة لتعليل للامر بالمكث ولما كان الاتيان بالقبس ووجود الهدى متوقعين في الامر على الرجا فقال (لعلني) لعدم الحزم بوفاء الوعد (أتيتكم) أجيتكم (منها) أي من النار (بقبس) هو الخلدوة والشعلة من النار في رأس عود أو قصبة أو فتيلة ونحوها وهو فعل بمعنى منعول كالقبض والنقض بمعنى المقبوض والمنقوض وكذا المقباس يقال قبست منه نارا أقبس قبسا فأقبست أي أعطاني وكذا اقبست قال البيهقي أقبست الرجل علما وقبسته نارا ففرقوا بين - ما هذا قول المبرد فان كنت طلبته له قلت أقبسته وقال الكسائي أقبسته نارا وعلما سواء قال وقبسته أيضا فیهما (أو) لمنع الخلو وهو الظاهر دون الجمع (أجد على النار) وحرف الاستعلاء للدلالة على ان أهل النار مستعملون على أقرب مكان اليها كما قال سيدي (هــدي) أي هاديا - يديني الى الطريق ويدلني عليها قاله ابن عباس وكان أخطأها لظلمة الليل قال القراء أراد هاديا فذكره بلنظ المصدر وأعر بالمصدر لقصد المبالغة على حذف المضاف أي هادى ولعله لم يقل قوما يهدونني كافي الكشف اذ لا دليل على ما فوق الواحد (فلما أتاهما) أي النار التي آنتها (نودي) من الشجرة كما هو مصرح بذلك في سورة القصص أي من جهتها وانحيتها قيل كانت الشجرة - مرة خضراء وقيل كانت من عوصج وقيل كانت من العليق وقيل شجرة من العناب والله أعلم بما كان وقيل لم يكن الذي رآه نار ابل كان نورا وذكر بلنظ النار لان موسى حسبه نارا وقيل هي النار بعينها وهي

النار كما حكاه الشيخ أبو الحسن الأشعري عن مذهب أهل السنة والجماعة من امتحان الاطفال وقد قال تعالى احدي

يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود الآية وقد ثبت في الصحاح وغيره ان المؤمنين يسجدون لله يوم القيامة وان المنافق لا يستطيع ذلك ويعود ظهره كالصفيحة الواحدة طبقا واحدا كلما أراد السجود خرق لفقاء وفي الصحيحين في الرجل الذي يكون آخر أهل النار خروجا منها ان الله يأخذ عهده ومواريقه ان لا يسأل غير ما هو فيه ويتكرر ذلك مرارا ويقول الله تعالى يا ابن آدم ما عبدك ثم يأذن له في دخول الجنة وأما قوله فكيف يكلفهم الله دخول النار وليس ذلك في وسعهم فليس هذا بمنع من صحة

الحديث فان الله يأمر العباد يوم القيامة بالجو اذ على الصراط وهو جسر جهنم أحد من السيف وأدق من الشعرة وعير المؤمنون عليه بحسب أعمالهم كالبرق وكالريح وكجاويد الخيل والركاب ومنهم السامعي ومنهم المائتي ومنهم من يحبوا ومنهم المكذوبون على وجهه في النار وليس ما ورد في أولئك باعظم من هذا بل هذا أعظم وأعظم وأيضاً قد ثبتت السنة بان الدجال يكون معه جنة ونار وقد أمر الشارح المؤمنون الذين يدركونه ان يشرب أحدهم من الذي يرى انه نار فانه يكون عليه برداً وسلاماً فهذا نظير ذلك وأيضاً فان الله تعالى أمر بني اسرائيل ان يقتلوا انفسهم فقتل (٥٥) بعضهم بعضاً حتى قتلوا فيما قيل في غداة

واحدة سبعين ألفاً فقتل الرجل أباه وأخاه وهم في غمامة أرسلها الله عليهم وذلك عقوبة لهم على عبادتهم الجبل وهذا أيضاً شاق على النفوس جداً لا يتقاصر عما ورد في الحديث المذكور والله أعلم

(فصل) اذا تقررت هذه فقد اختلف الناس في ولدان المشركين على أقوال أحدها انهم في الجنة واحتجوا بحديث سمرة انه عليه السلام رأى مع ابراهيم عليه السلام أولاد المسلمين وأولاد المشركين وبما تقدم في رواية أحمد عن خلفاء عن عمار بن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والمولود في الجنة وهذا استدلال صحيح ولكن أحاديث الامتحان أخص منه فمن علم الله منه انه يطيع جعل روحه في البرزخ مع ابراهيم وأولاد المسلمين الذين ماتوا على الفطرة ومن علم الله منه انه لا يطيع فأمره الى الله تعالى ويوم القيامة يكون في النار كما دلت عليه أحاديث الامتحان ونقله الاشعري عن أهل السنة ثم ان هؤلاء القائلين باسهم في الجنة منهم من يجعلهم مستقلين فيها ومنهم من يجعلهم خداماً لهم

أحدى حجب الرب سبحانه ويدل له ما روي عن أبي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال حجاب النار لو كشفها لاهلكت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه أخرجه مسلم (ياموسى) أى نودى من الشجرة فقبل ياموسى وهذا أول الكلمات بينه وبين الله تعالى وسيأتى آخرها وهو قوله ان العذاب على من كذب وتولى وهذا بالنسبة لهذه الواقعة وهذه الحالة والأفله مكالمات أخر قاله سليمان الجلي ولما نودى موسى قال من المتكلم فقال الله تعالى (أنى أنا ربك) فعرف انه كلام الله تعالى وليس هذا النداء والخطاب هو الذى وقع فيه الصعقة وذلك الجبل كما تقدم ذكره في سورة الاعراف بل هذا غيره اذ هذا أول بدرساته وذلك انما كان بعد غرق فرعون حين أعطاه الله التوراة (فأخضع نفسك) أمره الله سبحانه بخضع لعليه تعظيماً لان الخنوع أبلغ في التواضع وأقرب الى التضرع والتكريم وحسن التأدب وقيل معناه انزعهم ان تصيب قدميك بركة الوادى المقدس والاول أولى قيل ومن ثم طاف السلف بالكعبة حافين قال التستبي والقرآن يدل على ان ذلك احترام للبقعة وتعظيم لها فخلعهم ما وألقاهما من وراء الوادى انتهى وقيل لانهم ما كانا من جلد حار ميت أو من جلد غير مدبوغ قاله علي وابن مسعود وروى عن السدى وقتادة وقيل معنى الخلع لهما تفرغ القلب من الاهل والمال وهو من بدع التفاسير ثم علل سبحانه الامر بالخلع فقال (انك بالواد المقدس) أى المطهر والمبارك والقدس الطهارة والارض المقدسة المطهرة سميت بذلك لان الله تعالى أخرج منها الكافرين وعمرها بالمؤمنين (طوى) اسم للوادى قال الجوهرى هو اسم موضع بالشام يكسر طاءه ويضم وبصرف ولا يصرف فنصرفه جعله اسم واد ومكان وجعله نكرة ومن لم يصرفه جعله بلدة وبقعة وجعله معرفة وقيل طوى كثنى من الطى مصدر لنودى أو للمقدس أى نودى نداهن أو قدس مرة بعد أخرى قال ابن عباس يعنى الارض المقدسة وذلك انه مربوذاً الى السلاطوى يقال طويت وادى كذا وكذا وقيل طوى واد مستدير عميق مثل المطوى في استدارته (وأنا اخترت) بالافراد قرئ أنا اخترت لك بالجمع قال النحاس والاولى أولى لانهم أشبه بالخط وأولى بنسب الكلام لقوله ياموسى انى أنا ربك والمعنى امطفتك بالنبوقة والرسالة فنبأه وأرسله في ذلك الوقت وفي ذلك المكان وكان عمره حينئذ أربعين سنة (فاسمع لما يوحى) اليه منى أولوحي وفيه نهاية الهيبة والجلال له

كما جاء في حديث علي بن زيد عن انس عند ابى داود الطيالسي وهو ضعيف والله أعلم والقول الثانى انهم مع آبائهم في النار واستدل عليه بما رواه الامام أحمد بن حنبل عن أبى المغيرة حدثنا عتبة بن زهرة بن حبيب حدثني عبد الله بن أبي قيس مولى غطفان انه أتى عائشة فساءلها عن ذراري الكفار فقالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم تبع لأبائهم فقلت يا رسول الله بلا أعمال فقال الله أعلم بما كانوا عاملين وأخرجه أبو داود ومن حديث محمد بن حرب عن محمد بن زياد الالهاني سمعت عبد الله بن أبي قيس سمعت عائشة تقول قالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذراري المؤمنين قال هم مع آبائهم قلت فذراري المشركين قال هم مع آبائهم

فقلت بلا عمل قال الله أعلم بما كانوا عاملين ورواه أحمد أيضا عن وكيع عن أبي عقيل يحيى بن المتوكل وهو متروك عن مولاه بهيمة عن عائشة أنها ذكرت أظفار المشركين لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان شئت اسمعتك نضاغيتهم في النار وروى عبد الله بن الإمام أحمد حدثنا عثمان بن أبي شيبة عن محمد بن فضال بن غزوان عن محمد بن عثمان عن زاذان عن علي بن رضى الله عنه قال سألت خديجة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ولدين لها ماتا في الجاهلية فقال هما في النار قال فلما رأى الكراهية في وجهها فقال لها لورأيت مكانهما لا بغضتهما قالت فولدى (٥٦) منك قال ان المؤمنين وأولادهم في الجنة وان المشركين وأولادهم

كأنه قال لقد جاءك أمر عظيم فتأهب له (اننى أنا الله لا اله الا أنا) ثم أمره بالعبادة فقال (فاعبدنى) لان اختصاص الالهية به سبحانه موجب لتخصيصه بالعبادة (وأقم الصلاة) خصها بالذكر مع كونها داخل تحت الامر بالعبادة لكونها أشرف طاعة وأفضل عبادة وعمل الامر بأقامة الصلاة بقوله (لذكرى) أى لتذكركنى فان الذكر الكامل لا يتحقق الا في ضمن العبادة والصلاة والمعنى لتذكركنى فيها لما لا شقاق لهما على الاذكار وأول ذكرى اياك أول ذكرى خاصة لا تشوبه بكثرة ذكرى أخرى وأول امرى بها في الكتاب وذكرى اياها أول تسكون ذا كرى غير ناس وقيل لا وفات ذكرى وهى مواقيت الصلاة أو المعنى أقم الصلاة متى ذكرت أن عليك صلاة وقيل لذكرى صلاتى وفى الصحيحين وغيرهما من حديث أنس ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال اذا قرأ أحدكم عن الصلاة أو غفل عنها فليصلها اذا ذكرها فان الله قال أقم الصلاة لذكرى وأخرج الترمذى وابن ماجه وابن حبان وغيرهم من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من نسي صلاة فليصلها اذا ذكرها فان الله قال أقم الصلاة لذكرى وكان ابن شهاب يقرؤها للذكرى وقيل المعنى لذكرى بالمدح فى عشرين فاصدر على هذا يحتمل الاضافة الى الفعل أو الى المفعول وقيل لا خلاص ذكرى وطلب وجهى ولا تترافى فيها ولا تقصدها غرضا آخر (ان الساعة) أى التى هى وقت الحساب والعقاب (آتية) أى كأنه وحاصلة لا محالة فاعمل الخير من عبادة الله والصلاة وهذا تعليل لما قبله من الامر (أكاد) أى أريد قاله الاخفش وقيل صله (أخفيها) قال الواحدى قال أكثر المنسر بن اخنيها من نفسه وهو قول سعيد بن جبيرة ومجاهد وقتادة وقال المبرد وقطرب هـ ذاعلى عادة مخاطبة العرب يقولون اذا بالغوا فى كتمان الشئ كتمته حتى من نفسى أى لم أطلع عليه أحد او معنى الآية ان الله تعالى بالغ فى اخفاء الساعة فذكره بالغ ما تعرفه العرب والمعنى فى اخفاءها التهويل والتخويف وكذلك المعنى فى اخفاء وقت الموت على الانسان ليكون على حذر وقدم الوجل فى كل وقت وقد روى عن سعيد بن جبيرة انه قرأ أخفيها بفتح الهمزة ومعناه أظهرها قال النحاس وأجود من هذا ما روى عنه أنه قرأ أخفيها بضم الهمزة قال النحاش معناه على الفتح كاد أظهرها من خفيت الشئ اذا أظهرته أخفيه قال القرطبي قال بعض اللغويين يجوز أن يكون أخفيها بضم الالف معناه أظهرها لانه يقال خفيت الشئ

في النار ثم قرأوا الذين آمنوا وأقبلتهم ذريتهم بإيمان أحقناهم - م ذريتهم وهذا حديث غريب فان فى اسناده محمد بن عثمان مجهول الحال وشيخه زاذان لم يدرك عليا والله أعلم وروى أبو داود من حديث ابن أبي زائدة عن أبيه عن الشعبي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوائدة والمؤودة فى النار ثم قال الشعبي حدثني به عائمة عن أبي وائل عن ابن مسعود وقد رواه جماعة من رواية ابن أبي هند عن الشعبي عن علقمة عن سلمة بن قيس الأسدي قال اتيت انا واخي النبي صلى الله عليه وسلم فقلنا ان أمنا ماتت فى الجاهلية وكانت تشرى الضيف وتصل الرحم وانها وأدت اختالنا فى الجاهلية لم تبلغ الحنث فقال الوائدة والمؤودة فى النار الا أن يدرك الوائدة الاسلام فتسلم وهذا اسناد حسن والقول الثالث التوقف فيه وما عتدوا على قوله صلى الله عليه وسلم الله أعلم بما كانوا عاملين وهو فى الصحيحين من حديث جعفر بن ابى اياس عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن

اولاد المشركين قال الله أعلم بما كانوا عاملين وكذلك هو فى الصحيحين من حديث الزهري عن عطاء بن يزيد عن ابى وأخفيته سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن اطفال المشركين فقال الله أعلم بما كانوا عاملين ومنهم من جعلهم من اهل الاعراف وهذا القول يرجع الى قول من ذهب الى انهم من اهل الجنة لان الاعراف ليس دار قرار وما آل أهلها الى الجنة كما تقدم تقرير ذلك فى سورة الاعراف والله أعلم (فصل) وليعلم ان هذا الخلاف مخصوص بأطفال المشركين فاما ولدان المؤمنين فلا خلاف بين العلماء كما حكاه القاضى ابو يعلى بن النضر الحنبلى عن الامام احمد انه قال لا يختلف فيهم اهم من اهل الجنة وهذا هو المشهور بين

الناس وهو الذي نقطع به ان شاء الله عز وجل فلما ذكره الشيخ أبو عمر بن عبد البر عن بعض العلماء انهم توقفوا في ذلك وان الولدان كلهم تحت المشيئة قال أبو عمر ذهب الى هذا القول جماعة من أهل الفقه والحديث منهم جاد بن زيد وجاد بن سلمة وابن المبارك واسحق بن راهويه وغيرهم قال وهو يشبه ما رسم مالك في موطنه في أبواب القدر وما أورده من الأحاديث في ذلك وعلى ذلك أكثر الصحابة وليس عن مالك فيه شيء منصوص إلا أن المتأخرين من أصحابه ذهبوا الى أن أطفال المسلمين في الجنة وأطفال المشركين خاصة في المشيئة انتهى كلامه وهو غريب جدا وقد ذكر أبو عبد الله القرطبي في (٥٧) كتاب التذكرة نحو ذلك أيضا والله أعلم وقد

ذكروا في ذلك أيضا حديث عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين قالت دعى النبي صلى الله عليه وسلم الى جنازة صبي من الانصار فقلت يا رسول الله طوبى لي بعصفور من عصفائر الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه فقال أو غير ذلك يا عائشة ان الله خلق الجنة وخلق لها أهلا وهم في أصلاب آبائهم وخلق النار وخلق لها أهلا وهم في أصلاب آبائهم رواه مسلم وأحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه ولما كان الكلام في هذه المسئلة يحتاج الى دلائل صحيحة جيدة وقد يتكلم فيها من لا علم عنده عن الشارع كره جماعة من العلماء الكلام فيها روى ذلك عن ابن عباس والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ومحمد بن الحنفية وغيرهم وأخرج ابن حبان في صحيحه عن جرير بن حازم سمعت أبا رجاء العطاردي سمعت ابن عباس وهو على المنبر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال أمر هذه الأمة مواثيا أو مقاربا ما لم يتكلموا في الولدان والقدر قال ابن حبان يعني أطفال المشركين وهكذا رواه

وأخفيتها من حروف الاضداد يقع على الستر والاطهار قال أبو عبيدة خفيت واخفيت بمعنى واحد قال النحاس وهذا حسن وليس المعنى على اظهرها ولا سبها وأخفيتها قراءة شاذة فكيف ترد القراءة الصحيحة الشائعة وقال ابن الانباري في الآية تفسير آخر وهو ان الكلام ينقطع على اكاد وبعد مصر أي أكاد أتى بها ووقع الابتداء بأخفيتها الخ واختار هذا النحاس وقال أبو عمر على الفارسي هو من باب السلب وليس من الاضداد ومعنى أخفيتها أن يزيل عنها اخفاءها وهواها ومن هذا قولهم أشكيت أي أزلت شكواها وعن الاخفش ان كاد زائدة للثبات كيد قال ومثله اذا أخرج يده لم يكذبها قال والمعنى أقارب ذلك لانك اذا قلت كاد زيد يقوم جاز أن يكون قام وان يكون لم يقوم دل على انه قد أخفها بدلالة غير هذه الآية على هذا (تجزى كل نفس بنفسها) أي بسعيها والسعي وان كان ظاهرا في الافعال فهو ههنا يعم الافعال والتروك للقطع بأن تارك ما يجب عليه معاقب بتركه مأخوذه (فلا يصدك عنها) أي لا يصرفك عن الايمان بالساعة والتصدق بها أو عن ذكرها ومراقبتها وهذا أولى وأليق بشأن موسى عليه السلام وان كان النهي بطريق التمهيج والالهاب وقيل الضمير للصلاة بعيد وهو (من لا يؤمن بها) من الكفرة وهذا النهي وان كان للكافر بحسب الظاهر فهو في الحقيقة نهى له صلى الله عليه وآله وسلم عن الانصداد أو عن اظهار اللين للكافرين فهو من باب لا أرينك ههنا كما هو معروف (واتبع هواه) أي هوى نفسه بالانغماس في اللذات الحسية الفانية وفي انكار الساعة (فتردى) أي فتهلك لان انصدادك عنها بصد الكافرين لك مستلزم للهلاك ومستتبع له (وما لك بيمينك يا موسى) قال الزجاج والفراء ان تلك اسم ناقص وصلت بيمينك أي ما التي بيمينك وروى عن الفراء انه قال تلك بمعنى هذه ولو قال ما ذلك لجاز أي ما ذلك الشيء وبالأول قال الكوفيون قال الزجاج ومعنى السؤال من العصا التنبيه له عليها لتقع المعجزة بها بعد التثبيت فيها والتأمل لها قال الفراء ومقصود السؤال تقرير الامر حتى يقول موسى هي عصا لتثبيت الحجة عليه بعدما اعترف والافتقار لله ما هي في الازل وقيل السؤال للتوطين لثلايهول انقلاب احياء أوليائنا ورفع الهيبة للمكاملة (قال هي عصا) وقرئ عصي على لغة هذيل قال ابن عباس أعطاه ملك من الملائكة اذ توجه الى مدين فكانت تضى له بالليل ويضرب بها الارض فيخرج له النبات ويهش

(٨ - فتح البيان سادس) أبو بكر البزار من طريق جرير بن حازم به ثم قال وقد رواه جماعة عن أبي رجاء عن ابن عباس موقوفا (واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) اختلف القراء في قراءة قوله أمرنا فالف مشهور وقراءة التخصيف واختلف المفسرون في معناها فقل معناها أمرنا مترفيها ففسقوا فيها أمرنا قدريا كقوله تعالى أناها أمرنا ليلاً وأنهم أرفان الله لا يأمر بالفسق قالوا معناها انه يخبرهم الى فعل الفواحش فاستحقوا العذاب وقيل معناها أمرناهم بالطاعات ففعلوا الفواحش فاستحقوا العقوبة رواه ابن جرير عن ابن عباس وقاله سعيد بن جبيرة أيضا وقال ابن جرير يحتمل ان يكون معناها

جعلناهم أمرهم قلت انما يحيى هذا على قراءة من قرأ أتمر نامترفها قال علي بن طلحة عن ابن عباس قوله أمر نامترفها ففسقوا فيها يقول سلطاناً شرارها فعصوا فيها فاذا فعلوا ذلك أهلكتهم الله بالعذاب وهو قوله وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها الآية وكذا قال أبو العباس ومجاهد والربيع بن أنس وقال العوفي عن ابن عباس واذا أردنا أن نهلك قرية أمر نامترفها ففسقوا فيها يقول أكرنا عدوهم وكذا قال عكرمة والحسن والضحاك وقتادة وعن مالك عن الزهري أمر نامترفها أكرنا وقد استشهد بعضهم بالحديث الذي رواه الامام أحمد حيث قال حدثنا (٥٨) روح بن عباد حدثنا أبو نعيم العدوي عن مسلم بن بديل عن اياس بن زهير

عن سويد بن هبيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خير مال امرئ له مهر مائة مائة أو سكة مأبورة قال الامام أبو عبيد القاسم ابن سلام رحمه الله في كتابه الغريب المأمورة كثيرة النسل والسكة الطريقة المصطفوية من النخل والمأبورة من التأبير وقال بعضهم ان ما جاء هذا مناسبا كقوله مأبورات غير مأجورات (وكم أهلكتنا من القرون من بعد نوح وكنى بربك بذنوب عباده خيرا بصيرا) يقول تعالى منذرا كنفار قريش في تكذيبهم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بانه قد أهلك أئمانا من المكذبين للرسل من بعد نوح وذل هذا على ان القرون التي كانت بين آدم ونوح على الاسلام كما قاله ابن عباس كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الاسلام ومعناه انكم أيها المكذبون استم أكرم على الله منهم وقد كذبتم أشرف الرسل وأكرم الخلائق فحقوبكم أولى وأخرى وقوله وكنى بربك بذنوب عباده خيرا بصيرا أي هو عالم بجميع أعمالهم خيرا وشرها

بها على غنم ورق الشجر وعن قتادة كانت تضي له بالليل وكانت عصا آدم عليه السلام ورثها شعيب وأعطاه الموصى بعد ان زوجه ابنته قيل وكان لها شعبتان وفي أسفلها سنان ولها محجن واسمها تبعه (أو كوا) أي اتحامل (عليها) في المشى وأعتدها عند الاعياء والوقوف على قطيع الغنم وعند الثوب والنهوض للقيام ومنه الاكراه (وأهش بها على غنى) هش بالعصا يش هشا اذا خبط بها الشجر ليستقط منه الورق أي أنسرب بها الشجر فبتساقط منه الورق على غنى قاله عكرمة وقد روى نحوه هذا عن جماعة من السلف وقرأ النخعي أهش بالسبين المهملة وهو زجر الغنم وكذا قرأه عكرمة وقيل هما لغتان بمعنى واحد ولما ذكر تفصيل منافع العصا عقبه بالاجال فقال (ولي فيها ما رب) أي حوائج (أخرى) قاله مجاهد وقتادة واحدها مأربة مثلث الراء كذا قال ابن الاعرابي وقطرب والقياس آخر وانما قال أخرى ردا الى الجماعة وللسق الاخرى ولما ذكر بعضها شكرا أجل الباقي حياء من التطويل أو يسأل عنها الملك العلام فيزيد في الاكرام ويتلذذ بالخطاب وقد تعرض قوم لتعدد منافع العصا ذكر وامن ذلك أشياء منها اقول بعض العرب عصاى أركزها له لاني وأعتدها لعدائي وأسوق بها دابتي وأقوى بها على سفري وأعتد بها في منيتي ليتسع خطوي وأثب بها النهر وتؤمنني العثر وألقى عليها كسائي فتقبني الحرو وتدفني من القرو تدني الى ما بعد مدني وهي تحمل سفرتي وعلاقة اداوتي اعصى (١) بها عند الضراب وأقرع بها الابواب وأقي بها عقر الكلاب وتنوب عن الرمح في الطعان وعن السيف عند منازلة الاقارن ورثتها عن أبي وأورثها بعدى بنى انتهى وقال الشوكاني قد وقفت على مصنف في مجلد لطيف في منافع العصا لبعض المتأخرين وذكرفيه أخبارا وأشعارا وفوائد لطيفة ونكثار شيقه وقد جمع الله سبحانه لموسى في عصاه من البراهين العظام والآيات الجسام ما من به من كيد السحرة ومعرفة المعادين واتخذها سليمان لحطيطه وموعظته وطول صلاته وكان ابن مسعود صاحب عصاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعزته وكان يخطب القضيبي وكذلك الخلفاء من بعده وكان عادة العرب العرباء أخذ العصا والاعتماد عليها عند الكلام وفي المحافل والخطب وقال بعضهم مسائل العصا سنة الانبياء وزينة الصالحين وسلاح على الاعداء وعون الضعفاء وغم المنافقين وزيادة في الطاعات ويقال اذا كان مع المؤمن العصا يهرب

لا يخفى عليه منها خافية (من كان يريد العاجلة جعلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما ممدحورا منه ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا) يخبر تعالى انه ما كل من طلب الدنيا وما فيها من التعميم يحصل له ما يحصل لمن أراد الله ما يشاء وهذه مقيدة لا تطلق ما سواها من الآيات فانه قال جعلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم أي في الدار الآخرة يصلاها أي يدخلها حتى تغمره من جميع جوانبه مذموما أي في حال كونه مذموما على سوء تصرفه وصنيعه واذا اختار القضيبي على الباقي ممدحورا مبعثا مقصدا حقيرا ذليلا مهانا روى الامام أحمد حدثنا حسين بن علي بن زهير عن (١) يقال عصي بالسيف يعصى اذا ضرب به اه صحاح

أبي اسحق عن زرعة عن عائشة مرضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدين ادر من لاداره ومال من لاملاله ولها
يجتمع من لاعقل له وقوله ومن أراد الآخرة أى أراد الدار الآخرة وما فيها من النعيم والسرور وسعى لها سعيها أى طلب ذلك من
طريقه وهو متابعة الرسول وهو مؤمن أى قلبه مؤمن أى مصدق موقن مصدق بالثواب والجزاء فأولئك كان سعيهم مشكورا
(كلامه هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات
وأكبر تفضيلا) يقول تعالى كلاً أى كل واحد من الفريقين (٥٩) الذين أرادوا الدنيا والذين أرادوا الآخرة غدهم فيما هم

فيه من عطاء ربك أى هو المتصرف
الحاكم الذى لا يجور فيعطى كلاً
ما يستحقه من السعادة والشقاوة
فلا راد لحكمه ولا مانع لما أعطى
ولا مغير لما أراد ولهذا قال وما كان
عطاء ربك محظورا أى لا يمنع
أحد ولا يرد راد قال قتادة وما كان
عطاء ربك محظورا أى منقوصا
وقال الحسن وغيره أى ممنوعا ثم
قال تعالى انظر كيف فضلنا بعضهم
على بعض أى فى الدنيا فاتهم الغنى
والفقر وبين ذلك والحسن والقبيح
وبين ذلك ومن يموت صغيرا ومن
يعمر حتى يقي شجنا كبيرا وبين ذلك
والآخرة أكبر درجات وأكبر
تفضيلا أى ولتفاوتهم فى الدار
الآخرة أكبر من الدنيا فان منهم
من يكون فى الدرجات فى جهنم
وسلسلها وأغلالها ومنهم من يكون
فى الدرجات العليا ونعيمها وسرورها
ثم أهل الدرجات يتفاوتون فيما هم
فيه كان أهل الدرجات يتفاوتون
فان الجنة مائة درجة ما بين كل
درجتين ما بين السماء والأرض
وفى الصحيح ان أهل الدرجات العلى
ليرون أهل عِلِّيِّين كما يرون الكوكب
الغابر فى أفق السماء ولهذا قال

منه الشيطان ويخشع منه المنافق والفاجر وتكون قبلته اذا صلى وقوته اذا أعيا (قال
ألقها يا موسى) هذه جملة مستأنفة أمره سبحانه بالناس الى ما جعل له فيها من المعجزة
الظاهرة (فألقاها) أى طرحها موسى على الأرض (فأذا هى حية تسعى) ولم تكن قبل
ذلك حية فرت بشجرة فأكلتها ومرت بصخرة فابتلتها فجعل موسى يسمع وقع الصخرة
فى جوفها قاله ابن عباس وذلك بقلب الله سبحانه لا وصفها وأعراسها حتى صارت حية
تسمى أى تمشى بسرعة وخفة على بطنها قبل كانت عصا ذات شعبتين فصار الشعبتان قما
وباقيا جسم حية تنقل من مكان الى مكان وتلتقي الحجارة مع عظم جرمها وفطاعة
منظرها وقال فى موضع آخر كأنها جان وهى الحية الصغيرة الجسم الخفيفة وقال فى موضع
آخر كأنها ثعبان وهى أكبر ما يكون من الحيات ووجه الجمع ان الحية اسم جامع للكبير
والصغير والذكر والانثى وقيل كانت فى عظم الثعبان وسرعة الجان وقيل سماها جانا
تارة نظرا للعباد ونعبا تارة باعتبار المنتهى وحيدة تارة أخرى باعتبار الاسم الذى يع
الحالين فلما رأها كذلك خاف وفرع وولى مدبرا ولم يعقب فنودى أن يا موسى (قال)
سبحانه عند ذلك (خذها ولا تخف) منها (سنعدها سيرتها) أى حالتها (الاولى) قال ابن
عباس فلم يأخذها ثم نودى الثانية أن خذها ولا تخف فلم يأخذها فقيل له فى الثالثة انك
من الآمنين فأخذها قال الاخفش والزجاج التقدير الى سيرتها مثل واختار موسى
قومه قال ويجوز أن يكون مصدرا لان معنى سنعدها سانسرها أو سائرة أو مسيرة
والمعنى سنعدها بعد أخذها لها الى حالتها الاولى التى هى العسوية والاولى تأنيث
الاول والسيرة الحالة التى يكون عليها الانسان غريزية أو مكتسبة وهى فى الاصل فعلة
من السير كالركبة من الركوب ثم استعملت بمعنى الحالة والطريقة والهيئة قبل ان يلما
قبل له لا تخف طابت نفسه حتى بلغ من عدم الخوف الى ان كان يدخل يده فى فمها يأخذ
بليها قال المحلى وأرى ذلك موسى ثلاثا ليجزع اذا انقلب حية لدى فرعون (واضح
يدك) الينى بمعنى الكف لابعنى حقيقة فمها وهى الاصابع الى المنكب (الى جناحك)
قال الفراء والزجاج جناح الانسان عضده وبه قال مجاهد وقال الى بمعنى تحت وقال
قطرب جنبه وعبر بالجناح عن الجنب لانه فى محل الجناح وقال مقاتل الى بمعنى مع أى
مع جناحك الايسر تحت العضد الى الابط وجواب الامر (تخرج) يدك خلاف

والآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا وفى الطبرانى من رواية ناذان عن سلمان مرفوعا من عبد بن زيد ان يرتفع فى الدنيا
درجة فارفع الله فى الآخرة أكبر منها ثم قرأ وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا لا تجعل مع الله الها آخر فقد مذموما
مخدولا) يقول تعالى والمراد الكافون من الامة لا تجعل أيها المكاف فى عبادتك ربك له شريكا فتقدم مذموما أى على اشراك
به مخسولا لان الرب تعالى لا ينصر لك بل يكلك الى الذى عبدت معه وهو لا يملك لك ضرا ولا نفعا لان مالك الضر والنفع هو الله
وحده لا شريك له وقد قال الامام أحمد حدثنا أبو أحمد الزبيرى حدثنا بشير بن سلمان عن سيار بن الخبيك عن طارق بن شهاب عن
عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصابته فاقة فأبى الناس لم تسد فاقته ومن أنزلها بالله أرسل الله له

بالغنى اما آجلا واما غنى عاجلا ورواه أبو داود والترمذي من حديث بشير بن سلمان به وقال الترمذي حسن صحيح غريب (وفضى
ربك أن لا تعبدوا الا اياه وبالأدين احسانا ما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تنقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا
كرما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحهما كما ربياني صغيرا) يقول تعالى أمر ابعاده وحده لا شريك له فان القضاء
ههنا بمعنى الامر قال مجاهد وقضى يعنى وصى وكذا قرأ النبي بن كعب واب مسعود والضحاك بن مزاحم ووصى ربك أن لا تعبدوا
الاياه ولهذا قرن بعبادته بر الوالدين (٦٠) فقال وبالأدين احسانا أى وأمر بالأدين احسانا كقوله فى الآية الاخرى

أن اشكرى ولو الدين الى المصير
وقوله اما يبلغن عندك الكبر
أحدهما أو كلاهما فلا تنقل لهما
أف أى لا تنسعهما قولا سيئا حتى
ولا التأفيف الذى هو أدنى مراتب
القول السيئ ولا تنهرهما أى ولا
يصدر منك اليهما فعل قبيح كما قال
عطاء بن أبي رباح فى قوله ولا تنهرهما
أى لا تنفض يدك عليهما ولما نهاه
عن القول القبيح والنسب القبيح
أمره بالقول الحسن والفعل
الحسن فقال وقل لهما قولا كريما
أى ليناطيا احسانا بأدب وتوقير
وتعظيم واخفض لهما جناح الذل
من الرحمة أى تواضع لهما بفعلا
وقل رب ارحهما كما ربياني صغيرا
أى فى كبرهما وعند وفاتهما قال
ابن عباس ثم أزل الله ما كان لاني
والذين آمنوا أن يستغفروا
للمشركين الآية وقد جاء فى
الوالدين أحاديث كثيرة منها الحديث
المروى من طرق عن أنس وغيره
ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما صعد المنبر قال آمين آمين
قبل يا رسول الله على ما أنت قال

ما كانت عليه من الأدمة حال كونها (بيضاء) نيرة مشرقة كائنة (من غير سوء) أى عيب
كنى به عن البرص ويسمى هذا عند أهل البيان الاحتراس وهو ان يؤتى بشئ يرفع توهم
غير المراد وذلك ان البياض قد يراد به البرص والبهق فأتى بقوله من غير سوء نفيا لذلك
والمعنى يخرج ببيضاء ساطعا نورها نضى بالليل والنهار كضوء الشمس تغشى البصر من غير
برص وبه قال ابن عباس (آية) أى معجزة (أخرى) غير العصا وقال الاخفش انها بدل من
بيضاء قال النحاس وهو قول حسن وقال الزجاج المعنى آيتناك أو نوتيك آية أخرى لانه
لما قال يخرج ببيضاء دل على انه قد آتاه آية أخرى ثم عمل سبحانه ذلك بقوله (ان ربك من
آياتنا الكبرى) قيل والتقدير فعلنا ذلك لربك والكبرى معناها العظم أى لربك
بها تين الآيتين يعنى اليد والعصا بعض آياتنا الكبرى على رسالتك فلا يلزم ان تكون
اليد هى الآية الكبرى وحدها حتى تكون أعظم من العصا فبردى ذلك انه لم يكن فى
اليد التغير اللون فقط بخلاف العصا فان فيها مع تغير اللون الزيادة فى الحجم وخلق الحياة
والقدرة على الامور الخارقة ومن قال هى اليد قال لانها لم تعارض أصلا وأما العصا فقد
عارضها السحرة والاول أولى ثم سرح سبحانه بالغرض المقصود من هذه المعجزات فقال
(اذهب) رسولا (الى فرعون) ومن معه بها تين الآيتين العصا واليد وانظر رسالته لبنى
اسرائيل من أين تؤخذ قال بعضهم تؤخذ من قوله وأنا اخترتك أى للنسبة والرسالة
وخصه بالذكر لان قومه تبع له ثم عمل ذلك بقوله (انه طغى) أى عصى وعرد وتكبر وكفر
وتجبر وتجاوز الحد فى كفره الى ادعاء الالهية (قال رب اشرح لى صدرى) مستأنفة كانه
قيل فهاذا قال موسى ومعنى شرح الصدر وسيعه تضرع عليه السلام الى ربه وأظهر
عجزه بقوله وبضيق صدرى ولا يخلو لسانى (ويسرى لى أمرى) أى سهل على ما أمرتني
به من تبليغ الرسالة الى فرعون والتيسير معناه التسهيل قال الزمخشري فان قلت لى
من قوله اشرح لى صدرى ويسرى لى أمرى ما جدوا والكلام منتظم بدونه قلت
قد أجمهم الكلام أو لا فقال اشرح لى ويسرى لى تعلم ان ثم مشروحا وميسرا ثم بين ورفع
الاهام يذكركهما فكان آكد اطلب الشرح لصدرة والتيسير لا مراه ويقال يسرت له
كذا ومنه هذه الآية وتيسرته لكدا ومنه فسفسيره لليسر (واحلل عقدة من لسانى)
يعنى العجة التى كانت فيه من أثر الجرة التى ألقاها فى فيه وهو طفل أى أطلق عن لسانى

العقدة

أتانى جبريل فقال يا محمد رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليك قل آمين فقلت آمين ثم قال رغم أنف رجل
دخل عليه شهر رمضان ثم خرج فلم يغفر له قل آمين فقلت آمين قال رغم أنف رجل أدرك والديه أو أحدهما فادخله الجنة
قل آمين فقلت آمين حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا هشيم حدثنا علي بن زيد عن زرار بن أبي أوفى عن مالك بن الحارث عن
رجل منهم انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم لم يقول من ضم يتيما من أبوين مسلمين الى طعامه وشربه حتى يستغنى عنه وجبت له
الجنة البتة ومن أعققت امرأ مسلمة كان فكاه من النار يجزى بكل عضو منه عضوا منه ثم قال حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة
سمعت علي بن زيد فذكر معناه الا انه قال من رجل عن قومه يقال له مالك أو ابن مالك وزاد من أدرك والديه أو أحدهما فدخل النار

فأبعده الله حديث آخر وقال الامام أحمد حدثنا عفان عن جاد بن سلمة حدثنا علي بن زيد عن زرارة بن أبي أوفى عن مالك بن عمرو القشيري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أعتق رقبة مسلمة فهي فداؤه من الذارفان كل عظم من أعظامه محررة بعظم من عظامه ومن أدرك أحد والديه ثم لم يغفر له فأبعده الله عز وجل ومن ضم يتيما بين أبو بن مسلين إلى طعامه وشرا به حتى يغنيه الله وجبت له الجنة حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا حجاج ومحمد بن جعفر قال حدثنا شعبة عن قتادة سمعت زرارة بن أبي أوفى يحدث عن أبي مالك القشيري قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من أدرك والديه (٦١) أو أحدهما ثم دخل النار من بعد ذلك

فأبعده الله وأحققه ورواه أبو داود والطحاوي عن شعبة وفيه زيادات آخر حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا عوانة حدثنا سهل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رغم أنف رغم أنف أبيه ثم رغم أنف رجل أدرك أحد أبويه أو كلاهما عند الكبر لم يدخل الجنة صحيح من هذا الوجه ولم يخرجوه سوى مسلم من حديث أبي عوانة وجرير وسليمان بن بلال عن سهل به حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا ربيع بن ابراهيم قال أحمد وهو أخو اسمعيل بن علية وكان يفضل على أخيه عن عبد الرحمن بن أبي اسحق عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل على ورغم أنف رجل دخل عليه شهر رمضان فأنسلخ فلم يغفر له ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخله الجنة قال ربيع لا أعلمه إلا قال أو أحدهما ورواه الترمذي عن أحمد بن ابراهيم الدورقي عن

العقدة التي فيه قيل أذهب الله سبحانه تلك العقدة جميعها بدليل قوله قد أوتيت سؤالك يا موسى وقيل لم تذهب كلها لأنه لم يسأل حل عقدة لسانه بالكلمة بل سأل حل عقدة تمنع الأفهام بدليل قوله من أساني أي كائن من عند أساني ويؤيد ذلك قوله هو أفصح مني أسانا وقوله حكايه عن فرعون ولا يكاديين وجواب الامر قوله (يفقهوا قولي) أي لكي يفهموا كلامي عند تبليغ الرسالة والتفهيم في كلام العرب التفهم ثم خص به علم الشريعة والعالم به فقيه قاله الجوهرى (واجعل لي وزيراً من أهلي) أي معينا وظهيراً والوزير الموارز كالأكيل الموارز لأنه يحمل عن السلطان وزره أي ثقله قال الزجاج واشتقاقه في اللغة من الوزر وهو المنجأ الذي يعتصم به لينجي من الهلكة ومنه قوله تعالى كلا لا وزر والوزير الذي يعتد الملك على رأيه في الأمور ويلجئ إليه وقال الاسمعي هو مشتق من الموارزة وهي المعاونة نقله الرخشري عن الاسمعي (هارون أخي) وكان أكبر من موسى وأفصح لساناً وأجمل وأوسم وكان موسى آدم أفنى جعداً (أشد دبه أزرى وأشركه في أمري) على صيغة الدعاء أي يارب أحكم به قوتي واجعله شريكاً في أمر الرسالة والأزر القوة يقال أزره أي قواه وقيل الظهري أشد دبه ظهري وقرئ أشد دبه مرة قطع وأشركه بضم الهمزة أي أشدأ بابه أزرى وأشركه أنا في أمري قال ابن عباس نبي هرون ساعته حين نبي موسى (كي نسجك كثيرًا وندك كثيرًا) هذا الذي كروا التسبيح هما الغاية من الدعاء المتقدم والمراد التسبيح هنيئاً للسان وقيل المراد به الصلاة (أنك كنت بنا بصيراً) هو المبصر والعالم بخصيصة الأمور وهو المراد هنا أي أنك كنت بنا عالماً في صغرنا فأحسننا البنا فأحسن أيضاً كذلك الآن ثم أخبره الله سبحانه بأنه قد أجاب ذلك الدعاء (قال قد أوتيت سؤالك يا موسى) أي أعطيت ما سألته من أهلك والسؤل المسؤل أي المطلوب كقولك خبز عني مخبوز ومسئوله هو قوله رب اشرح لي وزيادة قوله يا موسى لتشريحه بالخطاب مع رعاية التواصل (ولقد مننا عليك مرة أخرى) كلام مستأنف لتقوية قلب موسى بشكره نعم الله عليه والمن الاحسان والافضال والمعنى ولقد أحسننا اليك قبل هذه المرة وهي حفظ الله سبحانه له من شر الأعداء كما بينه سبحانه ههنا وأخرى تأنيث آخر بمعنى غير وحاصل ما ذكره من المن عليه من غير سؤال غانية الاولى قوله (إذا وحينا إلى أمك ما يوحى) الى قوله وعدوله أي منذ ذلك الوقت وهو وقت الإيحاء

ربيع بن ابراهيم ثم قال غريب من هذا الوجه حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا يونس حدثنا محمد حدثنا عبد الرحمن بن الغسيل حدثنا أسيد بن علي عن أبيه عن أبي عبيد عن أبي أسيل وهو مالك بن ربيعة الساعدي قال بينما أنا جالس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل من الأنصار فقال يا رسول الله هل بقي على من برأوى شيء بعد موته ما أبره ما به قال نعم خصال أربع الصلاة عليهم ما والاستغفار لهم ما وإنفاذ عهدهما وإكرام صديقهما واصله الرحم التي لا رحم لك إلا من قبلهما فهو الذي بقي عليك من برهما بعد موته ما رواه أبو داود وابن ماجه من حديث عبد الرحمن بن سليمان وهو ابن الغسيل حديث آخر قال الامام

أحمد حدثنا روح حدثنا ابن جريج أخبرني محمد بن طلحة بن عبيد الله بن عبد الرحمن عن أبيه عن معاوية بن جاهمة السلمي أن جاهمة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أردت الغزو ووجنتك أستشيرك فقال فهل لك من أم قال نعم قال فإزمها فإن الجنة عند رجليها ثم الثانية ثم الثالثة في قاعدتي ومثل هذا القول ورواه النسائي وابن ماجه من حديث ابن جريج حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا خلف بن الوليد حدثنا ابن عباس عن يحيى بن سعد عن خالد بن معدان عن المقدم بن معد يكرب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يوصيكم بآبائكم ان الله يوصيكم بآمهاتكم ان الله يوصيكم بآمهاتكم ان الله

يوصيكم بآمهاتكم ان الله يوصيكم بالاقرب فالاقرب وأخرجه ابن ماجه من حديث اسمعيل بن عياش به حديث آخر قال أحمد حدثنا يونس حدثنا أبو عوانة عن أشعث بن سليم عن أبيه عن رجل من بني يربوع قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فسمعتة وهو يكلم الناس يقول يد المعطى العلماء أمك وأباك وأختك وأخلك ثم أدناك أدناك حديث آخر قال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار في مسنده حدثنا ابراهيم بن المستقر العروقي حدثنا عمرو بن سفيان حدثنا الحسن ابن أبي جعفر عن ليث بن أبي سليم عن علقمة بن مزيد عن سليمان بن بريدة عن أبيه أن رجلا كان في الطواف حاملا أمه يطوف بها فسال النبي صلى الله عليه وسلم هل أدبت حقها قال لا ولا برة واحدة وكما قال ثم قال البزار لانعله يروى الامن هذا الوجه قلت والحسن بن أبي جعفر ضعيف والله أعلم (ربكم أعلم بما في نفوسكم ان تكونوا صالحين فإنه كان للآوابين غفورا) قال سعيد ابن جبير هو الرجل تكون منه البادرة إلى آتويه وفي نيته وقامه انه

والمراد به اما مجرد الالهام لآمه واسمها يوحناذ قاله السيوطي في شرح النقاية وفي النوم بأن أراها ذلك أو على لسان نبي أو على لسان ملك لأعلى طريق النبوة كالوحي إلى مريم أو باخبار الانبياء المتقدمين بذلك وانتهى الخبر إليها والمراد بما يوحى ماسيا أي من الامر لها آبهمة أو لا وفسره ثانيا تنغيح ماله شأنه بقوله (أن) مفسرة لأن الوحي فيه معنى القول أو بأن (أقذفه في التابوت فأقذفه في اليم) القذف هنا الطرح أي اطره في البحر واليم البحر والنهر الكبير قال القراء هذا أمر وفيه المجازاة أي أقذفه والتابوت الصندوق (فليلقه اليم بالساحل) الامر للبحر مبنى على تنزيله منزلة من يفهم ويدبر لما كان القاؤه اياه بالساحل أمر واجب الوقوع وهذا أمر معناه الخبر وانما جئ به بصيغة الامر مبالغة اذا الامر أقطع الافعال وآ كدها والساحل هو شط البحر يسمى ساحلا لان الماء مسحله قال ابن دريد والمراد هنا ما يلي الساحل من البحر لانفس الساحل والضمائر كلها للموسى لالتابوت وان كان قد أتى معه لكن المقصود هو موسى مع كون الضمائر قبل هذا وبعده قال السدي اليم هو النيل (ياخذة عدوتى وعدوله) جواب الامر باللقاء أو القذف والمراد بالعدو فرعون فان أم موسى لما ألقته في البحر وهو النيل المعروف وكان يخرج منه نهر إلى دار فرعون فساقه الله في ذلك النهر إلى داره فأخذ التابوت فوجد موسى فيه وقيل ان البحر ألقاه بالساحل فنظره فرعون فأمر من يأخذه وقيل وجدته ابنة فرعون والاول أولى والمئة الثانية قوله (وألقيت عليك محبة مني) أي ألقى الله على موسى محبة عظيمة كالمئة من الله تعالى في قلوب عباده لا يراه أحد الا أحبه وقيل جعل عليه سحبة من جبال لا يراه أحد من الناس إلا أحبه وقال ابن جرير المعنى وألقيت عليك رحمتي وقيل المعنى أحبتك ومن أحبه الله أحبه الناس والقول للمحالة قال ابن عباس كل من رآه ألقى عليه منه محبة وعن سلمة بن كهيل قال حببتك إلى عبادي والمئة الثالثة قوله (ولتضع على عيني) أي ولتربي وتغذي برأى مني ويحسن إليك وأنا مراعيتك ومرأيتك كما يراعى الانسان الشيء بعينه اذا اعتنى به قاله الزمخشري والعين هنا بمعنى الرعاية مجاز مرسل من اطلاق السبب على المسبب يقال صنع الرجل جاريته اذا رباها وصنع فرسه اذا داوم على علفه والقيام عليه وتغذي برأى مني صحیح قال النحاس وذلك معروف في اللغة ولكن لا يكون في هذا تخصيص لموسى فان جميع الاشياء

لا يؤخذ به وفي رواية لا يريد الا الخبر بذلك فقال ربكم أعلم بما في نفوسكم ان تكونوا صالحين وقوله فانه كان للآوابين غفورا قال قتادة المطيعين أهل الصلاة وعن ابن عباس المسبحين وفي رواية عنه المطيعين المحسنين وقال بعضهم هم الذين يصلون بين العشاءين وقال بعضهم هم الذين يصلون الضحى وقال شعبة عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب في قوله فانه كان للآوابين غفورا قال الذين يصيبون الذنب ثم يتوبون ويصيبون الذنب ثم يتوبون وكذا رواه عبد الرزاق عن الثوري ومعه من يحيى بن سعيد عن ابن المسيب بنحوه وكذا رواه الليث وابن جرير عن ابن المسيب به قال عطاء بن يسار وسعيد بن جبير ومجاهد هم الراجعون إلى الخبر

وقال مجاهد عن عبيد بن عمير في الآية هو الذي اذا ذكروا به في الخلافة فيستغفروا الله منها ووافقه مجاهد في ذلك وقال عبد الرزاق حدثنا محمد بن مسلمة عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير في قوله انه كان للابوين غفورا قال كان عبد الاواب الحفيظ ان يقول اللهم اغفر لي ما أصبت في مجلسي هذا قال ابن جرير والاولى في ذلك قول من قال هو التائب من الذنب الرجاء من المعصية الى الطاعة بما يكره الله الى ما يحبه ويرضاه وهذا الذي قاله هو الصواب لان الاواب مشتق من الاواب وهو الرجوع يقال آب فلان اذا رجع قال تعالى انا انينا يا ايهاهم وفي الحديث الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم (٦٣) كان اذا رجع قال آيئون تائبون عابدون لربنا

حامدون (وات ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا وما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا) لما ذكر تعالى بر الوالدين عطف بذكر الاحسان الى القرابة وصلة الارحام وفي الحديث أمك وأباك ثم أدناك أدناك وفي رواية ثم الاقرب فالاقرب وفي الحديث من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ في أجله فليصل رحمه وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا عبد بن يعقوب حدثنا أبو يحيى التيمي حدثنا فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد قال لما نزلت وآت ذا القربى حقه دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة فأعطاهم فذلك ثم قال لانعلم حدث به عن فضيل بن مرزوق الأبو يحيى التيمي وحيد بن حاد بن أبي الجزار وهذا الحديث مشكل لوضوح اسناده لان الآية مكية وفدك انما فتحت مع خيبر سنة سبع من الهجرة فكيف يلتم هذا مع هذا وقد

جرأى من الله وقال أبو عبيدة وابن النباري ان المعنى لتغذى على محبتي وارادنى تقول ألتخذ الاشياء على عيني أى على محبتي قال ابن النباري العين في هذه الآية يقصد بها قصد الارادة والاختيار من قول العرب عد فلان على عيني أى على المحبة معنى قيل أى فعلت ذلك لتصنع وقيل أى لتصنع على عيني قدرنا مشى أختك والعين أيضا من ألقاظ الصفات فلا تؤول وتجري على ظاهرها وهو الاولى وقرئ لتصنع باسكان اللام على الامر وقرئ بفتح التاء والمعنى ولتكون حركتك وتصرفك عيشة نيتي وعلى عيني معنى وقال الزمخشري قريبا منه (اذنشى أختك) وكانت شقيقته واسمها مريم وصيغة المضارع الحكاية الحال الماضية (فتقول هل أدلكم على من يكفله) وذلك انه اخرج متعرفة خبره فوجدت فرعون وامرأته آسية يطلبان له مريضة فقالت لها هذا القول أى هل أدلكم على من يضعه الى نفسه ويريه ويكمل له رضاعه وكانت أمه قد أرضعته ثلاثة أشهر وقيل أربعة قبل القائه في الميم فقالا لها ومن هو قالت أى فقالا هل لها ابن قالت نعم لبن أخى هرون أكبر من موسى بسنة وقيل باكثر فقامت الام فقبل ثديها وكان لا يقبل ثدى مريضة غير هذا هو معنى (فرجعناك الى أمك) وفي مصنف أبي ترندناك وهذه هي المنة الرابعة (كى تقرعنها) بلقاءك قال الجوهرى قررت به عينا قررة وقرروا رجل قرير العين وقد قررت عينه تقر وتقر نقيض صحت والمراد بقررة العين السرور برجوع ولدها اليها بعد ان طرحته في البحر وعظم فراقه عليها (ولا تحزن) حينئذى لا يحصل لها ما يكدر ذلك السرور ومن الحزن بسبب من الاسباب ولو أراد الحزن بالسبب الذى قررت عنها بزواله لقدم نفي الحزن على قررة العين فيجمل هذا النفي على ما يحصل بسبب بطلان بعد ذلك ويعسكن أن يقال ان الواو لما كانت لمطلق الجمع كان هذا الحل غير متعين قال البيضاوى ولا تحزن أنت يا موسى على فراقها وقد اشفاقها وهو تعسف والمنة الخامسة قوله (وقلت نفسا) المراد بالنفس هنا نفس القبطى الذى وكره موسى فقضى عليه واسمه قاب قان وكان طبيا خالفرعون وكان قتله خطأ وكان عمره اذ ذاك اثنتى عشرة سنة وقيل ثلاثين سنة (فنجيناك من الغم) أى الغم الحاصل معك من قتله خوفا من العقوبة الاخرى أو الدنيوية أو منها جميعا وقيل من جهة فرعون لان جهة قتله لانه كان كافرا وأيضا قتله كان خطأ وقيل الغم هو القتل بلغة قريش وما أبعد هذا والمنة

تقدم الكلام على المساكين وابتداء السبيل في سورة براءة بما أغنى عن اغادته ههنا وقوله ولا تبذر تبذرا لما أمر بالانفاق نهي عن الاسراف فيه بل يكون وسطا كما قال في الآية الاخرى والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا الآية ثم قال منقرا عن التبذير والسرف ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين أى أشباههم في ذلك قال ابن مسعود التبذير الانفاق في غير حق وكذا قال ابن عباس وقال مجاهد لو أنفق انسان ماله كله في الحق لم يكن مبذرا ولو أنفق ماله في غير حق كان مبذرا وقال قتادة التبذير النفقة في معصية الله تعالى وفي غم الحق والفساد وقال الامام احمد حدثنا هشام بن القاسم حدثنا الهيثم عن خالد بن زيد عن سعيد بن أنس بن مالك قال قال أى رجل من بنى تميم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى ذو مال كثير وذو أهل

ورلد وحاضرة فاخبرني كيف أنفق وكيف أصنع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الزكاة من مالك ان كان فانها طهرة تطهرك وتصل أقرباك وتعرف حق السائل والجار والمساكين فقال رسول الله اقل لي قال فات ذا القربى حقه والمساكين وابن السبيل ولا تبذر تبذير افقال حسبي الله يارسول الله اذا أدبت الزكاة الى رسولك فقد برئت منها الى الله ورسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم اذا أدبت الى رسولك فقد برئت منها ولك أجرها وانما على من بدلها وقوله ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين أى في التبذير والسفاهة وترك طاعة الله وارتكاب (٦٤) معصيته ولهذا قال وكان الشيطان لربه كفورا أى جودا لانه أنكر نعمته

الله عليه ولم يعمل بطاعته بل أقبل على معصيته ومخالفته وقوله واما تعرض عنهم ابتغاء رحمة من ربك الآية أى اذا سألك أقربك ومن أمرناك بأعطائهم وليس عندك شيء وأعرضت عنهم لقد فقد النفقة فقتل لهم قولا ميسورا أى عدهم وعدا بسهمه ولين اذا جاء رزق الله فسنه صلاكم ان شاء الله هكذا فسر قوله فقتل لهم قولا ميسورا بالوعد مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وغير واحد (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتعدم ملوما محسورا ان ربك ييسر الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا) يقول تعالى أمرنا بالاقتصاد في العيش ذاما للبخل ناهيا عن السرف ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك أى لا تكن بخيلا منوعا لاتعطى أحدا شيئا كما قالت اليهود عليهم لعائن الله يد الله مغلولة أى نسبوه الى البخل تعالى وتقدس الكريم الوهاب وقوله ولا تبسطها كل البسط أى ولا تسرف في الانفاق فتعطى غير طاعتك وتخرج أكثر

السادسة قوله (وقتناك فتونا) الفتنة تكون بمعنى الحنة وبمعنى الامر الشاق وكل ما يتلى به الانسان والفتون مصدر كالشبور والسكون والكفور أى اختبارك اختبارا وابتليالك ابتلاءا وفتونا من الابتلاء على انه جمع فتن أو فتنة على ترك الاعتداد بآثار التائب كجوز في حجة وبدور في بدرة أى خلصناك مرة بعد مرة مما وقعت فيه من الخن التي سبق ذكرها قبل أن نصطفيك لرسالتنا وألها أن أمه حملته في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الاطفال ثم القاه في البحر في التابوت ثم منعه من الرضاع الامن ثدى أمه ثم أخذ به لحيمة فرعون حتى هم بقتله ثم تناوله الجرة بدل الجوهر ثم قتله القبطى وخروجه الى مدين خائفا وقد أخرج عديد بن حميد والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس أن اراطوبلا في تفسير هذه الآية فن أحب استيفاء ذلك فليتنظر في كتاب التفسير من سنن النسائي ولعل المقصود بذكر تحيته من الغم الحاصل له بذلك السبب وتحيته من الخن هو الامتنان عليه بصنع الله سبحانه وتوفيق قلبه عند ملاقاته ماسيق له من ذلك مع فرعون وبنى اسرائيل والمنة السابعة قوله (فلبت سنين في أهل مدين) قال الفراء تندير الكلام وقتناك فتونا فخرجت الى أهل مدين فلبت سنين ومثل هذا الحذف كثير في التنزيل وكذا في كلام العرب فانهم يحذفون كثيرا من الكلام اذا كان المعنى معروفا ومدين هى بلاد شعيب وكانت على ثمان مراحل من مصر هرب اليها موسى فاقام بها عشرين سنة وهى أتم الاجلين وقيل اقام عند شعيب ثمانية وعشرين سنة منها عشر مهرانم آتة ابنة شعيب ومنها ثمانى عشرة سنة بقي فيها عنده حتى ولد له (ثم جئت على قدر يا موسى) أى في وقت سبق في قضائى رعلى وقدرى ان أكلك وأجعلك نبيا أو على ميقات ومقدار من الزمان يوحى فيه الى الانبياء قاله ابن عباس وهو رأس أربعين سنة أو على موعد قد عرفته باخبار شعيب لك به قاله مجاهد وقتادة قال الشاعر

نال الخلافة اذ كانت له قدرا * كما أتى ربه موسى على قدر

وكلمة ثم المفيدة للتراخي للدلالة على ان مجيئه عليه السلام كان بعد مدة وذلك بسبب ما وقع له من ضلال الطريق وتفرق غممه ونحو ذلك وعلى معنى مع (واصطنعتك لنفسى) بالرسالة والاصطناع اتخاذ الصنعة وهو الخير تسديده الى انسان والمعنى اصطنعتك لوحى ورسالتى لتصرف على ارادى قال الزجاج تأويله اخترتك لاقامة حجتي وجعلتك بيني وبين خلقى

من دخلك فتعده ملوما محسورا وهذا من باب اللف والنشر أى فتعده ان يجتلم ملوما يلومك الناس وصرت

ريذمونك ويستغنون عنك كما قال زهير بن أبى زهير في المعلقة * ومن كان ذاملا ويضل بحاله * على قوم يستغنى عنهم ويذم ومتى بسطت يدك فوق طاعتك فعدت بلا شيء تنفقه فتكون كالحسير وهو كالذابة التي عجزت عن السير فوقفت ضعفا وعجزا فانها تسمى الحسير وهو مأخوذ من البكال كما قال فارجد البصر هل ترى من فطوره ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو أعبر أى كليل عن أن يرى عيبا هكذا فسرت هذه الآية بان المراد هنا البخل والسرف وقال ابن عباس والحسن وقتادة وابن جرير

وابن زيد وغيرهم وقد جاء في الصحيحين من حديث أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مثل الخيول والمنفق كمثل رجلين عليهما جيتان من حديد من ثديهما إلى تراقيهما فاما المنفق فلا ينفق الا سبغت أو وفرت على جملته حتى يخفى بئانه أو يعنو أثره واما الخيل فلا يريد أن ينفق شيئا الا لزقت كل حلقة منهم اسكانها فهو يوسهها فلا تنسج هذا لفظ البخاري في الزكاة وفي الصحيحين من طريق هشام بن عروة عن زوجته فاطمة بنت المنذر عن جدتها أسماء بنت أبي بكر قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انفق هكذا وهكذا ولا توفى في روى (٦٥) الله عليكم ولا توفى في روى الله عليكم وفي

اللفظ ولا تحصى فيحصى الله عليكم وفي صحيح مسلم من طريق عبد الرزاق عن معمر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قال لي انفق انفق عليكم وفي الصحيحين من طريق معاوية ابن أبي سفيان عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من يوم يبع العباد فيه الا وملك كان ينزلان من السماء يقول أحدهما اللهم أعط منفقنا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكتنا تلفا وروى مسلم عن قتيبة عن اسمعيل بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعا ما انتفى مال من صدقة وما زاد الله عبدا انتفى الا عزا ومن تواضع لله رفعه وفي حديث أبي كثير عن عبد الله بن عمر مرفوعا ياكم والشح فانه أهلك من كان قبلكم أم أمرهم بالجل فجلوا وأمهم بالقطيعة فقطعوها وأمهم بالفجور ففجروا وروى البيهقي من طريق سعدان ابن نصر عن أبي معاوية عن الأعشى عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يخرج رجل صدقة

ودرت بالتبليغ عنى بالمتزلة التي أكون أناهم الوخاطبة لهم واحتجبت عليهم قيل وهو نثيل لما خوله الله سبحانه من الكرامة العظمى بتقريب الملك لبعض خواصه وهذه هي المنة الثامنة قال أبو السعد عود في قوله ياموسى تشير يله عليه السلام وتنبه على انتها الحكاية التي هي تفصيل المرة الاخرى التي وقعت قبل المرة الحكيمة أو لا وقوله اسطغمتك لنسبى تذكير لقوله وأنا اخذت تلك وتهميد لارساله الى فرعون مؤيدا باخيه انتفى (اذع ب أنت وأخوك) أى وليذهب أخوك حسب ما طلبت وهو كلام مسطور متأنف مسوق لبيان ما هو المقصود من الاصطناع وفيه اختصار لما ذكر المذهب اليه في قوله اذهب الى فرعون وحذفه هنا (يا ياقى) أى عجزنا الى التي جعلتها لك آية وهى اليد والعصا فقط وعليه أكثر المنسرين وقيل هى التسع الآيات وفيه نظر والبلاء المصاحبة أى معجوبين بها تتمكن بهم فى اجراء احكام الرسالة وكمال أمر الدعوة وليست المتعديبة اذ ليس المراد مجرد ذهابهم ما ارباهها الى فرعون (ولا تنبأ) أى لا تضعنا ولا تسترايقا لوفى بنينا اذا ضعف وتوانى فى الامر تواتيا لم يبادر الى ضبطه ولم يهتم به فهو متوان أى غير مهم ولا مختل (فى ذكرى) قال القراء هذا وعن ذكرى سواء والمعنى لا تستمر عن ذكرى لاحسان اليك والانعام عليك ومن ذكر النعمة تشكروها وقيل المعنى لا تبطل فى تبليغ رسالتى وفى قراءة ابن مسعود لا تنافى ذكرى (اذع ب الى فرعون) هذا أمر لهم جميعا بالذهاب وموسى حاضروهم وهرون غائب بل كان فى ذلك الوقت بمصر تغليب لموسى لانه الاصل فى اداء الرسالة وكذا الحال فى صيغة التثنية المذكورة وعلى الامر بالذهاب بقوله (انهطعنى) أى جاوز الحد فى الكفر والتربد بآدائه الربوبية وخص موسى وحده بالامر بالذهاب فيما تقدم ووجههما هنا تشير بقوله موسى بافراده وقيل الاول أمر لموسى بالذهاب الى كل الناس والثانى أمر لهم بالذهاب الى فرعون ثم أمرهم جميعا بالانابة الى الله لان الله هو الذى لا يخفى عليه انفسهم فان التخشين ابدى يكون من أعظم أسباب المنور والتصلب فى الكفر فقال (فقلوا لا نقول لا نأمن) أى دارياء وأرفقابه ولا تعنفنا فى قولكم كفى رجوعه عن ذلك والقول اللين هو الذى لا خشونة فيه يقال لان الشئ لين ليننا والمراد تركهم للمتعنف كقولهما هل لك الى ان تركى وأهديك الى ربك فتخشى فانه دعوة فى صورة عرض ومشاورة وقيل القول اللين هو الكنية له أى قول لا يا أبا الوليد وقيل يا أبا العباس وقيل يا أبا برة وقيل ان يعدها بنعيم

(٩ - فتح البيان سادس) حتى ينفك لحي سبعين شيطانا وقال الامام أحمد حدثنا عبيدة الجزار حدثنا سفيان بن عبد العزيز حدثنا ابراهيم الهجرى عن أبي الاحوص عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عال من اقتصد وقوله ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اخباره تعالى هو الرزاق التابض الباسط المتصرف فى خلقه بما يشاء فيعفى من يشاء وينتقم من يشاء لما فى ذلك من الحكمة ولهذا قال انه كان بعباده خيرا بصيرا أى خيرا بصير عن يستحق الغنى ويستحق الفقر كما جاء فى الحديث ان من عبادى من لا يصلحه الا الفقر ولو أغنيته لافسدت عليه دينه وان من عبادى من لا يصلحه الا الغنى ولو أفقرته

لأفسدت عليه دينه وقد يكون الغنى في حق بعض الناس استدراجاً والفقير عبودية عباد الله من هذا وهذا (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق فمَن نرزقهم وإياكم أن تقتلهم كان خطأ كبيراً) هذه الآية الكريمة دالة على أن الله تعالى أرحم بعباده من الوالد بولده لأنه نهي عن قتل الأولاد كما أوصى الأباة بالولاد في الميثاق وكان أهل الجاهلية لا يورثون البنات بل كان أحدهم ربما قتل ابنته لئلا تنكح غيره فنهى الله تعالى عن ذلك وقال ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق أى خوف أن تفقر وافي ثانياً الحال ولهذا قدم الاهتمام برزقهم فقال فمَن نرزقهم وإياكم (٦٦) وفي الانعام ولا تقتلوا أولادكم من إملاق أى من فقر فمَن نرزقكم وإياهم

وقوله ان قتلهم كان خطاً كبيراً أي
ذنباً عظيماً وقرأ بعضهم هم كان خطاً
كبيراً وهو عناد في الصبيحين
عن عبد الله بن مسعود قلت
يا رسول الله أي الذنب أعظم قال
أن تجعل للنساء وهو خلقك قلت ثم
أي قال ان تقتل ولدك خشية ان
يطعم معه قلت ثم أي قال ان تراني
بجملته جارك (ولا تقرّبوا الزنا انه
كان فاحشة وساء سبيلاً) يقول
تعالى يا أيها عباده عن الزنا وعن
مقاربتهم مخالطة أسبابه ودواعيه
ولا تقرّبوا الزنا انه كان فاحشة أي
ذنباً عظيماً وساء سبيلاً أي وبئس
طريق يقاوم الله كما وقد قال الاسام أحد
حدثنا يزيد بن هرون حدثنا جابر
حدثنا مسلم بن عامر عن أبي امامة
ان فتى شاباً أتى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال يا رسول الله ائذن لي بالزنا
فاقبل القوم عليه فزجروه وقالوا
مه فقال ادبه فذمّمه فربما يقال
اجلس فجلس فقال أفضحه لأمّ
قال لا والله جعلني الله فداك قال
ولا الناس يحبونه لأمّاتهم قال
أفضحه لأمّك قال لا والله يا رسول
الله جعلني الله فداك قال ولا الناس
يحبونه لآبائهم قال أفضحه لأختك

والنيوا والآخره ان اُجَاب وقيل أن يعدها بشباب لا يهرم بعده وملاك لا يزول بالاموت قاله
البيضاوي ثم علل الامر بالانذار القول له بقوله (لعلي تذكروا ويخشى) أى بأشراك ذلك
مباشرة من يرجو ويطمع فالرجاء راجع اليهما كما قاله جماعة من التفسيرين سيما به وغيره
وقد تقدم تحقيقه في غير موضع قال الزجاج لعل لفظة طمع وترج فخطا بهم بما يتعلقون
وقيل لعل هناك بمعنى الاستنهاض والمعنى فانظر هل تذكروا ويخشى وقيل بمعنى كفى والتذكير
النظر فيها بالمعادم من الذكر وامعان التفكير فيه حتى يكون ذلك سببا في الاجابة والخشية
هى خشية عقاب الله الموعود به على اسامهم أو كلمة ولمنع الخلودون الجمع وقائدة ارسالها
والمبالغة عليهم ما في الاحتمال مع علم الله بأنه لا يؤمن الزام الخلة وقطع المعذرة واطهار
ما حدث في تضاعيف ذلك من الآيات (فالذين آمنوا تترخا) أسند القول اليهما مع ان
القاتل حقيقة هو موسى تعليمه للايديان باصا ليه في كل قول وفعل أو قاله هرون بعد
ملاقاتهما فخبرك ذلك مع قول موسى عند نزول الآية كافي قوله تعالى يا أيها الرسل كلوا
من الطيبات فان هذا الخطاب قد حكى بصيغة الجمع مع ان كلاما من مخاطبين لم يخاطب الا
بطريق الانفراد ضرورة استعماله اجتماعهم في الوجود فكيف باجتماعهم في الخطاب
(ان يعطى) فرعون (عليه السلام) بفتح الياء وضم الراء أى يذل ويأذربيعتقوتنا قاله ابن عباس
يقال فرط منه أمر أى يذل ومنه الفارط وهو الذى يتقدم القوم الى الماء أى يعد بنا عذاب
الفارط فى الذنب وهو المتقدم فيه كذا قال المبرد وقال أيضا فرط منه أمر وأفرط أسرف
وفرط ترك وقرئ يعطى بضم الياء وفتح الراء أى يحمله حامل على التسرع اليها وقرأت
طائفة من الفارط أى يشتط فى أذيتنا أى فلا يصبر الى تمام الدعوة واطهار المحجة (أو ان
يطغى) أى يعتدى قاله ابن عباس واطهار كلمة ان مع استقامة المعنى بدونها الاظهار كمال
الاعتناء بالامر والاشعار بتحقيق الخوف من كل منهما (قال تعالى) (لا تخافا) ما توهمناه
من انهم من ثم علل ذلك بقوله (اننى معكم) بالنصر لكم والمعونة على فرعون (أسمع
وأرى) أى أدرك ما يجري بينكم وبينه بحيث لا يخفى على منه خافية ولسنت بغافل عنكم
فافعل فى كل حال ما يلقى بكم من دفع ضرر وجلب نفع وعن ابن جرير قال أسمع ما يقول
وأرى ما يتجاوب بكبه فأوحى اليكم فتجاوبوا به وعن ابن مسعود قال لما بعث الله موسى الى
فرعون قال رب أى شئ أقول قال قل هيا سرا هيا قال الاعشى نفسه ذلك الحى قبل كل

قال لا والله جعلني الله فداك قال ولا الناس يحبونه لآخواتهم قال أفذهب لعمرك قال لا والله جعلني الله فداك شيء قال ولا الناس يحبونه لعماتهم قال لا والله جعلني الله فداك قال ولا الناس يحبونه لآلئهم قال فوضع يده عليه وقال اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه و أحسن فرجه قال فلم يكن بعد ذلك الفتى بماتت إلى شيء وقال ابن أبي الدنيا حدثنا عمار بن نصر حدثنا بقيقه عن أبي بكر بن أبي هريرة عن الهيثم بن مالك الطائفي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من ذنب بعد الشرك أعظم عند الله من نطفة وضعتها رجل في رحم لا يعل له (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الإباحق ومن قتل ظلوما فقد جعلناه لولييه سلطانا فلا

يسرف في القتل انه كان منصوراً) يقول تعالى ناهياً عن قتل النفس بغير حق شرعى كما ثبت في الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا اله الا الله وان محمد رسول الله الا باحدى ثلاث النفس بالنفس والزاني المحسن والتارك لدينه المفارق للجماعة وفي السنن والدين عند الله أهو من قتل مسلم وقوله ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطاناً أى سلطنة على القاتل فانه بالخيار فيه ان شاء قتله قودا وان شاء عذابه على الدية وان شاء عذابه مجازاً كما ثبتت السنة بذلك وقد أخذ الامام الخبر ابن عباس من عموم هذه الآية الكريمة ولاية معاوية السلطنة (٦٧) انه سئل لانه كان ولي عثمان وقد قتل عثمان مظلوما مرضى الله عنه وكان معاوية

بطالب عليا مرضى الله عنه انه يسلمه قتله حتى يقتص منه لانه أموى وكان على رضى الله عنه يستجبه له في الامر حتى يتمكن وينزل ذلك ويطلب على من معاوية أن يسلمه الشام فمأبى معاوية ذلك حتى يسلمه القتل وأبى أن يبايع عليا هو وأهل الشام ثم مع المطالبة تمكن معاوية وصار الامر اليه كما قاله ابن عباس واستنبطه من هذه الآية الكريمة وهذا من الامر العجيب وقد روى ذلك الطبراني في معجمه حيث قال حدثنا يحيى بن عبد الباقي حدثنا أبو عمير بن النحاس حدثنا سمرة بن ربيعة عن ابن شاذب عن مطر الوراق عن زهدم الجرمي قال كفى سمرا بن عباس فقال انى محمدكم بحديث ليس بسرف ولا علانية انه لما كان من أمر هذا الرجل ما كان يعنى عثمان فأتى على اعترل فلو كنت في حجر طلعت حتى تستخرج فعصافى وايم الله لمتأمرن عليكم معاوية وذلك ان الله يقول ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل الآية ولجملتهم كقرش على

شيء والحى بعد كل شيء وجود السيموطى اسناد وسبقته الى تجويد اسناده ابن كثير في تفسيره ثم أمرهما باتيانا الذي هو عبارة عن الوصول اليه بعد أمرهما بالذهاب اليه فلا تكرار فقال (فاتياه فقولاً) أمرهما أن يقولوا لا تستجبل الاولى قوله (ان رسولاً بن) أرسلنا اليك (فارسل معاينى اسرائيل) أى خل عنهم وأطلقهم من الاسر والقسر (ولا تعذبهم) بالبقاء على ما كانوا عليه وقد كانوا عند فرعون في عذاب شديد يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم ويكفهم من العمل ما لا يطيقونه من الحفر والبناء ورجل الثقل (قد جئنا لباية من ربك) قبل ههنا العساو واليدوقيل ان فرعون قال لهما وماهى فادخل موسى يده في جيب قميصه ثم أخرجها واهشاع كشمع الشمس فعجب فرعون من ذلك ولم يره موسى العساو اليوم الزينة قال الزخشرى وههنا الجملة جارية من الجملة الاولى مجرى البيان والتفسير لان دعوى الرسالة لا تثبت الا بينتها التى هى محجى الآية وانما وجد باية ولم يثن ومعه آيات لان المراد مجرد تثبيت الدعوى ببرهانها فكأنه قيل قد جئناك بعجزة وبرهان ووجه على ما دعيه من الرسالة (والسلام) أى السلامة من العذاب (على من اتبع الهدى) قال الزجاج أى من اتبع الهدى سلم من سخط الله عز وجل ومن عذابه وليس بجمعة قال والدليل على ذلك انه ليس باقتداء لقاء ولا خطاب قال الفراء السلام على من اتبع ولمن اتبع سواء والجملة السادسة قوله (انا قد أوحى اليها) من جهة الله سبحانه (ان العذاب على من كذب) ما جئناه به (وتولى) أعرض عنه والمراد بالعذاب الهلاك والدمار في الدنيا والخلود في النار والمراد بالتكذيب التكذيب بآيات الله وبرسوله والتولى الاعراض عن قبولها والايان بها قال قتادة كذب كذب الله وتولى عن طاعته فاتياه وقالاجيع ما ذكر وسارعا الى الامتثال من غير تعلعهم (قال) فرعون لهما (ئن ربكم يا موسى) فاضاف الرب اليهما لما ان المرسل لابد ان يكون بالرسول أو لانهم ما قد سرحا برؤيته تعالى للكل ولم يصفه الى نفسه لعدم تصديقه لهما ولخذه للربوبية وغاية عتوه ونهاية طغيانه وخص موسى بالنداء لكونه الاصل في الرسالة وقيل لمطابقة رؤس الآسى والاولى (قال) موسى مجيباً له (ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه) الذى هو عليه متميز به عن غيره قرئ بفتح اللام على انه فعل ويسكون اللام والمعنى أعطى كل شيء صورته وشكله الذى يطابق بالمنفعة المنوطة به المطابقة له كايه للبطش والرجل للمشي واللسان للنطق

سنة فارس والروم وليقيم عليكم النصارى واليهود والمجوس فن أخذ منكم يومئذ بما عرف بحجائهم من تركوا وتم تاركون كنتم كقرن من القرون هلك فين هلك وقوله فلا يسرف في القتل انه قال معناه فلا يسرف الولى في قتل القاتل بان يمثل به أو يقتص من غير القاتل وقوله انه كان منصوراً أى ان الولى منصور على القاتل شرعاً وغالباً وقدر (ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هى أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولاً وأوفوا الكيل اذا كنتم وزناً بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلاً) يقول تعالى ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هى أحسن حتى يبلغ أشده أى لا تصرفوا في مال اليتيم الا بالعبطة ولا تأكلوا أموالهم امراً

ويذكر أن يكبروا ومن كان غنيا فليست به نف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف وقد جاء في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يذري ذريا يأذرنى أراك ضعيفا وإنى أحب لك ما أحب لنفسى لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم وقوله وأوفوا بالعهد أى الذى تعاهدون عليه الناس والعقود التى تعاملونهم بها فإن العهد والعهد كل منهما مسئلة صاحبه عنه وقوله وأوفوا الكيل إذا كنتم أى من غير تفتيف ولا تجسوا الناس أشياءهم وزوايا التمساس قرئ بضم القاف وكسر ها كالتمساس وهو الميزان قال مجاهد هو العدل بالروية وقوله المستقيم (٦٨) أى الذى لا اعوجاج فيه ولا انحراف ولا اضطراب ذلك خير أى اليكم

فى معاشكم ومعادكم ولهذا قال وأحسن تأويلا أى بالاولى من قبلنا فى آخر تكلم قال سعيد بن قتادة ذلك خير وأحسن تأويلا أى خير ثوابا وأحسن عاقبة وأما ابن عباس كان يقول يادعشر الموالى انكم وليستم أمرين بهم ما هلك الناس قبلكم هذا المآل وهذا الميزان قال وذكر لما ان نبى الله عليه الصلاة والسلام كان يقول لا يتدبر رجل على حرام ثم يدعه ليس به الا حرام فقال الله الا تبذله الله فى عاجل الدنيا قبل الآخرة ما هو خير له من ذلك (ولا تنف سايس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس يقول لا تنسل وقول العوفى عنه لا ترم أحد بما ليس لك به علم وقال محمد بن الحنفية يعنى زيادة لزور وقال قتادة لا تنسل رأيت ولم ترو سمعت ولم تسمع وعلت ولم تعلم فان الله تعالى سائلك عن ذلك كله ومنهون ما ذكره ان الله تعالى نهى عن القول بلا علم بل بالظن الذى هو التوهم والخيال كما قال تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم وفى الحديث

والعين للنظر والاذن للسمع كذا قال الضحاك وغيره قال الحسن وقتادة أعطى كل شىء صلاحا وهذا لما يصلحه وقال مجاهد المعنى لم يخلق خلقا الا انسانا فى خلق البهائم ولا خلق البهائم فى خلق الانسان ولكن خلق كل شىء فقدره تقدير او منه قول الشاعر ولد فى كل شىء خلقه * وكذلك الله ما شاء فعل وقال الفراء المعنى خلق للرجل المرأة ولذلك ذكر سابقا فقد من الاناث أو المعنى أعطى خلقه كل شىء يحتاجون اليه ويرتفعون به ومعنى (ثم هدى) انه سبحانه هداهم الى طريق الاتقاع عما عطاهم فانه عوا بكل شىء فمسا خلق له أو المعنى أعطى كل شىء خلقه الله سبحانه ولم يخلد من عطائه قال ابن عباس خلق لكل شىء زوجة ثم هدى قال هداهم الى صراط مستقيم ومطلعهم ومشر بهود مسكنه ولما سمع فرعون ما حجج به موسى فى ضمن هذا الكلام على اثبات الربوبية وشاهد ما نظم فى سبائك الاستدلال من البرهان النبى كالا ينفى من أن الخلق والهداية ثابتان بلا خلاف ولا يلهى مامن خالق وهاد وذلك الخالق والهادى هو الله سبحانه لا رب غيره فأن يظهر للناس حقيقة ما قاله موسى وبطلان خرافاته أراد أن يصرف موسى عن سنده الى ما لا يعنيه من الامور التى لا تعلق لها بالرسالة من الحركات لاجل أن يرى قومه ان عنده معرفة (قال فى ابا القرون الاولى) كنوم نوح وهو دود ووط وصالح فى عبادتهم الاوثان فانهم لم يقربوا بالرب بل عبدت الاوثان ونحوها من المخلوقات ومعنى ابا القرون الاولى والشان أى ما حالهم وما شأنهم وماذا جرى عليهم من الحوادث المنفصلة فاجابه موسى (قال علمها عند ربى) أى ان هذا الذى سالت عنه ليس مما نحن بصدد بل هو من علم الغيب الذى استأثر الله به لا تعلمه أنت ولا انا وان العلم باحوالهم لا تعلق له بمنصب الرسالة (فى كتاب) أى انها مثبتة فى اللوح المحفوظ قال الزجاج المعنى ان أعمالهم محفوظة عند الله يجازى بها يوم القيامة والتقدير علم أعمالها عند ربى فى كتاب واعلم ان فرعون لما سأل موسى عن الآلهة وكان ذلك مماسيلة الاستدلال اجاب به موسى بأوجز عبارة وأحسن معنى ولما سأل عن القرون الاولى وكان ذلك مماسيلة الاخبار ولم يأت به خبر فى ذلك وكفه الى عالم الغيوب قاله الكرخى (لا يضل ربى ولا ينسى) اختلف فى معناه على أقوال الاول انه ابتداء كلام مستأنف تنزيهه لله سبحانه عن هاتين الصفتين وقد تم الكلام عند قوله فى كتاب قاله الزجاج قال ومعنى لا يضل لا يهلك من قوله تعالى أنذاض للناس فى

اياكم والظن فان الظن كذب الحديث وفى سنن ابى داود بس مطية الرجل زعموا فى الحديث الآخر الارض ان أقرى النرى ان يرى الرجل عينيه ما لم تريا فى الصحيح من تحلم كلما كف يوم القيامة ان يعتقد بين شعيرتين وليس بفاعل وقوله كل أولئك كان عنه مسئولا أى هذه السمات من السمع والبصر والفؤاد كان عنه مسئولا أى سيسئل العبد عنها يوم القيامة وتسئل عنه وعما عمل فيها ويصح استعمال أولئك مكان ذلك كما قال الشاعر ذم المنازل بعد منزلة اللوى * والعيش بعد أولئك الايام (ولا تمش فى الارض مرحا لك ان تحرق الارض وان تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها) يقول تعالى ناها

عباده عن التحير والتجسر في المشية ولا تمس في الارض من حاي متجسرا متمايلا مشي الجبارين انك لن تخرق الارض أى تقطع الارض بمشيك قاله ابن جرير واستشهد عليه بقول ربيعة بن الحجاج * وقائم الاعماق حاوى الخرق وقوله وان تبلغ الجبال طولا أى بتمامك وفركك واعجابك بنفسك بل قد يجازى فاعل ذلك بتقيض قصده كما ثبت في الصحيح بينما رجل عشي فبين كان قبلكم وعليه بردان يتجسرون فما ادخسف به الارض فهو يتجبلل فيها الى يوم القيامة وكذلك أخبر الله تعالى عن قارون انه خرج على قومته في بيته وان الله تعالى خسف به وبداره الارض وفي الحديث من تواضع لله رفعه الله (٦٩) فهو في نفسه حثير وعند الناس كبير ومن استكبر وضعه الله فهو في نفسه

كبير وعند الناس حثير حتى لهو أبغض اليهم من الكلب أو الخنزير وقال أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب الخمول والتواضع حديثا أحدين ابراهيم بن كثير حدثنا حجاج بن محمد عن أبي بكر الهذلي قال بينما نحن مع الحسن اذ مر عليه ابن الهمير يد المنور وعليه جباب خز قد نضد بعضها فوق بعض على ساقه وانفج عينا قباؤه وهو عشي ويتجسرا زنادير السيد الحسن نظرة فقال أف أف شامخ بانفه ثاني عطشه مصعرخده ينظر في عطشه أى حتى أى ينظر في عطشه في نعم غير مشكورة ولا مذكورة غير المأخوذ بما رآه الله فيها ولا المؤدى حق الله منها والله أى عشي أحدهم طبيعته يتلجج الجنون في كل عضو منه نعمة وللشيطان به لعنة فسمع ابن الهمير فرجع يعتذر اليه فقال لا تعتذر الى قومى الى ربك أما سمعت قول الله تعالى ولا تمس في الارض من حايك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا ورأى الجعري العابد رجلا من آل علي عشي وهو يحترق في مشيته فقال له يا هذا ان الذي

الارض ولا ينسى شيئا من الاشياء فقد نزهه عن الهلاك والنسيان الثاني ان معنى لا يخطئ قاله ابن عباس الثالث ان معناه لا يغيب قال ابن الاعراب اصل الفلال الغيبوبة الرابع ان المعنى لا يحتاج الى كتاب ولا يضل عنه علم شيء من الاشياء ولا ينسى ما علمه منها حكى هذا عن الزجاج أيضا قال النحاس وهو أشبهه بالعمى ولا يخفى انه كقول ابن الاعراب الخامس ان المعنى لا يذهب شيء عن علمه ولا يندى أى بعد ما علم وهذا كالرابع السادس ان اللفظ الاول اشارة الى كونه عالما بكل المعلومات والثاني دليل على بقاء ذلك العلم ابدا لا يآد وهو اشارة الى نفي التغير السابع ان هاتين الجملتين صفة للكتاب والمعنى ان الكتاب غير ذاهب عن الله ولا هو ناس له (الذي جعل لكم الارض مهدا) أى مهدا مهدا أو ذات مهد وهو اسم لما يمشى كالفرش لما يفرش وقرئ مهدا قال النحاس والجمع أولى من المصدر لان هذا الموضع ليس موضع مصدر الاعلى حذف المنصاف وقيل مهدا مفرد كالفرش أو جمع معناه الفرش فأنما يجمع المهد أى جعل كل موضع منها مهدا لكل واحد منكم وهذا من جملة كلام موسى في جواب فرعون عن سؤاله الاول فهو مرتبط بقوله ثم هدى لكنه ذكر في خلال كلامه على سبيل الاعتراض سؤال فرعون الثاني وجوابه (وسلأكم فيها سبلا) السلأ ادخل الشيء في الشيء والمعنى أدخل في الارض لاجلكم طرقا تسلكونها وسبلا لئلا تكملوا وسطها بين الجبال والوديان والبرارى تسلكونها من قطر الى قطر لئلا تقضوا منها ما ركبكم وتشتنعوا بمنافعها وما رآه الله في آية اخرى الذي جعل لكم الارض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تتدون ثم قال سبحانه تتم بما لو صنفه به موسى (وأزل من السماء ماء) حواما المطر قيل الى هنا انتهى كلام موسى وما بعده وهو (فاخرجنا به) من كلام الله سبحانه قاله ابن عطية وتبعه المحلى وفيه بعد وقيل هو من الكلام المحكى عن موسى وانما التفت الى التسليم للتنبية على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة وايدانابانه طاع تنقاد الاشياء المختلفة لمشيئته ونوقش بان هذا خلاف الظاهر مع استلزامه قوت الالتفات لعدم اتحاد المتكلم ويجب ان يوجب ان الكلام كله محكى عن واحد وهو موسى والحاكى للجميع هو الله سبحانه والمعنى فاخرجنا بذلك الماء بسبب الحرث والمعالجة (أزواج من نبات شتى) أى زروا واشباها من أصناف النبات المختلفة الالوان والطعوم والروائح والمنافع فنهاها هو

أكرمك بلم تكن هذه مشيته قال فتركها الرجل بعد ورأى ابن عمر رجلا يحترق في مشيته فقال ان للشيطان اخوانا وقال خالد بن زيد معادان اياكم والخطر فان الرجل يده من سائر جسده واهما ابن أبي الدنيا وقال ابن أبي الدنيا حدثنا خلف بن هشام في البراز حدثنا جابر بن زيد عن يحيى عن سعيد بن محسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مشيت أمتى المظيطاء وخدمتهم في فارس والروم سلط بعضهم على بعض وقوله كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها وأما من قرأ سبئة أى فاحشة فعناده كل هذا الذي نهى عنه من قوله ولا تلتقوا ولا ولادكم خشية املاق الى هنا فهو سيئة مؤاخذ عليهم امكنر وهما عبد الله لا يحبه ولا يرضاه وأما

من قرأ سيئه على الاضافة فعنه عند كل هذا الذي ذكرناه من قوله وقضى ربك أن لا تعبدوا الاياه الى هنا سيئه أى فتيجه مكرها عند الله هكذا وجد ذلك ابن جرير رحمه الله (ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا) يقول تعالى هذا الذي أمرناك به من الاخلاق الجميلة ونهيها عنك من الصفات الرذيلة مما أوحينا اليك يا محمد لتأمر به الناس ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى في جهنم ملوما أى تلومك نفسك وتلومك الله والخلق مدحورا أى مبدما من كل خير قال ابن عباس وقتادة مطرودا والمراد من (٧٠) هذا الخطاب الامه واسطة الرسول صلى الله عليه وسلم فانه صلوات الله وسلامه

عليه معصوم (أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا أنكم لتقولون قولا عظيما) يقول تعالى راداعلى المشركين الكاذبين الزاعمين عليهم لعائن الله ان الملائكة بنات الله فجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا ثم ادعوا اليهم بنات الله ثم عبدوهم فاخطوا في كل من المقامات الثلاث خطأ عظيما فقال تعالى منكر اعليهم أفأصفاكم ربكم بالبنين أى خصكم بالذكور واتخذ من الملائكة اناثا واختر لنفسه على زعمكم البنات ثم شدد الانكار عليهم فقال انكم لتقولون قولا عظيما أى فى زعمكم ان لله ولدا ثم جعلكم ولده الاناث التى تأمنون ان يكن لكم وربا فلموهن بالوآد فملك اذا قسمته فضيزى وقال تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا ان كل من فى السموات والارض الا اتى الرحمن عبد القد احصاهم وعددهم عدا وكلهم آتية يوم القيامة فردا (وقد سرفنا فى هذا القرآن اذ كروا وما يزيدهم

للناس ومنها ما هو للدواب سميت بذلك لازدوا وجها واقترا بعضهما بعض والنبات مصدر سمى به النبات فاستوى فيه الواحد والجمع وشئى جمع شئيت وزنه فعلى والله للتأنيث وقال الاخفش التقدير أروا جاشى من نبات يقال أمرشت أى متفرق وشت الامر شتتا يشت شتوا وشتا تافرق واشت مثله والشتيت المتفرق وشتان اسم فعل ماض بمعنى افترق ولذلك لا يكتبى بواحد قاله السمين قال ابن عباس شئى مختلف (كأوا وادعوا أنعامكم) أى قائلين لهم ذلك والامر للاباحة وتذكير النعمة والجلالة حال يقال رعت الماشية الكلا وعاها صاحبها رعاية أى أسامها ووسر حها يجى لازما ومتعدبا والانعام جمع نعم وهى الابل والبقر والغنم والمعنى معدى بالانعام على الابل والعلف اذ ين فيه (ان فى ذلك) الاشارة الى ما تقدم ذكره فى هذه الايات (لايات) أى لعبر (لاولى النهى) جمع نهية وهى العقل وهى بدلانه يهى صاحبه عن ارتكاب القبائح وقيل انداسهم مفرد وهو مصدر كالهدي والسرى قاله أبو على وخص ذوى النهى لانهم الذين ينتهى الى رأيهم وقال ابن عباس لاولى الجحى والعقل وعنه لاولى التقي وهذا كدمن موسى احتجاج على فرعون فى اثبات الصانع جوابا لقوله فى ربك يا موسى (منها) أى من الارض المذكورة سابقا (خلقناكم) قال الزجاج وغيره يعنى ان آدم خلق من الارض وأولاده منه فعلى هذا يكون خلق كل انسان غير آدم من الارض بوسائط عديدة بقدر ما بينه وبين آدم وقيل المعنى ان كل نطفة مخلوقة من تراب فى ضمن خلق آدم لان كل فرد من أفراد البشر له حظ من خلقه وعلى هذا يدل ظاهر القرآن (وفيها) أى فى الارض (نعيدكم) بعد الموت فتدفنون فيها وتفرق أجزاؤكم حتى تصير من جنس الارض وجاء فى دون الى للدلالة على الاستقرار (ومنها) أى من الارض (نخرجكم) كما أخرجناكم عند ابتداء خلقكم (تارة) أى مرة (أخرى) بالبعث والنشور وتأليف الاجسام ورد الارواح اليها على ما كانت عليه قبل الموت عن عطاء الخراسانى قال ان الملك ينطق قبا أخذ من تراب المكان الذى يدفن فيه فيذكره على النطفة فيخلق من التراب ومن النطفة وذلك قوله منها خلقناكم وفيها نعيدكم وأخرج أحمد والحاكم عن أبى أمامة قال لما وضعت أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى القبر قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى بسم الله وفى سبيل الله وعلى ملة رسول الله وفى حديث فى السنن

الانفورا) يقول تعالى ولقد سرفنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل أى سرفنا فيه من الوعيد لعلمهم بذكرون انه ما فيه من الحجج والبيانات والمواعظ فينجز وعامهاهم فيه من الشرك والظلم والافك وما يزيدهم الانفور أى عن الحق وبعدها منه (قل لو كان مع آلهة كما يقولون اذ الابتغوا الى ذى العرش سيلا سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا) يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الزاعمين ان الله شركا منكم يخلقهم الله غيرهم ليقر بهم اليه زلفى لو كان الامر كما يقولون وان معه آلهة تعبد لتتقرب اليه وتشفع لديه لكان أولئك المعبودون عبادونه ويتقربون اليه ويتبعون اليه الوسيلة والقربة فاعبدوه أنتم وحده كما يعبدونه تدعونهم من دونه ولا حاجة اليكم الى معبود يكون واسطة بينكم وبينه فانه لا يحب ذلك ولا يرضاه بل يكرهه

ويأباه وقد نهى عن ذلك على السنة جميع رسله وأنبيائه ثم نزه نفسه الكريمة وقدسها فقال سبحانه وتعالى عما يشركون أي هؤلاء المشركون المعتدون الظالمون في زعمهم أن معه آلهة أخرى علوا كبيرا أي تعاليا كبيرا بل هو الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يكن له كنوا أحد (تسجد له السموات السبع والأرض ومن فيهن ومن شئ إلا يسجد بحمده ولكن لا تنفتحون تسبيحهم أنه كان حليما غفورا) يقول تعالى تقدس السموات والأرض ومن فيهن الأمن المخلوقات وتنزهه وتعظمه وتجلده وتكبره عما يشركون هؤلاء المشركون وتشهد له بالوحدانية في ربوبيته والهيته (٧١) ففي كل شئ آية تدل على أنه واحد كما قال تعالى

تلكد السموات ينظرون منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدداً عند أمره الرحمن ولداً وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا سعيد بن منصور حدثنا مسكين بن ميمون مؤذن مسجد الرملة حدثنا عروة بن رويم عن عبد الرحمن بن قرط أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبس له أسرى به إلى المسجد الأقصى فلما رجع كان بين المقام وزمزم جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فظناراه حتى بلغ السموات السبع فلما رجع قال سمعت تسبيحاً في السموات العلى مع تسبيح كثير سجدت السموات العلى من ذى المهابة مشفقاً لذى العلو بما علا سبحانه العلى الأعلى سبحانه وتعالى وقوله وان من شئ إلا يسجد بحمده أى وما من شئ من المخلوقات إلا يسجد بحمد الله ولكن لا تنفتحون تسبيحهم أى لا تنفتحون تسبيحهم أيها الناس لأنها بخلاف لغاتكم وهذا عام في الحيوانات والجمادات والنباتات وهذا أشهر القولين كما ثبت في صحيح البخاري عن ابن مسعود أنه قال كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل وفي حديث أبي ذر أن النبي صلى الله عليه

أنه أخذ قبضة من التراب فلقاها في القبر وقال منها خلتنا كم ثم أخرى وقال وفيها نعيدكم ثم أخرى وقال ومنها نخرجكم تارة أخرى (ولقد أريناه) الرؤية بصرية أى أبصرنا فرعون وعرفناه (آياتنا كلها) المراد بها الآيات التسع المذكورة في قوله ولقد آتينا موسى تسع آيات على أن الاضافة للعهد وهى العصا واليد والسنين ونفخ الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وطمس الأموال والشدة على القلوب وقال أبو السعد وهى العصا واليد وصيغة الجمع مع كونها اثنتين باعتبار ما في تضاعيفهما من بدائع الأمور التي كل منها آية بينة لقوم يعقلون انتهى وهذا سبني على أن هذا الخبر عما وقع له مع فرعون في أول دعائه له وليس كذلك بل هذا الخبر عن جله ما وقع له في مدة دعائه له وهى عشرون سنة وان هذا من جملة الكلام المعترض به في أثناء القصة وقيل المراد بجميع الآيات التي جاء بها موسى والتي جاء بها غيره من الأنبياء وان موسى قد كان عرفه جميع معجزاته ومججزات سائر الأنبياء والاول أولى وقيل المراد بها حجج الله سبحانه الدالة على توحده (وكذب) فرعون بها أو موسى وزعم أنها سحر (وأبى) عليه أن يجيبه إلى الايمان وان يدع الله هذا يدل على أن كثر فرعون كفر عناد لان رأى الآيات وكذب بها كافي قوله وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا (قال) أجبناكم فخرنا من أرضنا) مستأنفة مرتبة على جواب موسى والهمزة لانكار لما جاء به موسى من الآيات أى جئت يا موسى لتوهم الناس بانك نبى يجب عليهم اتباعك والايان بما جئت به حتى تتوصل بذلك إلى إيهام الذى هو شعبة من السحر الى أن تغلب على أرضنا يعنى مصر وتخرجننا منها ويكون لك الملك فيها وانما ذكر الملعون الخارج من الأرض لتنفيذ قومه عن اجابة موسى فانه اذا وقع في أذهانهم وتقرر في أفهامهم ان عاقبة اجابتهم لموسى الخروج من ديارهم وأوطانهم كانوا غير قابلين لكلامه ولا ناظرين في معجزاته ولا ملتفتين إلى ما يدعوا اليه من الخير (بسحرنا يا موسى) فيه دليل على أنه خاف منه خوفا شديداً والافاى ساحر يقدر أن يخرج ملكا من أرضه (فلما تبين بسحر مثله) أى والله لنعارضنك بمثل ما جئت به من السحر في الغرابة حتى يتبين للناس ان الذى جئت به سحر يتقدر على مثله الساحر (فاجعل بيننا وبينك موعدا) هو مصدر رأى وعدا وقيل اسم مكان أى اجعل لنا يوما معلوما أو مكانا معلوما وأجلا وميعتا قال الجوهرى الميعاد المواعدة

وسلم أخذ في يده حصيات فسمع لهن تسبيح لحنين الخزل وكذا في بدء أبي بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم وهو حديث مشهور في المسانيد وقال الامام احمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا ابن سہل بن معاذ عن ابن أنس عن أبيه رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه دخل على قوم وهم وقوف على دواب لهم ورواحل فقال لهم أركبوا هاسما ودعوها سالمة ولا تتخذوها كراسى لاحادينكم في الطرق والأسواق فرب ما كروا به خير من رآكها وأكثروا كراهته وفي سنن النسائي عن عبد الله بن عمرو قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الضفدع وقال نقيتها تسبيح وقال قتادة عن عبد الله بن باني عن عبد الله بن عمرو ان الرجل اذا قال لا اله الا الله فهى كلمة الاخلاص التي لا يقبل الله من أحد عملا حتى يقولها واذا قال الحمد لله فهى كلمة الشكر التي لم يشكر الله

عند قط حتى يقولها وإذا قال الله أكبر فهي تملأ ما بين السماء والأرض وإذا قال سبحان الله فهي صلاة الخلائق التي لم يدع الله أحدا من خلقه إلا قرأ بالصلاة والتسبيح وإذا قال لا حول ولا قوة إلا بالله قال أسلم عبدى واستسلم وقال الامام أحمد حدثنا ابن وهب حدثنا جابر بن عبد الله بن زهير يحدث عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم أعرابي عليه جبة من طيب البسة مكشوفة بياباح أو من ردة بياباح فقال ان صاحبكم هذا يريد أن يرفع كل راع بن راع ويضع كل رأس بن رأس فقام اليه النبي صلى الله عليه (٧٢) وسلم مغضبا فأخذ يجامع جبهته فاجتذبه فقال لا أرى عليك شيئا من لا يعقل

والوقت والموضع وكذلك الموعد قال القشيري وأبو البقاء والظاهر انه مصدر ولهذا قال (لأنه) أى لا يختلف ذلك الوعد ولا نجوازه وقرئ بالرفع على انه صفة لموعد أى لا يختلف ذلك الموعد وقرئ بالجرم على انه جواب الامر والاختلاف ان تعدشياً ولا تجزئه (فمن) تو كيد معصع للعطف على الضمير المرفوع المستتر في نخلته (ولأن) فوض تعيين الموعد الى موسى اظهار الكمال اقتداره على الاتيان بمثل ما أتى به موسى (مكانا) منصوب بالجعل على انه مفعول فيه وأطال الكلام على نصبه السمين (سوى) بضم السين وبكسر هاو هما قراءتان سبعيتان وكسر السين هي اللغة العالية النصيحة والمراد مكانا مستويا وقيل مكانا منصفا عدلا ينموا وينك قال سيبويه يقال سوى وسوى أى عدل يعنى عدل لابن المكانين قال أبو عبيدة والفتحي معناه مكانا وسطين الشريطين لان المسافة من الوسط الى الطرفين مستوية وقيل معناه سوى هذا المكان وفيه بعد ثم واعد موسى لوقت معلوم (قال) سوعدكم أى زمان الوعد (يوم الزينة) أو وعدكم وعديوم الزينة وقرئ يوم بالنصب أى في يوم الزينة انجاز وعدا قال شهابه وقتادة وقيل قال والسدى كان ذلك يوم عيديتين يون فيه وقال سعيد بن جبير كان ذلك يوم عاشوراء وبه قال ابن عباس وعن ابن عمر نحوه وقال الضمالي يوم السبت وقيل يوم النير وزويل يوم كسر الخلق وانما جعل الميعاد زمانا بعد ان طلب منه فروعون أن يكون مكانا سوى لان يوم الزينة يدل على مكان مشهور ويجمع مع فيه الناس ذلك اليوم وانما خص عليه السلام ذلك اليوم ليكون ظهور الحق وزهوق الباطل في يوم مشهور وعلى رؤس الاشهاد ويشيع ذلك فيما بين كل حاضر وباد ولما ان ذلك اليوم وقت ظهور غاية شوقهم ولاظهار كمال قوته وكونه على ثقة من أمره وعدم مبالاة بهم (وان يحشر الناس نضحى) يعنى وقت نضحى ذلك اليوم الذى هو عبارة من ارتفاع الشمس والمراد بالناس أهل مصر والمعنى يحشرون الى العيد وقت النضحى نهارا ويظنون في أمر موسى وفرعون جهارا ليكون أبعد من الريّة وأبين لكشف الحق وليسيع في جميع أهل الوبر والمدرفال النراء اذا رأيت الناس يحشرون من كل ناحية نضحى فذلك الموعد قال وجرت عاداتهم يحشر الناس في ذلك اليوم وقرئ يحشر على البناء للمفعول وللفاعل أى وان يحشر الله الناس وقرئ بانثون وبالنونية أى وان تحشر أنت يا فرعون والنضحى قال الجوهري نضحوة النهار

ثم رجس رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يجلس فقال ان نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنه فقال انى قاس عليك الوصية أمر كما بائنتين وأنها كما عن اثنتين أنها كما عن الشرك بالله والكبر وأمر كما بلاله الا الله فان السموات والأرض وما فيهما لو وضعت في كفة الميزان وضعت لاله الا الله في الكفة الاخرى كانت أرجح ولو ان السموات والأرض كانتا حلقة فوضعت لاله الا الله عليهما انقسمتا ما وفنصمتما وأمر كما بسبحان الله وبجمده فانها صلاة كل شئ وبها يرزق كل شئ ورواه الامام أحمد أيضا عن سليمان ابن حرب عن حماد بن زيد عن مصعب بن زهير به أطول من هذا وترويه وروى ابن جرير حدثني نصر بن عبد الرحمن الاودى حدثنا محمد بن يعلى عن موسى بن عبيدة عن زيد بن أسلم عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بشئ أمر به نوح ابنه نوحا عليه السلام قال لا يا بني أمر لك ان تقول سبحان الله فانها صلاة الخلق وتسبيح الخلق وبها يرزق الخلق قال الله تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده اسناده فيه ضعف (١) فان الزبدي ضعيف عند الاكثرين بعد وقال عكرمة في قوله تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده قال الاسطوانة تسبح والشجرة تسبح الاسطوانة السارية وقال بعض السلف ان سرير الباب تسبيحه وخربر الماء تسبيحه قال الله تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده وقال سفيان الثوري عن منصور عن ابراهيم قال الطعمام يسبح ويشهد لهذا القول آية السجدة في الحج وقال آخرون انما يسبح ما كان فيه روح يعنون من حيوان ونبات قال قتادة في قوله وان من شئ الا يسبح بحمده قال كل شئ فيه روح يسبح من شجر أو شئ فيه وقال الحسن والضحاك

في قوله وان من شيء الا يسبح بحمده فالأكل شيء فيه الروح وقال ابن جرير حدثنا محمد بن حميد حدثنا يحيى بن واضح وزيد بن حباب
قالا حدثنا جرير أبو الخطاب قال كان مع يزيد الرقاشي ومعه الحسن في طعام فقاموا الخوان فقال يزيد الرقاشي يا أبا سعيد يدسبح
هذا الخوان فقال كان يسبح مرة قلت الخوان هو المائدة من الخشب فكان الحسن رحمه الله ذهب الى انه لما كان حيا فيه خضرة
كان يسبح فلما قطع وصار خشبة يابسة انقطع تسبيحه وقد استأنس لهذا القول بحديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
مر بقبرين فقال انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما في كان لا يستمر من البول وأما الآخر فكان يمشي

بالنممة ثم أخذ جريرة رطبة فشقها
نصفين ثم غرز في كل قبر واحدة ثم
قال لعله يخفف عنهما ما لم يبسا
آخر جاء في الصحيحين قال بعض من
تكلم على هذا الحديث من العلماء
انما قال ما لم يبسا لانهم ما يبسا
مادام فيهما خضرة فاذا يبسا انقطع
تسبيحهما والله أعلم وقوله انه كان
حليما غفورا أي انه لا يعاجل من
عصاه بالعقوبة بل يؤجله وينظره
فان استمر على كفره وعناده أخذه
أخذ عزيز مقتدر كما جاء في
الصحيحين ان الله لم يزل يظالم حتى
اذا أخذه لم يفلته ثم قرأ رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكذلك أخذ
ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة
الآية وقال وكأين من قرية أهلكنا
لهي ظالمة الآية وقال وكأين
من قرية أهلكناها وهي ظالمة الآية
ومن أفلح عما هو فيه من كفر أو
عصيان ورجع الى الله وتاب اليه
تاب عليه كما قال تعالى ومن يعمل
سوا أو يظلم نفسه ثم يسئ تغفر الله
الآية وقال ههنا انه كان حليما
غفورا كما قال في آخر فاطر ان الله
يسد السموات والارض ان تزولا
ولئن زلنا ان أمسكهم ما من أحد
من بعده انه كان حليما غفورا الى

بعد طلوع الشمس ثم بعده الضحى وهو حين تشرق الشمس وخص الضحى لانه أول
النهار فاذا امتد الامر بينهما كان في النهار تسع (فتولى فرعون) أي انصرف من ذلك
المقام والمجلس ليرى ما يحتاج اليه مما تواعده عليه وقيل معنى تولى اعرض عن الحق
والاول أولى (لجمع كبدته) أي جمع ما يكيد به من سحره وحياته والمراد انه جمع السحرة
قيل كانوا اثنين من القبط وسبعين من بني اسرائيل وقيل اربعة مائة وقيل اثني عشر ألفا
وقيل اربعة عشر ألفا وقال ابن المنذر كانوا ثمانين ألفا وقيل غير ذلك مع كل واحد حبل
وعصا (ثم أتى) فرعون الموعد الذي تواعده اليه مع جمعه الذي جمعه وأتى موسى أيضا
(قال لهم موسى) مستأنفة جواب سؤال متدر (ويلكم لا تفتروا على الله كذبا) دعا
عليهم بالويل ونهاهم عن افتراء الكذب باشر الكاذب بأحد دعاه بكون ما ظهر على يدي
سحرا قال الزجاج التقدير ألزمهم الله وبلاؤه ونداء كقوله يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا
(فيسحتكم بعذاب) عظيم السحت الاستئصال يقال سحت وأسحت بمعنى وأصله
استقصاء الشعر قرئ من السحت وهي لغة نجد وبني تميم وقرئ من سحت وهي لغة الحجاز
قال ابن عباس يسحتكم يهلككم وقال قتادة يسئ أهلككم وقال أبو صالح فيذبحكم
(وقد خاب من افتري) أي قد خسروا هلك من كذب على الله أي كذب كان (فتنازعا)
أي السحرة (أمرهم بينهم) لما سمعوا كلام موسى تناظر واوشا وروا في أمر موسى
وأخيه وتنازعا أطراف الكلام في ذلك أي هل هما ساحران أو رسولان (وأسروا
النجوى) أي من موسى وكانت نجواهم هي قولهم لا أتى ان هذان لساحران وقيل
انهم تناجوا فيما بينهم فقالوا ان كان ما جاء به موسى سحرا فسنغلبه وان كان من عند الله
فسيكون له أمر وقيل الذي أسروه أنه اذا غلبهم اتبعوه قاله النراء والزجاج وقيل الذي
أسروه انهم لما سمعوا قول موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا قالوا ما هذا يقول ساحر
والنجوى المناجاة يكون اسما ومصدرا (قالوا) لانفسهم أي قال بعضهم لبعض سرا
وحاصل ما قالوه ست جعل أولها قولهم (ان هذان ساحران) وآخرها قولهم وقد أفلح
اليوم من استعلى وقرئ ان هذين وروى هذا عن عثمان وعائشة وغيرهما من الصحابة
وبما أقر الحسن والنخعي وغيرهما من التابعين وهذه موافقة للاعراب الظاهر مخالفة
لرسم المصحف فانه مكتوب بالالف وقرئ ان هذان بخفيف ان على انها نافية وهذه

(١٠ - فتح البيان سادس) أن قال ولو يؤاخذ الله الى آخر السورة واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون
بالآخرة حجابا مستورا وجعلنا على قلوبهم أكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على آذانهم
نفورا يقول تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم واذا قرأت يا محمد على هؤلاء المشركين القرآن جعلنا بينك وبينهم حجابا مستورا قال
قتادة وابن زيد هو الأكنة على قلوبهم كما قال تعالى وقالوا قلوا بني أكنة مما تدعونا اليه وفي آذانهم وقروا وبيننا وبينك حجاب
أي مانع حائل ان يصل اليها ما يقول شيء وقوله حجابا مستورا أي بمعنى ساتر كيمون ومشوم بمعنى يامن وشائم لانه من بينهم وشوئهم
وقيل مستورا عن الابصار فلا تراهم وهو مع ذلك حجاب بينهم وبين الهدى ومال الى ترجمه ابن جرير رحمه الله وقال الحافظ أبو يعلى

الموصلى - حدثنا أبو موسى الهروي - أبا يحيى بن إبراهيم - حدثنا سفيان عن الوليد بن كثير عن يزيد بن تدرس عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنها قالت لما نزلت تبث يداي إلى الهب جاءت العوراء أم جميل ولها ولولة وفي يدها فاهروهي تقول مذمما أتينا وأبينا قال أبو موسى الشكمني ودينه قلينا وأمره عصينا ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وأبو بكر إلى جنبه فقال أبو بكر لقد أقيمت هذه فانا أخاف أن تراك فقال انما نراي وقرأ قرآنا عظم واذ قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا قال فجاءت حتى قامت على (٧٤) أبي بكر فلم تر النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا أبا بكر بلغني ان صاحبك هجاني

فقال أبو بكر لا ورب صاحب هذا البيت ما هجالك قال فانصرفت وهي تقول لقد علمت قريش اني بنت سيدها وقوله وجعلنا على قلوبهم أكنة وهي جمع كان الذي يغشى القلب ان يفقهوه أي لئلا يفهموا القرآن وفي آذانهم سم وقرآن وهو الثقيل الذي يمنعهم من سماع القرآن سمعا يفقههم ويهتدون به وقوله تعالى واذ ذكرك ربك في القرآن وحده أي اذا وحده الله في تلاوتك وقلت لا اله الا الله ولوا أي أدبروا راجعين على أدبارهم نفورا ونشور جمع نافركه وود جمع فاعده ويجوز أن يكون مصدرا من غير الفعل والله أعلم كما قال تعالى واذ ذكرك الله وحده اثنأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة الآية قال قتادة واذ ذكرك ربك في القرآن الآية ان المسلمين لما قالوا لا اله الا الله أنكروا ذلك المشركون وكبرت عليهم فضاقها ابليس وجنوده فابى الله الا أن يضيقها ويعلمها وينصرها ويظهرها على من ناواها انها كلمة من خاصم بها فبلغ ومن قاتل بها انصر انما يعرفها أهل هذه الجزيرة من

موافقة للرسم وللاعراب وقرأ أهل المدينة والكوفة ان هذان بتشديدان وبالالف فوافقوا الرسم وخالفوا الاعراب الظاهر وقد تكلم جماعة من أهل العلم في توجيه هذه القراءة وقد استوفى ذلك ابن الأنباري والنحاس فقيل انما الغة بنى الحرث بن كعب ومهاد وخشم وكثانة يجمعون رفع المثني ونصبه وجره بالالف أي في أحواله الثلاث وبه صرح سيبويه والاختش وأبو زيد والكسائي والفراء وقيل انباء عنى نعم ههنا قاله عاصم قال النحاس رأيت الزجاج والاختش يذهبان اليه وقال الزجاج المعنى ان هذان لهما ساحران وأكبره أبو علي الفارسي وأبو الفتح وابن جنى وقيل ان الالف في هذان مشبهة بالالف في يفعلا فلم يغير وقيل انه هذان لساحران وبه قال قدماء النحاة وقال ابن كيسان انه لما كان يقال هذان بالالف في الرفع والنصب والجر على حال واحدة وكانت التثنية لا تغير الواحد أجزيت مجرى الواحد فثبتت الالف في الرفع والنصب والجر وقيل تقديره ما هذان الاساحران فهذه أقوال تتضمن توجيه هذه القراءة توجه تصحبه وتخرج به عن الخطأ وبذلك يدفع ما روى عن عثمان وعائشة انه غلط من الكتاب للمصحف وحاصل القراءات السبعة التي في هذا التركيب أربعة واحدة لا يعمرو وهي التي بالياء والثانية الف بعد هانون مشددة ومخففة من أن والآخران تخفيف النون التي في هذان مع تشديد النون من أن وتخفيفها واثبات كل من الياء والالف في النطق وان كان قراءة سبعة صحيحة متواترة لكنه مشكل من حيث مخالفتها لخط المصحف الامام فانه ليس فيمأء ولا الف فان رسمه كما في السمين هذان من غير ألف ولا ياء ثم قال وكم جاء في الرسم أشياء خارجة عن القياس وقد نصوا على ان لا تجوز القراءة بها فليكن هذا الموضوع مما خرج عن القياس (يريد ان يخرجكم من أرضكم) وهي أرض مصر (بصرهما) الذي أظهرهما (ويذهبا بطريقة المثلى) قال الكسائي أي بسنتكم والمثلى نعت كقولك امرأه كبرى تقول العرب فلان على الطريقة المثلى يعنون على الهدى المستقيم قال الفراء العرب تقول هؤلاء طريقة قومهم وطرائق قومهم لاشرافهم ونحوه في القاموس والمثلى تأنيث الامثلى وهو الافضل يقال فلان أمثل قومهم لاشرافهم وهم الامثال وانما أنت باعتبار التعبير بالطريقة والافعال باعتبار المعنى كان يقال أمثال والمعنى انهما ان يغلبا بصبرهما مال اليهما السادة والاشراف منكم أم ويذهبا بغيركم الذي هو

المسلمين التي يقطعها الراكب في ليل قلائل ويسير الدهر في فئام من الناس لا يعرفونها ولا يترونها أقول آخر امثل في الآية روى ابن جرير حدثني الحسين بن محمد الزارع - حدثنا روح بن المسيب - أبو رجاء الكلابي - حدثنا عمرو بن مالك عن ابن الجوزاء عن ابن عباس في قوله واذ ذكرك ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا هم الشياطين وهذا غريب جدا في تفسيرها والافال شياطين اذ قرئ القرآن أو نودي بالاذان أو ذكرك الله انصرفوا (نحن أعلم بما يستعون به اذ يستعون اليك واذ هم نجوى اذ يقول الظالمون ان تتبعون الأرجل مسحورا انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلا ولا يستطيعون سبيلا) يخبر تعالى نبيه محمدا

صلى الله عليه وسلم بما يتناجى به رؤساء كفار قريش حين جاؤا يستمعون قراءته صلى الله عليه وسلم من قومهم بما قالوا من انه رجل مسحور من السحر على المشهور وأمن السحر وهو الرنة أى ان تتبعون ان اتبعتم الانبياء كل كما قال الشاعر فان تسألينا فيما نحن فالتا * عصافير من هذا الانام المسحر * وقطال الراجز * يسحر بالطعام وبالشراب * أى يغدى وقد صوبه ابن جرير وفيه نظر لانهم أرادوا ههنا انه مسحور له رنة أى يتبعه بما استمعوه من الكلام الذى يتلوهم ومنهم من قال شاعر ومنهم من قال كاهن ومنهم من قال مجنون ومنهم من قال ساحر ولهذا (٧٥) قال تعالى انظر كيف ضربوا لك الامثال

فصلوا فلا يستطيعون سبيلا أى فلا يتهدون الى الحق ولا يجدون اليه مخدعا قال محمد بن اسحق فى السيرة حدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري أنه حدث ان أباسفيل بن حرب وأباجهل بن هشام والأخنس ابن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي حليف بن زهرة خرجوا الى مكة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بصلى بالليل فى بيته فأخذ كل واحد منهم مجلسا يستمع فيه وكل لا يعلم بمكان صاحبه فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا حتى اذا جمعهم الطريق تلاقوا وقال بعضهم لبعض لا تعودوا فلوراكم بعض سدهاءكم لا وقعتم فى نفسه شيئا ثم انصرفوا حتى اذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم الى مجلسه فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا وجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض مثل ما قال أول مرة ثم انصرفوا حتى اذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل مجلسه فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا وجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض لا نبرح حتى نتعاهد لا تعود فتعاهدوا على ذلك ثم

أمثل المذاهب قال ابن عباس يقول أمثلكم وهم بنو اسرائيل وقال على بن ابي رباح وجود الناس اليهما (فاجعوا كيدكم) الفاء فصحة أى اذا كان الامر كذا كمن كونهما ساحرين فاجعوا والاجاع الاحكام والعزم على الشيء قاله انصاره تقول أجمعت على الخروج مثل اجمعت وقال الزجاج معناه ليكن عزمكم كيدكم كاليد مجمعا عليه بحيث لا يتخلف عنه واحد منكم (ثم اتوا صفا) أى مصطفين تبعين ليكون أنظما لأمهم وأشد لهيبهم وادخل فى استجلاب الخشية وهذا قول جمهور المفسرين وقال أبو عبيدة الصنف المجموع ويسمى المصلى الصنف قال الزجاج وعلى هذا معناه ثم اتوا الموضوع الذى تحتهم فيه ليعبدكم وصلواتكم يقال أتيت الصنف بمعنى أتيت المصل ففى التفسير الأول نصب صفا على الحال وعلى الثانى على المقولة قال الزجاج يجوز أن يكون المعنى ثم اتوا الناس مصطفون فيكون مصدر فى موضع الحال ولذلك لم يجمع (وقد أفلح اليوم من استعلى) أى فاز من غلب يقال استعلى عليه اذا غلبه وهذا كله من قول السحرة بعضهم لبعض وقيل من قول فرعون لهم وهذه جله معترضة (قالوا يا موسى) اختر أحد الامرين كذا قدره الزمخشري وهذا تفسير معنى (أما أن تلقى) ما تلقىه أو التقدير الامرا ما القاؤك أول أو القاؤنا كذا قدره الزمخشري أو القاؤك أول ويدل عليه قوله (وأما أن نكون) نحن (أول من ألقى) ما تلقىه واختاره الخليل أول من يفعل اللقاء والمراد اللقاء العصا على الارض وكانت السحرة معهم عصى وكان موسى قد ألقى عصاه يوم دخل على فرعون فلما أراد السحرة معارضته قالوا له هذا القول وهذا منهم استعمل أدب حسن معه وكانته تعالى ألهمهم ذلك وقد وصلت اليهم بركتهم وعلم موسى اختيار القائم أولوا حتى (قال) لهم (بل القوا) أنتم أولوا وانما أمرهم بذلك لتكون معجزته أظهر اذا القوا ما معهم فيصرا بآية نيرة للناظرين وعبرة بينة للمعتبرين ثم يلقي هو عصاه فتداعى ذلك ويظهر سلطانة وقيل انما أتت عليه السلام لهم القول مقابله للدأب باحسن من أدبهم واطهار العدم المبالة بسحرهم فالتقوا (فاذا حباهم) الفاء فصحة يقال اذا هذى المناجاة والتحقيق انما اذا الكائنة بمعنى الوقت الطالبة ناصبا لها وقد يكون ناصبا لافعال مخصوصا وهو فعل المفاجاة (وعصيمهم) بكسر العين اقبالا على سيرة الصادق رؤى بضمة هاء وهى لغة بنى تميم (يخيل اليه من سحرهم) بالتحمية على البناء للمفعول وقرئ تخيل بالفوقية لان العصى

تفرقوا فلما أصبح الاخنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أباسفيل بن حرب فى بيته فقال أخبرني يا أباجهل عن رأيك فيما سمعت من محمد قال يا أباجهل ما سمعت شيئا أعرفها وأعرف ما يراى من أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراى منها قال الاخنس وانا الذى خلقت به قال ثم خرج من عنده حتى أتى أباجهل فدخل عليه بيته فقال يا أباجهل ما رأيك فيما سمعت من محمد قال ماذا سمعت قال تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا حتى اذا تناجينا على الركب وكنا كقريى رهان قالوا لمانى يا تيه الوحي من السماء فتى تدرك هذه والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقك قال فقام عنه الاخنس وتركه وقالوا انذا كاعظاما ورفانا أننا لمبعوثون خلقا جديدا قل كونوا حجارة أو حديد أو خلقا مما يكره فى صدوركم فسيقولون من

يعبدنا قل الذي فطركم أول مرة فسيفغضون اليك رؤسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا يوم يدعوكم فتجيئون بحمده وتظنون ان لبئس الا قليلا) يقول تعالى مخبر اعن الكفار المستعدين وقوع المعاد القائلين استغفهم انكار منهم لذلك انذا كذا عظاما ورفاتا أي ترابا قاله مجاهد وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس غبارا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا أي يوم القيامة بعد ما بلينا وصراعدما لانذركم ان خبر عنهم في الموضع الآخر يقولون ائنا لمردودون في الافرة انذا كذا عظاما مخزاة قالوا تلك اذاكرة خاسرة وقوله تعالى وضرب لنا مثلا ونسي خلقه (٧٦) الآيتين فامر الله سبحانه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحبيهم

فقال قل كونوا حجارة أو حديدًا وهم أشداء متاعا من العظام والرفات أو خلقا مما يكبر في صدوركم قال ابن اسحق عن ابن أبي نجيع عن مجاهد سألت ابن عباس عن ذلك فقال هو الموت وروى عطية عن ابن عمر انه قال في تفسيره هذه الآية لو كنتم وني لأحييتكم وكذا قال سعيد بن جبير وأبو صالح والحسن وقتادة والضحاک وغيرهم ومعنى ذلك انكم لو فرضتم انكم لو صرتم موفى الذي هو ضدا للحياة لا حياكم الله اذا شاء فانه لا يتنع عليه شيء اذا أراده وقد ذكر ابن جرير ههنا يجاب بالموت يوم القيامة كانه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ثم يقال يا أهل الجنة تعرفون هذا فيقولون نعم ثم يقال يا أهل النار تعرفون هذا فيقولون نعم فيذبح بين الجنة والنار ثم يقال يا أهل الجنة خلود بلاموت ويا أهل النار خلود بلاموت وقال مجاهد أو خلقا مما يكبر في صدوركم يعني السماء والأرض والجبال وفي رواية مشتمتم فيكونوا فسيعبدكم الله بعد موتكم وقد وقع في التفسير المروى عن الامام مالك عن الزهري في قوله أو خلقا مما يكبر

والجبال وثمة وقرئ تخيل بالنون على ان الله سبحانه هو الخيل لذلك وقرئ بالتخمية مبنيًا للناسل على ان الخيل هو الكيد وقرئ الخيل هو (انها تسمى) أي تخيل اليه سعيهم اذ كر معناه الزجاج وقال ومن قرأ بالذوقية جعل ان في وضع نصب أي تخيل اليه ذات سعي يقال خيل اليه اذا شبه له وادخل عليه التهمة والشبهة وذلك انهم طغخوا واطلخوا بالزئبق فلما أصابهم الحر الشمس ارتعشت واهتزت واضطربت خيل اليه انها تتحرك (فاوحس) أي أحس وقيل وجد وقيل أضمر وقيل خاف (في نفسه خيفة موسى) وذلك لما عرض من الطباع البشرية عند مشاهدة ما يخشى منه وقيل خاف ان يفتن الناس قبل أن يلقى عصاه أو لعله كان أمورا بان لا يفعل شيئا لا يلوحى فلما تأخر نزول الوحي في ذلك الخذل بقي في الخذل قاله ابن عادل وقيل ان سبب خوفه هو ان يحرمهم كان من جنس ما أراهم في العباد فخاف أن يتبس أمرهم على الناس فلا يؤمنوا فاذهب الله سبحانه ما حصل معهم من الخوف بما بشرهم به بقوله (فلما لا تخف انك أنت الاعلى) أي المستعلى عليهم بالظفر والغلبة والجللة لتعليل للنهي عن الخوف وفيه اشارة الى أن أهم علوا وغلبة بالنسبة الى سائر الناس ولذلك أوجس منهم خيفة فرد ذلك بانواع من المبالغة أحدها ذكر كلمة التوكيد وهي ان وثانها تكريرا ضمير وثالثها الام التعريف ورابعها النظم العلوي هو الغلبة الظاهرة وهذا يكفي فيه ظن العلوي في أمرهم لأن الاعلى ليجرد الزيادة لانه لم يكن للسحرة علو حتى يكون هو أعلى منهم كما قيل قاله الكرخي (واقى ما في يمينه) يعني العصا وانما أهمها انظمة ما توخى ما أي لا تخف من هذه الاجرام فان في يمينه شيئا أعظم منها كلها وهذه على كثرتها أقل شيء عندها فالقهار لا تبال بكثرة حبالهم وعصيمهم وجزائره يكون الاهام للتعظيم أي وألقى العويد الفريد الصغير الجرم الذي يدل فانه بقدرته لله تعالى (تلقف) على وحدته وكثرتها وصغره وعظمتها قرئ تلقف بسكون اللام من لقنه اذا ابتلعه بسرعة وقرئ بالرفع على تقدير فانها تلقف وقال الزجاج القراء بالجزم جواب الامر ويجوز الرفع الى معنى الخيال كانه قال القهامة تلقنه (ما صنعوا) من الجبال والعصى (انما صنعوا كيد ساحر) أي جنسه أي ان الذي صنعوه كيد ساحر أو ان صنعهم كيد ساحر وقرئ بحرواضة الكيد الى السحر على الاتساع من غير تقييد أو بتقدير ذي سحر وقيل غير ذلك (ولا ينفخ) ولا يسعد (الساحر) أي جنس الساحر (حيث أتى) أي

كان

في صدوركم قال النبي صلى الله عليه وسلم قال مالك ويقولون هو الموت وقوله

تعالى فسيعبدون من بعدنا قل الذي فطركم أول مرة أي من بعدنا اذا كذا حجارة أو حديدًا أو خلقا آخر شيديدا قل الذي فطركم أول مرة أي الذي خلقكم ولم تكونوا شيئا من كورا ثم صرتم بشرا فتشرون فانه قادر على اعادتكهم ولو صرتم الى أبي حال وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أعون عليه الآية وقوله تعالى فسيفغضون اليك رؤسهم قال ابن عباس وقتادة يحركونها استهزاء وهذا الذي قاله هو الذي يعرفه العرب من لغاتهم الان الانغاض هو التحرك من أسفل الى أعلى أو من أعلى الى أسفل ومنه قيل للظلم وهو ولد النعمة نغضا لانه اذا مشى يحل بعشيته وحرك رأسه ويقال نغضت سنده اذا تحركت وأرفعت

من منبتها وقال الراجز * ونغضت من هرم اسنانها * وقوله ويقولون متى هو اخبار عنهم بالاستعانة منهم لوقوع ذلك كما قال تعالى ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين وقال تعالى يستجلب بها الذين لا يؤمنون بها وقوله قل عسى أن يكون قريبا أى احذروا ذلك فإنه قريب اليكم سيأتكم لا محالة في كل ما هو آت وقوله تعالى يوم يدعوكم أى الرب تبارك وتعالى اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون أى اذا أمركم بالخروج منها فإنه لا يخالف ولا يمانع بل كما قال تعالى وما أمرنا الا واحدة كلف بالبصر انما قوله الشئ اذا أردناه ان نقول له كن فيكون (٧٧) وقوله فانما هى زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة أى

انما هو أمر واحد بانتهار فاذا الناس قد خرجوا من باطن الارض الى ظاهرها كما قال يوم يدعوكم فتستجيبون بحمد الله أى تقولون كلكم اجابة لامره وطاعة لارادته قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فتستجيبون بحمده أى بامره وكذا قال ابن جريج وقال قتادة بمعرفته وطاعته وقال بعضهم يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده أى وله الحمد في كل حال وقد جاء في الحديث ليس على أهل لاله الا الله وحشة في قبورهم كائى باهل لاله الا الله يقومون من قبورهم ينفضون التراب عن رؤسهم يقولون لاله الا الله وفي رواية يقولون الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن وسيأتى في سورة فاطر وقوله تعالى وتظنون أى يوم تقومون من قبوركم ان لبنتم أى فى الدار الدنيا الا قليلا وكقوله تعالى كأنهم يوم يرونهم وهم لم يبشوا الاعشىة أو ضحاها وقال تعالى يوم ينفتح فى الصور ونحشر المجرمين يومئذ رقابتها فتون بينهم ان لبنتم الا عشر ونحن أعلم بما يقولون اذ يقول أمثلهم طريقة ان لبنتم الا يوما وقال تعالى ويوم تقوم الساعة

كان وأين توجه وأقبل وهذا من تمام التعليل (فالقى السحرة) أى فلقى ذلك الامر الذى شاهدوه من موسى والعصى اياهم (سجدا) لله تعالى وذلك لانهم كانوا فى أعلى طبقات السحر فلما رأوا ما فعله موسى خارجا عن صناعتهم عرفوا أنه ليس من السحر البتة وقد مر تحقيق هذا فى سورة الاعراف قال صاحب الكشاف سبحان الله ما أعجب أمرهم قد ألقوا بالهم وعصيمهم لا يكفروا بالجوهر ثم ألقوا رؤسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما أعظم الفرق بين الالقامين وقيل انهم لم يرفعوا رؤسهم حتى رأوا الجنة والنار والثواب والالعقاب (قالوا أمنا برب هرون وموسى) انما أقدم هرون على موسى هنا فى حكاية كلامهم وأخفى الشعر اى رعايته لتواصل الآتى وعناية بتوافق رؤسهم والان الواو لا توجب ترتيبا قال عكرمة ان سحرة فرعون كانوا تسعمائة فقالوا الفرعون ان يكن هذان ساحرين فانا نعلم ما فانه لا أسحر منا وان كانا من رب العالمين فانه لا طاقة لنا برب العالمين فلما كان أمرهم ان خروا وسجدوا أمامهم الله فى سجودهم منازلهم التى يصيرون اليها فى الجنة فعندها قالوا هذا القول وقالوا أبضال فترك على ما جاءنا من الميناء الى قوله والله خير وأبقى (قال) فرعون (أمنتى له) يقال آمن له وبه فى الاول قوله فآمن له لوط ومن الثانى قوله فى الاعراف أمنتى به قيل ان الله عمل هناء متضمن معنى الاتباع وقرئ على الاسم استفهام التوبيخ أى كيف أمنتى به قبل أن أذن لك (أى من غير اذن منى لكم بذلك انه) أى ان موسى (الكبيركم) اى أسحركم وأعلمكم درجة فى صناعة السحر فلا عبرة بما أظهرتوه أو بعلمكم وأستأذكم كليل عليه قوله (الذى علمكم السحر) يعنى انكم تلامذته فى السحر فاصطلمتم وطوطأتم معه على ان تظهروا العجز من أنفسكم وتروى بحال امره وتبخعوا لسانه قال الكسافى الصبي بالجاز اذا جاء من عند معلمه قال جئت من عند كبيرى وقال محمد بن ابيحق انه لعظيم السحر قال الواحدى الكبير فى اللغة الرئيس وله هذا يقال للمعلم الكبير يراد فرعون به هذا القول أن يدخل الشبهة على الناس حتى لا يؤمنوا والافقد علم انهم لم يتعلموا من موسى ولا كان رئيسا لهم ولا يبينه وبينهم مواصلة فلا فقه ان أيدىكم وأرجلكم) أى والله لا فعلان بكم ذلك وان تقطيع للايدى والارجل (من خلاف) هو قطع اليد اليمنى والرجل اليسرى لان كل واحد من العضوين يخالف الآخر بان هذا يدو ذلك رجل وهذا يمين وذلك شمال أى قطعها مختللتان ومن لا يبداء الغاية كان

يقسم المجرمون بالبشوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال تعالى قال لكم لبنتم فى الارض عدد سنين قالوا البنتا يوما أو بعض يوم فاسأل الله اذ ين قال ان لبنتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون (وقل له بادي يقولوا التى هى أحسن ان الشيطان ينزغ بينهم ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا) يامر تبارك وتعالى عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم ان يأمر عباد الله المؤمنين ان يقولوا فى مخاطبتهم ومحاوراتهم الكلام الاحسن والكلمة الطيبة فانهم ان لم يفعلوا ذلك نزغ الشيطان بينهم وأخوج الكلام الى الزعال ووقع البئر والفاصلة والمقاتلة فانه عدو لا دم وذريته عدو ظاهرة بينة ولهذا نهى ان يشير الرجل الى أخيه للمسلم بحديدة فان الشيطان

ينزع في يده أى فرعاً أصابه بها وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يشتر أن يحدكم إلى أخيه بالسلاح فإنه لا يدري أحدكم لعل الشيطان أن ينزع في يده فيقع في حفرة من النار أخرجه من حديث عبد الرزاق وقال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن أسباط عن أبي زيد عن الحسن قال حدثني رجل من بني سليط قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في رفلة من الناس فسمعت يقول المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله والتقوى ههنا قال حماد وقال بيده إلى صدره (٧٨) وما توادرجلان في الله ففرق بينهما الا حدث بجد يشه احدهما

والحدث شر والحدث شر والحدث شر (ربكم أعلم بكم ان يشأ ربكم) أو ان يشأ يعذبكم وما أرسلناك عليهم مـ وكـيلاً وربك أعلم عن في السموات والارض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينادود زبوراً يقول تعالى ربكم أعلم بكم أيها الناس أى أعلم عن يستحق منكم الهداية ومن لا يستحق ان يشأ ربكم بان يوفقكم لطاعته والانابة اليه أن يشأ يعذبكم وما أرسلناك عليهم مـ وكـيلاً أى انما أرسلناك نذيراً فمن أطاعك دخل الجنة ومن عصاك دخل النار وقوله وربك أعلم عن في السموات والارض أى عبادتهم مـ في الطاعة والمعصية ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وكما قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كالم الله ورفع بعضهم درجات وهذا الاشارة ما ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تفضلوا بين الانبياء فان المراد من ذلك هو التفضيل بمجرد التشبهى والعصبية لا يقتضى الدليل فاذا دل الدليل على شئ وجب اتباعه ولا خلاف أن الرسل افضل من بقية

القطع ابتدئ من مخالفة العضو للعضو (ولا تصلبكم في جذوع النخل) أى على جذوعها كقوله أم لهم سلم يستمعون فيه أى عليه وانما أترككم في الدلالة على استقرارهم عليها كاستقرار المظروف في الظرف وهذا هو المشهور وخص النخل لطول جذوعها وقيل انه نقر جذوع النخل حتى جوفها ووضعهم فيها فأتوا أجوعاً وعطشاً وهذا على الحقيقة كما ان الاول على الجواز وهو الاول (ولتعلم اننا أشد عذاباً وأبقى) أراد لتعلم هل أنا أشد عذاباً لكم على ايمانكم به أم موسى ومعنى أبقى أدوم وهو يريد بكلامه هذا الاستمرار بموسى لان موسى لم يكن من التعذيب في شئ ويمكن أن يريد العذاب الذى توعدهم به موسى ان لم يؤمنوا وقيل اشارة الى ان ايمانهم لم يكن ناشئاً عن مشاهدة المعجزة بل كان من خوفهم من موسى حيث رأوا ما وقع من عصاه (قالوا) غير كثيرين بوعدده لهم (ان نؤثرك) أى ان نختار لك (على ما جاءنا) به موسى أوجاباً من عند الله على يده (من البينات) أى من المعجزات الواضحات من عند الله سبحانه كاليد والعصا وقيل انهم أرادوا لبينات ما رأوه في سجودهم من المنازل المعدة لهم في الجنة وانما نسب الحجى اليهم وان كانت البينات جاءت لهم ولغيرهم لانهم كانوا أعرف بالسحر من غيرهم وقد علموا ان ما جاءهم به موسى ليس من السحر فكانوا على جليلة من العلم بالمعجز وغيره وغيرهم كلقادراً أيضاً كانوا هم المنتفعين بها (و) ان نختار لك على (الذى فطرنا) أى خلقنا والوالواللعطف وانما الخ والذ كراى تعالى لانه من باب الترقى من الأدنى الى الأعلى وقيل انها والوالوالقسم والموصول مقسم به وجوابه محذوف أى وحق الذى أو والله الذى فطرنا لا نؤثرك على الحق وهذا الوجهان في تفسير الآية ذكرهما الفراء والزجاج والسمين (فاؤض ما أنت قاض) هذا جواب منهم لفرعون لما قال لهم لا قطع أيديكم الخ والمعنى فاصنع ما أنت صانعه من القتل والصلب واحكم ما أنت ما كتم به قال المفسرون وليس في القرآن ان فرعون فعل بالسحرة ما هردهم به ولم يثبت في الاخبار أيضاً قاله أبو السعود وفي بعض التفسير ان فعله بهم كإصرارهم (انما تنضى هذه الحياة الدنيا) تعليل اعظم المبالاة المستفادة من قولهم ان نؤثرك ومن الامر بالقضاء أى انما تصنع ما تهواه أو نختاركم عاتراه في هذه الدنيا وما لنا من رغبة فيها ولا رهبة من عذابها والمعنى انما سلطانك علينا ونفوذ أمرك فينا في هذه الحياة الدنيا ولا سبيل لك علينا فيما بعد ها فسيرى قول عن قريب قال النراء ما معنى الذى أى ان الذى

تفضيه

الانبياء وان أولى العزم منهم أفضلهم وهم الخمسة المذكورون نصافى آيتين من التران في سورة الاحزاب واذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح و ابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وفي الشورى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحى اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ولا خلاف أن محمد صلى الله عليه وسلم أفضلهم ثم بعده ابراهيم ثم موسى على المشهور وقد بسطنا به لانه في غير هذا الموضع والله الموفق وقوله تعالى وآتينادود زبوراً تنبيه على فضله وشرفه قال البخارى حدثنا يحيى بن نصر أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن همام عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خفف على داود القرآن فكان يأمر بدوايه فيفسح فكان يقرأ قبل ان تفرغ يعني القرآن (قل ادعوا

الذين زعمتم من دونه فلا يكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يتغنون الى ربهم الوسيلة ايمهم اقرب ويرجون رحمة ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا) يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين عبدوا غير الله ادعوا الذين زعمتم من دونه من الاصنام والانداد فارغبوا اليهم فانهم لا يملكون كشف الضر عنكم أي بالكفاية ولا تحويلا أي بان يحولوه الى غيركم والمعنى ان الذي يقدر على ذلك هو الله وحده لا شريك له الذي له الخلق والأمر قال العوفي عن ابن عباس في قوله قل ادعوا الذين زعمتم الآية قال كان أهل الشرك يقولون نعبد الملائكة والمسيح وعزيراهم (٧٩) الذين يدعون يعني الملائكة والمسيح وعزيراهم وقوله تعالى أولئك الذين يدعون الآية روى البخارى من حديث

تفضيحه هو هذه الحياة الدنيا فقتلوا وحكمكم منحصر في ذلك (أنا أنما ربنا بالغفر لنا خطايانا) التي سلفت منا من الكفر وغيره (و) بغفر لنا (ما) أي الذي (أكرهتنا عليه من) عمل (السحر) في معارضة موسى فإني محل نصب على المنعولية وقيل ما نافية قال النحاس والاول اولى ويجوز ان تكون في محل رفع بالابتداء والخبر محذوف أي وما أكرهتنا عليه من السحر محذوف وموضوع عنا أولا يؤخذ نابه بنما قال ابن عباس أخذ فرعون اربعين غلاما من بنى اسرائيل فأمر ان يعلموا السحر ففعلوا وقال علموهم تعليم لا يغلبهم أحد في الارض فهم من الذين آمنوا بموسى وقالوا هذا القول (والله خير منكم ثوابا) (وأبقي) منكم عذابا قال محمد بن كعب القرظي خير منكم ان أطيع وأبقي منكم عذابا ان عصي وهذا رد لقوله وتعلم أني أنا الخ حيث كان مراده نفسه (أنه) أي الشأن (من يأت رب مجرما) هو المتأبس بالكفر والمعاصي المئات عليها (فان له جهنم لا يموت فيها) فيتمتع (ولا يحيى) حياة تنفعه قال المبرد لا يموت ميتة مريحة ولا يحيى حياة تمتعة فهو يألم كما يألم الحي ويبلغ به حالة الموت في المكروه الا انه لا يبطل فيها عن احساس الألم والعرب تقول فلان لاجي ولا ميت اذا كان غير متمتع بحياته وهذا لتحقيق لكون عذابه أبقي وهذه الآية من جملة ما حكاه الله سبحانه من قول السحرة وقيل دوا ابتداء كلام وهذا هو الاظهر قاله النسفي اخرج أحدومسلم وابن أبي حاتم وغيرهم عن أبي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطب فألقى على هذه الآية فقال أما أهلها الذين هم أهلها فانهم لا يموتون فيها ولا يحيون وأما الذين ليسوا بأهلها فان النار تميتهم اما تميتهم يقوم الشفعا في شدة عيون فيؤتى بهم ضبا ثم على نحر يقال له الحياة والحيوان فينبئون كما ينبت القنا في حيل السيل (ومن يأت) أي ومن يأت ربه (مؤثنا) أي مصداقه (قد عمل) الاعمال (الصالحات) أي الطاعات ومات على الايمان وليس فيه ما يدل على عدم اعتبار الايمان المجرد عن العمل الصالح في استتباع الثواب لان ما ينط من الاعمال الصالحة هو النور بالدرجات العلى لا الثواب مطلقا (فأولئك) الإشارة الى من باعتبار معناه (لهم الدرجات العلى) أي المنازل الرفيعة التي قصرت دونها الصفات والعلى جمع علماء مؤثنا أعلى (جنات عدن تجري من تحتها الانهار) بيان للدرجات وعدن علم للأقامة كما سبق (خالدين فيها) أي ما كثر دائمين فيه مرعاة معنى من (وذلك) أي ما تقدم لهم من الاجر (جزا من تركي)

ابن مسعود لقوله يتغنون الى ربهم الوسيلة وهذا لا يعبر به عن الماضي فلا يدخل فيه عيسى والعزير والملائكة وقال الوسيلة هي القرية كما قال قتادة ولهذا قال ايمهم اقرب وقوله تعالى ويرجون رحمة ويخافون عذابه لا تتم العبادة الا بالخوف والرجاء فبالخوف ينكشف عن المناهي وبالرجاء يكثر من الطاعات وقوله تعالى ان عذاب ربك كان محذورا أي ينبغي ان يحذر منه ويخاف من وقوعه وحصوله عياذ الله منه (وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا كان ذلك في الكتاب مسطورا) هذا اخبار من الله عز وجل بانه قد حتم وقضى بما قد كتب عنده في اللوح المحفوظ انه ما من قرية الا سيهلكها

سليمان بن مهران الانعمش عن ابراهيم عن أبي معمر عن عبد الله في قوله أولئك الذين يدعون يتغنون الى ربهم الوسيلة قال ناس من الجن كانوا يعبدون فاسلموا وفي رواية كان ناس من الانس يعبدون ناسا من الجن فاسلم الجن وتسمت هؤلاء بدينهم وقال قتادة عن معمر بن عبد الله الرماني عن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن مسعود في قوله أولئك الذين يدعون الآية قال نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن فاسلم الجنيون والانس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون باسلامهم فنزلت هذه الآية وفي رواية عن ابن مسعود كانوا يعبدون صنفا من الملائكة يقال لهم الجن فذكره وقال السدي عن ابي صالح عن ابن عباس في قوله أولئك الذين يدعون يتغنون الى ربهم الوسيلة ايمهم اقرب قال عيسى واهم وعزير وقال مغيرة عن ابراهيم كان ابن عباس يقول في هذه الآية هم عيسى وعزير والشمس والقمر وقال مجاهد عيسى والعزير والملائكة واختار ابن جرير قول

بان يبداهلها جميعهم أو يعذبهم عند اباشيد الاما بقتل أو ابتلاء بما يشاء وانما يكون ذلك بسبب ذنوبهم وخطاياهم كما قال تعالى عن الامم الماضية وما طباذاهم ولكن ظالموا أنفسهم وقال تعالى فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا وقال وكان من قرية عنت عن أمر ربها ورسله الآيات (وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون) وآتيناهم مبعصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات الا تخويفا قال سنيد عن حماد بن زيد عن أيوب عن سعيد بن جبيرة قال قال المشركون يا محمدا انك تزعم انه كان قبلك أنبياء فنههم من سخرت له الرياح ومنهم من كان (٨٠) يحيى المولى فان سرنا ان نؤمن بك ونصدقك فادع ربك ان يكون لنا

اصفا ذهابا فادعى الله اليه ان قد سمعت الذي قالوا فان شئت ان تفعل الذي قالوا فان لم يؤمنوا نزل العذاب فان ليس بعد نزول الآية مناظرة وان شئت ان تستأني بقومك استأنت بهم قال يا رب استأني بهم وكذا قال قتادة وابن جريج وغيرهما وروى الامام أحمد حدثنا عثمان ابن محمد حدثنا جريح عن الاعشى عن جعفر بن ابى اس عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال قال أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم ان يجعل لهم الصفا ذهابا وان يحيى الجبال عنهم فيزعموا فقد لهدان شئت ان تستأني بهم وان شئت ان يأتيهم الذى سألو فان كفر واهلكوا كما هلك من كان قبلهم من الامم قبل لابل استأني بهم وأنزل الله تعالى وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون الآية ورواه النسائي وابن جرير قال حدثنا أحمد حدثنا عبد الرحمن بن سليمان عن سلمة بن كهيل عن عمران ابن حكيم عن ابن عباس قال قالت قريش للنبي صلى الله عليه وسلم ادع لنا ربك يجعل لنا الصفا

أى من تطهر من الكفر والذنوب والمعاصي الموجبة للنار اخرج ابوداود وابن مردويه عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون الكوكب الدرى فى أفق السماء وان أبابكر وعمر من أمة ما وفى الأصحاب بلطف ان أهل عليين ليرون من فوقهم كما ترون الكوكب الغابر فى أفق السماء (ولقد أوحينا الى موسى) هذا شرع فى انجاء بنى اسرائيل واهلاك عدوهم وقد تقدم فى البقرة والاعراف وفى يونس واللام فى القدحى الموطئة للتسم وفى ذلك من التاكيد ما لا يخفى (ان أسير بعمادى) أى أسير بهم ليلامن مصر الى البحر وقد تقدم هذا مستوفى (فان شرب) أى اجعل (لهم طريقا) واسرعه وقيل طريقا بفتح المعول به على سبيل المجاز بان يكون المعنى ان شرب البحر ان ينفلق لهم فيصير طريقا لهم فعلى هذا تصح نسبة الضرب الى الطريق والمراد بالطريق جنسه فان الطريق كانت ثلثي عشرة بعدد أسباط بنى اسرائيل (فى البحر ببسا) أى بابسا وصف به الساعل مبالغة وذلك ان الله تعالى أيس لهم ذلك الطريق ومرت عليه الصبا بخفة حتى لم يكن فيها ماء ولا طين قاله محمد بن كعب ومجاهد وقرئ بسكون الباء مخففة من ببسا المحرك وهو مصدر أجمع بابس كعجب وصاحب وصف به الواحد مبالغة (لا تخاف دركا) أى آمنان ان يدرككم العدو من ورائكم والدرك اللعاق بهم من فرعون وجنوده وبه قال ابن عباس قرأ الجمهور لا تخاف وهى أريح لعدم الحزم فى قوله سبحانه (ولا تخشى) أى من فرعون أو من البحر ان يعرقت (فاتبعهم فرعون بجنوده) أتبع هنا مطاوع اتبع يقال اتبعتهم اذا تبعتهم وذلك اذا سبقوا فالحقهم فالعنى تبعهم فرعون ومعه جنوده وقيل الباء زائدة والاصل أتبعهم جنوده أى أمرهم ان يتبعوا موسى وقومهم وقرئ فاتبعهم بالتشديد أى لحقهم بجنوده وهو معهم كما يقال رككب الأمير بسيفه أى معه سيفه وقيل سائنا جنوده معه (فغشيهم من اليم مغشيهم) أى غلاهم واصابهم منه ما غمرهم من الامر الهائل الذى لا يقدر قدره ولا يبلغ كنهه وقال السمين هذا من باب الاختصار وجوامع الكلام أى ما قيل لفظها ويكثر معناها والتكرير للتعظيم والتحويل كفى قوله الحاقا ما الحاقه وقيل غشيهم ما سمعت قصته وقال ابن الأنبارى غشيهم البعض الذى غشيهم لانه لم يغشهم كل ماء البحر بل الذى غشيهم بعضه فهذه العبارة للدلالة على الذى أغرقهم بعض الماء الاول وأولى لما يدل عليه من التحويل

ذهبوا وؤمن بك قال وتعلمون قالوا نعم قال فدعا قاتله جبريل فقال ان ربك يقر أعليك السلام ويقول لك ان والتعظيم شئت أصبح لهم الصفا ذهابا فن كفر منهم بعد ذلك عذبه عذابا لا أعذبه أحد من العالمين وان شئت ففتح لهم أبواب التوبة والرحمة فقال بل باب التوبة والرحمة وقال الحافظ أبو يعلى فى مسنده حدثنا محمد بن اسمعيل بن على الانصارى حدثنا خلف بن تميم المصيصى عن عبد الجبار بن عمر الابلى عن عبد الله بن عطاء بن ابراهيم عن جدته أم عطاء مولاة الزبير بن العوام قالت سمعت الزبير يقول لما رأت وأندر عشرين نك الاقربين صاح رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبى قبيس يا آل عبد مناف انى نذير فخا ته قريش

نحذرهم وأنذرهم فقالوا تزعم أنك نبي يوحى اليك وإن سليمان سخره الريح والجبال وإن موسى سخره البحر وإن عيسى كان يحيى الموتى فادع الله إن يسير عنا هذه الجبال ويفجر لنا الأرض أنهم اراقتخذ محارث فتزرعوناً كل والا فادع الله إن يحيى لنا موتاً نأمن لنسلكهم ويكلمونا والافادع الله ان يصير لنا هذه الصخرة التي تحت ذهاب فتخرج منها وتغذي عن رحله الشتاء والصيف فأنك تزعم أنك نبيهم قال فبينما نحن حوله اذنزل عليه الوحي فلما سرى عنه قال والذي نفسي بيده لقد اعطاني ما سألتكم ولو شئت لكان ولكنه خيرني بين ان تدخلوا باب الرحمة فيؤمن من يسلم وبين ان يكذبكم الى ما اخترتم (٨١) لانفسكم فضلوا عن باب الرحمة فلا يؤمن منكم أحد فاخترت باب الرحمة

منكم أحد فاخترت باب الرحمة فمؤمن منكم وأخبرني انه ان أعطاكم ذلك ثم كفرتم انه يعذبكم عذاباً لا يعذبه أحد من العالمين ونزلت وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون وقرأ ثلاث آيات ونزلت ولو ان قسراً سرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كذب بها الموقى الآتية ولهذا قال تعالى وما منعنا ان نرسل بالآيات أي نعمت الآيات ونأتي بها على ما سأل قومك من أن فانه سهل علينا يسر لدنيا الا انه قد كذب بها الاولون بعد ما سألوا هار جرت ستمنا فيهم وفي أمثالهم انهم لا يؤخرون ان كذبوا بها بعد نزولها كما قال الله تعالى في المائدة قال الله اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحد من العالمين وقال تعالى عن ثمود حين سألو آية ناقة تخرج من صخرة عموها فدعاصالح عليه السلام به فخرج لهم منها ناقة على ما سألوا فلما ظلموا بها أي كفروا بمن خلقتها وكذبوا رسوله وعقروها فقال الله تعالى في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب ولهذا قال تعالى وآتينا

والعظيم وقرئ فغشاهم من اليم ما غشاهم أي غطاهم ما غطاهم من الغرق وسترهم ما لم يعلم كنهه الله سبحانه فغرق فرعون وجنوده ونجا موسى وقومه (وأصل فرعون قومه وما هدى) هذا الخبر عن حاله قبل الغرق أي أضلهم عن الرشد وما هداهم الى طريق النجاة لانه قد ران موسى وقومه لا يفوتونه لكونهم بين يديه يشون في طريقه بأبسة وبين أيديهم البحر وفي قوله وما هدى تأكيده وتقريره لاضلاله لان الماضل قد يرشد من يضله في بعض الأمور وفيه تكذيب لفرعون في قوله وما أهديكم الا سبيل الرشاد (يا بني اسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم) ذكر سبحانه ما أنعم به على بني اسرائيل بعد انجائهم وفي هذا الترتيب غاية الحسن حيث قدم تذكير نعمة الانجاء ثم النعمة الدينية ثم الدنياوية والتقدير قلنا لهم بعد انجائهم يا بني اسرائيل ويجوز ان يكون خطاباً لليهود المعاصرين لتبين ما صلى الله عليه وآله وسلم لان النعمة على الآباء معدودة من النعم على الابناء والمراد بعدوهم هنا فرعون وجنوده وذلك باغراقه واغراق قومه في البحر عبراً من بني اسرائيل (وواعدناكم جانب الطور الايمن) ان تصاب جانب على انه مفعول به لا على الظرفية لانه مكان معين غيرهم وانما تنصب الامكنة على الظرفية اذا كانت مهمة قال مكي وهذا أصل لا خلاف فيه قال النحاس والمعنى امرنا موسى ان يأمرهم بالخروج معه فكلمهم بمحضرتكم فسمعوا الكلام وقيل وعد موسى بعد اغراق فرعون ان يأتي جانب الطور فالوعد كان لموسى وانما خوطبوا به لان الوعد كان لاجلهم فهو من الجواز العتلى وقرئ وواعدناكم لان الوعد انما هو من الله لموسى خاصة والمواعدة لا تكون الا من اثنين وقد قدمنا في البقرة هذا المعنى والاين صفة للجانب والمراد عين الشخص لان الجبل ليس له عين ولا شمال فاذا قيل خذ عن بين الجبل فعناه عن يمينك من الجبل (ونزلنا عليكم) أي في التيه (المن والسلوى) قد تقدم تفسير المن بالترجيئين والسلوى بالسماوي وأوضحنا ذلك بما لا مزيد عليه وقال أبو السعود المن هوشى حلوا أبيض مثل الثلج كان ينزل من الفجر الى طلوع الشمس ليكل انسان صاع ويبيت الريح الجنوب عليهم السماوي فيذيب الرجل منهم ما يكفيهم (كلوا) أي قلنا لهم كلوا (من طبيبات ما رزقناكم) أي المنعم به عليكم المراد بالطيبات المستلذات وقيل الحلال على الخلاف المشهور في ذلك (ولا تطغوا فيه) الطغيان التجاوز أي لا تتجاوزوا ما هو جائز الى

(١١ - فتح البيان سادس) ثمود الماقمة بمصرة فظلموا بها أي دال على ودية من خلقها وصدق ربه الذي أجيب دعاؤه فيها فظلموا بها أي كفروا بها ومنعوا هائرها وقتلوه فابادهم الله عن آخرهم واثبتهم منهم وأخذهم أخذ عزيز مقتدر وقوله تعالى وما ترسل بالآيات الا تخويفاً قال قتادة ان الله تعالى يخوف الناس بما شاء من الآيات لعلمهم بعبثهم ويزكروا ويرجعون ذكر لنا ان الكوفة رجفت على عهد ابن مسعود رضي الله عنه فقال يا أيها الناس ان ربكم يستعذبكم فاعتبوه وهكذا روي ان المدينة زلزلت على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرات فقال عمر أحدثتم والله لئن عادت لم فعلن ولا فعلن وكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله وانهما لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته ولكن الله عز وجل يخوف بهما

عباده فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكره ودعائه واستغفاره ثم قال يا أيها محمد والله ما أحد أعير من الله أن يرزى عبده وأترزى أمته يا أمّة محمد والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً (واذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فايزدوهم لاطغياً ناكبياً) يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم محمضه على الإلاغ رسالته ومخبره بأنه قد عصمه من الناس فإن القادر عليهم وهم في قبضته وتحت قهره وغلبته قال مجاهد وعروة بن الزبير والحسن وقتادة وغيرهم في قوله واذ قلنا لك إن ربك (٨٢) أحاط بالناس أي عصمك منهم وقوله واجعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس

الآية قال البخاري حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن عمرو بن عكرمة عن ابن عباس وما جعلنا الرويا التي أرى ثالك الاقمة للناس قل هي روى عينا روى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به والشجرة المعونة في القرآن شجرة الزقوم وكذا رواه أحمد وعبد الرزاق وغيرهما عن سفيان بن عيينة به وكذا رواه العوفي عن ابن عباس وهكذا أصر ذلك ليلة الاسراء مجاهد وسعيد بن جبير الحسن ومسروق وابراهيم وقتادة وعبد الرحمن بن زيد وغير واحد وقد تقدمت احاديث الاسراء في اول السورة مستقصاة والله الحمد والمنة وتقدم اناسا رجعوا عن دينهم بعدما كانوا على الحق لانهم تحمل قلوبهم وعندهم ذلك فكذبوا بما لم يحيطوا به ولم يجعل الله رزقنا ذلك ثباتا ويبقينا لآخرين والله ذوق الاوهدة

اختبارا و امتحانا وأما الشجرة
المعونة فهي شجرة الزقوم كما أخبرهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه
رأى الجنة والنار ورأى شجرة الزقوم
فكتبوا بذلك حتى قال أبو جهل

ولا يجوز كالسرف والبطر والمنع عن المستحق وقبل المعنى لا تتجدد وأنبي الله فتمكثوا
 طاعين وقيل لا تكفروا نعمة الله ولا تنسوا شكرها وقيل لاتعصوا المنعم أى
 لاتحملنكم السعة والعافية على المعصية ولا مانع من حمل الطغيان على جميع هذه
 المعاني فان كل واحد منها يصدق عليه انه طغيان (فيحمل) بكسر الخاء أى يجب
 عليكم غضبي) أى يلزمكم وبضئها بعدنى ينزل بكم وتوماؤخذ من حلول الدين أى
 حضور وقت أدائه (ومن يحال عليه غضبي فتدحوى) قرئ بكسر اللام الاولى وبضئها
 وهم الغنان قال الفراء الكسر أب الى من الضم لان الضم من الحلول بمعنى الوقوع
 ويحل بالكسر يجب وباء التفسير بالوجوب بالالوقوع وذ كر نحو هذا أبو عبيدة وغيره
 وهوى بمعنى هالك قال الزجاج فقد هوى أى صار الى الهاوية وهى قعر النار من هوى
 يهوى هو أى سقط من علواى سفلى وهوى فلان أى مات وقال ابن عباس هوى أى
 شق (وانى لغنارلن تاب) من الذنوب التى أعظمها الشرك بالله أو من الشرك قاله
 ابن عباس (وآمن) بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وقال ابن عباس
 وحدا لله (وعمل) عملا صالحا مما تدب اليه الشرع وحسنه وقال ابن عباس ادى
 الفرائض وظاهر اللفظ يشمل الفرض والنفل (ثم اهتدى) أى استقام واستقر على ذلك
 حتى يموت قاله الزجاج وغيره وقال سعيد بن جبير لزم السنة والجماعة وعن ابن
 عباس قال من تاب من الذنب وآمن من الشرك وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه ثم اهتدى
 أى علم ان له نعمه ثوابا وعلى تركه عقابا يجزى عليه وقيل تعلم العلم ليهتدى به وقيل لم يشك
 فى ايمانه والاول أرجح مما بعده وتمام التاريخ باعتبار انه تمام لبعده عن أول الاهتداء أو
 الدلالة على بعد ما بين المرتبتين فان المداومة أعظم وأعلى من الشروع والايضاح ان المراد
 الاستمرار على تلك الطريقة اذ المهتدى فى الحال لا يكفيه ذلك فى الفوز بانجاة حتى يستمر
 عليه فى المستقبل ووت عليه قاله الكرخى (وما أعجلك عن قومك يا موسى) هذا
 بكاء لما جرى بين الله سبحانه وبين موسى عند موافاته المقبات والسؤال وقع من الله
 عظيما لاستدعاء المعرفة بل امتاعه بغير غيره أولئك بكتيته أرا لنبهه كما صرح به الراغب
 ليس غشيم أى كاذب يقول التليد سألنى الاستاذ عن كذا ليعرف فهمى ونحو ذلك قال
 هرواندیس تيمم الله الله اعلم ان يوافي موسى وجماعته من وجوه قومه فسار موسى بهم ثم جعل
 من مكان

عن أبي جهم قال قال أبو جهم - عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الزقوم فلا تعلم الزقوم غير هذا حتى ذلك ابن عباس من
لعنه الله يقول هاتوا لنا ثم اوزبدا وجعل يأكل من هذا بهذا ويقولون ابا الاعاصير المراد الشجرة
ومسرور وأبو مالك والحسن البصري وغير واحد وكل من قال انهم ابن عباس بن زبالة حدثنا عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعيد
المعروف بنو أمية وهو غريب ضعيف قال ابن جرير حدثت عن محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن زبالة حدثنا عبد الله بن محمد بن الحسن بن
حدثنا أي بن جدي قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بني فلان ينزول على وهذا السند ضعيف جدا فان محمد بن الحسن بن
حتى مات قال وأمر الله في ذلك وما بعلمنا الرؤيا التي أرى تلك الاقنعة للناس الآية
زبالة متروك وشيخه ايضا ضعيف بالكلمة ولهذا المختار ابن جرير ان مراد بذلك

الزقوم قال لاجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك أي في الرؤيا والشجرة وقوله ونخوفهم أي الكفار بالوعيد والعذاب والتمكال
فما يزيدهم الاطغيانا كبيرا أي عدايا فيهم فيه من الكفر والضلال وذلك من خذلان الله لهم (واذقنا للملائكة اسجدوا
لآدم فسجدوا الا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا قال أأرى لك هذا الذي كرمت على ابن أختك الى يوم القيامة لا تحسبك ذرية
الاقليلا) يذكركم تبارك وتعالى عداوة ابليس لعنه الله لآدم وذريته وانها عداوة قديمة منذ خلق آدم فانه تعالى أمر الملائكة بالسجود
لآدم فسجدوا كما هم الا ابليس استكبر وأبى أن يسجد له افتخارا عليه (٨٣) واحتقار الله له خلقت طينا كما قال في

الآية الأخرى أنا خير منه خلقتني
من نار وخلقته من طين وقال أيضا
أأرى لك تقول الرب جراءة وكفرا
والرب يعلم وينظر قال أأرى لك هذا
الذي كرمت على الآية قال علي بن
أبي طلحة عن ابن عباس يقول
لاستولين على ذرية الاقليات وقال
مجاهد لاحتوين وقال ابن زيد
ولا ضلنهم وكهاتمقاربة والمعنى
انه يقول أأرى لك هذا الذي شرفته
وعظمتته على لئلا تنظر تن لا ضلن
ذرية الاقليات منهم (قال اذهب
فمن اتبعك منهم فان جهنم جزاؤكم
جزاء موفورا واستنزل من استطعت
منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك
ورجلك وشاركهم في الاموال
والاولاد وعددهم وما يعدهم
الشيطان الا غرورا ان عبادي ابليس
لك عليهم سلطان وكنتي بربك وكيلًا)
لماسأل ابليس النظرة قال الله له
اذهب فقد أنظرتك كما قال في الآية
الأخرى قال فانك من المنظرين الى
يوم الوقت المعلوم ثم أوعده ومن
اتبعه من ذرية آدم جهنم قال
اذهب فمن اتبعك منهم فان جهنم
جزاؤكم أي على أعمالكم جزاء
موفورا قال مجاهد وافرأوا قال

من بينهم هم شوقا الى ربه فقال الله تعالى له ما الذي جئت على العجالة حتى تركت قومك
وخرجت من بينهم والمراد بهم جلة بني اسرائيل فان موسى كان قد أمرهم أن يسير
بهم على أثره ويلحقونه في مكان المناجاة فاجاب موسى عن ذلك و (قال هم أولاء على
أثرى) أي بالقرب مني تابعون لا ترى واصلون بعدى ليس بيني وبينهم الامسافة يسيرة
وقبل لم يردانهم يسير ون خلفه بل أراد انهم بالقرب منه ينتظرون عوده اليهم بنوعهم
يقولون أولى مقصورة وأهل الحجاز أولاء ممدودة قاله عيسى بن عمرو وقرئ اتركهم
الهمز واسكان اللام وبفتحها وما وهما لغتان ثم قال مصرحاً بسبب ما سأله الله عنه فقال
(وعلمت ابليس رب لترضى) عني عسارعتي الى امثال أمرك أو لتزداد رضاعني بذلك
وفيه دليل على جواز الاجتهاد والمعنى علمت الى الموضع الذي أمرتني بالسير اليه لترضى
عني يقال رجل يعمل ويعمل وعجلان بين العجلة والعجلة خلاف البطء وأخرج سعيد بن
منصور وابن أبي شيبة والبيهقي في الشعب من طريق عمرو بن ميمون عن رجل من أصحاب
النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال تجل موسى الى ربه فرأى في ظل العرش رجلاً ففجبه
فقال من هذا يا رب قال لا حدث من هو لكن سأخبرك بثلاث فيه كان لا يحسد الناس
على ما آتاهم الله من فضله ولا يعق والده ولا يبغى بالنعمة (قال فانادفتنا قومك من
بعدك) مستأنفة كانه قيل فاذا قال الله أي ابتليناهم واختبرناهم والتميناخهم في
فتنة ومحنة قال ابن الانباري صيرناهم من متونين أشقياء بعبادة العجل من بعد ان طلاق
من بينهم وهم الذين خلنهم مع هرون وكانوا ستمائة ألف فافتنوا غيرائي عشر ألفا وهذه
الفتنة زفعت لهم بعد خروج موسى من عندهم بعشرين يوماً وهذا الاخبار من الله تعالى
عنها قيل انه كان وقت سؤاله بقوله وما أعجلك الخ فهو أول حضوره الميقات وفي ذلك الوقت
لم تكن الفتنة وقعت لهم كما علمت فيكون هذا الاخبار فيه تجوز من اطلاق الماضي على
المستقبل على حد أي أمر الله وقيل انه كان بعد تمام الاربعين أو في العشر الاخير منها
قال الشهاب وعليه الجمهور وعليه فيكون الاخبار حقيقة لا تجوز فيه (وأضلهم
السامري) أي دعاهم الى الضلالة وكان من قوم يعبدون البقر فدخل في دين بني
اسرائيل في الظاهر وفي قلبه ما فيه من عبادة البقر وكان من قبيلة تعرف بالسامرة وقيل
كان من القبط وقيل كان علجاً من علوج كرمان رفع الى مصر وكان جارا لموسى وآمن به

قتادة موفرا عليهم لا ينقص انكم منه وقوله تعالى واستنزل من استطعت منهم بصوتك قيل هو الغناء قال مجاهد بالله هو والغناء أي
استنزلهم بذلك وقال ابن عباس في قوله واستنزل من استطعت منهم بصوتك قال كل داع دعا الى معصية الله عز وجل وقاله قتادة
واختاره ابن جرير وقوله تعالى وأجلب عليهم بخيلك ورجلك يقول واحل عليهم بخيلك ورجلكم فان الرجل جمع راجل
كأن الركب جمع ركب وصحب جمع صاحب ومعناه تسلط عليهم بكل ما تقدر عليه وعدا أمر قدرى كتوله تعالى ألم تر أنا أرسلنا
الشياطين على الكافرين تؤزهم أراى ترعهم الى المعاصي اذ عاجوا وتسوفهم اليها سواها وقال ابن عباس ومجاهد في قوله وأجلب

عليهم بخيلك وربك قال كل راكب وماش في معصية الله وقال قتادة ان له خيلا ورجالا من الجن والانس وهم الذين بطيعونه تقول العرب أجلب فلان على فلان اذا صاح عليه ومنه معنى في المسابقة عن الجلب والجنب ومنه اشتقاق الجلبة وهي ارتفاع الاصوات وقوله تعالى وشاركهم في الاموال والاولاد قال ابن عباس ومجاهد هو ما أمرهم به من انفاق الاموال في معاصي الله تعالى وقال عطية هو الربا وقال الحسن هو جمعهم خبيث وانفاقها في حرام وكذا قال قتادة وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما اماما شاركته اياهم في أموالهم فهو (٨٤) ما حرموه من انعامهم يعني من البحائر والسوائب ونحوها وكذا

قال الضحالك وفتادة وقال ابن جرير والاولى أن يقال ان الآية تعم ذلك كله وقوله والاولاد قال العوفي عن ابن عباس ومجاهد والضحالك يعني اولاد الزنا وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هو ما كانوا يقتلوه من اولادهم سفها بغير علم وقال قتادة عن الحسن البصري قد والله شاركهم في الاموال والاولاد مجسوا وهو دوا ونصر وواصب وغير صبغة الاسلام وجزوا من أموالهم جزءا للشيطان وكذا قال قتادة سواء وقال أبو صالح عن ابن عباس هو تسميتهم اولادهم عبد الحارث وعبد شمس وعبد فلان قال ابن جرير واولى الاقوال بالصواب ان يقال كل مولود ولده أثني عصى الله فيه بتسميته ما يكرهه الله أو يادخله في غير الدين الذي ارتضاه الله أو بالزنا بامه أو بقتله أو واده أو غير ذلك من الامور التي يعصى الله بها بفعله أو فيه فقد دخل في مشاركة ابليس فيه من ولد ذلك الولد له ومنه لان الله لم يخص ببقوله وشاركهم في الاموال والاولاد معنى الشراكة فيه بمعنى دون معنى فنكل ما عصى الله فيه أو به أو طيع الشيطان فيه أو به فهو مشاركة

واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا فقال لمن معه من بني اسرائيل انما يخلف موسى عن الميعاد الذي بينكم وبينه لما صار معكم من الحلي وهي حرام عليكم وأمرهم بالقائها في النار وكان من أمر العجل ما كان (فرجع موسى الى قومه) قيل وكان الرجوع الى قومه بعد ما استوفى أربعين يوما ماذا القعدة وعشر ذى الحجة وأخذ التوراة روى انما فرجع موسى سمع الصياح والنخيج وكانوا يرقصون حول العجل فقال للسمع بن الذين كانوا معه هذا صوت الفتنة وفي القرطبي وسئل الامام أبو بكر الطرطوشي عن جماعة يجتمعون ويكثرون من ذكر الله وذكر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ثم انهم يضربون بالقضيب على شيء من الطبل ويتنوم بعضهم برقص ويتواجد حتى يقع مغشيا عليه ويحضر ون شيأيا كونه فهل الحضور معهم جائز أم لا فاجاب رجل الله مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلالة وما الاسلام الا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأما الرقص والتواجد فاول من أحدثه أصحاب السامري لما اتخذهم عجلا جسده خوار فقاموا يرقصون حوله ويتواجدون فهو دين الكفار وعباد العجل وأما الطبل فاول من اتخذ الزنادقة ليشغلوا به المسلمين عن كتاب الله تعالى وانما كان مجلس النبي مع أصحابه كالتعا على رؤسهم الطير من الوقار فينبغي للسلطان ونوابه ان يتنعمهم من الحضور في المساجد وغيرها ولا يحل لاحد يؤمن بالله واليوم الآخر ان يحضر معهم أو يعينهم على باطلهم وهذا مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة المسلمين انتهى (غضب ان أسفنا) الاسف الشديد الغضب وقيل الحزين وقد مضى في الاعراف بيان هذا مستوفى (قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا) الاستفهام للانكار التوبيخ والوعد الحسن وعدهم بالجنة اذا أقاموا على طاعته وقيل وعدهم ان يسلمهم كلامه في التوراة على لسان موسى ليعملوا بما فيها فيستحقوا ثواب عملهم وكانت ألف سورة كل سورة ألف آية يحمل اسفارها سبعون جلا ولا وعد أحسن من ذلك قاله النسفي وقيل وعدهم النصر والظفر وقيل هو قوله واني لغفار لمن تاب الآية (أفطال عليكم العهد) أي أوعدكم ذلك فطال عليكم الزمان فتسبتم (أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم) أي يلزمكم أو ينزل عليكم والغضب العقوبة والنقمة والمعنى أم أردتم ان تنعوا لولا فلا يكون سبب حلول غضب الله عليكم بارادتهم واختياركم (فاخلفتم موعدى) أي موعدكم اياي

وهذا الذي قاله متجه وكل من السائر رحيم الله فسر بعض المشاركة فتدبث في تخيخ مسلم عن عياض فالمصدر

ابن جاد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل اني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتاتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحلت لهم وفي الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو ان أحدهم اذا اراد أن يأتي أهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقناه فإنه ان يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره الشيطان أبد وقوله تعالى وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا كما أخبر تعالى عن سلف ابليس انه يقول اذ حصد الحق يوم يقضى بالحق ان الله وعدهم وعده

الحق ووعدتكم فآخلفتكم الآية وقوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان اخباراً بتأييده تعالى عباده المؤمنين وحفظه اياهم وحرسته لهم من الشيطان الرجيم ولهذا قال تعالى وكفى بربك وكيلأى حافظاً ومؤيداً ونصيراً وقال الامام احمد حدثنا قتيبة حدثنا ابن لهيعة عن موسى بن وردان عن أنى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان المؤمن ليس بشياطينه كما ينض احدكم بعيره في السفر ينض أى يأخذ بناصيته ويقهره (ربكم الذى يرحى لكم الفلك في البحر لابتغوا من فضله انه كان بكم رحيماً) يخبر تعالى عن لطفه بخلقه في تسخير له عباده الفلك (٨٥) في البحر وتسهيله لمصالح عباده لابتغائهم

من فضله في التجارة من اقليم الى اقليم ولهذا قال انه كان بكم رحيماً أى انما فعل هذا بكم من فضله عليكم ورحته بكم (واذا امسكم الضر في البحر ضل من تدعون الاياه فلما نجاكم الى البر اعرضتم وكان الانسان كفوراً) يخبر تبارك وتعالى أن الناس اذا مسهم ضر دعوه منيدين اليه مخلصين له الدين ولهذا قال تعالى واذا امسكم الضر في البحر ضل من تدعون الاياه أى ذهب عن قلوبكم كلما تدعون غير الله تعالى كما اتفق لعكرمة بن أبي جهل لما ذهب فاراً من رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فتح مكة فذهب هارباً فركب في البحر اريد دخل الحبشة فجاءهم سهم عاصف فقتل القوم بعضهم لبعض انه لا يغنى عنكم الا أن تدعوا الله وحده فقال عكرمة في نفسه والله ان كان لا ينفع في البحر غيره فانه لا ينفع في البر غيره اللهم لك على عهدائى اثرتى منه لا ذنب فلا ضعن يدي في يد محمد فلا جدنه رؤفاً رحيماً فخرجوا من البحر فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم وحسن اسلامه رضى الله عنه وأرضاه

فالمصدر مضاف الى المفعول لانهم وعدوه ان يقيموا على طاعة الله عز وجل الى ان يرجع اليهم من الطور وقيل وعدوه ان يأووا على أثره الى الميقات فتوقفوا وتركو الحجى بعده وهذا ترتيب على كل واحد من شتى التردد على سبيل البذل فاجابوه (قالوا ما أخلقنا موعداً) الذى وعدناك (بملكنا) بفتح الميم وقرئ بكسر ها واختاره هذه القراءة أبو عبيد وأبو حاتم لانها على اللغة العالية الفصيحة وهو مصدر ملكت الشيء أملكه ملكاً والمصدر مضاف الى الفاعل والمفعول محذوف أى بملكنا أمورنا وملكنا الصواب بل أخطأنا ولم نملك أنفسنا وكانا مطيرين الى الخطأ أى سؤل لنا السامري ماسول وغلب على عقولنا قال ابن عباس بملكنا أى بامرنا وقال قتادة بطاعتنا وعن السدى مثله وقيل باختیارنا وذلك ان المراد اوقع في الفتنة لم يملك نفسه وقرئ بملكنا بضم الميم والمعنى بسطاننا قاله الحسن أى لم يكن لنا ملك فآخلف موعداً وقيل ان الفتح والكسر والضم كلها لغات سبعية في مصدر ملكت الشيء (ولما جئنا أوزاراً من زينة القوم) قرئ بضم الميم وشد الميم وقرئ: فتح الحاء والميم مخنفة واختارها أبو عبيد وأبو حاتم لانهم حلوا حلية القوم معهم باختيارهم وما حلوا كرها فانهم كانوا استعاروها منهم حين أرادوا الخروج مع موسى وأوهموهم انهم يجتمعون في عيد لهم أو وليمة وقيل هو مأخذه من آل فرعون لما قد فهم البحر الى الساحل وسميت أوزاراً أى آتاءاً لانه لا يحمل لهم أخذها ولا تحمل لهم الغنائم في شريعتهم والاوزار في الأصل الاثقال كما صرح به أهل اللغة والمراد بالزينة هنا الحلى (فقدفناها) أى طرحناها في النار طلباً للخلاص من أثمها وقيل المعنى طرحناها الى السامري لتبقى لديه حتى يرجع موسى فيرى فيها رأيه (فكذلك اتى السامري) أى فخل ذلك القذف القاءها السامري قيل انه قال لهم حين استبطا القوم رجوع موسى انما احتبس عنكم لاجل ما عندكم من الحلى فجمعوه ودفعوه اليه فرمى به في النار وصاغ لهم منه عجلاً ثم ألقى عليه قبضة من أثر الرسول وهو جبريل (فاخرج لهم) السامري من الحضرة وهذا من كلامه تعالى (عجلاً) صاغه من الحلى في ثلاثة أيام (جسداً) أى حال كونه جسداً أى صائراً جسداً أى دماً ولحمًا والجسد دجعه اجساد قال في البارع لا يقال الجسد اللعين وان العاقل وهو الانسان والملائكة والجن ولا يقال لغيره جسد الا للزعران وللدم اذا ليس أيضاً جسداً وجسد

وقوله تعالى فلما نجاكم الى البر اعرضتم أى نسيتم ما عرفتم من توحيدى في البحر واعرضتم عن دعائه وحده لاشربك له وكان الانسان كفوراً أى سمجته هذا ينسى النعم ويجهدها الا من عصم الله (أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصباًم لا تجدوا لكم وكيلاً) يقول تعالى أخلصتم بخر وجكم الى البر أمنتم من انتقامه وعذابه أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصباً وهو المطر الذى فيه حجارة قاله مجاهد وغير واحد كما قال تعالى انا أنزلنا عليهم حاصباً الا لوط نجيناهم بسحر نعمة من عندنا وقد قال في الآية الاخرى وأمطرنا عليهم حجارة من طين وقال أمنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض فاذا هي عوراًم

أمنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصباً فاستعلمون كيف نذير وقوله ثم لا تجددوا لكم وكلاي ناصراً بذلك عنكم وينقذكم منه (أم أمنتم أن يعيدكم فيه نارة أخرى فيرسل عليكم قاصفاً من الريح فيغرقكم عما كنتم ثم لا تجددوا لكم علياً تبعاً) يقول تبارك وتعالى أم أمنتم أيها المعرضون عنابعد ما اعترفوا بتوحيدنا في الجبر وخروجوا إلى البر أن يعيدكم في البحر مرة ثانية فيرسل عليكم قاصفاً من الريح أي يقصف الصواري ويغرق المراكب قال ابن عباس وغيره القاصف ربح البحار التي فكسر المراكب وتغرقها وقوله فغفر لكم عما كنتم

(٨٦)

به تبعاً قال ابن عباس نصبراً وقال مجاهد نصراً ثم رأى يأخذ بشاركم بعدكم وقال قتادة ولا يخاف أحد يتبعنا بشيء من ذلك ولقد كررنا بني آدم ورجلناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً يخبر تعالى عن نشر يده لبني آدم وتكريره إياهم في خلقه لهم على أسن الهيات وأكلها كقوله تعالى لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم أي عشي قائماً منتصباً على رجلين موباً كل يديه وغيره من الحيوانات عشي على أربع موباً كل يوم وجعل لهم بصراً وفؤاداً يفقه به ذلك كله وينتفع به ويفرق بين الأشياء ويعرف منافعها وخواصها ومضارها في الأمور الدينية والدنيوية ورجلناهم في البرأي على الدواب من الأنعام والخيول والبغال وفي البحر أياضاً على السفن السكار والصغار ورزقناهم من الطيبات أي من زروع وغار ولحوم وألبان من سائر أنواع الطعوم والألوان المشتهة اللذيذة وانما نظر الحسنة والملابس الرفيعة من سائر الأنواع على اختلاف

والمعنى أخرج لهم مجلداً جنة على التشبيه بالعاقل (له خوار) صوت يسمع أي يخور كما يخور الخي من العجول والخوار صوت البقر وقيل خواره كان بالريح لأنه كان عمل فيه خروفاً فاذا دخلت الريح في جوفه خار ولم تكن فيه حياة (فقلوا) أي السامري ومن وافقه في بادئ الرأي (هذا الهكم واله موسى فني) أي فضل موسى ولم يعلم مكان الهه هذا وذهب يطأه في الطور وهذا يقتضي أنهم جعلوا العجل الهياً يعبدونه لذاته لا لتقريبه لهم من الله تعالى وقيل المعنى فني موسى أن يذركم ان هذا الهه والهكم قاله ابن عباس وقيل الناسي هو السامري أي ترك السامري ما أمر به موسى من الإيمان وضل كذا قال ابن الأعرابي (أولاً يرون ألا يرجع إليهم قولاً) الاستفهام للتوبيخ والتقريع أي أفلا يعتبرون ويتفكرون في أن هذا العجل لا يردهم جواباً ولا يكلمهم إذا تكلموه فكيف يهتمون به الهه وهو عاجز عن المكالمات وان محففة ويرجع بالرفع في قراءة العامة وقرئ بالنصب وفيه ضعف والرؤية على الأول علمية وعلى الثاني بصرية (ولا يملك لهم ضرراً ولا نفعاً) أي لا يقدر على أن يدفع عنهم ضرراً ولا أن يجلب لهم نفعاً (ولقد قال لهم هرون) اللام هي الموطئة للقسم وجلة مؤكدة لما تضمنته الجلة التي قبلها من الإنكار عليهم والتوبيخ لهم أي والله لقد نصح لهم هرون (من قبل) أي من قبل أن يأتي موسى ويرجع إليهم (يا قوم اعلمتمتم به) أي وقعتم في الفتنة بسبب العجل وابتليتم به وضلتم عن طريق الحق لاجله قيل ومعنى القصر المستنداد من اغماها وأن العجل صار سبباً للفتنة لا لارشادهم وليس معناه أنهم فتنوا بالعجل لا بغیره (وان ربكم الرحمن) لا العجل خص هذا الموضع باسم الرحمن تنبيهاً على أنهم متى تابوا قبل الله توبتهم لانه هو الرحمن ومن رحمته ان خلاصهم من آفات فرعون (فاتبعوني) في أمري لكم بعبادة الله ولا تتبعوا السامري في أمره لكم بعبادة العجل (وأطيعوا أمري) لأمره (قالوا ان نبرح عليه ما كفين) أجابوا هرون عن قوله المتقدم بهذا الجواب المتضمن لعصيانهم وعدم قبول ما دعاهم اليه من الخير وحذرهم عنه من الشر أي ان نزال مقيمين على عبادة هذا العجل (حتى يرجع إليهم موسى) فينظر هل يقررن على عبادته أو ينهانا عنها فجعلوا هذا غاية لعكوفهم لكن لا على طريق الوعد بل بطريق التعلل والتسويق فعند ذلك اعتزلهم هرون في اثني عشر ألفاً من المنكرين لمفاعله السامري اخرج الحاكم

أصنافها وألوانها وأشكالها مما يصنعونه لأنفسهم ويحببه إليهم غيرهم من أقطار الأقاليم والنواحى وفضلناهم وصححه

على كثير من خلقنا تفضيلاً أي من سائر الحيوانات وأصناف المخلوقات وقد استدل بهذه الآية الكريمة على أفضلية جنس البشر على جنس الملائكة قال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن زيد بن اسلم قال قالت الملائكة يا ربنا انك أعطيت بني آدم الدنيا بما كلون منها ويتنعمون ولم تعطنا ذلك فاعطنا في الآخرة فقال الله تعالى وعزني ورجلالي لا اجعل صالح ذرية من خلقت يدي يكن قات له كن فكان وهذا الحديث مرسل من هذا الوجه وقد روى من وجه آخر متصلاً وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا أحمد بن محمد بن

صدق البغدادى حدثنا ابراهيم بن عبد الله بن خازجة المصيصى حدثنا حجاج بن محمد حدثنا محمد أبو غسان محمد بن مطرف عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الملائكة قالت يا ربنا أعطيت بنى آدم الدنيا يا كواكون فيها ويشربون ويلبسون ونحن نسبح بحمدك ولا تأكل ولا تشرب ولا تلهو فكل جعلت لهم الدنيا فاجعل لنا الآخرة قال لا اجعل صالح ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان وقد روى ابن عساكر من طريق محمد بن أيوب الرازى حدثنا الحسن ابن علي بن خلف الصيدلانى حدثنا سليمان بن عبد الرحمن حدثني عثمان بن (٨٧) حصن بن عبيدة بن عداق سمعت عروة

ابن رويم اللخمي حدثني أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الملائكة قالوا ربنا خلقتنا وخلقته بنى آدم وجعلتهم يا كواكون الطعام ويشربون الشراب ويلبسون الثياب ويتزوجون النساء ويركبون الدواب ينامون ويستريحون ولم تجعل لنا من ذلك شأفا جعل لهم الدنيا ولنا الآخرة فقال الله عز وجل لا اجعل من خلقتهم بيدي ونفخت فيه من روحي كمن قلت له كن فكان وقال الطبراني حدثنا عبدان بن أحمد حدثنا عمر بن سهل حدثنا عبد الله بن عامر عن خالد الخذاء عن بشر بن شقيق عن ابيه عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شيء أكرم على الله يوم القيامة من ابن آدم قيل يا رسول الله ولا الملائكة قال ولا الملائكة الملائكة محبسون بمنزلة الشمس والقمر وهذا حديث غريب جدا (يوم ندعوا كل أناس بأمهم فنأوى ذكابه بينهم فأولئك يقرؤن كتابهم ولا يظنون فتيلاً ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً) يخبر تبارك وتعالى عن يوم القيامة انه يحاسب كل أمة

وصحبه عن علي قال لما تعجل موسى الى ربه عند السامري فجمع ما قدر عليه من حلي بنى اسرائيل فضر به غلام ثم أتى القبضة في جوفه فاذا هو عجل جسد له خوار فقال لهم السامري هذا الهكم والله موسى فقال لهم هرون يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا فلما ان رجع موسى أخذ برأس أخيه فقال له هرون ما قال فقال موسى للسامري ما خطبك قال قبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي فعمد موسى الى العجل فوضع موسى عليه المبارد فبردها وهو على شطئنها شرب أحد من ذلك الماء من كان يعمد ذلك العجل الا صفر وجهه مثل الذهب فقالوا لموسى ما توبتنا قال يقتل بعضكم بعضا فاخذوا السكاكين فجعل الرجل يقتل أخاه وأباه وابنه ولا يبالي بن قتل حتى قتل منهم سبعون ألفا فواحي الله الى موسى مرهم فامرهم بأيديهم فقد غفرت لمن قتل وتبت على من بقي والحكايات لهذه القصة كثيرة جدا (قال ياهرون مامنك) بجلدة مستأنفة والمعنى ان موسى لما وصل اليهم أخذ بشعر رأس أخيه هرون وبخيته وقال مامنك من اتباعي واللعوقى عندا وقعوا في هذه الضلالة ودخلوا في الفتنة وقيل المعنى مامنك من اتباعي في الانكار عليهم وقيل معناه هلا قاتلتهم اذ قد علمت اني لو كنت بينهم لقاتلتهم وقيل معناه هلا فارقتهم (اذ رأيتمهم ضلوا لا تتبعن) أى أى شئ يمنعك حين رؤيتك لضلالهم من اتباعي ومن ان تلحقني وتأتيني في الجبل فتخبرني بما فعلوا وهذه الباء من يأت الزوائد فخفها ان تحذف في الرسم كما هي كذلك في مصحف الامام ولا زائدة للتوكيد (أفصيت) اليمزة للانكار والتوبيخ والمعنى كيف خالفت (أمرى) لأن بالقيام لله ومناذرة من خالف دينه وأمت بين هؤلاء الذين اتخذوا العجل الها وقيل المراد بقوله أمرى هو قوله الذي حكى الله عنه وقال موسى لأخيه هرون اخذني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المنسدين فلما أقام معهم ولم يبالغ في الانكار عليهم نسبته الى عصيانه ومخالفة أمره وبه قال ابن جرير والقرطبي (قال) هرون (يا ابن أم) بفتح الميم وبكسر ها وعلى كل من التراءين أراد أى لكن على الاولى حذفت الالف المتقلبة عن الياء كتناء عنها بالفتحة وعلى الثانية حذفت الياء كتناء عنها بالكسرة ونسبه الى الام مع كونه أخا لاهيه وأمه عند الجهور واستعظافه وترقيقا لقلبه فليس ذكرها لكونه أخاه من أمه فقط كما قيل فان الحق انه كان شقيقه (لا تأخذ بالحق) وكان أخذا بشماله (ولا برأسي) وكان

بأمامهم وقد اختلفوا في ذلك فقال مجاهد وقتادة أى بينهم وهذا كقوله تعالى ولكل أمة رسول فاذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقيسط الآية وقال بعض السلف هذا أكبر شرف لاصحاب الحديث لان امامهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن زيد بكتابهم الذي أنزل على نبيهم من التشرية واختاره ابن جرير وروى عن ابن أبي نجيع عن مجاهد انه قال بكتبتهم فيحتمل أن يكون أراد هذا وان يكون أراد ما رواه العوفي عن ابن عباس في قوله يوم ندعوا كل أناس بأمامهم أى بكتاب أعمالهم وكذا قال أبو العالية والحسن والضحاك وهذا القول هو الأرجح لقوله تعالى وكل شئ احصيناه في امام مبين وقال تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما دفعه الآية وقال

تعالى وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى الى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون وهذا الانفاقي ان يجاء بالنبي اذا حكم الله بين امته فانه لا بد ان يكون شاهدا على امته باعمالها كقوله تعالى واشرقن الارض بنور ربها ووضع الكتاب وبكى بالنبين والشهداء وقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ولكن المراد ههنا بالامام هو كتاب الاعمال ولهذا قال تعالى يوم ندعوا كل اناس بامامهم فمن اوتى كتابه بينه فاولئك يقرؤن كتابهم اي من فرحتهم وسرورهم بما فيه من العمل (٨٨) الصالح يقرأه ويجب قراءته كقوله فاما من اوتى كتابه بينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابه الى قوله واما من اوتى كتابه

بشهادة الآيات وقوله تعالى ولا يظلمون فيه لا قد تقدم ان التمثيل هو الخط المستطيل في شق النواة وقدروى الحافظ أبو بكر البزار حديثا في هذا فقال حدثنا محمد بن يعمر ومحمد بن عثمان بن كرامة قال حدثنا عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن السدي عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله تعالى يوم ندعوا كل اناس بامامهم قال يدعى احدهم فيعطى كتابه بينه ويعدله في جسمه ويبيض وجهه ويجعل على رأسه تاج من لؤلؤة يتلأل فينطق الى أصحابه فيرونه من بعيد فيقولون اللهم اتناهم ذاو بارك لنا في هذا فيأتهم - فيقول لهم ام ابشر وافان لكل رجل منكم مثل هذا واما الكفر فيسود وجهه يدله في جسمه ويراه أصحابه فيقولون نعوذ بالله من هذا ومن شر هذا اللهم لاتاتنا به فيأتهم فيقولون اللهم اخزه فيقول ابعدهم الله فان لكل رجل منكم مثل هذا ثم قال البزار لا يروى الا من هذا الوجه وقوله تعالى ومن كان في هذه اعمى الآية قال ابن

أخذ شعره بينه غضبا والمعنى ولا يشعر رأسي وكان قد أخذ بذنوبه أي لا تفعل هذا بعتوبة منك لي فان لي عذر هو (اني خشيت أن تقول فرقت بين بني اسرائيل) أي خشيت ان خرجت عنهم وتركتهم ان يتفرقوا فيقول لي انك فرقت جماعتهم وتغضب على وذلك لان هرون لو خرج اتبعه جماعة ممن لم يعبدا العجل وتخلف مع السامري عند العجل آخرون وربما أفضى ذلك الى القتال بينهم (ولم ترقب قولي) أي تقول لم تعمل بوصيتي لك فيهم وتحفظها ومرا دة بوصية موسى له قوله هو اخلاصني في قومي وأصلح قال أبو عبيدة معناد ولم تنتظر عهدي وقد وصى لي انك أمرتني ان اكون معهم وقال ابن جرير لم تنتظر قولي ما أنا صانع وقال ابن عباس لم تحفظ قومي والياء في قولي واقعة على موسى وقيل واقعة على هرون لكن المنسرون على الاحتمال الاول كالسمين والبيضاوي والخازن والخطيب فكذلكهم اقتصر على ذلك والمعنى على الثاني وخشيت عدم تأملك في القول حتى تفهم عذري فاعتذر هرون الى موسى ههنا بهذا واعتذر الله في الاعراف بما حكاه الله عنه هناك حيث قال ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني ثم ترك موسى الكلام مع أخيه وخاطب السامري (قال فما خطبك) أي ما شأنك الداعي وما الذي حملك على ما صنعت (يا سامري قال بصرت بما لم يبصر بابه) أي رأيت ما لم يروا وعلت بما لم يعلموا وفطنت لما لم يظنوا له وأراد بذلك انه رأى جبريل على فرس الحياة فالتقى في ذمته ان يقبض قبضة من أثره وان ذلك الاثر لا يقع على جاد الا صار حيا وقرئ لم تبصر وبالفوقية على الخطاب وبالفتحية وهي أولى لانه لا يبعد كل البعد ان يخاطب موسى بذلك ويدعي لنفسه انه علم ما لم يعلم به موسى يقال بصر بالشيء أي علمه وأبصره أي نظر اليه كذا قول الزجاج وقيل ما بعني علمه والعامية على ضم الصاد وقرئ بالكسر وهي لغة (وقبضت قبضة) بالصاد المعجمة فيهما وقرئ بالصاد المهملة فيهما والفرق بينهما ان بال المعجمة هو الاخذ بجميع الكف وبال المهملة باطراف الاصابع والقبضة بضم القاف القدر المتقبوض قال الجوهر هي ما قبضت عليه من شيء قال وربما جاء بالفتح وقد قرئ قبضة بضم القاف وفتحها وبمعنى الفتح المرة من القبض ثم أطلقت على المقبوض وهو معنى القبضة بضم القاف (من أثر الرسول) أي من المحل الذي وقع عليه حافر فرس جبريل أي الملك الذي أرسل اليك ليهذب بك الى الطور للمناجاة وأخذ التوراة ولعل ذلك به غير ان الرسالة

عباس ومجاهد وقادة وابن زيد ومن كان في هذه أي في الحياة الدنيا أعمى اي عن حجة الله وآياته وبياناته فهو للاشعار في الآخرة اعمى اي كذلك يكون وأصل سبيلاى وأصل منه كان في الدنيا عيا اذا بالله من ذلك (وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك لتنتدى علينا غيرهم واذ لاتخذوك خيلا ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا لاذ الاذقتنا ضعف الحياة وضعف الممات ثم لاتجد لك علينا نصيرا) يخبر تعالى عن تأييده رسوله صلوات الله عليه وسلامه وتنشيطه وعصمته وسلامته من شر الاشرار وكيد الفجار وانه تعالى هو المتولى امره ونصره وانه لا يملكه الى احد من خلقه بل هو وليه وحافظه وناسره ومؤيده

ووظفوه ومظهر دينه على مر عاده وخالفه وناواه في مشارق الارض ومغاربها صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين (وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها واذا الايلثيون خلافت الاقايلا سنة من قدارسلنا قبلك من رسلنا ولا نتجبد لسنننا تحويلا) قيل نزلت في اليهود اشاروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بكفى الشام بلاد الانبياء وتركى سكنى المدينة وهذا القول ضعيف لان هذه الالية مكينة وسكنى المدينة بعد ذلك وقد قيل انهم انزلت بتبولك وفي صحة نظر قال البيهقي عن الحاكم عن الاسم عن أحمد بن عبد الجبار الطاردي عن يونس بن بكير عن (٨٩) عبد الحميد بن هرام عن شهر بن حوشب عن

عبد الرحمن بن غنم ان اليهود أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقالوا يا أبا القاسم ان كنت صادقا انك نبي فالحق بالشام فان الشام ارض المحشر وارض الانبياء فصدق ما قالوا فغزا غزوة تبوك لا يريد الا الشام فلما بلغ تبوك انزل الله عليه آيات من سورة بنى اسرائيل بعد ما ختمت السورة وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها الى قوله تحويلا فامر الله بالرجوع الى المدينة وقال فيها محبلك ومما تذكروا ومنه ما تبعث وفي هذا الاسناد نظر والظاهر ان هذا ليس بصحيح فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يغز تبوك عن قول اليهود وانما غزاها امتنا لاقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين الذين آمنوا قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدهم صاغرون وغزاها ليقص وينتقم من قتل أهل مؤتة من أصحابه والله أعلم ولو صح هذا لجل عليه الحديث الذي رواه

للاشعار بوقوفه على ما لم يقف عليه القوم وللتنبية على وقت أخذ القبضة (فنبذتها) أى فطرحتها في الحلى المدابة المسبوكة على صورة العجل نخار (وكذلك) أى ومثل ذلك التسويل (سؤلت) أى زينت (لى، تنسى) قاله الاخفش وقيل حدثتني نفسى ان أفعله فنعلمه اتباعا لهوائى وهو اعتراف بالخطا واعتذار فلما سمع موسى منه ذلك (قال فاذهب) من بيننا (فان لك في الحياة) أى مادمت حيا وما عشت (ان تقول) لمن رأيتك (لامساس) أى لا تقربنى وهو مأخوذ من المماس أى لا يمك أحد ولا تمس أحد لكن لا يحسب الاختيار منك بل عوجب الاضطرار المحيى الى ذلك لان الله سبحانه أمر موسى أن ينق السامرى عن قومه وأمر بنى اسرائيل أن لا يخاطبوه ولا يقربوه ولا يكلموه عقوبة له ولا شئ أوحش منها ولا أعظم في الدنيا ويؤال ان قومه باقية فيهم تلك الحالة الى اليوم قيل انه لما قال له موسى ذلك هرب فعمل بهم في البرية مع السباع والوحش ولا يجد أحدا من الناس معه حتى صار كمن يقول لامساس لبعده عن الناس وبعد الناس عنه قال الجوهرى في الصحاح وأما قول العرب لامساس مثل قطام فانما بنى على الكسر لانه معدول عن المصدر وهو المس اه ولاساس مصدر ماس كقتال من قاتل فهو يقتضى المشاركة وهو مبنى مع لا الجنسية والمراد به النهى أى لا تنسى ولا تمسك وحاصل ما قيل في معنى لامساس ثلاثة أوجه الاول انه حرم عليه مماسة الناس وكان اذا سمع أحدا حرم الناس والممسوس فذلك كان يصح اذ رأى أحد الامساس والثانى ان المراد منع الناس من مخاطبته واعترض بان الرجل اذا صار مهجورا فلا يقول هو لامساس وانما يقال له ذلك وأجيب بان المراد الحكيمة أى أجعلك يا سامرى بحيث اذا أخبرت عن حالك قلت لامساس الثالث ان المراد انقطاع نسله وان يخبر بانه لا يتمكن من مماسة المرأة قاله أبو مسلم وهو ضعيف جدا ويقال ان موسى هم يقتل السامرى فقال الله تعالى لا تقتله فأنه سخرى نقله القرطبي وهذه الالية أصل في نفى أهل البدع والمعاصى وهجرانهم وان لا يخاطبوا قاله الكرخى ثم ذكر حاله في الآخرة فقال (وان لك موعد ان تخافه) بفتح اللام وبالفوقية مبنيما للفعول أى لن يخلفك الله ذلك الموعد وهو يوم القيامة والموعود مصدرا أى ان لك موعد العذاب وهو كائن بالحالة قال الزجاج أى يكافئك الله على ما فعلت في القيامة والله لا يخلف الميعاد وقرئ لن تخلفه بكسر اللام وله معنيان أحدهما سأتبعه ولن تغيب عنه ولا مذهب لك

(١٢ - فتح البيان سادس) الوليد بن مسلم عن عفير بن معدان عن سليم بن عامر عن أبي امامة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل القرآن في ثلاثة أمكنة مكة والمدينة والشام قال الوليد يعنى بيت المقدس فتنسب الشام بتبولك احسن مما قال الوليد انه بيت المقدس والله أعلم وقيل نزلت في كنف قرقر يش هو ابا خراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم فنوعدهم الله بهذه الالية وانهم لو أخرجهوا للبشوا بعبدة مكة الاسبير او بذلك وقع فانه لم يكن بين هجرة من بين أظهرهم بعدما اشتد أذاهم له الاسنة ونصف حتى جمعهم الله وياهم بيدى على غير ميعاد فمكته منهم وسلطه عليهم وأظفهم بهم فقتل أشرفهم ومسي

سراتهم ولهذا قال تعالى سنة من قدر سلنا الآية أي ~~هـ~~ كذا عادتنا في الذين كفروا برسلنا واذوهم يخرج الرسول من بين أظهرهم ويأتيهم العذاب ولولا أنه صلى الله عليه وسلم رسول الرحمة لجاءهم من النقم في الدنيا ما قبل لأحديه ولهذا قال تعالى وما كان الله ليُعَذِّبهم وانت فيهم الآية (أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا ومن الليل فتعبد به نافلة لئلا عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) يقول تبارك وتعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم أمر الله بإقامة الصلوات المكتوبات في أوقاتها أقم الصلاة (٩٠) لدلوك الشمس قيل لغروبها قاله ابن مسعود ومجاهد وابن زيد

وقال هشيم عن مغيرة عن الشعبي عن ابن عباس دلوكها زوالها ورواه نافع عن ابن عمر ورواه مالك في تفسيره عن الزهري عن ابن عمر وقاله أبو برزة الأسلمي وهو رواية أيضا عن ابن مسعود ومجاهد وبه قال الحسن والضحاك وأبو جعفر الباقر وقتادة واختاره ابن جرير ومما استشهد عليه ما رواه عن ابن جبير عن الحكم بن بشير حدثنا عمرو بن قيس عن ابن أبي ليلى عن رجل عن جابر بن عبد الله قال دعوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن شام من أصحابه فطعموا عندي ثم خرجوا حين زالت الشمس فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فقبل أخرج يابا بكرف هذا حين دلكت الشمس ثم رواه عن سهل بن بكر عن أبي عوانة عن الأسود بن قيس عن قبيص العنزي عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوه فعل هذا تكون هذه الآية دخل فيها أوقات الصلوات الخمس فن قوله لدلوك الشمس إلى غسق الليل وهو ظلامه وقيل غروب الشمس أخذ منه الظهر والعصر والمغرب والعشاء وقوله وقرآن الفجر يعني صلاة

عنه ولن تجده مخلقا كما تقول أحمدته أي وجدته محمودا والثاني على التهديد أي لا بد لك أن تصير إليه ولن يخلف الله مواعده الذي وعدك بل يوفيه وسيصل إليك ولن تستطيع الروغان ولا الحيلة عنه وقرئ أن تخلفه بالنون أي لن يخلفه الله (وانظر إلى الهك الذي ظلت عليه عاكفا) أصله ظلت وقرئ بكسر الظاء أي دمت وأقيت على عبادته قاله ابن عباس والعا كف الملازم (لتحرقه) بالنار قرئ بضم النون وتشديد الراء من حرقه يحرقه وقرئ بتخفيف الراء من أحرقه يحرقه ومن حرق الشيء أحرقه حرقا إذا بردته وحككت بعضه ببعض أي لتبردنه بالمبارد ويقال للمبرد المحرق والقراءة الأولى أولى ومعناها الاحراق بالنار وكذلك معنى الثانية وقد جمع بين هذه الثلاث القراءات بأنه أحرق ثم برد المبرد وفي قراءة ابن مسعود أنه نجته ثم أحرقه واللام هي الموطئة للقسمة ثم لنسفته في اليوم نسفا قال ابن عباس أي لتذريته في هواء البحر بحيث لا يبقى منه عين ولا أثر والمقصود من ذلك زيادة عقوبته وإظهار عباوة المفتنين بلمن له أدنى نظروا النفس نقض الشيء لتذهب به الريح وقرئ بضم السين وبكسر هاو غما الغتان والمنسف ما ينسف به الطعام وهو شيء منصوب الصدر أعلاه مرتفع والنسافة ما يسقط منه والنسف التفرقة والتذرية وقيل قلع الشيء من أصله واليم البحر قاله ابن عباس وقال على النهر (انما الهكم الله الذي لا اله الا هو) لا هذا العجل الذي فتسكن به السامرة استئناف مسوق لتحقيق الحق اثر ابطال الباطل (وسع كل شيء علما) أي وسع علمه كل شيء وقرئ وسع مشددة قال قتادة وسع ملا وهذا آخر قصة موسى في هذه السورة المبتدأة بقوله وهل أتاك حديث موسى الخ (كذلك) كلام مستأنف خوطب به النبي صلى الله عليه وآله وسلم تسليمة له وتبصرة بأحوال من تقدم وتكثير المجزآت وتذكير المستبصرين من أمته أي كما قصصنا عليك خبر موسى (نقص عيناك من أنبياء ما قد سبق) أي من أخبار الحوادث الماضية في الأمم الخالية لتكون تسليمة لك ودلالة على صدقك ومن للتبعيض أي بعض أخبار ذلك (وقد أتيناك من لدنا ذكرا) منظويا ومشتعلا على هذه القصص والأخبار والمراد بالذكور القرآن قاله ابن زيد وسمي ذكرا لما فيه من الموجبات للتذكروا الاعتبار وقيل المراد بالذكور الشرف كقوله وأنه لذكرك ولقومك ثم توعد سبحانه المعرضين عن هذا الذكرك فقال (من أعرض عنه) فلم يؤمن به ولا عمل بما فيه وقيل عن الله سبحانه (فانه) أي المعرض عنه (يحمل يوم القيامة

الفجر وقد بينت السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نواتر من أفعاله وأقواله تفاصيل هذه الاوقات على ما عليه (وزرا) أهل الاسلام اليوم مما تلقوه خلفا عن سلف وقرنا بعد قرن كما هو مقرر في مواضعه والله الخد ان قرآن الفجر كان مشهودا قال الأعشى عن ابراهيم عن ابن مسعود وعن أبي صالح عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا قال تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار وقال البخاري حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أن أبا نعيم عن الزهري عن أبي سلمة وسعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فضل

صلاة الجميع على صلاة الواحد - خمس وعشرون درجة وتجمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر يقول أبو هريرة
 اقرؤا ان شئتم وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا وقال الامام أحمد حدثنا اسباط - حدثنا الاعمش عن ابراهيم عن ابن
 مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم - حدثنا الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وقرآن الفجر
 ان قرآن الفجر كان مشهودا قال تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه ثلاثهم عن عبيد بن
 اسباط بن محمد عن أبيه به وقال الترمذي حسن صحيح وفي لفظ (٩١) في الصحيحين من طريق مالك عن أبي الزناد عن

الاعرج عن أبي هريرة عن النبي
 صلى الله عليه وسلم قال يتعاقبون
 فيكم ملائكة بالليل وملائكة
 بالنهار ويحتمون في صلاة الصبح
 وفي صلاة العصر فيعرج الذين بانوا
 فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بكم
 كيف تركتكم عبادي فيقولون
 أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم
 يصلون وقال عبد الله ابن مسعود
 يجتمع الحرسان في صلاة الفجر
 فيصعد هؤلاء ويقيم هؤلاء وكذا
 قال ابراهيم النخعي ومجاهد وقتادة
 وغير واحد في تفسير هذه الآية
 وأما الحديث الذي رواه ابن جرير
 ههنا من حديث الليث بن سعد عن
 زيادة عن محمد بن كعب
 القرظي عن فضالة بن عبيد عن أبي
 الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فذكر حديث النزول وأنه تعالى
 يقول من يستغفرني أغفر له من
 يسألني أعطيته من يدعي فاستجب
 له حتى يطلع الفجر فلذلك يقول
 وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان
 مشهودا فيشهد الله وملائكة
 الليل وملائكة النهار فانه تفرد به
 زيادة وله بهذا حديث في سنن أبي
 داود وقوله تعالى ومن الليل

وزرا أي ائمة عظيمة وعبودية ثقيلة بسبب اعراضه (خالد بن فيه) أي في عذاب الوزر والمعنى
 انهم مقيمون في جزائهم فاقيم السبب مقام المسبب (وساء لهم) اللام للبيان كافي هيئت لك
 (يوم القيامة جلا) أي بنسب الحل والخصوص بالذم محذوف أي ساء لهم جلا وزرهم (يوم)
 أي اذ كرم يوم (ينفخ) قرئ بضم النخية وبالنون ميمنا للفاعل وبتفتح الياء على ان الفاعل هو
 الله أو اسرافيل (في الصور) يسكون الواو قرئ بفتحها جمع صورة والاول أولى وهو قرن
 ينفخ فيه يدعي به الناس للمعذر والمراد بهذه النفخة الثانية لانه اتبعه بقوله (ونحشر
 المجرمين) المراد بهم المشركون والكافرون والعصاة الماخوذون بذنوبهم التي لم يغيرها الله
 لهم والمراد بقوله (يومئذ) يوم النفخ في الصور (زرقا) أي زرق العيون مع سواد الوجوه
 والزرقة الخضرة في العين كعين السنور والعرب تشاءم بزرقة العين لان الروم كانوا
 أعدى أعدائهم وهم زرق والزرقة أسوأ الوان العين وأبغضها الى العرب ولذلك قالوا في
 صفة العدو أسود الكبد أصهب السبال أزرق العين وقال النرا في زرقا أي عيبا وقال
 الازهرى عطا شوا هو قول الزجاج لان سواد العين يتغير بالعطش الى الزرقة وقيل انه
 كناية عن الطمع الكاذب اذا تعقبته الخيبة وقيل هو كناية عن شحوص البصر من شدة
 الحرص والقول الاول أولى والجمع بين هذه الآية وبين قوله ونحشرهم يوم القيامة على
 وجوههم عيبا وبكم وصما قيل من أن ليوم القيامة حالات ومواطن تختلف فيها
 صفاتهم ويتنوع عندها عذابهم قال ابن عباس فيه حالات يكونون في حال زرقا وفي حال
 عيبا (يتخافتون بينهم) أي يتشاورون قاله ابن عباس وقيل يتسارون جلة حاله أو
 مستأنفة لبيان ما هم فيه في ذلك اليوم والخفت في اللغة السكون والخفاضة والتخافت
 والخفت بوزن السبت اسرار المنطق ثم قيل لمن خنض صوته خفته والمعنى يخفزون
 أصواتهم ويخفون عنها يقول بعضهم لبعض سر المالحقة منهم من هول ذلك اليوم ورعبه
 (ان) أي ما (لبنتم) في الدنيا أو في القبور أو ما بين النفخةين وهو مقدار أربعين سنة
 (الاعشرا) من الليالي بآيامها لان الشهر غررها بالليالي فتسكون الايام داخلها فيها
 تبعاقاله في الكشف والمعنى انهم يستقرون ويستقلون مدة مقامهم ولبنتم في الدنيا
 جدا وقيل المراد بالاعشرا عشر ساعات ثم قالوا هذا قال الله سبحانه (نحن أعلم بما يقولون)
 فيما بينهم (اذ يقول أمثلهم طريقة) أي أعدلهم قولوا وأكلهم رأيا وأعلمهم عند نفسه

فتهجد به نافله لك أمره بقيام الليل بعد المكتوبة كما ورد في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل أي
 الصلاة أفضل بعد المكتوبة قال صلاة الليل ولهذا أمر تعالى رسوله بعد المكتوبات بقيام الليل فان التهجدا ما كان بعد النوم قاله
 علقمة والاسود وابراهيم النخعي وغير واحد وهو المعروف في لغة العرب وكذلك ثبتت الاحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 انه كان يتهجدا بعد نومه عن ابن عباس وعائشة وغير واحد من الصحابة رضي الله عنهم كما هو مبسوط في موضعه والله الحمد والمنة
 وقال الحسن البصري هو ما كان بعد العشاء ويحمل على ما كان بعد النوم واختلف في معنى قوله تعالى نافله لك فقيل معناه انك

مخصوص بوجوب ذلك وحده فجعلوا قيام الليل واجبا في حقهم دون الامة رواه العوفي عن ابن عباس وهو أحد قول العلماء
واحد قول الشافعي رحمه الله واختاره ابن جرير وقيل انما جعل قيام الليل في حقهم نافله على الخصوص لانه قد غفر له ما تقدم
من ذنبه وما تأخر وغيره من أمته انما يكفر عنه صلواته النوافل الذنوب التي عليه قاله مجاهد وهو في المسند عن أبي امامة الباهلي
رضي الله عنه وقوله عيسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا أي افعل هذا الذي أمرتك به لتعلمك يوم القيامة مقاما محمودا يحمدك
فيه الخلائق كلهم وخالقهم تبارك وتعالى (٩٢) قال ابن جرير قال أكثر أهل التأويل ذلك هو المقام الذي

يقوم به محمد صلى الله عليه وسلم يوم
القيامة للشفاعة للناس ليرحمهم
ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة
ذلك اليوم (ذكر من قل ذلك) حدثنا
ابن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا
سفيان عن أبي اسحق عن صلة بن
زفر عن حذيفة قال يجمع الناس
في صعيد واحد يسعهم الداعي
وتفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا
قبما لا تكلم نفس الا بأذنه ينادي
يا محمد فدية ولبيك وسعديك والخير
في يديك والشر ليس اليك والمهدي
من هديت وعبدك بين يديك ومنك
واليك لا منجا ولا ملجأ من الايد
تباركت وتعاليت سبحانه رب البيت
فهذا المقام المحمود الذي ذكره الله عز
وجل ثم رواده عن يندار عن غندر
عن شعبة عن أبي اسحق به وكذا رواه
عبد الرزاق عن معمر والنوري عن
أبي اسحق به وقال ابن عباس
هذا المقام المحمود مقام الشفاعة
وكذا قال ابن أبي نجيم عن مجاهد وقاله
الحسن البصري وقال قتادة هو
أول من تنشق عنه الأرض يوم
القيامة وأول شافع وكان عمل العلم
يروى انه المقام المحمود الذي قال

وقال سعيد بن جبير او فاهم عقلا (ان لبثتم الايوما) واحدا ونسبة هذا القول الى امثلهم
لكونه ادل على شدة الهول لكونه اقرب الى الصدق (ويستملونك عن) حال (الجبال)
قال ابن جرير قالت قريش كيف يفعل ربك به هذه الجبال يوم القيامة أي على سبيل
الاستهزاء فأمره الله سبحانه ان يجيب عنهم فقال (فقل) الفناء لجواب بشرط محذوف
والنفدير ان سألوك فقل والله ما رعة الى الزام السائلين (ينسفها ربني نسفا) قال ابن
الاعرابي وغيره ينفذها قلعها من أصولها ثم يصيرها رملا تسيل سيلان يصيرها كالصوف
المنذوش تطيرها الرياح هكذا وهكذا ثم كالهباء المنشور يقال نسفت الرياح التراب نسفا
من باب ضرب اقلعته وفرقته واسم الآلة منسف بكسر الميم (فينذرها) أي يترك
الجبال باعتبار مواضعها في يذرها واضعها وأجزاءها السافلة الباقية بعد النسف
وهي مقارها ومراكزها أي في ذرما تلبط منها وسوى مسطحه مباح أجزاء الأرض
بعد نسف ما كان عليها من الجبال الشواقي أو الضمير للأرض المدلول عليها بقربنة الحال
انها الباقية بعد نسف الجبال (فأعاصنصنا) قال ابن الاعرابي هو الأرض المساء بلا
نبات ولا بناء وقال الفراء القاع مستنقع الماء والصفصف القرعاء المساء التي لا نبات فيها
كانت أجزاءها صف واحد من كل جهة فصفصفا قررب في المعنى من قاعافه كالآلة كبدله
قال الجوهرى القاع المستوى الصلب من الأرض والجمع أقوع واقواع وقيعان والظاهر
من لغة العرب ان القاع الموضع المنكشف والنصفف المستوى الاملس (لا ترى فيها)
الضمير راجع الى الجبال بذلك الاعتبار الى الأرض على ما مر (عوجا) أي انحنافا وهو
بكسر العين العوج قاله ابن الاعرابي (ولأمتا) هو التلال الصغار والامت في اللغة
المكان المرتفع وقيل العوج الميل والامت الأرض مثل الشراك وقيل العوج الوادي
والامت الرابية وقيل الامت التواء السير يقال مدحبله حتى ما فيه امت وقيل هما
الانحناس والارتفاع وقيل العوج الصدوع والامت الاكمة وقيل الامت الشقوق
في الأرض وقيل الامت وقيل الامت ان تغلظ في مكان وتندق في مكان ووصفه واضع
الجبال بالعوج بكسر العين ههنا يدفع ما يقال ان العوج بكسر العين في المعاني وبفتحها
في الاعيان والمحسوسات الا ان يقال عبر فيه بكسور العين لكونه أشدة خفائه كأنه صار
من قبيل المعاني أي لا تذكره فيها ولو قام له بالمقاييس الهندسية قاله أبو السعد ووقد

الله تعالى عيسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا قل لرسول الله صلى الله عليه وسلم تنشر يقات يوم القيامة لا بشره تكلف
فيها أحد وتنشر يقات لا يساويه فيها أحد فهو أول من تنشق عنه الأرض ويبعث رجا إلى الحشر وله اللواء الذي آدم فن دونه تحته
لوائه وله الخوض الذي ليس في الموقف أكثر واردا منه وله الشفاعة العظمى عند الله ليأق الفصل القضاء بين الخلائق وذلك بعد
ما تسأل الناس آدم ثم نوحا ثم ابراهيم ثم موسى ثم عيسى فكل يقول لست الها حتى يأتي الى محمد صلى الله عليه وسلم فيقول انالها انالها
كاس نذ كذا مفعلا في هذا الموضع ان شاء الله تعالى ومن ذلك انه يشفع في اقوام قد أمر بهم الى النار فيردون عنها وهو أول

الانبياء يقضى بين أمته وأولهم اجازة على الصراط بامته وهو أول شفيع في الجنة كما ثبت في صحيح مسلم وفي حديث العز
ان المؤمنين كلهم لا يدخلون الجنة الا بشفاعته وهو أول داخل اليها وامته قبل الامم كلهم ويشفع في رفع درجات أقوام لا تبلغها
أعمالهم وهو صاحب الوسيلة التي هي أعلى منزله في الجنة لا تليق الا له واذا أذن الله تعالى في الشفاعة للعصاة شفع الملائكة
والنبيون والمؤمنون فيشفع هو في ذلك لا يعلم عدتهم الا الله تعالى ولا يشفع أحد مثله ولا يساويه في ذلك وقد بسط ذلك
مستقصى في آخر كتاب السيرة في باب الخصائص والله الحد والمئة (٩٣) ولذا كرا لا ن الاحاديث الواردة في المقام المحمود

وبالله المستعان قال البخاري
حدثنا اسمعيل بن ابان حدثنا أبو
الا حوص عن آدم بن علي سمعت
ابن عمران الناس يصيرون يوم القيامة
جناء كل أمة تتبع نبيها يقولون
يا فلان اشفع يا فلان اشفع حتى
تنتهي الشفاعة الى محمد صلى الله
عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله مقاما
محمودا ورواه حنبل بن عبد الله عن
أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ابن جرير حدثني محمد بن عبد الله
ابن عبد الحكم حدثنا شعيب بن
الليث حدثنا الليث عن عبيد الله
ابن أبي جعفر انه قال سمعت حمزة
ابن عبد الله بن عمر يقول سمعت
عبد الله بن عمر يقول قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الشمس
لتنفذ حتى يبلغ العرق نصف
الاذن فيبهمهم كذلك استغاثوا
بآدم فيقول لست بصاحب ذلك ثم
موسى فيقول كذلك ثم محمد صلى
الله عليه وسلم فيشفع بين الخلق
فيمشي حتى يأخذ بحلقة باب الجنة
فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا
وهكذا رواه البخاري في الزكاة عن
يحيى بن بكير وعلقمة عن عبد الله
ابن صالح كلاهما عن الليث بن سعد

تكلف لذلك صاحب الكشف في هذا الموضوع بما عنه غنى وفي غيره سعة رعن ابن عباس
قال هي الارض المساء التي ليس فيها راية مر تفعة ولا انخفاض قال البيضاوي هي
ثلاثة أحوال مترتبة فالاولان باعتبار الاحساس والثالث باعتبار المقياس ولذلك ذكر
العوج وهو يخص المعاني (يومئذ) أي يوم نسف الجبال (يتبعون الداعي) أي
يتبع الناس داعي الله الى المحشر فيقبلون من كل أبواب الى صوبه قال الفراء يعني بالداعي
صوت المحشر وقيل هو اسير ابل اذا نفع في الصور والراح ان الداعي جبريل والنافع
امير ابل تأمل (لا عوج له) أي لا معدل لهم عن دعائه فلا يقدر على أن يزيعوا
عنه وينصرفوا منه بل يسرعون اليه كذا قال أكثر المفسرين وقيل لا عوج لدعائه
ولا يزيعون عنه شيئا ولا شئ الا بل يتبعونه أو يأتونه سراعا ولا يعللون الى الناس دون الناس
وقيل لا عوج لذلك الاتباع والاول أظهر وعن محمد بن كعب القرظي قال يحشر الناس
يوم القيامة في ظلمة تطوى السماء وتنثر النجوم وتذهب الشمس والقمر وينادي مناد
فتتبع الناس الصوت يؤمونه فذلك قول الله يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وعن
أبي صالح في الآية قيل يضع امير ابل الصور في فيه وينفخ على صخرة بيت المقدس وينادي
أيها العظام البالية والجلود المتفرقة والعوام المتفرقة والواصل المتقطعة هلم الى عرض
الرحن فان الله يأمر أن تجتمع من انصل التضاء فيقبلون من كل أبواب الى صوبه لا يعدلون
عنه ويستوون اليه من غير انحراف متبعين لصوته (وخشعت الاصوات للرحن) أي
خففت لهيبته وجلاله وقيل ضعفت له عظمته وقيل ذلت من شدة الفزع وقيل
سكنت قاله ابن عباس والمراد اصحاب الاصوات (ولا تسمع الا همسا) هو الصوت
الخفي قاله ابن عباس ومجاهد وقال أكثر المفسرين هو صوت نقل الاقدام الى المحشر
ووظها ومنه همست الابل اذا سمع ذلك بن وقع اخفافها على الارض وعن الضحاك
وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن مثله وعن سعيد أيضا قال سر الحديث والظاهر ان
المراد هنا كل صوت خفي سواء كان بالقدم أو من الفم بحريك الشفاه أو غير ذلك ويؤيده
قراءة أبي فلا ينطقون الا همسا وهو مصدر همست الكلام من باب ضرب اذا أخفيت
والاستثناء مفرغ وقال الزمخشري الهمس الذ كرا الخفي ومنه الحروف المهموسة
(يومئذ) أي يوم يقع ما ذكرنا (لا تنفع الشفاعة) من شافع كائن من كان (الا)

به وزاد فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا يحمد أهله الجع كلهم قال البخاري وحدثنا علي بن عياش حدثنا شعيب بن أبي حنبل
عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة
والصلاة القائمة آت محمد الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة ان فرد به دون مسلم
حديث أبي قال الامام أحمد حدثنا أبو عامر الأزدي حدثنا زهير بن محمد عن عبد الله بن محمد بن عيسى عن الطفيل بن أبي بن كعب
عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة كنت امام الانبياء وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غيري وأخرجه
الترمذي من حديث أبي عامر عبد الملك بن عمرو والقدي وقال حسن صحيح وابن ماجه من حديث عبد الله بن محمد بن عقيل به

وقد قدمنا في حديث أبي بن كعب في قراءة القرآن على سبعة أحرف قال صلى الله عليه وسلم في آخره فقلت اللهم اغفر لأمي اللهم اغفر لأمي وأخبرت النسائي يوم يرغب إلى فيه الخلق حتى إبراهيم عليه السلام حديث أنس بن مالك قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا سعيد بن أبي عروبة حدثنا قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيلهمون ذلك فيقولون لو استشفعنا على ربنا فاراحنا من مكاننا هذا فيأتون آدم فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده واهب لك ملائكته وملك أسما كل شيء فاستشفعنا إلى ربك - (٩٤) يريدنا من مكاننا هذا فيقول لهم آدم استهناكم ويذكر ذنبه الذي

أصاب فيستحي ربه عز وجل من ذلك
ويقول ولكن انتوا نوحا فإنه أول
رسول بعثه الله إلى أهل الأرض
فيأتون نوحا فيقول لست هناكم
ويذكر له خطيئة سؤاله ربه ما ليس له
به علم فيستحي ربه من ذلك ولكن
انتوا إبراهيم خليل الرحمن فيأتونه
فيقول لست هناكم ولكن انتوا
موسى عبدا كلمه الله وأعطاه
التوراة فيأتون موسى فيقول لست
هناكم ويذكر لهم النفس التي قتل
بغير نفس فيستحي ربه من ذلك
ولكن انتوا عيسى عبد الله
ورسوله ولكننه وروحه فيأتون
عيسى فيقول لست هناكم ولكن
انتوا محمد اعبدوا الله له ما تقدم
من ذنبه وما تأخر فيأتوني قال
الحسن هذا الحرف فأقوم فامشي
بين سباطين من المؤمنين قال أنس
حتى استأذن على ربي فاذا رأيته
رني وقعت له أو خرت ساجدا الربى
فمد عني ماشاء الله ان يدعني قال ثم
يقال ارفع محمد قل سمع واشفع
تشفع ووسل تعطه فارفع رأسي
فاحده بحميد بعلميه ثم اشفع فيحد
لي حدا فادخلهم الجنة ثم أعود اليه
الثانية فاذا رأيته رني وقعت له أو

شناعة (من أذن له الرحمن) في أن يشفع لغيره وبه بدأ القاضي كالكشاف لما فيه من
تظيم الشافع واللام للعدل أي لأجله (ورضى له قولاً) أي رضى قوله في الشناعة
أو رضى لأجله قول الشافع والمعنى أن تنفع الشناعة لمن أذن له الرحمن في أن يشفع له
وكان له قول يرضى ومثل هذه الآية قوله ولا يشفعون إلا من أذن له الرحمن وقوله لا يكون
الشناعة إلا من أذن له الرحمن وهذا قوله في أن تنفعهم شناعة الشافعين وفيه دلالة
على أنه لا يشفع أحد إلا بالذن من الله له فيها فلا شناعة إلا بالذن منه سبحانه وهذا يدل
على أنه لا يشفع لغير المؤمنين وبه صرح البغوي وهذه الآية من أقوى الدلائل على ثبوت
الشناعة في حق الفساق لأن قوله ورضى له قولاً يعني في صدقه أن يكون الله تعالى
قدرضى له قولاً واحداً من أقواله والناسق قدرضى الله من أقواله شهادة أن لا إله إلا الله
فوجب أن تكون الشناعة نافعة له بعد الأذن لأن الاستثناء من النبي إثبات والحجة
تفسيران يؤذن في الشناعة وحاصل هذا التفسير أنه كل من قال في الدنيا لا إله إلا الله
أي كان مسلماً ومات على الإسلام وان عمل السيئات (يعلم ما بين أيديهم) من أمور
الساعة والآخرة (وما خلفهم) من أمور الدنيا والمراد جميع الخلق وقيل المراد بهم
الذين يتبعون الداعي وقيل الضمير للشافعين وقال ابن جرير يرجع إلى الملائكة أعلم الله
من بعدهم أنهم لا تعلم ما بين أيديهم وما خلفهم أو العموم أولى (ولا يحيطون به علماً) أي
بأنه سبحانه لا يحيط علمهم بذاته ولا بصفاته ولا بعلماته وقيل الضمير راجع إلى ما في
الموضعين فانهم لا يعلمون جميع ذلك (وعنت الوجوه للحي القيوم) أي ذلت وخضعت
قاله ابن الأعرابي وعن ابن عباس قال وعنت الوجوه الركون والسجود قال الزجاج معنى
عنت في اللغة خضعت يقال عنتا بنوعوا إذا خضع وذل وأعناهم غيره أي أذلهم ومنه
قيل للإسيرة عانى والجمع عناة وقيل هو من العناء بمعنى التعب وذكر الوجوه وأراد بها
أعضاءها وأخص الوجوه بالذل لأن الخضوع بها يتبين وأول ما يظن فيها ثم قسمها إلى
قسمين بقوله (وقد خاب من حل ظمأ) أي خسر من حل شيء آمن الظلم وقيل هو
الشرك وبه قال ابن جرير وقتادة وقوله (ومن يعمل من الأعمال) (الصالحات)
الطاعات (وهو) أي والحال أنه (مؤمن) بالله لأن العمل لا يقبل من غير إيمان بل

خررت ساجدا للرب في دعائي ماشاء الله ان يدعني ثم يقال ارفع محمد قل بسمع وسل طم واشفع تشفع فارفع رأيي هو
فاحده بتحميد بعلميه ثم اشفع فيجدي حدا فادخلهم الجنة قال ثم عود الثالثة فاذا رأت ربى وقعت وأخررت ساجدا للرب في دعائي
ماشاء ان يدعني ثم يقال ارفع محمد قل بسمع وسل تعطه واشفع تشفع فارفع رأيي فاحده بتحميد بعلميه ثم اشفع فيجدي حدا
فادخلهم الجنة ثم اعود الرابعة فاقل برب ما بقى الامن حبسه القرآن خذنا اناس من الملائكة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال فيخرج
من النار من قال لا اله الا الله وكان في قلبه من الخير ما يزين
من النار من قال لا اله الا الله وكان في قلبه من الخير ما يزين ثم يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان في قلبه من الخير ما يزين
برة ثم يخرج من النار من قال لا اله الا الله كان في قلبه من الخير ما يزين ذرة أخرجه من حديث شعبة به وهكذا رواه الامام أحمد عن

عفان عن حماد بن سلة عن ثابت عن أنس بطوله وقال الامام احمد حدثنا يونس بن محمد حدثنا حرب بن ميمون أبو الخطاب الانصاري عن النضر بن أنس عن أنس قال حدثني نبي الله صلى الله عليه وسلم قال اني لقاتم انتظر أمتي تعبر الصراط اذ جاءني عيسى عليه السلام فقال هذه الانبياء قد جاءتك يا محمد يسألون أو قال يجتمعون اليك ويدعون الله ان يفرق بين جميع الامم الى حيث يشاء الله لغم ما هم فيه فالخلق لمجموع بالعرق فاما المؤمن فهو عليه كالزكاة وأما الكافر فيعشاه الموت فقال انتظر حتى أرجع اليك فذهب نبي الله صلى الله عليه وسلم فقام تحت العرش يلقي ما لم يلق ملك (٩٥) مصطفى ولا نبي مرسل فاولى الله عز وجل الى

جبريل ان اذهب الى محمد وقل له ارفع رأسك سل نعت واشنع تشنع فشفعت في أمتي ان أخرج من كل تسعة وتسعين انسانا واحدا فما زلت اتردد اني ربي عز وجل فلا أقوم منه مقام الا شئعت حتى أعطاني الله عز وجل من ذلك ان قال يا محمد ادخل من خلق الله عز وجل من شهد ان لا اله الا الله يوم اواحد المخلصا ومات على ذلك حديث بريدة رضي الله عنه قال الامام احمد بن حنبل حدثنا الاسود ابن عامر اخبرنا ابو اسرايل عن الحرث بن حصيرة عن ابن بريدة عن أبيه انه دخل على معاوية فاذا رجل يتكلم فقال بريدة يا معاوية تأذن لي في الكلام فقال نعم وهو يرى انه سيتكلم بمثل ما قال الآخر فقال بريدة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني لارجوان أشفع يوم القيامة عدد ما على الارض من شجرة ومدة قال فترجوها أنت يا معاوية ولا يرجوها على رضى الله عنه حديث ابن مسعود قال الامام احمد حدثنا عمار بن الفضل حدثنا سعيد بن

هوشرطى القبول (فلا يخاف) قرئ برفع على النفي والاستثناء أى فهو لا يخاف وقرئ بجزمه على التثنية (ظلمًا) يصاب به من نقص ثواب في الآخرة (ولا هضمًا) هو النقص والكسر يقال هضمت لك من حقى أى حططته وتركته ونقصت منه وهذا يضم الطعام أى ينقص ثقله وامرأة هضيم الكشح أى ضامرة البطن ومنه أيضا طلعه هضيم أى دقيق متراكب كان بعضه يظلم بعضا فينقصه حقه ورجل هضم ومهضم أى مظلوم وهضمته وهضمته وهضمته كله بمعنى قيل الظلم والهضم متقاربان وفرق التامى الماوردى بينهما فقال الظلم منع جميع الحق والهضم منع بعضه قال قتادة ظلمنا ان يزداد في سبائنا ولا هضمنا ان ينقص من حسناته وقيل هضمنا أى غصبا وقيل لا يؤاخذ بذنب لم يعمل ولا تبطل عنه حسنة عملها (وكذلك) أى مثل ذلك الانزال (انزالناه) أى القرآن كله حال كونه (قرأنا عرييا) أى بلغة العرب لينهموه ويتفوقوا على ما فيه من النظم المعجز الدال على كونه خارجا عن طوق البشر نازلا من عند خالق القوى والقدر واضمار القرآن من غير سبق ذكره لا ليدان نباهة شأنه وكونه مكرزا في العقول حاضرا في الاذهان (وصرفنا) أى وبيننا (فيه) ضروبا (من الوعيد) تخوينا وتهديدا وكرنا فيه بعضا منه والمراد الجسد ومن مزيدة على رأى الاخفش (لعلهم يتقون) أى كي يخافوا الله فيجتنبوا معاصيه ويحذروا عقابه (أو يحدث لهم ذكرا) أى اعتبارا واتعاطيا لئلا من تقدمهم من الامم فيعتبرون وقيل ورعا وقيل شرفا وقيل طاعة وعبادة لان الذكر يطلق عليها واضيف الذكرا الى القرآن ولم تضاف التقوى اليه لان التقوى عبارة عن ان لا يفعل التبع وذلك استمرار على العدم الاصلى فلم يحسن اسناده الى القرآن وأما حدوث الذكرا فمحدث بعد ان لم يكن فخارت اضافته اليه قاله الكرخي (فتعالى الله الملك الحق) لما بين سبحانه للعباد عظيم نعمته عليهم بانزال القرآن نزهة نفسه عن مماثلة من خلقه في شئ من الاشياء أى جل الله عن الحاد المحدين وعما يقول المشركون والمعتطلون في صفاته فانه الملك الذى بيده النواب والعقاب نافذا أمره ونهييه وانه الحق أى ذو الحق في ملكوته والوحيته والحقيق بان يرجى وعده ويخشى وعيده أو الثابت في ذاته وصفاته وقيل انما وصف نفسه بالملك الحق لان ملكه لا يزول ولا يتغير وليس يستناده من قبل الغير ولا غيره أولى به منه (ولا تعجل بالقرآن) أى بقراءته (من

النزل حدثنا سعيد بن زيد حدثنا علي بن الحكم البنانى عن عثمان عن ابراهيم عن علقمة والاسود عن ابن مسعود قال جاءنا ملكة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالا لان امناتكم الزوج وتعطف على الولد قال وذكرا الضيف غير انها كانت وأدت في الجاهلية فقال امكفى النار قال فادبروا والسوء يرى في وجوههم فامرهم بما فراد فرجعوا والسرور يرى في وجوههم ارجاء أن يكون قد حدث شئ فقال أحمى مع أمكفى فقال رجل من المنافقين وما يغنى هذا عن أمه شيئا ونحن نطأ عقبه فقال رجل من الانصار ولم أر رجلا قط أكثر سؤالا منه يا رسول الله هل وعدك ربك فيه أو فيه ما قال فظن انه من شئ قد سمعته فقال ما شاء الله ربي وما أطمعنى فيه وفى لا قوم المقام المحمود يوم القيامة فقال الانصاري يا رسول الله وما ذلك المقام المحمود قال ذلك اذا جئ بكم بحفاة عراة غرلا فيكون أول

من يكسى ابراهيم عليه السلام فيقول اكسوا خليلي فيؤتى بربطتين بيضاوين يلبسهما ثم يقعداه مستقبل العرش ثم ألقى بكسوفى
فالبسه افاقوم عن عيونه مقامالا يقومه أحد فيعبطنى فيه الازلون والآخرون قال ويفتح لهم من الكوثر الى الخوض فقال
المنافقون انه ما جرى ماء قط الا على حال اورضراض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاله المسك ورضراضه اللؤلؤ فقال المنافق
لم اسمع كالديوم فلما جرى ماء على حال اورضراض الا كان له نبت فقال الانصارى يا رسول الله هل له نبت فقال نعم قضبان الذهب قال
المنافق لم اسمع كالديوم فانه فلما نبت قضيب (٩٦) الا اوراق والا كان له ثمر قال الانصارى يا رسول الله هل له ثمر قال

نعم الوان الجوهر وماءه أشد بيضا
من اللبن وأحلى من العسل من شرب
منه شرب بالانظمة بعده ومن حرمه
لم يرو بعده وقال أبو داود الطيالسي
حدثنا يحيى بن سالم بن كهيل
عن أبيه عن أبي الزعراء عن
عبد الله قال ثم يأذن الله
عز وجل في الشناعة فيقوم روح
القدس جبريل ثم يقوم ابراهيم
خليل الله ثم يقوم عيسى وموسى
قال أبو الزعراء لأدري أيهما قال
ثم يقوم نبيكم صلى الله عليه وسلم
رابعا فيشفع لأشفع أحد بعده
أكثر مما شفع وهو المأمون الذي
قال الله عز وجل عسى ان يبعثك
ربك مثما محمودا حديث كعب
ابن مالك رضى الله عنه قال الامام
أحمد حدثنا يزيد بن عبد ربه حدثنا
محمد بن حرب حدثنا الزبيدي عن
الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله
ابن كعب بن مالك عن كعب بن مالك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
يبعث الناس يوم القيامة فاقول
انا وامتى على تل ويكسونى ربي
عز وجل حلة خضراء ثم يؤذن لى
فاقول ماشاء الله ان أقول فذلك

قبل ان يقضى) أى يتم (اليك وحيه) أى يفرغ جبريل من ابلاغه قال المفسرون كان
النبي صلى الله عليه وآله وسلم يبادر جبريل فيقرأ قبل ان يفرغ جبريل من الوحي حرصا
منه على ما ينزل عليه منسفة فنهى الله عن ذلك ومثله قوله لا تحرك به لسانك لتعجل به على
ما يأتي ان شاء الله تعالى وقيل المعنى ولا تلتقه الى الناس قبل ان يأتيك بيان تأويله
وقرى نقضى بالنون قال ابن عباس لا تعجل حتى يبينه لك وقال قتادة لا تله على أحد
حتى تنته لك وعن الحسن قال لطم رجل امرأته فجاءت الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم
تطلب قصاصا فجعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم القصاص فانزل الله ولا تعجل بالقرآن
الاية فوقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى نزلت الرجال قوامون على النساء الاية
أخرج القريابى وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه (وقل رب زدنى علما)
أى سئل فى نفسه لربك زيادة العلم بكتابيه وبعائه فانه الموصول الى مطالبك دون
الاستعجال فكلاما أنزل عليه شئ منه زاد به علمه واما أمر الله رسوله صلى الله عليه وآله
وسلم بطلب الزيادة فى شئ الا فى العلم وفيه التواضع والشكر لله والتفقه على عظم موقع
العلم وفضله وكان ابن مسعود اذا قرأ هذه الآية قال اللهم زدنى علما وايمانا و يقينا ذكره
الخطيب وأقول رب زدنى علما فانفعوا وعلاصا لخوا و ايمانا كاملا و يقينا تاما وعاقبة محمودة
(ولقد دعاهم الى آدم) اللام هو الموطئة للقسام والجله مستأنفة مقررة لما قبلها من
نصر يف الوعيد أى لقد أمرناه ووصيناه والمعهود محذوف وهو ما سبأنى من غييه
عن الاكل من الشجرة (من قبل) أى من قبل هذا الزمان أو قبل أكله منها (ففسى)
المراد بالنسيان هنا ترك العمل بما وقع به العهد اليه فيه وبه قال أكثر المفسرين كفى
قوله انا نسينا كم اى تركنا كم فى العذاب فلا يشكل بوجهه بالعصيان غيا وقيل
النسيان على حقيقة وانه نسي ما عهد الله به اليه وسماه عنه وكان آدم مأخوذا بالنسيان فى
ذلك الوقت وان كان النسيان مرفوعا عن هذه الامة والمراد من الآية تسليته النبي صلى
الله عليه وآله وسلم على القول الاول أى ان طاعة بنى آدم للشيطان أمر قديم وان هؤلاء
المعاصرين له ان نقضوا العهد فقد نقض أبوههم آدم كذا قال ابن جرير والقشيري وما
اعترضه ابن عطية قائلا لا يكون آدم مماثل للكفار الجاحدين بالله فليس بشئ وقرى ففسى
بضم النون وتشديد السين مكسورة أى ففساه ابليس قال ابن عباس انما سمي الانسان

المقام المحمود حديث أبي الدرداء رضى الله عنه قال الامام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا
يزيد بن أبي حبيب عن عبد الرحمن بن جبير عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا أول من يؤذن له بالسجود يوم
القيامة وانا أول من يؤذن له ان يرفع رأسه فانظر الى ما بين يدي فاعرف أمتى من بين الامم ومن خلفي مثل ذلك وعن عيسى مثل ذلك
وعن شمالي مثل ذلك فقال رجل يا رسول الله كيف تعرف امتك من بين الامم فيما بين نوح الى امته قال هم غير محجلون من أثر
الوضوء ليس أحد كذلك غيرهم وأعرفهم انهم يؤتون كتبهم بايمانهم وأعرفهم تسعى من بين أيديهم ذريتهم حديث أبي هريرة رضى الله

عنه قال الامام جدرجه الله حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا ابو جحان حدثنا ابو زرعة بن عمرو بن جرير عن ابي هريرة في الصحيحين عنه قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع اليه الذراع وكانت تجبفه فنهش منها منهشة ثم قال اناس يد الناس يوم القيامة وهل تدرون مما ذاك يجمع الله الناس الاولين والآخرين في صعيد واحد يصنعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنون الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يظنون ولا يحتملون فيقول الناس ألا ترون ما أنتم فيه ما قد بلغكم ألا تنتظرون من يشنع لكم الى ربكم فيقول بعض الناس لبعض عليكم بآدم فياتون (٩٧) آدم عليه السلام فيقولون يا آدم أنت

أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك فاشفع لنا الى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول آدم ان ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وأنه قد نهانى عن الشجرة فعصيت نفسى نفسى نسى اذهبوا الى غيرى اذهبوا الى نوح فياتون نوحاً فيقولون يا نوح أنت أول الرسل الى أهل الارض وقد سمعنا لك الله عبد اشكور الشفع لنا الى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول نوح ان ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وأنه قد كانتلى دعوة دعوتها على قومي نفسى نفسى نسى اذهبوا الى غيرى اذهبوا الى ابراهيم فياتون ابراهيم فيقولون يا ابراهيم أنت نبي الله وخليفته من أهل الارض ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول ان ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله فذكر كذباته نفسى نفسى نسى اذهبوا الى

لانه عهد اليه نفسى أى لقد عهدنا الى آدم ان لا يقرب الشجرة فنسى فترك عهدى (ولم نجد) من الوجدان بمعنى العلم أو من الوجود ضد العدم (له عزم) أى حزمه وصبره أعياه عنه أو حفظاً قاله ابن عباس والعزم فى اللغة توطىء النفس على الفعل والتصميم عليه والمضى على المعتقد فى أى شئ كان وقد كان آدم عليه السلام قد وطىء نفسه على ان لا يأكل من الشجرة وصمم على ذلك فلما وسوس اليه ابليس لانت عريكته وفترعزيمه وأدركه ضعف البشر وقيل العزم الصبر كما مرأى لم نجد له صبراً عن أكل الشجرة قال الناس وهو كذلك فى اللغة يقال لسان عزم أو صبر وثبات على التحفظ عن المعاصى حتى يسلم منها ومنه كما صبراً ولوا العزم من الرسل وقيل المعنى لم نجد له عزم على الذنب وبه قال ابن كيسان وقيل لم نجد له رأياً معزوماً عليه وبه قال ابن قتيلة ثم شرع سبحانه فى كيفية ظهور نسيانه وفتقدان عزيمته فقال (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) أى اذكروا تعليق الذكر بالوقت مع ان المقصود ذكر ما فيه من الحوادث للمبالغة لانه اذا وقع الامر به ذكر الوقت كان ذكر ما فيه من الحوادث لازماً بطريق الاولى كرت هذه القصة فى سبع سور من القرآن لاسر يعلمه الله وبعض خلقه (فسجدوا لآدم) وهو أبو الحن كان يحب الملائكة ويعبد الله معهم فالاستثناء منقطع وقيل متصل والاول أولى (أبى) أن يسجد لآدم وقال أنا خير منه فقلنا يا آدم ان هذا يعنى ابليس (عدو لك ولزوجك) أى حوا بالمدح لم يسجد لك ولم يفضلك وسبب العداوة ما رأى من آثار نعمته الله على آدم فغداه قصار عدو له (فلا يخرجكم من الجنة) أسد الخروج اليه وان كان الله تعالى هو المخرج لانه لما كان يوسوسه وفعل آدم ما يترتب عليه الخروج صبح ذلك (فتشتى) الشقاء الشدة والعسر ويعدو يقصر يقال شقى كرضى شقاوة والمعنى فتتعب فى تحصيل ما لا بد منه فى المعاش وتنصب ويكون عيشك من كد عينك بعرق جبينك وهو الحرق والزرع والطعن والخبز ولم يقل فتشقي لان الكلام من أول القصة مع آدم وحده أو أن فى ضمن شقاء الرجل شقاء أهله كما ان فى سعاده سعادتهم لانه القيم عليهم أو يريد بالشقاء التعب فى طاب التوت وذلك على الرجل دون المرأة لان الرجل هو الساعى على زوجته ثم علل ما يوجب ذلك النهى بما فيه الراحة الكاملة عن التعب والاهتمام فقال (ان لك ألا تحو عن فيها ولا تعرى) المعنى ان لك فيها اعتناء بأنواع المعاش ونعمها باصناف النعم من المساكل الشهية والملابس البهية

(١٣ - فتح البيان سادس) غيرى اذهبوا الى موسى فياتون موسى فيقولون يا موسى أنت رسول الله اصطفاك الله برسالته وبكلامه على الناس اشفع لنا الى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم موسى ان ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وانى قد قتلت نفسك وأمر يقتلها نفسى نفسى اذهبوا الى غيرى اذهبوا الى عيسى فياتون عيسى فيقولون يا عيسى أنت رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه وكلمت الناس فى المهديا اشفع لنا الى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم عيسى ان ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر

ذنباً نفسى نفسى اذهبوا الى غيرى اذهبوا الى محمد صلى الله عليه وسلم اذنبوا الى محمد صلى الله عليه وسلم فيقولون يا محمد انت رسول الله وخاتم الانبياء وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا الى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فاقوم فأنت تحت العرش فاقع ساجد الرب عز وجل ثم يفتح الله على ويلهمنى من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً ما لم يفتح على أحد قبلى فيقال يا محمد ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسى فاقول أمى يارب أمى يارب أمى يارب فيقال يا محمد ادخل من أممك من لا حساب عليه من الباب (٩٨) الامن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب ثم

قال والذي نفس محمد بيده ان ما بين المصرعين من مصاريع الجنة كبا بين مكة وحبر أو كبا بين مكة وبصرى أخرجاه فى الصحيحين وقال مسلم رحمه الله حدثنا الحكم بن موسى حدثنا هقل بن زياد عن الاوزاعى حدثنى أبو عمار حدثنى عبد الله بن فروخ حدثنى أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أناس يد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر يوم القيامة وأول شافع وأول مشفع وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن داود بن يزيد الرافعى عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عسى أن يعثرك ربك مقاماً محموداً أسئل عنها فقال هى الشفاعة رواه الامام أحمد عن وكيع عن محمد بن عبيد عن داود عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى عسى أن يعثرك ربك مقاماً محموداً قال هو المقام الذى أشفع لأمى فيه وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن علقمة بن الحسين قال قال رسول الله صلى

فانه لما نفي عنه الجوع والعرى افاد ثبوت الشبع والاكتساء له وكذا قوله (وانك لا تطمأ فيه ولا تفصحى) فان نفي الظما يستلزم حصول الرى ووجود المسكن الذى يدفع عنه مشقة الضحوى يقال ضحى الرجل يضحى ضحواً اذا برز للشمس فاصابه حرها وعن ابن عباس قال لا يصيبك فيه عطش ولا حر اذ ليس فيه شمس وأهلها فى ظل ممدود فذكر سبحانه ههنا انه قد كناه الاشتغال بالمر المعاش وتعب الكد فى تحصيله ولا ريب ان أصول المتعاب فى الدنيا التى يدور عليها كغاية الانسان هى تحصيل الشبع والرى والكسوة والكن وماعدا هذه فضلات يمكن البقاء بدونها وهو اعلام من الله سبحانه لا دم انه ان أطاعه فله فى الجنة هذا كله وان ضيع وصيته ولم يحفظ عهده أخرجه من الجنة الى الدنيا فيصل به التعب والنصب بما يدفع به الجوع والعرى والظما والضحوى فالمراد على هذا بالشقاء المتقدم شقاء الدنيا كما قاله كثير من المفسرين لاشقاء الاخرى قال الفراء هو أن يأكل من كديده قال الصنوى قابل سبحانه وتعالى بين الجوع والعرى والظما والضحوى وان كان الجوع يقابل العطش والعرى يقابل الضحوى لان الجوع ذل الباطن والعرى ذل الظاهر والظما حر الباطن والضحوى الظاهر فنفى عن سائر هذه الظواهر والباطن وحرهما ذكره ابن القيم قال أبو السعود وفصل الظما من الجوع مع تجانسهما وتقاربهما فى الذكرا عادة وكذا لعل العرى والضحوى المتجانسين لتوفية مقام الامتنان حققة للشارة الى أن نفي كل واحد من تلك الامور نعمة على حياله ولو جمع بين الجوع والظما لربما توهم ان نفيهما نعمة واحدة وكذا الحال فى الجمع بين العرى والضحوى ولزيادة التقرير بالتنبيه على ان نفي كل واحد من هذه الامور متصوفاً بالذات مذكور بالاصالة لان نفي بعضهما مذكور بطريق الاستطراد والتبعية لبعض الآخر كما عسى يتوهم لوجع كل من المتجانسين انتهى (فوسوس اليه الشيطان) قد تقدم تفصيله وما بعده فى الاعراف فى قوله فوسوس له الشيطان أى ألحق اليه وسوسته وأما وسوس له فمعناه وسوس لاجله وقال أبو البقاء عدى بالى لانه بمعنى أسر وعدى باللام فى مرضع آخر اى يكونه بمعنى ذكره ويكون بمعنى لاجله قال يا آدم بيان لصورة الوسوسة (هل أدلك على شجرة الخلد) هى الشجرة التى من أكل منها لم يمت أصلاً وبقي مخلداً اخرج أحمد وعبد بن حنبل وابن أبي حاتم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ان فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها

الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة مد الله الارض مد الأديم حتى لا يكون لبشر من الناس الاموضع قدميه وهى قال النبى صلى الله عليه وسلم فاكون أول من يدعى وجبريل عن يمين الرحمن تبارك وتعالى والله ما رآه قبلها فاقول أى رب ان هذا أخبرنى انك أرسلته الى فيقول الله عز وجل صدق ثم اشفع فاقول يارب عبادك عبدوك فى اطراف الارض قال فهو المقام المحمود وهذا حديث مرسل (وقل رب ادخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطاناً نصيراً) وقيل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً قال الامام أحمد حدثنا جرير عن قابوس بن ابى ظبيان عن أبيه عن ابن عباس كان

النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ثم أمر بالهجرة فانزل الله وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا وقال الترمذي حسن صحيح وقال الحسن البصري في نفسه بر هذه الآية ان كفارا أهل مكة لما انتفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتلوه أو يطردوه أو يوثقوه فإراد الله قتال أهل مكة أممهم أن يخرج إلى المدينة وهو الذي قال الله عز وجل وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق الآية وقال قتادة وقل رب أدخلني مدخل صدق بعني المدينة وأخرجني مخرج صدق بعني مكة وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهذا (٩٩) القول هو أشهر الأقوال وقال العوفي عن ابن عباس أدخلني مدخل صدق

يعني الموت وأخرجني مخرج صدق يعني الحياة بعد الموت وقيل غير ذلك من الأقوال والاول أصح وهو اختيار ابن جرير وقوله واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا قال الحسن البصري في نفسه يرها وعدده ربه لينزع عن ملك فارس وعز فارس وليجعلنه له وعز الروم وملك الروم وليجعلنه له وقال قتادة فيها ان النبي صلى الله عليه وسلم علم ان لا طاق له بهذا الامر الا بسطان فسال سلطانا نصيرا لكتاب الله والحدود الله وانقض الله ولا فائدة دين الله فان السلطان رجة من الله جعله بين أظهر عباده ولولا ذلك لا غار بعضهم على بعض فكل شديد هم ضعيفهم قال مجاهد سلطانا نصيرا رجة بينه واختار ابن جرير قول الحسن وقاتة وهو الأرجح لانه لا بد مع الحق من قهر لمن عاداه وناواه ولهذا يقول تعالى لقد أرسلنا رسلا بالبينات الى قومه وأنزلنا الحديد الآية وفي الحديث ان الله لينزع بالسultan ما لايزع بالقرآن أي لينزع بالسultan عن ارتكاب الفواحش والاثام

وهي شجرة الخلد (وملك لا يبلى) أي تصرف يدوم ولا يزول ولا ينقضي ولا يبلى ولا يفنى وهو لازم الخلود (فأ كلا) أي آدم وحواء (منها) أي من الشجرة (فبدت لهما سوآتهما) يعني عريان الثياب التي كانت عليهما بسبب تساقط حلال الجنة عنهما لما أكل من الشجرة حتى ظهر لكل واحد منهما ما قبله وقبل الآخر ودره وسمى كلا منهما سوآة لأن انكشافه يسوء صاحبه ويحزنه (وطبقا) طبق يفعل كذا مثل جعل يفعل وهو ككاد في وقوع الخبر فعلا مضارعا لانه للشروع في أول الامر وكاد لا يؤمنه قال الفراء معنى طنقافي العربية أقبل وقيل أخذ أوجعلا (يخصشان) يلصقان (عليهما) ويلزقان لاجل سوآتهما أي يسترهما فعلى تعليمية (من ورق الجنة) أي من ورق التين بعضه يبيع بعض حتى يصير طويلا عريضا يصلح للاستتار به (وعصى آدم ربه) أي خالف نهييه بالاكل من الشجرة فالعصيان هو المخالفة لكنه خالف بتأويل لانه اعتقد أن أحد الا يحاف بالله كاذبا ولانه اعتقد ان النهي قد نسخ لما حلف له ابليس أو اعتقد ان النهي عن شجرة معينة وان غيرهما من بقية افراد الجنس ليس منها عا عنه (فعوى) أي فضل عن الصواب أو عن مطلوبه وهو الخلود بالاكل من تلك الشجرة أي حاد عنه ولم يظفر به هذا هو الحق في تقرير هذا المقام وقيل فسده عليه عيشه ونزوله الى الدنيا وقيل جهل موضع رشده وقيل بشم (١) من كثرة الاكل قال ابن قتيبة أكل آدم من الشجرة التي نهي عنها باستئلال ابليس وخدعه اياه والقسم له بالله انه لمن الناصحين حتى دلاه بغرور ولم يكن ذنبه عن اعتقاده متقدما ونية صحيحة فنحن نقول عصى آدم ربه فعوى انتهى قال القاسمي أبو بكر بن العربي لا يجوز لاحداث خبر اليوم بذلك عن آدم قلت لا مانع من هذا بعد أن أخبرنا الله سبحانه في كتابه بأنه عصاه وكما يقال حسنة الابراشيئات المقر بين قال في المدارك وفي التصريح بقوله وعصى آدم ربه فعوى والعدول عن قوله وزن آدم من شجرة عظيمة وموعظة بالبيعة للمكلفين كافة كانه قيل له انظر واو اعتبروا كيف نعت على النبي المعصوم زلته بهذه العظيمة فلا تنها ونوا بما يفرط منكم من الصغائر فضلا عن الكبائر ومما قال الشوكلي في هذا المعنى

عصى أبو العالم وهو الذي * من طينة صوره الله
وأسجد الاملاك من أجله * وصير الجنة مأواه
أغواه ابليس فمن ذا أنا * مسكين ان ابليس أغواه

ما لا يتنع كثير من الناس بالقرآن وموافيه من الوعيد الا كيدو التهديد الشديد وهذا هو الواقع وقوله وقل جاء الحق وزهق الباطل الآية تهديد ووعد لـ كنار قریش فانه قد جاءهم من الله الحق الذي لا مريية فيه ولا قبل لهم به وهو ما بعثه الله به من القرآن والايان والعلم النافع وزهق باطلهم أي اضمحل وهلك فان الباطل لا ساق له مع الحق ولا بقاء بل تنقذ بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هوزاهق وقال البخاري حدثنا الحبيدي حدثنا سفيان عن ابراهيم بن نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن عبد الله بن (١) البشم الخزيمة يقال بشمت من الطعام بالكسبر اه صحاح

معهود قال دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب فجعل يطعنهما به وفي يده ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدي الباطل وما يعيد وكذا رواه البخاري أيضا في غير هذا الموضع وسلم الترمذي والنسائي كلهم من طرق عن سفيان بن عيينة وكذا رواه عبد الرزاق عن ابن أبي نجيح به وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا زهير حدثنا شعبة حدثنا المغيرة حدثنا أبو الزبير عن جابر رضي الله عنه قال دخلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وحول البيت ثلثمائة وستون صفحا تعبد من دون الله فأمر بها (١٠٠) رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكبت على وجوهاها وقال جاء الحق

وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا (ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا) يقول تعالى مخبر عن كتابه الذي أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد انه شفاء ورحمة للمؤمنين أي يذهب ما في القلوب من أمراض من شك ونفاق وشرك وزيف وميل فاقتران يشفي من ذلك كله وهو أيضا رحمة يحصل فيها الايمان والحكمة وطلب الخير والرغبة فيه وليس هذا الا لمن آمن به وصدقوه واتبعوه فانه يكون شفاء في حقه ورحمة وأما الكافر الظالم نفسه بذلك فلا يزيد سماعه القرآن الا بعدا وكثرا والا فقم من الكافر لا من القرآن كقوله تعالى قل هو الله الذي آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عى أولئك ينادون من مكان بعيد وقال تعالى واذا ما أنزلت سورة فهم من يقول أيكم زادته هذه ايمانا فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم

وحديث محاجة آدم وموسى في الصححين عن ابى هريرة كاسيا وفيه أتلو منى على امر قدرة الله على قبل ان يخلقني باربعين سنة وقد أطال الرازي في بيان اختلاف الناس في عصمة الانبياء في هذا المقام بما عنه غنى وفي تركه سعة وتبعه في ذلك الخازن في تفسيره فلا نطول الكلام بذكره (ثم اجتباهم ربه) أي اصطفاهم وقرب واختاره بالجل على التوبة والتوفيق لهما من جبي الى كذا فاجتبىته وأصل الكلمة الجمع قال ابن فورك كانت المعصية هدم من آدم قبل النبوة بدليل ما في هذه الآية فاندكر الاجتباء والهداية بعد ان ذكر المعصية واذا كانت المعصية قبل النبوة فخاثر عليهم الذنوب وجها واحدا (فتاب عليه) من معصيته وقبل توبته (وعدى) أي هداه الى الثبات والمداومة على التوبة فلم ينقضها أو الى الاعتذار والاستغفار قيل وكانت توبة الله عليه قبل ان يتوب هو وحواء بقولهما ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقد مر وجه تخصيص آدم بالذ كردون حواء في الصححين من حديث أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال حاج آدم موسى قال له أنت الذي أخرجت الناس من الجنة بذنبك وأشقيتهم بمعصيتك قال آدم يا موسى أنت الذي اصطناك الله برسالتك وبكلامه أتلو منى على أمر كسبه الله على قبل ان يخلقني أو قدرة على قبل ان يخلقني قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فخرج آدم موسى (قال اهبطوا منها جميعا) أي انزلوا بالاشقة لثما من ذربتكم من الجنة الى الارض والخطاب وان كان مثنى في اللفظ لكنه في المعنى للجمع ليحصل التوفيق بين هذه الآية وآية الاعراف وهي قوله قال اهبطوا بالجملة خصهما الله سبحانه بالهبوط لانهم اصل البشر ثم عم الخطاب لهما ولذر يتهما فقال (بعنكم) بعض الذرية (لبعض عدو) من اجل ظم بعضهم بعضا والمعنى تعاديهم في امر المعاش ونحوه فيحدث بسبب ذلك القتال والخصام (فاما يا تبسكم منى هدى) بارسال الرسل وانزال الكتب (فن اتبع هداى) أى الكتاب والرسول وضع الظاهر موضع المضمع الاضافة الى ضميره تعالى لتشير بنفسه والمبالغة في ايجاب اتباعه (فلا يضل) في الدنيا (ولا يشقى) في الآخرة أخرج ابن ابي شيبة والطبراني وأبو نعيم في الحلية وابن مردويه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من اتبع كتاب الله هداه الله من الضلالة في الدنيا وقاه سوء الحساب يوم القيامة وذلك ان الله يقول فن اتبع الآية وعن ابن عباس قال أجاز الله تابع القرآن

بستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون والآيات في ذلك من كثيرة قال قتادة في قوله ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين اذا سمع المؤمن انتفع به وحفظه ووعاه ولا يزيد الظالمين الا خسارا أي لا ينتفع به ولا يحفظه ولا يعيه فان الله جعل هذا القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين (واذا أنعمنا على الانسان ونأتى بجانبيه واذا أمساه الشر كان يؤساق كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بما هم في) هو أهدى سبيلا) يخبر تعالى عن نقص الانسان من حيث هو لا الا من عصمه الله تعالى في حالتي السراء والضراء فانه اذا أنعم الله عليه بمال وعافية وفهم ورزق ونصر ونال ما يريد

أعرض عن طاعة الله وعبادته ونأى بجانبه قال مجاهد بعد عنافلت وهذا كقوله تعالى فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضره منه وقوله فلما نجأكم إلى البرأعرضتم وبأنه إذا مسه الشر وهو المصائب والحوادث والنوائب كان يؤسأى قنط أن يعود يحصل له بعد ذلك خير كقوله تعالى ولئن أذقنا الإنسان منارحة ثم نزعناها منه إنه ليؤس كنفور لئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح بخور إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير وقوله تعالى قل كل يعمل على شاكته قال ابن عباس على ناحيته وقال مجاهد على حدته وطبيعته (١٠١)

دينه وكل هذه الأقوال متقاربة في المعنى وهذه الآية والله أعلم تهديد للمشركين ووعد لهم كقوله تعالى وقل للذين لا يؤمنون أعمالوا على مكانتكم الآية وقوله تعالى فربكم أعلم بما هم أهدي سبيلا أي منا ومنكم وسيجري كل عامل بعمله فانه لا يخفى عليه خافية (ويستلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا) قال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا الاعشى عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله هو ابن مسعود رضى الله عنه قال كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم في حث المدينة وهو متكئ على عسيب فمر بقوم من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح وقال بعضهم لا تسألوه قال فسألوه عن الروح فقالوا يا محمد ما الروح فإزال متوسكاً على العسيب قال فظننت انه يوحى اليه فقال ويستلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا قال فقال بعضهم لبعض قد قلنا لكم لا تسألوه وهكذا رواه

من أن يضل في الدنيا ويشقى في الآخرة ثم قرأ هذه الآية (ومن أعرض عن ذكرى أي الهدى لذا كرلى والداعى الى أو عن ديني وتلاوة كتابي والعمل بما فيه ولم يتبع هداى (فان له عيشة ضنكا) أي عيشة ضيقة في هذه الحياة الدنيا يقال منزل ضنك وعيش ضنك أي ضيق في التاموس الضنك الضيق في كل شيء يقال ضنك ضنكا وضنوكه ضائق وهو مصدر يستوى فيه الواحد وما فوقه والمذكر والمؤنث وقرئ بضم الصاد على فعلى ومعنى الآية ان الله عز وجل جعل لمن اتبع هداى وتسلط بيده ان يعيش في الدنيا عيشة هنيئاً غير مهموم ولا مغموم ولا متعب نفسه كما قال سبحانه فانحيثت حياة طيبة وجعل لمن لم يتبع هداى وأعرض عن دينه ان يعيش عيشة ضيقة وفي تعب ونصب ومع ما يصيبه في هذه الدنيا من المتاعب فهو في الآخرة أشد تعباً وأعظم ضيقاً وأكثر نصباً وعن ابى سعيد الخدرى مرفوعاً عيشة ضنكاً قال عذاب القبر أخرجه البيهقي والحاكم وصححه ومسند في مسنده ولفظ عبد الرزاق يضيّق عليه قبر حتى تحتلأ أضلاعه وانظ ابن أبي حاتم قال ختم القبر وفي مسنده ابن لهيعة وفيه مقال معروف وقال ابن كثير الموقوف اخرج واخرج البزار وابن أبي حاتم عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المعيشة الضنكى ان تسلط عليه تسعة وتسعون حية ينهشون لحمه حتى تقوم الساعة وعنه مرفوعاً قال عذاب القبر اخرج به البيهقي والبزار وابن المنذر وغيرهم قال ابن كثير بعد اخر اجد باسناد جيد عن ابن مسعود مثله موقوفاً ومجموع ما ذكرناه نخرج تفسير المعيشة الضنكى بعذاب القبر وعنه قال بالشقاء وقيل هو الزقوم والضريع والغسلين في النار وقيل هو الحرام والكسب الخبيث والاول أولى وقال ابن جرير يسلبه القناعة حتى لا يشبع وقيل الحياة في المعصية وان كان في رخاء ونعمة قاله الرازى أو المراد به عيشته في جهنم وعما تقرّر علم انه لا يرد أن يقال نحن نرى المعرضين عن الايمان في خصب معيشة (ونحشره) أي المعرض عن القرآن (يوم القيامة أعمى) أي مسلوب البصر وهو كقوله ونحشروهم يوم القيامة على وجوههم غمياً قال النسفي وهو الوجه وقيل المراد العمى عن الحق وقيل أعمى عن جهات الخير لا يبتدى الى شيء منها وقال عكرمة عمى عليه كل شيء الا جهنم وفي لفظ لا يبصر الا النار (قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً) في الدنيا وعند البعث (قال كذلك) أي مثل

الجبارى ومسلم من حديث الاعشى به ولفظ البخارى عند تفسير هذه الآية عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال بينا أنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في حث وهو متكئ على عسيب اذ مر اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح فقال ما رايتكم اليه وقال بعضهم لا يستب عليكم بشئ تكرهونه فقالوا سلوه فسألوه عن الروح فامسك النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم شيئاً ففعلت أنه يوحى اليه ففتمت مقامى فلما نزل الوحي قال ويستلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي الآية وهذا السياق يقتضى فيها يظهر بآدى الرأى ان هذه الآية مدنية وانما انما نزلت حين سأله اليهود عن ذلك بالمدينة مع ان البسورة كلها مكية وقد يجاب

عن هذا بأنه قد تكون نزلات عليه بالمدينة مرة ثانية كما نزلت عليه بمكة قبل ذلك وأنه نزل عليه الوحى بأنه يجيبهم عما سألوه بالآية المتقدمة انزالها عليه وهى هذه الآية ويستلوك عن الروح ومما يدل على نزول هذه الآية بمكة ما قال الامام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا يحيى بن زكريا عن داود عن عكرمة عن ابن عباس قال قالت قريش ليهود اعطونا شياً يسأل عنه هذا الرجل فقلوا اسأله عن الروح فسألوه فنزلت ويستلوك عن الروح قل الروح من أمرى وما أوتيتم من العلم الا قليلاً قالوا أو تينا علماً كثيراً أو تينا التوراة ومن أوتى التوراة (١٠٢) فقد أوتى خيراً كثيراً قال وأنزل الله قولاً كان البحر مداد الكلمات ربى

لنفذ البحر الآية وقد روى ابن جرير عن محمد بن المنثري عن عبد الأعلى عن داود عن عكرمة قال سأل أهل الكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح فانزل الله ويستلوك عن الروح الآية فسألوا ثم أعادوا نوت من العلم الا قليلاً وقد أوتينا التوراة وهى الحكمة ومن نوت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً قال فتنزلت ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام والبحر عيده من بعده سبعة أبحر الآية قال ما أوتيتم من علم فنجبا كم الله به من النار فهو كثير طيب وهو فى علم الله قليل وقال محمد بن اسحق عن بعض أصحابه عن عطاء بن يسار قال نزلت بمكة وما أوتيتم من العلم الا قليلاً فلما جاز رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة أتاه أجباز يهود وقالوا يا محمد ألم يبلغنا ان تقول وما أوتيتم من العلم الا قليلاً أفعميتنا أم عميت قومك فقال كلا قد عميت فقالوا أفك تتلوننا أو تينا التوراة وفيها بيان كل شئ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هى فى علم الله قليل وقد أتاكم الله ما نعلم به ان نعمتم

ذلك فعلت أنت أو الامر كذلك ثم فسره بقوله (اتتكم آياتنا فنسيتم) أى أعرضت عنها وتركتها ولم تنظر فيها (وكذلك اليوم) أى مثل ذلك النسيان الذى كنت فعلته فى الدنيا (تنسى) أى تترك فى العمى أو النار وقيل نسوا من الخير والبركة والرحمة ولم ينسوا من العذاب فى النار قال الفراء يقال انه يخرج بصير من قبره فيعمى فى حشره (وكذلك) أى مثل ذلك الجزاء (نجزى من أسرف) الاسراف الانهماك فى الشهوات وقيل الشرك بالله قاله سفيان (ولم يؤمن بآيات ربه) بل كذبها (ولعذاب الآخرة أشد) أى أقطع من المعيشة الضئيلة (وأبقى) أى أدوم وأثبت لانه لا ينقطع (أفلم يهد لهم) الاستفهام للتوبيخ وقرئ بالنون والمعنى على هذا واضح والجملة مستأنفة لتقرير ما قبلها (كم أهلكنا قبلهم من القرون) قال القفال جعل كثرة ما أهلك من القرون مبيناً لهم قال النحاس وهذا خطأ لأن كم استفهام فلا يعمل فيها ما قبلها وقال الزجاج المعنى أفلم يهد لهم الامر باهلا كما من أهلكناه وحقيقته تدل على الهدى فالفاعل هو الهدى وقيل الفاعل ضمير الله أو للرسول أو للقرآن والجملة بعده تفسره ومعنى الآية على ما هو الظاهر أفلم يتبين لاهل مكة خبر من أهلكنا قبلهم من القرون حال كون تلك القرون (يعشون فى مساكنهم) ويتقلبون فى ديارهم فيعتبروا بهذا الاعلال فيرجعوا عن تكذيب الرسول أو هل كون هؤلاء يعشون فى مساكن القرون الذين أهلكناهم عند خروجهم للتجارة وطلب المعيشة الى الشام وغيرها فيرون بلاد الامم الماضية والقرون الخالصة خاوية خاربة من أصحاب الحجر ونحو قري قوم لوط فان ذلك مما يوجب اعتبارهم لئلا يحل بهم مثل ما حل بأولئك (ان فى ذلك لايات) أى لعبارة (لاولى النهى) تعليل للانكار ونكير للهداية والاشارة الى مضمون كم أهلكنا والنهى جمع نهية وهى العقل أى لذوى العقول التى تنسى أربابها عن التنبيح (ولولا كلمة سبقت من ربك) أى الكلمة السابقة وهى وعد الله سبحانه بتأخير عذاب هذه الامة الى الدار الآخرة (لكان) عقاب ذنوبهم (لزاما) أى لازماً لهم فى الدنيا لا ينفك عنهم بحال ولا يتأخر كإلزام القرون الماضية والازام مصدر لازم (وأجل مسمى) معطوف على قوله كلمة وهو يوم القيامة أو يوم بدر ويجوز عطفه على الضمير المستتر فى كان العائد الى الاخذ

وأمر الله ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام والبحر عيده من بعده سبعة أبحر ما نفذت كلمات الله ان الله عزيز الغفور الحكيم وقد اختلف المفسرون فى المراد بالروح ههنا على أقوال أحدها ان المراد أرواح بنى آدم قال العوفي عن ابن عباس فى قوله ويستلوك عن الروح الآية وذلك ان اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم أخبرنا عن الروح وكيف تعذب الروح التى فى الجسد وانما الروح من الله ولم يكن نزل عليه فيه شئ فلم يجز اليهم شياً فأناه جبريل فقال له قل الروح من أمرى وما أوتيتم من العلم الا قليلاً فاخبره النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقالوا من جاءك بهذا قال جاءنى به جبريل من عند الله فقالوا له والله ما قاله لك الاعدونا

فانزل الله قبل من كان عدوا للجبريل فانه نزل على قلبك باذن الله مصداقا لما بين يديه وقبل المراد بالروح ههنا جبريل قاله قتادة قال وكان ابن عباس يكرهه وقبل المراد به ههنا ملك عظيم بقدر الخلوقات كلها قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس قوله ويستلوثون عن الروح يقول الروح ملك وقال الطبراني حدثنا محمد بن عبد الله بن عرس المصري حدثنا وهب الله بن روق بن هبيرة حدثنا بشر ابن بكر حدثنا الاوزاعي حدثنا عطاء عن عبد الله بن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله ملكا لو قيل له اتقم السموات السبع والارضين بلقمة واحدة لفعل تسبيحه (١٠٣) سبحانك حيث كنت وهذا حديث غريب

بل تنكر وقال أبو جعفر بن جرير رحمه الله حدثني علي بن حدثني عبد الله حدثني أبو غرآن يزيد بن سمرة صاحب قيسارية عن حدثه عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال في قوله ويستلوثون عن الروح قال هو ملك من الملائكة له سبعون ألف وجه لكل وجه منها سبعون ألف لسان لكل لسان منها سبعون ألف لغة يسبح الله تعالى بتلك اللغات كلها يخلق الله من كل تبيحة ملكا يطير مع الملائكة الى يوم القيامة وهذا أثر غريب عجيب والله أعلم وقال السهيلي روى عن علي انه قال هو ملك له مائة ألف رأس لكل رأس مائة ألف وجه في كل وجه مائة ألف فم في كل فم مائة ألف لسان يسبح الله تعالى بلغات مختلفة قال السهيلي وقيل المراد بذلك طائفة من الملائكة على صور بني آدم وقيل طائفة يرون الملائكة ولا تراهم فهم للملائكة كالملائكة لبني آدم وقوله قل الروح من أمر ربي أي من شأنه ومما استأثر بعلمه دونكم ولهذا قال وما أوتيتم من

المفهوم من السياق أي لكان الاخذ العاجل وأجل مسمى لازمين لهم كما كانا لازمين لعاد وغود وفيه تعسف ظاهر قال ابن عباس هذان مقادير الكلام يقول لولا كلمة وأجل مسمى لكان لزاما أي موتا وعن السدي نحوه وعن مجاهد قال الاجل المسمى الكلمة التي سبقت ثلما بين الله سبحانه انه لا يملكهم بعذاب الاستئصال أمره بالصبر فقال (فأصبر على ما يقولون) من انك ساحر كذاب شاعر كاهن ونحو ذلك من مطاعنهم الباطنة والمعنى لا تحتفل بهم فان لعذابهم وقتا مضى وبالاية تقدم ولا يتأخر وانهم معذبون لا محالة فتسل واصبر وقيل هذان منسوخ بآية القتال وقيل انها محكمة قال الشهاب الفاء سببية والمراد بالصبر عدم الاضطراب لمصدر عنهم لا ترك القتال حتى تكون الآية منسوخة (وسبح بحمده ربك) أي ممتسبا بحمده قال أكثر المفسرين والمراد الصلوات الخمس كما يفيد قوله (قبل طلوع الشمس) فانه إشارة الى صلاة الفجر (وقبل غروبها) فانه إشارة الى صلاة العصر وفي صحيح مسلم وسنن ابي داود والنسائي عن عمارة بن روبية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لن يبلغ النار أحد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها (ومن آتاء الليل) العتمة والمراد بالآتاء الساعات وهي جمع انابا لكسر والقصر وهو الساعة ومعنى (فسبح) فصل المغرب والعشاء والناء اما عطفه على مقدر أو واقعة في جواب شرط مقدر أو زيادة قال ابن عباس هي الصلاة المكتوبة وفي الصحيحين وغيرهما من حديث جرير قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا وقرأ هذه الآية (وأطراف النهار) أي في طرفي نصفه أي في الوقت الذي يجمع الطرفين وهو وقت الزوال فهو نهاية للنصف الاول وبداية للنصف الثاني والمراد صلاة الظهر لان الظهري آخر طرف النهار الاول وأول طرف النهار الآخر وقيل ان الإشارة الى صلاة الظهر هي بقوله وقبل غروبها لانها هي وصلاة العصر قبل غروبها وقيل المراد بالآية صلاة التطوع ولوقيل ليس في الآية إشارة الى الصلاة بل المراد التسبيح في هذه الاوقات أي قول القائل سبحان الله لم يكن ذلك بعيدا من الصواب والتسبيح وان كان يطاق على الصلاة لكنه مجاز والحقيقة أولى القرينة تصرف ذلك الى المعنى المجازي وجمع الاطراف وهما طرفان لأن التباس (اعلأ ترضي) أي سبح في

العلم الا قليلا أي وما أطلعكم من علمه الا على القليل فانه لا يحيط أحد بشئ من علمه الا بما شاء وقيل ان شاء الله في قصة موسى والخضر أن الخضر نظر الى عصفور وقع على حافة السفينة فنقر في البحر فقرة أي شرب منه بمنه فنفق فمات يا موسى ما علمي وعلمت الخلائق في علم الله الا كما أخذ هذا العصفور من هذا البحر أو كما قال صلوات الله وسلامه عليه ولهذا قال تعالى وما أوتيتم من العلم الا قليلا وقال السهيلي قال بعض الناس لم يحجبهم عما سألوا منهم سألوا على وجه التعنت وقيل اجابهم وعول السهيلي على ان المراد بقوله قل الروح من أمر ربي أي من شرعه أي فادخلوا فيه وقد علم ذلك لانه لا سبيل الى معرفة هذان من طبع ولا فلسفة وانما ينال من جهة الشرع وفي هذا المسلك الذي طرقه وسلكه نظر والله أعلم ثم ذكر السهيلي الخلاف بين العلماء

في أن الروح هي النفس أو غيرها وقرأتم أذا تالطية كالهواء سارية في الجسد كسريان الماء في عروق الشجر وقرأتم أن الروح التي ينفعها الملك في الخبز هي النفس بشرط اتصالها بالبدن واكتسابها بسبب صفات مدح أو ذم فهي إما نفس مطمئنة أو أمارة بالسوء قال كان الماء هو حياة الشجر ثم يكسب بسبب اختلاطه معها إما خاصا فإذا اتصل بالغنية وعصر منها صار ماء مطارا أو خروا ولا يقال له ماء حينئذ الأعلى سبيل المجاز وكذا لا يقال للنفس روح الأعلى هذا النحوي وكذا لا يقال للروح نفس الاعتبار ما تؤول إليه فحاصل ما تقول أن الروح هي (١٠٤) أصل النفس ومادتها والنفس مركبة منها ومن اتصالها بالبدن فهي هي

من وجه لأم من كل وجه وهذا معنى حسن والله أعلم قلت وقد تكلم الناس في ماهية الروح وأحكامها وصنفوا في ذلك كتباً ومن أحسن من تكلم على ذلك الحافظ بن منده في كتابه معناه في الروح (ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلاً إلا رحمة من ربك أن فضله كان عليك كبيراً قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ولقد سررنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس الا كفوراً) يذكر تعالى نعمته وفضله العظيم على عبده ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلم فيما أوحاه إليه من القرآن المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد قال ابن مسعود رضي الله عنه يطرق الناس ريح حراء يعني في آخر الزمان من قبل الشام فذبيقي في مصحف رجل ولا في قلبه آية ثم قرأ ابن مسعود ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك الآية ثم نبهته تعالى على شرف هذا القرآن العظيم فأخبرناه

هذه الاوقات رجاء ان تنال عند الله سبحانه ما ترضى به نفسك من الثواب هذا على قراءة الجمهور وقرئ ترضى بضم التاء أي يرضيك ربك وتعطى ما يرضيك (ولا تعدن) أي لا تطل نظر (عنين) بطريق الرغبة والميل (إلى ما تمنى) أي لذناً فالاستماع والتمتع معناه الايقاع في اللذة (أزواجهم) مد النظر تطويله وان لا يكاد يرد استحياساً للمنتظر اليه وإعجاباً به وفيه ان النظر الغير الممدود مدفوع عنه وذلك ان يدار الشيء بالنظر ثم يغض الطرف ولقد شد المتقون في وجوب غض البصر عن أبيه الطلعة وعدد انفسه في ملايتهم ومراكمهم حتى قال الحسن لا تنظروا الى دقة (١) هما الج ٢ الدقة ولكن انظروا كيف يلوح ذل المعصية من تلك الرقاب وهذا لانهم اتخذوا هذه الاشياء لعيون النظارة فالناظر اليها يحصل لغرضهم ومغراهم على اتخاذها وقد تقدم تفسير هذه الآية في الج ٢ (زهرة الحمة الدنيا) أي زينتها ووجعها بالنبات وغيره وقرئ زهرة بفتح الهاء وهي نور انبات وذكر السهين في نصبه تسعة أوجه وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ان أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح الله لكم من زهرة الدنيا قالوا ومزهر الدنيا يا رسول الله قال بركات الارض (لنقتنهم فيه) أي لنجعل ذلك فتنة لهم وضلالة ابتلاء لهم كقوله انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم وقيل لنعذبهم في الآخرة وقيل لنشددهم في التكليف وقيل لأزيد لهم النعمة فزيدوا بذلك كنزاً وطغياناً (ورزق ربك) أي ثواب الله في الجنة وما انخرطوا في عباده في الآخرة (خير) مما رزقهم في الدنيا على كل حال وأيضاً فان ذلك لا يتقطع وهذا يتقطع وهو معنى (وأبقي) وقيل المراد به هذا الرزق ما يفتح الله على المؤمنين من الغنائم ونحوها والاول أولى لان الخير به المحقة والدوام الذي لا يتقطع انما يتحققان في الرزق الاخرى لا الدنيوى وان كان حلالاً طيباً قال تعالى ما عندكم يتبدد وما عند الله باق عن أبي رافع قال أضاف النبي صلى الله عليه وآله وسلم ضيقاً ولم يكن عند النبي ما يصلحه فأرسلني الى رجل من اليهود أن يعنأ أو أسلفنا دقيقتاً الى هلال رجب فقتل الا ابرهن فأتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأخبرته فقتل أما والله اني لأؤمن في السماء أمين في الارض ولئن أسلفني أو بآعني لأديت اليه اذهب بدرعي الحد فلم أخرج من عنده حتى نزلت هذه الآية كانه يعزيه عن الدنيا أخرجه البزار وأبو يعلى وابن أبي شيبه وغيرهم

لواجتمع الانس والجن كلهم وانفقوا على أن يأتوا بمثل ما نزل على رسوله لما اطاقوا ذلك ولما استطاعوه (وامر) ولوتعوا ونوا وتساعدوا وتظافروا فان هذا أمر لا يستطاع وكيف يشبهه كلام الخلقين كلام الخالق الذي لا نظيره ولا مثاله ولا عديله وقد روى محمد بن اسحق عن محمد بن ابي محمد عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس ان هذه الآية نزلت في نفر من اليهود جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له انا نأتيك بمثل ما جئتناه فانزل الله هذه الآية وفي هذا نظر لان هذه السورة مكية (١) الدقة حكاية أصوات حوافر الدواب مثل الطقطقة اه صحاح (٢) الهملاج من البراذين واحدها الهملاج ونسبها الهملجة فارسي معرب اه صحاح

وسياقها كله مع قريش واليهود انما اجتمعوا به في المدينة فالتهموا قريش وقوله ولقد سررنا للناس الآية أي بينا لهم الحجة والبراهين القاطعة ووضحنا لهم الحق وشرحناهم وبسطناهم ومع هذا فآبى أكثر الناس إلا كفورا أي بجود الحق ورد الصواب (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفيض اياها أو تسقط السماء كزعت علينا كسفا أو تأتي بالثعلب أو الملائكة قبيلة أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيبك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا) قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا ١٠٥ يونس بن بكير حدثنا محمد بن اسحق حدثني

شيخ من أهل مصر قدم من ديبضع وأربعين سنة عن عكرمة عن ابن عباس أن عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبا سفيان بن حرب ورجلا من بني عبد الدار وأبا البختري أخا بني أسد والأسود بن المطلب بن أسد وزمعة ابن الأسود والوليد بن المغيرة وأبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية وأمية بن خلف والعاص ابن وائل ونبيها ومنبها ابني الحجاج السهميين اجتمعوا أو من اجتمع منهم بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض ابعثوا إلى محمد فكمأوه وخاصة حتى تعذروا فيه فبعثوا إليه أن أشرف قومك فدا جتمعوا لك ليكلموك فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سرعوا وهو يظن أنه قد بدى لهم في أمره بداء وكان عليهم حريصا يجب رشدهم ويعز عليهم عنهم حتى جلس إليهم فقالوا يا محمد انا قد بعثنا إليك لتعذر فيك وانا والله ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومك ما أدخلت على قومك لقد شئت الالباء وعبت الدين وسننت الاصلاح وشتت الالهة وفرت الجماعة فابقي من قبيح الاوقد جنته

(وأمر أهلك) المراد بهم أهل بيته وقيل جميع امته ولم يذكر ههنا الامر من الله (بالصلاة) بل قصر الامر على اهلها مالكون اقامته لها امرا معلوما وليكون امرهم باقدا تقدم في قوله وسبح بحمد ربك الخ اوله يكون امره بالامر لاهلها امر الله ولهذا قال (واضطرب عليها) أي اضطرب على محافظة الصلاة فانما انتهى عن الفعشاء والمنكر ولا تشغل عنها بشي من امور الدنيا وقيل اضطرب عليها فعلا فان الوعظ بلسان النعل ابغ منه بلسان القول اخرج ابن التمار وابن عساكر وابن مردويه عن أبي سعيد الخدري قال لما نزلت هذه الآية كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يجي إلى باب علي صلاة الغداة ثمانية اشهر يقول الصلاة رحكم الله اغاير يد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وأخرج احمد والبيهقي وغيرهما عن ثابت قال قال كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا أصابت أهله خصاصة نادى أهله يا أهله صلوا صلوا قال ثابت وكانت الانبياء اذا نزل بهم امر فزعوا إلى الصلاة وعن عبد الله بن سلام قال السيوطي بسند صحيح قال كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا نزلت بأهله شدة أو ضيق أمرهم بالصلاة وقرأ وأمر أهلك بالصلاة الآية وكان عروة بن الزبير اذا رأى ما عند السلطين قرأ هذه الآية ثم نادى بالصلاة الصلاة رحكم الله وكان بكر بن عبد الله المزني اذا أصاب أهله خصاصة قال قوموا فصلوا بهذا أمر الله رسوله وعن مالك ابن دينار مثله (لانسألك رزقا) أي لا تكلف ان ترزق نفسك ولا أهلك وتشغل بذلك عن الصلاة (نحن نرزقك) ونرزقهم (والعاقبة) المحمودة وهي الجنة (للتقوى) أي لاهل التقوى على حذف المضاف كما قال الاخفش وفيه دليل على ان التقوى هي ملاك الامر وعليها تدور وان الخبير (وقالوا) أي قال كنا رمة (لولا) هلا (بأيتنا) محمد صلى الله عليه وآله وسلم (بآية من) آيات (ربه) كما كان يأتيهم من قبله من الانبياء وذلك كالتأقية والعصا والمعنى هلا بأيتنا بآية من الآيات التي قد اقترحتها علينا فاجاب الله سبحانه وتعالى عليهم بقوله (أولم تأتكم بينة من ربهم ما في الصحف الاولى) يريد بها التوراة والانجيل والزبور وسائر الكتب المنزلة وفيها التصريح بنبوته والتبشير به وذلك يكفي فان هذه الكتب المنزلة هم معترفون بصحتها وصدقها وفيها ما يدفع انكارهم لنبوته ويطل تعنتهم وتعسفاتهم وقيل المعنى أولم تأتكم اهلا كالألام الذين

(١٤ - فتح البيان سادس) فبايتنا وبينك فان كنت انما جئت بهذا الحديث تطلب به ما لا جعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا ملاوان كنت انما تطلب الشرف فينا سؤدناك علينا وان كنت تريد مل كمل ذلك علينا وان كان هذا الذي يأتيك بما يأتيك رئيسا تراه قد غلب عليك وكانوا يسمون التابع من الجن الرئي فربما كان ذلك بدلنا أموالنا في طلب الطب حتى نبرك منه أو نعذر فيك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لي ما تقولون ما جئتكم بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثنى اليكم رسولا وانزل علي كتابا وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالات ربي ونفخت لكم فان تقبلوا مني

ما جئتمكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وان تردوه على أصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما فقالوا يا محمد فإن كنت غير قابل منا ما غرضنا عليك فقد علمت أنه ليس أحد من الناس اضيق منا بلاذ ولا أقل مالا ولا أشد عيشا منا فاسأل النار بك الذي بعثك بجابعتك به فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا وليسط لنا بلادنا وليغير فيها أنهارا كأنهم نار الشام والعراق وليبعث لنا من مضى من آبائنا وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصي بن كلاب فإنه كان شيخا صديقا ففسألهم عما تقول حق هو أم باطل فإن صنعت (١٠٦) ماسألنا أو صدقوك صدقنا وعرفنا به منزلتك عند الله

وأنه بعثك رسولا كما تقول فتقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بهذا بعثت انما جئتمكم من عند الله بما بعثني به فقد بلغتمكم ما أرسلت به اليكم فإن تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة وان تردوه على أصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم قالوا فإن لم تفعل لنا هذا فخذنا نفسك فسل ربك ان يبعث ملكا يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك وتساله فيجعل لك جناتا وكوزا وقصورا من ذهب وفضة يغنيك بها عما نزلك تبغى فانك تقوم بالأسواق وتلتمس المعاش كما تلتمسه حتى تعرف فضل منزلتك من ربك ان كنت رسولا كما تزعم فتقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نابضا على ما نابا الذي يسأل ربه هذا وما بعث اليكم بهذا ولكن الله بعثني بشيرا ونذيرا فان تقبلوا ما جئتمكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وان تردوه على أصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم قالوا فأسقط السماء كما رزمت ان ربك ان شاء فعل ذلك فان لن نؤمن لك الا ان تفعل فتقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

كفروا واقترحوا الآيات فايؤتمنهم ان اتهم الآيات التي اقترحوها أن يكون حالهم كحالهم وقيل المراد أول تأتهم آية هي من الآيات وأعظمها في باب الإعجاز يعني القرآن فإنه برهان لما في سائر الكتب المنزلة فالواو عاطفة على مقدر يقتضيه المقام كأنه قيل ألم تأتهم سائر الآيات ولم تأتهم خاصة بيضة ما في الصحف الأولى تقرير الأتيان واذا نابا من الواو بجمي لا يأتي معه انكار أصلا قرئ أول تأتهم بالتحسية لان معنى البيضة البيان والبرهان (ولوا أنا أهلككمهم) مستأنفة سبقت لتقرير ما قبلها (بعذاب من قبله) أي من قبل بعثة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أو من قبل اتيان البيضة بنزول القرآن (لقلوا) يوم القيامة أي اكان لهم ان يحتجوا ويتعللوا بقولهم (ربنا الوالا) هلا (أرسلت الينا رسولا في الدنيا فمتبع آياتك) اللاتي يأتي بها الرسول (من قبل ان نزل) بالعذاب والهوان في الدنيا (ونحزى) بدخول النار وقرئ نزل ونحزى على البناء للمفعول وقد قطع الله معذرة هؤلاء المكفرة بإرسال الرسول اليهم قبل اهلاكهم ولهذا حكى الله عنهم أنهم قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا مازلنا نزل الله من شيء (قل) لهم يا محمد (كل) أي كل واحد منا ومنكم (متربص) أي منتظر لما يؤول اليه الامر (فتربصوا) أنتم (فستمعلمون) عن قريب (من أصحاب الصراط السوى) أي الطريق المستقيم (ومن اهدى) من الضلالة ونزع عن الغواية نحن أم أنتم قال النحاس والقراء نذهب الى ان معنى من أصحاب الصراط السوى من لم يضل ومعنى من اهدى من ضل ثم اهدى ومن في الموضوعين استنهامية أو موصولة

* (سورة الانبياء: مكية قال القرطبي في قول الجميع وهي مائة واحدة أو اثنتا عشرة آية) *

وسميت بذلك لذكر قصص الانبياء فيها وأخرج البخاري وغيره عن ابن مسعود قال بنو اسرائيل والكهف ومرمى والانبيا من العتاق الاول وهن من تلادى وعن عامر بن ربيعة انه نزل به رجل من العرب فأكرم عامر مشواه وكلم فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجاءه الرجل فقال انى استقطعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واديا ما في ديار العرب واد أفضل منه وقد أردت ان أقطع اليك قطعة تكون لك ولعقبك من بعدك فقال عامر لا حاجة لي في قطعك نزلت اليوم سورة أذهلتنا عن الدنيا يردها هذه السورة

ذلك الى الله ان شاء فعل بكم ذلك فقالوا يا محمد أمار ربك اننا نجلس معك ونسألك عما سألناك عنه ونطلب

منك ما نطلب فيك قد دم اليك ما راجعنا به ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا اذ لم تقبل منك ما جئتنا به فقد بلغنا انه انما يعلم هذا رجل بالهمة يقال له الرحمن وانا والله لا نؤمن بالرحن أبدا فقد أعذرنا اليك يا محمد أما والله لا نتركك وما فعلت بنا حتى نهلك أو تهلك كما وقال قائلهم نحن نعبد الملائكة وهي نبات الله وقال قائلهم لن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلا فلما قالوا ذلك قام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وقام معه عبد الله بن أبي أمية بن الغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وهو ابن عتبة عاتكة ابنة

عبد المطلب فقال يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ثم سألوكم لانفسهم امورا يعرفوا بها منزلتكم من الله فلم تفعل ذلك ثم سألوكم ان تجعل لهم ما تخوفهم به من العذاب فوالله لاؤمن بك ابد حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وانا انظر حتى تأتينا وقتاقي معك بحجة من مشورة ومعك أربعة من الملائكة يشهدون لك انك كما تقول وايم الله لو فعلت ذلك لظننت اني لا أصدقك ثم انصرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهله حزينا أسفا لما فاته مما كان طمع فيه من قومه حين دعوه ولما رأى من مباعدتهم اياه وهكذا رواه زياد بن عبد الله البكائي (١٠٧) عن ابن اسحق حدثني بعض

أهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس فذكر مثله سواء وهذا المجلس الذي اجتمع هؤلاء له لوعلم الله منهم انهم يسألون ذلك استرشادا لا جيبوا اليه ولكن علم انهم انما يطلبون ذلك كفرا وعنادا فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئت أعطيتناهم ما سألوا فان كفروا عذبهم عذابا لا عذبه أحد من العالمين وان شئت فتحت عليهم باب التوبة والرحمة فقال بل تفتح عليهم باب التوبة والرحمة كما تقدم ذلك في حديثي ابن عباس والزبير بن العوام أيضا عند قوله تعالى وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون واتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات الا تخويفا وقال تعالى وقالوا ما الهذا الرسول يا كل الطعام ويحيى في الاسواق لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى اليه كنزا أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اقرب للناس حسابهم) يقال قرب الشيء واقترب قال الزجاج المعنى اقرب لهم - م رقت حسابهم - أي القيامة كما في قوله اقتربت الساعة وتقديم للناس على الحساب لادخال الروعة ومعنى اقتراب الحساب دنوه منهم لان في كل ساعة أقرب اليهم من الساعة التي قبلها وقيل لان كل ما هو آت قريب وانما البعيد ما انقرض ومضى وموت كل انسان قيام ساعة والقيامة أيضا قريبة بالاضافة الى ما مضى من الزمان فابقي من الدنيا أقل مما مضى والمراد بالناس العموم وقيل المشركون مطلقا وقيل كفار مكة وعلى هذا الوجه قيل المراد بالحساب عذابهم يوم بدر (وهي غفلة) عن حسابهم وعما يفعل بهم في الدنيا (معرضون) عن الآخرة غير متأهبين لما يجب عليهم من الايمان بالله والقيام بفرائضه والانزجار عن مناهيه أخرج النسائي عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الآية قال في الدنيا وأخرج ابن مردويه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من أمر الدنيا (ما يأتهم من ذكر من ربه) محدث) تعليل لما قبله ومن لا يتدأ الغاية أو زائدة وقد استدل بوصف الذكر بكونه محدثا على ان لفظ القرآن محدث لان الذكر فنه هو القرآن وأجيب بانه لا نزاع في حدوث المركب من الاصوات والحروف لانه متجدد في النزول ولا خلاف في حدوثها فالمعنى محدث تنزيله وانما النزاع في الكلام النفسي وهذه المسئلة اعني قدم القرآن وحدوثه قد ابتلي بها كثير من أهل العلم والفضل في الدولة المأمونية والمعتصمية والواقفية وجرى للامام أحمد بن حنبل ما جرى من الضرب الشديد والجس الطويل وضرب بسبيها عنق ثم ربن نصر الخراعي وصارت فتنة عظيمة في ذلك الوقت وما بعده والقصة أشهر من ان تذكر ومن أحب الوقوف على حقيقة تهاطع ترجة الامام أحمد بن حنبل في كتاب النبلاء لمؤرخ الاسلام الذهبي ولقد أصاب أئمة السنية بما متناهم من الاجابة الى القول بخلق القرآن وحدوثه وحفظ الله بهم أمة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم عن الابتداع ولكنهم رجعهم الله جاوزوا ذلك الى الجزم بقدمه ولم يقتصروا على ذلك حتى كفروا من قبل بالحدوث بل جاوزوا ذلك الى تكفير من قال لنظي بالقرآن مخلوق بل جاوزوا ذلك الى تكفير من وقف وليتهم لم يجاوزوا حد الوقف وارجاع العلم الى اعلام الغيوب فانه لم يسمع من السلف الصالح من الصحابة

سبيلا تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا بل كذبوا بالساعة وعمدنا لمن كذب بالساعة سعيرا وقوله تعالى حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا لينبوع العين الجارية سألوه ان يجرى لهم عيوننا معينات في أرض الخجاز ههنا وههنا وذلك سهل على الله تعالى يسير لو شاء لفعله ولا جابهم الى جميع ما سألوا وطلبوا ولكن علم انهم لا يهتدون كما قال تعالى ان الذين حقن عليهم كفرة بك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم وقال تعالى ولو أنزلنا اليهم الملائكة ولكلهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء ثقب لا ما كانوا يؤمنوا الآية وقوله تعالى أو تسقط السماء كازع أي انزعودت ان يوم القيامة تنشق فيه السماء وتسمى وتدل أطرافها فجعل ذلك في الدنيا واسقطها كسفن أي قطعها كقولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من

عندك فأمر طر علينا جارة من السماء الآية وكذلك سأل قوم شعيب منه فقالوا سقط علينا كسفمان السماء ان كنت من الصادقين فعاقبهم الله بعد اب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم وأما نبى الرحمة ونبي التوبة المبعوث رحمة للعالمين فسأل انظارهم وتأجيلهم لعل الله ان يخرج من اصلاهم من بعده لا يشرك به شيئا وكذلك وقع فان من هؤلاء الذين ذكروا من أسلم بعد ذلك وحسن اسلامه حتى عبد الله بن أبي أمية الذي تبع النبي صلى الله عليه وسلم وقال له ما قال أسلم اسلاما تاما وأبى الى الله عز وجل وقوله تعالى أو يكون لك بيت من زخرف (١٠٨) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة هو الذهب وكذلك هو في قراءة

ابن مسعود أو يكون لك بيت من ذهب أو ترقى في السماء أى تصعد في سلم ونحن نتظر اليك ولئن نوؤمن لر قبلك حتى تنزل علينا كتابا نقرأه قال مجاهد أى مكتوب فمه الى كل واحد واحد صحيفة هذا كتاب من الله لفلان بن فلان تصح موضوعه عند رأسه وقوله تعالى قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا أى سبحانه وتعالى وتقدس ان يتقدم أحد بين يديه في أمر من أمور سلطانه وملكوته بل هو الله عال لما يشاء ان شاء أجابكم الى ما سألتهم وان شاء لم يجيبكم وما أنا الا رسول اليكم أبلغكم رسالات ربي وانصح لكم وقد فعات ذلك وأمركم فيها سألتهم الى الله عز وجل قال الامام أحمد بن حنبل حدثنا علي بن ابي حنبل حدثنا ابن المبارك حدثنا يحيى ابن أيوب عن عبيد الله بن زجر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عرض على ربي عز وجل لي جعل لي بطيحاء مكة ذهباً فقلت لا يارب ولكن اشبع يوماً وأجوع يوماً فحو ذلك فاذا جعت تضرعت اليك

والتابعين ومن بعدهم الى وقت قيام الحجة وظهور القول في هذه المسئلة شئ من الكلام ولا نقل عنهم كلمة في ذلك فكان لا امتناع من الاجابة الى مادعوا اليه والتسك باذيال الوقف وارجاع علم ذلك الى عالمه هو الطريق المثل وفيه السلامة والخلوص من تكفير طوائف من عباد الله والامر لله سبحانه وقيل معنى الآية ان الله يحدث الامر بعد الامر فينزل الآية بعد الآية والسورة بعد السورة في رقت الحاجة لبيان الاحكام وغيرها من الامور والوقائع وهذا القول كالأول وقيل الذي كرا الحديث ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبينه سوى ما في القرآن والاوولى (الاستمعه) من النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو غيره من يتلوها استمعنا من فرغ (وهو يلعبون) جلة حالية أى لاعين لا يعجبون ولا يتعظون والمعنى يستهزئون به (لا هية قلوبهم) حال أيضاً وهو ما حالان مترادفان أو متداخلان قاله لزمخشري والمعنى ما يأتهم من ذكر من ربهم يحدث في حال من الاحوال الا في حال الاستماع مع اللعب والاستهزاء ولهوة القلب (وأسرؤا النجوى الذين ظلموا) كلام مستأنف مسوق لبيان جنابة خاصة اثر حكاية جناباتهم المعتادة والنجوى اسم من التناجى وهو لا يكون الا سراقة المبالغة في الاخفاء بحيث لم يفهم أحد تناجىهم ومسارعتهم تنبى لا ولا اجالا وانما قالوا ذلك سر الانهم كانوا في مبادئ الشر والعناد وتهديد مقدمات الكيد والفساد وقد اختلف في محل الموصول على أقوال قال أبو عبيدة أسروا ههنا من الاضداد أى بمعنى أخفوا كلامهم أو بمعنى اظهروه واعلموه (هل هذا) بدل من النجوى مفسر لها أو مفعول المنع وهى بمعنى النفي أى قالوا ما هذا الرسول (الابشر مثلكم) لا يتميز عنكم بشئ وما يأتى بدسحر (أفتأتون السحر) أى اذا كان بشرامثلكم وكان الذى جاء به سحرا فكيف تحبسونه اليه وتتبعونه (وأنتم تبصرون) حال من فاعل تأتون مقتررا لانكار ومؤكد للاستبعاد وقالوا ما ذكرنا على ما ثبت في اعتقادهم الزائع ان الرسول لا يكون الا ملكا وان كل ما يظهر على يد البشر يكون سحرا فاطلع الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم على ما تناجوا به وأمره ان يجيب عليهم فقال (قل ربي يعلم القول في السماء والارض) أى لا يخفى عليه شئ مما يقال فيهما وفي مصاحف أهل الكوفة قال ربي أى قال محمد ربي يعلم فهو عالم بما تناجيتهم به قبل الاولى أى لانهم اسروا هذا القول فاطلع الله رسوله صلى الله

عليه وذكرتك واذا شجعت حمدتك وشكرتك ورواه الترمذى في الزهد عن يزيد بن نصر عن ابن المبارك به وقال عليه هذا حديث حسن وعلى بن يزيد يذهب في الحديث (وما منع الناس ان يؤمنوا اذا جاءهم الهدى الا ان قالوا أبعث الله بشرا رسولا قل لو كان في الارض ملائكة عشرون مطمئنين لزنا علىهم من السماء ملكا رسولا يقول تعالى وما منع الناس أى أكثرهم ان يؤمنوا ويتابعوا الرسل الاستعجاب منهم من بعدة البشر رسلا كما قال تعالى ان للناس عجايبان أو حينا الى رجل منهم ان انذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قد صدق عند ربهم وقال تعالى ذلك بانه كانت تأتوهم رسلاهم بالبينات

فقالوا بشرهم بدوتنا الآية وقال فرعون وملوه أنؤمن لبشر ين مثلنا وقومهم ما لنا عبدون وكذلك قالت الامم لرسولهم ان أنتم الابشر مثلنا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتوا ناسا سلطان مبين والآيات في هذا كثيرة ثم قال تعالى منها على لطفه ورجته بعباده انه يبعث اليهم الرسول من جنسهم ليفقهوا عنه ويفهموا منه لتمكنهم من مخاطبته ومكالمته ولو بعث الى البشر رسولا من الملائكة لما استطاعوا مواجهته ولا اخذ عنه كما قال تعالى لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم وقال تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم وقال تعالى كما أرسلنا فيكم رسولا (١٠٩) منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم

الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون فاذا كروني اذ كركم واشكروني ولا تكفرون ولهذا قال ههنا قل لو كان في الارض ملائكة يشنون مطمئنين أي كما أنتم فيها لزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا أي من جنسهم ولما كنتم أنتم بشر ابعثنا فيكم رسولا منكم لظنا ورجة قل كفي بالله شهيدا بيني وبينكم انه كان بعباده خبيرا بصيرا يقول تعالى مرشدنا نبيه صلى الله عليه وسلم الى الجنة على قومه في صدق ما جاءهم به انه شاهد على وعليك عالم بما جاءتكم به فلو كنت كاذبا عليه لاتقم مني اشد الاتقام كما قال تعالى ولولا نقول علمنا بعض الاقاويل لاخذنا منه بالبين ثم لقطعنا منه الوتين وقوله انه كان بعباده خبيرا بصيرا أي علمهم عن يستحق الانعام والاحسان والهداية من يستحق الشقاء والاضلال والازاعة ولهذا قال (ومن يهدي الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم غما وبكا وصما وأهملهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا) يقول تعالى مخبرا

عليه وآله وسلم على ذلك وامره أن يقول لهم هذا قال النحاس والقراءتان صحيحتان وهما بمنزلة آيتين (وهو السميع) لكل ما يسمع (العليم) بكل معلوم فيدخل في ذلك ما سر وادخولا أوليا (بل) للالتقال من غرض الى غرض آخر في المواضع الثلاثة وهي بل قالوا بل افتراه وبل هو شاعر كما ذكره ابن مالك في شرح كافيته من انه الاتقع في القرآن الاعلى هذا الوجه وسبقه اليه صاحب الوسيط ووافقه ابن الحاجب وهو الحق (قالوا) الذي يأتي به من القرآن (اضغات احلام) أي اخلاط رآها في النوم قاله الزجاج وقال القتيبي هي الرؤيا الكاذبة وقال البيهقي الاضغات ما لم يكن له تأويل قال قتادة أي دقل الاحلام انما هي رؤيا رآها يعني أبا طيل وأهاويل رآها في النوم (بل افتراه) حكى سبحانه انضرابهم عن قولهم اضغات أحلام أي بل قالوا افتراه واختلقه من تلقاء نفسه من غير أن يكون له أصل ثم حكى عنهم انهم انضربوا عن هذا وقالوا (بل هو شاعر) وما أتى به من جنس الشعر أي كلام يخيل للسامع معاني لا حقيقة له او يرغبه فيها هذا هو المراد بالشعر هنا وفي هذا الانضراب منهم والتلون والتردد أعظم دليل على انهم جاهلون بحقيقة ما جاء به لا يدرون ما هو ولا يعرفون كنهه أو كانوا قد علموا انه حق وانهم عند الله ولكن أرادوا أن يدفعوه بالصدور ويرموه بكل جبر ومدر وهذا شأن من غلبته الحجة وقهر البرهان ثم بعد هذا كله قالوا (فليأتنا بآية) وهذا جواب شرط محذوف أي ان لم يكن كما قلنا بل كان رسولا من عند الله فليأتنا بآية انما كانا (كما أرسل الاولون) أي مثل ما أرسل موسى بالعباد وغيرهما وصالح بالناقصة وكان سؤالهم هذا سؤال تعنت لان الله سبحانه قد أعطاهم من الآيات ما يكفي ولو علم الله سبحانه انهم يؤمنون اذا أعطاهم ما يقترحونه لأعطاهم ذلك كما قال ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون قال الزجاج اقترحوا الآيات التي لا يقع معها ادعاء فقال الله سبحانه لهم (ما آمنت قبلكم) أي قبل مشركي مكة (من) أهل (قرية أهلكها) أي أهل كذا أهلها بتكذيبهم أو أهل كذا أهلها بآيات ان سنة الله في الامم السالفة ان المقتربين اذا أعطوا ما اقترحوه ثم لم يؤمنوا نزل بهم عذاب الاستئصال لاجل حاله ومن مزيدة للتوكيد والمعنى ما آمنت قرية من القرى التي أهل كذا أهلها بسبب اقتراحهم قبل هؤلاء فكيف نعطيهم ما اقترحوا وهم أسوة من قبلهم (أفهم يؤمنون) الهمزة للتوبيخ

عن تسرفه في خلقه ونفوذ حكمه وانما لا يعقب له بانه من به دمه فلا مضل له ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه أي يدونهم كما قال من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تضل له وليا مرشدا وقوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم قال الامام أحمد حديثان غير حديثنا سمعيل عن نبيع قال سمعت أنس بن مالك يقول قيل يا رسول الله كيف يحشر الناس على وجوههم قال الذي امشاهم على أرجلهم قادر أن يحشهم على وجوههم وأخرجاهم في الحيين وقال الامام أحمد أيضا حديثنا الوليد بن جبير القرشي عن أبيه عن أبي الطفيل عامر بن واثله عن حديثه بن أسيد قال قام أبو ذر فقال يا بني غفار قولوا لا تحلفوا فان الصادق

المصدق حدثني ان الناس يحشرون على ثلاثة اقواج فوج را كيين طاعين كاسين وفوج يشون ويسعون وفوج تسحبهم
اللائكة على وجوههم وتحشرونهم الى النار فقال قائل منهم هذا قد عرفناه ما قال الذين يشون ويسعون قال بلى الله عز وجل
الآفة على الظهر حتى لا يبقى ظهر حتى ان الرجل لتكون له الحديقة المحببة فيعطيه بالشارف ذات القتب فلا يقدر عليها وقوله عيا
أى لا يبصرون وبكيعنى لا ينطقون وصما لا يسمعون وهذا يكون في حال دون حال جزاء لهم كما كانوا في الدنيا بكوعيا وصما
عن الحق فخور وافي محشرون بذلك أخرج (١١٠) ما يحتاجون اليه مأواهم أى منقلبهم ومصيرهم جهنم كما خبت قال ابن

والتوبيخ والمعنى ان لم تؤمن أمة من الامم المهلكة عند اعطاء ما اقترحوا فكيف يؤمن
هؤلاء اعطوا ما اقترحوا قال قتادة قال أهل مكة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم
اذا كان ما تقول حقا ويسرك ان تؤمن فقول لنا الصناديق ما جبريل فقال ان شئت
كان الذى سألت قومك ولكنه ان كان ثم لم يؤمنوا لم ينظروا وان شئت استأنيت بقومك
قال بل استأنى بتومى فانزل الله ما آمنت قبلهم الآية ثم أجاب الله سبحانه عن قولهم
هل هذا الايشر مثلكم بقوله (وما أرسلنا) أى لم نرسل (قبلا) الى الامم السالفة
(الارجلة) من البشر مخصوصين من افراد جنس من أهلين للاصطفاء والارسل ولم
نرسل اليهم ملائكة كما قال سبحانه قل لو كان في الارض الائكة يعشون مطمئنين
لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا (نوحى اليهم) مستأنفة ليمان كيفية الارسل
أو صفة لرب لا أى متصنين بصفة لا يحياهم وصيغة المضارع الحكاية الحال الماضية
ثم مرهم الله بان يسألوا أهل الذكر ان كانوا يجيئون هذا فقال (فاسألوا أهل الذكر)
هم أهل الكتابين اليهود والنصارى (ان كنتم لاتعلمون) ان رسل الله من البشر
فانهم لم يجيئون ذلك لا ينكرون فيه وان أنكر وانوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم
وتقدير الكلام ان كنتم لاتعلمون ماذا فاسألوا أهل الذكر وتوجيه الخطاب الى
الكفرة لتبكيهم واستنزلهم عن رتبة التكبر وقد استدل بالآية على التقليد جائز
وهو خطأ ولو سلم لكنا المعنى سؤالهم عن النصوص من الكتاب والسنة لاعتنوا
البحث وليس التقليد الا قبول قول الغير دون حجة والمقلد اذا سأل أهل الذكر عن كتاب
الله وسنة رسوله لم يكن مقلدا قال الرازى ومن الناس من قال المراد بأهل الذكر أهل
القرآن وهو بعيد لانهم كانوا طائفتين في القرآن وفي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فلما
تعلق كثير من الفقهاء بهذه الآية فى ان للعلماء ان يرجع الى فتيا العلماء وفى ان للمجتهد
ان يأخذ بقول مجتهد آخر بعيد لان هذه الآية خطاب مشافهة وهى واردة فى هذه
الواقعة الخاصة ومتعلقة باليهود والنصارى على التعيين انتهى وقد قدمنا فى سورة
النحل ان سياق هذه الآية الكريمة يفيد ان المراد بها السوال الخاص وبه يظهر لك ان
هذه الآية دليل الاتباع لا دليل التقليد فارجع اليه وقد أضحى الشوكاني هذا فى رسائل
بسيطة منها القول المفيد فى حكم التقليد وادب الطلب ومنتهى الارب وغيره فى

عباس سكنت وقال مجاهد طفت زناهم سعبا أى لهما
ووهجا وجرا كما قال قدوقوا فلن
نزيدكم الا عذابا (ذلك جزاؤهم بانهم
كفروا باياتنا وقالوا انذا كذا عظاما
ورفاتا اننا لمبعوثون خلقا جديدا
أولم يروا ان الله الذى خلق السموات
والارض قادر على ان يخلق مثلهم
وجعل لهم أجلا لا ريب فيه فأبى
الظالمون الا كفورا) يقول تعالى
هذا الذى جازيناهم به من البعث
على العمى والبكم والضم جزاؤهم
الذى يستحقونه لانهم كذبوا باياتنا
أى بأدلتنا وحجنا واستبعدوا وقوع
البعث وقالوا انذا كذا عظاما ورفاتا
أى بالية فخره اننا لمبعوثون خلقا
جديدا أى بعد ما صرنا الى ما صرنا
اليه من البلى والهلاك والتفريق
والذهاب فى الارض نعاد مرة ثانية
فاحتج تعالى عليهم ونبههم على قدرته
على ذلك بانه خلق السموات
والارض فقدرته على اعادتهم
أسهل من ذلك كما قال نخلق
السموات والارض أكبر من خلق
الناس وقال أولم يروا ان الله الذى
خلق السموات والارض ولم يعي

بخلقهن بقادر على ان يعي الموتى الآية وقال أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو غيرها
الخلق العظيم انما أمره اذا أراد شيئا ان يقول له كن فيكون الى آخر السورة وقال ههنا أولم يروا ان الله الذى خلق السموات والارض
قادر على ان يخلق مثلهم أى يوم القيامة بعيدا بدهم وينشئهم نشأة أخرى ويعيدهم كما بدأهم وقوله وجعل لهم أجلا لا ريب فيه أى
جعل لاعادتهم واقامتهم من قبورهم أجلا مضروبا ومدة مقدرة لا بد من انقضاءها كما قال تعالى وما نؤخره الا لاجل معدود وقوله فأبى
الظالمون أى بعد قيام الحجة عليهم الا كفورا الاعناديا فى باطلهم وضلالهم (قل لو أنتم تعلمون خزائن رحمة ربى اذا لامسكم

خشية الانفاق وكان الانسان قتيورا) يقول تعالى لرسوله صلوات الله وسلامه عليه قل لهم يا محمد لو أنكم أهملتم الناس فماتوا
 التصرف في خزائن الله لا تمسكم خشية الانفاق قال ابن عباس وقتادة أي لا تنفرون أي خشية ان تذهبوا مع انهم لا تنفرون ولا تنفرون
 ابد الا هذا من طبعكم وسجاياكم ولهذا قال وكان الانسان قتيورا قال ابن عباس وقتادة أي بخيلا منوعا وقال الله تعالى
 أم لهم نصيب من الملك فإذا يؤثون الناس نفيرا أي لو أن لهم نصيبا في ملك الله لما أعطوا احدا شيئا ولا مقدار تغير والله تعالى يصف
 الانسان من حيث هو الامن وفقه الله وهذه فان البخل والبخل (١١١) والهلع صفة له كما قال تعالى ان الانسان

خلق هلو اذ امسه الشر جزوا
 واذ امسه الخير منوعا الا المصلين
 ولهذا نظائر كثيرة في القرآن العزيز
 ويدل هذا على كرمه وجوده
 واحسانه وقد جاء في الصحيحين يد
 الله ملائكة لا يغضبها انفة معاء الليل
 والنهار رأيت ما تنفق منذ خلق
 السموات والارض فانه لا يغضب ما في
 يمينه (ولقد آتينا موسى تسع آيات
 بينات فاسأل بني اسرائيل اذ هم
 فقال له فرعون اني لا اظنك يا موسى
 مسحورا قال لقد علمت ما أنزل
 هؤلاء الارب السموات والارض
 بصائر وانى لا اظنك يا فرعون مسحورا
 فأراد أن يستفزهم من الارض
 فاغرقناه ومن معه جميعا وقلنا من
 بعده لبني اسرائيل اسكنوا الارض
 فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم
 لنفيها) يخبر تعالى انه بعث موسى
 بتسع آيات بينات وهي الدلائل
 القاطعة على صحة نبوته وصدقته فيما
 أخبر به عن إرساله الى فرعون وهي
 العصا واليد والسنين والبحر
 والطوفان والجراد والقمل
 والضفادع والدم آيات مفصلات
 قاله ابن عباس وقال محمد بن كعب

غير هائم لما فرغ سبحانه عن الجواب عن شبهتهم أكد كون الرسل من جنس البشر فقال
 (وما جعلناهم جسدا لآبأ أبأ كلون الطعام) أي ان الرسل أسوة لسائر أفراد بني آدم في
 حكم الطبيعة باكلون كالبشر وبشر بون كالبشر بون والجسد جسم الانسان والجنة
 والملائكة قال الزجاج هو واحد نبى عن جماعة أي وما جعلناهم ذوى أجساد غير
 طاعين (وما كانوا خالدين) بل يموتون كما يموت غيرهم من البشر في الدنيا وقد كانوا
 يعتقدون ان الرسل لا يموتون فاجاب الله عليهم بهذا (ثم صدقناهم الوعد) أي أوحينا
 اليهم ما أوحينا ثم أنجزنا وعدهم الذي وعدناهم بانجائهم واهلاك من كذبهم ولذا قال
 سبحانه (فانجيناهم ومن نشاء) من عبادنا المؤمنين الذين صدقوهم والمراد انجائهم من
 العذاب واهلاك من كذبوا بالعذاب الدنيوى (وأهلكنا المسرفين) أي المجاوزين للحد في
 الكفر والمعاصي وهم المشركون (لقد أنزلنا اليكم) يا معشر قريش (كتابا) عظيم
 الشأن نير البرهان يعنى القرآن (فيه ذكركم) كلام مستأنف مسوق لتحقيق حقيقة
 القرآن الذى ذكر في صدر السورة اعراضهم عما يأتى منهم والمراد بالذكر هنا الشرف أي
 فيه شرفكم قاله ابن عباس كقوله وانه لذكر لك ولقومك أي فيه ما يوجب الثناء عليكم
 لكونه بلسانكم نازلا بين أظهركم على لسان رسول منكم واشتماره سبب لاشتهاركم
 وجعل ذلك فيه مبالغة في سببته له وقيل أي ذكر أمر دينكم وأحكام شرعكم
 وما تصيرون اليه من ثواب أو عقاب وقيل فيه حديثكم فانه مجاهد والحسن وقيل مكالم
 أخلاقكم وقيل صيتكم وقيل فيه تذكرة لكم لتحذروا فيكون الذكر بمعنى الوعد
 والوعيد وقيل فيه موعظتكم قال أبو السعود وهو الانسب بسياق النظم الكريم
 ومساقه فان قوله (أفلا تعقلون) انكار توخي فيه بعث لهم على التدبر في أمر
 الكتاب والتأمل في انفا فيه من فنون المواعظ والزواجر التي من جملتها القوارع
 السابقة واللاحقة والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام أي الاتفة بذكر
 فلا تعقلون ان الامر كذلك ولا تعقلون شيئا من الاشياء التي من جملتها ما ذكرتم أو عدهم
 وحذرهم ما جرى على الامم المكذبة فقال (وكم قصصنا من قرية كانت ظالمة) كم هي
 الخيرية المفيدة للتكثير والتقصم كسر الشئ ودقه يقال قصمت ظهر فلان اذا كسرت
 واقصمت سنه اذا انكسرت والمعنى هنا الاهلاك والعذاب وأما التقصم بالفاء فهو

هي اليد والعصا والحسن في الاعراف والطمس والجحر وقال ابن عباس أيضا ومجاهد وعكرمة والشعبي وقتادة هي يده وعصاه
 والسنين ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وهذا القول ظاهر جلي حسن قوى وجعل الحسن البصري
 السنين ونقص الثمرات واحدة وعنده ان التاسعة هي تلقف العصا ما يافكون فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين أي ومع هذه الآيات
 ومشاهدتهم لها كفروا بها وحمدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا ما نجيحت فيهم فكذلك لأجبنها هؤلاء الذين سألوهم ان
 ما سألوا وقالوا ان نؤمن لك حتى تنفخ لنا من الارض ينبوعا الى آخرها لما استجابوا ولا آمنوا الا ان يشاء الله كما قال فرعون لموسى

وقد شاهد منه ما شاهد من هذه الآيات قال اني لا ظنك يا موسى مسحور اقبل بعني ساحر والله تعالى أعلم فهذه الآيات التسع التي ذكرها هؤلاء الأئمة هي المراد ههنا وهي المعنية في قوله تعالى وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولي مدبرا ولم يعقب يا موسى لا تخف الى قوله في تسع آيات الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين فذكرها بين الآيتين العصا واليد وبين الآيات الباقيات في سورة الاعراف وفصلها وقد أوفى موسى عليه السلام آيات أخر كثيرة منها ضرب الحجر بالعصا وخرج الماء منه ومنها تظليلهم بالغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك مما أوفى به بنو اسرائيل بعد منارقتهم ببلاد مصر ولكن ذكر

ههنا التسع الآيات التي شاهدناها فرعون وقومه من أهل مصر فكانت حجة عليهم فخالفوها وعاندوها وكفروا وجمودا فأما الحديث الذي رواه الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا شعبة عن عمرو ابن مرة قال سمعت عبد الله بن سلمة يحدث عن صفوان بن عسال المرادي رضى الله عنه قال قال يهودى لصاحبه اذهب بنا الى هذا النبي حتى نسأله عن هذه الآية ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فقال لا تقبل له نبي قالوا لو علمك اصارت له أربع أعين فساء لآله فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تنسروا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الابالحق ولا تسحرروا ولا تأكلوا الربا ولا تمشوا بيريء الى ذى سلطان ليقتله ولا تقذفوا حصنة أو قال لا تفروا من الزحف شعبة الشاك وأتمم ياهود عليكم خاصة أن لا تعدوا في السبت فقبل يديه ورجليه وقال انشهد أنك نبي قال فاجتمعوا ان تبعاني قال لان داود عليه السلام دعا ان لا يزال من ذرية نبي وانما نخشى ان ائلمنا

الصدق في الشيء من غير بينة أي وكم قصصنا من أهل قرية كانوا ظالمين أي كافرين بالله مكذبين بآياته والظلم في الأصل وضع الشيء في غير موضعه وهم وضعوا الكفر في موضع الايمان قال ابن عباس بعث الله نبيا من جبريل يقال له شعيب فوثب اليه عبد فضر به بعصا فسار اليهم بختنصر فقاتلهم فقتلهم ثم حتى لم يبق منهم شيء وفيهم انزل الله وكم قصصنا الى قوله خامدين وعن الكلبي في الآية قال هي حضور (أ) بنى ازد باليمن فيكون التكثير باعتبار افراد تلك القرية (وأنشأنا بعدها) أي أوجدنا وأوجدنا بعد اهلاك أهلها (قوما آخرين) ليسوا منهم (فلما أحسوا بأسنا) أي أدركوا وشعروا وأرأوا عذابنا بحاسة البصر وقال الاخفش خافوا ووقعوا وبالأس العذاب الشديد (إذا هم منها يركضون) أي يسرعون هاربين ويهربون مسرعين من قريتهم لما رأوا مقدمة العذاب أو من بأسنا لأنه في معنى النعمة والباس فأنشأنا القصة بمرجلا على المعنى ومن على الاول لابتداء الغاية وللتعليل على الثاني والركض الفرار والهرب والانهمزام وأصله من ركض الرجل الدابة برجليه يقال ركض الفرس اذا كده بساقيه ثم كثر حتى قيل ركض الفرس اذا عدا ومنه اركض برجلك والمعنى انهم يهربون منها ركا كضين دوابهم ثم فقيل لهم (لا تركضوا) أي لا تهربوا قيل ان الملائكة نادتهم بذلك عند فرارهم وقيل ان القائل لهم ذلك من هنالك من المؤمنين استهزأ بهم وسخرية منهم (وارجعوا الى ما أنتم فتم) يعني ما أنتم فتم (فيه) من الدنيا ولين العيش يعني الى نعمكم التي كانت سبب بطركم وكفركم والمترف المنعم يقال أنترف فلان أي وسع عليه في معاشه وقل فيدهم وقال سعيد بن جبيرة رجعوا الى دوركم وأموالكم (ومساكنكم) التي تسكنونها وتفخرون بها (اعلمكم تسألون) أي تقصدون للسؤال والتشاور والتدبير في المهمات وهذا على طريقة التكميم والتوبيخ لهم وقيل المعنى لعلمكم تسألون عما نزل بكم وجرى عليكم من العقوبة فتخبرون السائل عن علم ومشاهدة وقيل لعلمكم تسألون أن تؤمنوا كما كنتم تسألون ذلك قبل نزول العذاب بكم أو تسألون شيئا من دنياكم على العادة فتعطون من شئتم وتمنعون من شئتم فانكم أهل نعمة وثرة وهذا كله توبيخ وتكميم بهم وقيل غير ذلك قال المفسرون وأهل الاخبار ان المراد بهذه الآية أهل حضور من اليمن وكان أهلها عبرا وكان الله سبحانه قد بعث اليهم نبيا اسمه شعيب بن مدهم وقبره بجبل من

ان تقبلناهم وقد فهذا الحديث رواه هكذا الترمذي والنسائي وابن ماجه وابن جرير في تفسيره من طرق عن جبال شعبة بن الجراحه وقال الترمذي حسن صحيح وهو حديث مشكل وعبد الله بن سلمة في حفظه شيء وقد تكلموا فيه ولعله اشتبه عليه التسع الآيات بالعشر الكلمات فانها اوصايف في التوراة لا تعلق لها بقيام الحجة على فرعون والله أعلم ولهذا قال موسى لفرعون لقد علمت ما أنزل هؤلاء الارب السموات والارض بصائر أي حجج وأدلة على صدق ما جئتكم به وانى لا ظنك يا فرعون مشهور رأى هالكا قاله مجاهد وقتادة وقال ابن عباس ملعونا وقال أيضا هو الضحالك مشهور رأى مغلوبا والهالك كما قال مجاهد يشمل هذا كله (أ) حضور بن شكور قرية كانت باليمن اه خازن

قال عبد الله بن الزبير إذا جاز الشيطان في سنن الغنى ومن مال مبله مشبور بمعنى هالك وقرأ بعضهم برفع التاء من قوله علمت وروى ذلك عن علي بن أبي طالب ولكن قراءة الجمهور بفتح التاء على الخطاب لفرعون كما قال تعالى فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين ووجدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا الآية فهذا كله مما يدل على أن المراد بالتسع الآيات أن ما هي مائة تقدم ذكره من العصا واليد والسنين ونقص من الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم التي فيها حجج وبراهين على فرعون وقومه وخوارق ودلائل على صدق موسى (١١٣) ووجود الفاعل المختار الذي أرسله وليس المراد منها كما ورد في هذا الحديث

فان هذه الوصايا ليس فيها حجج على فرعون وقومه وأي مناسبة بين هذا وبين إقامة البراهين على فرعون وما جاءهم هذا الوهم الامن قبل عبد الله بن سلمة فان له بعض ما ينكر والله أعلم ولعل ذلك اليهوديين انما سألا عن العشر الكلمات فاشتبه على الراوي بالتسع الآيات فحصل وهم في ذلك والله أعلم وقوله فاراد أن يستفزه من الارض أي يجلبهم منها ويرزقهم عنها فاعرقناه ومن معه جميعا وقتلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الارض وفي هذا بشارة لمحمد صلى الله عليه وسلم بفتح مكة مع أن السورة مكية نزلت قبل الهجرة وكذلك وقع فان أهل مكة هموا باخراج الرسول منها كما قال تعالى وان كادوا ليسفتنوك من الارض ليخرجوك منها الا يتبين ولهذا أورد الله رسوله مكة فدخلها عنوة على أشهر القولين وقهر أهلها ثم أطلقهم حلالا وكرما كما أورد الله القوم الذين كانوا يستضعفون من بني اسرائيل مشارق الارض ومغاربها وأورثهم

جبال اليمن يقال له صنين ويصنعون بين حضور نخور يدقوا وليس هو شعيبا صاحب مدين قات وآثار القبر يجبل صنين موجودة والعامية من أهل تلك الساحة يزعمون انه قبر قدم بن قادم فلما كذبوه وقتلوه اتبعهم بختنصر وأخذتهم السيوف ونادى مناد من جو السماء يا لئارات الانبياء فلما رأوا ذلك أقروا بالذنب حين لم ينفعهم و(قالوا) لما قالت لهم الملائكة لا تركضوا (يا ويلنا) أي ياهلا كلا (انا كاذبا المين) لانفسنا مستوحشين العذاب بما قدمنا فاعترفوا على أنفسهم بأنهم الموجب للعذاب وقالوا ذلك على سبيل التذمة ولم ينفعهم الندم (فما زالت تلك) أي هذه الجملة والكلمة (دعواهم) هي قولهم يا ويلنا أي يدعونهم او يرددونها (حتى جعلناهم حصيدا) بالسيوف كما يحصد الزرع بالمخبل والحصيد هنا بمعنى الحصيد ومعنى (خامدين) انهم ميتون من خدث النار وهمدت اذ طغنت فشمه خود الحياة بخمود النار كما يقال لمن مات قد طغى والحدود عبارة عن سكوت لهم لمع بقاء الحر والهمود عبارة عن ذهابها بالكيفية حتى تصير رمادا فالاحسن أن يكون المراد بالحدود هنا الهمود فانه أبلغ معنى والمعنى جعلناهم جامعين لماثلة الحصاد والحدود كقولك جعلته حلالا حاصدا أي جعلته جامعا للطعامين قال مجاهد بالسيف ضرب الملائكة وجوههم حتى رجعوا الى مساكنهم أخرج ابن أبي حاتم عن ابن وهب قال حدثني رجل من الجزريين قال كان باليمن قرية يقال لاحدا هم ما حضروا ولا اخرى فلا يبقطروا وأترقوا حتى ما كانوا يغلقون أبوابهم فلما أترقوا بعث الله اليهم نبيا فدعاهم فقتلوه فالتى الله في قلبه بختنصر أن يغزوهم فجوزهم جيشا فقتلهم فجزموا جيشه فرجعوا منهزمين فججز الله جيشا آخر أكثف من الاول فجزمهم أيضا فلما رأى بختنصر غزاهم هو بنفسه فقتلهم حتى خرجوا منه ايركضون فسمعوا مناديا يقول لا تركضوا وارجعوا الى ما اترقت فيه ومساكنكم فرجعوا فسمعوا صوت مناد يقول يا لئارات النبي فقتلوا بالسيف فهي التي قال الله وكم قصه من قرية الى قوله خامدين قلت وقرى حضوره معرفة الا أن بينهما وبين مدينة صنعاء نخور يدق جهة الغرب منها (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما الا عين) أي لم نخلقها مع عبث ولا باطلا بل للتنبيه على ان لها خالقا قادرا يجب امتثال أمره واللعب هو محط التنقي وفيه اشارة اجمالية الى تكوين العالم والمراد بينهما سائر الخلق لوفات الكائنة بين السماء والارض على اختلاف أنواعها وتباين أجناسها

(١٥ - فتح البيان سادس) بلاد فرعون وأموالهم وزروعهم ونمازهم وكنوزهم كما قال كذلك وأورثنا بني اسرائيل وقال ههنا وقتلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لقينا أي جميعكم انتم وعدوكم قال ابن عباس ومجاهد وقادة الضحالك لقينا أي جميعا (وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا وقرأنا فرقاننا لقراء على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا) يقول تعالى مخبرا عن كتابه العزيز وهو القرآن المجيد انه بالحق نزل أي متضمنا للحق كما قال تعالى لكن الله يشهد بما أنزل اليك انه ليعلمه والملائكة يشهدون أي متضمنا علم الله الذي أراد ان يطلعكم عليه من احكامه وأمره ونهيه

وقوله وبالحق نزل أى وصل اليك يا محمد محفوظا محروسا لم يشب بغيره ولا زيد فيه ولا نقص منه بل وصل اليك بالحق فانه نزل به شديد القوى الامين المكين المطاع فى الملا الاعلى وقوله وما أرسلك أى يا محمد الامبشر اوندرا مبشر المن أطاعك من المؤمنين ونذيرا لمن عصاك من الكافرين وقوله وقرأنا فرقناه ما أقرأه من قرأ بالتخفيف فبعنا فصلناه من اللوح المحفوظ الى بيت العزة من السماء الدنيا ثم نزل مفرقا منجما على الوقائع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثلاث وعشرين سنة قاله عكرمة عن ابن عباس وعن ابن عباس أيضا انه قرأ فرقناه بالتشديد أى أنزلناه آية آية مبینا مفسرا ولهذا قال لتقرأه على الناس (١١٤)

أى لتبلغه الناس وتتلوه عليهم اى
على مكث اى مهل وزلناه تنزيلا
أى شيا بعد شئ (قل آمنوا به
أولا تؤمنوا الذين أتوا العلم من
قبله اذ يتلى عليهم يخرون للاذقان
سجدا ويقولون سبحان ربنا ان
كان وعد ربنا لمنعولا ويخرون
للاذقان بيبكون ويريدهم خشوعا)
يقول تعالى انبيه محمد صلى الله
عليه وسلم قل يا محمد اهؤلاء الكافرين
بما جئتهم من هذا القرآن العظيم
آمنوا به أولا تؤمنوا فهو حق فى
نفسه اى سواء آمنتم به أم لا أنزل الله
ونوه بذكره فى سالف الازمان فى
كتبه المنزلة على رسله ولهذا قال
ان الذين أتوا العلم من قبله اى من
صالحى أهل الكتاب الذين تمسكوا
بكتابهم وبقيونه ولم يبدلوه ولا حرفوه
اذ يتلى عليهم هذا القرآن يخرون
للاذقان جمع ذقن وشوا سفلى الوجه
سجدا اى لله عز وجل شكر اعلى
ما أنعم به عليهم من جعله اياهم أهلا
ان أدركوا هذا الرسول الذى أنزل
عليه هذا الكتاب ولهذا يقولون
سبحان ربنا اى تعظيما وتوقيرا على
قدرته التامة وانه لا يختلف المعاد

والمعنى ماسو يناهذ السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من العجائب للعب
واللهو وانما سوبناهما النوائد منها التفكير في خلقهما وما فيهما من المنافع التي لا تعد
ولا تحصى وليستدل بهما على قدره مدبرها وانجازي المحسن والمسي على ما تقتضيه حكمتنا
واللعب فعل ير وق أوله ولا ثبات له ثم زهذاه عن سمات النقص فقال (لو أردنا أن نتخذ
اللهو وما يتلوه به نقول أهل نجد للهوت عنه ألهو لها والاصل لهوى من باب تعد على
فعل وأهل العالمية لهيت عنه ألهي من باب تعب ومعناه السلوان والتروك ولهوت به لها
من باب قتل أو لعبت به وتلهيت به أيضا قال الطرطوشي وأصل اللهو الترويح عن النفس
بما لا تقتضيه الحكمة وألهاني الشيء بالالف شغلني قيل اللهو هنا الزوجية والولد وقيل
الزوجة فقط وقيل الولد فقط قال الجوهرى قد يكتنى باللهو عن الجماع ومنه قول الشاعر
* وفيه من ملهى للصديق ومنظر * والجملة مستأنفة لتقرير مضمون ما قبلها وجواب
لوقوله (لا نتخذناه من لدنا) أى من عندنا ومن جهة قدرتنا لا من عندكم ويستثنى نقيض
التالى لينتج نقيض المقدم قال المفسرون أى من الولدان أو الحور العين أو الملائكة
وفى هذا رد على من قال باضافة صاحبة الولد الى الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا وقيل
أراد الرد على من قال الاصنام أو الملائكة بنات الله وقال ابن قتيبة الآية رد على النصارى
(ان تكافعلين) قال الفراء والمبرد والزجاج يجوز أن تكون ان للني كاذ كره المفسرون
أى ما فعلنا ذلك ولم نتخذ صاحبة ولا ولدا ويجوز أن تكون للشرط أى ان كائنا بفعل
ذلك لا نتخذناه من لدنا قال الفراء وهذا أشبه الوجهين بذهب العربية (بل نقدق بالحق
على الباطل) هذا انشراح عن اتخاذ اللهو أى دع ذلك الذى قالوا فانه كذب وباطل بل شأننا
أن نرمي بالحق على الباطل وبالايمان على الكفر وقيل الحق قول لا اله الا الله وانه لا ولد له
والباطل قولهم اتخذ الله ولدا (فيدمغه) أى يقهره ويهلكه وأصل الدمغ شق الرأس حتى
يباغ الدماغ ومنه الدامغة قال الزجاج المعنى يذهب ذهاب الصغار والاذلال وذلك ان أصله
اصابة الدماغ بالضرب قيل أراد بالحق الحق وبالباطل الشبهة وقيل الحق المواعظ والباطل
المعاصى وقيل الباطل الشيطان وقيل كذبهم ووصفهم الله سبحانه بغير صفاته
(فأذا هو زاهق) أى زائل ذاهب وقيل هالك تالف والمعنى متقارب واذا هى النجاسة
(ولكم الويل) يا معشر الكفار (مما تصفون) أى لكم العذاب فى الآخرة بسبب

الذي وعدهم على السنة الانبياء المتقدمين عن بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ولهذا قالوا سبحان ربنا ان وصفكم كان وعد ربنا المنعولا وقوله ويجرون للادقان يبكون أى خضوعا لله عز وجل وايمانوا وتصديقا بكتابه ورسوله ويزيدهم خشوعا أى ايمانوا وتسليما كما قال والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم وقوله ويجرون عطف صفة على صفة لا عطف السجود على السجود كما قال الشاعر الى الملائك القرم وابن الهمام وليث الكنيبة في المزدحم (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن اياما تدعوا لله الاسماء الحسنى ولا يجهر بصلاة ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم

يكن له ولي من الدن وكبره تكبيرا) يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المشركين المنكرين صفة الرحمة لله عز وجل المانعين من تسميته بالرحن ادعوا الله أو ادعوا الرحمن إياما تدعوا فله الاسماء الحسنى أى لا فرق بين دعائكم له باسم الله أو باسم الرحمن فإنه ذو الاسماء الحسنى كما قال تعالى هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم الى ان قال له الاسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والارض الآية وقد روى مكحول ان رجلا من المشركين سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول فى سجوده يا رحمن يا رحيم فقال انى يزعم أنه يدعو او احدا وهو يدعوا اثنين (١١٥) فانزل الله هذه الآية وكذا روى عن

ابن عباس رواهما ابن جرير وقوله ولا تجهر بصلاتك الآية قال الامام أحمد حدثنا هشيم حدثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية ورسول الله صلى الله عليه وسلم متواركة ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال كان اذا صلى باصحابه رفع صوته بالقرآن فلما سمع ذلك المشركون سبوا القرآن وسبوا من أنزله ومن جاء به قال فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تجهر بصلاتك أى بقراءة تسمع المشركون فيسبون القرآن ولا تخافت بها عن أصحابك فلا تسمعهم القرآن حتى يأخذوه عنك وابغ بين ذلك سيلا أخرجه فى الصحيحين من حديث أبي بشر جعفر بن ياس به وكذا روى الضحاك عن ابن عباس وزاد فلما هاجر الى المدينة سقط ذلك بفعل أى ذلك شاء وقال محمد بن اسحق حدثني داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جهر بالقرآن وهو يصلى تفرقوا عنه وأبوا أن يسموا منه فكان

وصفكم لله بما لا يجوز عليه من الصاحبة والولد وقيل الويل وادى جهنم وهو وعيد لقريش بأن لهم من العذاب مثل الذى لأولئك ومن هى التعليمية وهذا وجه وجيه وما مصدرية أو موصولة أو مكرمة موصوفة (وله من فى السموات والارض) عبيدا وملكا وهو خالقهم ورازقهم ومالكهم والمنعم عليهم باصناف النعم فكيف يجوز أن يكون بعض مخلوقاته يشركه بعبادته وهذه الجملة مستأنفة مقررة لما قبلها (ومن عنده) يعنى الملائكة وفيه رد على القائلين بأن الملائكة نباتات الله وفى التعبير عنهم بكونهم عنده اثر ما عبر عنهم فى السموات إشارة الى تشریفهم وكرامتهم ومزيد الاعتناء بهم وانهم عنده بمنزلة المقرئين عند الملوك قال أبو السعود بطريق التثنية وأقول أبابيل بطريق التحقيق كما هو ظاهر النظم القرآنى ثم وصفهم بقوله (لا يستكبرون) أى لا يتعظمون ولا يأنفون (عن عبادة) سبحانه والتذلل له (ولا يستكسرون) أى لا يعيون ولا يتعجبون مأخوذ من الحسيرة وهو البعير المنقطع بالاعياء والتعب يقال حسر البعير يحسرس حسورا أعى وكل واستحسر وتحسرس مثله وحسرة أنا حسرا يتعدى ولا يتعدى قال أبو زيد لا يكون وقال ابن الاعراب لا يفسلون وقال ابن عباس لا يرجعون قال الزجاج معنى الآية أن هؤلاء الذين ذكرتهم أنهم أولاد الله عباد الله لا يأنفون عن عبادة ولا يتعظمون عنها كقوله ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادة وقيل المعنى لا ينقطعون عن عبادة وهذه المعانى متقاربة (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) أى ينزهون الله سبحانه دائما لا يضعفون عن ذلك ولا يسأمون وقيل يصلون الليل والنهار قال الزجاج مجرى التسبيح منهم كجبرى النفس مثلا لا يشغلنا عن النفس شئ فكذلك تسبيحهم دائماً ضرورى فيهم سجية وطبيعة وهذه الجملة امام مستأنفة وقع جوابا عما قبلها أو حالية (أم اتخذوا آلهة من الارض) قال المنفلوط مقصود هذا الاستفهام الجحد أى لم اتخذوا آلهة تقدر على الاحياء والايجاد من العدم وأهى المنقطعة والهمزة لانكار الوقوع قال المبردان أم هنا بمعنى هل أى هل اتخذ هؤلاء المشركون آلهة من الارض يحيمون الموتى ولا يكون أم هنا بمعنى بل لان ذلك لا يجوز لهم انشاء الموتى الان بقدر أنهم مع الاستفهام فتكون أم المنقطعة فيصح المعنى (هم ينشرون) أى يبعثون الموتى والجملة مستأنفة أو صفة لآلهة وهذه الجملة هى التى يدور عليها الانكار والتجھيل لانفس الاتخاذ فانه واقع منهم لالحالة

الرجل اذا اراد ان يسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض ما يتلو وهو يصلى استرق السمع دونهم فراق منهم فاذا رأى انهم قد عرفوا انه يستمع ذهب خشية أذاهم فلم يسمع فان خفض صوته صلى الله عليه وسلم لم يسمع الذين يستمعون من قراءته شياً فانزل الله ولا تجهر بصلاتك فيتفرقوا عندك ولا تخافت بها فلا يسمع من اراد ان يسمع ثم يسترق ذلك منهم فلعنه روى الى بعض ما يسمع فينتقع به وابغ بين ذلك سيلا وهكذا قال عكرمة والحسن البصرى وقادة نزلت هذه الآية فى قراءة فى الصلاة وقال شعبة عن ابن أبي سليم عن الاسود بن هلال عن ابن مسعود ولم يخافت بها من أسمع أذنيه قال ابن جرير حدثكم يعقوب حدثنا ابن علية عن

سلمة بن علقمة عن محمد بن سيرين قال ثبت أن أبا بكر كان إذا صلى فقرأ أخفض صوته وإن عمر كان يرفع صوته فقل لابي بكر لم تصنع هذا قال أنا جريبي عز وجل وقد علم حاجتي فقل أحسنت وقيل لعمر لم تصنع هذا قال أطرط الشيطان وأوقف الوسنان قيل أحسنت فلما نزلت ولا تجهر بصلواتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا فقل لابي بكر ارفع شيئاً وقيل لعمر أخفض شيئاً وقال أشعث بن سوار عن عكرمة عن ابن عباس نزلت في الدعاء وهكذا روى الثوري ومالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أنها نزلت في الدعاء وكذا قال مجاهد (١١٦) وسعيد بن جبيرة وأبو عياض ومكحول وعروة بن الزبير وقال الثوري عن

ابن عباس العامري عن عبد الله بن شداد قال كان اعرابي من بني تميم إذا سلم النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم ارزقني ابلا وولدا قال فزلت هذه الآية ولا تجهر بصلواتك ولا تخافت بها (قول آخر) قال ابن جرير حدثنا أبو السائب حدثنا حنص بن غياث عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها نزلت هذه الآية في التشهد ولا تجهر بصلواتك ولا تخافت بها وبه قال حفص عن أشعث بن سوار عن محمد بن سيرين مثله قول آخر قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ولا تجهر بصلواتك ولا تخافت بها قال لاتصل مرا آة للناس ولا تدعها مخافة الناس وقال الثوري عن منصور عن الحسن البصري ولا تجهر بصلواتك ولا تخافت بها قال لا تحسن علانيتهما وتسي سريرتهما وكذا رواه عن عبد الرزاق عن معمر عن الحسن به وهشام عن عوف عنه به وسعيد عن قتادة عنه كذلك قول آخر قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله وابتغ بين ذلك سبيلا قال أهل الكتاب يخافتون ثم يجهر أحداهم بالحرف

والمعنى بل اتخذوا آلهة من الأرض هم خاصة مع حقارتهم ينشرون الموتى وليس الأمر كذلك فإن ما اتخذوها آلهة بعزل عن ذلك وقري ينشرون من أنشره أي أحياءه وقري بفتح الباء أي يحبون ولا يموتون ثم إن الله سبحانه أقام البرهان على بطلان تعدد الآلهة فقال (لو كان فيهما آلهة إلا الله) أي لو كان في السموات والأرض آلهة معبودون غير الله والجمع ليس قيدا وانما عبر به مشاكلة لقوله أم اتخذوا آلهة وكذلك قوله فيهم ما ليس قيدا وانما عبر به لأن هذا دليل اقناعي بحسب ما ينهيه مخاطب وبحسب ما فرط منهم وهم انما اتخذوا آلهة في الأرض والسماء لا فيهما كلاهما كالملائكة الخافين من حول العرش قاله الحنفياوى والصحيح أن الآية حجة قطعية الدلالة والقول بانهم بحاجة اقناعية قول منكسر بشع أي انكار وابشاع (الفسدتا) أي لبطلتا يعني السموات والأرض بما فيهما من المخلوقات وخرجاتها عن نظامها المشاهد وهلك من فيها الموجودات فانع من الآلهة على العادة عند تعدد الحاكم من التماثل في الشيء وعدم الاتفاق عليه لأن كل أمر صدر عن الاثنين فاكثرت يجر على النظام ويدل العقل على ذلك وذلك أن لو قدرنا الهين لكان أحدهما إذا انفرد صرح منه تحريك الجسم وإذا انفرد الثاني صرح منه تسكينه فإذا اجتمعا وجب أن يبقيا على ما كانا عليه حال الانفرد فعند الاجتماع يصح أن يحاول أحدهما التحريك والآخر التسكين فاما أن يحصل المراد وهو محال واما أن يتشعرا وهو أيضا محال لأنه يكون لكل واحد منهما عاجزا فثبت أن القول بوجود الهين يوجب الفساد فكان القول به باطلا قاله الكرخي أقول الأدلة القرآنية والحجج الفرقانية الدالة على توحيده الله تعالى تغني عن البراهين الكلامية والمسائل العقلية الفلسفية في هذا المرام وليس وراء بيان الله ببيان ودونه خطر القتاد قال الرازي القول بوجود الهين يفضي الى المحال ثم ذكر دلائل ذلك وهذه حجة تامة في مسئلة التوحيد والفساد لازم على كل التقديرات التي قدروها وإذا وقفت على هذه عرف أن جميع ما في العالم العلوي والسفلي من المحدثات والمخلوقات فهو دليل على وحدانية الله تعالى وأما الدلائل السمعية على الوحدة انية فكثيرة في القرآن وكل من طعن في دلالة التماثل فسر الآية بأن المراد لو كان في السماء والأرض آلهة يقول بالهيتها عبدة الاصنام لزم فساد العالم لانها اجادات لا تقدر على تدبير العالم فلزم فساد العالم قالوا وهذا أولى لأنه تعالى حكى عنهم في قوله أم اتخذوا

آلهة

فيصبح به و يصحون به ورأه فيها ان يصيح كما يصح هؤلاء وان يخافت كما يخافت القوم ثم كان

السبيل الذي بين ذلك الذي سن له جبرائيل من الصلاة وقوله وقال الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الما ثبت تعالى لنفسه الكبرية الاسماء الحسنى نزه نفسه عن النقائص فقال وقال الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك بل هو الله الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ولم يكن له ولي من الدال أي ليس بذليل فيحتاج الى أن يكون له ولي أو وزير أو مشير بل هو تعالى خالق الاشياء وحده لا شريك له ومديرها ومقدرها بعيشته وحده لا شريك له قال مجاهد في قوله ولم يكن له ولي من الدال لم يخالف أحدا ولم يتبع

نصر أحد وكبره تكبيرا أى عظمه وأجله عما يقول الظالمون المعتدون علوا كبيرا قال ابن جرير حدثني يونس أننا ناوهب أخبرني أبو صخر عن القرظي أنه كان يقول في هذه الآية الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الآية قال ان اليهود والنصارى قالوا اتخذ الله ولدا وقالت العرب لبنيك لا شريك لك الا شريكها هو لك تملكه وما ملك وقال الصابئون والمجوس لولاء الله لذل فانزل الله هذه الآية وقال الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدن ولا وكبره تكبيرا وقال أيضا حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم أهل هذه (١١٧) الآية الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الآية

الصغير من أهل والكبير قلت وقد جاء في حديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمى هذه الآية آية العزوف في بعض الآثار أنها ما قرئت في بيت في ليلة فيصيبه سرق أو آفة والله أعلم وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا بشر بن نخعان البصري حدثنا حرب بن ميمون حدثنا موسى بن عبيدة الزبيدي عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة قال خرجت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم وبه في يدي أويدي في يده فأتى على رجل رث الهيمته فقال أي فلان ما بلغ بك ما أرى قال السقم والضر يا رسول الله قال ألا أعلمك كلمات تذهب عنك السقم والضر قال بلى ما يسرنى ان شهدت به سامعك بدرا أو احدا قال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال وهل يدرك أهل بدر وأهل أحد ما يدرك النقيير القانع قال فقال أبو هريرة يا رسول الله اياي فعلمني قال فقل يا أبا هريرة توكلت على الحي الذي لا يعوت الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدن ولا وكبره تكبيرا قال فأتى على رسول الله وقد حسنت حالي قال

آلهة من الأرض هم ينشرون ثم ذكر الدلالة على فساد هذا فوجب ان يختص الدليل به قال علي القاري واما قول التفتازاني الآية حجة اقتناعية فالحقه قنون كالغزالي وابن الهمام ما قنعوا بالاقتناعية بل جعلوها من الحقائق القطعية بل قيل يكفر قائلها انتهى قال الكسائي وسيمويه والاخفش والزجاج وجهور النخاعة ان الاهنا ليست للاستثناء بل بمعنى غير صفة للآلهة ولأن ارتفع الاسم الذي بعدهما وظهر فيه اعراب غير التي جاءت الا بعينها وقال الفراء ان الاهنا بمعنى سوى ووجه الفساد ان كون الله آخر مع الله يستلزم أن يكون كل واحد منهما قادرا على الاستبداد بالتصرف فيقع عند ذلك التنازع والاختلاف ويحدث بسببه الفساد (فسبحان الله رب العرش عما يصفون) الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ثبوت الوحدة بالبرهان أى تنزه عز وجل عما لا يليق به من ثبوت الشريك له وفيه ارشاد للعباد أن ينزهوا الرب سبحانه عما لا يليق به (لا يستل عما يفعل) مستأنفة مبنية انه سبحانه لقوة سلطانه وعظيم جلاله لا يسأل له أحد من خلقه عن شئ من قضائه وقدره من اعزاز واذلال واسعاد واشقاء لانه الرب المالك للأعناق (وهم) أى العباد (يستلون) عما يفعلون سؤال توبيخ وتقرير يقال لهم يوم القيامة لم فعلمتم كذا وكذا لانهم عبيد يجب عليهم امتثال أمر مولاهم والله تعالى ليس فوقه أحد يقول له لشيء فعله لم فعلته وقيل ان المعنى انه سبحانه لا يؤاخذ على أفعاله وهم يؤاخذون قيل والمراد بذلك انه سبحانه بين عبادته ان من يستل عن أعماله كالمسيح والملائكة لا يصلح ان يكون الها قال ابن عباس ما في الأرض قوم أبغض الى من القدرة وما ذاك الا أنهم لم يعلمون قدرة الله قال الله لا يستل عما يفعل وهم يستلون (أم اتخذوا من دونه آلهة) أم بمعنى بل وفيه اضرب وانتقال من اظهار بطلان كونها آلهة بالبرهان السابق الى اظهار بطلان اتخاذها آلهة مع توبيخهم بطلب البرهان منهم ولهذا قال (قل ها توأبرهانكم) على دعوى انها آلهة وأعلى جواز اتخاذ آلهة سوى الله ولا سبيل لهم الى شئ من ذلك لان عقل ولا نفق لان دليل العقل قد مر بيانه وأما دليل النقل فقد أشار اليه بقوله (هذا ذكر من معي وذكري من قبلي) أى هذا الوحى الوارد في شأن التوحيد المتضمن للبرهان القاطع ذكر أمتى وذكر الأمم السالفة وقد أقتنه علمكم وأوضحته لكم فاقبوا أنتم برهانكم وقيل المعنى هذا القرآن وهذه الكتب التي أنزلت قبلي فأنظر واهل في واحد منها ان الله أمر

فقال لي مهيم قال قلت يا رسول الله لم أنزل أقول الكلمات التي علمتني اسناده ضعيف وفي متنه نكارة والله أعلم (آخر تفسير سورة سبحان ولله الحمد والمنة) (تفسير سورة الكهف وهي مكية) * ذكر ما ورد في فضلها والعشر الآيات من أولها وآخرها وانها عصمة من الدجال قال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي اسحق قال سمعت البراء يقول قرأ رجل الكهف وفي الدار دابة فجعلت تنفر فنظر فاذا ضباب أو سحابة قد غشيت فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال اقرأ فلان فانها السكينة تنزل عند القرآن وتنزل في القرآن أخرجه في الصحيحين من حديث شعبة به وهذا الرجل الذي كان يلوها هو أسيد بن

الحضر كما تقدم في تفسير البقرة وقال الامام أحمد حدثنا يزيد أخبرنا هشام بن يحيى عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلمة عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال رواه مسلم وأبو داود والنسائي والترمذي من حديث قتادة به ولنظ الترمذي من حفظ ثلاث آيات من أول الكهف وقال حسن صحيح طريق آخر قال الامام أحمد حدثنا جراح حدثنا شعبة عن قتادة سمعت سالم بن أبي الجعد يحدث عن معدان عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ العشر (١١٨) الاوخر من سورة الكهف عصم من فتنة الدجال ورواه مسلم

أيضا والنسائي من حديث قتادة به وفي لفظ النسائي من قرأ عشر آيات من الكهف فذكره حديث آخر وقد رواه النسائي في اليوم والليله عن محمد بن عبد الأعلى عن خالد عن شعبة عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن ثوبان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ العشر الاوخر من سورة الكهف فانه عصمته من الدجال فيحتمل ان سالم سمعه من ثوبان ومن أبي الدرداء وقال أحمد حدثنا حسين حدثنا ابن لهيعة حدثنا زيان بن قائد عن سهل بن معاذ بن أنس الجعفي عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ أول سورة الكهف وآخرها كانت له نور من قدمه الى رأسه ومن قرأها كلها صار له نور ما بين السماء والارض انفرد به أحمد ولم يخرجوه وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره باسناد له غريب عن خالد بن سعيد بن أبي مريم عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة سطع له نور من تحت قدمه الى عنان

باتخاذ له سواه قال الزجاج قيل لهم هاتوا برهانكم بان رسولا من الرسل أنبأ أمته بان لهم الها غير الله فهل في ذلك من معي وذكر من قبلي الا توحيد الله وفيه تكبت لهم متضمن لاثبات تقيض مدعاهم وقيل معنى الكلام الوعد والتهديد أي افعلا ما شئتم فعن قريب ينكشف الغطاء وقرئ ذكر من معي بالتنوين وكسر الميم أي هذا ذكر ما أنزل الى وما هو معي وذكر من قبلي قاله الزجاج وقيل ذكر كائن من قبلي أي جئت بما جاءت به الانبياء من قبلي ثم لما توجهت الحجة عليهم ذمهم بالجهل بمواضع الحق فقال (بل أكرههم لا يعلمون الحق) وهذا الضراب من جهة الله سبحانه غير داخل في الكلام الملقن وانتقال من تبكيهم بطلانهم بالبرهان الى بيان انه لا تؤثر فيهم الحاجة واقامة البرهان لكونهم جاهلين للحق لا يعيرون بينه وبين الباطل وقرئ الحق بالرفع على معنى هذا الحق أو هو الحق (فهم معروضون) تعليل لما قبله من كون أكرههم لا يعلمون أي فهم لاجل هذا الجهل المستولى على أكرههم معروضون عن قبول الحق وعن النظر الموصل اليه مستقرون على الاعراض عن التوحيد واتباع الرسول فلا يتأملون حجة ولا يتدبرون في برهان ولا يتفكرون في دليل (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه) استئناف مقرر لما أجمل قبله من كون التوحيد مما نطق به الكتاب الالهية وأجعت عليه الرسل وقرئ نوحى بالنون وبالياء (انه لا اله الا أنا) وفي هذا تقرير لامر التوحيد وتأكيده لما تقدم من قوله هذا ذكر من معي وختم الآية بالامر لعباده بعبادته فقال (فاعبدون) فقد انضح لكم دليل الاعتدال ودليل العقل وقامت عليكم حجة الله (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) هؤلاء القائلون هم خزاعة وجهينة وبنو سلمة وبنو ملح فانهم قالوا الملائكة بنات الله وقيل هم اليهودي يصح حمل الآية على كل من جعل لله ولدا وقد قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت طائفة من العرب الملائكة بنات الله ثم نزه الله سبحانه عز وجل نفسه فقال (سبحانه) أي تنزهه عن ذلك وهو يقول على ألسنة العباد ثم أضرعهم عن قولهم وأبطأ له فقال (بل عبادكم كرمون) قرئ من الاكرام والتكريم أي ليسوا كما قالوا بل عباد الله سبحانه مكرمون بكرامته لهم مقربون عنده والعبودية تنافي الولادة بحسب المعتاد الذي لا يتخلف عند العرب من كون عبد الانسان لا يكون ولده أو يحسب قواعد الشرع من ان الانسان اذ ملك ولده عتق عليه والاول في تقرير المناقاة ظهر اذ الكلام

مع
السماء بضئ له يوم القيامة وغفر له ما بين الجمعتين وهذا الحديث في رفعه نظروا حسن أحواله الوقت وهكذا روى الامام سعيد بن منصور في سننه عن هشيم بن بشير عن أبي هشام عن أبي مجلز عن قيس بن عباد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه انه قال من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين البيت العتيق هكذا وقع موقوفا وكذا رواه الثوري عن أبي هاشم به من حديث أبي سعيد الخدري وقد أخرجه الحاکم في مستدركه عن أبي بكر محمد بن المؤمل حدثنا الفضيل بن محمد الشعرائي حدثنا هاشم بن حماد حدثنا هشيم حدثنا أبو هاشم عن أبي مجلز عن قيس بن عباد عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه

وسلم انه قال من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين الجمعتين ثم قال هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخبرنا
وهكذا رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في تفسيره عن الحاكم ثم قال البيهقي ورواه يحيى بن كثير عن شعبة عن أبي هاشم بإسناده ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الكهف كانت له نور يوم القيامة وفي المختارة للحافظ الضياء المقدسي عن عبد الله بن
مصعب بن منظور بن زيد بن خالد الجهني عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي بن فروغان قرأ سورة الكهف يوم الجمعة فهو معصوم
الى ثمانية أيام من كل فتنة وان خرج الدجال عصم منه * (بسم الله (١١٩) الرحمن الرحيم) * (الحمد لله الذي أنزل

على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً
قيماً لينذر بأساً شديداً من لدنه
ويبشر المؤمنين الذين يعملون
الصالحات ان لهم أجراً حسناً
ما كنتم فيه أبداً وينذروا الذين قالوا
اتخذ الله ولداً ما لهم به من علم ولا
لآبائهم كبرت كلمة تخرج من
أفواههم ان يقولون الا كذباً قد
تقدم في أول التفسير انه تعالى يحدد
نفسه المقدسة عند فواتح الأمور
وخواتمها فانه المحمود على كل حال
وله الحمد في الأولى والآخرة وله هذا
جد نفسه على انزاله كتابه العزيز
على رسوله الكريم محمد صلوات
الله وسلامه عليه فانه أعظم نعمة
أنعمها الله على أهل الارض اذ
أخرجهم به من الظلمات الى النور
حيث جعله كتاباً مستقيماً لا اعوجاج
فيه ولا زيغ بل يهدي الى صراط
مستقيم واضحا بينا جليلاً نذيراً
للكافرين بشير للمؤمنين ولهذا
قال ولم يجعل له عوجاً لم يجعل
فيه اعوجاجاً ولا زيغاً ولا ميلابلاً
جعله معتدلاً مستقيماً ولهذا قال
قيماً أي مستقيماً لينذر بأساً شديداً
من لدنه أي لمن خالفه وكذبه ولم
يؤمن به ينذر بأساً شديداً عقوبة

مع جهال العرب وهم لا يعرفون قواعد الشرع قال قتادة قالت اليهود ان الله صاهر الجن
فكانت بينهم الملائكة فقال الله تكذبوا لهم بل عباد مكرمون أي الملائكة أكرمهم
بعبادته واصطفناهم ووصفهم بصنات سبعة الأولى هذه والآخرة ومن يقتل منهم فهذه
الضمان كلها للملائكة (لا يستبقونه بالقول) وصنفهم بصفة أخرى أي لا يقولون شيئاً حتى
يقوله أو يأمرهم به كذا قال ابن قتيبة وغيره وفي هذا دليل على كمال طاعتهم واتباعهم
(وهم يأمرهم بعملون) أي هم السامعون بما يأمرهم الله به التابعون له المطيعون لأمرهم فلا
يخالفونه قولاً ولا عملاً (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) أي ما علموا وما هم عاملون وقيل
ما كان قبل خلقهم وما يكون بعد خلقهم أو يعلم ما بين أيديهم وهو الآخرة وما خلفهم وهو
الدنيا والجملة تعليل لما قبلها ووجه التعليل انهم اذا علموا بان الله عالم بما قدموا وآخره لم يعملوا
علاً ولا يقولوا قولاً الا بأمره (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) أن يشفع الشافعون له وهو من
رضى عنه وقيل هم أهل لاله الا الله وقد ثبت في الصحيح ان الملائكة يشفعون في الدار
الآخرة قال قتادة لاهل التوحيد وعن مجاهد نحوه وعن الحسن لمن قال لا اله الا الله
وقال ابن عباس الذين ارتضاهم بشهادة ان لا اله الا الله وأخرج الحاكم وصححه والبيهقي
في البعث عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تلا هذه الآية وقال شئاعى لاهل
البكا من أمتي (وهم من خشيتهم مسفتقون) أي من خشيتهم منه والخفية الخوف مع
التعظيم ولهذا خص به العلماء والاشقاء الخوف مع التوقع والاعتناء والحدرفان
عدى عن فعلى الخوف فيه أظهر وان عدى بعلى فبالعكس أي لا يأمنون مكر الله بل هم
خائفون وجلون (ومن يقل منهم) أي من الملائكة على سبيل الفرض لتحقيق عصمتهم
(اني اله من دونه) قال المفسرون عنى بهذا ابليس لانه لم يقل أحد من الملائكة انى اله
الا ابليس وذلك على سبيل التسميح والتجوز اذ هو معترف بالعبودية وآيس من رحمة الله
وكونه من الملائكة باعتبار انه كان مغموراً فيهم وقيل الضمير للغلائي مطلقاً وقيل الإشارة
الى جميع الانبياء (فذلك) القائل على سبيل الفرض والتقدير (تجزيه جهنم) بسبب
هذا القول الذي قاله كما تجزى غيره من المجرمين (كذلك) أي مثل ذلك الجزاء النظيم
(تجزى الظالمين) أو مثل ما جعلنا جزاء هذا القائل جهنم فكذلك تجزى الظالمين الواضعين
الالهية والعبادة في غير موضعها والمراد بالظالمين المشركون (أو لم ير الذين كفروا) الهمة

عاجلة في الدنيا وآجلة في الآخرة من لدنه أي من عند الله الذي لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد ويبشر المؤمنين أي بهذا
القرآن الذين صدقوا ايمانهم بالعمل الصالح ان لهم أجراً حسناً أي مثوبة عند الله جملة ما كنتم فيه في ثوابهم عند الله وهو الجنة
خالدين فيها ابداداً لا زوال له ولا انتقضاء وقوله وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً قال ابن اسحق وهم مشركو العرب في
قولهم نحن نعبد الملائكة وهم بنات الله ما لهم به من علم أي بهذا القول الذي افتروه وانتفكوه من علم ولا آباءهم أي أسلافهم
كبرت كلمة نصب على التمييز تذكيره كبرت كلمتهم هذه كلمة وقيل على التعجب تقديره أعظم بكلمتهم كلمة كما نقول أكرم بزيد

رجلا قاله بعض البصريين وقرأ ذلك بعض قراء مكة كبرت كلمة كما يقال عظم قولك وكبر شأنك والمعنى على قراءة الجمهور أظهور
 فان هذا بتشديد لمقاتلهم واستعظام لافكهم ولهذا قال كبرت كلمة تخرج من أفواههم أي ليس لها مستند سوى قولهم ولا دليل
 لهم عليها الا كذبهم واقتراؤهم ولهذا قال ان يقولون الا كذبا وقد ذكر محمد بن اسحق سبب نزول هذه السورة الكريمة فقال
 حدثني شيخ من أهل مصر قدم علينا منذ بضع وأربعين سنة عن عكرمة عن ابن عباس قال بعثت قريش النضر بن الحرث وعقبة
 ابن أبي معيط الى احبار يهود بالمدينة (١٢٠) فقالوا لهم سلوهم عن محمد ووصفو لهم صفته وأخبروهم بقولهم

فأنهم أهل الكتاب الاول وعندهم ما ليس عندنا من علم الانبياء فخرجوا حتى أتيا المدينة فسالوا احبار يهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفو لهم أمره وبعض قوله وقالوا انكم أهل التوراة وقد جئناكم للتخبر وناعن صاحبنا هذا قال فقالت لهم سلوه عن ثلاث نأمركم بهن فان أخبركم بهن فهو نبي مرسل والا فرحل متفقول فروا فيه رأيكم سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الاول ما كان من أمرهم فأنهم قد كان لهم حديث عجيب وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الارض ومغاربها ما كان نبؤه وسلوه عن الروح ما هو فان أخبركم بذلك فهو نبي فاتبعوه فان لم يخبركم فانه رجل متفقول فاصنعوا في أمره ما بدا لكم فاقبل النضر وعقبة حتى قدما على قريش فسالوا يامعشر قريش قد جئناكم بنصل ما بينكم وبين محمد قد أمرنا احبار يهود ان نأله عن أمور فآخبروهم بها فجاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد أخبرنا فسالوه عما أمرهم به فقال لهم رسول الله صلى الله عليه

للا نكار بواو وتركها قراءتان سبعيتان والواو للعطف على مقدر والزوية هي القامية أي ألم يتفكروا ولم يعلموا حاصل ما ذكر من هنا الى يسبحون ستة أدلة على التوحيد وهذا تجهيل لهم بتقصيرهم في التدبر في الآيات التكوينية الدالة على استقلاله تعالى بالالوهية وكون جميع ما سواه مقهورا تحت ملكوته (أن السموات والارض كانتا رتقا) قال الاخفش انما قال كانتا دون كن لانهما صنفان أي جماعتا السموات والارض وبه قال الزمخشري وقال أبو البقاء الضمير يعود على الجنسين وقال الحوفي أراد الصنفين كما قال سبحانه ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا وقال الزجاج انما قال كانتا لانه يعبر عن السموات بلفظ الواحد دلالتها كانت سماء واحدة وكذلك الارضون والرتق السد ضد الفتق يقال رقت الفتق ارتقه فارتق أي التأم ومنه الرقاء للمنضمة الفرج يعني انهما كانا شيئا واحدا ملتصقين ملتصقين وقال رتقا ولم يبدل رتقين لانه مصدر والتقدير كانتا ذواتي رتق وقيل مرتوتقتين مسرودتين قال البيضاوي والكفرة وان لم يعلموا ذلك فهم متمكنون من العلم به نظرا فان الفتق عارض مفتقر الى مؤثر واجب ابتداء أو بواسطة أو استنسار من العلماء ومطالعة الكتب انتهى ومنعه الكاذبون وقال فيه نظروا عنكم هذا ممنوع ويجوز ان يكونا مخلوقين منفصلين بالارتق وفتق فان استدلل عليه ما بان القرآن نص عليه ما فتقول هذا كاف في اثباتهم ما ولا حاجة الى الدليل العتلى المذكور (فتفتقناهما) أي فتفصلناهما أي فصلنا بعضهما من بعض بالهواء فرفعنا السماء وأبقينا الارض مكانها والفتق الفصل بين الشئين وهو من احسن البدع هنا حيث قابل الرتق بالفتق قيل كانت السموات مرتتقة طبقة واحدة فتفتقها الله وجعلها سبع سموات وكذلك الارض كانت طبقة واحدة فجعلها سبع أرضين وعن ابن عباس قال فتفتت السماء بالغيث وفتقت الارض بالنبات وقد أطال الكلام القرطبي في ذلك ونقل عن كعب الاحبار وغيره أحوال خلق الارض العليا والسفلى ولا يصار اليها الا أن يصع من ذلك شئ من الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم (وجعلنا من الماء) أي خلقنا وأوحينا وأصيرنا بالماء الذي نزل من السماء وينبع من الارض (كل شئ حي) فيشمل الحيوان والنبات والمعنى ان الماء سبب حياة كل شئ وقيل المراد بالماء هنا نطفة الرجل وبه قال أبو العباس وأكثر المفسرين وخرج هذا اللفظ مخرج الأغلب والاكثر وهذا احتجاج على المشركين بقدرة

وسلم أخبركم غدا عما سألت عنه ولم يستثن فأنصروا عنه ومكث رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة الله لا يحدث الله اليه في ذلك وحياء ولا يأتيه جبرائيل عليه السلام حتى أرجف أهل مكة وقالوا وعدنا محمد غدا واليوم خمس عشرة قد أصحبنا فيها لا يخبرنا بشئ عما سألتنا عنه وحتى أحرن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث الوحي عنه وشق عليه ما يتسكاه به أهل مكة ثم جاءه جبرائيل عليه السلام من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف فيها معاتبته اياه على حرته عليهم وخبر ما سأله عنه من أمر الفتية والرجل الطواف وقول الله عز وجل ويسئلونك عن الروح قل الروح الاية (فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا

بهذا الحديث أسفنا أناجعلنا ما على الأرض زينة لها النبيلوهم أيهم أحسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا يقول تعالى مسلل الرسول صلوات الله وسلامه عليه في حزنه على المشركين لتركهم الأيمان وبعدهم عنه كما قال تعالى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وقال ولا تحزنن عليهم وقال لعلك باخع نفسك إن لا يؤمنون أمؤمنين باخع أى هلك نفسك بحزنك عليهم وللهذا قال فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث يعنى القرآن اسفيا يقول لاهلك نفسك أسفنا قال قتادة فاقبل نفسك غضا بما حزننا عليهم وقال (١٢١) مجاهد جرعا والمعنى متقارب أى لا تأسف

عليهم بل أبلغهم رسالة الله فمن اهتدى فليغنى نفسه ومن ضل فاعلم بضل عليها ولا تذهب نفسك عليهم حسرات ثم أخبر تعالى انه جعل الدنيا دارا فانية من زينة بزينة زائلة وانما جعلها دارا ختبارا لدار قرار فقال اناجعلنا ما على الأرض زينة لها النبيلوهم أيهم أحسن عملا قال قتادة عن أبي نضرة عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فانظروا ماذا تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فان أول فتنة بنى اسرائيل كانت في النساء ثم أخبر تعالى بزوالها وفنائها وفراغها وانقضائها وذهابها وخرابها فقال تعالى وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا أى وانا لمصيروها بعد الزينة الى الخراب والدمار فاجعل كل شئ عليها هالكا صعيدا جرزا لا يثبت ولا ينتفع به كما قال العوفي عن ابن عباس في قوله وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا يقول يهلك كل شئ عليها ويبعد وقال مجاهد صعيدا جرزا بلقعا وقال قتادة الصعيدا الأرض التي ليس فيها

الله سبحانه وبديع صنعه وقد تقدم تفسير هذه الآية (أفلا يؤمنون) الهمزة للاستفهام حيث لم يؤمنوا مع وجود ما يقتضيه من الآيات الربانية (وجعلنا في الأرض رواسي) أى جبالا لأت جاع راسية من رسا الشئ اذا ثبت ورسخ يقال جبال راسية وراسيات ورواس (ان يديهم) المبدأ التحرك والدوران أى لئلا تتحرك وتدور بهم أو كراهة ذلك وقد تقدم تفسير ذلك في النحل مستوفى (وجعلنا فيها) أى في الرواسي أوفى الأرض وهو الظاهر (فخاجا) طرفا واسعة قال أبو عبيدة هي المسالك وقال الزجاج كل محترق بين جبلين فهو فيه (وسبلا) تفسير للنجاح لان الفج قد لا يكون طريقا فاذما سلوكا (اعلمهم يهدون) الى مصالح معاشهم ومقاصدهم في الاسفار وما تدعو اليه حاجاتهم (وجعلنا السماء سقفا محفوظا) عن أن يقع ويسقط على الأرض كقوله ويسكن السماء أن تقع على الأرض وقال الفراء محفوظا بالنجوم من الشيطان كقوله وحفظا من كل شيطان مارد وقيل محفوظا لاحتياج الى عماد وقيل المراد بالتحفظ هنا المرفوع وقيل محفوظا عن الشرك والمعاصي وقيل عن الهدم والنقض وقيل عن الفساد والانهلال الى الوقت المعلوم (وهم عن آياتها) أى الآيات الباطنة فيها الدلالة على وجود الصانع ووحدته وتناهي قدرته وكمال حكمته واضاف الآيات الى السماء لانها مجموعة فيها وذلك كالشمس والقمر والنجوم وكيفية حركاتها في أفلاكها ومطالعها ومغارها (معرضون) أى لا يعتبرون بها فيها ولا يتفكرون فيما توجه به من الايمان (وهو الذي خلق) هذا تذكير لهم بنعمة أخرى مما أنعم الله به عليهم وذلك بانه خلق لهم (الليل) ليسكنوا فيه (والنهار) ليتصرفوا فيه في معاشهم (و جعل (الشمس) آية النهار (والقمر) آية الليل ليعلموا عدد الشهور ورواسب الحساب كما تقدم بيانه في سبحان (كل في فلك) أى مستدير كالطا حوفة في السماء (يسبحون) في دوران أى يجرون قاله ابن عباس يعنى كل واحد من الشمس والقمر والنجوم في وسط الفلك يسرون بسر عة كالساج في الماء قال ابن عباس فلك كشدكة المغزل يدورون في أبواب السماء كما تدور الفلكة في المغزل وعنه قال هو فلك السماء الذي فيه ذلك الكوكب وكل كوكب يجري في السماء الذي قدر فيه والجمع في الفعل باعتبار المطالع قال سيبويه انه لما أخبر عنهم بفعل من يعقل وجعلهم في الطاعة بمنزلة من يعقل جعل الضمير عنهم ضمير العقلاء ولم يقل يسبحون وتسبح وكذا قال الفراء وقال الكسائي انما قال يسبحون لانه رأس

(١٦ - فتح البيان سادس) شجر ولانبات وقال ابن زيد الصعيدا الأرض التي ليس فيها شئ الا ترى الى قوله تعالى أولم ير وانا نسوق الماء الى الأرض الجرز فنخرج به زرعاً كل منه انعامهم وأفلا يبصرون وقال محمد بن اسحق وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا يعنى الأرض ان ما عليها القان واثان وان المرجع لالى الله فلا تأس ولا يحزنك ما تسمع وترى (أم حسبت أن أصحاب الكهف والقيم كانوا من آياتنا عجبا اذا رأى الغيبة الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهي لنا من أمر نار شئ رافضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا ثم بعثناهم لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا) هذا الخبر من الله تعالى عن قصة أصحاب

الكهف على سبيل الاجمال والاختصار ثم بسطها بعد ذلك فقال أم حسبت يعني يا محمد ان أصحاب الكهف والرقم كانوا من آياتنا عجايبا ليس أمرهم عجيبا في قدرتنا وسلطاننا فان خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار وتسخير الشمس والقمر والكواكب وغير ذلك من الآيات العظيمة الدالة على قدرة الله تعالى وانه على ما يشاء قادر ولا يعجزه شيء أعجب من أخبار أصحاب الكهف كما قال ابن جرير عن مجاهد أم حسبت ان أصحاب الكهف والرقم كانوا من آياتنا ما هو أعجب من ذلك وقال العوفي عن ابن عباس (١٢٢) أم حسبت ان أصحاب الكهف والرقم كانوا من آياتنا عجايبا

يقول الذي آتيتك من العلم والسنة
والكتاب أفضل من شأن أصحاب
الكهف والرقم وقال محمد بن
اسحق ما أظهرت من حجي على
العباد أعجب من شأن أصحاب
الكهف والرقم وأما الكهف فهو
الغارى الجبل وهو الذى لجأ اليه
هؤلاء الفتيّة المذكورون وأما
الرقم فقال العوفى عن ابن عباس
هو واد قريب من ايله وكذا قال
عطية العوفى وقمادة وقال الضحالك
أما الكهف فهو غار الوادى والرقم
اسم الوادى وقال مجاهد الرقيم
كان بنيانهم ويقول بعضهم هو
الوادى الذى فيه كهفهم وقال
عبد الرزاق اخبرنا الثورى عن
سمك عن عكرمة عن ابن عباس في
قوله الرقيم قال يزعم كعب انها
القرية وقال ابن جرير عن ابن
عباس الرقيم الجبل الذى فيه
الكهف وقال ابن اسحق عن عبد الله
ابن ابي نجيح عن مجاهد عن ابن
عباس قال اسم ذلك الجبل بنجلوس
وقال ابن جرير اخبرني وهب بن
سليمان عن شعيب الجباني ان اسم
جبل الكهف بنجلوس واسم

الآية والثالث واحد افلاك النجوم وأصل الكلمة من الدوران ومنه فلك المغرب
 لاستدارتها والثالث مدار النجوم الذي يضمها وهو في كلام العرب كل شيء مستدير وقيل
 الفلك استدارة السماء وقيل الفلك ماء أو موج مكشوف دون السماء تجري فيه تلك
 الكواكب وقال أهل الهيئة الافلاك اجرام صلبة لا ثقيلة ولا خفيفة غير قابلة للتخرق
 والالتصام والنور والذبول وفي الرازي الفلك في كلام العرب كل شيء مستدير وجعه أفلاك
 واختلاف العقلاء فيه فقال بعضهم الفلك ليس بجسم وانما هو استدارة هذه النجوم
 وقال الاكثرون الافلاك اجسام تدور النجوم عليها وهذا أقرب الى ظاهر القرآن
 واختلف الناس في حركات الكواكب والخروج الممكنة فيها ثلاثة فانه اما أن يكون
 الفلك ساكنا والكواكب تتحرك فيه بحركة السمك في الماء الرأكد واما أن يكون الفلك
 متحركا والكواكب أيضا اما مخالفة لجهة حركته أو موافقة لجهتها اما بحركة مساوية
 لحركة الفلك في السرعة والبطء أو مخالفة واما أن يكون الفلك متحركا والكواكب ساكنة
 والذي يدل عليه لفظ القرآن القسم الاول وهو أن تكون الافلاك ساكنة والكواكب
 جارية فيها كما تسبح السمكة في الماء الرأكد انتهى والحق انه لا سبيل الى معرفة صفة
 السموات والافلاك وما فيها الا باخبار الصادق المصدوق (وما جعلنا البشر من قبل الخلد)
 أي دوام البقاء في الدنيا لكونه نخلنا للعكمة التكوينية والتشريعية (أفان مت) باجلك
 المحتوم وقرئ مت بكسر الميم وضمة هاء وما الغتان (فهم الخالدون) قال القراء جاء بالناء
 لتدل على الشرط لانه جواب قولهم ان تمد اسموت قال ويجوز حذف الناء وانما راها
 والمعنى ان مت فهم يعوقون أيضا فلا شمتانة في الموت وكان سبب نزول هذه الآية قول
 المشركين فيما حكاه الله عنهم أم يقولون شاعر نتر بص به رب المنون أخرج البهيقي وغيره
 عن عائشة قالت دخل أبو بكر على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد مات فتقبله وقال وانبياء
 واخلدوا واصفيا ثم تلا وما جعلنا الآية (كل نفس) مخلوقة فلا يراد بالباري تعالى ذاتة
 (الموت) أي ذاتة مفارقة جسمه فلا يبقى احد من ذرات الانفس المخلوقة كائنا
 ما كان وهذا دليل على ما انكر من خلودهم قبل هذا العموم مخصوص بقوله تعالى تعلم
 ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك فان الله حي لا يموت ولا يجوز عليه الموت والذوق ههنا عبارة
 عن مقدمات الموت وآلامه العظيمة قبل حلوله (ونلوكم) أي نختبركم (بالشر) أي بالشدة

الكهف حيزم والكلب حيران وقال عبد الرزاق أنبأنا إسرائيل عن سماله عن عكرمة عن ابن عباس (والخير)

قال القرآن أعلمه الاخنا ناو الاوادو الرقيم وقال ابن جريج أخى بنى عمرو بن دينار انه سمع عكرمة يقول قال ابن عباس ما أدري ما الرقيم كتاب أم بنيان وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الرقيم الكتاب وقال سعيد بن جبيرة الرقيم لوح حجارة كتبوا فيه قصص أصحاب الكهف ثم وضعوه على باب الكهف وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم الكتاب ثم قرأ كتاب مرقوم وهذا هو الظاهر من الآية وهو اختيار ابن جريج قال الرقيم فعيل من مرقوم كما يقال لامة مقتول قيسل وللجروح جريج والله أعلم وقوله

إذا وى القصة الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهى لنا من أمرنا رشداً يخبر تعالى عن أولئك القصة الذين فتر وأبدى منهم من قومهم أثلاثاً فيفتنهم عنه فلهذا لم يبقوا منهم فنجوا الى غار في جبل ليخففوا عن قومهم فقالوا حين دخلوا سائلين من الله تعالى رحمة ولطفه بهم ربنا آتنا من لدنك رحمة أى هب لنا من عندك رحمة ترجنا بها وتسترنا عن قومنا وهى لنا من أمرنا رشداً أى وقدر لنا من أمرنا هذا رشداً أى اجعل عاقبتنا رشداً كما في الحديث وما قضيت لنا من قضاء فاجعل عاقبتنا رشداً وفي المسند من حديث بسر بن أرطاة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يدعوا اللهم احسن (١٢٣) عاقبتنا في الامور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة وقوله

فضر بنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً أى ألقينا عليهم النوم حين دخلوا الى الكهف فناموا سنين كثيرة ثم بعثناهم أى من رقدتهم تلك وخرج أحدهم بدراهم معه ليشتري لهم بها طعاماً بأكمله كما سبأ في بيانه وتفصيله ولهذا قال ثم بعثناهم لنعلم أى الخبز بين أى المختلفين فيهم أحصى للبشواً أمداً قبل عدداً وقيل غاية فان الامد الغاية كقوله سبق الجو اذا اذا استولى على الامد * نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم قسية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض ان ندعوك من دونك الها لقد قلنا اذا شططوا هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهاة لولا اننا انزلناهم على أعينهم لم يكونوا آمنوا فافترى على الله كذباً واذا عترقوهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمة ويهيى لكم من أمركم مرفقا من ههنا شرع في بسط القصة وشرحها فذكر تعالى انهم قسية وهم الشباب

(والخير) أى الرخاء (فتنة) مصدر لنبلوكم من غير لفظه لان الابتلاء فتنة فكانه قال نفنتكم فتنة أو مفعول له أى لننظر كيف شكركم وصبركم والمراد انهم سجدوا ليعاملهم معاملة من يملوهم فالتة لا يخفى عليه شئ (والناظر جمعون) لا الى غيرنا الاستقلال ولا اشتراكنا فيكم بآلاءكم كما يظهر منكم ان خيرنا خير وان شرنا شر وفيه اشارة الى ان المتصور من هذه الحيلة الدنيا الابتلاء والتعريض للشواب والعقاب (واذا راك الذين كفروا) يعنى المستهزئين من المشركين (ان يتخذونك الالهوا) أى ما يتخذونك الالهوا وبك والهزة السخرية وهو لا هم الذين قال الله فيهم انا كفيناك المستهزئين والمعنى ما يفعلون بك الاتخاذك هزواً (أهذا الذى يدكر آلهتكم) أى يقولون أهذا الذى فعل هذا يكون هو جواً ويكون قوله ان يتخذونك اعتراضاً بين الشرط والجزاء ومعنى يدكر يعيب قال الزجاج ينال فلان يدكر الناس أى يعتابهم ويدكرهم بالعيوب وفلان يدكر الله أى بصفته بالتعظيم ويثنى عليه وانما يحذف مع الذكر ما عقل معناه وعلى ما قالوا لا يكون الذكر فى كلام العرب العيب وحيث يراد به العيب يحذف منه السوء وقيل يطلق على المدح والذم مع القرينة (وههم يدكر الرحمن هم كفرون) أى بالقرآن وهم يدكر الرحمن الذى خلقتهم كفرون اذ قالوا ما نعرفه والمعنى انهم يعيبون على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان يدكر آلهتهم التى لا تضر ولا تنفع بالسوء والخال انهم يدكر الله سبحانه بما يليق به من التوحيد وبالقرآن كفرون فهم أحق بالعيب الهم والانكار عليهم (خلق الانسان من عجل) أى جعل لفرط استعجاله فى أحواله كانه مخلوق من العجل وفيه استعارة بالكناية والعجل والعجلة ضد البطء وقد عمل من باب طرب والمعنى ان الانسان من حيث هو مطبوع على العجلة فيستعجل كثيراً من الاشياء وان كانت تضره وقال الشراء كانه يقول بنيت له وخلقت له من العجلة وعلى العجلة وقال الزجاج خوطبت العرب بما تعقل والعرب تقول للذى يكتر منه الشئ خلقت منه كما تقول أنت من لعب وخلقت من لعب تريد المبالغة فى وصفه بذلك ويدل على هذا المعنى قوله وكان الانسان عجولاً والمراد بالانسان الجنس وقيل آدم فانه لما خلقه الله ونفخ فيه من الروح صار الروح فى رأسه فذهب ينهض قبل ان يبلغ الروح الى رجله فوق ففعل خلق الانسان من عجل كذا قال عكرمة وسعيد بن جبير والسدى والكلبى ومجاهد ولفظ عكرمة لما نفخ فى آدم

وهم أقبل للحق وأهدى للسبيل من الشيوخ الذين قد عتوا وانغمسوا فى دين الباطل ولهذا كان أكثر المستحيين لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم شباباً وأما المشايخ من قريش فعامتهم بقوا على دينهم ولم يسلم منهم الا القليل وهكذا أخبر تعالى عن أصحاب الكهف انهم كانوا قسية شباباً وقال مجاهد بلغنى انه كان فى آذان بعضهم القرطة يعنى الحلقة فالحق فالحقهم الله رشدهم وآناهم تقواهم فآمنوا بربهم أى اعترفوا بالوحدانية وشهدوا انه لا اله الا هو وزدناهم هدى استدل بهذه الآية وأمثالها غير واحد من الأئمة كالبخارى وغيره ممن ذهب الى زيادة الايمان وتفاضله وانه يزيد وينقص ولهذا قال تعالى وزدناهم هدى كما قال والذين

اذهبوا زادهم هم هدى وآناههم تقواهم وقال فاما الذين آمنوا فزادتهم ايماناً وهم يستبشرون وقال ليزدادوا ايماناً مع ايمانهم الى غير ذلك من الآيات الدالة على ذلك وقد ذكر انهم كانوا على دين المسيح عيسى بن مريم فانه أعلم والظاهر انهم كانوا قبل دلة النصرانية بالكلية فانهم لو كانوا على دين النصرانية لما اعتنى احوار اليهود بحفظ خبرهم وأمورهم لمباينتهم لهم وقد تقدم عن ابن عباس ان قريشاً بعثوا الى احوار اليهود بالمدينة يطلبون منهم أشياء يتحننون بهارسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثوا اليهم ان يسألوه عن خبر هؤلاء وعن خبرى القرنين وعن الروح فدل (١٢٤)

هــذا على ان هـذا أمر محفوظ في
كتب أهل الكتاب وانه متقدم على
دين النصرانية والله أعلم وقوله
وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا
ربنا رب السموات والارض يقول
تعالى وصبرناهم على مخالفة قومهم
ومدينتهم ومفارقة ما كانوا فيه من
العيش الرغيد والسعادة والنعمة
فانه قد ذكر غير واحد من المنسرين
من السلاف والخلف انهم من
أبناء ملوك الروم وسادتهم وانهم
خرجوا به ما في بعض اعياد قومهم
وكان لهم تجمع في السنة يجتمعون
فيه في ظاهر البلد وكانوا يعبدون
الاصنام والطواغيت ويذبحون لها
وكان لهم ملك جبار عبيد يقال له
دقيانوس وكان يأمر الناس بذلك
ويحتمهم عليه ويدعوهم اليه فلما
خرج الناس لجمعة هم ذلك وخرج
هؤلاء الفتية مع آبائهم وقومهم
ونظروا الى ما يصنع قومهم بعين
بصيرتهم عرفوا ان هذا الذي يصنعه
قومهم من السجود لاصنامهم
والذبح لها لا ينبغي للاله الذي
خلق السموات والارض فجعل كل
واحد منهم يتخلص من قومه ويحار

الروح صار في رأسه ففطس فقال الحمد لله فمات الملائكة يرجع الله فذهب بنقض قبل
ان تغور في رجليه فوقع فقال الله خلق الانسان من عجل وعن ابن جرير صحيحه وقال
أبو عبيدة وكثير من أهل المعاني العجل الطين بلغة جبر وقيل ان هذه الآية نزلت في
الغضن بن الحرث وهو القاتل اللهم ان كان هذا ذنبا فالحق من عندك الخ وقيل ان نزلت
في قريش لانهم استجلبوا العذاب وقال لا تخفش معنا انه قيل له كن فكان وقيل ان
هذه الآية من المقلوب أى خلق العجل من الانسان لشدة صدوره منه وملازمته له
وقد حكى هذا عن أبي عبيدة والنحاس وأبي عمرو والقول الاول أولى (سأريكم آياتي)
أى نقماتى منكم ومواعيدى فى الآخرة بعد ذاب النار وأوفى الدنيا كوقعة بدر (فلا
تستجلبون) بالآيات ان به فانه نازل بكم لالمحالة وقيل المراد بالآيات ما دل على صدق محمد
صلى الله عليه وآله وسلم من المعجزات وما جعد له الله له من العاقبة المحموده والاول أولى
ويدل عليه قوله (ويقولون متى هذا الوعد) أى متى حصول هذا الوعد الذى تعدنا به من
العذاب قالوا ذلك على جهة الاستهزاء والسخرية وقيل المراد بالوعد هنا القيامة (ان
كنتم) يا معشر المسلمين (صادقين) فى وعدكم والخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم
وللمؤمنين الذين يتلون الآيات القرآنية المندرة بمجيء الساعة وقرب حضور العذاب
(لوعلم الذين كفروا حين) أى لوعرفوا ذلك الوقت وقال أبو السعود استئناف مسوق
ليبان شدة هول ما يستجلبون به لهم بشأنه وايشار صيغة المضارع فى الشرط وان كان المعنى
على الماضى لافادة استمرار عدم العلم انتهى وجواب لوم محذوف لانه ابلغ فى الوعيد فقدره
الزخشرى لما كانوا ابتلاء الصفة من الكفر والاستهزاء والاستهجال ولكن جهلهم هو
الذى هوته عندهم وقدره ابن عطية ولوعلموا الوقت الذى (لا يكتنون) يدفعون (عن
وجوههم النار ولا عن ظهورهم) لما استجلبوا الوعيد وقدره الخوفى لسارعوا وقال
الزجاج التقدير لعلوا صدق الوعد أى البعث وقيل لوعلموه ما أقاموا على الكفر وقال
الكسافى هو تنبيه على تحقيق وقوع الساعة أى لوعلموه علم يقين لعلوا ان الساعة آتية ويدل
عليه قوله لا تقبل تأتيم بغتة وتخصيص الوجوه والظهور بالذكرة بمعنى التدام والخلف
لكونهما أشهر الجوانب فى استلزام الاطاعة بها الاطاعة بانكل بحيث لا يقدر ورون على
دفعها من جانب من جوانبهم (ولا هم ينصرون) أى لا يمنعون منها فى القيامة ولا ينصرهم

منهم ويبرز عنهم ناحية فكان أول من جلس منهم أحدهم جلس تحت ظل شجرة ف جاء الآخر فجلس اليها
 هذه وجاء الآخر فجلس اليها وجاء الآخر فجلس اليهم وجاء الآخر ولا يعرف واحد منهم الآخر وانما جتمعهم هناك
 الذي جمع قلوبهم على الايمان كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري تعليقه ما من حديث يحيى بن سعيد عن عمرة عن عائشة رضي الله
 عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وأخرجهم مسلم في
 صحيحه من حديث سهل بن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس يقولون الجنسية علة الضم والغرض انه جعل

وكل احد منهم يكتب ما هو عليه عن اصحابه خوفا منهم ولا يدري انهم مثله حتى قال احدهم تعلمون والله يا قوم انه ما اخرجكم من قويمكم وافردكم عنهم الا شئ فليظهر كل واحد منكم بامرته فقال آخر اما الباقى والله رايت ما قومي عليه فعرفت انه باطل وانما الذى يستحق ان يعبد وحده ولا يشرك به شئ ما هو الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما وما قال الآخر وانا والله وقع الى كذلك وقال الآخر كذلك حتى توافقوا كلهم على كلمة واحدة فصاروا ايدا واحدة واخوان صدق فاتخذوا الههم معبدا يعبدون الله فيه فعرف بهم قومهم فوشوا بامرهم الى ملكهم فاستحضرهم (١٢٥) بين يديه فسألهم عن امرهم وما هم عليه

فاجابوه بالحق ودعوه الى الله عز وجل ولهذا اخبر تعالى عنهم بقوله وربطنا على قلوبهم اذا قاموا فقالوا

ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها ولن لنفى (١) التأييدى لا يقع من هذا ابد الا نالو فعلمنا ذلك

اكان باطلا ولهذا قال عنهم لقد قلنا اذا شططا أى باطلا وكذبا وبهتاناهؤلاء قومنا اتخذوا من

دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين أى هلا قاموا على صحة ما ذهبوا اليه دليلا وانها صححنا فى الظلم

ممن افترى على الله كذبا يقولون بل هم ظالمون كاذبون في قولهم ذلك فيقال ان ملكهم لما دعوه الى

الايمان بالله أبى عليهم وهم قد هداهم وتوعدهم وأمر بنزع لباسهم عنهم

الذى كان عليهم من زينة قومهم واجلهم لينظر وفى امرهم لعلمهم يرجعون عن دينهم الذى كانوا عليه

وكان هذا من لطف الله بهم فانهم فى تلك النظرة توصلوا الى الهرب منه والفرار بدنيهم من الفتنة وهذا هو

المشروع عند وقوع الفتنة فى الناس ان يفر العبد منهم خوفا على دينه كما جاء فى الحديث يوشك ان يكون خير

أحد من العباد في دفع ذلك عنهم (بل) اضرب انتقالى من بيان السبب الى بيان كيفية وقوع الموعود فقال (تائبهم) أى لا يكتفون بابل تأتهم العدة أو النار أو الساعة (بغثة) أى خفاة (فتبهم) قال الجوهرى تبهم بها اخذت بغتها وقال القراء أى تحيرهم وقيل تنجؤهم وقيل تدهشهم (فلا يستطيعون ردها) أى صرفها عن وجوههم ولا عن ظهورهم فالضهير راجع الى النار وقيل الى الوعد بتأويله بالعدة وقيل الى الحين بتأويله بالساعة (ولاهم ينظرون) أى يهلون ويؤخرون لتوبة واعتذار (ولقد استمروا برسول من قبلك) مسوقة لتسليم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتعزيته كانه قال ان استمروا بك هؤلاء فقد فعل ذلك من قبلك من الرسل على كثرة عددهم وخطر شأنهم (لخاف) أى أحاط ودار بسبب ذلك (بالذين يخشونهم) أى من أولئك الرسل وهزوا بهم (ما كانوا يستترون) ما صدريه أو موصولة أى فاحاط بهم استمروا بهم أى جزاؤه على وضع السبب موضع المسبب أو نفس الاستمراء ان أريد به العذاب الاخرى بناء على تجسيم الاعمال أو الامر الذى كانوا يستترون به (قل من يكأولكم) أى يحرسكم قاله ابن عباس والمعنى يحفظكم والى الكلاء الحراسة والحفظ يقال كلاء الله كلاءة بالكرس أى حفظه وحرسه وحكى يكأولكم بفتح اللام واسكان الواو أى قل يا محمد لا أولئك المستترين بطريق التقرير والتوبيخ من يحرسكم ويحفظكم (بالليل) أى فيه اذا غتم (والنهار) اذا انصرفتم الى معاشكم وتقديم الليل لما ان الدواهى أكثر فيه وقوعا واشد وقعاً (ون) بأس (الرجن) وعذابه الذى تستحقون حلوله بكم ونزوله عليكم قال الزجاج معناه من يحفظكم من بأس الرجن وقال القراء المعنى من يحفظكم مما يريد الرجن انزاله بكم من عقوبات الدنيا والاخرة وفى التعرض لعنوان الرحمة ايدان بان كآلهم ليس الارحمة العامة (بل هم عن ذكر ربهم معرضون) فلا يذكرونه ولا يخطر ببالهم ولا يتذكرون فيه بل يعرضون عنه وعن القرآن وعن مواظب الله وعن معرفته (أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا) أم يعنى بل والهزمة للاضراب عن الكلام السابق المشتمل على بيان جهلهم بحفظه سبحانه اياهم الى توبيخهم وتقريعهم باعتقادهم على من هو عاجز عن نفع نفسه والدفع عنها والمعنى بل لهم آلهة تمنعهم مما يسوؤهم من عذابنا وفيه تقديم وتأخير والتقدير أم لهم آلهة من دوننا تمنعهم ثم وصف آلهتهم هذه التى زعموا انها تنصرونهم بما يدل على الضعف والعجز

مال احدكم غنىما يتبع بها شرف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن فى هذه الحال تشرع العزلة عن الناس ولا تشرع فيما عداها لما ينفوت بها من ترك الجماعات والجمع فلما وقع عزمهم على الذهاب والهرب من قومهم واختر الله تعالى لهم ذلك واخبر عنهم بذلك فى قوله واذا دعوا لتلوهم وما يعبدون الا الله أى واذا فارقوهم وخالفوهم باديانكم فى عبادتهم غير الله فنار قلوبهم أيضا بآدابكم فأووا الى السكف ينشرونكم من رجعتكم أى ييسط عليكم رجعتكم به من قومكم ويهينكم من امركم الذى انتم فيه مرفقا أى امرات تفتقون به فعند ذلك خرجوا هرا بآلى السكف فأووا اليه فقهرهم قومهم من بين اظهريهم وتطلبهم الملك (١) قوله لنفى التأييد كذا فى النسخ وتأمل انتهى

فيقال انه لم ينظر فيهم وعى الله عليه خبرهم **ك** ما فعل نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وصاحبه الصديق حين لحا الى غار ثور وجاء
المشركون من قريش في الطلب فلم يفتدوا اليه مع انهم يعرفون عليه وعذرهما قال النبي صلى الله عليه وسلم حين رأى جزع الصديق في
قوله يا رسول الله لو ان احدهم نظر الى موضع قدميه لا يبصر نافق قال يا ابكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقد قال تعالى الاتصروا فقد
نصره الله اذ اخرجهم الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود
لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة (١٢٦) الله هي العليا والله عزير حكيم ففصة هذا الغار اشرف واجل

وأعظم وأعجب من قصة أصحاب
الكهف وقد قيل ان قومهم
ظنوا بهم موثقا وعلى باب الغار
الذي دخلوه فقالوا ما كنا نريد منهم
من العقوبة أكثر مما فعلوا بانفسهم
فأمر الملك بدم بابهم عليهم ليملكوا
مكائهم ففعلوا ذلك وفي هذا نظر
والله أعلم فان الله تعالى قد أخبرنا
الشمس تدخل عليهم في الكهف
بكرة وعشية كما قال تعالى (وترى
الشمس اذا طلعت تراور عن كنههم
ذات اليمين واذا غربت تقرضهم
ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك
من آيات الله من يمد الله فهو
المهتد ومن يضل فلن يجده ولما
مر شدا هذا دليل على ان باب هذا
الكهف من نحو الشمال لانه تعالى
أخبرنا الشمس اذا دخلته عند
طالوعها تراور عن ذات اليمين أي
يتقاص التي يمتد كما قال ابن عباس
وسعيد بن جبيرة وقادة تراور أي تميل
وذلك انها كلما ارتفعت في الافق
تقاص شعاعها بارتفاعها حتى لا يبق
منه شيء عند الزوال في مثل ذلك
المكان ولهذا قال واذا غربت
تقرضهم ذات الشمال أي تدخل

فقال (لا يستطيعون نصر أنفسهم) أي هم عاجزون عن نصر أنفسهم فكيف
يستطيعون ان ينصروا غيرهم فهو استنفاد مقرر لما قبله من الانكار وموضع لبطان
اعتقادهم (ولاهم) أي الكفار (مننا يصحبون) أي يجارون من عدا انما قال ابن قتيبة
أي لا يجبرهم منا احد لان الجبر صاحب الجار والعرب تقول يصحبك الله أي حفظك
وأجارك تقول العرب أنالك جار وصاحب من فلان أي مجبر منه وهو اختيار الطبري
قال المازني هو من أصحبت الرجل اذا منعتة وقال مجاهد يحفظون قال ابن عباس
أي لا ينصرون ولا يجارون ولا ينعون وقال قتادة لا يصحبون من الله بخير ولا يجعل الله
رحمته صاحب الهيم ذكره القرطبي ولما أبطل كون الاصنام نافعة اضرب عن ذلك منتقلا
الى بيان أن ما هم فيه من الخير والتمتع بالحياة العاجلة هو من الله لامن مانع يمنعهم من
الهلاك ولا من ناصر ينصرهم على أسباب التمتع فقال (بل متعنا هؤلاء وآباءهم) يعني
أهل مكة متعهم الله بما أنعم عليهم (حتى طال عليهم العمر) وامتد بهم الزمان فاعتروا
بذلك وظنوا أنهم لا يزالون كذلك فرد الله سبحانه عليهم قائلا (أفلا يرون) أي لا ينظرون
فيرون (أننا أنقى الارض) أي نقصد أرض الكثر (نتقصها) بالظهور عليها (من أطرافها)
فتقصها بالمدابلا وأرضابعد أرض بتسليط المسلمين عليها وأسند الى نفسه تعظيما لهم
وفيه تعظيم للجهد والجهاد والجاهدين وقيل تنقصها بالقتل والسبي وهو تصوير لما يجبره الله
على أيدي المسلمين وقد مضى في الرد الكلام على هذه مستوفى (أفهم الغالبون)
الاستغناء للانكار والثناء للعطف على مقدركنظاره أي كيف يكونون غالبين بعد نقصنا
لارضهم من أطرافها وفي هذا اشارة الى ان الغالبين هم المسلمون أصحاب النبي (قل انما
أندركم) أي أخوفكم وأحذركم ما تستعجلونه من الساعة (بالوحي) من الله أي بالقرآن
لامن قبل نفسه وذلك شأني وما أمرني الله به (ولا يسمع الصم الدعاء) امان تمة الكلام
الذي أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان يقول لهم أو من جهة الله تعالى والمعنى ان من
أصم الله سمعه وختم على قلبه وجعل على بصره غشاوة لا يسمع الدعاء وقرئ لا يسمع بضم
الياء وفتح الميم على ما لم يسم فاعله وقرئ بالفوقية وكسر الميم أي انك يا محمد لا تسمع هؤلاء
وال في الصم للجنس فيدخل المخاطبون فيه دخولا أوليا وللعهد (اذا ما يندرون) أي
يخوفون لتركهم العمل بما سمعوه من الاذار والاصل ولا يسمعون اذا ما يندرون فوضع

الظاهر

الى غارهم من شمال بابيه وهو من ناحية المشرق فدل على صحة ما قلناه وهذا بين لمن تأمله وكان له علم بعرفة
الهيئة وسير الشمس والقمر والكواكب وبيانه انه لو كان باب الغار من ناحية الشرق لما دخل اليه منها شيء عند الغروب ولو كان
من ناحية القبلة لما دخل منه شيء عند الطلوع ولا عند الغروب ولا تراور التي يميننا ولا شمالا ولو كان من جهة الغرب لما دخلته وقت
الطلوع بل بعد الزوال ولم تزل فيه الى الغروب فتبين ما ذكرناه والله الحمد وقال ابن عباس ومجاهد وقادة تقرضهم تتركهم وقد
أخبر الله تعالى بذلك وأراد منا فهمه وتدبره ولم يخبرنا بمكان هذا الكهف في أي البلاد من الارض اذ الفائدة لنا فيه ولا قصد شرعي

وقد تكلف بعض المفسرين فذكروا فيه أقوالاً تقدم عن ابن عباس أنه قال هو قريب من أيلة وقال ابن إسحق هو عند نينوى وقيل ببلاد الروم وقيل ببلاد البلقاء والله أعلم بأي بلاد الله هو ولو كان لنا فيه مصلحة دينية لأرشدنا الله تعالى ورَسُولُهُ إليه فقد قال صلى الله عليه وسلم ما تركت شيئاً يقر بكم إلى الجنة ويباعدكم من النار إلا أؤدبكم به فاعلمنا تعالى بصفته ولم يعلمنا بجكانه فقال وترى الشمس إذا طلعت تراو عن كهنفهم قال مالك عن زيد بن أسلم تمل ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه أي في متسع منه إذا خلا بحيث لا تصيبهم أذلو أصابتهم (١٢٧) لا حرق أبدانهم وثيابهم قاله ابن عباس ذلك من آيات الله حيث أُرشدهم إلى هذا الغار الذي جعلهم فيه أحياء والشمس والريح تدخل عليهم فيه لتبقى أبدانهم ولهذا قال تعالى ذلك من آيات الله ثم قال من يهتد الله فهو المهتد الآية أي هو الذي أُرشد هؤلاء القمعة إلى الهداية من بين قومهم فإنه من هداها الله اعتسدى ومن أضلها فلا هادي له (وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود وققلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً) ذكر بعض أهل العلم أنهم لما ضرب الله على آذانهم النوم لم تنطبق أعينهم لئلا يسرع اليها البلي فإذا بقيت ظاهرة للهواء كان أثني لها ولهذا قال تعالى وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود وقد ذكر عن الذئب أنه ينام فيطبق عيناه ويفتح عيناهم يفتح هذه ويفتح هذه وهو راقد كما قال الشاعر

الظاهر موضع المضمر للدلالة على تصاتهم وسددهم اسماعهم إذا ما أُنذروا والتسجيل عليهم (ولئن مستهم نفعة من عذاب ربك) المراد بالنفعة الدليل مأخوذ من نفع المسك قاله ابن كيسان وقال المبرد النفعة الدفعة من الشيء التي دون معظمه يقال نفعة نفعة بالسيف إذا ضرب به ضرب خفيفة وقيل هي النصيب وقيل هي الطرف وقيل وقعة خفيفة والمعنى متقارب أي ولئن مستهم أقل شيء من العذاب وفيه مبالغت ثلاث ذكر المس وما في النفعة من معنى القلة فإن أصل النفع هو ب رائحة الشيء والبناء الدال على المرة ليقولن يا ويلنا أنا كذا ظالمين) بالاشراك وتكذيب محمد أي ليدعون على أنفسهم بالويل والهالك ويعترفون عليهم بالظلم (ونضع الموازين القسط) العادلة (ليوم القيامة) أي لأهلها وقيل اللام بمعنى في أي في يوم القيامة والموازين جمع ميزان وهو يدل على أن هناك موازين ويمكن أن يراد ميزان عبر عنه بالمقسط أو باعتبار أجزائه فإن الصحيح أنه ميزان واحد لجميع الأمم وجميع الأعمال وقد ورد في السنة في صفة الميزان ما فيه كناية وقدم في الأعراف وفي الكهف في هذا ما يغني عن الإعادة والقسط صفة للموازين وصف به مبالغة قال الزجاج قسط مصدر يوصف به تقول ميزان قسط وموازين قسط والمعنى ذوات قسط والقسط العدل ووصفه الموازين لأن الميزان قد يكون مستقيماً وقد يكون غير مستقيم فبين الله أن تلك الموازين تجري على حد العدل وقرئ القسط بالصاد والطاء وأما ما هيته جرمة من أي الجوهر وأنه موجود إلا أن أوسم وجد فمستك عن تعينه ولا يكون الوزن في حق كل أحد لأن من لا حساب عليه لا يوزن له كالأنبياء والملائكة والوزن يكون للمكلفين من الجن والإنس وقد يوزن العبد نفسه كما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم ير رجل عبد الله ابن مسعود في الميزان أثقل من جبل أحد ومن مات له ولد يجعل ذلك الولد في الميزان وكنيته ثقل لا وخنة مثلها في الدنيا (فلا تظلم نفس شيئاً) أي لا يتقص من إحسان محسن ولا يراد في إساءة مسيء (وإن كان مثقال حبة من خردل) أي إن كان العمل المدلول عليه بوضع الموازين مثقال حبة كذا قال الزجاج وقال أبو علي الفارسي وإن كان الظلامة مثقال حبة قال الواحدى وهذا أحسن لتقديم قوله فلا تظلم نفس شيئاً وقرئ برفع مثقال على أن كان تامة أي أن وقع أو أن وجد مثقال حبة ومثقال الشيء ميزانه أي وإن كان في غاية الخفة والقلة والحقارة فإن حبة الخردل مثل في الصغر (أئينابها) أي احضرها

لأنهم يلقبوا لا كانوا بالارض وقوله وكلهم باسط ذراعيه بالوصيد قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبيرة وقتادة الوصيد الفناء وقال ابن عباس بالباب وقيل بالصعيد وهو التراب والصحيح أنه بالنساء وهو الباب ومنه قوله تعالى إنهم أعلمهم مؤسدة أي مطبقة مغلقة ويقال وصيد وأصيد ربض كلهم على الباب كما جرت به عادة الكلاب قال ابن جرير يحرس عليهم الباب وهذا من سميت به وطبيعته حيث بربرض بيابهم كأنه يحرسهم وكان جلوسه خارج الباب لأن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كذب كما ورد في الصحيح ولا صورة ولا حجب ولا كافر كما ورد به الحديث الحسن وشملت كلهم بركتهم فأصابه ما أصابهم من النوم على تلك الحال وهذا فائدة صحيحة الأخوان

فانه صار لهذا الكلب ذكر وخبر وشأن وقد قيل انه كان كلب صيد لاحدهم وهو الاشبه وقيل كلب طباط الملك وقد كان وافقههم على الدين وصحبه كلبه فالتة أعلم وقد روى الحافظ بن عساكر في ترجمة همام بن الوليد الدمشقي حدثنا صدقة بن عمر الغساني حدثنا ابا المنقرى سمعت الحسن البصري يقول كان اسم كبش نبراهيم عليه الصلاة والسلام جريروا سم هدهد سليمان عليه السلام عنقر و اسم كلب أصحاب الكهف قطمير واسم عجل بنى اسرائيل الذي عبدوه يهوت وهبط آدم عليه السلام بالهند وحواء بجدة وابليس بدست بيسان والحية باصفهان وقد تقدم (١٢٨) عن شعيب الجبائي انه سمع جران واخلاقه وافى لونه على أقوال

لا حاصل لها ولا طائل تحتها ولا دليل عليها ولا حاجة اليها بل هي مما ينبغي عنه فان مستند هار جهم بالغيب وقوله تعالى لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا والمث منهم رعبا أى انه تعالى التي عليهم المهابة بحيث لا يقع نظرا أحد عليهم الا هاجم لمألبسوا من المهابة الدهر لئلا يدنو منهم أحد ولا تسهم يد لاس حتى يبلغ الكتاب أجله وتقتضى رقتهم التي شاء تبارك وتعالى فيهم لماله في ذلك من الحكمة والحجة البالغة والرجة الواسعة (وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم كنتم قالوا ابلنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما كنتم فاعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر أيها اركى طعاما فلا أنكم برزق منه وليستطف ولا يشعروا بكم احد انهم ان يظهر واعليكم برجواكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا اذا أبدا) يقول تعالى كما أرقدناهم بعثناهم صحيحة أبدانهم وأشعارهم وأبشارهم لم يفقدوا من أحوالهم وهياتهم شيئا وذلك بعد ثلثمائة سنة وتسع سنين ولهذا

وجمناهم أى عوزوهم بالمعجزة عليها وقرئ آتينا بالمد على معنى جازيناها يقال آتى يؤاتى مؤاتاة جازى (وكفى بنا حاسين) أى محصين في كل شئ والحسب في الاصل معناه العدو وقيل عاملين لان من حسب شيئا علمه وحفظه وقيل مجازين على ما قدموه من خير وشر والغرض منه التحذير فان المحاسب اذا كان في العلم بحيث لا يمكن أن يشتهيه عليه شئ وفي القدرة بحيث لا يعجز عن شئ فحقيق بالعالم ان يكون على أشد الخوف منه وقد اخرج أحدوا الترمذى وابن جرير في تهذيبه والبيهقي وغيرهم عن عائشة ان رجلا قال يا رسول الله ان لى ملوكين يكذبوننى ويخونوننى ويعصوننى واشربهم واشتمهم فكيف أنا منهم فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك اياهم فان كان عقابك اياهم دون ذنوبهم كان فضلا لك وان كان عقابك اياهم بقدر ذنوبهم كان كفا لا عليك ولالك وان كان عقابك اياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل فجعل الرجل يبكى ويهتف فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم امانتكم كتاب الله ونفع الموازين القسط الى قوله حاسين فتعال الرجل يا رسول الله ما أجدى ولهم خيرا من مفارقتهم اشهدك انهم احراروفى معناه احاديث وروى عن الشبلبي انه روى فى المنام فقيل له ما فعل الله بك قال حاسبونا فذقتوا * ثم منوا فاعتقوا وكذا كل مال لك * بالمما ليك يرفق

ثم شرع الله سبحانه فى تفصيل ما أجله سابقا بقوله وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم وذكر عشرة قصص الاولى قصة موسى ثم ابراهيم ثم لوط ثم نوح ثم داود وسليمان ثم ايوب ثم اسمعيل وادريس وذى الكنول ثم نيس ثم زكريا ثم مريم وابنها عيسى فقال (ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضيياء وذكر الامتقين) المراد بالفرقان هنا التوراة قاله ابو صالح وعن قتادة مثله لان فيه الفرق بين الحلال والحرام والحق والباطل وقال ابن زيد الفرقان الحق وقيل الفرقان هنا هو النصر على الاعداء كما فى قوله وما نزلنا على عبدنا يوم الفرقان قال الثعلبى وهذا القول اشبه بظاهر الآية ومعنى ضيياء انهم استضاءوا بها فى ظلمات الجهل والغواية ومعنى الذكر الموعنة أى انهم يتعظون بعافيتها وخص المتقين لانهم الذين ينتفعون بذلك ووصنهم بقوله (الذين يخشون ربهم بالغيب) لان هذه الخشية تلازم التقوى او يخشون عذابه وهو غائب عنهم أو هم غائبون عنه لانهم فى الدنيا والعذاب

تساءلوا بينهم كم كنتم أى كم رقدتكم قالوا ابلنا يوما أو بعض يوم كأنه كان دخولهم الى الكهف فى أول شهر فى واستيقاظهم كان فى آخره ارولهذا استدركوا فقالوا أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما كنتم فاعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة أى فى آخر شهرهم اذ ذاك وهو احتياجهم الى الطعام والشرب فقلوا فاعثوا أحدكم بورقكم أى فضتكم هذه وذلك انهم كانوا قد استعجبوا منهم دراهم من منازلهم لحاجتهم اليها فتصدقوا منها وبقي منها فلهذا قالوا فاعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة أى مدينتكم التى خرجتم منها والالف واللام للعهد فلينظر أيها اركى طعاما أى أطيب طعاما

كقوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زلكنكم من أحد أبداً وقوله قد أفلح من تركي ومنه الزكاة التي تطيب المال وتطهره وقيل أكثر طعاما ومنه زك الزرع اذا كثر قال الشاعر

قبائلنا سبع وأنتم ثلاثة * وللسبع أركى من ثلاث وأطيب

والصحيح الاول لان مقصودهم انما هو الطيب الحلال سواء كان كثيرا أو قليلا وقوله وليتلف أي في خروجه وذهابه وشرائه وايابه يقولون وليخفف كل ما يتقدر عليه ولا يشعرن أي ولا يعلمن بكم أحداً (١٢٩)

أي ان علموا بمكانكم يرجوكم أو يعيدوكم في ملتهم يعنيون أصحاب دقيانوس يخافون منهم ان يطلعوا على مكانهم فلا يزالون يعذبونهم بأنواع العذاب الى أن يعيدوهم في ملتهم التي هم عليها أو يموتوا وان وافقة وهم على العود في الدين فلا فلاح لكم في الدنيا ولا في الآخرة وله ذاقا ولن تلجوا اذا بدا (وكذلك أعثرنا عليهم لم يعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها اذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لننخذن عليهم مسجداً) يقول تعالى وكذلك أعثرنا عليهم أي أطلعنا عليهم الناس ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها ذكر غير واحد من السلف انه كان قد حصل لاهل ذلك الزمان شك في البعث وفي أمر القيامة وقال عكرمة كان منهم طائفة قد قالوا تبعث الارواح ولا تبعث الاجساد فبعث الله اهل الكهف حجة ودلالة وآية على ذلك وذكر والله لما أراد احدثهم الخروج ليذهب الى المدينة في شراشي

في الآخرة وقيل يخافونه في الخلوأ اذا غلبوا عن عين الناس (وهم من الساعة مشفقون) أي وهم من اهل القيامة خائفون وجلون وهذا من ذكر الخاص بعد العام ليكونها اعظم المخلوقات وللتخصيص على اتصافهم بضد ما اتصف به المستهجلون واشار الجلالة الاسمية للدلالة على ثبات الاشفاق ودوامه (وهذا) أي القرآن قاله قتادة والاشارة اليه باداة القرب ايعاء الى سموله تناوله عليهم (ذكري مبارك) قال الزجاج أي ذكر لمن تذكربه وموعظة لمن اتعظ به والمبارك كثير البركة والخير (أرسلناه) صفة للذكر أو خبر بعد خبر (أفأنتم له منكرون) الاستهزاء لانكار ما وقع منهم من الانكار أي كيف تنكرون كونه منزلا من عند الله مع اعترافكم بان التوراة منزلة من عنده وأنتكم من اهل اللسان تدركون مزايالكلام ولطائفه وتفهمون من بلاغة القرآن ما لا يدركه غيركم مع ان فيه شرفكم وصيتكم كما يشير اليه لفظ الذكر على ما سبق فلما أنكره غيركم لكان ينبغي لكم مناصبته وتقدير النظر على المتعلق دال على التخصيص أي أفأنتم للقرآن خاصة دون كتاب اليهود فانهم كانوا يرجعون اليه وفيما عن اهلهم من المشكلات (ولقد آتينا ابراهيم رسده) أي الرشد اللائق به وبأمثاله من الرسل الكبار وهو الاهتداء الكامل المستند الى الهداية الخاصة الخاصة بالوحى والافتقار على اصلاح الامة باستعمال النواميس الالهية وقال مجاهد هديناه صغيرا (من قيل) أي قبل ايتاء موسى وهرون التوراة أو محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقال النراء أي أعطيناه هدهام من قبل النبوة والبلوغ أي وفقناه للنظر والاستدلال لما جن عليه الليل فرأى الشمس والقمر والنجم وعلى هذا أكثر المفسرين وبالاول قال أقلهم (وكتابه عالمن) أي انه موضع لا يتأثر الرشد وانه يصلح لذلك (اذ) أي اذ كرحس (قال لايه) آزر (وقومه) غرودون اتبعه (ما هذه التماثيل) وهي الصور والاصنام قاله مجاهد وفيه تجاهل لهم ليحقر آلهتهم مع علمه بتعظيمهم لها وأصل التماثيل الشئ المصنوع المشابه لشيء من مخلوقات الله سبحانه يقال مثلت الشئ بالشئ اذا جعلته مشابها له واسم ذلك الممثل تمثال وهو الصورة المصنوعة من رخام أو نحاس أو خشب شبيهة بخلق الآدمي أو غيره من الحيوانات وأنكر عليهم عبادتها بقوله (التي أنتم لها عاكفون) العكوف عبارة عن اللزوم والاستقرار على الشئ لغرض من الاغراض واللام في لها الاختصاص ولو كانت للتعبدية لحي بكامة على أي ما هذه

(١٧ - فتح البيان سادس) لهم ليا كاهه تنكروا خرج يشي في غير الجادة حتى انتهى الى المدينة وذكر وأن اسمها

أفسوس وهو يظن ان قريب العهد بها وكان الناس قد تبدلوا قريبا بعد قرن وجيلا بعد جيل وأمة بعد أمة وتغيرت البلاد ومن عليها كما قال الشاعر أما الديار فانها كديارهم * وأرى رجال الحى غير رجاله فجعل لا يرى شيأ من معالم البلدا التي يعرفها ولا يعرف أحدا من أهلها الا خواصها ولا عوامها فجعل يتحير في نفسه ويقول لعل بي جنونا أو مسأ أو أنا حاله ويقول والله ما بي شئ من ذلك وان عهدى به هذه البلدة عشية أمس على غير هذه الصفة ثم قال ان تعجيل الخروج

من ههنا^١ ولّى^٢ ثم عمد إلى رجل من بيع الطعام فدفع إليه مائة من النفقة وسأله أن يبيعها بطعاما فأمره أن يتركها وأنكر خبرهم فادفعها إلى جاره وجعلوا يتداولونها بينهم ويقولون لعل هذا وجد كنز فأسألوه عن أمره ومن أين له هذه النفقة لعله وجدها من كنز ومن أنت فجعل يقول أنا من أهل هذه البلدة وعهدى بها عشيبة أمس وفيها قيانوس فنسبوه إلى الجنون فخلوه إلى ولّى أمرهم فسأله عن شأنه وخبره حتى أخبرهم بأمره وهو متحير في حاله وما هو فيه فلما أعلمهم بذلك قاموا معه إلى الكهف ملك البلد وأهلها حتى انتهى بهم إلى الكهف (١٣٠) فقال دعوني حتى أتتكم في الدخول لأعلم أصحابي

فدخل فيقال انهم لا يدرون كيف ذهب فيه وأخفى الله عليهم خبرهم ويقال بل دخلوا عليهم ورأوهم وسلم عليهم الملك واعتنقهم وكان مسلما فيما قيل واسمه تندوسيس فتسرحوا به وأنسوه بالكلام ثم ودعوه وسلموا عليه وعادوا إلى مضاجعهم وتوفاهم الله عز وجل قاله أعلم قال قتادة غزا ابن عباس مع حبيب بن ملة فمروا بالكهف في بلاد الروم فرأوا فيه عظاما فقال قائل هذه عظام أصحاب الكهف فقال ابن عباس لقد بايت عظامهم أكثر من ثمانمائة سنة رواه ابن جرير وقوله وكذلك أخبرنا عليهم أي كأمر قدناهم وأيقظناهم بها ثم أطلعنا عليهم أهل ذلك الزمان ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم أي في أمر القيامة فمن مثبت لها ومن منكر فجعل الله ظهورهم على أصحاب الكهف حجة لهم وعليهم فتدلىوا على عليهم بنينا نربهم أعلم بهم أي سدوا عليهم باب كهفهم وذروهم على حالهم قال الذين غلبوا على أمرهم لتخفذن عليهم هم مسجدا حكي ابن جرير في

الاصنام التي أنتم مقيمون على عبادتها وقيل ان الكوف مضمين معنى العبادة وكانت تلك الاصنام اثنتين وسبعين صنما بعضهم من ذهب وبعضهم من فضة وبعضهم من حديد وبعضهم من رصاص وبعضهم من نحاس وبعضهم من حجر وبعضهم من خشب وكان كبيرها من ذهب مكللا باخوار في عينية باقوتان متقدتان تضيان في الليل (قالوا) وجدنا آباءنا لها عابدين) فقلنا نعم واقتديناهم أم أجابوه بهذا الجواب الذي هو العصابة التي يتوكل عليها كل عاجز والحبيل الذي يشبث بكل غريق وهو القسك بمجرد تقليد الآباء أي وجدنا آباءنا يعبدونها فاعبدناهم اقتداء بهم ومشييا على طريقتهم وهكذا يجيب هؤلاء المقلدة من أهل هذه الملة الاسلام فان العالم بالكذب والسنة اذا أنكر عليهم العمل بمحض الرأي المدفوع بالدليل قالوا هذ قد قال به امامنا الذي وجدنا آباءنا له مقلدين وبرأيه آخذين قال الحنفياوى أي فلم يكن جوابهم -م الا التقليد انتهى وجوابهم هو ما أجاب به الخليل ههنا (قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين) أي في خسران واضح ظاهر لا يخفى على أحد ولا يتبس على ذي عقل فان قوم ابراهيم عبدة الاصنام التي لا تنفع ولا تسمع ولا تبصر وليس بعد هذا الضلال ضلال ولا يساوى هذا الخسران خسران قال النسبي أراد أن المقلدين والمقلدين منخراطون في سلك ضلال ظاهر وكذا أنتم ليصح العطف لأن العطف على ضمير وفي حكم بعض النسخ جعل متمنع انتهى أقول وهؤلاء المقلدة من أهل الاسلام استبدلوا بآبائهم وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كتباً قد دوت فيها الجتهادات عالم من علماء الاسلام زعم انه لم يقنع على دليل يخالفها ما لا قصور منه أولئك قصص في البحث فوجد ذلك الدليل من وجدته وأبرزه واضح المنار كانه علم في رأسه نار وقال هذا كتاب الله وهذه سنة رسوله وأنشدكم

دعوا كل قول عند قول محمد * فما آمن في دينه كخاطر

فقالوا كما قال الاول

وهل أنا الا من غربة ان نوت * غويت وان ترشد غربة أرشد

وقد أحسن من قال

يا بى النبی الاتباع الهوى * ومنهج الحق له واضح

قال البيضاوى والتقليد ان جاز فاعلموا بجزان علم في الجدة الله على الحق ثم لما سمع أولئك

القائلين ذلك قولين أحدهما انهم الملمون منهم والثاني أهل الشرك منهم فأنشد علم والظاهر ان الذين قالوا ذلك هم مقالة أصحاب الحكمة والفلاس ولكن هل هم مجودون أم لا فيه نظر لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبورا نبيا ثم وصالحهم مساجد يحذروا فاعلموا وقدروا يساعن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه لما وجد قبر دانيال في زمانه العراق أمر أن يخفى عن الناس وان تدفن تلك الرقعة التي وجدوها عنده في هاشم من الملاحم وغيرها (سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجبا بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل فلا تماريهم الامر انظارا ولا تستفت فيهم منهم أحدا) يقول تعالى مخبرا عن اختلاف الناس في عدة أصحاب الكهف فكي ثلاثة

أقوال فدل على انه لا قائل برابع ولا ضعف القولين الاولين بقوله رجبا بالغيب أى قول بلا علم كن رعى الى مكان لا يعرفه فانه لا يكاد يصيب وان أصاب فبلا قصد ثم حكى الثالث وسكت عليه أو قرره بقوله وثامنهم -م كهم فدل على صحته وانه هو الواقع في نفس الامر وقوله قل ربي أعلم بعدتهم ارشاد الى أن الاحسن في مثل هذا المتكلم رد العلم الى الله تعالى اذلا احتياج الى الخوض في مثل ذلك بلا علم لكن اذا اطلعنا على أمر قدا به والوقفنا وقوله ما يعلمهم الا قليل أى من الناس قال قتادة قال ابن عباس انما من القليل الذى استثنى الله عز وجل كانوا سبعة وكذا روى ابن جريج عن عطاء الخراساني (١٣١) عنه انه كان يقول أنا من استثنى الله عز وجل ويقول عدتهم سبعة وقال ابن جريج حدثنا ابن يسار حدثنا عبد الرحمن حدثنا اسرائيل عن سمك

عن عكرمة عن ابن عباس ما يعلمهم الا قليل قال أنان القليل كانوا سبعة فهذه أسانيد صحيحة الى ابن عباس انهم كانوا سبعة وهو موافق لما قدمناه وقال محمد بن اسحق بن يسار عن عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد قال لقد حدثت انه كان على بعضهم من حدادته سنة ونزع الورق قال ابن عباس فكافوا كذلك ليهم ونهارهم في عبادة الله يميكون ويستغيثون بالله وكانوا (١) ثمانية نفر مكسطين وكان أكبرهم وهو الذى كلم الملائكة عنهم وخشعنا وتلقينا ومطونس وكشطونس وبيرونس ودنيوس وبطونس وقابوس هكذا وقع في هذه الرواية ويحتمل ان هذا من كلام ابن اسحق ومن بينه وبينه فان الصحيح عن ابن عباس انهم كانوا سبعة وهو ظاهر الآية وقد تقدم عن شعيب الجبائي ان اسم كهم -م حمران وفي تسميتهم -م هذه الاسماء واسم كهم نظير في صحته والله أعلم فان غالب ذلك متلقى من أهل الكتاب

مقالة الخليل (قالوا أجمعنا بالحق أم أنت من اللاعبيين) أى أجاد أنت فيما تقول أم أنت لاعب مازح وليس المراد به حقيقة المجيء اذ لم يكن غائبا عنهم وأم متصلة وان كان بعدها جملة لانها في حكم المنفرد اذ التقدير أى الامر من واقع جملة بالحق أم لعبك وفي اراد الشق الثانى بالجملة الاسمية الدالة على النبات ايدان برجخانه عندهم ثم (قال) مضر باعما بنوا عليه مقالتهم من التقليد (بل ربكم رب السموات والارض) وقيل هو اضربا عن كونه لاعبا باقامة البرهان على ما دعاه والاول أظهر (الذى فطرهن) أى خلقتهن وأبدعهن والضمير للسموات واللتماثيل وهو أدخل في تضليلهم واقامة الحجية عليهم لان فيه تصريح بحبان معبوداتهم من جملة مخلوقاته (وأنا على ذلكم) الذى ذكرته لكم من كون ربكم هو رب السموات والارض فقط دون ما عداه كما نأما كان (من الشاهدين) أى العالمين به على سبيل الحقيقة المبرهنين عليه فان الشاهد على الشيء هو من كان عالما به مبرهنا عليه بمبيناته (ونالاه لا كيدنا أصنامكم) أخبرهم بانه سينزل من الحاجة باللسان الى تغيير المنكر بالنعل ثقة بالله سبحانه ومحاماة على دينه وهذه طريقة فعلية دالة على انه على الحق بعد ان أتى بطريقتي قولية بجمع بين القول والنعل والكيد المنكر يقال كاده يكيد كيدا ومكيدة والمراد هنا الاجتهاد في كسر الاصنام قيل انه عليه السلام قال ذلك سرا وقيل سمعه رجل منهم فافشاه (بعد أن تولوا مدبرين) أى بعد ان ترجعوا من عبادتها ذاهبين منطلقين قال المنفسرون كان لهم عيد في كل سنة يجتمعون فيه فقلوا لابراهيم لو خرجت معنا الى عيدنا فاجعل ديننا فقال ابراهيم هذه المقالة (فجعلهم جذازا) أى تولوا جعلهم -م جذازا أى خطا ما بناس قاله ابن عباس وعنه قال فتاها الجذاز القطع والكسر يقال جذزت الشيء قطعت وكسرت الواحد جذازة والجذاز ما تكسر منه قال الجوهرى قال الكسائي ويقال لجذارة الذهب الجذاز لانها تكسر وقرئ جذازا بكسر الجيم أى كسرا وقطعا جمع جذيد وهو الهشيم مثل خنيد وخناف وظريف وظراف وقرئ بالضم كالخناصم والرقاق نعال بمعنى مفعلول وقرئ بفتحها قال قطرب هي في لغاتها كلها مصدرة فلا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث والقراءتان الاوليان سبعيتان وهذا هو الكيد الذى وعدهم به (الا كبير الهم) أى عظيم الهمهم قاله ابن عباس يعنى تركه ولم يكسره والضمير للاهنة او عائد على عابديها ووضع الناس في عنقه ثم خرج (لعلمهم)

وقد قال تعالى فلا تتعارفهم الامر اظهرا أى -م لاهينا فان الامر في معرفة ذلك لا يترتب عليه كبر فائدة ولا تستفت فيهم منهم أحدا أى فانهم لا علم لهم بذلك الا ما يقولونه من تلقاء أنفسهم رجبا بالغيب أى من غير استناد الى كلام معصوم وقد جاءك الله يا محمد بالحق الذى لا شك فيه ولا مربة فيه فهو المقدم الحاكم على كل ما تقدمه من الكتب والاقوال (ولا تقولن لشيء ائني فاعل ذلك غدا) (١) قوله وكانوا ثمانية نفر كذا في نسخة وفي أخرى سبعة ولعل هذه النسخة محرقة عن تسعة بالمائة قبل السنين فان المعداد بعد كذلك وبين النسختين تسعة في ضبط الاسماء وفي القاموس عدة أقوال فيها خرم ما وقع في ضبطها من رواية ابن اسحق اه صححه

الآن يشاء الله واذكرك برك اذ انسيت وقل عسى أن يهديني ربي لأقرب من ههنا (هذا ارشاد من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم الى الادب فيما اذا عزم على شيء ليفعله في المستقبل أن يرد ذلك الى مشيئة الله عز وجل علام الغيوب الذي يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون كما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال قال سليمان ابن داود عليه ما السلام لا طوفن الليلة على سبعين امرأة وفي رواية تسعين امرأة وفي رواية مائة امرأة لذلك امره أن منهن غلاما يقاتل في سبيل الله فقيل له وفي رواية (١٣٢) قال له الملك قل ان شاء الله فلم يقل فطاف بهن فلم يلدن منهن الا امرأة واحدة نصف انسان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لم يخف وكان دركا لحاجته وفي رواية ولقاها في سبيل الله فرسانا أجعين وقد تقدم في أول السورة ذكر سبب نزول هذه الآية في قول النبي صلى الله عليه وسلم لماسئسئل عن قصة أصحاب الكهف غدا أجيبكم فتأخر الوحى خمسة عشر يوما وقد ذكرناه بطوله في أول السورة فأعنى عن اعادته وقوله واذكرك برك اذ انسيت قيل معناه اذ انسيت الاستثناء فاستثنى عند ذكر كماله قاله أبو العالقة والحسن البصرى وقال هشيم عن الاعمش عن مجاهد عن ابن عباس في الرجل يخلف قال له أن يستثنى ولو الى سنة وكان يقول واذكرك برك اذ انسيت في ذلك قيل للاعمش سمعته عن مجاهد فقال حدثني به ليث بن أبي سليم يرى ذهب كسافي هذا ورواه الطبراني من حديث أبي معاوية عن الاعمش به ومعنى قول ابن عباس انه يستثنى ولو بعد سنة أى اذ انسى أن يقول في حلفه أو في كلامه ان شاء الله وذكره ولو بعد سنة فالسنة ان يقول ذلك ليكون آتيا

بسنة الاستثناء حتى ولو كان بعد الحنث قاله ابن جرير رحمه الله ونص على ذلك لأن يكون رافعا لحنث اليمين ومستقظا ان لا يكون رافعا وهذا الذى قاله ابن جرير رحمه الله هو الصحيح وهو الالقي بحمل كلام ابن عباس عليه والله أعلم وقال عكرمة واذكرك برك اذ انسيت أن تقول ان شاء الله وقال الطبراني حدثنا محمد بن الحرث الجيلي حدثنا صفوان بن صالح حدثنا الوليد بن مسلم عن عبد العزيز بن حصين عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس في قوله ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله واذكرك برك اذا نسيت ان تقول ان شاء الله وروى الطبراني أيضا عن ابن عباس في قوله واذكرك برك اذ انسيت الاستثناء فاستثنى اذا ذكرت

اليه) أى الى ابراهيم (يرجعون) فيحاجهم عباسية أى فيحجهم وقال الرازى اما اذا قلنا ان الصمير راجع الى الكبير فالمعنى لعلمهم يرجعون اليه كما يرجع الى العالم في حل المشكلات فيقولون له ما هو ولا مكسورة ومالك صحيحا وما لهذا الناس في عنقك وقال ذلك بناء على كثرة جهالاتهم واستهزاء بهم وكان من عادتهم اذ رجعوا اليها سجدوا اليها ثم ذهبوا الى منازلهم وقيل المعنى لعلمهم الى الصمير الكبير يرجعون فيسألونه عن الكسار لان من شأن المعبود ان يرجع اليه في المهمات فاذا رجعوا اليه لم يجدوا عنده خبرا فيعملون حينئذ انهم الاتجلب فتدعوا ولا تدفع ضررا ولا تعلم بخبر ولا شر ولا تخبر عن الذى ينوبهم من الامر وقيل لعلمهم الى الله يرجعون وهو بعيد جدا (قالوا) فى الكلام حذف والتقدير فلما رجعوا من عيدهم ورأوا ما حدث بآلهم من التكسير قالوا (من فعل هذا يا آلهم الذين الظالمين) الاستفهام للتوبيخ والتشنيع والانكار وقيل من موصولة مبتدأ وان الذين المخبره اى فاعل هذا ظالم والاول اولى عن ابن مسعود قال لما خرج قوم ابراهيم الى عيدهم من واعليه فقالوا يا ابراهيم ألا تخرج معنا قال انى سقيم وقد كان بالامس قال تالله لا كيدن اصنامكم الا يذبحه مع ناس منهم فلما خرجوا انطلق الى اهلها فأخذوا طعاما ثم انطلقوا الى آلهم ففقدوا اليهم فقالوا ألا نأكلون فكسرهم االا كبيرهم ثم ربط في يده الذى كسر به آلهم فلما رجع القوم من عيدهم دخلوا فاذا هم بآلهم قد كسرت واذا كبيرهم في يده الذى كسر به الاصنام قالوا من فعل هذا يا آلهم (قالوا) اى قال الذين سمعوا ابراهيم يقول وتالله لا كيدن اصنامكم مجيبين للمستفهمين لهم (سمعنا فتى يذكرهم) أى يعيهم ويسبهم وسمع ههنا متعدي لاثنين لدخولها على ما لا يسمع فالاول فتى والثانى جلد يذكرهم بخلاف ما لو دخلت على ما يسمع كان قلت سمعت كلام زيد فانهم اتعدوا لواحد (يقال له ابراهيم) قال الزجاج اى هو ابراهيم فهو خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ محذوف الخبر اى يقال له ابراهيم فاعل ذلك وقيل ارتفع على انه منقول ما لم يسم فاعله اى يقال له هذا اللفظ ولهذا قال ابو البقاء المراد الاسم لا المسمى وقيل على النداء اى يا ابراهيم ومن غرائب التوقيفات النحوية وبجانب التوجيهات الاعرابية ان الاعلم الشقوى الاشبيل قال انه مرتفع على الالهة قال ابن عطية ذهب الى رفعه بغير شيء (قالوا فأتوا به على أعين الناس) القائلون هم السائلون أمره وبعضهم

ان

وقال هي خاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم وليس لاحد منا ان يستثنى الا في صلة من يمينه ثم قال انفر دبه الوليد عن عبد العزيز بن الحصين ويحتمل في الآية وجه آخر وهو ان يكون الله تعالى قد ارشد من نسي الشيء في كلامه الى ذكر الله تعالى لان التسمية منسوبة من الشيطان كما قال وما انسانيه الا الشيطان ان اذ كرم وذكروا الله تعالى سبيها لذكر ولهذا قال واذا كرم بك اذا نسيت وقوله وقل عسى ان يهديني ربي لا قرب من هذا ارشداً أي اذا سئلت عن شيء لا تعلمه فاسأل الله تعالى فيه وتوجه اليه في أن يوفقك للصواب والارشاد في ذلك وقيل في تفسيره غير ذلك والله أعلم (ولبشوا في كهفهم ١٣٢) ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا قل الله

أعلم بما لبشوا له غيب السموات والارض أبصر به وأسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحداً) هذا خبر من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بمقدار مائت وأربعين ألف سنة في كهفهم منذ أرقدهم الى أن بعثهم الله وأعثر عليهم أهل ذلك الزمان وأنه كان مقداره ثلثمائة سنة ثم يدنس سنين بالهلالية وهي ثلثمائة سنة بالشمسية فان تفاوت ما بين كل مائة سنة بالشمسية الى الشمسية ثلاث سنين فلهذا قال بعد الثلاثمائة وازدادوا تسعا وقوله قل الله أعلم بما لبشوا أي اذا سئلت عن لبشهم وليس عندك علم في ذلك وتوقيف من الله تعالى فلا تتقدم فيه بشي بل قل في مثل هذا الله أعلم بما لبشوا له غيب السموات والارض أي لا يعلم ذلك الا هو ومن أطلعه عليه من خلقه وهذا الذي قلناه عليه غير واحد من علماء التفسير كجاهد وغير واحد من السلف والخلف وقال قتادة في قوله ولبشوا في كهفهم ثلاثمائة سنين الآية هذا قول أهل الكتاب وقد رده الله تعالى

ان يأتي به ظاهر ابرأى من الناس قيل انه لما بلغ الخبر غرودوا وشراف قومه كرهوا ان يأخذوه بغير بينة فقالوا هذه المقالة لا يكون ذلك حجة عليه يستحلون بها منه ما قد عزموا على ان يفعلوه به (اعلمهم يشهدون) أي يحضرون عقابه حتى ينزجر غيره عن الاقتداء به في مثل هذا وقيل لعلمهم يشهدون عليه بانهم رأوه يكسر أصنامهم وألعلمهم يشهدون طعنه على أصنامهم (قالوا أنت فعلت هذا يا ابراهيم) مستأنفة وفي الكلام حذف أي جاء ابراهيم حين أتوا به فاستفهموه هل فعل ذلك لا قامته الحجة عليه في زعمهم (قال) ابراهيم متعباً للعبة عليهم بمكالمهم وقال الخليل قال ساكناً عن فعله (بل فعله كبيرهم هذا) مشيراً الى الصنم الذي تركه ولم يكسره وقال الشهاب هذا على طريقة الكتابة القرصية فهذا يستلزم نفي فعل الصنم الكبير للكسر وثباته لنفسه وحاصله انه اشارت لنفسه على الوجه الابلغ مضمناً فيه الاستهزاء والتخليل انتهى أخرج أبو داود والترمذي وابن المنذر وابن أبي حاتم وغيرهم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يكذب ابراهيم في شيء قط الا في ثلاث كاهن في الله قوله اني سقيم ولم يكن سقماً وقوله لسارة أختي وقوله بل فعله كبيرهم هذا وهذا الحديث في الصحيحين من حديث أبي هريرة باطول من هذا وقد روى نحوه أبو يعلى من حديث أبي سعيد وقيل أراد ابراهيم عليه السلام بنسبة الفعل الى ذلك الصنم من الأصنام انه فعل ذلك لانه غار وغضب من أن يعبد وتعبد الصغار معه ارشاد الهيم الى ان عبادة هذه الأصنام التي لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تدفع لا تستحسن في العقل مع وجود خالقها وخالقهم والاول اولى وقرئ بل فعله بتشديد اللام على معنى بل فعل الفاعل كبيرهم (فأسألوهم) عن فاعله (ان كانوا ينطقون) أي ان كانوا يمكنهم النطق ويقدر على الكلام وينهم ما يقال له فيجيب عنه بما يطالبه وفيه تقديم جواب الشرط اراد عليه السلام ان يبين لهم ان من لا يتكلم ولا يعلم ليس يستحق للعبادة ولا يصح في العقل ان يطلق عليه أنه الله فأخرج الكلام مخرج التعريض لهم بما يوقعهم في الاعتراف بان الجادات التي عبدوها ليست بالالهة لانهم اذا قالوا انهم لا ينطقون قال لهم فكيف تعبدون من يعجز عن النطق ويقتصر عن ان يعلم بما يقع عنده في المكان الذي هو فيه فهذا الكلام من باب فرض الباطل مع الخصم حتى تلزمه الحجة ويعترف بالحق فان ذلك اقطع لشبهته وادفع لمكابرته وانما قال ينطقون

بقوله قل الله أعلم بما لبشوا قال وفي قراءة عبد الله وقالوا لبشوا يعني انه قاله الناس وهكذا قال قتادة ومطرف بن عبد الله وفي هذا الذي زعمه قتادة نظروا في الذي بأيدي أهل الكتاب انهم لبشوا ثلاثمائة سنة من غير تسع يعنون بالشمسية ولو كان الله قد حكى قولهم لما قال وازدادوا تسعا والظاهر من الآية انما هو اخبار من الله لاحكامه عنهم وهذا اختيار ابن جرير رحمه الله ورواية قتادة قراءة ابن مسعود منقطعة ثم هي شاذة بالنسبة الى قراءة الجمهور فلا يحتج بها والله أعلم وقوله أبصر به وأسمع أي انه لبصر بهم سمع لهم قال ابن جرير وذلك في معنى المبالغة في المدح كانه قيل ما أبصره وأسمعه وتأويل الكلام ما أبصرهم لكل موجود وأسمعه لكل

مسموع لا يخفى عليه من ذلك شيء ثم روى عن قتادة في قوله أبصر به وأسمع فلا أحد أبصر من الله ولا أسمع وقال ابن زيد أبصر به وأسمع يرى أعمالهم ويسمع ذلك منهم سمعاً بصيراً وقوله مالهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحد أي أنه تعالى هو الذي له الخلق والأمر الذي لا معقب لحكمه وليس له وزير ولا نصير ولا شريك ولا مشير تعالى وتقدس (واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك لا مبدل لحكماته وإن تجدد من دونه ملحدوا واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من (١٣٤) أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً) يقول تعالى

أمر أرسوله صلى الله عليه وسلم بتلاوة كتابه العزيز وإبلاغه إلى الناس لا مبدل لحكماته أي لا مغير لها ولا محرف ولا مزيل وقوله وإن تجدد من دونه ملحدوا قال ابن جرير يقول إن أنت يا محمد لم تمل ما أوحى إليك من كتاب ربك فإنه لا مبدل لك من الله كما قال تعالى يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس وقال إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد أي سائلك عما فرّض عليك من إبلاغ الرسالة وقوله واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه أي اجلس مع الذين يذكرون الله وليلونه ويحمدونه ويسبحونه ويكبرونه ويسألونه بكرة وعشيا من عباد الله سواء كانوا فقراء أو أغنياء أو أقوياء أو ضعفاء يتألفونهم إنزات في أشرف قریش حين طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يجلس معهم وحده ولا يجالسهم بضعفاء أصحابه كبلال وعمار وسهيب وخباب وابن

ولم يقل يسمعون أو يعقلون مع أن السؤال موقوف على السمع والعقل أيضاً إن نتيجة السؤال الجواب وإن عدم نطقهم أظهر في تكبرهم (فرجعوا إلى أنفسهم) أي رجع بعضهم إلى بعض رجوع المنقطع عن حجته المنطق أنصحه بخصمه المراجع لعقله وذلك أنهم تنهوا وفهموا عند هذه المواقلة بينهم وبين إبراهيم أن من لا يقدر على دفع المضرة عن نفسه ولا على الأنصار عن فعله ما فعله إبراهيم تلك الأصنام يستحيل أن يكون مستحقاً للعبادة ولهذا (فقالوا) أي قال بعضهم لبعض (انكم أنتم الظالمون) لأنفسكم بعبادة هذه الجادات وليس الظالم من نسبت إليه الظلم بل بقولكم إنكم الظالمين (ثم نكسوا على رؤسهم) أي رجعوا إلى جهلهم وعنادهم شبهة سبحانه عودهم إلى الباطل بصيرورة أسفل الشيء أعلاه وقيل المعنى أنهم طأطأ رؤسهم بخجله من إبراهيم وهو ضعيف لأنه لم يقل نكسوا رؤسهم بفتح الكاف واسناد الفعل إليهم حتى يصح هذا التفسير بل قال نكسوا على رؤسهم وقرئ نكسوا بالتشديد وأنه لغة في الخنف فليس التشديد تعدياً ولا تكثيراً ثم قالوا بعد أن نكسوا مخاطبين لإبراهيم (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) أي لقد علمت أن النطق ليس من شأن هذه الأصنام فكيف تأمرنا بسؤالهم وما هذه حجازية أو عجمية (قال) إبراهيم مبتكلاً لهم ومزياً عليهم (م) (افتعبدون من دون الله) أي بدله (مألا ينفعكم شيئا) من النفع إن عبدتموه (ولا يضركم) بنوع من أنواع الضرر إذا لم تعبدوه ثم تنحجر عليهم السلام منهم فقال (أف) بكسر الفاء مع التسوين وتركه وفتحها بلا تنوين بمعنى مصدر فالقراآت ثلاث وكلها سبعية أي تتناوفاً (لكم ولما تعبدون من دون الله) وفي هذا تحقير لهم ولعبوداتهم واللام في لكم لبيان التأفف له أي لكم ولا أهتمكم والتأفف صوت يدل على التنحجر (أفلا تعقلون) أي أليس لكم عقول تتفكرون بها فتعلمون هذا الصنع القبيح الذي صنعهوه أو أن هذه الأصنام لا تستحق العبادة ولا تصلح لها وأنما يستحقها الله تعالى (قالوا) أي قال بعضهم لبعض لما أعيتهم الحيلة في دفع إبراهيم وعجزوا عن مجادلته وضافت عليه السلام مسالك المناظرة (حرقه) أنصرافاً منهم إلى طريق الظلم والغش وميلاً منهم إلى إظهار الغلبة بأي وجه كان وعلى أي أمر اتفق وهكذا ديدن المبطل المحجوج إذا قرعت شبهته بالحقه القاطعة واقضخ لا يبق له منزع إلا المناصبة والتنازل هو الترويض كنعان بن السحاري بن غروذين كوش بن حام

مسعود بن فرداؤلث يجلس على حدة فنهاه الله عن ذلك فقال ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الآية ابن وأمره أن يصبر بنفسه في الجلوس مع هؤلاء فقال واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الآية وقال مسلم في صحيحه حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا محمد بن عبد الله الأسدي عن أسرايل عن المقدام بن شريح عن أبيه عن سعد بن أبي وقاص قال كأمع النبي صلى الله عليه وسلم ستة نفر فقال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم اطرده هؤلاء لا يجترئون علينا قال وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان نسيت اسميهما فوقع في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يقع

حدث نفسه فأمر الله عز وجل ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه انظر ذباخره مسلم دون البخاري وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي التياح قال سمعت أبا الجعد يحدث عن أبي أمامة قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على قاص يقص فأمسك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قص فلا أن أقعد غدوة الى أن تشرق الشمس أحب الى من أن أعتق أربع رقاب وقال أحمد أيضا حدثنا هاشم حدثنا شعبة عن عبد الملك بن ميسرة قال سمعت كردوس بن قيس وكان قاص العامة بالكوفة يقول أخبرني رجل من أصحاب بدر أنه سمع (١٣٥) النبي صلى الله عليه وسلم يقول لأن أقعدني

مثل هذا المجلس أحب الى من أن أعتق أربع رقاب قال شعبة فقلت أي مجلس قال كان قاصا وقال أبو داود الطيالسي في مسنده حدثنا محمد بن شاذان بن زيد بن أبان عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن أجالس قوما يذكرون الله من صلاة الغداة الى طلوع الشمس أحب الى مما طلعت عليه الشمس ولأن أذكر الله من صلاة العصر الى غروب الشمس أحب الى من أن أعتق عمانية من ولد اسمعيل دية كل واحد منهم اثنا عشر ألفا فحسبنا دياتهم ونحن في مجلس أنس فبلغت ستة وتسعين ألفا واههنا من يقول أربعة من ولد اسمعيل والله ما قال الا ثمانية دية كل واحد منهم اثنا عشر ألفا وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن الحرق الأحمزي حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا عمرو بن ثابت عن علي بن الأقرع عن الأغر أبي مسلم وهو الكوفي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر برجل يقرأ سورة الكهف فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم سكت فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا المجلس الذي

ابن نوح وقيل القائل رجل من اكراد فارس اسمه هينون خسف الله به الارض ثم قالوا (وانصروا آلهم) اي انصروها بالانتقام من هذا الذي فعل بها ما فعل وبتحريته (ان كنتم فاعلين) للنصر فجمعه والله الخطب الكثير وانصروا النار في جميعه واوثقوا ابراهيم وجعله في منجنيق ورموه في النار قاله المحلى وكانت مدة الجمع شهر او مدة الايتاد سبعة ايام ومدة مكث ابراهيم في النار سبعة ايام وفي الرازي أربعين يوما وخسين ومثله في أبي السعد وكان وقت القائه فيها ابن ست عشرة سنة وقيل ست وعشرين قاله الماوردي (قلنا) في الكلام حذف تقديره فاضرموا النار وذهبوا بابراهيم اليها فعند ذلك قلنا (يا نار كوني بردا وسلاما) أي ذات برد وسلام أي ابردي بردا غير ضار فحذف المضى واقيم الخاف اليه مقامه للمبالغة قيل وانتصاب سلاما على انه مصدر أي وسلمنا سلاما (على ابراهيم) ولولم يتدل على ابراهيم لما احرقت نار ولا انتقدت قاله ابو حيان في البحر عن ابن عباس قال لما جع لا ابراهيم ما جع وألقى في النار جعل خازن المطر يقول متى أو مر بالمطر فأرسله فكان امر الله اسرع فان الله كوني بردا وسلاما فلم يبق في الارض نار الا طفت واخرج احمد وابن ماجه وابن حبان وابو يعلى وابن ابى حاتم والطبراني عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ان ابراهيم حين القى في النار لم تكن دابة الا طفت عن النار غير الوزغ فانه كان ينفع على ابراهيم فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقتله وهو ساقم أبرس وذكر بعض الحكماء ان الوزغ لا يدخل بيتا فيه زعفران والله يبش قاله ابن القيم وعن ابن عمر قال اول كلمة قالها ابراهيم حين القى في النار حسبنا الله ونعم الوكيل اخرجه ابن ابى شيبة وابن المنذر وعن السدي قال كان جبريل هو الذي ناداه الى النار وعن ابن عباس قال لولم يتبع بردها سلاما لمات ابراهيم من بردها وعن علي نحوه وعن معمر بن سليمان التيمي قال جاء جبريل الى ابراهيم وهو يوثق ليلقى في النار فقل يا ابراهيم لك حاجة قال أما اليك فلا وعن كعب قال ما احرق النار من ابراهيم الا وثاقه وذهبت حرارتها وبقيت اضاءتها وعن المنهال بن عمرو قال اخبرت ان ابراهيم التي في النار فكان فيها اما خسين واما اربعين فقال ما كنت اياما وليالي قط اطيب عيشا اذ كنت فيها ووددت ان عيشي وحياتي كلها مثل عيشي اذ كنت فيها (وأرادوا به كيدا) اي مكرا وهو التعريق (جعلناهم الاخسرين) اي اخسر من كل خاسر ورددناهم كرمهم

أمرت أن أصبر نفسي معهم هكذا رواه أبو أحمد عن عمرو بن ثابت عن علي بن الأقرع عن الأغر عن أبي مسلم وهو الكوفي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر برجل يقرأ سورة الكهف فسكت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا المجلس الذي أمرت أن أصبر نفسي معهم وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن بكر حدثنا ميمون المرقى حدثنا ميمون بن سياه عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله لا يريدون بغيرك الا وجهه الا ناداهم مناد

من السماء ان قوموا مغفور لكم قد بدلت سياآتكم حسنات ففرد به أحد رجه الله وقال الطبراني حدثنا اسمعيل بن الحسن حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب عن أسامة بن زيد عن أبي حازم عن عبد الرحمن بن سهل بن حنيف قال نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بعض آياته واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الآية فخرج يلتمسهم فوجدوهم يذكرون الله تعالى منهم الثائر الرأس وجاف الجلود وذو الثوب الواحد فلما رآهم جلس معهم وقال الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرئ ان اصبر ننسى معهم وقوله (١٣٦) ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا قال ابن عباس ولا تجاوزهم الى

عليهم فجعلنا لهم عاقبة السوء كما جعلنا لآبراهيم عاقبة الخير لانهم خسروا السهمى والنفقة فلم يحصل لهم مرادهم وصاروا معهم برهاناً على بطلانهم أو الاخير بن بمعنى الهالكين بارسال البعوض على غرود وقومه فاكلت لحومهم وشربت دماءهم ودخلت في دماغه بعوضة فاهلكته (ونحنناهم ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين) قد تقدم ان لوطا هو ابن اخى ابراهيم قاله ابن عباس أى هاران الا صغر وكان له ما أخ ثالث اسمه ناخور والثلاثة أولاد زرو وما هاران الا كبر فكان عمال ابراهيم وكانت سارة بنت عم ابراهيم الذى هو هاران الا كبر وكانت آمنت بابراهيم فحكي الله سبحانه ههنا انه نبي ابراهيم ولوطا عليهما السلام قال المفسرون والارض هى ارض الشام قاله أبى وكانا بالعراق ومماها سبحانه مباركاً لكثرة خصم او اشجارها ونهارها وانهارها ولا نهامعادن الانبياء واصل البركة ثبوت الخير ومنه برك البعير اذ الرم مكانه فلم يرح وقيل الارض المباركة مكة وقيل بيت المقدس لان منها بعث الله أكثر الانبياء وهى أيضاً كنسرة الخصب والاول اولى لان ابراهيم خرج من كوفى من أرض العراق وعمل لوط وسارة فخرج يلقس الفرار بدينه والامان على عبادة رب حتى نزل حران فكثرت بها ما شاء الله ثم خرج من حران حتى قدم مصر ثم خرج ورجع الى الشام فقتل السبع مع من أرض فلسطى وترك لوطا بالموتفة مكة وهى على مسيرة يوم وليلة من السبع فبعثه الله نبيا الى ائمتها أو ما قرب منها ذكره الخازن وقد تقدم تنسير للعالمين ثم قال سبحانه فمننا على ابراهيم (وهيما له الحق ويعتوب نافلة) وهى الزيادة من غير سؤال وكان ابراهيم قد سأل الله ان يهب له ولداً فوهب له الحق ورجله ما عاشه من السنين ما تيسر سبع وأربعون ثم وهب له الحق ويعتوب من غير دعاء فكان ذلك نافلة وقيل المراد بالنافلة هنا العطية قاله الزجاج ومجاهد وقيل النافلة هنا ولد الولد لانه زيادة على الولد وقال ابن عباس نافلة ابن الابن وعن قتادة والحكم بنحوه وقال التبرء النافلة يعقوب خاصة لان ولد الولد (وكلا جعلنا صالحين) أى كل واحد من هؤلاء الاربعة ابراهيم ولوطا والحق ويعقوب لابعضهم دون بعض جعلنا صالحا معادلاً بطاعة الله تاركاً لمعاصيد وقيل المراد بالصلاح هنا النبوة (وجعلناهم أئمة) أى رؤساء يقتدى بهم فى الخيرات والاعمال الصالحة (يهودون) الناس (بأمرنا) أى بما أنزلنا عليهم من الوحي (وأوحينا اليهم فعل الخيرات) أى أن يفعلوا الطاعة وقيل شرايع النبوات (واقام

غيرهم يعني تطلب بلههم اصحاب
الشرف والثروة ولا تطلع من اغفلنا
قلبه عن ذكرنا اى شغل عن الدين
وعبادته وبالدنيا وكان امره فرطاً
اى اعماله وافعاله سهله وتسرّبط
وضياع ولا تكن مطيعاً له ولا
محباً لظرفه ولا تعبط بما هو فيه
كما قال ولا تمدن عينيك الى الماتعنا
بداز واجبا منهم زهرة الحياة الدنيا
انقمتهم فيه ورزق ربك خير وبقى
(وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن
ومن شاء فليكفر انا اعدنا للظالمين
نارا احاط بهم سرادقها وان
يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوئ
الوجوه بلئس الشراب وساءت
مرجعهم) يقول تعالى لرسوله شدد
صلى الله عليه وسلم قل يا محمد للناس
هذا الذى جئتكم به من ربكم هو
الحق الذى لا مرية فيه ولا شك فمن
شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر هذا
من باب التهديد والوعيد الشديد
ولهذا قال انا اعدنا اى ارصدنا
لنظالمين وهم الكافرون بالله ورسوله
وكذلك نارا احاط بهم سرادقها اى
سورها قال الامام احمد حدثنا حسن
ابن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا
دراج عن ابي الهيثم عن ابي سعد

الخديري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال السراق النار أربعة جدر كنافه كل جدر مسافة أربعين (الصلاة)

سنة وأخرجه الترمذى فى صفة النار وابن جرير فى تفسيره من حديث دراج ابى السمعة . وقال ابن جرير قال ابن عباس احاط بهم سرادقها قال حائط من نار قال ابن جرير حدثنى الحسين بن نصر والعباس بن محمد قال حدثنا أبو عاصم عن عبد الله بن أمية حدثنى محمد بن حنفى بن يعلى عن صفوان بن يعلى عن يعلى بن أمة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) البحر هو وجهه ثم قال فقبل

(١) قوله البحر هو جهنم الخ كذا في النسخ وحرر لفظ الحديث اهـ مصححه

له فتلا هذه الآية أو قرأ هذه الآية نارا احاط بهم سرادقها ثم قال والله لا ادخلها أبداً ومادت حيا ولا يصيبني منها قطرة وقوله وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه الآية قال ابن عباس المهل الماء الغليظ مثل دردي الزيت وقال مجاهد هو كالدوم والقيح وقال عكرمة هو الشيء الذي انتهى حرقه وقال آخرون هو كل شيء أذيب وقال قتادة اذاب ابن مسعود شيئا من الذهب في اخذوه فلما انما عوا وأزبد قال هذا شبه شيء بالمهل وقال الضحاك ماء جهنم أسود وهي سوداء وأهلها سود وهذه الاقوال ليس شيء منها ينفي الآخر فان المهل يجمع هذه الاوصاف الرذيلة كلها فهو أسود مثل غليظ حار (١٣٧) ولهذا قال يشوي الوجوه أي من حرقه اذا أراد

الكفار أن يشرب به وقربه من وجهه شواء حتى تسقط جلدة وجهه فيه كما جاء في الحديث الذي رواه الامام أحمد بأسناده المتقدم في سرادق النار عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ماء كالمهل قال كعكر الزيت فاذا قرب به اليه سقطت فروة وجهه فيه وهكذا رواه الترمذي في صفة النار من جاءه من حديث رشتين ابن سعد عن عمرو بن الحرث عن دراج به ثم قال لانعرفه الا من حديث رشتين وقد تكلم فيه من قبل حفظه هكذا قال وقد رواه الامام أحمد كما تقدم عن حسن الاشيب عن ابن لهيعة عن دراج والله أعلم وقال عبد الله بن المبارك وبقية بن الوليد عن صفوان بن عمرو عن عبد الله بن بشر عن أبي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ويسقي من ماء صديد يتجرعه قال يقرب اليه فيتم كبره فاذا قرب منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فاذا شربه قطع امعاءه يقول الله تعالى وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بنس الشراب وقال سعيد بن جبيرة

الصلاة الاصل الاقامة الا ان المضاف اليه جعل بدلا من الهاء والمعنى المحافظة عليها (وايتاء الزكاة) الواجبة وخصصها بالذكر لان الصلاة افضل العبادات البدنية وشرعت لذكر الله والزكاة افضل العبادات المالية وجموعهما التعظيم لاهل الله والشفقة على خلق الله (وكافوا لنا) خاصة دون غيرنا من الاصنام قاله العمادي (عابدين) أي مطيعين فاعلين لانهم هم به تاركين لما نهى الله عنه وقيل موحدون (ولو طأ آتيناها) أي نبوة (وعلمنا) أي معرفة بأمر الدين أو فقهه لا ثقابه فيكون من عطف السبب على المسبب وقيل الحكم هو فصل الخصومات بالحق وقيل هو الفهم (ونحن من القرية) هي سدوم كما تقدم (التي كانت تعمل) أي يعمل أهلها ففقهه حجاز عتلى (الخمات) هي اللواط والاضراط وخذف الحصى والرمي بالنار واللعاب بالطين وروى غير ذلك كما سيأتي ثم علل سبحانه ذلك بقوله (انهم كانوا قوم سوء فاسقين) أي خارجين عن طاعة الله (وأدخلناه) بانجائنا له من القوم المذكورين (في أهل) (رحمتنا) وقيل في النبوة وقيل في الاسلام وقيل في الثواب وقيل في الجنة (انه من الصالحين) الذين سمعت لهم من الحصى (ذ) اذ ذكر (نوحا) اذ نادى ربه (من قبل) أي من قبل هؤلاء الانبياء المذكورين وبعث وهو ابن أربعين سنة ومكث في قومه ألف سنة الا خمسين عاما وعاش بعد الطوفان ستين سنة فتكون مدة عمره ألفا وخمسين سنة كذا في التفسير وكان عليه السلام أطول الانبياء عمرا وأشد هم بلاء والمعنى دعا على قومه بقوله رب لا تذرا لخدائي نصيبا ودعا دعاء آخر اجابا بقوله اني مغلوب فانتصر واما نبينا فتدلى الله عليه وآله وسلم فدعا القومه بالهداية بقوله رب اهد قومي فانهم لا يفقهون كما فهمنا اول ذلك ورد أن أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ثلثا أهل الجنة ولهم ثلاثة أرباع الجنة بل تسعة اعشارها وبقية الامم لهم العشر ذكره السنوسي في شرح الصغرى (فاستجبنا له) دعاءه (فنجينا نداءه) أي المؤمنين منهم (من الكرب العظيم) أي من الغرق بالطوفان وتكذيب قومه له والكرب الغم الشديد (ونصرناه) نصرنا مستنعبا للانتقام وقيل منعناه (من القوم الذين كذبوا بآياتنا) الدالة على رسالته أي من ان يصلوا اليه بسوء وقيل من جمعني على ثم علل سبحانه ذلك بقوله (انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين) أي لم نترك منهم أحدا بل أغرقنا كبرهم وصغيرهم ذكركم وانما هم بسبب اصرارهم على الذنب (و) اذ ذكر (داود وسليمان)

(١٨ - فتح البيان سادس) اذا جاع أهل النار استغيثوا فاعطوا وشجرة الزقوم فيا كونهما فاجتست جلود وجوههم فلان ما راى منهم يعرفهم اعرف جلود وجوههم فيها ثم يصب عليهم العطش فيستغيثون فيعاثون بماء كالمهل وهو الذي قد انتهى حرقه فاذا أدنوه من أفواههم اشتوى من حره لحوم وجوههم التي قد سقطت عنها الجلود ولهذا قال تعالى بعد وصفه هذا الشراب بهذه الصفات الذميمة القبيحة بنس الشراب أي بنس هذا الشراب كما قال في الآية الاخرى وسعوا ما جفا فقطع امعاءهم وقال تعالى تسقى من عين آنية أي حارة كما قال تعالى وبين جحيم آن وساءت مر تنفقاى وساءت النار منزلا ومقيلا ومحجعة وموضع اللار تنفقاى كما قال في الآية

الآخرى انها ساءت مستقرا ومقاما (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لانضيع أجر من أحسن عملا اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق متكئين فيها على الارائك نعم الثواب وحسنت مرتبتنا) لما ذكر تعالى حال الاشقياء في بذل السعداء الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين فيما جاءوا به وعملوا بما أمرهم به من الاعمال الصالحة فلهم جنات عدن والعدن الإقامة تجري من تحتهم الانهار أى من تحت غرفهم ومنزلهم قال فرعون وهذه الانهار تجري في المسكان الآخر ولؤلؤا ولباسهم فيها حريز وفصله ههنا فتسال ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق فالسندس ثياب رفيع رفاق كالقمصان وما جرى مجراها وأما الاستبرق فغليظ الديباج وفيه بريق وقوله متكئين فيها على الارائك الاتكاء قيل الاضطجاع وقيل التربع في الجلوس وهو أشبه بالمراد ههنا ومنه الحديث الصحيح اما أنا فلا أكل متكئا فيه القولان والارائك جمع أريكة وهي السرير تحت الجلجلة والجلجلة كما يعرفه الناس في زماننا هذا بالشخانة والله أعلم قال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة على الارائك قال هي الخجال قال معمر وقال غيره السررفي الخجال وقوله نعم الثواب وحسنت مرتبتنا أى حسنت منزلا ومقبلا كما قال في النار بئس الشراب وساءت مرتبتنا وهكذا قابل بينهم في سورة الفرقان في قوله انها ساءت مستقرا ومقاما ثم ذكر صفات المؤمنين فقال أولئك يجزون الغرة بما صبروا وياقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها احسنت مستقرا ومقاما

(١٣٨)

أى قصتهما (اذ يحكى) أى وقت حكمهما والمراد من ذكرهما ذكر خبرهما (فى) شأن (الحرب) قيل كان زرعاهو أشبه بالعرف وقيل كرما وعليه أكثر المفسرين وبه قال ابن عباس واسم الحرب يطلق عليه ما قال مرة كان الحرب تبنا (اذ تفتت) قال ابن السكيت النفس بالتحريك ان تفتت الغنم بالليل من غير راع أى تفرقت وانتشرت ورت بان انفلتت (فيه غنم القوم) أى غنم بعض القوم من أمة داود (وكان حكمهم) أى لحكم الحاكمين وفيه جواز اطلاق الجمع على الاثنين وهو مذهب طائفة من أهل العربية كالنحشى والرضى وتقدمهما الى القول به الفراء وانما وقع الجمع موقع التثنية مجازا أو لان التثنية جمع واقل الجمع اثنان وتدل عليه قراءة لحكمهما وقيل المراد الخالكان والمحكموم عليه فهو لا جماعة وفيه الجمع بين الحقيقة والمجاز فان الحقيقة اضافة المصدر لفاعله والمجاز اضافة المفعول ومعنى (شاهدين) حاضرين والجلجلة اعتراضية وقدرى البيهقي في سننه عن ابن مسعود ولقنطه قال كرم قد أثبتت عناقيد فافسدته الغنم فقضى داود بالغنم لصاحب الكرم فقال سليمان غير هذا يابى الله قال وما ذاك قال يدفع الكرم الى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان وتدفع الغنم الى صاحب الكرم فيصيب منها حتى اذا عاد الكرم كما كان دفعت الكرم الى صاحبه والغنم الى صاحبها فذلك قوله (فنهما سليمان) وعن مسروق نحوه وكذا عن ابن عباس لكنه لم يذكر الكرم وعنه باطول منه والضمير المنصوب يعود الى القضية المفهومة من الكلام أو الى الحكومة المدلول عليها بذكر الحكم وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بينما امرأتان معهما ابنان جاء الذئب فاخذ أحدا البنين فتجا كما الى داود فقضى بلاء الكبرى فخر جتا فدعا سليمان فقال ها هو السكين أشقه بينهما فقالت الصغرى رحل الله هو ابنها لا تشقه فقضى بلاء الصغرى وهذا الحديث وان لم يكن داخل فيما حكته الآية لكنه من جملة ما وقع لهما قال المنسر ون دخل رجلان على داود وعنده ابنه سليمان أحدهما صاحب حرث والاخر صاحب غنم فقال صاحب الحرث ان هذا انفلتت غنمه لافوقعت في حرث فلم يبق منه شيأ فقال لك رقاب الغنم فقال سليمان أو غير ذلك ينطلق أصحاب الكرم بالغنم فيصيبوا من البانها ومنافعها ويقوم أصحاب الغنم على الكرم حتى اذا كان كليله نفست فيه دفع هؤلاء الى هؤلاء غنمهم ودفع

(واضرب لهم مثلا رجلين جاءنا لاحد هما جنتين من أعناب وحنفناهما بنخل وجعلنا بينهما زراعا كلنا جنتين هؤلاء

آتت أكلها ولم تظلم منه شيأ وخرنا خلاها لهما منيرا وكان له عمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن ان تبدي هذه أبدا وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربى لأجدن خيرا منها من قبلا) يقول تعالى بعد ذكره المشركين المستكبرين عن مجالسة الضعفاء والمساكين من المسلمين واقفخروا عليهم بأموالهم واحسابهم فضرب لهم ولهم مثلا رجلين جعل الله لاحدهما جنتين اى بستانين من أعناب محفوفتين بالنخل المحدثه في جنباتهما وفى خلاهما الزروع وكل

من الاشجار والزروع ثم مقبل في غاية الجودة ولهذا قال كلنا الجنة آتت أكلها أي أخرجت ثمرها ولم تنظم منه شيئا أي ولم تنقص منه شيئا وفخرنا بخلافها أي والآنهم متفرقة فيهما ههنا وههنا وكان له ثمر قيل المراد به المال روى عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل الثمار وهو أظهر ههنا ويؤيده القراءة الأخرى وكان له ثمر بضم الناء وتسكين الميم فيكون جمع غرة كخشبة وخشب وقرأ آخرون ثمر بفتح الثاء والميم فقال أي صاحب هاتين الجنة لصاحبه وهو يحاوره أي يجادله ويحاجه به ينتصر عليه ويتراءى أنا أكثر منك مالا وعز نفرا أي أكثر خدما وحشما ولدا (١٣٩) قال قتادة تلك والله أمنية الفاجر كثرة المال

وعزة النفوس وقوله ودخل الجنة وهو ظالم لنفسه أي يكفره وتعدده وتكبره وتجبره وانكاره المعاد قال ما ظن ان تبعد هذه ابد وذلك اغترار منه لما رأى فيهم الزروع والثمار والاشجار والانهار المطردة في جوانبها واربعها ظن انها لا تنفد ولا تفسر ولا تلهك ولا تتلف وذلك لقلة عقله وضعف يقينه بالله وعجابه بالحياة الدنيا وزينتها وكفره بالآخرة ولهذا قال وما ظن الساعة قائمة أي كائنته ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها من قبلي أي ولئن كان معاد ورجعة ومرد إلى الله ليكون لي هناك أحسن من هذا الخلق عند ربى ولولا كرامتي عليه ما أعطاني هذا كما قال في الآية الأخرى ولئن رجعت إلى ربي انى عنده للحسن وقال افرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا أي في الدار الآخرة نأى عن الله نزول على من سبب نزولها في العاص بن وائل كس ما تى بيانه في موضعه ان شاء الله وبه الثقة قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا لئن كان الله ربى ولا أشرك به لربى أحد ولو لا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله ان ترن أنا أقل بثنا مالا وولدا فعسى ربى أن يوتين خير من جنتك ويرسل عليكنا من السماء صعيدا زلقا أو ينجح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا يقول تعالى مخبرا عما جابه به صاحبه المؤمن واعظاله وذاكر اعماله وفيه من الكثر بالله الا غترأ أكفرت بالذي خلقك من تراب الآية وهذا انكار وتعظيم لما وقع فيه من مجود به الذي خلقه وابتدأ خلق الانسان من طين وهو آدم ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين كما قال تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فاحياكم الآية أي كيف تجدون ربكم ودلائله عليكم

هؤلاء إلى هؤلاء كرمهم فقال داود القضاء ما قضيت وحكم بذلك قال النحاس انما قضى داود بالغنم لصاحب الحرث لان غنما كان قريبا منه وأما في حكم سليمان فقد قيل كانت قيمة ما نال من الغنم وقيمة ما أفسدت الغنم سواء قال جماعة من العلماء ان داود حكم بوحى وحكم سليمان بوحى نسخ الله به حكم داود فيكون التفهيم على هذا بطريق الوحى وقال الجمهور ان حكمهم ما كان باجتهاد وكلام أهل العلم في حكم اجتهاد الانبياء معروف وهكذا ما ذكره في اختلاف المجتهدين وهل كل مجتهد مصيب أو الحق مع واحد وقد استدل المستدلون بهذه الآية على ان كل مجتهد مصيب ولا شك انها تدل على رفع الائم عن الخطئ وأما كون كل واحد منهم ماصيبا فلا تدل عليه هذه الآية ولا غيرها بل صرح الحديث المتفق عليه في الصحيحين وغيرهما ان الحاكم اذا اجتهد فاصاب فله اجران وان اجتهد فخطأ فله اجر فسماه النبي صلى الله عليه وآله وسلم مخطئا فكيف يقال انه مصيب لحكم الله موافق له فان حكم الله سبحانه واحد لا يختلف باختلاف المجتهدين والالزام بوقف حكمه عز وجل على اجتهادات المجتهدين والالزام باطل فالملزوم مثله وأيضا يستلزم أن تكون العين التي اختلف فيها اجتهاد المجتهدين بالحل والحكمة حلالا وحراما في حكم الله سبحانه وهذا اللازم باطل بالاجماع فالملزوم مثله وأيضا يلزم ان حكم الله سبحانه لا يزال يتجدد عند وجود كل مجتهد له اجتهاد في تلك الحادثة ولا ينقطع ما يريد الله سبحانه فيها الا بانقطاع المجتهدين والالزام باطل فالملزوم مثله والحاصل ان المجتهدين لا يتدرون على اصابة الحق في كل حادثة لكن لا يصرون على الخطا كما رجح داود هنا إلى حكم سليمان لما ظهر له انه الصواب وقد أوضح الشوكاني هذه المسئلة بما لا مزيد عليه في القول المفيد وأدب الطلب فن أحب الوقوف على تحقيق الحق فليرجع اليه ما وإلى المؤلف الذى سمناه حصول المأمول من علم الاصول وإلى كلنا الجنة في الاسوة الحسنة بالسنة ففيها ما يغنى عن غيرها قال الحسن لولا هذه الآية لأبى الحكم قد هلكوا ولو كان الله حدها بصوابه واثنى على هذا باجتهاده وقال مجاهد كان هذا صلحا وما فعله داود كان حكما والصلح خير فان قلت فما حكم هذه الحادثة التي حكم فيها داود وسليمان في هذه الشريعة المحمدية والملة الاسلامية قلت قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من حديث البراء انه شرع لأئمة ان على أهل الماشية حفظه بالليل وعلى أصحاب الخواط حفظه بالنهار وان

رجلا لئن كان الله ربى ولا أشرك به لربى أحد ولو لا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله ان ترن أنا أقل بثنا مالا وولدا فعسى ربى أن يوتين خير من جنتك ويرسل عليكنا من السماء صعيدا زلقا أو ينجح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا يقول تعالى مخبرا عما جابه به صاحبه المؤمن واعظاله وذاكر اعماله وفيه من الكثر بالله الا غترأ أكفرت بالذي خلقك من تراب الآية وهذا انكار وتعظيم لما وقع فيه من مجود به الذي خلقه وابتدأ خلق الانسان من طين وهو آدم ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين كما قال تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فاحياكم الآية أي كيف تجدون ربكم ودلائله عليكم

ظاهرة جليلة كل أحد يعلمها من نفسه فانه ما من أحد من المخلوقات الا يعلم انه كان معدوما ثم وجد وليس وجوده من نفسه ولا مستند الى شيء من المخلوقات لانه بنما بته فعمل اسنالا بجماده الى خالقه وهو الله لا اله الا هو خالق كل شيء ولهذا قال المؤمن لكنا هو الله ربى أى لكن أنا لا أقول بقالتك بل اعترف لله بالرحمة والربوبية ولا أشرك بربى أحد أى بل هو الله المعبود وحده لا شريك له ثم قال ولولا اذ دخلت جنتك أى وهلا وهذا تخضير وحث على ذلك ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله ان ترن أنا أقل منك مالا وولدا (١٤٠) أى هلا اذ أعجبته حين دخلت ما نظرت اليها حدث الله على

ما أنعم به عليك واعطاك من المال والولد ما لم يعطه غيرك وقلت ما شاء الله لا قوة الا بالله وله هذا قال بعض السلف من أعجبه شيء من حاله أو ماله أو ولده فليقل ما شاء الله لا قوة الا بالله وهذا مأخوذ من هذه الآية الكريمة وقد روى فيه حديث مرفوع أخرجه الحافظ أبو يعلى الموصلى في مسنده حدثنا جراح ابن محمد حدثنا عمر بن يونس حدثنا عيسى بن عون حدثنا عبد الملك ابن زراره عن أنس بن شى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزع الله على عبد نعمة من أهل أو مال أو ولد فيقول ما شاء الله لا قوة الا بالله فيرى فيه آفة دون الموت وكان يتأول هذه الآية ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله قال الحافظ أبو النعمان الأزدي عيسى بن عون عن عبد الملك بن زراره عن أنس لا يصح حديثه وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة وحباج حدثني شعبة عن عاصم بن عبيد الله عن عبيد مولى أبي رهم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة لا قوة الا بالله تنزله أحد وقد ثبت في الصحيح عن أبي موسى ان رسول

ما أفسدت المواثيق بالليل مضمون على أهلها وهذا الضمان هو مقدمه اذ اذهب عنها أو قيمته وقد ذهب جمهور العلماء الى العمل بما تضمنه هذا الحديث وذهب أبو حنيفة وأصحابه وجماعة من الكوفيين الى ان هذا الحكم منسوخ وان البهائم اذا افسدت زرعا في ايل أو نهار لا يلزم صاحبها شيء وأدخلوا فسادها في عموم قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم جرح العجماء جبار قيا سا لجميع أفعالها على جرحها ويوجب عنه بان هذا القياس فاسد الاعتبار لانه في مقابلة النص ومن أهل العلم من ذهب الى انه يضمن رب الماشية ما أفسدته من غير فرق بين الليل والنهار ويوجب عنه بحديث البراء وقد بسط الشوكاني رحمه الله الكلام عليه في شرحه للمنتقى ومما يدل على ان هذين الحكمين من داود وسليمان كابوحي من الله سبحانه لا باجتهاد قوله ففهمها سليمان (وكلا آتينا حكما وعلما) فان الله سبحانه أخبر نبيه أنه أعطى كل واحد منهما ما يشاء من الأمرين وهما ان كانا خضيين فصدقهما على هذه القضية التي حكاهما الله سبحانه عنهما مقدم على صدقهما على غيرها وان كانا عابدين فهذا الفرد من الحكم والعلم وهو ما وقع من كل واحد منهما في هذه القضية أحق فإذ ذلك العام بدخوله تحتها ودنه لعمه عليه ونما يستند من ذلك دفع ما عسى يؤمن به فتخمين سليمان بالتفهم من عدم كون حكم داود حكم شرعي أى وكل واحد منهما ما أعطياه حكم وعلما كنز الاسلام وحده ولم يمدح داود وسليمان على سبيل الاشتراك ذكر ما يختص بكل واحد منهما فبدأ بدارد فقال (وخنزرا) التسخير التكليف للعمل بلا أجره وخنزرة تسخيرها كانه عملا بلا أجره والمراد هنا التذليل أى ذللنا (مع داود الجبال يسبحن) التسبيح اما حقيقة أو مجاز وقد قال بالاول جماعة وهو الظاهر وذلك ان داود كان اذا سبح سبحت الجبال معه وقيل انها كانت تصلى معه اذا صلى قاله قتادة وهو معنى التسبيح وقال بالمجاز جماعة آخرون وجعلوا التسبيح على تسبيح من رآها تعجبها من عظيم خلقها وقد ردتها لوقيل كانت الجبال تسبى مع داود حيث سار وكان من رآها سائرة معه سبى والظاهر وقوع التسبيح منها بالاطلاق خلق الله فيها الكلام كسبح الحصى في كنز رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومع الناس ذلك وكان داود هو الذى يسمع وحده قاله أبو حيان (و) كذا خنزرا (الطير) للتسبيح معه (و) فاعلمين) ما ذكر من التنبيه وآياته الحكم والتسخير وقدم الجبال على الطير لان تسخيرها وتسبيحها أعجب وأدل على القدرة

أنه قال ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة لا قوة الا بالله تنزله أحد وقد ثبت في الصحيح عن أبي موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة لا حول ولا قوة الا بالله وقال الامام أحمد حدثنا بكير بن عيسى حدثنا أبو عوانة عن أبي بلع عن عمرو بن ميمون قال قال أبو هريرة قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أباهريرة ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة تحت العرش قال قلت نعم فذاك أى وامى قال ان تقول لا قوة الا بالله قال أبو بلع واحسب انه قال فان الله يقول أسلم عبدى واستسلم قال فقلت لعمر قال أبو بلع قال عمر وقلت لابي هريرة لا حول ولا قوة الا بالله فقال لانها في سورة الكهف ولولا اذ دخلت

(131)

تظل جیادہ نوحا علمہ

معنی نائحات عالمہ (وَأَحْمَطُ بِشْرِهِ

وهو خاء رقة لـ عـ وشها وبقول

آه فؤاد بنصر و نه در دون الله وما

التي هي من شأنها أن تكون

يسول لعلی واحیط بمره بامواله او
شاه علی القول الآخر والقصد

انه وقع بهذا الكافر ما كان يحذر

الحسين بن علي جده الى اعرابها

یقلب کذیبہ علی ما اتفق فیہ اوقال

على الاموال التي اذهبها عليهم

ولم تكن له فئة أى عشيرة أو ولد

من دون الله وما كان منتصرا هـ

ههنا فنرى من يقف على قوله وما

الذام: الذل لا ينفك كمن العز هذا

عذاب لقوله فمما رآه من الآيات ما جعلنا

ای ہمالیہ الخدم للہ الحق م منهم من

وأدخل في العجاز لانها اجادوا الطير حيوان ناطق وهو جمع طائر وجمع الطير طيور وروا طيار
ويقع الطير على الواحد والجمع وقال ابن الانباري الطير جماعة وتأتيها أكثر من التدكير
ولا يقال للواحد طير بل طائر وقيل يقال للثاني طائرة (وعلمناه صنعة لبوس لكم)
اللبوس عند العرب السلاح كله درعا كان أو جوشمنا أو سيفنا أو رمحا والمراد في الآية
الدروع خاصة وهو معنى اللبوس كالركوب والحلوب قبل أول من صنع الدروع
وسردها واتخذها حلقا وادعاه السلام وكانت من قبل صنائع قالوا إن الله لأن الحديد
لداود عليه السلام بأن يعمل منه بغير نار كأنه طين والدرع يجمع بين الخنثى والحصانة وهو
قوله (لتحصنكم) بالفوقية بارجاع الضمير إلى الصنعة وإلى اللبوس بتأويل الدرع أي
لتحصنكم وقرأ بالنون بارجاع الضمير إليه سبحانه وقرأ بالياء بارجاع الضمير إلى اللبوس
أولاً وداود أوالى الله سبحانه (من بأسكم) أي من حربكم مع أعدائكم أو من وقع
السلاح فيكم (فهل أنتم) يأخذ مكة (شاكرون) لهذه النعمة التي أنعمت بها
عليكم والاستسهام في معنى الأمر ثم ذكر سبحانه ما خص به سليمان فقال (و) سخرننا
(سليمان الريح) عبرنا باللام الدالة على التملك وفي داود جمع وذلك أن الجبال والطيور لما
اشتركت معه في التسبيح ناسب فيه ذكر مع الدالة على الاصطحاب ولما كانت الريح مستخدمة
لسليمان أتى بلام الملك لأنها في طاعته وتحت أمره والريح هو جسم متحرك لطيف
ممتنع بلطفه من القبض عليه يظهر للعصم بحركته ويغني عن البصر بلطفه (عاصفة)
أي شديدة الهموب وخفيفة به يقال عصف الريح أي اشتدت فهي ريح عاصف
وعصف (تجري بأمه) أي إن أراد أن تشدد اشتدت وإن أراد أن تلين لانت فهي
جامعة للوصفين في وقت واحد وهذه آية أخرى غير التسخير (إلى الأرض التي باركنا فيها)
أي تجري منتهية إليها في رواحه من سفره أي رجوعه منه وهي أرض الشام عن ابن عباس
قال كان سليمان بوضع له سماء ألف كرسي ثم يجيئ أشراف الانس فيجلسون مما يليه ثم
يجيئ أشراف الجن فيجلسون مما يلي أشراف الانس ثم يدعو الطير فتظلم ثم يدعو الريح
فتعظم لهم تسير مسيرة ثم في الغداة الواحدة (وكنا بكل شيء) وتدبيره (علمين و) سخرناله
(من الشياطين) أي الكافرين من الجن دون المؤمنين (من بغوصون له) في
البحار ويستخرجون منها ما يظلمه منهم والغوص النزول تحت الماء يقال غاص في الماء

كان منتصرا ههنا لك أي في ذلك الموطن الذي حل به عذاب الله فلا منقذه منه ويتبدى بقوله الولاية لله الحق ومنهم من يفت على وما كان منتصرا ويتبدى بقوله ههنا لك الولاية لله الحق ثم اختلفوا في قراءة الولاية فتمهم من فتح الواو من الولاية فيكون المعنى ههنا لك الموالاة لله أي ههنا لك كل أحد مؤمن أو كافر يرجع الى الله والى موالاته والخضوع له اذا وقع العذاب كما تقول فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفروا بما كانوا يشركين وكقوله اخبارا عن فرعون حتى اذا ادركه الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ومنهم من كسر الواو من الولاية أي ههنا لك الحكم لله الحق ثم منهم من

رفع الحق على انه نعت للولاية كقوله تعالى الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا ومنهم من خفف القاف على انه نعت لله عز وجل كقوله ثم ردوا الى الله مولاهم الحق الآية ولهذا قال تعالى هو خير ثوابا أى جزاءه وخير عقبا أى الاعمال التى تكون لله عز وجل ثوابا خيرا وعاقبتها حميدة رشيدة كلها خير (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيا تذرؤه الريح وكان الله على كل شئ بمقتدرا المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخيرا مالا) يقول تعالى (١٤٢) واضرب يا محمد للناس مثل الحياة الدنيا فى زوالها وفنائها وانقضاءها كما

انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض أى ما فيها من الحب فشب وحسن وعلاه الزهر والنور والنضرة ثم بعد هذا كله اصبح شميما يابس تذرؤه الريح أى تفرقه وتطرحه ذات اليمين وذات الشمال وكان الله على كل شئ بمقتدرا أى هو قادر على هذه الحال وهذه الحال وكثيرا ما يضرب الله مثل الحياة الدنيا بهذا المثل كما قال تعالى فى سورة يونس انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأك كل الناس والانععام الآية وقال فى الزمر ألم ترى ان الله انزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الارض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه الآية وقال فى الحديد اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته الآية وفى الحديث الصحيح الدنيا خضرة حلوة وقوله المال والبنون زينة الحياة الدنيا كقوله زين للناس حب الشهوات من الفساق والبنين والقناطر المقنطرة من الذهب الآية وقال تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة والله عنده

والغواص الذى يغوص فى البحر على اللؤلؤ (ويعملون عملا دون ذلك) قال الفراء أى سوى ذلك ودون بمعنى غير وسوى لابعنى أقل وأدون أى سوى الغوص كالبناء والنورة والطاقون والقوارير والمأبون لان ذلك من استخراجهم وقيل يراد بذلك الخراب والتسابل وغير ذلك مما يستخرجهم فيه (وكألهم) أى لاعمالهم (حافظين) وقال الفراء أى من انهم سربوا ويقتنعوا أو حفظناهم من ان يخرجوا عن أمره قال الزجاج كان يحفظهم من ان يفسدوا ما عملوا وكان دأبهم ان ينسدوا بالليل ما عملوا بالنهار (و) اذكر (أيوب اذ نادى ربه) لما تسابل به تدماله وولده وتزريق جسده وشجر جميع الناس له الازوجته وضيق عيشه (انى) أى باني (مسنى الضر) اختلف فى الضر الذى كان نزل به ماذا هو فقيل انما قام ليصلى فلم يتقدر على النهوض وقيل انه أقرب بالعجز فلا يكون ذلك منافيا للصبر وقيل انقطع الوحى عنه أربعين يوما وقيل ان دودة سقطت من لجه فاخذها وردّها فى موضعها فاكات منه فصاح مسنى الضر وقيل كانت الدود تناول بدنه فيصير حتى تناولت دودة قلبه وقيل انه ضربه قول ابليس لزوجته ايجدى لى تخافى ذهاب ايمانها وقيل انه تقدر قومه وقيل أراد بانصر الشمامسة وقيل غير ذلك وأخرج ابن عساکر والديلى وابن الجار عن عقبه بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الله لا يؤب تدرى ما جرمك على حتى ابتليت قال لا يارب قال لانك دخلت على فرعون فداهنت عنده فى كلمتين وعن ابن عباس قال انما كان ذنب أيوب انما استعان به مسكين على ظلم يذروه فلم يعنه ولم يأمر بالمعروف ولم ينه عن الظالم عن ظلم المستكين فابتلاه الله وفى اسناده جويرى لما نادى ربه متضرعا اليه وصفه بغاية الرحمة فقال (وأنت أرحم الراحمين) وألطف فى السؤال ولم يصرح بان يطلب فمكانه قال أنت أهل أن ترحم وأيوب أهل أن يرحم فارحموا كشف عنه الضر قيل وانما كفى البية لذلك التحوى منه ان تضرا بالشكوى والشكاية اليه غاية القرب كما ان الشكاية منه غاية البعد فأخبر الله سبحانه باستجابته لدعائه فقال (فاستجبنا له) دعاءه الذى فى ضمنه الدعاء (فمكشفتنا ما به من ضر) أى شفاه الله مما كان به وأعاد عياده فذهب عليه وقال له اركض برجلك فركض فنبعت عين ماء فأمره أن يغسل منها ففعل فذهب كل داء كان بظاها ثم شى أربعين خطوة فأمره ان ينسرب برجله الارض مرة أخرى ففعل فنبعت عين ما بارد فأمره ان

أجر عظيم أى الاقبال عليه والتفرغ لعبادته خير لكم من اشتغالكم بهم والجمع لهم والشبهة المفترطة عليهم يشرب ولهذا قال والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخيرا مالا قال ابن عباس وسعيد بن جبيرة وغير واحد من السلف الباقيات الصالحات الصلوات الخمس قال عطاء بن رباح وسعيد بن جبيرة عن ابن عباس الباقيات الصالحات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وهكذا سئل أمير المؤمنين عثمان بن عفان عن الباقيات ما هى فقال هن لاله الا الله وسبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم رواه الامام أحمد حدثنا أبو عبد الله المقرئ حدثنا حيوة حدثنا أبو عقيل أنه سمع الحرث مولى

عثمان رضي الله عنه يقول جلس عثمان يوما وجلسنا معه فجاءه المؤذن فدعانا في اناء اظنه سيبكون فيه متذوقا ثم قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ وضوئي هذا ثم قال من توضأ وضوئي هذا ثم قام فصلى صلاة الظهر غفرله ما كان بيننا وبين الصبح ثم صلى العصر غفرله ما بيننا وبين الظهر ثم صلى المغرب غفرله ما بيننا وبين العصر ثم صلى العشاء غفرله ما بيننا وبين المغرب ثم لعلي بيت يترغ ليلته ثم ان قام فتوضأ وصلى صلاة الصبح غفرله ما بيننا وبين صلاة العشاء وهي الحسنات يذهبن السيئات قالوا هذه الحسنات فما الباقيات الصالحات يا عثمان قال هي لا اله الا الله (١٤٣) وسبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا قوة

الابا لله العلي العظيم تغربه وروى مالك عن عمارة بن عبد الله بن صياد عن سعيد بن المسيب قال الباقيات الصالحات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الابا لله وقال محمد بن عجلان عن عمارة قال سألني سعيد بن المسيب عن الباقيات الصالحات فقلت الصلاة والصيام قال لم تصب فقلت الزكاة والحج فقال لم تصب ولكنهن الكمات الخمس لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة الابا لله وقال ابن جريج أخبرني عبد الله بن عثمان بن خثيم عن نافع بن سرجس انه أخبره انه سأل ابن عمر عن الباقيات الصالحات قال لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله ولا حول ولا قوة الابا لله قال ابن جريج وقال عطاء بن أبي رباح مثل ذلك وقال مجاهد الباقيات الصالحات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الحسن وقتادة في قوله والباقيات الصالحات قال لا اله الا الله والله أكبر والحمد لله وسبحان الله هن الباقيات

يشرب منها فشرب فذهب كل داء كان يباطنه فصار كأصبح ما كان عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال كان لأيوب اخوان جا أيوم فلم يستطيعوا ان يدنو منه من ريحه فقام من بعيد فقال احدهما للآخر لو كان علم الله من أيوب خيرا ما ابتلاه بهذا الجزع أيوب من قولهما جزعنا لم يجزع من شيء قط مثله فقال اللهم ان كنت تعلم اني لم أبت ليلة قط شبعانا وأنا أعلم مكان جائع فصدقني فصدق من السماء وهما يسبحان ثم قال اللهم ان كنت تعلم اني لم ألبس قميصا قط وأنا أعلم مكان عار فصدقني فصدق من السماء وهما يسبحان ثم خر ساجدا وقال اللهم بعزك لا ارفع رأسي حتى تكشف عني فافزع رأسه حتى ككشف الله عنه وقدر واه ابن أبي حاتم مرفوعا بنحو هذا (وآتيناه أهل ومثلهم معهم) قبل تركهم الله عز وجل واعطاهم مثلهم في الدنيا قال التماس والاسناد بذلك صحيح وقد كان مات أهل جميعا الا امرأته فاحياهم الله في أقل من طرف البصر وآتاهم مثلهم معهم وهو ظاهر القرآن وبه قال اكثر المفسرين وكان له سبعة بنين وسبع بنات وقيل كان ذلك بان ولده ضعف الذين أماتهم الله فيكون معنى الآية على هذا آتيناهم مثل أهل ومثلهم معهم وعن مجاهد قال قيل له يا أيوب ان أهلك لك في الجنة فان شئت آتيناهم مثلك بهم وان شئت تركناهم لك في الجنة وعوضناك مثلهم قال له بل اتركهم لي في الجنة قال فتركوا له في الجنة وعوضوا مثلهم في الدنيا وقال ابن مسعود أوتي أهل بآعيانهم ومثلهم معهم وأخرج ابن أبي الدنيا وابو يعلى وابن جرير وابن أبي حاتم والروائي وابن حبان والحاكم وصححه وابن مردويه عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ان أيوب لبث به بلاؤه ثمان عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد الارجلين من اخوانه كانا من اخص اخوانه كانا يغدوان اليه ويروحان فقال احدهما لصاحبه ذات يوم تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنبا ما أذنبه أحد قال وما ذلك قال منذ ثمان عشرة سنة لم يرجه الله فيكشف عنه ما به فلما راها إلى أيوب لم يصبر الرجل حتى ذكر له ذلك فقال أيوب لا ادري ما تقول غير ان الله يعلم اني امر بالرجلين يتنازعا ن يذكران الله فارجع الى بيتي فأكثر عنهما ما كراهته أن يذكر الله الا في حق وكان يخرج الحاجة فاذا قضى حاجته أمسكت امرأته بيده حتى يبلغ فلما كان ذات يوم ابطاء عليها فادعى الله الى أيوب في مكانه ان اركض برجلك هذا فمغتسل بارد وشراب فاستبطأته فتلقته واقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء وهو أحسن ما كان فلما رآته قالت اي

الصالحات قال ابن جرير وجدت في كتابي عن الحسن بن الصباح البزار عن أبي نصر التمار عن عبد العزيز بن مسلم عن محمد بن عجلان عن سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر هن الباقيات الصالحات قال وحديثي يونس اخبرنا ابن وهب أخبرنا عمرو بن الحارث ان دراجا بابا السمع حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال استكثر وامن الباقيات الصالحات قيل وما هي يا رسول الله قال الملة قليل وما هي يا رسول الله قال التكبير والتبجيل والتسبيح والحمد لله ولا حول ولا قوة الابا لله وهكذا رواه احمد من حديث دراج به قال ابن وهب

أخبرني أبو بصير أن عبد الله بن عبد الرحمن مولى سالم بن عبد الله حدثه قال أرسلني سالم إلى محمد بن كعب القرظي في حاجة فقال قل له القتي عند زاوية القبر فان لي اليك حاجة قال فالتفتيا فسلم أحدهما على الآخر ثم قال سالم ما تعد الباقيات الصالحات فقال لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله ولا حول ولا قوة الا بالله فقال له سالم متى جعلت فيه الاحول ولا قوة الا بالله قال ما زلت اجعلها قال فراجعه مرتين أو ثلاثا فلم ينزع قال فأبيت قال سالم أجعل فأبيت فان أبى أيوب الانصاري حدثني انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عرجي (١٤٤) إلى السماء فأبى إبراهيم عليه السلام فقال يا جبريل من هذا

معك فقال محمد فخرج بي وسهل ثم قال مر أمتك فلتكثر من غراس الجنة فان تربتها طيبة وأرضها واسعة فقلت وما غراس الجنة فقال لاحول ولا قوة الا بالله وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن يزيد عن العوام حدثني رجل من الانصار من آل النعمان بن بشير قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في المسجد بعد صلاة العشاء فرفع بصره إلى السماء ثم خنض حتى ظننا انه قد حدث في السماء شيء ثم قال اماله سـ يكون بعدى أمراء يكذبون ويظلمون فن صدقهم بكذبهم ومالاهم على ظلمهم فليس منى وليست منه ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يمالهم على ظلمهم فهو منى وأما منه الأولان سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر هن الباقيات الصالحات وقال الامام أحمد حدثنا عثمان بن عفان حدثنا يحيى بن أبي كثير عن زيد عن أبي سلام عن مولى لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حج نحو خمس ما أنقلهن في

بارك الله فيك رأيت نبي الله المبتلى والله على ذلك ما رأيت رجلا أشبه به منك اذ كان صحيحا قال فاني أنا هو قال وكان له أندران أندر للشمع وأندر للشمع فبعث الله سبحانه بيني فلما كانت احدا على أندر الشمع افترغت فيه الذهب حتى فاض وافرغت الاخرى في أندر الشعير الورق حتى فاض وأندر هو البيدر بلغة أهل الشام والجمع الانادر والبيدر موضع يداس فيه الطعام وأندر اسم جنس فيكون مصروفا (رحمة من عندنا) أي آتيناه ذلك لرحمتنا له (وذكرى للعابدين) أي وتذكروا لغيرهم من العابدين ليصبروا كما صبر فيماتوا كثوابه واختلف في مدة اقامته على البلاء فتقبل سبع سنين وسبعة اشهر وسبعة ايام وسبع ليال وقيل ثلاثين سنة وقيل ثمانين سنة قال الكرخي وهذا القول هو الصحيح وعاش أيوب ثلاثا وستين سنة وكان ابنا رجلا من الروم يتسبب للعيسى بن اسحق وكانت أمه من ولد لوط بن هاران (و) (اذكر اسمي) الصابر على الانقياد للذبح وعاش مائة وثلاثين سنة (وادريس) هو اخنوخ جد نوح ولد في حياة آدم قبل مائة سنة وبعث بعد موته بمائة سنة وعاش بعد نبوته مائة وخمسين سنة فتكون جلته عمره اربعمائة وخمسين سنة وكان بينه وبين نوح الف سنة (وذا الكفل) هو الياس وقيل يوشع بن نون وقيل زكريا والصحيح ان رجلا من بني اسرائيل كان لا يتورع عن شيء من المعاصي فتاب فغفر الله له وقيل ان اليسع لما كبر قال من يتكفل لي بكذا وكذا من خصال الخير حتى استخلفه فقال رجل اننا استخلفناه وسمى ذا الكفل وقيل كان رجلا يتكفل بشأن كل انسان اذا وقع في شيء من المهمات وقيل هو ولد أيوب واسمه بشر بعثه الله بعد ابيه وسماه ذا الكفل وامره بالتوحيد وكان مقبلا بالشام حتى مات وعمره خمس وسبعون سنة وعن مجاهد قال رجل صالح غيري يتكفل انبي قومه ان يكفيه امر قومه ويقيمهم له ويقضي بينهم بالعدل فتعل ذلك فسمى ذا الكفل وعن ابن عباس قال كان في بني اسرائيل قاض لحضرة الموت فقال من يقوم مقامى على ان لا يغضب فقال رجل انافسى ذا الكفل فكان اياه جميعا يصلى ثم يصح صائعا فيقتضى بين الناس ذكرك قصة وعن ابى موسى الاشعري قال ما كان ذوالكفل نبيا ولكن كان في بني اسرائيل رجل صالح يصلى كل يوم مائة صلاة فتوفي فتكفل له ذوالكفل من بعده فكان يصلى كل يوم مائة صلاة فسمى ذا الكفل وأخرج أحمد والترمذي وحسنه وابن حبان والطبراني والبيهقي في شعب الايمان وغيرهم عن ابن

الميزان لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله والوالد الصالح يتوفى فيحسب به والده وقال شيخنا شيخنا من ابي الله مستيقنيناهن دخل الجنة يؤمن بالله واليوم الآخر وبالجنة والنار وبالبعث بعد الموت وبالْحساب وقال الامام أحمد حدثنا روح حدثنا الاوزاعي عن حسان بن عطية قال كان شدا بن أوس رضى الله عنه في سفر فنزل منزلا فقال لغلامه ابنا بالسفرة نعبث بها فانك كرت عليه فقال ما تكلمت بكلمة منذ اسلمت الا وأنا اخطمها أو زعمها غير كلتي هذه فلا تحفظوها على واحفظوا ما أقول لكم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا كنز الناس الذهب والنضة فاكنزوا كنزهم هؤلاء الكلمات

اللهم اني أسألك الثبات في الامر والعزيمة على الرشد وأسألك شكر نعمتك وأسألك حسن عبادتك وأسألك قلبا سليما وأسألك لسانا صادقا وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفر لك لما تعلم انك أنت علام الغيوب ثم رواه أيضا والنسائي من وجه آخر عن شداد بنحوه وقال الطبراني حدثنا عبد الله بن ناجية حدثنا محمد بن سعد العوفي حدثني أبو حنيفة عن الحسن بن الحسين عن يونس بن نفيع الجذلي عن سعد بن جنادة رضي الله عنه قال كنت في اول من اتى النبي صلى الله عليه وسلم من اهل الطائف فخرجت من اهل من السراة غدرة فأتيت منى عند العصر فتصاعدت في الجبل ثم حبطت فأتيت (١٤٥) النبي صلى الله عليه وسلم فسلمت وعلمني

قل هو الله احد واذا زلزلت وعلمني هؤلاء الكلمات سبحانه الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقال هن الباقيات الصالحات وهذا الاسناد من قام من الليل فتوضأ وضعت فاه ثم قال سبحان الله مائة مرة والحمد لله مائة مرة والله اكبر مائة مرة ولا اله الا الله مائة مرة غفرت ذنوبه الا الدماء فانها لا تبطل قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس قوله والباقيات الصالحات قال هي ذكر الله قول لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله والحمد لله وتبارك الله ولا حول ولا قوة الا بالله واستغفر الله وصلى الله على رسول الله والعهدة والصلاة والحج والصدقة والعق والجهاد والصلة وجميع أعمال الحسنات وهن الباقيات الصالحات التي تبقى لاهلها في الجنة مادامت السموات والارض وقال العوفي عن ابن عباس هن الكلمات الطيب وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هي الاعمال الصالحة كلها واختاره ابن جرير رحمه الله (ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم فلم تغادر منهم أحدا وعرضوا على

عمر بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال كان ذوالكفل من بني اسرائيل لا يتورع من ذنب عملا فأتته امرأة فاعطاه ستين ديناراً على أن يطأها فلما فعله دمنها ثم تعد الرجل من امرأته ارتعدت وبكت فقال ما يبكيك أكرهت قالت لا ولكن عمل ما علمته قط وما جئني عليه الا الحاجة فقال تفعلين أنت هذا وما فعلته اذ هي فلهي لك وقال والله لا أعصى الله بعدها أبداً فأتها من ليلته فاصبح مكتوب على بابه ان الله قد غفر لذي الكفل وقد ذهب الجهور الى انه ليس بنبي وبه قال أبو موسى الاشعري ومجاهد وغيرهما وقال جماعة هو نبي ولعله هو الصحيح وبه قال الحسن لان الله قرن ذكره باسمه عمل واندر يس ولان السورة ملقة بسورة الانبياء ثم وصف الله سبحانه هؤلاء بالصبر فقال (صل من الصابرين) على القيام بما كانهم الله به (وأدخلناهم في رحمتنا) أي في الجنة أوفي النبوة أوفي الخير على عمومته ثم مل ذلك بقوله (انهم من الصالحين) أي الكاملين في الصلاح (و) اذ كر (ذا النون) هو يونس بن متى على وزن شئ اسم لوالده على ما ذكره صاحب القاموس أو اسم لامه على ما قاله ابن الاثير وغيره وقال الشهاب ومتى اسم أبيه على الصحيح وسمى ذا النون لابتلاع الحوت له فان النون اسم للحوت وجعله أنون ونيان والحوت السمكة وجعه حيتان وقيل سمي بذلك لرأى صدياً ملجأ فقال دسما ونوته لئلا تصيبه العين وعن ابن الاعراب ان نونة الصبي هي الثقب التي تكون في ذقن الصبي الصغير ومعنى دسما سودوا (اذ ذهب مغاضباً) أي اذ كره وقت ذهابه مغاضباً أي مراغماً لقومه لاربه وقال الحسن والشعبي وسعيد بن جبير مغاضب لربه واختاره ابن جرير والقتيبي وحكى عن ابن مسعود قال النحاس وربما أنكر هذا من لا يعرف اللغة وهو قول صحيح والمعنى مغاضباً لاجل ربه كما تقول غضبت لك أي من أجلك وقال الضحاك مغاضباً لقومه وحكى عن ابن عباس وقالت فرقة منهم الاخذش انما خرج مغاضباً للملك الذي كان في وقته واسمه حرقيا وقيل لم يغاضب بربه ولا قومه ولا الملك ولكنه مأخوذ من غضب اذا أنف وذلك انه لما وعد قومه بالعذاب وكانوا يسكنون فلسطين وخرج عنهم تابوا وكشف الله عنهم العذاب فلما رجع وعلم انهم لم يهلكوا أنف من ذلك وخرج عنهم (فظن أن لن نقدر عليه) بفتح النون وكسر الدال واختار في معنى الآية على هذه القراءة فقل معناها انه وقع في ظنه ان الله تعالى لا يقدر على معاقبته وقد حكى هذا القول عن

(١٩ - فتح البيان سادس) ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا ينظرون الا ظمراً (أحدا) يخبر تعالى عن أهوال يوم القيامة وما يكون فيه من الامور العظام كما قال تعالى يوم تورا السماء موراً ونسير الجبال سيراً أي تذهب من أما كنها وترزول كما قال تعالى وترى الجبال تحسبها جبالاً منة وهي تمر السحاب وقال تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش وقال ويسألونك عن الجبال فقل يذهبها ري نسفا فيسذرها قاعاً صاففا لا ترى فيها عوجاً

ولا أمتايد **ك**رتعالى انه تذهب الجبال وتساوى المهادوتبقى الارض قاعا صنفنا أى سطحها مستويا لا عوج فيه ولا أمتاى
لا وادى ولا جبل ولهذا قال تعالى وترى الارض بارزدة أى بادية ظاهرة ليس فيها علم لاحد ولا مكان يوارى أحد ابل الخلق كلهم
ضاحون لربهم لا تخفى عليه منهم خافية قال مجاهد وقتادة وترى الارض بارزدة لا حجر فيها ولا غيبة قال قتادة ولا بناء ولا شجر وقوله
وحشرناهم فلم يغادر منهم أحد أى وجعناهم الاولين منهم والآخرين فلم يترك منهم أحد الا صغيرا ولا كبيرا كما قال قل ان الاولين
والآخرين لمجوعون الى ميقات يوم معلوم وقال ذلك يوم تجوع له الناس وذلك يوم مشهود وقوله وعرضوا

(١٤٦)

والآخرين لمجوعون الى ميقات يوم

على ربك صفا يحتمل ان يكون المراد ان جميع الخلائق يقومون بين يدي الله صفا واحدا كما قال تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتسكعون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا ويحتمل انهم يقومون صفوا صافوا كما قال وجاء ربك والملك صفا صفا وقوله لقد جئتمونا كالمخلقة كما أول مرة هذا تفرع للمذكورين للمعاد وتوزيعهم على رؤس الاشهاد ولهذا قيل مخاطبا لهم بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا أى ما كان ظنكم ان هذا واقع بكم ولان هذا كان وقوله ووضع الكتاب أى كتاب الاعمال الذى فيه الجليل والحقير والغنيل والقطدير والصغير والكبير فترى المجرمين مشغبين بما فيه أى من أعمالهم السيئة وأفعالهم القبيحة ويقولون يا ويلتنا أى يا حشرتنا ويا ويلنا على ما فرطنا فى أعمالنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها أى لا يترك ذنبا صغيرا ولا كبيرا ولا عملا ولا صغيرا الا احصاها أى ضبطها وحفظها وروى الطبرانى

الحسن وسعيد بن جبير وهو قول مردود فان هذا الظن بالله كفر ومثل ذلك لا يقع من الانبياء عليهم السلام وذهب جمهور العلماء الى ان معناها فظن ان لن نصيق عليه كقوله يسط الرزق لمن يشاء ويقدر أى يضيق ومنه قوله ومن قدر عليه رزقه يقال قدر وقدر وقتروا أى ضيق وقيل هو من القدر الذى هو القضاء والحكم دون القدرة والاستطاعة أى فظن ان لن نقضى عليه العتوبة قاله قتادة ومجاهد واختاره الثراء والزجاج قال ثعلب هو من التقدير ليس من القدرة يقال منه قدر الله لك الخير بقدر قدره ويؤيده قراءة ابن عباس ويؤيده قراءة قتادة واخرج بقدر مبنيا للمفعول من التقدير وقرئ بقدر مخففا مبنيا للمفعول وقد اختلف العلماء فى تأويل الحديث الصحيح فى قول الرجل الذى لم يعمل خيرا قط لاهله ان يحرقوه اذ مات ثم قال فواته لئن قدر الله على الحديث كما اختلفوا فى تأويل هذه الآية والكلام فى هذا بطول وقد ذكرنا ههنا ما لا يحتاج معه الناظر الى غيره (فسادى فى الظلمات) الفناء فبمعنى أى كان ما كان من التتام الحوت له فسادى والمراد بالظلمات ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت قاله ابن مسعود وكان نداه هو قوله (أن) أى بان (لا اله الا أنت سبحانك) يعنى تنزهنا عن أن يعجزك شئ (الى كنت من الظالمين) الذين يظلمون أنفسهم وأهل هذا الدعاء لميل وأوسطه تسبيح وأخره اقرار بالذنب وقال الحسن وقتادة هذا القول من يونس اعتراف بنبه وتوبة من خطيئته قال ذلك وهو فى بطن الحوت قبل مكث فيه أربعين يوما وليه قبل سبعة وقيل ثلاثة كما فى الخازن وفى المصنوعى أربع ساعات ثم أخذ به الله سبحانه به استجاب له فقال (فاستجبنا له) دعاه الذى دعانا به فى ضمن اعترافه بالذنب على اللطف وجه (ونجينا من الغم) أى غم الذلّة والوحشة والوحدة باخراجه من بطن الحوت حتى تذفه الى الساحل (وكذلك نجى المؤمنين) أى نخلصهم من همهم بما سبق من عملهم وما أعدنا لهم من الرحمة اذ ادعونا واستغاثوا بنا وهذا هو معنى الآية الاخرى وهى قوله فلو لانه كان من المسبحين للبت فى بطنه الى يوم يبعثون ترى نجى بنونين وبواحد وجيم مشددة وتسكين الياء على الفعل الماضى واشمار المذكر أى وكذلك نجى النجاة المؤمنين كما تقول ضرب زيد أى ضرب الضرب زيدا قاله الثراء وتوبعبيد ونعلب وخطأها أبو حاتم والزجاج وقال الهى لمن لانه

باسناده المتقدم فى الآية قبلها الى سعد بن جمادة قال لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة حنين نزلا فقرا نصب من الارض ايس فيه شئ فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجعوا ومن وجد عودا فليأت به ومن وجد حطبيا أو شيئا فليأت به قال فما كان الا ساعة حتى جعلنا ديارا فقال النبي صلى الله عليه وسلم اترون هذا فكذلك تجمع الذنوب على الرجل منكم كما جعتم هذا فليأت الله رجلا ولا يذنب صغيرة ولا كبيرة فانها محصاة عليه وقوله وجدوا ما عملوا حاضرا أى من خير وشرا كما قال تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الآية وقال تعالى ينبأ الانسان يومئذ بما قدم واخر وقال تعالى يوم تبلى السرائر ترى تظهر الخفيات والضمائر

قال الامام أحمد حدثنا ابو الوليد حدثنا شعبة عن ثابت عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به اخرجاه في الصحيحين وفي اللفظ يرفع لكل غادر لواء يوم القيامة عند استه بقدر غدرته يقال هذه غدره فلان بن فلان وقوله ولا يظلم ربك احدا اي فيكم بين عبادته في اعمالهم جميعا ولا يظلم احدا من خلقه بل يعفو ويصفح ويعفو ورحم ويعذب من يشاء بقدرته وحكمته وعذله ولا النار من الكفار وأصحاب المعاصي ثم ينحى أصحاب المعاصي ويحذف فيها الكافرين وهو الحاصم الذي لا يجوز ولا يظلم قال تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها الآية (١٤٧) وقال ونضع الموازين القسط ليوم

القيامة فلا تظلم نفس شيئا الى قوله حاسمين والايات في هذا كثيرة وقال الامام أحمد حدثنا يزيد اخبرنا همام بن يحيى عن القاسم بن عبد الواحد المكي عن عبد الله بن محمد بن عقيل انه سمع جابر بن عبد الله يقول بلغني حديث عن رجل سمعه

من النبي صلى الله عليه وسلم فاشترت بعير ثم شددت عليه رحلا فسرت عليه شهر اراحتي قدمت عليه الشام فاذا عبد الله بن أنيس فقلت للبواب قل له جابر على الباب فقال ابن عبد الله قلت نعم فخرج يطأ ثوبه فاعتنقني واعتنقه فقلت حديث بلغني عنك انك سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم في القصص

نخسيت ان تموت أو موت قبل ان اسمعه فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الله عز وجل الناس يوم القيامة أو قال العباد عراة غرلاهم ما قلت وما بهم ما قال ليس معهم شيء ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب انا الملك انا الذي لا ينبغي لاحد من أهل النار ان يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى اقضه

نصب اسم ما لم يسم فاعله وانما يقال نجى المؤمنون وقيل أدغم النون في الجيم وبه قال القتيبي وأبو عبيدة واعتزله الخاس فقال هذا لا يجوز عند أحد من الخوئين لم يعد مخرج المدغم والمدغم فيه قيل كانت هذه الواقعة قبل الرسالة وصححه الخازن ويدل له قوله تعالى بعد ذلك رجز وجهه من بطن الحوت في سورة الصافات وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون وأخرج أحمد والترمذي والنسائي والحاكم وصححه والبيهقي عن سعد بن أبي وقاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال دعوة ذى النون اذ هو في بطن الحوت لا اله الا انت الخ لم يدع بها مسلم ربني في شئ قط الاستجاب له وأخرج ابن جرير عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به أجاب واذا سئل به أعطى دعوة يونس بن متى قلت يا رسول الله هل لي يونس خاصة أم لجماعة المسلمين قال هي ليونس خاصة وللمؤمنين عامة اذ ادعوا به ألم تسمع قول الله وكذلك نجى المؤمنين فهو شرط من الله لمن دعاه وأخرج الحاكم من حديثه أيضا نحوه وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا ينبغي لاحد أن يقول أنا خير من يونس بن متى وروى أيضا في الصحيح وغيره من حديث ابن مسعود وروى أيضا في الصحيحين من حديث أبي هريرة (و) اذ كرخبر (زكريا اذ نادى ربه) أي وقت ندائه له قال (رب لا تذرني فردا) أي منفردا وحيدا لا ولد لي يرثني وقد تقدم الكلام على هذه الآية في آل عمران (وأنت خير الوارثين) أي خير من يبق بعد كل من يموت فانت حسي ان لم ترزقني ولدا فاني اعلم انك لا تضع دينك وانه سيقوم بذلك من عبادك من تختاره له وترضيه للتبليغ (فاستجبنا له) دعاه (ووهبنا له يحيى) ولدا وقد تقدم تفسيره مسطور في سورة مريم (وأصلحنا له زوجة) قال اكثر المفسرين انها كانت عاقرا فجعلها الله ولدا فهذا هو المراد باصلاح زوجته وقيل كانت سيئة الخلق فجعلها الله سبحانه حسنة الخلق ولا مانع من ارادة الامر من جميعا وذلك بان يصلح الله سبحانه ذاتها فتكون ولدا بعد ان كانت عاقرا ويصلح أخلاقها فتكون أخلاقها مرضية بعد ان كانت غير مرضية قال ابن عباس كان في لسان امرأة زكريا طول فاصلمه الله وروى نحوه ذلك عن جماعة من التابعين وقال أيضا وهبنا له ولدا هو عن قتادة قال كانت عاقرا فجعلها الله ولدا ووهب له منها يحيى (انهم كانوا يسارعون في الخيرات) هذه الجملة تعليل لما قبلها من

منه ولا ينبغي لاحد من أهل الجنة ان يدخل الجنة وله عند رجل من أهل النار حق حتى اقضه منه حتى الطمة قال قلنا كيف وانما نأتى الله عز وجل - خفاة عراة غرلاهم ما قال بالحسنات والسيئات وعن شعبة عن العوام بن مزاحم عن ابي عثمان عن عثمان بن عفان رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الجماعة لتقتص من القرآن يوم القيامة رواه عبد الله ابن الامام أحمد وله شواهد من وجوه اخر وقد ذكرناها عند قوله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وعند قوله تعالى الا اثم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون (واذ قلنا لا اله الا الله فاجحدوا ولا تدعوا للابليس كان من الجن ففسق عن

أمر به فتخذونه وذريته أولاء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا) يقول تعالى منها بئس آدم على عداوة ابليس لهم ولا يهيم من قبلهم ومقرعاً لمن اتبعه منهم وخالفه لثقه وولاه وهو الذي انشأوا ابتداءً بالطافه ورزقه غذاه ثم بعد هذا كاه الى ابليس وعادى الله فقال تعالى واذا قلنا للملائكة أى الجميع الملائكة كما تقدم تقريره في أول سورة البقرة اسجدوا لآدم أى سجود تشريف وتكريم وتعظيم كما قال تعالى واذا قال ربك للملائكة انى خلق بشر من صصال من جماسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين (٢٤٨) وقوله فسجدوا لآدم ابليس كان من الجن أى خاله أصلاً فانه خلق من

مارج من نار وأصل خلق الملائكة من نور كما ثبت في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال خلقت الملائكة من نور وخلق ابليس من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم فعند الحاجة نضج كل وعاء بما فيه وخانه الطبع عند الحاجة وذلك انه كان قد قوسم بأفعال الملائكة وتشبه بهم وتعبده وتنسك فلهذا دخل في خطابهم وعصى بالخالفة ونبه تعالى ههنا على انه من الجن أى على انه خلق من نار كما قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال الحسن البصري ما كان ابليس من الملائكة طرفه عين قط وأنه لأصل الجن كما أن آدم عليه السلام أصل البشر رواه ابن جرير بإسناد صحيح عنه وقال الضحاك عن ابن عباس كان ابليس من جن من أحياء الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم من بين الملائكة وكان اسمه الحرث وكان خازناً من خزان الجنة وخلق الملائكة من نور غير هذا الجن قال وخلق الجن الذين ذكروا في

أحسانه سبحانه إلى أنبيائه عليهم السلام والمعنى يبادرون في وجوه الخيرات مع ثباتهم واستقرارهم في أصل الخير وهو السر في إثارة كلمة في على كلمة إلى المشعرة بخلاف المقصود من كونهم خارجين عن أصل الخيرات متوجهين إليها كما في قوله تعالى وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وقيل الضمير راجع إلى زكريا وامرأته ويحيى (ويدعون نار غبار رهبا) أى يتضرعون اليها في حال الرعدة وقبل الرغبة بظنون الكف إلى السماء والزهبة رفع ظهورها والتقدير يرغبون رغبا ويرهبون رهبا والرغب والرهب أورغبين ورهبين (وكذا الناحشين) أى متواضعين متضرعين قال قتادة اذلاء وقال ابن جرير رغبا في رحمة الله ورهبا من عذاب الله وأخرج ابن مردويه عن جابر بن عبد الله قال سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قول الله رغبا ورهبا فقال رغبا هكذا ورهبا هكذا وبسط كنيته بمعنى جعل ظهره للارض في الرغبة وعكسه في الرهبة (و) اذ كرخبر (التي أحصنت فرجها) وهى مريم فانها أحصنت فرجها من الحلال والحرام ولم يعسها بشعر واتخذ كرها مع الانبياء وان لم تكن منهم لاجل ذكر عيسى وما في ذكر قصتها من الآية الباهرة ومعنى أحصنت عفت فامتنعت من الفاحشة وغيرها وقيل المراد بالفرج جيب القميص أى انها طاهرة الاثواب وقدمضى بيان مثل هذا في سورة النساء ومريم فنحننا فيها من روحنا) أضاف سبحانه الروح اليه وهو للملك نثر يفاتو تعظيمها وهو يريد روح عيسى وقيل المراد بالروح جبريل أى أمرناه فنفتح في جيب درعها فحملت بعيسى (وجعلناها وابنها آية للعالمين) قال الزجاج الآية فيها ما واحدة لانها ولدته من غير خل وقيل ان التدبير على مذهب سيبويه وجعلناها آية وجعلناها آية كقوله تعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه والمعنى أن الله سبحانه جعل قصتها آية نامة مع تكاثر آيات كل واحد منهم ما وقيل أراد بالآية الجنس الشامل لكل واحد منهما من الآيات ثم لما ذكر سبحانه الانبياء بين أنهم كلهم يجمعون على التوحيد فقال (ان هذه أممكم أمة واحدة) الأمة الملة وهى الدين كما قال ابن قتيبة ومنه انا وجدنا آباءنا على أمة أى على دين وملة كأنه قال ان هذا دينكم دين واحد لا خلاف بين الامم المختلفة في التوحيد ولا يخرج عن ذلك الا الكفرة المشركون بالله وقيل المعنى ان هذه الشريعة التى بينتم اليكم فى كتابكم شريعة واحدة وقيل المعنى ان هذه أممكم ملة واحدة وهى ملة الاسلام والنصب على الحال أى

القرآن من مارج من نار وهو لسان النار الذى يكون في طرفها اذا التهب وقال الضحاك أيضا امة من ابن عباس كان ابليس من أشرف الملائكة وأكرمهم قيل له وكان خازناً على الجنان وكان له سلطان السماء الدنيا وساطان الارض وكان مما سوات له نفسه من قضاء الله انه رأى ان له بذلك شرفا على أهل السماء فوقع من ذلك في قلبه كبر لا يعلمه الا الله واستخرج الله ذلك الكبر منه حيث أمره بالسجود لآدم فاستكبر وكان من الكافرين قال ابن عباس وقوله كان من الجن أى من خزان الجنان كما يقال الرجل مكى ومدنى وبصرى وكوفى وقال ابن جرير عن ابن عباس نحو ذلك وقال سعيد بن جبيرة عن ابن

عباس قال هو من خزان الجنة وكان يدبر امر السماء الذي ارواه ابن جرير من حديث الاعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جابر عن عبد بن المسيب كان رئيس ملائكة السماء الدنيا وقال ابن اسحق عن خلاد بن عطاء عن طاوس عن ابن عباس قال كان ابليس قبل ان يركب المعصية من الملائكة اسمه عزازيل وكان من سكان الارض وكان من أشد الملائكة اجتهادا وأكثرهم علما فذلك دعاه الى الكبر وكان من حبيبيه من الجن وقال ابن جرير عن صالح مولى التوامة وشريك بن أبي نجران عن حماد بن عمار عن ابن عباس قال ان من الملائكة قسبة من الجن (١٤٩)

ما بين السماء والارض فعصى فخط الله عليه فمسخه شيطانا رجما لعنه الله مسوخا قال واذا كانت خطيئة الرجل في كبر فلا ترجمه واذا كانت في معصية فارجمه وعن سعيد بن جبيرة قال كان من الخزائن الذين يعملون في الجنة وقد روى في هذا آثار كثيرة عن السلف وغالبهم من الامم ائيليات التي تنقل لينظر فيها الله اعلم بحال كثير منها ومنها ما قد يتقطع بكذب الخلق عنه للمعنى الذي يابى في القرآن غنية عن كل ما عدها من الاخبار المتقدمة لانها لا تكمل تخلو من تبديل وزيادة ونقصان وقد وضع فيها اشياء كثيرة وليس لهم من الحفاظ المتقنين الذين ينفون عنها تحريف الغالين واتخاذ المبطلين كمال هذه الامم من الائمة والعلماء والسادة والانتقاء والبررة النجباء من الجاهلذة النقاد والحفاظ الجياد الذين دونوا الحديث وحرروه وبنوا صحيحه من حسنه من ضعيفه من منكره وموضوعه ومتروكه ومكذوبه وعرفوا الوضاعين والكذابين والجهولين وغير ذلك من اصناف الرجال كل ذلك

أمة متفقة غير مختلفة قال ابن عباس أي ان هذا دينكم دينا واحدا وعن مجاهد مثله وعن قتادة نحوه (وأنا ربكم فاعبدون) خاصة لا تعبدوا غيري كأننا ما كان (وتقطعوا أمرهم بينهم) أي تفرقوا فإني الدين حتى صاروا كالقطع المتفرقة وقال الاخفش اختلفوا فيه وهو كالقول الأول قال الازهرى أي تفرقوا في أمرهم فنصب أمرهم بحذف في والمتصود بالآية المشركون ذمهم الله بخالفه الحق واتخاذهم آلهة من دون الله وقيل المراد جميع الخلق وانهم جعلوا أمرهم في أديانهم قطعاً وقسمه بينهم فلهذا وحده هذا يهودي وهذا نصراني وهذا مجوسي وهذا عابسون ثم أخبر سبحانه بان مرجع الجميع اليه فقال (كل الينا راجعون) أي كل واحد من هذه الفرق الثابت على دينه الحق والزائغ عنه الى غيره راجع الينا بالبعث لا الى غيرنا (فمن يعمل من الصالحات) أي بعض الاعمال الصالحة كالنوافل والاقوال كلها اذا لا يطبق ذلك أحد وقيل من زائدة (وهو مؤمن) بالله ورسوله واليوم الآخر (فلا كفران لسعيه) أي لا يجوز له عمله ولا بطلان لنوابه ولا تضيق جزائره بل يشكر ويناب عليه والمراد في الجنس للمبالغة لان في المساهمة يستلزم في جميع افرادها والكفر ضد الايمان والكفر أيضا جود النعمة وهو ضد الشكر يقال كفر كفورا وكفرا نارا وفي قراءة ابن مسعود فلا كفر لسعيه (وان الله أي لسعيه) كانبون أي حافظون بان تأمر الجنة بكتابة فجزائره عليه ومثله قوله سبحانه اني لأضيق عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى (وحرام) كذلك أقرأ أهل المدينة وقرأ أهل الكوفة وحرم وبها قرأ على وابن مسعود وابن عباس وهما الغتان مثل حل وحلال وقرى وحرم (على قرية أهلكناها) أي قدرنا اهلاكها (انهم لا يرجعون) أي تمتنع البتة عدم رجوعهم الينا للجزاء وقيل لازائدة أي ان يرجعوا بعد الهلاك الى الدنيا واختاره أبو عبيدة وقيل ان لفظ حرام هنا بمعنى الواجب أي واجب على قرية وقيل حرام أي تمتنع رجوعهم الى التوبة على ان لازائدة قال النحاس والآية مشككة ومن أحسن ما قيل فيها وأجله ما روى عن ابن عباس في معنى الآية قال واجب انهم لا يتوبون قال الزجاج وأبو على الفارسي ان في الكلام انما رأى وحرام على قرية حكمه نابا متصالحا وبالجملة على قلوب أهلها ان يتقبل منهم عمل لانهم لا يرجعون أي لا يتوبون (حتى اذا فتحت بأجوج وأجوج) حتى هذه هي التي يحكي بعدها الكلام وقيل حتى للغاية والمعنى ان هؤلاء المذكورين سابقا مستقرون على

صيانة للجناب النبوي والمقام المحمدي خاتم الرسل وسيد البشر صلى الله عليه وسلم ان ينسب اليه كذب او يحدث عنه بما ليس فرضي الله عنهم وأرضاهم وجعل جنات التردوس مأواهم وقد فعل وقوله فسحق عن امر ربه اي خرج عن طاعة الله فان فسحق هو الخروج يقال فسقت الرطبة اذا خرجت من أكامها وفسقت النار من بجرها اذا خرجت منه للبعث والفساد ثم قال تعالى مقرر عاومو بخالمن اتبعه واطاعه افتخذونه وذريته أولياء من دوني الآية اي بدلا عني ولهذا قال بنس للظالمين بدلا وهذا المقام كقولنا بعد ذكر اقامة واهوالها وصير كل من التريقين السعداء والاشقياء في سورة

يس وامتاز اليوم ايها المجرمون الى قوله اقم تكونوا تعقلون (ما شهدتم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا) يقول تعالى هؤلاء الذين اتخذوهم اولياء من دوني عبيد امثالكم لا يملكون شيئا ولا اشهدتمهم خلق السموات والارض ولا كانوا اذ ذلك موجودين يقول تعالى انا المستقل بخلق الاشياء كلها ومديرها ومقدرها وحدي ليس معي في ذلك شريك ولا وزير ولا مشير ولا نظير كما قال قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهم من شرك وماله منهم من

(١٥٠)

كنت متخذ المضلين عضدا قال مالك اعوانا (ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا) يقول تعالى مخبرا عما يخاطب به المشركين يوم القيامة على رؤس الاشهاد تقر بعالمهم وتوبينا نادوا شركائي الذين زعمتم أي في دار الدنيا ادعوهم اليوم ينتدونكم مما انتم فيه كما قال تعالى واتبع دجتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتهم ما خلقناكم وراظنهم وركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم ترغمون وقوله فدعوهم فلم يستجيبوا لهم كما قال وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم الآية وقال ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الآيتين وقال تعالى واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا وجعلنا بينهم موبقا قال ابن عباس

ما هم عليه الى يوم القيامة وهي يوم فتح سد يأجوج ومأجوج وأطال سليمان الجمل في بيان حتى هذوذ كرها وجوهاو يأجوج ومأجوج بالهمزة وتركها - مان أعجميان وهما قبيلتان من الانس يقال انهما تسعة أعشار بني آدم والمراد بالفتح فتح السد الذي عليهم على حذف المضاف (وهم) أي يأجوج ومأجوج أو العالم بأسره والاول يظهر (من كل حذب) أي نشز وهو كل مكة وكديبة من الارض مرتفعة والجمع أحذاب مأخوذ من حذبة الارض ومعنى (يتسلون) يسرعون وقيل يخرجون قال الزجاج النسلان شية الذئب اذا أسرع يقال نسل فلان في العدو ينسل بالكسر والضم نسلانا ونسلانا والنسلان متعارضة الخطامع الاسراع وقال ابن عباس يتسلون يتسببون وقد ورد في صفة يأجوج ومأجوج وفي وقت خروجهم وبيان حالهم وما آلهم أحاديث وآثار كثيرة لا تعلق بذكرها هنا كثير فائدة كتابنا في الكرامة قد اشبل عليها الشئ لا تاما فليرجع اليه (واقرب الوعد الحق) المراد به ما بعد الفتح من الحساب وقال النراء والكسافي وغيرهما المراد بالوعد الحق القيامة والواو زائدة والمعنى حتى اذا فقت يأجوج ومأجوج اقرب الوعد الحق وهو القيامة فاقرب جواب اذا ومنه قوله تعالى فلما أسلموا وقوله للبعين ونادى بناء وأجاز النراء أن يكون جوابه فاذا هي شاحصة وقال البصريون الجواب محذوف والتقدير قالوا يا ويلنا وبه قال الزجاج وقيل غير ذلك (فاذا هي) يعني القيامة بارزة واقعة كأنها آية حاضرة (شاحصة أبصار الذين كفروا) يعني أن القيامة اذا قامت شخصت أبصار الكفار من شدة الاهوال ولا تكاد تطرف من هول ذلك اليوم وهول ما هم فيه ومعنى شاحصة مرتفعة الاجتنان وانعاشها في القيامة بعد النفخة الثانية فالتعقيب عرفي أريد به المبالغة هنا (يا ويلنا) على تقدير القول (قد كافي غنلة) في الدنيا (من هذا) أي من هذا الذي دهمنا من البعث والحساب (بل كنا ظالمين) انبر بواعن وصف أنفسهم بالغنلة أي لم تكن غافلين بل كنا ظالمين لانفسنا بالتكذيب وعدم الانقياد للرسول ثم بين سبحانه حال معبوديهم يوم القيامة فقال (انكم) يأأهل مكة (وما تعبدون من دون الله) من الاصنام والشمس والقمر وابليس وأعوانه (حصب) أي وقود (جهنم) وحطبها فكل ما أوقدت به النار وهي حطبها فهو حصب كذا قال الجوهري وقال أبو عبيدة كل ما قد فته في النار فته حصبته أي ومثل ذلك قوله تعالى فاتقوا النار التي وقودها الناس

وقنادة وغيرها حدمها ساكا وقال قتادة ذكرنا ان عمر البكالي حدث عن عبد الله بن عمر وقال هو وادعيق فرق والحجارة

بيوم القيامة بين أهل الهدى وأهل الضلالة وقال قتادة مو بقا واداني جهنم وقال ابن جرير حدثني محمد بن سمان القزاري حدثنا عبد الصمد حدثنا يزيد بن رهم سمعت أنس بن مالك يقول في قول الله تعالى وجعلنا بينهم موبقا قال واداني جهنم من قيح ودم وقال الحسن البصري مو بتاعداوة الظاهر من السياق ههنا انه المهلك ويجوز أن يكون واداني جهنم أو غيره والمعنى ان الله تعالى بين انه لا سبيل لهؤلاء المشركين ولا وصول لهم الى آلهتهم التي كانوا يرمون في الدنيا وانه يفرق بينهم وبينها في الآخرة فلا خلاص لاحد

من الفر يقين الى الآخر بل بينهما هول عظيم وأمر كبير وأمان جعل الضمير في قوله بينهم عائدا الى المؤمنين والكافرين كما قال عبد الله بن عمرو انه يفرق بين أهل الهدى والضلالة به فهو كقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ ينشقرون وقال يومئذ يصعدون وقال تعالى واما نزلوا اليوم أيها المجرمون وقال تعالى ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم انتم وشركاؤكم فزينا بينهم الى قوله وضل عنهم ما كانوا يفترون وقوله ورأى المجرمون النار فظنوا انهم هم مواقعوه ولم يجدوا عنها مصرفا أي انهم لما عاينوا وجهه حين جي بها اتقاد بسبعين ألف (١٥١) زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك فاذا رأى

والجارية وقرئ حطب جهنم بالطاء وقرئ حطب بالمعجمة قال النراذ كرناسان الحطب في لغة أهل اليمن الحطب ووجه القاء الاصنام في النار مع كونها سجادات لا تعقل ذلك ولا تحس به التبكيت لمن عبدها وازيادة التوبيخ لهم وتضاعف الحسرة عليهم وقيل انها تحمى فتلصق بهم زينة في تعذيبهم وكذلك الشمس والقمر يكونان ثورين عقيرين في النار أيضا كما سمع بذلك خبر أبي هريرة أخرجه البيهقي وأصله في البخاري (أنتم لها واردون) الخطاب لهم ولما يعبدون تغليباً واللام في الهمالة تقوية لتضعف عمل اسم الفاعل وقيل هي بمعنى على والمراد بالورد هنا الدخول قال كثير من أهل العلم ولا يدخل في هذه الآية عيسى وعزير والملائكة لأن الملائكة لا يعقل ولوأراد العموم لقال ومن تعبدون قال الزجاج ولأن المخاطبين بهذه الآية مشركو مكة دون غيرهم قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية قال المشركون فالملائكة وعيسى وعزير يعبدون من دون الله فنزلت ان الذين سبقت الآية وفي الباب روايات (لو كان هؤلاء) أي هذه الاصنام (آلهة) كما تزعمون (ما وردوها) أي ما ورد العابدون والمعبدون في النار وقيل العابدون فقط لكنهم وردوها فلم يكونوا آلهة وفي هذا تبكيت لعباد الاصنام وتوبيخ شديد (وكل فيها) أي كل العابدين والمعبدون في النار (خالدون) لا يخرجون منها (لهم) أي لهؤلاء الذين وردوا النار (فيها زفير) وهو صوت نفس المغموم والمراد هنا الانين والبكاء والتنفس الشديد والعويل وقد تقدم بيان هذا في هود (وهم فيها لا يسمعون) أي لا يسمع بعضهم زفير بعض أشدة الهول وقال ابن مبرد في الآية إذا نفي في النار من يخلد فيها ساجداً في توابيت من نار ثم جعل تلك التوابيت في توابيت أخرى ثم تلك التوابيت في توابيت أخرى علماً من نار فلا يسمعون شيئاً ولا يرى أحد منهم في النار أحد اذ يذب غيره وقيل لا يسمعون شيئاً لانهم يحشرون سماً كما قال سبحانه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم غمياً وبكؤنهم وانما سلبوا السماع لأن فيه بعض ترويح وتأنس وقيل لا يسمعون ما يسمعون بل يسمعون ما يسمعونهم تملأين سبحانه حال هؤلاء الاشياء شرع في بيان حال السعداء فقال (ان) هي بمعنى الأي الأ (الذين سبقت لهم منها الحسن) أي العدة الجلة والخلة الحسنى التي هي أحسن الخصال وهي السعادة وقيل التوفيق أو التبشير بالجنة أو نفس الجنة (أو تلك) أي الموصوفون بتلك الصفة (عنها) عن جهنم (معبدون) لانهم قد صاروا في الجنة

المجرمون النار تحتقوا الاحمال انهم مواقعوها ليكون ذلك من باب تعجيل الهم والحزن لهم فان توقع العذاب والخوف منه قبل وقوعه عذاب ناجز وقوله ولم يجدوا عنها مصرفا أي ليس لهم طريق يعدل بهم عنها ولا بد لهم منها قال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الكافر ليرى جهنم فيظن انها ما وقعته من مسيرة اربعين سنة وقال الامام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن الهيثم عن حديث دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينصب الكافر مقدار خمسين الف سنة كالم يعمل في الدنيا وان الكافر ليرى جهنم ويطن انهما واقعة من مسيرة اربعين سنة (ولقد صرنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الانسان أكثر شئ جدلاً) يقول تعالى ولقد بينا للناس في هذا القرآن ووضهنا لهم الامور وفضلنا ما كملوا

عن الحق ويخرجوا عن طريق الهدى ومع هذا البيان وهذا الفرقان الانسان كثير المجادلة والمخاصمة والمعارضة لعل بالباطل الامن هدى الله وبصره لطريق النجاة قال الامام احمد حدثنا ابو اليان اخبرنا شعيب عن الزهري اخبرني علي بن الحسين أن حسين بن علي اخبره ان علي بن ابي طالب اخبره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقال ألا تصليان يا رسول الله انما انفسنا بيد الله فاذ اشأنا بيعتنا بعتنا فانصرف حين قلت ذلك ولم يرجع الى شيئ ثم سمعته وهو يقول يضرب نخذة ويقول وكان الانسان أكثر شئ جدلاً اخر جاد في الصحيحين (ومنع الناس ان يؤمنوا اذا جاءهم

لو يؤخذهم بما كسبوا العجل لهم العذاب كما قال ولو يؤخذ الله الناس بما كسبوا ماتوا ترك على ظهورها من دابة وقال وان ربك لذوم مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب والآيات في هذا كثيرة شتى ثم أخبر انه يحلم ويسترو يغفرون بما هدى بعضهم من الغي الى الرشاد ومن استمر منهم فلم يدر يوم يشيب فيه الوليد وتضع كل ذات حمل حملها ولهذا قال بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موثلاً أى ليس لهم عنده محيص ولا محيد ولا معدل وقوله وذاك القري أهلكناهم لم يظلموا أى الاثم السالفة والقرون الخالية اهلكناهم بسبب كفرهم وعنادهم وجعلنا المهلكهم موعداً أى جعلناه (١٥٣) الى مدة معلومة ووقت معين لا يزيد ولا ينقص أى وكذلك أنتم أيها المشركون

احذروا أن يصيبكم ما أصابهم فقد كذبتم أشرف رسول وأعظم نبي وسلم ثم بأعز علينا منهم فخافوا عذابي وذري (واذ قال موسى لفتهاه لأبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حتما فلما بلغ المجمع بينهم مانس ما سباحوهم ما فاتخذ سبيله في البحر سرباً فلما جاوزا قال لفتهاه آتنا عذراء نالقد لقمنا من سفرنا هذا نصبا قال أرايت أذ أرينا الى الصخرة فأنى نسيت الحوت وما أنساينه الا الشيطان ان أذكره واتخذ سبيله في البحر عجباً قال ذلك ما كنا نبغي فارتد على آثارهما قصصاً فوجد عبدان من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً) سبب قول موسى لفتهاه وهو يوشع بن نون هذا الكلام انه ذكر له ان عبدا من عباد الله يجمع البحرين عنده من العلم ما لم يحط به موسى فأحب الرحيل اليه وقال لفتهاه ذلك لأبرح أى لا ازال سائراً حتى أبلغ مجمع البحرين أى هذا المكان الذي فيه مجمع البحرين قال الفرزدق

يعبدون من دون الله فلهؤلاء في النار فانزل الله هذه الآية الى آخرها أخرجه ابن مردويه والضياء في المختارة عن ابن عباس وأخرجه أبو داود والطبراني من وجه آخر عنه باطول منه (يوم تطوى) بنون العظمة أى اذ كر يوم تطوى (السماء كطى السجل للكتب) وقرئ تطوى بالنوقية ورفع السماء وبالتحتية على معنى يطوى الله السماء والاولى أظهر واوضح والظنى في هذه الآية يحتمل معنيين أحدهما الذى هو ضد النشر ومنه قوله والسموات مطويات بيمينه والثاني الاخفاء والتعمية والمخولان الله سبحانه يعو ويطمس رسومها ويكدر نجومها والمراد بالسماء الجنس والسجل الصحيفة أى طيا كطى لظومار للكتابة وقيل السجل النصف وهو مشتق من المساجلة وهى المكتبة وأصلها من السجل وهو الدلو يقال ساجلت الرجل اذا نزعت دلو او نزع هو دلو انهم استعيرت للمكانة والمراجعة فى الكلام وقرئ السجل بضم السين والجيم وتشديد اللام وقرئ السجل بفتح السين واسكان الجيم وقيل السجل اسم ملك فى السماء الثالثة وهو الذى يطوى كتب بنى آدم وقيل هو اسم كاتب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قاله ابن عباس أخرجه أبو داود والنسائي وعن ابن عمر مثله قال ابن كثير هذا منكر جردا وقد مر ج جماعة من الحفاظ بوضعه وان كان فى سنن أبي داود منهم الحفاظ المزى وقد أقر الشوكانى لهذا الحديث جراً على حدة وقد تصدى الامام ابن جرير لا نكار على هذا الحديث ورده أتم رد وقال ولا نعرف فى الصحابة أحدا اسمه سجل وكاتب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانوا معروفين وليس فيهم أحدا اسمه السجل انتهى وصدق رحمه الله فى ذلك وهو من أقوى الأدلة على نكارة هذا الحديث واما من ذكر فى أسماء الصحابة هذا فاعلمنا اعتمد على هذا الحديث لا على غيره والله أعلم قال والصحيح عن ابن عباس ان السجل هو الصحيفة ونص على ذلك مجاهد وقتادة وغيره احدثوا اختاره ابن جرير لانه المعروف فى اللغة قلت فالاولى التعويل على المعنى اللغوى والمسير اليه وأخرج النسائي عن ابن عباس قال السجل هو الرجل أى بلغة الحبشة والاولى أولى وقرئ لا يكتب جمعاً ولا كتاب وهو متعلق بحذف حال من السجل أى كطى السجل كائناً لا يكتب فان الكتب عبارة عن الصحائف وما كتب فيها فاجعلها بعض أجزائها وبه يتعلق الظنى حقيقة وأما على الثانية فالكتاب مصدر واللام للتعليل أى كما يطوى الطومار للكتابة أى ليكتب فيه أو لما يكتب فيه من المعانى الكثيرة والاعمال

(فتح البيان سادس) فمابرحوا حتى تهادت نسائهم * ببطعائزى قارعات اللطائم قال قتادة وغير واحد وهو ما بحر فارس مما الى المشرق وبحر الروم مما الى المغرب وقال محمد بن كعب الترمذى يجمع البحرين عند طجة يعنى فى اقصى بلاد المغرب قاله اعلم وقوله او امضى حتما أى ولو أنى اسير حتما من الزمان قال ابن جرير رحمه الله ذكر بعض اهل العلم بكلام العرب ان الحقب فى لغتهم سنة ثم قدرى عن عبد الله بن عمرو انه قال الحقب غمان سنة وقال مجاهد سبعون خرينا وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله او امضى حتما قال دهرراً وقال قتادة وابن زيد مثله ذلك وقوله فلما بلغا مجمع بينهما مانس ما سباحوهم ما يزدل انه كان قد امر

بجمل حوت ملوح معه وقيل له متى فقدت الحوت فهوثة فسار حتى بلغ مجمع البحرين وهناك عين يقال لها عين الحياة فناما هناك واصاب الحوت من رشاش ذلك الماء فاضطرب وكان في مكتل مع يوشع عليه السلام وطفه من المكتل الى البحر فاستيقظ يوشع عليه السلام وسقط الحوت في البحر فجعل يسير في الماء والماء له مثل الطاق لا يلتئم بعده ولهذا قال تعالى واتخذ سبيله في البحر سربا اي مثل السرب في الارض قال ابن جرير قال ابن عباس صار اثره كأنه سجرو وقال العوفي عن ابن عباس جعل الحوت لايس شيأ من البحر الا ليس حتى يكون مخزوة وقال محمد (١٥٤) بن اسحق عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس عن أبي بن كعب

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذكر حديث ذلك ما انجاب ماء منذ كان الناس غير مسير مكان الحوت الذي فيه فانجاب كالسكة حتى رجع اليه موسى فرأى مسلكه فقال ذلك ما كنا نغنى وقال قتادة سرب من الحرح حتى افندى الى البحر ثم سلك فيه فجعل لايسلك فيه طريقا الا صار ماء جامدا وقوله فلما جاوزا أي المكان الذي نسيبا الحوت فيه ونسب النسيان اليهما وان كان يوشع هو الذي نسيه كذوله تعالى يخرج منهم ما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من المالح على أحد القولين فلما ذهب عن المكان الذي نسيه فيه بحر حلة قال موسى لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا أي الذي جاوز فيه المكان نصيبا يعني تعبنا قال أرايت اذ أوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره قال قتادة وقرأ ابن مسعود أن أذكره ولهذا قال فاتخذ سبيله أي طريقه في البحر مجبا قال ذلك ما كنا نغنى أي هذا هو الذي نطلب فارتدنا أي رجعا

المنتشرة وهذا على ان معنى الطي ضد النشر وعن علي قال كطى السجل ملك وعن عطية وأبي جعفر مثله قال ابن عمر السجل ملك فاذا صعد بالاستغفار قال اكتبوها نورا (كبدنا أول خلق نعمده) بعد اعدامه تشبيها للاعادة بالابتداء في تناول القدرة لهما على السواء أي كبدناهم في بطون أمهاتهم وأخر جنسهم الى الأرض حفاة عراة غرلا كذلك نعيدهم يوم القيامة وانما خص أول الخلق بالذكور نصويرا للايجاد عن العدم والمقصود بان صحة الاعادة بالقياس على المبداء الشمول الامكان الذاتي لهما وقيل معنى الآية ثم كل نفس كما كان أول مرة قاله ابن عباس وقيل المعنى تغير السماء ثم نعيد هامة أخرى بعد طيها وزوالها والاول اولي وهو مثل قوله ولقد جئتنا نافرادي كما خلقناكم أول مرة ثم قال سبحانه (وعدا علينا) أي وعدنا وعدا علينا انجازا وهو الوفاء به وهو البعث والاعادة ثم أكد سبحانه ذلك بقوله (انا كنا فاعلين) أي محققين هذا الوعد فاستعدوا له وقدموا صالح الاعمال للخلاص من هذه الأحوال قال الزجاج معناه انا كنا قادرين على ما نشاءه وقيل فاعلين ما وعدناكم ومثله قوله كان وعده مفعولا (ولقد كتبنا في الزبور) هو في الاصل الكتاب يقال زبرت أي كتبت وعلى هذا يصح اطلاق الزبور على التوراة والانجيل وعلى كتاب داود المسمى بالزبور والمراد جنس الكتب المنزلة قاله الزجاج وقيل المراد به هنا كتاب داود خاصة (من بعد الذكر) أي اللوح المحفوظ كما في البيضاوي والخازن وأبي السعود وأبي حيان وقيل هو القرآن قاله ابن عباس وعنه قال والذي كرا الاصل الذي نسخت منه هذه الكتب الذي في السماء أي والله لقد كتبنا في كتاب داود من بعد كتبنا في التوراة أو من بعد كتبنا في اللوح المحفوظ (أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) قد اختلف في معنى هذه الآية فقيل المراد أرض الجنة قاله ابن عباس واستدل القائلون بهذا بقوله سبحانه وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض وقيل هي الأرض المقدسة وقيل هي أرض الأمم الكثيرة الكافرة يرثها نبيها صلى الله عليه وآله وسلم وأسمه بفتحها وقيل المراد بذلك بنو اسرائيل بدليل قوله سبحانه وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وأظاهرا ن هذا تبشيرا لصلته صلى الله عليه وآله مشارق الأرض ومغاربها الكافرين وعليه أكثر المفسرين قال ابن عباس أخبر الله سبحانه في التوراة والزبور سابق علمه قبل أن تكون السموات والأرض أن يورث أمة محمد صلى الله

علي آثارهما أي طريقهما فقصصا أي يتبعان أثرهم شيئا ما يفتقون أثرهما فوجدوا عبادنا آتينا هرجة عليه

من عندنا وعلمناه من لدنا علما وهذا هو الخضر عليه السلام كما دللت عليه الاحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال البخاري حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عمرو بن دينار أخبرني سعيد بن جبيرة قال قلت لابن عباس ان نوحا البكالي يزعم ان موسى صاحب الخضر ليس هو موسى صاحب بنى اسرائيل قال ابن عباس كذب عدوا لله حدثنا أبي بن كعب رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان موسى قام خطيبا في بني اسرائيل فمثل أي الناس أعلم قال انا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم

إليه فأوحى الله إليه أن لي عبداً يجمع البحرين هو أعلم منك قال موسى يارب وكيف لي به قال تأخذ من حوتنا فتجعله بمكة تلت فحينما فقدت الحوت فهو ثم فأخذ حوتاً فجعله بمكة تلت ثم انطلق رانطلق معه بفتاه يوشع بن نون عليه السلام حتى إذا أنشأ الصخرة ووضع رأسهما فناما واضطرب الحوت في المكمل فخرج منه فسقط في البحر فأتخذ سبيلاً في البحر سرباً وأمسك الله عن الحوت جربة الماء فصارع عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلقا بنية يومهم - ما وليتم ما حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتاه آتنا غداءنا لقد لبينا من سفرنا هذا نصيباً ولم يجد موسى النصب حتى (١٥٥) جاوزا المكان الذي أمره الله به قال له فتاه

أرأيت إذا وينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيلاً في البحر عجباً قال فكان للبعث سرباً وموسى وفتاه عجباً فقال ذلك ما كنا نبغي فارتدعا على آثارهما قصصاً قال فرجعا يتصان أثرهما حتى انتهيا إلى الصخرة فاذا رجل مسيحي بثوب فسلم عليه موسى فقال الخضر وأني بارضك السلام فقال أنا موسى فقال موسى بني إسرائيل قال نعم قال أقتبث لتعلمني معات رسدا قال انك إن تستطيع معي صبرا يا موسى إني على علم من علم الله علمه لا تعلم أنت وأنت على علم من علم الله علمه لا أعلمه فقال موسى سجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصى لك أمراً قال له الخضر فإن اتبعني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً فانطلقا يشيان على ساحل البحر فمرت سفينة فكلوهم إن يحملوهم فعرفوا الخضر فكلوهم بغير نول فلما ركبا في السفينة لم ينجأ الا والخضر قد قلع لوحاً من ألواح السفينة بالقدرم فقال له موسى

عليه وآله وسلم ويدخلهم الجنة وهم الصالحون وقيل عام في كل صالح فيتناول أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وغيرهما من الأمم (ان في هذا البلاغ) أي فيما جرى ذكره في هذه السورة من الوعد والنبية لكتابية وصول إلى البغية قاله الرازي يقال في هذا الشيء بلاغ وبلغه وتبلغ أي كفاية وقيل الإشارة بهذا إلى القرآن وبقرآن زاد الجنة كبلاغ المسافر (أقوم عابدين) أي مشغولين بعبادة الله مهتمين بها والعبادة هي الخضوع والتذلل وهم أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ورأس العبادة الصلاة قال أبو هريرة الصلوات الخمس وأخرج ابن مردويه وأبو نعيم والديلمي عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الآية قال ان في الصلوات الخمس شغلاً للعبادة وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قرأ هذه الآية وقال هي الصلوات الخمس في المسجد الحرام جماعة وقيل هم العالمون العاملون الموحدون وقال الرازي والاولى انهم الجامعون بين الامرين لان العلم كالشجرة والعمل كالثمرة والشجر بدون الثمر غير مفيد والثمر بدون الشجر غير كائن (وما أرسلناك) يا محمد بالشرائع والاحكام (الارحة للعالمين) أي الانس والجن والاستثناء مفرغ من أعم الاحوال والعلم أي ما أرسلناك لعله من العلم الارحة الواسعة فان ما بعثت به سبب لاسعادته الدارين وقيل معنى كونه رحمة لكثير انهم آمنوا به من الخسف والمسخ والاستئصال وقيل المراد بالعالمين المؤمنون خاصة والاول اولي دليل قوله سبحانه وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وعن ابن عباس في الآية قال من آمن تمت به الرحمة في الدنيا والآخرة ومن لم يؤمن عوفي مما كان يصيب الاثم في عاجل الدين ان العذاب من المسخ والخسف والقذف وأخرج مسلم عن أبي هريرة قال قيل يا رسول الله ادع الله على المشركين قال إني لم أبعث لعنا ولا نجا بعثت رحمة وأخرج أحمد والطبراني وأبو نعيم عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله بعثني رحمة للعالمين وهدى للمتقين وأخرج أحمد والطبراني عن سلمان أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال إيا رجل من أمتي سبته سبة في غضبي أو لعنته لعنة فأنما أأرجل من بني آدم أغضب كما يغضبون وانما بعثني رحمة للعالمين فاجعلها عليه صلاة يوم القيامة وأخرج البيهقي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انما أنا رحمة مهداة وقد روي معنى هذا من طرق ثم بين سبحانه ان أصل قلائ

قد جعلوا بغير نول فعمدت إلى سفينتهم فغرقتهم التغرق أهلها لقد جئت شيأً امراً قال ألم أقل انك لن تستطيع معي صبرا قال لا تأخذني بآناسيت ولا ترهقني من أمري عسرا قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت الاولى من موسى نسباً نال قال وجاءه عن نور فوقع على حرف السفينة فنفق في البحر نفرة فقال له الخضر ما علمي وعلمك في علم الله الامثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر ثم خرجا من السفينة فيبينهما يشيان على الساحل اذ أبصر الخضر غلاماً يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر رأسه فاقلعه بيده فقتله فقال له موسى أقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيأً نكراً قال ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال وهذه

أشد من الأولى قال إن سألتك عن شيء بعد هاتوا صاحبني قد بلغت من لدني عذرا فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها
 فابوا أن يضفيوهما فوجد فيها جدارا يريد أن ينقض أي مائلا فقتل الخضر بيده فقامه فقتل موسى قوم أتيناهم فلم يطعمونا
 ولم يضفيونا لو شئت لاتخذت عليه أجر ا قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وددنا أن موسى كان صبرا حتى يقص الله علينا من خبرهما قال سعيد بن جبيرة كان ابن عباس يقرأ وكان أمامهم ملك يأخذ
 كل سفينة صالحة غصبا وكان يقرأ وأما (١٥٦) الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين فمرروا به البخاري عن قتبية عن سفيان

ابن عيينة قد كرفحوه وفيه فخرج
 موسى ومعه فتاه يوشع بن نون
 ومعهما الخوت حتى انتهيا إلى
 الصخرة فتراها قال فوضع
 موسى رأسه فنام قال سفيان وفي
 حديث غير عرو قال وفي أصل
 الصخرة عين يقال لها الحياة
 لا يصيب من ماء ما شئ الا حي
 فأصاب الخوت من ماء تلك العين
 فتمرك وانسل من المكمل فدخل
 الجحر فلما استيقظ قال موسى لفتاه
 أتنا غدا ناك كذا قال وساق
 الحديث ووقع عصفور على حرف
 السفينة فغمس منقاره في الجحر
 فقال الخضر لموسى ما علمي وعلمك
 وعلم الخلائق في علم الله الامتداد
 ما غمس هذا العصفور منقاره وذكروا
 تمامه بنحوه وقال البخاري أيضا
 حدثنا ابراهيم بن موسى حدثنا
 هشام بن يوسف ان ابن جريج
 أخبرهم قال أخبرني يعلى بن مسلم
 وعمر بن دينار عن سعيد بن جبيرة
 يزيدا أحدهما على صاحبه وغيرهما
 قد سمعته يحدث عن سعيد بن جبيرة
 قال ان العبد ابن عباس في بيته اذ قال
 سلوني فقلت أي أبا عباس جعلني

الرحمة عوا التوحيد والبراءة من الشرك فقتل (قل انما يوحى الى انما الهكم الواحد)
 ان كانت ماموصولة فالمعنى ان الذي يوحى الى هو ان وصفه تعالى مقصور على الواحدانية
 لا يتجاوزها الى ما ينقضها أو يضادها وان كانت ما كافة فالمعنى ان الوحي الى مقصور على
 استئثار الله بالوحدة (فيل أنتم مسلمون) منقادون مخلعون للعبادة والتوحيد الله
 سبحانه والمراد بهذا الاستثناء الامرأى أساوا (فان يولوا) أي أعرضوا عن الاسلام
 (يقول) لهم (آذنتكم) أي أعلمكم انا وانا لكم حرب لا صلح بيننا كائنين (على سواء)
 في الاعلام لم أخص بدينكم دون بعض كقولهم سبحانه واما تخافن من قوم خيانة فانبذ
 اليهم على سواء أي أعلمهم انك تنقض العهد تنقضوا ويتبينهم فيه وقال الزجاج المعنى
 أعلمكم عياضي الى على اسنوا في العلم ولا أظهر لاحد شيئا كقوله على غيره (وان
 أدري أقرب أم بعيد ما توعدون) أي ما أدري أقرب حمولة أم بعيد وهو غلبة
 الاسلام وأخذ على الكفر وأهل وقيل المراد العذاب أو القيامة المشددة عليه ولا يعلمها الا
 الله تعالى وقيل آذنتكم بالحرب وانك لا أدري ما يؤذن لي في شأن ربكم (انديعلم الجهر
 من القول ويعلم ما تكتمون) أي يعلم سبحانه ما تجاهرون به من الكفر والظعن على الاسلام
 وأهل وما تكتمونه من ذلك وقوله لا تخفي عليه منه خافية (وان أدري لعلم) أي ما أدري
 لعلم الامهال (فستلكنكم) واختبارا لري كيف تنعمكم عن الربيع بن أنس قال لما
 اسرى بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم رأى فلانا وهو بعض بني أمية على المنبر يحطب
 الناس فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يزل الله هذه الآية يقول هذا
 المالك وقال ابن عباس يقول ما أخبركم به من العذاب والساعة لعلم تأخير ذلك عنكم فتنه
 لكم (وسناع الى حين) أي وتنتع الى وقت مقتدر تنفضه حكمته ثم حكي سبحانه وتعالى
 دعاء نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بقوله (قال رب احسم بالحق) بيني وبين هؤلاء
 المكذبين بما هو الحق عندك فنقض الامر اليه سبحانه وقال ابن عباس لم يحكم الله الا
 بالحق وانما يستعجل بذلك في الدنيا يسأل ربه وقرئ رب بضم الباء قال النحاس وهذا الحن
 عند النخوين وقرئ أحكم بقطع الهمزة وفتح الكاف ونم الميم أي قال محمد بن أحكم
 بالحق من كل حاكم وقرئ أحكم بصيغة الماضي أي أحكم الامور بالحق وقرئ قل بصيغة
 الامر أي قل يا محمد قال أبو عبيدة العفة هنا أقيمت مقام الموصوف والتقدير رب احكم

الله فذلك بالكوفة رجل قاص يقال له نوف يزعم انه ليس بموسى بنى اسرائيل أما عرو فقال لي قال كذب عدو الله بحكمك
 وأما يعلى فقال لي قال ابن عباس حدثني أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم موسى رسول الله ذكر الناس يوما
 حتى اذا فاضت العيون ورفت القلوب ولي فادركه رجل فقال أي رسول الله هل في الارض أحد أعلم منك قال لا فغضب الله عليه اذ
 لم يرد العلم الى الله قيل بلى قال أي رب وأين قال بجمع الجورين قال أي رب اجعل لي علما أعلم ذلك به قال قال لي عرو حيث ينار فلك
 الخوت وقال لي يعلى خذ جوتاه يتساحيت ينسف فيه الروح فاخذ جوتاه فجاءه في مكمل فقال لفتاه لا أكلفك الا أن تخبرني بحيث

بفارقك الحوت قال ما كلفت كبير اذ لك قوله واذا قال موسى لفته ياوشع بن نون ليست عند سعيد بن جبير قال فيينا هو في ظل شجرة في مكان ثريان اذ تضرب الحوت وموسى نائم فقال فته لا اوقظه حتى اذا استيقظ نسي ان يخبره وتضرب الحوت حتى دخل في البحر فأمسك الله عنه جريه الماء حتى كان أثره في حجر قال فقال لي عمرو هكذا كان أثره في حجر وحق بين اهل اميه واللتين تليهما قال ابو عبد الله نعمان بن سنان هذا انصب ما قال وقد قطع الله عنك النصب ليست هذه عند سعيد بن جبير أخبره فرجعا فوجد اخضر ا قال قال عثمان بن أبي سليمان على طمنة خضر ا على كبدا البحر قال سعيد بن (١٥٧) جبير مسجبي بئوب قد جعل طرفه تحت

بحكم الحق وقد استجاب سبحانه دعائهم صلى الله عليه وآله وسلم فعذبهم بغير ثم جعل
العاقبة والعلمية والنصر لعباده المؤمنين والمجد لله رب العالمين ثم قال سبحانه ثم اتيناك
الحكمة (وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون) من الكفر والتكذيب أى هو
كثير الرحمة لعباده والمستعان به فى الامور التى من جملتها ما تصفون من ان الشوكة تكون
لكم ومن قولكم هل هذا الا بشر مثلكم وقولكم اتخذ الرحمن ولدا وكثيرا ما يستعمل
الوصف فى ذاب الله عنى الكذب كتو له ولكم الويل مما تصفون وقوله سيجزيهم وصفهم
وقرى بالتحية وبالشفقة على الخطايا

اختلاف العلماء عمل هي مكبة أو مدنية قال ابن عباس نزل بالمدينة وعن ابن الزبير وشاهد
منه له وقال قتادة الأربعة أربع آيات وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلى قوله عذاب يوم
مقيم فهن مكبات وقال ابن عباس سوى ثلاث آيات وقيل أربع آيات إلى قوله عذاب
الحرى وعن النقاش أنه عد ما نزل منه بالمدينة عشرة آيات وقال الجهة وران السورة مختلطة
منها مكي ومنها مدني قال القرطبي وهذا هو الصحيح لأن الآيات تقتضى ذلك لأن آياتها
الناس مكي وآياتها الذين آمنوا مدني قال العزري وهي من أعاجيب السور نزلت ليلا
ونهار اسفر أو حضر أمدا أو مدنا لما أوحى بها فأنسخها منسوخا محكما ومتشابهة وقد ورد في
فصلها ما أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم عن عتبة بن عامر قال قلت يا رسول
الله أفصلت سورة الحج على سائر القرآن بسجدين قال نعم فن لم يسجد هما فلا يقرؤها قال
الترمذي هذا حديث حسن ليس اسناده بالقوى وقد روى عن كثير من الصحابة أن فيها
سجدين به يقول ابن المبارك والشافعي وأحمد والحق وقال بعضهم أن فيها سجدة واحدة
وهو قول سفيان الثوري وروى هذا عن ابن عباس وإبراهيم الخليلي

لما انجز الكلام في فحمة السورة المتقدمة الى ذكر الاعادة وما قبلها وما بعد هابداً سبحانه في هذه السورة بذكر القيامة وأهوالها احثاً على التقوى التي هي أنفع زاد فقال (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُم) أي احرصوا وعاقبه بفعل مأمر كم به من الواجبات وترك ما نهاكم عنه من المحرمات وللفظ الناس يشمل جميع المكلّنين من الموجودين ومن سـ. ووجد على ما تقرر

جاءوا وأصلحوها فانتفعوا بها منهم - من يقول سدوها بقارورة ومنهم من يقول بالقار كان أبواهم مؤمنين وكان هو كافرا خشيئنا ان
يرحمه ما طغيانا وكثرا ان يحملها حبه على أن يتابعه على دينه فاردنا أن يبدلها مريم ما خيرا منه زكاة كقوله أقتلت نفسك اذ كية وقوله
وأقرب رحماها به أرحم منهم - ما بالاول الذي قتل خضر وزعم غير سعيد جبير انهما أبدا لاجارية وأما داود بن أبي عاصم فقال عن غير
واحد انهما لاجارية وقال عبد الرزاق اخبرنا عمر بن أبي اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال خطب موسى عليه السلام بنى
اسرائيل فقال ما أحد أعلم بالله وبأمره (١٥٨) مني فامر ان يلقي هذا الرجل فذكر نحو ما تقدم بيادق ونقصان والله أعلم وقال

شديد بن اسحق عن الحسن بن عمار
عن الحكم بن عتيبة عن سعيد بن
جبير قال جلست عند ابن عباس
وعنده نفر من أهل الكتاب فقال
بعضهم يا أبا العباس ان نوفابن
امراء كعب يزعم ان كعب ان
موسى النبي الذى طلب العلم انما
هو موسى بن شيشا قال سعيد
فقال ابن عباس نوف يقول هذا
ياسعيد فقلت له نعم انما سمعت نونا
يقول ذلك قال أنت سمعته حديثا
سعيد قال قلت نعم قال كذب
نوف ثم قال ابن عباس حدثني أبي
ابن كعب عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان موسى بنى اسرائيل
سأل ربه فقال أى رب ان كان فى
عبادك أحد هو أعلم سنى فدلنى
عليه فقام له نعم فى عبادى من هو
أعلم منك ثم بعث له كاهنه وأذن له
في نبيه فخرج موسى ومعه فتاه
ومعه حوت ملأ قد قيل له اذا حي
هذا الحوت فى مكان فصاحبك
هذا لك وقد أدركت - اجئتك فخرج
موسى ومعه فتاه ومعه ذلك الحوت
يحملانه فسار حتى جهده السير
وانتهى الى الصخرة والى ذلك الماء

فى موضع وقد قدمنا طرفا من ذلك فى سورة البقرة (ان زلزلة الساعة شئ عظيم) تعليل
لما قبله من الامر بالتقوى والزلزلة شدة الحركة والازعاج وأصلها من زل عن الموضع أى
زال عنه وتحرك وزلزل الله قدمه أى حركها وتكرير الحرف يدل على تأكيد المعنى وهو من
اضافة المصدر الى فاعله ومنعوله محذوف تقديره الارض ويكون اسناد الزلزلة الى الساعة
على سبيل المجاز العقلى وحتى على هذا الزلزلة التى هى احدى اشراط الساعة التى تكون فى
الدينا قبل يوم القيامة هذا قول الجمهور وألى الظرف لانها تكون فيها كقوله بل مكر
الليل وانها روية انها يكون يوم القيامة وقيل انها تكون فى النصف من شهر رمضان ومن
بعدها طلوع الشمس من مغربها ولا حجة فى المعترلة فى تسمية المعدوم شيئا فان هذا اسم
لها حال وجودها وقيل فى التعبير عنها بالشيء ايدان بأن العقول قاصرة عن ادراك كنهها
وقد اخرج أحمد والترمذى وصححه والنسائى والحاكم وصححه وغيرهم عن عمران بن حصين
قال لما نزلت يا أيها الناس الى قوله عذاب شديد أنزلت عليه هذه وهو فى سفر فقال أندرون
أى يوم ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال ذلك يوم يقول الله لا آدم ابعت بعث النار قال يارب
وما بعث النار قال من كل ألت تسعمائة وتسعة وتسعين الى النار وواحد الى الجنة
فانتم المسلمون يكون فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قاربوا وسددوا وأبشروا
فانهم لم تكن نبوة قط الا كان بين يديهم اجاهلية فتوخذوا عدة من الجاهلية فانتم والاولا
كملت من المنافقين وما مثلكم والائمة الا كمثل الرقة فى ذراع الدابة أو كالشامة فى جنب
العير ثم قال انى لأرجو ان تكونوا رابع أهل الجنة فكبروا ثم قال انى لأرجو ان تكونوا
ثلث أهل الجنة فكبروا ثم قال انى لأرجو ان تكونوا نصف أهل الجنة فكبروا وقال ولا
أدرى قال الثلثين أم لا وأخرج الترمذى وصححه وابن جرير وابن المنذر عنه مرفوعا
نحوه وقال فى آخره املوا وأبشروا فوالذى نفس محمد بيده انكم لمع خليفة قتين ما كاتمع
شي الا كراهه بأجوج وما جوج ومن مات من بنى آدم ومن بنى ابلis فسرى عن القوم
بعض الذى يجدون قال اعلموا وأبشروا فوالذى نفس محمد بيده ما أنتم فى الناس الا
كالشامة فى جنب العير أو كالرقة فى ذراع الدابة وفى الصحيحين وغيرهما عن أبي سعيد
الخدري قال قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم فذكر نحوه وفى آخره فقال من بأجوج
وما أجوج ألت ومنكم واحد وهل أنتم فى الائمة الا كالشعرة السوداء فى الثور الأبيض أو

وكذلك الماء الحيا من شرب منه خلد ولا يقارب به شيء الميت الا حي فلما نزلوا من الحوت الماء حيا فالتخذ سبيله كالشعرة
فى البحر سربا فانطلقا فلما جاوزا الثقلة قال موسى لهما آتيا غدا نالتقد لقينما من سفرنا هذا نصبا قال الفتى وذكر أرايت اذ أوينا
الى الصخرة فأنى نسير الحوت وما أنسا به الا الشيطان ان أذكره واتخذ سبيله فى البحر عجباً قال ابن عباس فظهر موسى على الصخرة
حتى انتهيا اليها فاذا رجل متلفف فى كساءه فسلم موسى فرد عليه السلام ثم قال له ما جاء بك ان كان لك فى قومك لشغل قال له موسى
جئت على أن تعلمنى بما علمت رشدا قال انك ان تستطيع معى صبرا وكان رجلا يعلم علم الغيب قد علم ذلك فقال موسى بلى قال وكيف

تصبر على ما لم تحط به خبر أى انما تعرف ظاهر ما ترى من العدل ولم تحط من علم الغيب بما أعلم قال سبحانه ان شاء الله صابرا ولا أعصى لأمرى وان رأيت ما يخالفنى قال فان اتبعتهنى فلا تسألنى عن شئ وان أنكرته حتى أحدث لك منه ذكرا فانطلقا عيشيان على ساحل البحر يتعرضان للناس يلتمسان من يحملهما حتى مرتهما مسقمنة جديدة وثيقة لم يمر بهما من السفن شئ أحسن ولا اجل ولا وثق منها فاسألا أهلها أن يحملوهما فحملوهما فلما اطما نافيها وولجت بهما مع أهلها أخرج منقار الله ومطرقة ثم عمد الى ناحية منها فاضرب فيها بالمنقار حتى خرقتها ثم أخذوا حافظه عليه ثم جلس (١٥٩) عليها رافعها فقال له موسى ورأى أمر افطع به آخر قته بالتعرق أهلها لقد جئت شيا

أمرأ قال لم أقل انك لن تستطيع معي صبرا قال لا تؤاخذنى بما نسيت اى بما تركت من عهدك ولا ترهقنى من أمرى عسى ان يخرجنا من السفينة فانطلقا حتى آتيا أهل قرية فاذا غلمان يلعبون خائفاهم غلام ليس فى الغلمان غلام أطرف منه ولا أترى ولا أؤامنه فأخذه بيده وأخذ يجبره فاضرب برأسه حتى دمعه فقتل قال فرأى موسى أمر افطع العاصم عليه صبي صغير قتل لئلا ذنب له قال أقتلت نفسك زكمت شئ صغيرا بغير نفس لقد جئت شيا أنكرأ قال لم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال ان سألتك عن شئ بعد هذا فلان يا صبي قد بلغت من لدنى عذرا أى قد عذرت فى شئ فانطلقا حتى آتيا أهل قرية استأطعما أهلها فأبوا أن يضيئوهما فوجد فيها جدارا يريدان يتقضى فيه ثم قعد بينهما فضجج موسى مما يراه يصنع من التمسك كلف وما ليس عليه صبرا فأقامه قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا أى قد استطعناهم فلم

كالثعرة البيضاء فى الثور الاسود (يوم ترونها) أى وقت رؤيتكم للزلزلة (تذهل كل مرضعة عما أرضعت) أى تغفل كل ذات رضاع عن رضيعها قال قطرب تذهل تشتغل وقيل تنسى وقيل تلهو وقيل تسلو وهذه معانيها متقاربة قال المبرد ما هنا بمعنى المصدر أى تذهل عن الارضاع قال وهذا يدل على أن هذه الزلزلة فى الدنيا اذ ليس بعد القيامة حل وارضاع الا أن يقال ان من مات حاملا فتضع حملها للهول ومن مات مرضعة بعدت كذلك ويقال هذا مثل كما يقال لا مما يجعل الولدان شيئا وقيل يكون مع النفخة الاولى قال ويحتمل أن تكون الزلزلة عبارة عن أهوال يوم القيامة كفى قوله مستهم البأساء والضراء وزلزلوا (وتضع كل ذات حمل حملها) أى تلقي جنينها بغير تمام من شدة الهول كأن المرضعة تترك ولدها بغير رضاع لذلك (وترى الناس سكارى) قرأ الجمهور بفتح التاء والراء خطابا لكل واحد أى يراهم الراى كأنهم سكارى وقرئ ترى بضم التاء مستندا الى الخطاب من أرايتك أى تظنهم سكارى قال الفراء وله مذهبه وجه جديد فى العربية (وما هم بسكارى) حقيقة وقرئ سكرى بغير ألف وهما الغتان يجمع بهما سكران مثل كسلى وكسالى ولما نفي سبحانه عنهم السكر أو ضح السبب الذى لاجله شابهوا السكارى فقال (ولكن عذاب الله شديد) فسبب هذه الشدة والهول العظيم طاشت عقولهم واضطربت افهامهم فصاروا كالسكارى يجمع سلب كمال التمييز وحنة الادراك وروى ان عاتق بن لا تيس نزلنا فى غزوة بنى المصطلق ليلا فقراهما النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلم يرا كثيرا كما من ذلك الليلة قاله أبو حيان فى البحر ثم لما أراد سبحانه ان يحجج على منكبرى العبد قدم قسلا لذلك مقدمة تشبه أهل الجدل كلهم فقال (ومن الناس من يجادل فى الله) أى فى شأن الله وقدرته وصفاته والمعنى انه يخاسم فى ذلك فيزعم انه غير قادر على البعث (بغير علم) بعلمه ولا حجة يدلى بها أو يؤول أو يعطل أو يشبه صفاته بصفات الخلق من دون حجة نيرة أو يكابر فى دين الله ويقول فيه ما لا خير فيه من الاباطيل وتقليد آراء الرجال (ويبيع) فيما يقوله ويتعاطاه ويحتج به ويجادل عنه (كل شيطان مرید) أى منادى على الله متعبد لنفسه وهو العاقى سمى بذلك لخلوه عن كل خير وقال الزجاج المريد والمراد بالمرقع الأسلس والمراد اما بليس وجنوده أو رؤساء الكفار الذين يدعون أشد ما عليهم الى الكفر قال المنسرون نزلت فى المنصر بن الحرث وكان كثير الجدل وكان يشكر ان الله يتدبر على احواله

يطعمونا ووضفناهم فلم يرضى بقولنا ثم قعدت تعمل من غير ضيقة ولوشئت لاعطيت عليه أجرا فى عماله قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا اما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فاردت ان أعيمها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا وفى قراءة أى بن كعب كل سفينة صالحة وغماعبته لا رده عنها فسلمت منه حين رأى العيب الذى صنعت به أو أما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا فاردنا ان يبداهما ما بهما خيرا منه زكاة وأقرب رجاء وأما الجدار فكان لعلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من

ربك وما فعلته عن امرى أى ما فعلته عن نفسه ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبر افكان ابن عباس يقول ما كان الكثر الا علما وقال العوفي عن ابن عباس قال لما ظهر موسى وقومه على مصر نزل قومه مصر فلما استقرت بهم الدار أنزل الله ان ذكرهم بآيام الله فخطب قومه فذكر ما آتاهم الله من الخير والنعم فوذكرهم انذبحاهم الله من آل فرعون وذكرهم هلاك عدوهم وما استخلفهم الله فى الارض وقال كلام الله بيبكم تسليما واعطانا لنفسه وأُنزل على تحبة منه وآتاكم الله من كل ماسا لقومه فبيدكم أفضل أهل الارض وأتم تقررؤن التوراة فلم يترك نعمة (١٦٠) أنعم الله عليهم الا وعرفهم اياها فقال له رجل من بنى اسرائيل هم كذلك

يا نبى الله قد عرفنا الذى تقول فهل على الارض أحد أعلم منك يا نبى الله قال لا فبعث الله جبرائيل الى موسى عليه السلام فقال ان الله يقول وما يدريك ان اضع على بلى ان على شط البحر رجلا هو أعلم منك قال ابن عباس هو الخضر فسأل موسى ربه ان يريه اياه فاحس اليه ان ات البحر فانك تجد على شط البحر رجلا فادفعه الى فتاك ثم الزم شاطئ البحر فاذا نسيت الحوت وهلك منك فثم تجد العبد الصالح الذى تطالب فلما طال سفر موسى نبى الله ونصب فيه سأل فتاه عن الحوت فقال له فتاه وهو غلامه ارايت اذا وينا الى الصخرة فانى نسيت الحوت وما أنسانيه الا الشيطان ان اذكر ذلك قال الفتى لقد رايت الحوت حين اتخذ سبيلا فى البحر سرى با فاعجب ذلك فرجع موسى حتى اتى الصخرة فوجد الحوت فجعل الحوت يضرب فى البحر ويتبعه موسى وجعل موسى يقدم عصاه فيخرجهم اعنه الماء يتبع الحوت وجعل الحوت لا يس شيا من البحر الا ييس عنه الماء حتى

الاموات وقيل نزلت فى الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة (كتب عليه) أى قضى على الشيطان قاله قتادة وعن مجاهد مثله (ان من تولاه) أى من اتخذه وليا واتبعه (فانه) أى فشا الشيطان انه (يضله) عن طريق الحق والجنة وقد وصف الشيطان بوصفين الاول انه يريد والثانى ما أفاده جملة كتب عليه الخ (ويهديه الى عذاب السعير) أى يحمله على مباشرة ما يسير به فى العذاب وفى الآية زجر عن اتباعه ثم ذكر سبحانه ما هو المتصور من الاحتجاج على الكفار بعد فراغه من تلك المقدمة فقال (يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث) قرأ الجهور بسكون العين وقرأ بفتحها وهى لغة وشكهم يحتمل ان يكون فى وقوعه أو فى مكانه والمعنى ان كنتم فى شك من الاعادة بعد الموت فانظروا فى مبدأ خلقكم أى خلقى أياكم آدم ايزول عنكم الرب ويرفع الشك وتدحض الشبهة الباطلة (فانا خلقناكم من تراب) فى زمن خلقى أياكم آدم وهذا أول تطور الانسان فى أطوار سبعة وهى التراب والنطفة والعلقة والمنغغة والاخراج طنلا وبلوغ الأشد والتوفى أو الرد الى أرض العمر كما سبى أى تفصيل ذلك (ثم) خلقناكم (من نطفة) أى من منى نطفة العلقمة والنطفة القليل من الماء وقد يقع على الكثير منه والنطفة القطرة يقال نطف ينطف أى قطر وولي له أنطوف أى دائمة التظفر (ثم من علقته) وهى الدم الجامد والعلق الدم العبيط أى الطرى والمتجمد وتيل الشديد الحرارة والمراد الدم اجمدا المتكون من منى (ثم من منغغة) وهى القطعة من اللحم قد مر ما ينفخ الماضغ يتكون من العلقمة (مخلقة) أى مستبينة الخلق ظاهرة التصوير (وغير مخلقة) أى لم يستثن خلقها ولا ظهر تصويرها قال ابن عباس المخلقة ما كان حيا تام الخلق وغير المخلقة ما كان سقطا وروى نحوه عن جماعة من التابعين وقال ابن الأعرابى مخلقة تيريد قرب الخلقه وغير مخلقة لم تصور قال الأكثر ما اكمل خلقه بنفخ الروح فيه فهو المخلقة وهو الذى وادلتام وما سقط كان غير مخلقة أى غير حى باكل خلقته بالروح قال الثوري مخلقة تام الخلق وغير مخلقة السقط واخرج البخارى ومسلم وأبو داود والسنن وغيرهم عن ابن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو الصادق المصدوق ان أحدكم يجمع خلقه فى بطن امه اربعين يوما نطفة ثم يكون علقته مثل ذلك ثم يكون منغغة مثل ذلك ثم يرسل الله اليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات يكتب رزقه واجله وعمله وشقى أو سعيد فوالله لا اله غير دان

يكون صخرة فجعل نبى الله يعجب من ذلك حتى انتهى به الحوت الى جزيرة من جزائر البحر فأتى الخضر بهم فسلم عليه أحدكم فقال الخضر وعليك السلام وانى يكون السلام بهذه الارض ومن أنت قال انا موسى قال الخضر صاحب بنى اسرائيل فرحب به وقال ما جاء بك قال جئتكم على ان تعلمنى مما علمت رشدا قال انك ان تسطيع معى صبرا يقول لا تطيق ذلك قال ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا اعصى لك امر اقال فانطلق به وقال له لا تسألنى عن شىء اصنع حتى ابين لك شأنه فذلك قوله حتى أحدث لك منه ذكرا وقال الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس انه تخارى هو والحربن قيس بن حصه بن النزارى

في صاحب موسى فقال ابن عباس هو خضر فترجم ما في بن كعب فدعاه ابن عباس فقال اني تمنايت انا وصاحبي هذا في صاحب موسى الذي سأل السبيل الى لقبيه فهل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر شأنه قال اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بينا موسى في ملا من بني اسرائيل اذ جاء رجل فقال تعلم مكان رجل أعلم منه قلت قال لا فأوحى الله الى موسى بلي عبدنا خضر فسأل موسى السبيل الى لقبيه فجعل الله له الحوت آية وقيل له اذ فقدت الحوت فارجع فانك ستلقاه فكان موسى يتبع أثر الحوت في البحر فقال فتى موسى لموسى أرايت اذ أويينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت قال موسى ذلك ما كنا نبغ فارتداعلى آثارهما قصصا فوجداهما عبدنا خضر افكان من شأنهما ما قص الله في كتابه (قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبر اقال (١٦١) سجدني ان شاء الله صابرا ولا أعصى لك

أمر ا قال فان اتبعني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا) يخبر تعالى عن قبيل موسى عليه السلام لذلك الرجل العالم وهو الخضر الذي خصه الله بعلم يطالع عليه موسى كما أنه أعطى موسى من العلم ما لم يعطه الخضر قال له موسى هل أتبعك سؤال تلطف لاعلى وجه الازام والاجبار وهكذا ينبغي ان يكون سؤال المتعلم من العالم وقوله أتبعك اى أحبب وأرافقك على أن تعلمني مما علمت رشدا اى مما علمك الله شيئا أسترشد به في أمرى من علم نافع وعمل صالح فعندها قال الخضر لموسى انك لن تستطيع معي صبرا اى انك لا تتقدر على مصاحبتى لما ترى منى من الافعال التى تخالف شريعتك لانى على علم من علم الله ما علمك الله وأنت على علم من علم الله ما علمنيته الله فكل منما مكلف بأمر من الله دون صاحبه وأنت

احدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها والا حديث في هذا الباب كثيرة جدا (لنبيين لَكُمْ) أى خلقناكم على هذا النظم البديع لنبيين لكم كمال قدرتنا بتصريفا طوار خلقناكم لتستدلوا بها في ابتداء الخلق على اعادته (ونقر) مستأنف أى ثبت (في الارحام ما نشأه) فلا يكون سقطا ولم يقل من نشأه لانه يرجع الى الحمل وهو جاد قبل ان يفتح فيه الروح وقرئ ما نشأه بكسر النون (الى أجل مسمى) وهو وقت الولادة (ثم فخرجكم) من بطون أمهاتكم (طفلا) أى اطفأوا وانما أفردته ارادة للجنس الشامل للواحد والمتعدد قال الزجاج طفلا فى معنى اطفأوا ودل عليه ذكر الجماعة يعنى فى فخرجكم والعرب كثير ما تطلق اسم الواحد على الجماعة والمعنى فخرج كل واحد منكم نحو القوم يشبههم رغف أى كل واحد منهم وقال المبرد هو اسم يستعمل مصدرا كالرضا والعدل فيقع على الواحد والجمع قال الله تعالى أو اطفأ الذين لم يظهروا ثم قيل نصبه على التمييز قاله ابن جرير وفيه بعد والظاهر انه على الحال والطفل يطلق على الولد الصغير من وقت ان يولد الى البلوغ وأما الطفلة بالفتح فهو الناعم والمرأة طفلة (ثم لتبلغوا أشدكم) كانه قيل فخرجكم لتكبروا واشيا فشيئا ثم لتبلغوا الى الاشد وقيل ان ثم زائدة والاشد هو كمال العقل وكال القوة والتمييز قيل وهو ما بين الثلاثين الى الاربعين وهو فى الاصل جمع شدة كأنهم جمع نعمة وقد تقدم الكلام على هذا مستوفى فى الازعام (ومنكم من يتوفى) اى يموت قبل بلوغ الاشد والكبر وقرئ مبني للفاعل أيضا (ومنكم من يرد الى أرذل العمر) أى أخسه وادونه وهو الهرم والخرف وهو خمس وسبعون سنة قاله على وقيل ثمانون سنة وقال قتادة تسعون سنة حتى لا يعقل ولهذا قال سبحانه (لكيلا يعلم) أى يعقل (من بعد علم) أى بعد عقله الاول (شيئا) من الاشياء أو شيئا من العلم والمعنى انه يصير من بعد ان كان

(٢١ - فتح البيان سادس) لاتقدر على صحبتي وكيف تصبر على ما لم تحط به خبر ا فأنا أعرف انك ستكره على ما أنت معذور فيه ولكن ما اطلعت على حكمته ومصلحته الباطنة التى اطلعت أنا عليها دونك قال اى موسى سجدني ان شاء الله صابرا أى على ما أرى من أمورك ولا أعصى لك أمرا اى ولا أخالفك فى شيء فعنده ذلك شارطه الخضر قال فان اتبعني فلا تسألني عن شيء اى ابتداء حتى أحدث لك منه ذكرا أى حتى أبدأ لك أنا به قبل ان تسألني قال ابن جرير حدثنا حميد بن جبر حدثنا يعقوب عن هرون عن عبيدة عن أبيه عن ابن عباس قال سأل موسى عليه السلام ربه عز وجل فقال أى رب اى عبادك احب اليك قال الذى يذكركنى ولا ينسانى قال فأى عبادك أقضى قال الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى قال أى رب اى عبادك أعلم قال الذى يتبعنى علم الناس الى علمه عسى أن يصيب كلمة ثم يديه الى هدى أو ترده عن ردى قال أى رب فهل فى أرضك أحد أعلم

منى قال نعم قال فن هو قال الخضر قال وأين أطلبه قال على الساحل عند الصخرة التي ينقلت عندها الحوت قال فخرج موسى يطلبه حتى كان ما ذكر الله وانتهى موسى اليه عند الصخرة فسلم كل واحد منهما على صاحبه فقال له موسى انى أحب أن أعجبك قال انك ان تطابق صحبتى قال بلى قال فان صحبتى فلا تسألنى عن شئ حتى أحدث لك منه ذكرا قال فسار به في البحر حتى انتهى الى مجمع البحور وليس في البحر مكان أكثر ما منه قال وبعث الله الخطف ليعمل يستقي منه بمنقاره فقال لموسى كم ترى هذا الخطف رزاً من هذا الماء قال ما أقل ما رزاً قال يا موسى فان علمى وعلمت في علم الله كقدر ما استقي هذا الخطف من هذا الماء وكان موسى قد حدث نفسه انه ليس أحداً علم منه أو تكلم به فنغم امران يأتي الخضر وذكر تمام الحديث في خرق السفينة وقتل الغلام واصلح الجدار وتفسيره له (١٦٢) ذلك فانطلقا حتى اذ ركب في السفينة خرقها قال آخرقتها

لتغرق أهلها القديت شيئاً امراً قال ألم أقل انك لن تستطيع معي صبراً قال لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسراً) يقول تعالى مخبراً عن موسى وصاحبه وهو الخضر انهما انطلقا لما توافقا واصطعبا واشترط عليه أن لا يسأله عن شئ أنكره حتى يكون هو الذي يتدبره من تدبره نفسه بشرحه وبيانته فركب في السفينة وقد تقدم في الحديث كيف ركب في السفينة وانهم عرفوا الخضر فملاهم ما بهما بول يعنى بغير أجره نكرمة للخضر فلما استقلت بهم السفينة في البحر ولجت أى دخلت اللجة قام الخضر فخرقها واستخرج لوحاً من ألواحها ثم رفعها فلم يعلك موسى عليه السلام نفسه ان قال منكراً عليه آخرقتها لتغرق أهلها وهذه اللام لام العاقبة لا لام التعليل كما قال الشاعر

* لدو الموت وابو الخراب *

ذا علم بالاشياء وفهم لها العلم ولا فهم كهيئته الاولى في أو ان الطفولية من مخافة الرأى وقوله النقة والعقل والفهم فينبى ما يعلمه وينكر ما يعرفه ومثله قوله تعالى لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين وقوله ومن نعمه تنكسه في الخلق قال عكرمة من قرأ القرآن لم يضره هذه الحالة أى فهذا الرد والنكس خاص بغير قارئ القرآن والعلماء واما هؤلاء فلا يردون في آخر عمرهم الى الازل بل يزداد عقولهم كلما طال عمرهم (وترى الارض هامدة) هذه حجة أخرى على البعث فانه سبحانه احتج باحياء الارض بانزال الماء على احياء الاموات والهامدة الياسة التي لا تنبت شيئاً قال ابن قتيبة أى ميتة يابسة كالنار اذا طفت وقيل دارسة والهمود السكون والخشوع والدروس وقيل هى التي ذهب عنها الندى وقيل هالكه ومعانى هذه الاقوال متقاربة (فإذا أنزلنا لها الماء) أى ماء المطر والانهار والبحار والعيون والسواقي (اهتزت) أى تحركت في رأى العين والاعتزاز شدة الحركة يقال هزرت الشئ فاهتز أى حركته فحرك والمعنى تحركت بالنبات لان النبات لا يخرج منها حتى يزبل بعضهم من بعض ازالة حقيقة فسماه اهتزاز المجاز وقال المبرد المعنى اهتز نباتها واهتز اهتزاز شدة حركته والاهتزاز في النبات أظهر منه في الارض (وربت) أى ارتفعت وقيل انتفعت وزادت والمعنى واحد وأصله الزيادة يقال ربا الشئ يربو اذا زاد ومنه الربا والربوة وربأت أى ارتفعت حتى صارت بمنزلة الرابية وهو الذى يحفظ القوم على مكان مشرف ويقال له راب ورابية ورينة (وأنبئت) أى أخرجت (من كل زوج بهيج) أى من كل صنف حسن ولون مستحسن سار للناظرين اليه والبهجة الحسن قاله ابن عباس يعنى الشئ المشرق الجميل ومن زائدة والاسناد مجازى لان المنبت في الحقيقة هو الله تعالى (ذلك) الصنع البديع حاصل (بأن) أى بسبب ان (الله هو الحق) وحده في ذاته وصفاته وأفعاله شتى والموجد لما سواه من الاشياء فهذه الامار الخاصة من فروع القدرة العامة التامة والحق هو

الموجود

لقد جئت شيئاً امراً قال مجاهد منكروا قال قتادة عجباً فعند ما قال الخضر مذكراً

بما تقدم من الشرط ألم أقل انك لن تستطيع معي صبراً يعنى وهذا الصنيع فعلته قصداً وهو من الامور التي اشترطت معك أن لا تذكر على فيها لانك لم تحط بها خبرا ولها دخل هو مصلحة ولم تعلمه أنت قال اى موسى لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسراً اى لا تضيق على وتشد على وله هذا تقدم في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كانت الاولى من موسى نسيانا (فانطلقا حتى اذا انقيا غلاما فقتله قال اقلنت نفسك بغير نفس لقد جئت شيئاً نكراً قال ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبراً قال ان سألتك عن شئ بعد هذا فلانصاحبني قد بلغت من لدنى عذرا) يقول تعالى فانطلقا أى بعد ذلك حتى اذا انقيا غلاما فقتله وقد تقدم انه كان يلعب مع الغلمان في قرية من القرى وانه عمد اليه من بينهم وكان أحسنهم وأجلهم وأصفاهم

فقتله وروى انه احتز رأسه وقيل رخنه بججر وفي رواية اقتلعه بيده والله أعلم فلما شاهد موسى عليه السلام هذا أنكره أشد من الاول وبادر فقال أقتلت نفساً كية أى صغيرة لم تعمل الحنت ولا عملت انما بعد فقتلته بغير نيت أى بغير مستند لقتله لقد جئت شيئاً نكراً أى ظاهر النكارة قال ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبراً كذا أيضاً في التذكار بالشرط الاول فلهذا قال له موسى ان سألتك عن شيء بعدها أى ان اعترضت عليك بشئ بعدها هذه المرة فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً أى قد اعذرت الى مرة بعد مرة قال ابن جرير حدثنا عبد الله بن زياد حدثنا سجاج بن محمد عن حمزة الزيات عن أبي اسحق عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا ذكر أحد افدعاه بدأ بنفسه فقال ذات يوم رحمة الله علينا وعلى موسى لو لبث مع صاحبه لابصر العجب ولكن قال ان سألتك عن شيء (١٦٣) بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني

عذراً (فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية استطعموا أهلها فأبوا ان يضيفوهما فوجدافيهما جدار يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لاتخذت عليه أجراً قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً) يقول تعالى مخبراً عنهم انهما انطلقا بعد المراتين الاولى -ين حتى اذا أتيا أهل قرية يضيفوهما فوجدافيهما جدار يريد أن ينقض اسناد الارادة ههنا الى الجدار على سبيل الاستعارة فان الارادة في المحدثات بمعنى الميل والانقضاض هو السقوط وقوله فأقامه أى فردّه الى حالة الاستقامة وقد تقدم في الحديث انه رده بيده ودعّمه حتى ردميله وهذا خارق فعند ذلك قال موسى له لو شئت لاتخذت عليه أجراً أى

الموجود الذي لا يتغير ولا يزول وقيل ذو الحق على عباده وقيل الحق في أفعاله قال الزجاج ذلك في موضع رفع أى الامر ما وصّنه لكم وبين بان الله هو الحق والجله مستأننة ولما ذكر افتقار الموجودات اليه سبحانه وتسخيرها على وفق ارادته واقتراره قال بعد ذلك هذه المقالات (وانه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير) والمعنى انه المتفرد بهذه الامور وانهم من شأنه لا يدعى غيره انه يقدر على شئ منها فدل سبحانه بهذا على انه الحق الحقيقي الغنى المطلق وان وجود كل موجود مستفاد منه (وأن الساعة آتية) أى في مستقبل الزمان قيل لا بد من انما فعل أى ولتعلموا أن الساعة آتية (لاريب فيها) ولا تردد ثم أخبر سبحانه عن البعث فقال (وأن الله يبعث من في القبور) فيجازيهم بأعمالهم ان خيراً فخير وان شراً فشر وان ذلك كائن لا محالة والحاصل انه تعالى ذكر اسباباً خمسة الثلاثة الاول مؤثرة والاخير ان غير مؤثرين (ومن الناس من يجادل في شأن الله) كقول من قال ان الملائكة بنات الله والمسيح ابن الله وعزير ابن الله قيل نزلت في النضر بن الحرث وقيل في أبي جهل وقيل في رجل من بني عبد الدار قاله ابن عباس وقيل هي عامة لكل من يتصدى لاضلال الناس واغوائهم وعلى كل حال فالاعتبار بما يدل عليه اللفظ وان كان السبب خاصاً والمعنى ومن الناس فريق يجادل في الله فيدخل في ذلك كل مجادل في ذات الله أو صفاته أو شرائعه الواضحة (بغير علم) أى كائناً بغير علم قيل والمراد بالعلم هو العلم الضرورى (ولا هدى) وهو العلم النظرى الاستدلالي لان الدليل يهتدى الى المعرفة والاولى حمل العلم على العموم وحمل الله على معنى معناه اللغوى وهو الارشاد (ولا كتاب) أى وحى (منير) وهو القرآن والمعنى انه يجادل من غير مقدمة ضرورية ولا نظرية ولا سمعية والعلم للانسان من أحده هذه الوجوه الثلاثة والمنير النير البين الحجة الواضحة البرهان وهو ان دخل تحت قوله بغير علم فافتراده بالذكر كافر ادجى بريل بالذكر بعد ذكر الملائكة وذلك لكونه الفرد الكامل

لاجل انهم لم يضيفونا كان ينبغي ان لا تعمل لهم مجازاً قال هذا فراق بيني وبينك أى لانك شرطت عند قتل الغلام انك ان سألتني عن شيء بعدها فلا تصاحبني فهو فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل أى بتفسير ما لم تستطع عليه صبراً (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت ان أعيمها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا) هذا تفسير ما أشكل أمره على موسى عليه السلام وما كان أنكر ظاهره وقد أظهر الله الخضر عليه السلام على باطنه فقال ان السفينة انما خرقتم الاعيمها لانهم كانوا يرون بها على ملك من الظلمة يأخذ كل سفينة صالحة أى جيدة غصبا فأردت ان أعيمها لارده عنها العيم فينتفع بها أصحابها المساكين الذين لم يكن لهم شئ ينتفعون به غيرها وقد قيل انهم أيّام وروى ابن جرير عن وهب بن سليمان عن شعيب الجبائي ان اسم ذلك الملك هدد بن بدد وقد تقدم أيضاً في رواية البخارى وهو مذكور في التوراة في ذرية العيص بن اسحق وهو من الملوك المنصوص عليهم

في التوراة والله اعلم (وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا فأرذنا أن يبدلهما ربهم ما خيرا منه زكاة وأقرب رجما) قد تقدم أن هذا الغلام كان اسمه حينئذ وفي الحديث عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الغلام الذي قتله الخضر طبع يوم طبع كافر وأبو ابن جرير من حديث ابن اسحق عن سعيد عن ابن عباس به ولهذا قال فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا أي يحملهما حبه على متابعتهم على الكفر قال قتادة قد فرح به أبواه حين ولد وحرنا عليه حين قتل ولو بقي لكان فيه هلا كهما فليرض امرؤ بقضاء الله فان قضاء الله للمؤمن فيما يكره خيرا له من قضائه فيما يحب وصح في الحديث لا يقضى الله لمؤمن قضاء إلا كان خيرا له وقال تعالى وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وقوله فأرذنا أن يبدلهما ربهم ما خيرا منه زكاة وأقرب رجما أي ولدا (١٦٤) أركي من هذا وهما أرحم به منه قاله ابن جرير وقال قتادة

أبر بوالديه وقد تقدم أنهم ما بدلا جارية وقيل لما قتله الخضر كانت أمه حامل بالغلام مسلم قاله ابن جرير (وأما الحداد فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كثر لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كثرهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم نستطع عليه صبرا) في هذه الآية دليل على إطلاق القرية على المدينة لأنه قال أولا حتى إذا أتيا أهل قرية وقال ههنا فكان للغلامين يتيمين في المدينة كما قال تعالى فكان من قرية هي أشد قوة من قريتنا التي أخرجتكم وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يعني مكة والطائف ومعنى الآية أن هذا الحداد إنما أصله منه لأنه كان لعالمين يتيمين في المدينة وكان تحته كثر لهما قال عكرمة وقتادة وغير واحد كان تحته مال مدفون

الفتاوى على غير من أفراد العلم وأما من حل العلم على الضروري والهدى على الاستدلال فقد جعل الكتاب هنا على الدليل السمعي فتكون الآية متممة لنفي الدليل العقلي ضروريا كان أو استدلاليا ومتممة لنفي الدليل العقلي بأقسامه وما ذكرناه أولى قيل والمراد بهذا الجحدل في هذه الآية هو الجحدل في الآية الأولى أعني قوله ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد وبذلك قال كثير من المفسرين والتكرير للمبالغة في الذم كما تقول لرجل تدمه وتوبخه أنت فعلت هذا أنت فعلت هذا ويجوز أن يكون التكرير لكونه وصفه في كل آية بن زيادة على ما وصفه به في الآية الأخرى وقيل الآية الأولى واردة في المقلدين اسم فاعل والثانية في المقلدين اسم مفعول ذكره الزمخشري وقوله وهو أوفق وأظهر بالمقام انتهى ولا وجه لهذا كما أنه لا وجه لقوله من قال إن الآية الأولى خاصة بأهل المتبوعين لتابعهم والثانية عامة في كل اضلال وجدال (ثاني عطفه) حال أي لاوى عنقه قاله قتادة وعن ابن عباس والسدي وابن زيد وابن جرير أي أنه المعرض والعطف الجانب وعطف الرجل جانبه من يمين وشمال وفي تفسيره وجهان الأول أن المراد به من يلوى عنقه مرحا وكبرا ذكر معناه الزجاج قال وهذا يوصف به المتكبر قال ابن عباس أي مستكبرا في نفسه وقال المبرد العطف ما أننى من العنق الوجه الثاني أن المراد بقوله ثانی عطفه الاعراض أي معرضا عن الذكركذا قال الفراء والمنضل وغيرهما كقوله تعالى ولست مستكبرا كان لم يسمعها وقوله لو أروهم وقوله اعرض ونأى بجانبه وقيل المعنى مانع تعطفه إلى غيره (ليصل عن سبيل الله) أي ليستقر أولي رضاء له وان ضلاله كالغرض له لكونه ماله قرى ليصل ينتج الياء ونسبها والسبيل هنا الذين يعني أن غرضه هو الاضلال عن السبيل وإن لم يعترف بذلك وقيل هي لام العقوبة كأنه جعل ضلاله عائد الجدة (له في الدنيا خزي) مستأنفة مبينة لما يحصل له بسبب جده من العقوبة والخزي والذل وذلك بما ياله من العقوبة

لهما وهذا ظاهر السياق من الآية وهو اختيار ابن جرير رحمه الله وقال العوفي عن ابن عباس كان تحته كثر علم وكذا قال في سعيد بن جبيرة وقال مجاهد صحف في عالم وقد ورد في حديث مرفوع ما يقوى ذلك قال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البرزاني مسنده المشهور حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري حدثنا بشر بن المنذر حدثنا الحرث بن عبد الله الجصبي عن عباس بن عباس الغساني عن أبي حمزة عن أبي ذر رفعه قال إن الكثر الذي ذكره الله في كتابه لوح من ذهب مصمت مكتوب فيه عجبت لمن أيقن بالقدم نصب وعجبت لمن ذكر النار لم ضحك وعجبت لمن ذكر الموت لم غنل لا إله إلا الله محمد رسول الله بشر بن المنذر هذا يقال له قاضي المصيصة قال الحافظ أبو جعفر العقيلي في حديثه وهم وقد روى في هذا آثار عن السلف فقال ابن جرير في تفسيره حدثني يعقوب حدثنا الحسن بن حبيب بن نديبة حدثنا سلمة عن نعيم الغنبري وكان من جلساء الحسن قال سمعت الحسن يعني البصري يقول

في قوله وكان تحته كنزهما قال لوح من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجب لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجب لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجب لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وحدثني يونس اخبرنا ابن وهب اخبرني عبد الله بن عباس عن عمر مولى غنرة قال ان الكنز الذي قال الله في السورة التي يذ كرفها الكهف وكان تحته كنزهما قال كان لوحا من ذهب مصمت مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجب لمن عرف الموت ثم فزع عجب لمن ايقن بالقدر ثم نصب عجب لمن ايقن بالموت ثم آمن اشهدان لا اله الا الله واشهدان محمد اعبده ورسوله وحدثني احمد بن حازم الغفاري حدثنا هنادة بنت مالك الشيبانية قالت سمعت صاحب جاد بن الوليد الثقفي يقول سمعت جعفر بن محمد يقول في قول الله تعالى وكان تحته كنزهما قال سطران ونصف لم يتم الثالث عجب للمؤمن (١٦٤) بالرزق كيف يتعب وعجب للمؤمن

بالحساب كيف يغفل وعجب للمؤمن بالموت كيف يفرح وقد قال الله وان كان مثقال حبة من خردل أينماها وكنى بنا حاسمين قالت وكرامتها حفظا بصلاح أبيهما ولم يذكرا منها ماصلاح وكان بينهما ما وبين الاب الذي حفظابه سبعة آباء وكان نساجا وهذا الذي ذكره هؤلاء الأئمة وورده الحديث المتقدم وان صح لا ينافي قول عمر كرامة انه كان مالا لانهم ذكروا انه كان لوحا من ذهب وفيه مال جزيل أكثر مما زادوا انه كان مودعا فيه علم وهو حكم ومواعظ والله أعلم وقوله وكان أبوهما صالحا فيه دليل على ان الرجل يحفظ في ذريته وتشمل بركة عبادته لهم في الدنيا والآخرة بشفاعته فيهم ورفع درجاتهم الى أعلى درجة في الجنة لتقر عينهم بهم كما جاء في القرآن ووردت به السنة قال سعيد بن جبيرة عن ابن عباس حفظا بصلاح أبيهما ولم يذكراهما

في الدنيا ومن العذاب المجل وسوء الذكرك على ألسن الناس وقيل الخزي الديني هو القتل كما وقع في يوم بدر (ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق) أي عذاب النار المحرقة ثم يقال له (ذلك) أي ما تقدم من العذاب الديني والآخرى (بما قدمت يدك) من الكفر والمعاصي والباطل السببية وعبر بالبدن جلة البدن ليكون مباحثة المعاصي تكون بها في الغالب وفي غير هذه السورة أيديكم لان هذه الآية تزلت في أبي جهل وحده وفي غير هاترت في جماعة تقدم ذكرهم (وان الله ليس بظلام) أي يذو ظلم (للعبيد) أي والأمر انه سبحانه لا يعذب عباده بغير ذنب وقد مر الكلام على هذه الآية في آخر آل عمران فلا نعيمه (ومن الناس من يعبد الله على حرف) هذا بيان لشقاق أهل الشقاق قال أكثر المنسرين الحرف الشك وأصله من حرف الشيء أي طرفه مثل حرف الجبل والحائط فان القائم عليه غير مستقر والذي يعبد الله على حرف فاق في دينه على غير ثبات وطمأنينة كالذي هو على حرف الجبل ونحوه يضطرب اضطرابا ويضعف قيامه فقبل للشاك في دينه انه يعبد الله على حرف أي مترلا لانه على غير يقين من وعده ووعدته بخلاف المؤمن لانه يعبد الله على يقين وبصيرة فلم يكن على حرف ففي الآية استعارة تمثيلية وقيل الحرف الشرط والشرط هو قوله (فان أصابه خير) ديني من رخاء وصحة وعافية وسلامة وخصب وكثرة مال (اطمأن به) أي ثبت على دينه واستمر على عبادته أو اطمأن قلبه بذلك الخير الذي أصابه وسكن اليه (وان أصابه فتن) أي شئ يفتن به من مكر وبصية في أهله وماله أو نفسه ومعيشته كالجذب والمرض وسائر المحن (انقلب على وجهه) أي ارتد ورجع الى الوجه الذي كان عليه من الكفر ثم حاله بعد انقلابه على وجهه فقال (خسر الدنيا والآخرة) أي ذهبانه وفقداه فلا حظ له في الدنيا من الغنيمة والثناء الحسن وصون المال والدم ولا في الآخرة من الاجر وما أعدده الله للصالحين من عبادته وقرى خاسر الدين على اسم الفاعل (ذلك هو الخسران المبين)

صلاحا وتقدم انه كان الاب السابع فله أعلم وقوله فأرد ربك ان يبلغ أشده ما ويستخرجا كنزهما ههنا اسند الارادة الى الله تعالى لان بلوغه ما الحلم لا يقدر عليه الا الله وقال في الغلام فأردنا ان يبدله ما ربه ما خيرا منه زكاة وقال في السفينة فأردت ان اعيمها فله أعلم وقوله تعالى رحمة من ربك وما فعلته عن امرى أي هذا الذي فعلته في هذه الاحوال الثلاثة انما هو من رحمة الله بهن ذكرنا من أصحاب السفينة والذى الغلام ولدى الرجل الصالح وما فعلته عن امرى أي كنى أمرت به ووقفت عليه وفيه دلالة بان قال نبوة الخضر عليه السلام مع ما تقدم من قوله فوجد اعبدا من عبادنا آتينا رحمة من عندنا وعلما من لدنا علما وقال آخرون كان رسولا وقيل بل كان ملكا نقله الماوردي في تفسيره وذهب كثيرون الى انه لم يكن نبيا بل كان وليا فله أعلم وذكر ابن قتيبة في المعارف ان اسم الخضر بليسان ملكا بن قلع بن عابر بن شالح بن ارفخشذ بن سام بن

نوح عليه السلام قالوا وكان يكنى ابا العباس ويلقب بالخضر وكان من ابناء الملوكة ذكره النووي في تهذيب الاسماء وحكى هو وغيره في كونه باقيا الى الآن ثم الى يوم القيامة قولين ومال هو وابن الصلاح الى بقائه وذكروا في ذلك حكايات وآثار عن السلف وغيرهم وجاء ذكره في بعض الاحاديث ولا يصح شيء من ذلك واشهرها حديث التعزية واسناده ضعيف ورجح آخرون من الحديث وغيرهم خلاف ذلك واحتجوا بقوله تعالى وما جعلنا البشر من قبلك الخلدو بقول النبي صلى الله عليه وسلم يوم يدرك الله هم ان تملك هذه العصاة لا تبعث في الارض وبأنه لم ينقل انه جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حضر عنده ولا قاتل معه ولو كان حيا لكان من اتباع النبي صلى الله عليه وسلم واحبابه لانه عليه السلام كان مبعوثا الى جميع الثقلين الجن والانس وقد قال لو كان موسى وعيسى حين لما وسعهما الاتباع (١٦٦) واخبر قبل موته بقليل انه لا يبقى ممن هو على وجه الارض

أى الواضح الظاهر الذى لا خسران مثله فانه اذا لم ينضم اليه الاخرى أو باله كس لم يتمعص خسرانا فلم يظهر كونه كذلك ظهورا تاما فانحصر الخسران اليين فيه على ما دل عليه الاتيان بضمير الفصل قاله الكرخي أخرج البخاري وغيره عن ابن عباس في الآية قال كان الرجل يتقدم المدينة فان ولدت امرأته غلاما أو أنثى خيله قال هذا دين صالح وان لم تلد امرأته ولم تلد خيله قال هذا دين سوء وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عنه بسند صحيح قال كان ناس من الاعراب يأفون النبي صلى الله عليه وآله وسلم يسلمون فاذا رجعوا الى بلادهم فان وجدوا عام غيث وعام خصب وعام ولا دجس قالوا ان ديننا هذا صالح فتمسكوا به وان وجدوا عام جدد وعام ولا دس وعام قحط قالوا ما في ديننا هذا خير فانزل الله هذه الآية وعن أبي سعيد قال أسلم رجل من اليهود فذهب بصره وماله وولده فتشاهم بالاسلام فألقى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال أقلنى أقلنى قال ان الاسلام لا يقال فقال لم اصب من ديني هذا خيرا ذهب بصرى ومالى ولدى فقال يا يهودى الاسلام يسبك الرجال كما تسبك النار خبث الحديد والذهب والفضة فنزلت هذه الآية أخرجه ابن مردويه (يدعو) أى يعبد هذا الذى انقلب على وجهه ورجع الى الكفر (من دون الله) أى تتجاوز عبادة الله الى عبادة الاصنام (ملا بضره) ان ترك عبادته وعصاه (وما لا ينفعه) ان عبده وأطاعه ليكون ذلك المعبود جادا لا يقدر على ضر ولا نفع والجمع بين نفي النفع والضر هنا وثباتهما في قوله لمن شره أقرب من نفسه الآية كما سيأتى بان معبوداتهم لا تضر ولا تنفع بانفسها ولكن بسبب عبادتها فنسب الضرر اليها كما في قوله تعالى رب انهن أفضلن كثير من الناس حيث أضاف الاضلال اليها من حيث انها كانت سبب الضلال وقال الشهاب دفع التناقض بان النبي باعتبار ما في نفس الامر والاثبات باعتبار زعمهم الباطل انتهى (ذلك) أى الدعاء المنهوم من يدعو (هو الضلال البعيد) عن الحق والرشد مستعار من ضلال من سلك غير الطريق فصار

الى مائة سنة من ليلته تلك عين تطرف الى غير ذلك من الدلائل قال الامام احمد حديث يحيى بن آدم حدثنا ابن المبارك عن معمر عن همام بن منبه عن ابي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في الخضر قال انما سمى خضرا لانه جلس على فروة خضراء فاذا هي تتفتح خضراء ورواه ايضا عن عبد الرزاق وقد ثبت ايضا في صحيح البخاري عن همام عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما سمى الخضر لانه جلس على فروة فاذا هي تتفتح خضراء والمراد بالفروة ههنا الحشيش اليابس وهو الهشيم من النبات قاله عبد الرزاق وقيل المراد بذلك وجه الارض وقوله ذلك تأويل مالم تستطع عليه صبرا اى هذا تفسير مضطرب به ذرعا ولم تهجر حتى اخبرك به ابتداء ولما انفسره له وبينه ووضع وأزال المشكل قال

تستطع وقبل ذلك كان الاشكال قويا يقال فقال سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا فاقبال الاقتل بالانقلا والاختف بالاختف كما قال في اساطيرها أن يظهر وهو الصعود الى أعلاه وما استطاعوا له نقما وهو أشق من ذلك فاقبال كلابيا نسبة لفظا ومعنى والله أعلم فان قيل فما بال قتي موسى ذكر في أول القصة ثم لم يذكر بعد ذلك فالجواب ان المقصود بالسياق انما هو قصة موسى مع الخضر وكرما كان بينهما ما قتي موسى معه تبع وقد صرح في الاحاديث المتقدمة في الصحاح وغيرها أنه يوسع بنون وهو الذى كان يلى بنى اسرائيل بعد موسى عليه السلام وهذا يدل على ضعف ما أورده ابن جرير في تفسيره حيث قال حدثنا ابن جهم حدثنا سلمة حدثني ابن اسحق عن الحسن بن عمار عن ابيه عن عكرمة قال قيل لابن عباس لم نسبح لانتى موسى بذكر من حديث وقد كان معه قال ابن عباس فيما يذكر من حديث الفتى قال شرب الفتى من الماء فخلد فأخذته العالم

فطابق به سفينة ثم ارسله في البحر فانها التوج به الى يوم القيامة وذلك انه لم يكن له ان يشرب منه فشرب اسناده ضعيف والحسن متروك وابوه غير معروف (ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا انما كاله في الارض وآتيناه من كل شئ سببا) يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ويسألونك يا محمد عن ذى القرنين أى عن خبره وقد قدمنا انه بعث كنفار مكة الى اهل الكتاب يسألون منهم ما تعصمون به النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا اسلوه عن رجل طواف في الارض وعن فتية لا يدري ما صنعوا وعن الروح فنزلت سورة الكهف وقد اورد ابن جرير ههنا والاموي في مغازيه حديثا اسناده وهو ضعيف عن عقبه بن عامر ان نزارا من اليهود جاءوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم عن ذى القرنين فاخبرهم بما جاؤا به ابتداء فكان فيما اخبرهم به انه كان شابا من الروم وانه بنى الاسكندرية وانه علا به ملك في السماء وذهب به الى (١٦٧) السدور رأى اقواما وجوههم مثل

وجوه الكلاب وفيه طول ونكارة ورفعه لا يصح واكثر ما فيه انه من اخبار بني اسرائيل والعجب ان ابازرعة الرازي مع جلالة قدره ساقه بتمامه في كتابه دلائل النبوة وذلك غريب منه وفيه من التكرار انه من الروم وانما الذي كان من الروم الاسكندر الثاني وهو ابن قليس المقدوني الذي تورخ به الروم (١) فأما الاول فقد ذكر الازرق وغيره انه طاف بالبيت مع ابراهيم الخليل عليه السلام اول ما بناء وامن به واتبعه وكان وزيره الخضر عليه السلام واما الثاني فهو واسكندر بن قليس المقدوني اليوناني وكان وزيره ارسطاطاليس الفيلسوف المشهور والله اعلم وهو الذي تورخ من مملكته الروم وقد كان قبل المسيح عليه السلام بخمسة ثمانمائة سنة فأما الاول المسد كور في القرآن فكان في زمن الخليل كما ذكره

بضلاله بعيدا عنها قال القراء البعيد الطويل (يدعو) أى يقول هذا الكافر يوم القيامة (لمن شره أقرب من نفعه) هذه الجملة مقررة لما قبلها من كون ذلك الدعاء ضلالا بعيدا والاضمام لانفع فيها اجمال من الاحوال بل هي ضرر بحيث لمن عبدها لانه دخل النار بسبب عبادتها واد اصبغة التفضيل مع عدم النفع بالمرء للمبالغة في تبيين حال ذلك الداعي أو ذلك من باب وانا أو اياكم على هدى أو في ضلال مبين واللام هي الموطئة للقسم ومن موصولة أو موصوفة وشره مبتدأ خبره أقرب والجملة صلة الموصول وجملة (لبئس المولى ولبئس العشير) جواب القسم والمعنى انه يقول ذلك الكافر يوم القيامة لبئس المولى أنت ولبئس العشير أنت والمولى الناصر والعشير صاحب وقال الزجاج أى ذلك هو الضلال البعيد دعوه وعلى هذا قوله من شره كلام مستأنف مبتدأ وخبره لبئس المولى قال وهذا ان اللام للبين والتوكيد فجعلها أول الكلام وقال الزجاج والشر ان يكون بدعو مكررة على ما قبلها على جهة تنكيه هذا الفعل الذي هو الدعاء أى يدعو ما لا يضره ولا ينفعه يدعو وقال النراء والكسائي والزجاج معنى الكلام القسم والتقدير يدعو من لضره أقرب من نفعه وقال محمد بن زيد المعنى يدعو لمن شره أقرب من نفعه الها قال النحاس وأحسب هذا القول غلطاً منه وقال القراء والقفال اللام صلة والمعنى يدعو من شره أقرب من نفعه واللام في لبئس المولى ولبئس العشير على هذا موطئة للقسم (ان الله يدخل الذين آمنوا و عملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار) لما فرغ سبحانه من ذكر حال المشركين ومن يعبد الله على حرف ذكر حال المؤمنين في الآخرة وأخبر انه يدخلهم هذه الجنات المتصفة بهذه الصفة وهذا وعد لمن عبد الله بكل حال لان عبده على حرف وقد تقدم الكلام في جرى الانهار من تحت الجنات وبيننا أنه ان أريد بها الاشجار المتكاثفة الساترة لما تحتها فخر بان الانهار من تحتها ظاهر وان أريد بها الارض فلا بد من تقدير مضاف أى من تحت أشجارها (ان الله يفعل ما يريد) تعليل لما قبلها أى

الازرق وغيره وانه طاف مع الخليل عليه السلام بالبيت العتيق لما بناءه ابراهيم عليه السلام وقرب الى الله قربانا وقد ذكرنا طرفا صالحا من أخباره في كتاب البداية والنهاية بما فيه كفاية ولله الحمد وقال وهب بن منبه كان ملكا وانما سمى ذا القرنين ان صغفنى رأسه كانتا من نحاس قال وقال بعض أهل الكتاب لانه ملك الروم وفارس وقال بعضهم كان في رأسه شبه القرنين وقال سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل قال سئل على رضى الله عنه عن ذى القرنين فقال كان عبدا ناصحا لله فمناحه دعا قومه الى الله فضرى على قرنه فمات فأحياه الله فدعا قومه الى الله فضرى بوجهه على قرنه فمات فسمى ذا القرنين وكذا رواه شعبة عن القاسم بن أبي بزة عن أبي الطفيل سمع عليا يقول ذلك ويقال انه انما سمى ذا القرنين لانه بلغ المشرق والمغرب من حيث يطالع قرن الشمس ويغرب وقوله انما كاله في الارض أى أعطيناه ملكا عظيما كما عظمه كافيته من جميع ما يوثق الملوك من التيجان والجنود والآلات

(١) قوله فاما الاول الخ كذا بالسنخ وفي العبارة شبه تكرار خبر اه

الحرب والحصارات ولهذا ملك المشارق والمغارب من الارض ودانت له البلاد وخضعت له ملوك العباد وخدمته الامم من العرب والعجم ولهذا ذكر بعضهم أنه انما سمي ذا القرنين لانه بلغ قرنى الشمس مشرقها ومغربها وقوله وآتيناه من كل شئ سببا قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والسدي وقتادة والضحاك وغيرهم يعني علما وقال قتادة أيضا في قوله وآتيناه من كل شئ سببا قال منازل الارض وأعلامها وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله وآتيناه من كل شئ سببا قال تعليم الاسنة قال كان لا يغزو قوم الا كلهم بلسانهم وقال ابن الهيثم حدثني سالم بن غيلان عن سعيد بن أبي هلال ان معاوية بن أبي سفيان قال لكعب الاحبار أنت تقول ان ذا القرنين كان يرط خيله بالثر يا فقال له كعب ان كنت قلت ذلك فان الله قال وآتيناه من كل شئ سببا وهذا الذي أنكره معاوية رضى الله عنه (١٦٨) علي كعب الاحبار هو الصواب والحق مع معاوية في الانكار

فان معاوية كان يقول عن كعب ان كالب لوعليه الكذب يعني فيما ينقله لأنه كان يتعمد نقل ما ليس في صحفه ولكن الشأن في صحفه أنها من الاسرائيليات التي غالبا ما تبدل مصنف محرف مختلق ولا حاجة لنا مع خبر الله تعالى ورسول الله صلى الله عليه وسلم الى شئ منها بالكيفية فانه دخل منها على الناس شركته وفساد عريض وتأويل كعب قول الله وآتيناه من كل شئ سببا واستشهاده في ذلك على ما يجده في صحفه من انه كان يرط خيله بالثر يا غير صحيح ولا مطابق فانه لا سبيل للبشر الى شئ من ذلك ولا الى الترقى في أسباب السموات وقد قال الله في حق بلقيس وأوتيت من كل شئ أى ما يؤتى مثلها من الملوك وهكذا ذوالقرنين يسر الله له الأسباب أى الطرق والوسائل الى فتح الافاق السيم والرساتيق والبلاد والاراضى وكسر الاعداء وكبت

يفعل ما يريد من الافعال لا يستل عما يفعله فيثيب من يشاء ويعذب من يشاء ويكرم من يطيعه ويهين من يعصيه (من كان ينظر أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة) قال النحاس ومن أحسن ما قيل في هذه الآية ان المعنى من كان ينظر أن لن ينصر الله محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم وأنه يتهم أنه ان يقطع النصر الذي أوتيه صلى الله عليه وآله وسلم (فليمد بسبب) أى فليطلب حيلة يصل بها (الى السماء ثم ليقطع) النصر ان تهبط (فلينظر هل يذهبن كيداه) وحيلته (ما يغيط) اياه من نصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحيل من على الكفار يوافق كلام الجلال ومثله في العمادى وقال أبو السعود المعنى انه تعالى ناصر لرسوله في الدنيا والآخرة لا محالة من غير صارف يلو به ولا عاطف يشبهه فن كان يغيطه ذلك من أعاديه وحسادوه يظن أن لن يفعل تعالى بسبب مدافعتيه ببعض الامور ومباشرة ما يرد من المكاييد فليبالغ في استفراغ الجهد والوجاهة وزنى الجسد كل حدمعهود فتصارى اثره وعاقبة أمره ان يمتحنى خنقا ما يرى من ضلال مساعده وعدم انتاج مقدمات مباديه وقيل المعنى فليشد حجب لافى سعتف بيته ثم ليقطع أى ليمد الحبل حتى يقطع فيموت محتنة او المعنى فليمتحنى غيظا حتى يموت فان الله ناصر صلى الله عليه وآله وسلم ومظهره ولا ينفعه غيظه وبه قال ابن عباس وقيل المعنى من كان ينظر ان الله لا يرزقه فليقتل نفسه فلينظر هل ينفعه ذلك أو يأت به برزق (وكذلك) أى مثل ذلك الانزال البديع من آيات السابقة (أتراناها) أى القرآن (آيات بينات) واختصت ظاهرة الدلالة على مدلولاتها (وان الله يهدي من يريد) هدايته ابتداء أو زيادة فيها لمن كان مهديا من قبل ويضل من يريد ضلالته معطوف على هاء انزلنا فان وصلتها في محل نصب ويصح ان تكون في موضع رفع خبر المبتدأ من أى والايمان الله الخ (ان الذين آمنوا) بالله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم أو عماد كرم الآيات البينات (والذين هادوا) هم اليهود المنتسبون الى ملة موسى (والصابئين) هم قوم يعبدون النجوم وقيل هم من

ملوك الارض واذلال أهل الشرق قد أوتى من كل شئ مما يحتاج اليه مثل سببا والله أعلم وفي المختارة للعافظ جنس الضياء المقدسى من طريق قتيبة عن أبي عوانة عن سمك بن حرب عن حبيب بن جراح قال كنت عند علي رضى الله عنه وسأله رجل عن ذى القرنين كيف بلغ المشرق والمغرب فقال سبحان الله سحره السحاب وقدر له الاسباب وبسط له اليد (فأتبع سببا حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تعرب في عين حجة ووجد عندنا قوما قلنا اذا القرنين اما أن تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا قال أمان ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا أو أمان آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا) قال ابن عباس فأتبع سببا يعني بالسبب المنزل وقال مجاهد فأتبع سببا منزلا وطريقا ما بين المشرق والمغرب وفي رواية عن مجاهد سببا قال طرفى الارض وقال قتادة أى أتبع منازل الارض ومعالمها وقال الضحاك فأتبع سببا أى المنازل وقال سعيد بن جبير

في قوله فاتبع سبيلنا قال علماء وهكذا قال عكرمة وعبيد بن يعلى والسدي وقال مطر معالم وأثار كانت قبل ذلك وقوله
 اذا بلغ مغرب الشمس أي فسلط طريقا حتى وصل إلى أقصى ما يسلك فيه من الأرض من ناحية المغرب وهو مغرب الار
 وأما الوصول إلى مغرب الشمس من السماء فمغذرو وما يذكروه أصحاب القصص والخبار من أنه سار في الأرض مدة والشم
 تغرب من ورانه فشيء لا حقيقة له وأكث ذلك من خرافات أهل الكتاب واختلاف زنادقتهم وكذبهم وقوله وجدناه
 في عين حمئة أي رأى الشمس في منظاره تغرب في البحر المحيط وهذا شأن كل من انتهى إلى ساحل يراها كأنهم انغرب فيه وه
 لا تفارق الفلك الرابع الذي هي مثبتة فيه لا تفارقه والحمئة مشتقة على إحدى القراءتين من الحمأة وهو الطين كما قال تعالى ا
 خالق بشر من صلصال من حمأ مسنون أي طين (١٦٩) ألمس وقد تقدم بيانه وقال ابن جرير حدثنا

يونس أخبرنا ابن وهب أن أبا نافع
 أبي نعيم سمعت عبد الرح
 الأعرج يقول كان ابن عباس يقو
 في عين حمئة ثم فسر هاذات
 قال نافع وسئل عنها كعب الاح
 فقال أنتم أعلم بالقرآن مني ولك
 أجدها في الكتاب تغيب في طب
 سوداء وكذا روى غير واحد
 ابن عباس وبه قال مجاهد و
 واحد وقال أبو داود الطيال
 حدثنا محمد بن دينار عن سعد
 أوس عن مصدع عن ابن عباس
 عن أبي بن كعب أن النبي صلى
 عليه وسلم أقرأه حمئة وقال علي بن أ
 طلحة عن ابن عباس وجدناه تغر
 في عين حامية يعني حارة وكذا قا
 الحسن البصري وقال ابن جر
 والصواب أنهم ما قرأوا مشهورنا
 وأهم ما قرأ القارئ فهو مصيب قل
 ولا منافاة بين معنيهما ما اذ قد تكو
 حارة لمجاورتها وهج الشمس عن
 غروبها وملاقاها الشعاع بلا حائ

جنس النصارى وليس ذلك بصحيح بل هم فرقة معروفة لا ترجع إلى مله من الملل المنتسبة إلى
 الانبياء (والنصارى) هم المنتسبون إلى مله عيسى (والجوس) هم الذين يعبدون
 النار ويقولون ان للعالم أصليين النور والظلمة وقيل هم قوم يعبدون الشمس والقمر
 وقيل هم يستعملون الخجاسات وقيل هم قوم من النصارى اعتزلوهم ولبسوا المموح
 وقيل أنهم أخذوا بعض دين اليهود وبعض دين النصارى (والذين أشركوا) هم الذين
 يعبدون الاصنام وقدمت في تحقيق هذا في البقرة ولكنه سبحانه قدم هناك النصارى على
 الصابئين وآخرهم عنهم هنا فقل وجه التقديم هناك أنهم أهل كتاب دون الصابئين ووجه
 تقديمهم هنا ان زمنهم متقدم على زمن النصارى قال قتادة الصابئون هم قوم يعبدون
 الملائكة ويصلون القبور ويقرؤون الزبور والجوس عبدة الشمس والقمر والنيران
 والذين أشركوا عبدة الاوثان (ان الله يفصل) أي يقضي (بينهم يوم القيامة) فيدخل
 المؤمنين منهم الجنة والكافرين منهم النار وقيل الفصل هو ان عيسى الحق من المبتطل
 بعلامته يعرف بها كل واحد منهما وقيل يفصل بينهم في الاحوال والاماكن جميعا فلا
 يجازهم جزاء واحد بغير تفاوت ولا يجمعهم في موطن واحد قال قتادة الاديان ستة
 نخسة للشيطان وواحد للرجن وعن عكرمة قال فصل قضا بينهم فجعل الخمسة
 مشتركة وجعل هذه الامة واحدة وعن ابن عباس قال والذين هادوا اليهود والصابئون
 ليس لهم كتاب والجوس أصحاب الاصنام والمشركون نصارى العرب (ان الله) لتعليل
 لما قبله او كأن فائلا قال اهذا الفصل عن علم اولاف قيل ان الله (على كل شيء) من أفعال
 خلقه وأقوالهم (شهيد) عالم علم مشاهدة لا يعزب عنه شيء منها ومن قضيته الاحاطة
 بتفاصيل ما صدر عن كل فرد من أفراد الفرق المذكورة والظاهر تعميم الكلام لعبدة
 الاوثان ولعباد الشمس والقمر والنجوم قاله الكرخي (الم تر ان الله يستبدل من في
 السموات ومن في الارض) الرؤية هنا هي التلبس لا البصرية وذلك لان رؤية سجد

(٢٢ - فتح البيان سادس) وحمئة في ماء وطين أسود كما قال كعب الاحبار وغيره وقال ابن جرير حدثنا محمد بن المنثري حدثنا
 يزيد بن هرون أخبرنا العوام حدثني مولى لعبد الله بن عمرو عن عبد الله قال نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشمس حين
 غابت فقال في نار الله الحامية لولا ما يرعاهما من أمر الله لاحت ما على الأرض قلت ورواه الامام أحمد عن يزيد بن هرون وفي صح
 رفع هذا الحديث نظر ولعله من كلام عبد الله بن عمرو من زامله اللتين وجدتهما يوم اليرموك والله أعلم وقال ابن أبي حاتم حدثنا
 حجاج بن حمزة حدثنا محمد بن عيسى بن ميمون أن أبا ناس حاضرا ان ابن عباس ذكر له ان معاوية بن أبي سفيان قر
 الآية التي في سورة الكهف تغرب في عين حامية قال ابن عباس لمعاوية ما قرؤها الا حمئة فسأل معاوية عبد الله بن عمر وكيف
 تقرؤها فقال عبد الله كما قرأتها قال ابن عباس فقلت لمعاوية في بيتي نزل القرآن فارسل إلى كعب فقال له أين تجد الشمس

تغرب في التوراة فقال له كعب سئل أهل العربية فأنهم أعلم بها وأما أنا فاني أجدا الشمس تغرب في التوراة في ماء وطن وأشار بيده الى المغرب قال ابن حاصر لو أني عندك أفدتك بكلام ترداد فيه بصيرة في جملة قال ابن عباس واذا ما هو قلت فيما نأثر قول تبع فيما ذكر بهذا القرنين في تخلفه بالعلم واتباعه اياه

بلغ المشارق والمغارب يتبعني * أسباب أمر من حكيم مرشد
فراى مغار الشمس عند غروبها * في عين ذى خلب وثناط حرم

فقال ابن عباس ما الخلب قلت الطين بكلامهم قال فما لنا ط قلت الحارم قلت الاسود قال فدعا ابن عباس رجلا أو غلاما فقال اكتب ما يقول هذا الرجل وقال (١٧٠) سعيد بن جبير بينا ابن عباس يقرأ سورة الكهف فقرأ وجد هاتغرب

في عين جملة فقال كعب والذي نفس كعب بيده ما سمعت أحدا يقرأها كما أنزلت في التوراة غير ابن عباس فانما نجد هات في التوراة تغرب في مدرسة سوداء وقال أبو يعلى الموصلي حدثنا اسحق بن أبي اسرائيل حدثنا هشام بن يوسف قال في تفسير ابن جريج ووجدت عندها قوما قال مدينة لها اثنا عشر ألف باب لولا أصوات أهلها لسمع الناس وجوب الشمس حين تجب وقوله ووجدت عندها قوما أي أمة من الأمم ذكروا انها كانت أمة عظيمة من بني آدم وقوله قلنا اذا القرنين امان تعذب وأمان تتخذ فيهم حسنا معنى هذا ان الله تعالى مكنه منهم وحكمه فيهم وأظنهم بهم وخيره ان شاء قتل وسبى وان شاء من أوفدى فعرف عدله وإيمانه فيأبده عدله ويبينه في قوله أمان ظلم أي استمر على كفره وشركه به فسوف نعبده قال قتادة بالقتل وقال السدي

هذه الأشياء لله انما جاءه من طريق العقل لا بالانزاه باصارنا والخطاب لكل من يصلح له وهو من تنأى منه الرؤية والمراد بالسجود هنا هو الانقياد الكامل لا بسجود الطاعة الخاصة بالعبادة سواء جعلت كلمة من خاصة بالعبادة أو عامة لهم وغيرهم ولهذا عطف (والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب) على من فان ذلك ينبغي أن السجود هو الانقياد لا الطاعة الخاصة بالعبادة وانما أفرد هذه الأمور بالذكرة كونها داخله تحت من على تقدير جعلها عامية لتكون قيام السجود به مستبعدا في العادة وقوله (وكثير من الناس) مرتفع على الابتداء وخبره محذوف تقديره وكثير من الناس يستحق الثواب وانما لم يرتفع بالعطف على من لان سجود هؤلاء الكثير هو سجود الطاعة الخاصة بالعبادة والمراد بالسجود المنقذهم هو الانقياد فلما ارتفع بالعطف لكان في ذلك جمع بين معنيين مختلفين في لفظ واحد وانت خبير بان لا يلجئ الى هذا بعد جعل السجود على الانقياد ولا شأن به يصح ان يراد من سجود كثير من الناس هو انقيادهم لانفس السجود الخاص فارفعاه بالعطف لأبأس به وان أبي ذلك صاحب الكشاف ومتابعوه (وكثير) مرتفع بالابتداء وخبره (حق عليه العذاب) قاله الكسائي والقرء وقيل معطوف على كثير الاول أي وكثير من الناس يسجد وكثير منهم يابي ذلك وقيل المعنى وكثير من الناس في الجنة وكثير حق عليه العذاب هكذا حكاه ابن الأنباري (ومن بين الله) أي من أهله الله بان جعله كائنا شقيا (فقاله من مكرم) يكرمه فيصير سعيدا عزيزا وحكي الاخذش والكسائي والقرء أي من الأكرام فهو على هذا مكرم ينتفع بالراه اسم مصدر (ان الله يفعل ما يشاء) من الأشياء التي من جملتها ما تقدم ذكره من الشقاوة والسعادة والاكرام والاهانة وظاهر هذه الآية والى قبلها ينقض على المعتزلة قولهم لانهم يقولون شاء أشياء ولم يفعل وهو يقول يفعل ما يشاء وهذه السجدة من عزائم السجود فيسن للقارئ والمسجع ان يسجد عند تلاوتها أو سماعها (هذان خصمان) أحدهما الجحش الشرق

اليهود

كان يحمى لهم بقر النحاس ويضعهم فيهم حتى يذوبوا وقال وعب بن منبه كان يسلط الظلمة فتدخل

أقواهم ويوتهم ونفسا هم من جميع جهاتهم والله أعلم وقوله ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا أي شديدا بليغا وجميعا ألما وفي هذا اثبات المعاد والجزاء وقوله وأمن آمن أي تابعتنا على ما ندعو اليه من عبادة الله وحده لا شريك له فجزاء الحسنى أي في الدار الآخرة عند الله عز وجل وسنقول له من أمرنا يسر قال مجاهد معروفا (ثم أتبع سببا حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجد هاتطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها آسرا كذلك وقد أخطأ بالديه خبرا) يقول تعالى ثم سلك طريقا فاسا رمن مغرب الشمس الى مطلعها وكان كلما من بامة قهرهم وغلبهم ودعاهم الى الله عز وجل فان أطاعوه والاذلهم وأرغم آفاهم واستباح أموالهم وأمتعهم واستخدمهم

ما يستعين به مع جبوشه على قتال الاقاليم المتاخمة لهم وذكرفى أخبار بنى اسرائيل انه عاش ألفا وستمائة سنة يجبوب الارض طولها والعرض حتى بلغ المشارق والمغارب ولما انتهى الى مطلع الشمس من الارض كما قال تعالى وجدها تطلع على قوم اى أمة لم نجعل لهم من دونها سترا اى ليس لهم بناء يكتنهم ولا أشجار تظللهم وتسترهم من حر الشمس وقال سعيد بن جبير كانوا حرا قصارا مساكنهم الغيران اكثر معيشتهم من السمك وقال أبو داود الطيالسي حدثنا سهل بن أبى الصلت سمعت الحسن وسئل عن قول الله تعالى لم نجعل لهم من دونها سترا قال ان أرضهم لا تحمل البناء فاذا طلعت الشمس تغدروا المياه فاذا غربت خرجوا يتراغون كما ترعى البهائم قال الحسن هذا حديث سمرة وقال قتادة ذكر لنا انهم بارض لا تنبت لهم شيأ فهم اذا طلعت الشمس فى اسراب حتى اذا زالت الشمس خرجوا الى حروثهم ومعايشهم وعن سلمة بن كهيل انه (١٧١) قال ليست لهم أكلان اذا طلعت الشمس طلعت عليهم

فلا حدهم أذانان يفرش احدهما ويلبس الاخرى قال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا قال هم الزنج وقال ابن جرير فى قوله وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا قال لم ينو ائها بناء قط ولم ين عليهم فيها بناء قط كانوا اذا طلعت الشمس دخلوا أسرابا لهم حتى تزل الشمس او دخلوا البحر وذلك ان أرضهم ليس فيها جبل جاءهم جيش مرة فتسال لهم أهله لا تطلعن عليهم الشمس وأنتم بها قالوا لا نبرح حتى تطلع الشمس ما هذه العظام قالوا هذه جيف جيش طلعت عليهم الشمس ههنا فهاؤا وقال فذهبوا هار بين فى الارض وقوله كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا قال مجاهد والسدى علمنا أى نحن نطلعون على جميع أحواله وأحوال جيشه لا يخفى علمنا منها شئ وان تفرقت أمهم وتقطعت بهم الارض فانه تعالى لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى

اليهود والنصارى والصابئون والمجوس والذين أشركوا والخصم الآخر المسلمون فهم ما فريقان يختصمان قاله النراء وغيره وقيل المراد بالخصمين الجنة والنار قالت الجنة خلقنى رحمة وقالت النار خلقنى لعقوبته وهو ضعيف وقيل المراد بالخصمين هم الذين برزوا يوم يدرفن المؤمنين حمزة وعلى وعميدة ومن الكافرين عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة وقد كان أبو ذر يقسم ان هذه الآية نزلت فى هؤلاء المتبارزين كما ثبت عنه فى الصحيحين وغيرهما وقال بطل هذا جماعة من الصحابة والتابعين وهم أعرف من غيرهم بأسباب النزول وقد ثبت فى صحيح البخارى وغيره أيضا عن على انه قال فيما نزلت هذه الآية وانأول من يجوفى الخصومة على ركبتيه بين يدي الله يوم القيامة وقال سبحانه (اختصموا) ولم يقل اختصموا لانهم جمع ولو قال اختصموا لجاز قاله النراء (فى) شأن (رجيم) أى فى دينه أو فى ذاته أو فى صفاته أو فى شريعته لعباده أو فى جميع ذلك قال أبو حيان الظاهر ان الاختصاص هو فى الآخرة بدليل التنسيم بالاناء الدالة على التعقيب فى قوله فالذين كفروا وان قلنا هذافى الدنيا فالجواب انه لما كان تحقيق مضمونها فى ذلك اليوم صح جعل يوم القيامة طرفا له هذا الاعتبار ثم فصل سبحانه ما أجمله فى قوله ينصل بينهم فقال (فالذين كفروا وقطعت لهم ثياب من نار) أى قدرت لهم على قدر جثثهم لان الثياب المحددة تقطع على مقدار بدن من يلبسها فالنقطيع مجاز عن التقدير بذكر المسبب وهو التقطيع وارادة السبب وهو التقدير والتخمين والظاهر انه بعد ذلك جعل تقطيعها استعارة عقابية تهم كمية شبه اعداد النار واحاطتها بهم بتفصيل ثياب لهم وجمع الثياب لان النار لا تراها عليهم كالثياب الملبوس بعضها فوق بعض وهذا بلغ من جعلها من مقابلة الجمع بالجمع قال الأزهري المعنى سويت وجعلت لبوسا لهم وانما شبهت النار بالثياب لانها مشتقة عليهم كاشتمال الثياب وعبر بالماضى عن المستقبل تنبيه على تحقق وقوعه وقيل ان هذه الثياب من نحاس قد اذيب فصار كالنار وهى السراويل المذكورة

السماء (ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهم ما قوم لا يكادون يفقهون قولا قالوا يا ذا القرنين ان يا جوج وما جوج مفسدون فى الارض فهل نجعل لك خراجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكنى فيه ربى خير فاعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما توفى زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال اتوفى أفرغ عليه قطرا) يقول تعالى مخبر عن ذى القرنين ثم اتبع سببا أى ثم سلك طريقا من مشارق الارض حتى اذا بلغ بين السدين وهما جبلان متناوحتان بينهما نفرة يخرج منها يا جوج وما جوج على بلاد الترك فيعبدون فيها فسادا ويهلكون الحرث والنسل ويا جوج وما جوج من سلافة آدم عليه السلام كما ثبت فى الصحيحين ان الله تعالى يقول يا آدم فيقول لبيك وسعديك فيقول ابعث النار فيقول وما بعث النار فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعون الى النار وواحد الى الجنة فينذى بالصغير وتضع كل ذاب جل جها فقال ان

فيكم أمتين ما كانتا في شيء الاكثر تاه بأجوج وما أجوج وقد حكى النووي رحمه الله في شرح مسلم عن بعض الناس ان بأجوج
وما أجوج خلقوا من مني خرج من آدم فاختلف بالتراب فخلطوا من ذلك فعلى هذا يكونون مخلوقين من آدم وليسوا من حواء
وهذا قول غريب جدا لا دليل عليه لا من عقل ولا من نقل ولا يجوز الاعتماد ههنا على ما يحكيه بعض أهل الكتاب لما عندهم من
الاحاديث المتعذرة والله أعلم وفي مسند الامام أحمد عن سمرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ولد نوح ثلاثة سام وأبوالعرب وحم
وأبوالسودان ويافت أبوالترك قال بعض العلماء هؤلاء من نسل يافت أبى الترك وقال انما سمى هؤلاء تركا لانهم تركوا من وراء السد
من هذه الجهة والافهم أقرباء أولئك بغيا وفسادا وجرأمة وقد ذكر ابن جرير ههنا عن وهب بن منبه أثر طويلا عجيبا في سير ذي القرنين
وبناء السد وكيفية ما جرى له وفيه طول وغرابة (١٧٢) ونكارة في اشكالهم وصفاتهم وطولهم وقصر بعضهم وآذانهم وروى

ابن أبي حاتم عن أبيه في ذلك
أحاديث غريبة لا تصح أسانيدھا
والله أعلم وقوله وجد من دونهما
قوما لا يكادون يفتنون قولا أي
لا يستحجم كلامهم وبعدهم عن
الناس فلو اباذا القرنين ان بأجوج
وما أجوج منفسدون في الارض
فهل نجعل لك خراجا قال ابن جرير
عن عطاء عن ابن عباس أجزأ عظيمي
يعني انهم أرادوا ان يجتمعوا له من
بينهم ما لا يعطونه اياه حتى يجعل بينه
وبينهم سدا فقتل ذو القرنين بعفة
وديانة وصلاح وقصد للغير ما كفى
فيه ربي خيرا أي الذي أعطاني الله
من الملك والتمكين خير لي من الذي
تجمعونه كما قال سلمان عليه السلام
أتمدون بما لا نأى الله خير
مما آتاكم الآية وهكذا قال ذو
القرنين الذي أنافه خير من الذي
تبدلونه ولكن ساعدوني بقوة أي
بعملكم وآلات البناء أجعل بينكم
وبينهم ردماء توتى زبر الحديد
والزبر جمع زبرة وهي القطعة منه

في آية أخرى قاله سعيد بن جبيرة وزاد ليس من الآتية شيء اذا حكي أشد حرمانه وقيل
المعنى في الآية أحاطت النار بهم والحق اجراء النظم القرآني على ظاهره ولا ترتضى تأويله
بما يخالف لفظه ومعناه وقرئ قطعت بالتنيف (يصب من فوق رؤسهم - الحميم) هو
الماء الحار المغلي بنا رجهم انتهت حرارته والجملة مستأنفة قال النحاس يذاب على رؤسهم
(يصبهم به) أي يذاب بالحميم (ما في بطونهم) قال ابن عباس تسيل امعاؤهم (والجلود)
قال ابن عباس يتناثر جلودهم وعن أبي هريرة انه تلا هذه الآية فقتل سمعت رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم يقول ان الحميم ليصب على رؤسهم فينفذ الجمجمة حتى يخلص الى
جوفه فيسلب ما في جوفه حتى يرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان أخرجه
الترمذي والحاكم وصححه وابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهم وعن ابن عباس قال
يشون وأمعاؤهم تنساقط وجلودهم وعنه قال يستون ماء اذا دخل في بطونهم اذابها
والجلود مع البطون والصهر الاذابة والسهارة ما ذاب منه يقال سهرت الشيء فانصهر رأى
أذنته فذاب فهو صهر والمعنى انه يذاب بذلك الحميم ما في بطونهم من الامعاء والاحشاء
ويصهر به الجلود وقيل ان الجلود لا تذاب بل تحرق فيقتدر فعل يناسب ذلك ويقال
وتحرق به الجلود ولا يخفى انه لا ينبغي لهذا فان الحميم اذا كان يذيب ما في البطون فاذا به للجلود
الظاهر بالاولى (ولهم) يجوز في الضمير وجهان أظهرهما ان يعود على الذين كفروا
وفي اللام حينئذ قولان أحدهما أنهم الاستعقاق والثاني أنهم بمعنى على كقوله ولهم
العنة وليس بشيء الوجه الثاني ان الضمير يعود على الزبانية أعوان جهنم ويدل عليه سياق
الكلام وفيه بعد وقوله (مقامع) جمع مقمعة ومقمع يقال قمعته ضربته بالمقمعة
وهي قطعة من حديد يقال قمعه يقمعه من باب قطع اذا ضرب به بشيء يزرجه به وبذله
والمقمعة المطرقة وقيل السوط وسميت المقامع لانها تقمع المضروب أي تذله
قال ابن السكيت يقال أقمعت الرجل عنى القاعا اذا طلع عليك فرددته عنك والمعنى لهم

مقامع

قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وهي كاللبنسة يقال كل لبنسة زنة قطار بالمسقى أو تزيد عليه حتى
اذا ساوى بين الصدفين أي وضع بعضه على بعض من الاساس حتى اذا حاذى به رؤس الجبلين طولا وعرضا واختلفوا في مساحة
عرضه وطوله على اقوال قال انفعوا أي أجمع عليه النار حتى صار كله نارا قال آتوتى أفرغ عليه قطرا قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة
والضحاك وقتادة والسدي هو النحاس زاد بعضهم المذاب ويستشهد بقوله تعالى وأسانه عین القطر ولهذا يشبه بالبرد الحار قال ابن
جرير حدثنا بشر بن يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا ان رجلا قال يا رسول الله قد رأيت سدا بأجوج وما أجوج قال انتمى قال
البرد الحار طريقه سوداء وطريقه جراء قال قد رأيت هذا حديث مرسل وقد بعث الخليفة الواتق في دولته بعض امرائه وجهز
معه جيشا مريية لينظروا الى السد ويعاينوه وينعتوه اذ رجعوا فوصلوا من بلاد الى بلاد ومن ملك الى ملك حتى وصلوا اليه

ورأوا بناءه من الحديد ومن النحاس وذكروا أنهم رأوا فيه بابا عظيما وعليه اقفال عظيمة ورأوا بقية اللبن والعمل في برج هناك وان عنده حرسا من الملوك المتأخلة وانه عال منيف شاهق لا يستطيع ولا ماحوله من الجبال ثم رجعوا الى بلادهم وكانت غيبتهم أكثر من سنتين وشاهدوا أهوالا وبغائب ثم قال الله تعالى (فما استطاعوا ان يظهره وما استطاعوا له نقبا قال هذا رحمة من ربي فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا وتركبنا معهم يوم مئذيج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا) يقول تعالى مخبر اعن يا جوج ومأجوج انهم ما قدروا على ان يصعدوا من فوق هذا السد ولا قدروا على نقبه من أسفله ولما كان الظهور عليه اسهل من نقبه قابل كلابا يناسبه فقال فاستطاعوا ان يظهره وما استطاعوا له نقبا وهذا دليل على انهم لم يقدروا على نقبه ولا على شئ منه فاما الحديث الذي رواه الامام أحمد حدثنا روح حدثنا سعيد بن أبي عروبة (١٧٣) عن قتادة حدثنا أبو رافع عن أبي هريرة

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان يأجوج ومأجوج السد كل يوم حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فاستحققوا غدا فيعودون اليه كاشدا ما كان حتى اذا بلغت مدتهم واراد الله ان يبعثهم على الناس حنرا حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فاستحققوا غدا ان شاء الله فيستأني فيعودون اليه وهو كهيمته حين تركوه فيحرقونه ويخرجون على الناس فينشقون المياه ويتحصن الناس منهم في حصونهم فيرمون بسهاهم الى السماء فترجع عليها كهيمته الدم فيقولون قهرنا أهل الارض وعلونا أهل السماء فبعث الله عليهم نغفا في رقابهم فيقتلهم بها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده ان دواب الارض لتسمن وتشكر شكر ان لم يؤمهم ودماهم ورواه احمد أيضا عن حسن دواب

مقامع كائنة (من حديد) يضربون بها اخرج أحمد وأبو يعلى والحاكم وتبعه والبيهقي عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو أن مقدم عامن حديد وضع في الارض فاجتمع الثقلان ما أقبلوه من الارض ولو ضرب الجبل بجمع من حديد لتفتت ثم عاد كما كان (كلما أرادوا) الارادة هنا مجاز عن القرب (ان يخرجوا منها) أي من النار (من) أجل (غم) شديد من غم النار ياخذ بأنفاسهم وهو بدل اشتمال من منها باعادة الجوار والاولى لابتداء الغاية والثانية بمعنى من أجل أي من أجل غم يلحقهم فخرجوا (أعيدوا فيها) أي ردوا اليها بالضرب بالمقامع وهي الجر من الحديد والمراد اعادتهم الى معظم النار لانهم ينصلون عنها بالكفاية ثم يعودون اليها عن سلمان قال النار سوداء مظلمة لا ينضئ لها ولا جرها ثم قرأ كلما أرادوا الآية (وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق) أي المحرق الغليظ المنتشر العظيم الاهلاك البالغ نهاية الاحراق وأصل الحريق الاسم من الاحتراق تحرق الشي بالنار واحترق حرقه واحتراقا والدوق مما سعة يحصل معها ادراك الطعم وهو هنا توسع والمراد به ادراك الألم قال الزجاج وهذا الاحد الخمين وقال في الخصم الآخر وهم المؤمنون (ان الله يدخل الذين آمنوا وعلوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار) ثم بين بعض ما أعده لهم من النعيم بعد دخولهم الجنة فقال (يخلون فيها) بالتشديد والبناء للمفعول وقرئ مخفيا أي يخلهم الله الملائكة بأمره (من) للتبعيض أي يخلون بعض (أساور) للبيان اوزائده وهي جمع اسورة والاسورة جمع سوار وفيه لغتان كسر السين وضمها وفيه لغة ثالثة وهي أسوار (من ذهب) من للبيان (ولؤلؤا) بالنصب أي ويخلون لؤلؤا وهو ما يستخرج من البحر من جوف الصدف قال القشيري والمراد ترصيع السوار بالؤلؤ ولا يبعد أن يكون في الجنة سوار من لؤلؤ مصمت كما ان فيها أساور من ذهب قال القرطبي يسور المؤمن في الجنة بثلاثة أسورة سوار من ذهب وسوار من فضة وسوار من لؤلؤ

موسى الاشيب عن سفيان عن قتادة به وكذا رواه ابن ماجه عن أنس بن مروان عن عبد الاعلى عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال حدث أبو رافع وأخرج الترمذي من حديث أبي عروبة عن قتادة ثم قال غريب لا يعرف الا من هذا الوجه واسناده جيد قوى ولكن متنه في رفعه نكارة لان ظاهرا الآية يقتضي انهم لم يتمكنوا من ارتقاؤه ولا من نقبه لاحكام بنائه وصلابته وشدة ولكن هذا قد روى عن كعب الاحبار انهم قبل خروجهم بالؤلؤة فيلحسونه حتى لا يبقى منه الا القليل فيقولون غدا نفتحه فيأتين من الغد وقد عاد كما كان فيلحسونه حتى لا يبقى منه الا القليل فيقولون كذلك فيصجون وهو كما كان فيلحسونه ويقولون غدا نفتحه ويلهمون ان يقولوا ان شاء الله فيصجون وهو كما فارقه فيفتحونه وهذا محتمل لعل أباهريرة تلقاه من كعب فانه كان كثيرا ما كان يجالس ويحدثه فحدث به أبوهريرة فتروهم بعض الرواة عنه انه مرفوع فرفعه والله أعلم ويؤيد ما قلناه من انهم لم يتمكنوا من نقبه ولا نقب شئ منه ومن

نكارة هذا المرفوع قول الامام أحمد حدثنا سفيان عن الزهري عن عروة عن زينب بنت أبي سلمة عن حبيبة بنت أم حبيبة بنت أبي سفيان عن أمها أم حبيبة عن زينب بنت جحش زوج النبي صلى الله عليه وسلم قال سفيان أربع نسوة قالت استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم من نومه وهو محمر وجهه وهو يقول لا اله الا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا وحلق قلت يا رسول الله انك وفيك الصالحون قال نعم اذا كثرت الخبث هذا حديث صحيح اتفق البخاري ومسلم على اخراجه من حديث الزهري ولكن سقط في رواية البخاري ذكر حبيبة وأثبتها مسلم وفيه اشياء عزيزة نادرة قليلة الوقوع في صناعة الاسناد منها رواية الزهري عن عروة وهما تابعيان ومنها اجتماع أربع نسوة في سنده كاهن يروي بعضهم عن بعض ثم كل منهم صحابة ثم ثنتان ربيعتان وثنتان زوجتان رضي الله (١٧٤) عنهن وقد روي نحوه هذا عن أبي هريرة أيضا فقال البزار حدثنا محمد بن

مرزوق حدثنا مؤمل بن اسمعيل حدثنا وهب عن ابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا وعقد التسعين واخرجه البخاري ومسلم من حديث وهب به وقوله قال هذا رحمة من ربي ذو القرنين قال هذا رحمة من ربي أي بالناس حيث جعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج حائلا يمنعهم من العبث في الارض والفساد فاذا جاء وعد ربي أي اذا انترب الوعد الحق جعله دكا أي ساواه بالارض تقول العرب ناقصة دكا اذا كان ظهرها مستويا لا سنام لها وقال تعالى فلما تجل ربه للجبل جعله دكا أي مساويا للارض وقال عكرمة في قوله فاذا جاء وعد ربي جعله دكا قال طريقا كما كان وكان وعد ربي حقا أي كائنا لا محالة وقوله وتر كابعضهم أي الناس يومئذ أي يوم يدك هذا السد ويخرج هؤلاء فيموجون في

(واباسهم) أي جميع ما يلبسونه (فيها حير) كما تفيد هذه الاضافة ويجوز أن يراد ان هذا النوع من الملبوس الذي كان محرما عليهم في الدنيا حلال لهم في الآخرة وانه من جهة ما يلبسونه فيها ففهم ما تشبهه الانفس وكل واحد منهم يعطى ما تشبهه نفسه وينال ما يريده وفي الحديثين وغيرهما عن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من لبس الحرير في الدنيا لم يلبس في الآخرة وفي الباب أحاديث وغيره الاسلوب حيث لم يقل ويلبسون فيها حير للمعافاة على القواصل وللدلالة على أن الحرير ثيابهم المعتادة في الجنة فان العدول الى الجملة الاسمية يدل على الدوام (وهذوا) أي أرسدوا (الى الطيب من النول) قيل هو لاله الا الله وقيل الحمد لله وقيل القرآن وقيل هو ما يأتهم من الله سبحانه من البشارات وتودر في القرآن ما يدل على هذا القول الجملة هذا وهو قوله سبحانه الحمد لله الذي صدقنا وعده الحمد لله الذي هدانا لهذا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن وقال ابن عباس هدوا ألهما وعن أبي العباس قال في الخصومة اذا قالوا الله مولانا ولا مولى لغيركم وعن ابن زيد قال لا اله الا الله والله أكبر والحمد لله الذي صدقنا وعده (و) معنى (هدوا الى صراط الحميد) انهم أرسدوا الى الصراط المحمود وهو الطريق الموصلة الى الجنة أو صراط الله الذي هو دينه القويم وهو الاسلام قاله الضحاك (ان الدين كثر واوبدون) أي ينعون (عن سبيل الله) ودينه من أراد الدخول فيه وعطف المضارع على الماضي لان المراد بالمضارع ما مضى من الصدوم مثل هذا قوله ان الذين كثر واوبدون وهدوا عن سبيل الله والمسجد الحرام أو المراد بالصدوم هنا لاستقرار الامر بالاسلام تقبال فصيح عطفه بذلك على الماضي أي كثروا والرجال انهم يصدون وقيل الواو زائدة والمضارع خبر ان الاولى أن يقدر خبران بعد قوله الآتى والباد وذلك نحو خسروا أو هلكوا والمراد بالصد المنع (والمسجد الحرام) قيل المراد به المسجد نفسه كما هو الظاهر من هذا النظم القرآني وقيل الحرم كله لان المشركين صدوا رسول الله صلى الله عليه وآله

الناس ويفسدون على الناس أم والهم ويتلفون أشياءهم وهكذا قال السدي في قوله وتر كابعضهم يومئذ وآله يوج في بعض قال ذلك حين يخرجون على الناس وهذا كله قبل يوم القيامة وبعد الدجال كما سيأتي بيانه عند قوله حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق الآية وهكذا قال ههنا وتر كابعضهم يومئذ يوج في بعض قال هذا أول يوم القيامة ثم تنفع في الصور على اثر ذلك فجمعناهم جمعاً وافقاً آخرون بل المراد بقوله وتر كابعضهم يومئذ يوج في بعض قال اذا ما ج الجن والانسان يوم القيامة يختلط الانسان والجن وروى ابن جرير عن محمد بن حميد عن يعقوب القمي عن هرون بن عتبة عن شيخ من بني فزارة في قوله وتر كابعضهم يومئذ يوج في بعض قال اذا ما ج الجن والانسان والجن قال يلبس أنا أعلم لكم علم هذا الامر فيظعن الى المشرق فيجسد الملائكة قد بطنوا الارض ثم يظعن الى المغرب فيجسد الملائكة قد بطنوا الارض فيقول ما من

محيص ثم يظن عينا وشمالا الى اقصى الارض فيجد الملائكة قد بطنوا الارض فيقول ما من لمحيص فينما هو كذلك اذ عرض له طريق كالشرالك فاحذ عليه هو وذريته فيبيناهم عليه اذ هجموا على النار فاخرج الله خازنا من خزان النار فقال يا ابليس ألم تكن لك المنزلة عند ربك ألم تكن في الجنان فيقول ليس هذا يوم عتاب لو أن الله فرض على قريضة لعبده فيها عبادة لم يعبد مثلهما أحد من خلقه فيقول فان الله قد فرض عليك قريضة فيقول ما هي فيقول يا مرامك ان تدخل النار فتسكن على عليه فيقول بهو بذريته يجناحيه فيقتذفهم في النار فتزفر النار زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا جثي لركبته وهكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث يعقوب القمي به ثم رواه من وجه آخر عن يعقوب عن هرون عن عنترة عن أبيه عن ابن عباس وترك بعضهم يومئذ يوجع في بعض قال الجن والانس يوجع بعضهم في بعض وقال الطبراني حدثنا (١٧٥) عبد الله بن محمد بن العباس الاصهاني

حدثنا أبو مسعود أجد بن الفرات حدثنا أبو داود الطيالسي حدثنا المغيرة بن مسلم عن أبي اسحق عن وهب بن جابر عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان يأجوج ومأجوج من ولد آدم ولو أرسلوا لافسدوا على الناس معاشهم ولن يموت منهم رجل الا ترك من ذريته ألفا فصاعدا ومن ورأئهم ثلاث أمم تاويل ومارس ومنسك هذا حديث غريب بل منكر ضعيف وروى النسائي من حديث شعبة عن النعمان بن سالم وعن عمرو بن أوس عن أبيه عن جده أوس بن أبي أوس مرفوعا ان يأجوج ومأجوج لهم نساء يجامعون ماشاؤا وشجر يلكون ماشاؤا ولا يموت رجل منهم الا ترك من ذريته ألفا فصاعدا وقوله ونفخ في الصور والصور كما جاء في الحديث قرن ينفخ فيه والذي ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام كما قد تقدم

وآله وسلم وأصحابه يوم الحديبية وقيل المراد به مكة بذليل قوله (الذي جعلناه للناس) على العموم يصلون فيه ويطوفون به (سواء) مستويان (العاكف) المقيم (فيه) الملازم له ويدخل فيه الغرب اذا جاؤا وأقام به وزم التعبد فيه (والباد) أى الواصل من البادية والمراد به الطارئ عليه المنتاب اليه من غير فرق بين كونه من أهل البادية أو من غيرهم وصف المسجد الحرام بذلك لزيادة التقرب والتوابع للصادين عنه وقيل جعلناه للناس قبل ذلك لصلاتهم ومنسكاً ومتعبدا للعاكف والبادى سواء في تعظيم حرمة وقضاء النسك به واليه ذهب مجاهد والحسن وجاعة من أهل العلم ومعنى التسوية هو التسوية في تعظيم الكعبة وقضاء النسك فيه وفي فضل الصلاة فيه والطواف به عن جبر بن مطعم ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال يا بنى عبد مناف لا تغتصوا أحد اطاف بهذا البيت وصلى أية ساعة شاء من ليل أو نهار أخرجه الترمذي وأبو داود والنسائي قال القرطبي وأجمع الناس على الاستواء في المسجد الحرام نفسه واختلفوا في مكة فذهب مجاهد ومالك الى ان دور مكة ومنازلها يستوى فيها المقيم والطارئ وذهب عمر بن الخطاب وابن عباس وجاعة الى أن للقادم ان ينزل حيث وجد وعلى رب المنزل أن يؤويه شاء أم أبى وذهب الجمهور الى ان دور مكة ومنازلها ليست كاللجنة الحرام ولا لها مانع الطارئ من النزول فيها والحاصل ان الكلام في هذا راجع الى أصليين الاول ما في هذه الآية هل المراد بالمسجد الحرام نفسه أو جميع الحرم او مكة على الخصوص والثاني هل كان فتح مكة صلحا أو عنوة وعلى فرض ان فتحها كان عنوة وهل أقرها النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أيدي أهلها على الخصوص أو جعلها لمن نزل بها على العموم وقد أوضح الشوكاني هذا في شرحه على المنتقى بما لا يحتاج الناظر فيه الى زيادة ثم قال فيه بعد ذكر حجج الفريقين ومن أوضح الأدلة على أنها افتحت عنوة قوله صلى الله عليه وآله وسلم وانما أحتلت ساعة من نهار فان هذا نصريح بانها أحتلت في ذلك بسفك الدماء بها وان حرمتها ذهبت فيه

في الحديث بطوله والا حديث فيه كثرة وفي الحديث عن عطية عن ابن عباس وأبي سعيد مرفوعا كيف انعم وصاحب القرن قد التهم القرن وحتى جهته واستمع متى يؤمر قالوا كيف نقول قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا وقوله في معناه جمعا أي احضرنا الجميع للحساب قل ان الاولين والآخرين لم يجوعوا الى ميقات يوم معلوم وحشرناهم فلم تغادر منهم -م أحدا (وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعا) الحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادا من دوني أولياء انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا) يقول تعالى مخبرا عما بعده بالكلية يوم القيامة انه يعرض عليهم جهنم أي يبرزها لهم ويظهرها ليرى ما فيها من العذاب والنكال قبل دخولها ليكون ذلك أبلغ في تعجيل المهمل والحزن لهم وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بجهنم تقاد يوم القيامة بسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملائكة

ثم قال مخبر عنهم الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكرى أى تغافلوا وتعاموا وتصاموا عن قبول الهدى واتساع الحق كما قال ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وقال ههنا وكانوا لا يستطيعون سموا أى لا يعقلون عن الله أمره ونهيه ثم قال أخسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادى من دونى أولياء أى اعتقدوا انهم يصح لهم ذلك وينفعون به كلاس يكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم نهدا ولهذا أخبر الله تعالى انه قد أعد لهم جهنم يوم القيامة منزلا (قل هل ننبتكم بالآخسر من أعمال الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزوا) قال البخارى حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عمرو عن مصعب (١٧٦) قال سألت أبى يعنى سعد بن أبى وقاص عن قول الله قل هل

تنبتكم بالآخسر من أعمالهم الحرورية قال لا هم اليهود والنصارى أما اليهود فكذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم وأما النصارى فكفروا بالجنسية وقالوا لا طعام فيها ولا شراب والحرورية الذين يتقصون عهد الله من بعدهم فانه فكان سعد رضى الله عنه يسميهم الناسيتين وقال على بن أبى طالب والفضالك وغير واحد هم الحرورية ومعنى هذا عن على رضى الله عنه ان هذه الآية الكريمة تشمل الحرورية كما تشمل اليهود والنصارى وغيرهم لأنها نزلت في هؤلاء على الخصوص ولا هؤلاء بل هي أعم من هذا فان هذه الآية تمكيدية قبل خطاب اليهود والنصارى وقيل وجود الخوارج بالكيفية وانما هي عامة في كل من عبد الله على غير طريقتة مرضية بحسب انهم مصيب فيها وان عملا مقبول وهو مخطئ وعمله مردود كما قال تعالى وجوه يومئذ خاشعة

وعادت بعده ولو كانت مفتوحة صلح لما كان لذلك معنى وقد ذكر المقتبلي في الاتحاف أدلة قوية على ان المراد به نفس المسجد وعن ابن عباس المسجد الحرام الحرم كله خلق الله فيه سواء وعن سعيد بن جبيرة مثله وأيضاً قال هم في منازل مكة سواء فينبغي لاهل مكة أن يتوسعوا لهم حتى يقضوا مناسكهم والبادى واهل مكة سواء يعنى في المنزل والحرم وعن ابن عمر وقال من أخذ من اجور بيوت مكة انما يأكل كل في بطنه نارا وعن عمر بن الخطاب ان رجلا قال له عند المروة اقطعنى مكانا لى ولعقبى فاعرض عنه وقال هو حرم الله سواء العا كفى فيه والبادى وكان عمر يمنع أهل مكة ان يجعوا لوالها ابو ابا حتى ينزل الحاج في عرصات الدور وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الآية سواء المقيم والذي يدخل أخرجه الطبرانى وغيره قال السيوطى باسناد صحيح وعن ابن عمر مر فوعا قال مكة لمباحة لا تؤجر بيوتها ولا تناع رباعها أخرجه ابن مردويه وعن علقمة بن نضلة قال قال توفى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابو بكر وعمر وما يدعى رباع مكة الا السوا تب من احتاج سكن ومن استغنى سكن رواه ابن ماجه واخرج الدارقطنى عن ابن عمر مر فوعا من كل كراية بيوت مكة كل نارا وعلى هذا القول لا يجوز بيع دور مكة واجازة لانها المملوكة لم يستوالها كنف فيها والبادى واليه ذهب ابو حنيفة وعلى القول الاول يجوز ذلك واليه ذهب الشافعى مستدلا بقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم فنسب اليهم نسبة ملك واشترأ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم النخع من أغلق بابا فهو آمن ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن والاول اقوى والله اعلم (ومن يرد فيه بالحاد بظلم) مفعول يرد محذوف لقصد التعميم أى من يرد فيه مراد أى مراد بعدول عن التمسك والاعتدال والاحاد في اللغة الميل الانه سبحانه بين هذا انه الميل بظلم وقد اختلف في هذا الظلم ماذا هو فقيل هو الشرك وقيل الشرك والقيل وقيل صيد حيواناته وقطع أشجاره وقيل هو الخلف فيه بالايان الفاجرة وقيل المراد المعاصى فيه على العموم

عادل ناصبة تصل نارا حامية وقال تعالى وقد نمنا الى ما علموا من عمل فجعلناه هباء منثورا وقال تعالى والذين كفروا واربهم أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظلمان ماء حتى اذا جاءهم لم يجده شيئا وقال في هذه الآية الكريمة قل هل ينبتكم أى نخبركم بالآخسر من أعمالكم ففسرهم فقال الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا أى عملوا الاعمال الباطلة على غير شريعة مشروعة مرضية مقبولة وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا أى يعتقدون انهم على شئ وانهم مقبولون محبوبون وقوله أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه أى جحدوا آيات الله في الدنيا وبراهينه التى أقام على وحدانيته وصدق رسوله وكذبوا بالدار الآخرة فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا أى لا ننقل موازينهم لانها خالصة عن الخير قال البخارى حدثنا محمد بن عبد الله حدثنا سعيد بن أبى مرير الخبير نا المغيرة حدثنى أبو الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لياقنى الرجل العظيم السمين يوم

القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقال اقروا ان شئتم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا وعن يحيى بن بكير عن مغيرة بن عبد الرحمن عن أبي الزناد مثله ثم كذا ذكره عن يحيى بن بكير علقا وقد رواه مسلم عن أبي بكر محمد بن اسحق عن يحيى بن بكير به وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو الوليد حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالرجل الاكول الشراب العظيم فيوزن بحبة فلا يزنه قال وقرأ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا وكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن أبي الصلت عن أبي الزناد عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة مرفوعا فذكره بلفظ البخارى سواء وقال أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار حدثنا العباس بن محمد حدثنا عون بن عامر حدثنا هاشم بن حسان عن واصل عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال كذا عند رسول الله (١٧٧) صلى الله عليه وسلم فاقبل رجل من قرش

يخطر في حمله فلما قام على النبي صلى الله عليه وسلم قال يا بريدة هذا ممن لا يقيم الله له يوم القيامة وزنا ثم قال تفرد به واصل مولى أبي عتبة وعون بن عمار وليس بالخافض ولم يتابع عليه وقد قال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن الاعمش عن سمرة عن أبي يحيى عن كعب قال يؤتى يوم القيامة برجل عظيم طويل فلا يزن عند الله جناح بعوضة اقرؤا فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا وقوله ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا أى انما جازيناهم بهذا الجزاء بسبب كفرهم واتخاذهم آيات الله ورسوله هزا واستهزا بهم وكذبهم أشد التكذيب (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدون فيها لا يبغون عنها حولا) بخبر تعالى عن عباده السعداء وهم الذين آمنوا بالله ورسوله وصدقوا المرسلين فيها

حتى شتم الخادم وقبل هو دخول الحرم بغير احرام أو ارتكاب شئ من مخطورات الحرم وقيل احتسار الطعام لما روى يعلى بن أمية ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ان احتسار الطعام في الحرم الحاد فيه أخرجه أبو داود وعن ابن عمر يبيع الطعام بمكة الحاد وعنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول احتسار الطعام بمكة الحاد أخرجه البيهقي في الشعب والبيهقي في الحاد قيل ليست بزائدة ان كان منعول يرد محذوفا كما ذكرنا وقيل زائدة وبه قال الاخفش والمعنى عنده ومن يرد فيه الحاد انظم وقال أهل الكوفة المعنى بان يلحد وقيل من يرد الناس بالحاد وقيل ان يرد مضاعفا معنى بهم والمعنى من بهم فيه بالحاد والباء في بظلم للبيمية وقيل غير ذلك (نذكره من عذاب أليم) فى الآخرة الا أن يتوب قاله السدي قيل المراد بهذه الآية ان يعاقب بمجرد الارادة للمعصية فى ذلك المكان وقد ذهب الى هذا ابن مسعود وابن عمر والضحاك وابن زيد وغيرهم حتى قالوا لوهم الرجل فى الحرم يقتل رجل بل بعد لعن عبد الله وعن ابن مسعود رفعه قال لو ان رجلا هم فيه بالحاد بظلم وهو بعدن أبين لاذقه الله عذابا ليعاقل ابن كثير هذا الاسناد صحيح على شرط البخارى وروفته أشبه من رفعه وعنه قال من هم بخطيئة فلم يعملها فى سوى البيت لم يكتب عليه حتى يعملها ومن هم بخطيئة فى البيت لم يمتعه الله من الدنيا حتى يذيقه من عذاب أليم وعن ابن عباس قال نزلت هذه الآية فى عبد الله بن أنيس ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعنه مع رجلين احدهما مهاجر والاخر من الانصار فاقتحروا فى الانساب فغضب ابن أنيس فقتل الانصارى ثم ارتد عن الاسلام وهرب الى مكة فقتل فيه ومن يرد فيه بالحاد بظلم يعنى من لجأ الى الحرم بالحاد يعنى بعمل عن الاسلام والحاصل ان هذه الآية دلت على ان من كان فى البيت الحرام مأخوذ بمجرد الارادة للظلم فهى مخصوصة لما ورد من ان الله غفر له هذه الامة ما حدثت به أنفسها الا أن يتوب ان الارادة فيها زيادة على مجرد حديث النفس وبالجملة فالبعث عن هذا وتقرير الحق فيه على وجه يجمع بين الأدلة ويرفع الاشكال

(٢٣ - فتح البيان سادس) جاوبه ان لهم جنات الفردوس قال مجاهد الفردوس هو البستان بالرومية وقال كعب والسدي والضحاك هو البستان الذى فيه شجر الاعناب وقال أبو أمامة الفردوس الجنة وقال قتادة الفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها وقد روى هذا مرفوعا من حديث سعيد بن جبيرة عن قتادة عن الحسن عن سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم الفردوس ربوة الجنة أوسطها وأحسنها وهكذا رواه اسمعيل بن مسلم عن الحسن عن سمرة مرفوعا وروى عن قتادة عن أنس بن مالك مرفوعا بخبر روى ذلك كله ابن جرير رحمه الله وفى الصحيحين اذا سألتهم الله الجنة فاسألوه الفردوس فانه أعلى الجنة وأوسط الجنة ومنه تنبع انهار الجنة وقوله تعالى نزلا أى ضيافة فان التزل الضيافة وقوله خالدون فيها أى مقيمين ساكنين فيها لا يظعنون عنها أبدا لا يبغون عنها حولا أى لا يختارون عنها غير ها ولا يحبون سواها كما قال الشاعر

قلت سو يدى القلب لا ناباغيا * سواها ولا عن حبها أتحوّل
 وفي قوله لا يبعون عنها حولاً تنبيه على رغبتهم فيها وحبهم
 لها مع أنه قد يتوهم فين هو مقيم في المكان دائماً أنه قد يسأله أو يعلّمه فأخبر أنهم مع هذا الدوام والخلود الهرمدي لا يختارون عن
 مقامهم ذلك متحوّلاً ولا انتقالاً ولا طعناً ولا رحلة ولا بدلاً (قل لو كان البحر مداد الكلمات ربى لنفدت البحر قبل أن تنفذ كلمات ربى
 ولو جئنا بحمدك لذهب البحر مداد الكلمات الذي يكتب به كلمات الله وحكمه وآياته الدالات عليه لنفدت
 البحر قبل أن يفرغ كتابه ذلك ولو جئنا بحمدك لذهب البحر مداد الكلمات الذي يكتب به كلمات الله كما قال
 تعالى ولوان ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر عيده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم وقال الربيع بن
 أنس ان مثل علم العباد كلهم في علم الله كقطرة (١٧٨)
 من ماء البحر وكلها وقد انزل الله ذلك قل لو كان

البحر مداد الكلمات ربى لنفدت البحر
 قبل أن تنفذ كلمات ربى يقول
 لو كانت تلك البحور مداد الكلمات
 الله والشجر كلها أقلاماً لانكسرت
 الأقلام وفي ماء البحر وكلمات الله
 قائمة لا يفتنيها شيء لان أحداً
 لا يستطيع ان يقدر قدره ولا يثني
 عليه كما ينبغي حتى يكون هو الذي
 يثني على نفسه ان ربنا كما يقول
 وفوق ما نقول ان مثل نعيم الدنيا
 أولها وآخرها في نعيم الآخرة كحبة
 من خردل في خلال الأرض كلها
 (قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى
 انما الهكم اله واحد فن كان يرجو
 لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا
 يشرك بعبادة ربه أحداً) روى
 الطبراني من طريق هشام بن عمار
 عن اسمعيل بن عياش عن عمرو بن
 قيس الكوفي انه سمع معاوية بن
 أبي سفيان انه قال هذه آخرة
 أنزلت يقول تعالى لرسوله محمد
 صلوات الله وسلامه عليه قل لهؤلاء
 المشركين المكذبين برسالتك اليهم

يطول جداً ومثل هذه الآية حديث اذا التقى المسلمان بسيفيهما فاقاقتال والمقتول
 في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصاً على قتل صاحبه
 فدخل النار هنا مجرد حرصه على قتل صاحبه وقد أقر الشوكاني هذا البحث برسالة
 مستقلة (و) اذكر (اذبوا بالابراهيم) يقال بواؤه منزلاً وبواؤه كما يقال مكنتك ومكنت
 لك قال الزجاج معناه جعلنا (مكان البيت) مبوءاً لابراهيم وقيل معني بواؤه ما بيننا
 وقيل وطأنا وقد رفع البيت الى السماء أيام الطوفان فاعلم الله ابراهيم مكانه برح أرسلها
 فكنت مكان البيت فبناه على أسسه القديم وجعل طوله في السماء سبعة أذرع بذراعهم
 وذرعته في الأرض ثلاثين ذراعاً بذراعهم وأدخل الحجر في البيت ولم يجعل له سقفاً وجعل
 له باباً وحفر له بئراً يليق فيها ما بهدى للبيت وبناه قبله شيث وقبل شيث آدم وقبل آدم
 الملائكة وقد تقدم الكلام عليه في سورة البقرة (ان لا تشرك بشيء) أى أوحيانا اليه ان
 لا تعبّد غيري قال المبرد كانه قيل له وحدي في هذا البيت لان معنى لا تشرك بي وحدي
 وقالت فرقة الخطاب بقوله ان لا تشرك محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهذا ضعيف جداً
 (وطهر بيتي) من الشرك والاقذار وعبادة الاوثان وفي الآية طعن على ان من أشرك من
 قطان البيت أى هذا كان الشرط على أيكم فن بعده وأنتم فلم تنفوا بل أشركتم والمعنى
 تطهروا من الكفر والاثوان والدما والبذع وساير النجاسات وقيل على به التطهير عن
 الاوثان فقط وذلك ان جرهما والعمالقة كانت لهم أصنام في محل البيت وحوله قبل ان
 يبنيه ابراهيم وقيل المعنى نزهة ان يعبد فيه صنم وهذا أمر باظهار التوحيد فيه وقد مر
 في سورة براءة ما فيه كفاية في هذا المعنى (للطائفتين) الذين يطوفون بالبيت (والقائمين) هم
 المصلون (و) ذكر قوله (الركع السجود) بعده لبيان أركان الصلاة دلالة على عظم شأن
 هذه العبادة وقرن الطواف بالصلاة لانها لا يشترع ان الا في البيت كالطواف عنده
 والصلاة اليه (وأذن) أى ناد (في الخامس بالخروج) أى بدعوته والامر به وقرئ أذن بالمد

انما أنا بشر مثلكم فن زعم انى كاذب فليأت بمن مثل ما جئت به فالى لأعلم الغيب فيما أخبرتكم به من
 الماضى عما سألتكم من قصة أصحاب الكهف وخبر ذى القرنين مما هو مطابق في تنس الامر لولا ما أطلعني الله عليه وانما أخبركم انما
 الهكم الذي أدعوكم الى عبادة اله واحد لا شريك له فن كان يرجو لقاء ربه أى ثوابه وجزائه الصالح فليعمل عملاً صالحاً كما كان موافقاً
 لشرع الله ولا يشرك بعبادة ربه أحداً وهو الذي يراد به وجه الله وحده لا شريك له وهذا ركنا العمل المتقبل لا بد أن يكون خالصاً
 صواباً على شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روى ابن أبي حاتم من حديث معمر عن عبد الكريم الجزري عن طاوس قال قال
 رجل يا رسول الله انى أقف المواقف أريد وجه الله وأحب ان يرى موطنى فلم يرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً حتى نزلت هذه
 الآية فن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً وهكذا أرسل هذا المجاهد وغير واحد وقال الاعمش

(179)

والاذان الاعلام وعن ابن عباس قال لما فرغ ابراهيم من بناء البيت قال قد فرغت قال
أذن في الناس بالحج قال يارب وما يبلغ صوتي قال أذن وعلى البلاغ قال رب كيف أقول
قال قل يا أيها الناس كتب عليكم الحج الى البيت العتيق فسمعه من في السماء والارض
ثلاثراتهم - م يحيون من أقصى الارض يلبون وفي الباب آثار عن جماعة من الصحابة وبه
قال جماعة من المنسرين وزادوا فعلا على المقام فاشرف به حتى صار كاعلى الجبال وقيل
علا على جبل أبي قبيس فلما صعد له انداخت خضت الجبال رؤسها ورفعت له القرى فادخل
اصبعه في اذنيه وأقبل بوجهه عينا وسما لا وشرقا وغربا ونادى في الناس بالحج وقال
يا أيها الناس ان ربكم بنى بيتا وكتب عليكم الحج اليه فاجيبوا ربكم فاجابه كل من كتب له
أن يحج من كان في أصلا ب الرجال وأرحام الامهات لبسك اللهم لبسك قال القسطلاني فن
لى مرة حج مرة ومن لى مرتين حج مرتين ومن لى أكثر حج بقدر تلبيته انتهى قيل أول من
أجابه أهل اليمن فهم أكثر الناس حجا وقيل ان الخطاب لنبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم
والمعنى أعلمهم يا محمد بوجوب الحج عليهم وعلى هذا فالخطاب لابراهيم انتهى عند قوله
والركع السجود وقيل ان خطابه انتهى عند قوله مكان البيت وما بعده خطاب لنبينا محمد
صلى الله عليه وآله وسلم أمره ان يقول ذلك في حجة الوداع عن أبي هريرة قال خطبنا رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا أخرجه
مسلم قال في المدارك والاول أظهر وقرأ الجمهور بالحج، يفتح الحاء وابن اسحق في كل القرآن
بكسرها (يا أولي الألباب) هذا جواب الامر وعده الله اجابة الناس له الى حج البيت ما بين
راجل وراكب فعنى رجالا مشاة جمع راجل وقيل جمع رجل وقرئ بضم الراء رجالا وقرئ
على وزن كسالى وقدم الرجال على الركبان في الذكر لزيادة تعبه - في المشى قال الكرخي اذ
للراكب بكل خطوة سبعون حسنة وللراجل سبع مائة من حسنات الحرم كل حسنة مائة
ألف حسنة وابراهيم واسماعيل عليهما السلام حجا ماشين انتهى أقول المعتمد في الباب

الخفية والشرك فقال عبادة بن الصامت وأبو الدرداء اللهم غفرنا لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حدثنا أن الشيطان قد بئس أن يعد في جزيرة العرب وأما الشهوة الخفية قد عرفناها هي شهوات الدنيا من نساءها وشهواتها فهذا الشرك الذي تخوفنا به بأشدا فقال شدا أرايتكم لو رأيتكم رجلا يصلي أو يصوم أو يقرأ أو يتصدق أو يترن أنه قد أشرك قالوا نعم والله أن من صلى لرجل أو صام أو تصدق له لقد أشرك فقد أشرك فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من صلى يرائي فقد أشرك ومن تصدق له لقد أشرك فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من صلى يرائي فقد أشرك ومن تصدق يرائي فقد أشرك قال عوف بن مالك عند ذلك أفلا يعبد الله إلى ما ينبغي به وجهه من ذلك العمل كله فيقبل ما خلص له ويدع ما أشرك به فقال شدا عند ذلك فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله يقول أنا خير قسم لمن أشرك بي من أشرك بي شيئا فإن عمله قليله وكثيره لسر يكه الذي أشرك به أنا عنه غنى (طريق أخرى لبعضه) قال الامام أحمد حدثنا

زيد بن الحباب حدثني عبد الواحد بن زياد أخبرنا - بادة بن نسي عن شداد بن أوس رضي الله عنه أنه بكى فقبل له ما ييكلك قال شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فابكاني سمعت رسول الله يقول اتخوف على امتي الشرك والشهوة الخفية قلت يا رسول الله أتشرك أمتك من بعدك قال نعم أما انهم لا يعبدون شمساً ولا قرولاً لا يجرا ولا وثناً ولكن يراؤن بأعاليهم والشهوة الخفية أن يصح أحدهم صائماً تعرض له شهوة من شهواته فيترك صومه ورواده من حاجته من حديث الحسن بن ذكوان عن عباد بن نسي به وعبادة فيه ضعف وفي سماعه من شداد نظر (حديث آخر) قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا الحسن بن علي بن جعفر الآخر حدثنا علي بن ثابت حدثنا قيس بن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله يوم القيامة أنا خير شريك في أشرك في أحد أفهولة كله (١٨٠)

يحدث عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم يرويه عن ربه عز وجل أنه قال أنا خير الشركاء فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري فانا بريء منه وهو للذي أشرك تفرد به من هذا الوجه (حديث آخر) قال الامام أحمد حدثنا يونس حدثنا الليث عن يزيد يعني ابن الهادي عن عمرو بن محمود بن ليث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا وما الشرك الأصغر يا رسول الله قال الرياء يقول الله يوم القيامة اذا جرى الناس بأعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء (حديث آخر) قال الامام أحمد حدثنا محمد بن بكر أخبرنا عبد الجيد يعني ابن جعفر أخبرني أبي عن زياد بن سينا عن أبي سعيد بن أبي فضالة الانصاري وكان من الصحابة أنه قال سمعت رسول

ان الركوب أفضل من المشي لان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حج راكباً كما في الروايات الصحيحة المشهورة وفضيلة الاتباع تربو على غيره وان كان المشي فضيلة في نفسه سواء قدر على المشي أم لا قبل الاحرام وبعده والحديث الذي ذكره البكر بن تيمس الغزالي والرافعي ضعيف على ما فيه قاله ابن علان في مشير شوق الانام الى بيت الله الحرام ومن ضعفه ابن حجر المكي في شرح العباب وشرح المنهاج والجواب عن التقديم انه قد لا يفيده التفضيل قطعاً وعلى الاصح وقد تقدم الفضول ويتأخر الافضل قال تعالى فنكم كافر ومنكم مؤمن وقال لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة وقال ان مع العسر يسراً الى غير ذلك من الآيات فليعلم وقال يأتوك وان كانوا يأتون البيت لان من أتى الكعبة حاجاً فقد أتى ابراهيم لاندأجاب نداه (وعلى كل ضامر) أي وركباً على كل بعير والضاير البعير المهزول الذي أتعبه السفر يقال ضمر ضمره وراوضه الفرس من باب دخل وضمير أيضاً بالضم فهو ضامر فيه ما وناقض ضامر وضامرة وتضمير الشرس أيضاً ان تعلمه حتى يسمن ثم ترده الى القوت وذلك في أربعين يوماً ووصف الضامر بقوله (يأتين) باعتبار المعنى لان ضامر في معنى ضامر (من كل فج عميق) النج الطريق الواسع الجمع فجاج والعـميق البعيد قال النسفي قدم الرجال على الركبان اظهار التفضيل المشاة انتهى وليس بشيء لان الاستطاعة المفسرة بالزاد والراحلة في الحديث الصحيح شرط في فريضة الحج واستدل بذلك بعضهم على انه لا يجب الحج على راكب البحر وهو واسـم تدللال ضعيف لان مكة ليست على بحر وانما يتوصل اليها على إحدى هاتين الحالتين بمشي أو ركوب فذكر تعالى ما يتوصل به اليها (ليشهدوا) أي ليحضروا (منافع لهم) يعني تم منافع الدنيا والآخرة وقبل المراد بها المناسك وقبل المغفرة وقيل التجارة كما في قوله ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلاً من ربكم قال ابن عباس اسوا كما كانت لهم ما ذكر الله منافع الدنيا وعنه قال منافع في الدنيا ومنافع في الآخرة فاما منافع الآخرة فرضوان الله وأما منافع الدنيا فما يصيبون من لحوم

الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا جاع الله الاولين والآخرين ليوم لا ريب فيه نادى مناد من كان أشرك في عمل عمله لله أحد فليطلب ثوابه من عند غير الله فان البدن الله اغنى الشركاء عن الشرك وأخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث محمد وهو البرساني به (حديث آخر) قال الامام أحمد حدثنا احمد بن عبد الملك حدثنا بكر حدثنا أبي يعني عبد العزيز بن أبي بكرة عن أبي بكرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمع مع الله به ومن راى ايا الله به وقال الامام أحمد حدثنا معاوية حدثنا شيبان عن فراس عن عطية عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من راى رافى الله به ومن يسمع الله به (حديث آخر) قال الامام أحمد حدثنا يحيى ابن سعيد عن شعبة حدثني عمرو بن مرة قال سمعت رجلاً في بيت أبي عبيدة أنه سمع عبد الله بن عمرو يحدث ابن عمر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سمع الناس بعمله سمع الله به ساء خلقه وصغره وحقره فذرفت عيناه عبد الله وقال الحافظ أبو بكر

البرار حدثنا عمرو بن يحيى الأيلي حدثنا الحرث بن غسان حدثنا أبو عمران الجوني عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرض أعمال بني آدم بين يدي الله عز وجل يوم القيامة في صحف مخرجة فيقول الله ألقوا هذا واقبلوا هذا فتقول الملائكة يا رب والله ما رأينا من قبله الا خيرا فيقول ان عمله كان لغير وجهي ولا قبل اليوم من العمل الا ما أريد به وجهي ثم قال الحرث بن غسان روى عنه جماعة وهو بصري ليس به بأس وقال ابن وهب حدثني يزيد بن عياض عن عبد الرحمن الاعرج عن عبد الله بن قيس الخزازي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قام رياء وسجدة لم ير في مقبلة الله حتى يجلس وقال أبو يعلى حدثنا محمد بن أبي بكر حدثنا محمد بن دينار عن ابراهيم النخعي عن أبي الاحوص عوف بن مالك عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الصلاة حيث يراه الناس واساءها حيث يخلو فذلك استهانة استهان بها ربه عز وجل وقال ابن جرير حدثنا أبو عمرو

(١٨١)

عليه وسلم من أحسن الصلاة حيث يراه الناس واساءها حيث

اسمعيل بن عمرو السكوني حدثنا هشام بن عمار حدثنا ابن عياش حدثنا عمرو بن قيس الكندي انه سمع معاوية بن أبي سفيان تلا هذه الآية فن كان رجولاء ربه الآية وقال انها آخرة نزلت من القرآن وهذا أثر مشكل فان هذه الآية آخر سورة الكهف وكلها مكية ولعل معاوية أراد انه لم ينزل بعدها آية تنسخها ولا تغير حكمها بل هي مثبتة محكمة فاشتبه ذلك على بعض الرواة فروى بالمعنى على ما فهمه والله أعلم وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن سفيان حدثنا النضر بن شميل حدثنا أبو قرة عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ في ليلة من كان يرجو لقاء ربه الآية كان له من النور من عدن أبين الى مكة حشود ذلك النور

البدن في ذلك اليوم والذبايح والتجارات ونكر منافع لانه أراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودينية لا توجد في غيرها من العبادات وللنسي في هذا المقام كلام حسن من باب الاعتبار ترك ذلك وهو لا يختصا من شاء ادراكه فليرجع الى المصادر (ويذكره واسم الله) عند ذبح الهدايا والضحايا وقيل ان هذا الذكركاية عن الذبح لانه لا يتفك عنه تنبيه على ان المقصود مما يتقرب به الى الله تعالى أن يذكركر اسمه (في أيام معلومات) هي أيام النحر كما يفهم ذلك قوله الاتي على مارزقهم من بهيمة الانعام وبه قال ابن جرير والصاحبان وقيل عشرة ذبائح وهو قول أكثر المفسرين والشافعي وأبي حنيفة قال ابن عباس الأيام المعلومات أيام العشر وعنه قال يوم النحر وثلاثة أيام بعده وعنه قال أيام التشريق وعنه قال قبل يوم التروية يوم ويوم عرفة وقد تقدم الكلام في الأيام المعلومات والمعدودات في البقرة فلان بعدد الكلام في وقت ذبح الانحسية معروفة في كتب الفقه وشروح الحديث (على) ذبح (مارزقهم من بهيمة الانعام) هي الانعام فلاضافة في هذا كلاضافة في قولهم مسجد الجامع ولام لا ولي والبهيمة مبهمة في كل ذات أربع في البر والبحر فبينت بالانعام وهي الابل والبقر والضأن والمعز التي تنحر في يوم العيد وما بعده من الهدايا والضحايا (فكروا منها) أي من لحومها والامر هنا للندب عند الجمهور وذهبت طائفة الى أن الامر للوجوب وهذا القات من الغيبة الى الخطاب (وأطعموا البائس الفقير) البائس ذوالبؤس وهو شدة الفقر فذكر التقدير بعده لزيد الايضاح وقال ابن عباس البائس الزمن الذي لا شيء له والامر هنا للوجوب وقيل للندب (ثم) أي بعد دخولهم خروجهم من الاحرام وبعد الايمان بما عليهم من التكليف (ليقضوا منهم) المراد بالقضاء هنا هو التأدية أي لا يدوا ازالة وسخهم لان التفت هو الوسخ والدرن والشعث والقذارة من طول الشعر والظفار وقد أجمع المفسرون كما حكاه النيسابوري على هذا قال لزجاج ان أهل اللغة لا يعرفون التفت وقال أبو عبيدة لم يأت في الشعر

الملائكة غريب جدا آخر تفسير سورة الكهف

* (تفسير سورة مريم وهي مكية) *

وقد روى محمد بن اسمعيل في السيرة من حديث أم سلمة واحد بن حنبل عن ابن مسعود في قصة الهجرة الى أرض الحبشة من مكة أن جعفر ابن أبي طالب رضى الله عنه قرأ صدر هذه السورة على النجاشي وأصحابه (بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص ذكركم ربك عبده زكريا نادى ربه ندا خفيا قال رب انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا ولم كن بدعا ثلك بنى شقيا وانى خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتى عاقرا فهبلى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا) أما الكلام على الحروف المقطعة فقد تقدم في أول سورة البقرة وقوله ذكركم ربك أي هذا ذكر رجة الله بعبده زكريا وقرأ يحيى بن يعمر ذكركم ربك عبده زكريا وذكر يامدو يقصر قرآن مشهورتان وكان نبيا عظيما من أنبياء بنى اسرائيل وفي صحيح البخارى انه كان نجاريا با كل من عمل يده

في الفجأة وقوله اذ نادى ربه ندا خفيا قال بعض المفسرين انما اخفى دعاءه لئلا ينسب في طلب الولد الى الرعونة لكبره حكاة
 الماوردي وقال آخرون انما اخفاه لانه احب الى الله كما قال قتادة في هذه الآية اذ نادى ربه ندا خفيا ان الله يعلم القلب المتقي
 ويسمع الصوت الخفي وقال بعض السلف قام من الليل عليه السلام وقد نام أحسبته فجعل يهتف به ويقول خفية يا رب يا رب يا رب
 فقال الله له ليك ليك ليك قال رب اني وهن العظم مني أي ضعفت وخارت القوى واشتعل الرأس شيئا أي اضطرم المشيب
 في السواد كما قال ابن دريد في مقصورته **أما ترى رأسي حاكى لونه * طرة صبح تحت أذيال الدجا**
 واشتعل المبيض في مسوده * مثل اشتعال النار في جمر الغضا والمراد من هذا الاخبار عن الضعف والكبر ودلائله الظاهرة
 والباطنة وقوله ولم أكن بدعائك رب شقيا أي (١٨٢) ولم أعود منك الا الاجابة في الدعاء ولم تردني قط فيما سألتُ وقوله

واني خفت الموالي من ورائي قرا
 الاكثرون بنصب الياء من الموالي
 على انه مفعول وعن السكسائي انه
 سكن الياء كما قال الشاعر
 كأن أيديهم في القاع القرق
 أيدي جوار يتعاطين الورق
 وقال الآخر
 فتى لو نادى الشمس ألفت قناعها
 أو القمر الساري لائق المقلدا
 ومنه قول أبي تمام حبيب بن أوس
 الطائي
 تغاير الشعر منه اذ سهرت له
 حتى ظننت قوافيه ستمتتل
 وقال مجاهد وقتادة والسدي أراد
 بالموالي العصبية وقال أبو صالح
 الكلالة وروى عن أمير المؤمنين
 عثمان بن عفان رضى الله عنه انه كان
 يقرؤها واني خفت الموالي من ورائي
 بتشديد الفاء بمعنى قلت عصباتي من
 بعدى وعلى القراءة الأولى وجه خوفه
 انه خشي أن يتصرفوا من بعده في
 الناس تصرفا سيئا فسأل الله ولدا

ما يخرج به في معنى التفت وقال المبرد أصل التفت في اللغة كل قاذورة تلحق الانسان وقيل
 قضاؤه اذ هان لان الحاج مغبر شعث لم يد من ولم يستجد فاذا قضى نسكه وخرج من احرامه
 حلق شعره ولبس ثيابه فهذا هو قضاء التفت قال الزجاج كأنه خرج من الاحرام الى
 الاحلال وعن ابن عمر قال التفت المناسك كلها وعن ابن عباس نحوه وعنه قال التفت
 حلق الرأس والاخذ من العارضين وتفت الابط وحلق العانة والوقوف بعرفة والسعي بين
 الصفا والمروة ورمي الجمار وقص الاظفار وقص الشوارب والذبح (وليوفوا) بالتخفيف
 والتشديد (تذورهم) أي ما يذكرون به من البر في حجبهم والامر للوجوب وقيل المراد
 بالانذار هنا أعمال الحج أو الهدايا والضحايا (وليطوفوا بالبيت العتيق) هذا الطواف هو
 طواف الافاضة الواجب ووقته يوم النحر بعد الرمي والحلق قال ابن جرير لا خلاف في
 ذلك بين المتأولين والعتيق القديم كما يفيد منه قوله سبحانه ان أول بيت وضع للناس الآية
 وقد سمي العتيق لان الله أعنته من أن يتسلط عليه جبار فكهم من جبار سار اليه ليهدمه
 ففعله الله منه وقيل لان الله يعتق فيمهر قاب المذنبين من العذاب وقيل لانه أعنت من غرق
 الطوفان فانه رفع في أيامه وقيل لانه لم يهلك قط وقيل العتيق الكرم وقد ورد في وجه
 تسمية البيت بالعتيق آثار عن جماعة من الصحابة وهو مطاف أهل الغبراء كما ان العرش
 مطاف أهل السماء فان الطالب اذا حاجته معية الطرب وجذبته جوارب الطلب
 جعل يقطع منسكب الارض مر احل ويتخذ مسالك المهالك منازل فاذا عاين البيت
 لم يزد التسلي به الا اشتياقا ولم ينفده باستلام الحجر الا احترقا فغيره الاسف لهذيان
 ويردده اللهب حوله في الدوران وورد في فضل الطواف أحاديث ليس هذا موضع
 ذكرها (ذلك) أي الامر بذلك وهذا أو مثاله يطلق ويذكر للفصل بين الكلامين أو بين
 طرفي كلام واحد كما يقدم الكاتب جملة من كلامه في بعض المعاني ثم اذا أراد الخوض في
 معنى آخر قال هذا وقد كان كذا قاله أبو حيان في الجرا والمعنى افعولوا ذلك والمشار اليه هو

يكون نبيا من بعده ليسوسهم بنبوته ما لوحي اليه فاجيب في ذلك لانه خشي من وراثتهم له ماله فان النبي أعظم
 منزلة وأجل قدرا من أن يشفق على ماله الى ما هذا أحد أن يأنف من وراثته عصباته له ويسأل أن يكون له ولد يجوز يرثه دونهم هذا
 وجه الثاني انه لم يذكر انه كان ذاملا بل كان نجارا يا كل من كسب يديه ومثل هذا لا يجمع مالا ولا سيما الانبياء فانهم كانوا زهد شي في
 الدنيا الثالث انه قد ثبت في الصحيحين من غير وجه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة وفي رواية عند الترمذي
 باسناد صحيح نحن معشر الانبياء لا نورث وعلى هذا فتعين حل قوله فهب لي من ذلك ولا يرثني على ميراث النسوة ولهذا قال ويرث من
 آل يعقوب كقوله وورث سليمان داود أي في النبوة اذ لو كان في المال لما خصه من بين اخوته بذلك ولما كان في الاخبار بذلك كبير
 فائدة اذن من المعلوم المستقر في جميع الشرائع والمأل ان الولد يرث أباه فلو لا انها وراثته خاصة لما أخبر بها وكل هذا يقرره وينبته ما صبح

في الحديث نحن معاشر الانبياء لانور ماتر كافهو صدقة قال مجاهد في قوله يرثني ويرث من آل يعقوب كان وراثته علماء وكان زكريا من ذرية يعقوب وقال هشيم أخبرنا اسمعيل بن أبي خالد عن أبي صالح في قوله يرثني ويرث من آل يعقوب قال يكون نبيا كما كانت آبواؤه أنبياء وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن الحسن يرث نبوته وعلمه وقال السدي يرث نبوت ونبوته آل يعقوب وعن مالك عن زيد بن اسلم ويرث من آل يعقوب قال نبوتهم وقال جابر بن نوح ويزيد بن هرون كلاهما عن اسمعيل بن أبي خالد عن أبي صالح في قوله يرثني ويرث من آل يعقوب قال يرث مالي ويرث من آل يعقوب النبوة وهذا اختيار ابن جرير في تفسيره وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يرحم الله زكريا وما كان عليه من وراثته ماله ويرحم الله لوطان كان ليأوى الى ركن شديد وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا (١٨٣) جابر بن نوح عن مبارك هو ابن فضالة عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخي زكريا ما كان عليه من وراثته ماله حين قال هب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب وهذه مرسلات لا تعارض الصحاح والله أعلم وقوله واجعله رب رضيا أي مرضيا عندك وعند خلقك تحبه وتحببه الى خلقك في دينه وخلقه (يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا) هذا الكلام يتضمن محذوفا وهو انه أجيب الى ما سأل في دعائه فقل له يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى كما قال تعالى هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحورا ونيبامن الصالحين وقوله لم نجعل له من قبل سميا قال قتادة وابن جرير وابن زيد

ما سبق من أعمال الحج (ومن يعظم حرمات الله) جمع حرمة وهي ما لا يحل انتهاكها قال الزجاج الحرمة ما وجب القيام به وحرمة النفريط فيه وهي في هذه الآية ما نهى عنها ومنع من الوقوع فيها كالجدال والجماع والصيد والظاهر من الآية عموم كل حرمة في الحج وغيره كما يفيد اللفظ وان كان السبب خاصا وتعظيمها ترك ملابسها قال مجاهد الحرمة مكة والحج والعمرة وما نهى الله عنه من معاصيه كلها وقيل هي البيت الحرام والمشعر الحرام والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهرا الحرام وتعظيمها القيام بمرعاتها وحفظ حرمتها وقيل هي مناسك الحج وتعظيمها اقامتها وانماها (فهو) أي فالتعظيم (خير له) من التهاون بشئ منها (عند ربه) يعني في الآخرة وقيل ان صيغة التفضيل هنا لا يراد بها معناها الحقيقي بل المراد أن ذلك التعظيم خير ينتفع به أي قرينة وطاعة يثاب عليها عند الله فهو عدة بخير (وأحلت لكم الانعام) ان تأكلوها بعد الذبح وهي الابل والبقر والغنم كما تقدم (الا ما يتلى عليكم) تحريمه في الكتاب العزيز من المحرمات وهي الميتة وما ذكركم معها في آية المائدة فالاستثناء منقطع لما ذكر في آية المائدة بما ليس من جنس الانعام كالدم والحلم الخنزير ويجوز أن يكون متصلا بان يصرف الى ما يحرم من بهيمة الانعام بسبب عارض كاللوث ونحوه وقيل وجه الاستدفاع انه ليس في الانعام محرم قاله الشهاب والسهمين وقيل في قوله الا ما يتلى عليكم غير محل الصيد وأنتم حرم (فاجتنبوا الرجس من الاوثان) الرجس التذر والوسخ وعبادة الاوثان قذر معنوي والوثن التمثال وأصله من وثن الشئ أي أقام في مقامه وسمى الصليب وثنا لانه نصب ويركز في مقامه فلا يبرح عنه والمراد اجتناب عبادة الاوثان وسميها رجسا لانها سبب الرجس وهو العذاب وقيل جعلها سبغا رجسا حكما والرجس النجس وليست النجاسة وصفها ذاتيا لها ولكنها وصف شرعي فلا تزول الا بالايمان كما انه لا تزول النجاسة الحسية الا بالماء قال الزجاج من هنا التخليص جنس من أجناس أي فاجتنبوا الرجس الذي هو وثن وقال ابن عباس يقول اجتنبوا طاعة الشيطان في

أي لم يسم أحد قبله بهذا الاسم واختاره ابن جرير رحمه الله وقال مجاهد لم نجعل له من قبل سميا أي شبيها أخذ من معنى قوله وا عبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا أي شبيها وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أي لم تلد العواقر قبله مثله وهذا دليل على ان زكريا عليه السلام كان لا يولد له وكذلك امرأته كانت عاقرا من أول عمرها بخلاف ابراهيم وسارة عليهما السلام فانهما انما تعجبا من البشارة بانهما حق لكبرهما ما لا يعقروهما ولهذا قال أبشروني على انه مسنى الكبر فم تبشرون مع انه كان قد ولد له قبله اسمعيل بثلاث عشرة سنة وقالت امرأته يا ويلتي ألدوا ناعجوز وهذا بعلى شيخان هذا الشئ عجب قالوا أتبعين من أمر الله رجحة الله وبركانه عليكم أهل البيت انه حميد مجيد (قال رب أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا قال كذلك قال ربك هو على هين وقد خلقتك من قبل ولم تنك شيئا) هذا تعجب من زكريا عليه السلام حين أجيب الى ما سأل وبشر بالولد فقبح

فرحاشديدا وسأل عن كيفية ما يولد له والوجه الذي يأتيه منه الولد مع ان امرأته عاقرة لاتلد من أول عمرها مع كبرها ومع انه قد كبر وعتا أي عس عظمه وفحل ولم يبق فيه لقاح ولا جماع والعرب تقول للعود اذا يبس عتيا عتوا وعسي بعسو وعسا وعسيا وقال مجاهد عتيا يعني نحول العظم وقال ابن عباس وغيره عتيا يعني الكبر والظاهر أنه أخص من الكبر وقال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا هشيم أخبرنا حصين عن عكرمة عن ابن عباس قال لقد علمت السنة كلها غيراني لا أدري أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الظهر والعصر أم لا ولا أدري كيف كان يقرأ هذا الحرف وقد بلغت من الكبر عتيا أو عسيا ورواه الامام أحمد عن شريح ابن النعمان وأبو داود عن زباد بن أيوب كلاهما عن هشيم به قال أي الملك مجيبا لكريامع استعجب منه كذلك قال ربك هو على هين أي ايجاد الولد منك ومن زوجتك هذه لا من غيرهما هين (١٨٤) أي يسير سهل على الله ثم ذكر له ما هو أعجب مما سأل عنه

فقال وقد دخلت منك من قبل ولم تلد شيئا كما قال تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا (قال رب اجعل لي آية قال آيتك ان لاتكلم الناس ثلاث ليال سويا فخرج على قومه من الخراب فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا) يقول تعالى مخبرا عن زكريا عليه السلام انه قال رب اجعل لي آية أي علامة ودليلا على وجود ما وعدتني لتستقر نفسي ويطمئن قلبي باوعدتني كما قال ابراهيم عليه السلام رب ارنى كيف يحيى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال آية لك أي علامتك أن لاتكلم الناس ثلاث ليال سويا أي أن تحبس لسانك عن الكلام ثلاث ليال وأنت صحيح سوى من غير مرض ولا علة قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة ووهب والسدي وقتادة وغير واحد اعتقل لسانه من غير مرض ولا علة قال ابن زيد بن أسلم كان يقرأ ويسبح ولا يستطيع ان يكلم قومه الاشارة

عبادة الاوثان (واجتنبوا قول الزور) الذي هو الباطل وسمى زورا لانه ما نزل عن الحق ومنه قوله تعالى تراءون عن كهنتهم وقوله مديسة زورا أي مائلة والمراد هنا قول الزور على العموم فهو تعميم بعد تخصيص فان عبادة الاوثان رأس الزور والمشارك زاعم ان الوثن تحقق له العبادة فاعظمه الشرك بالله بأي لفظ كان وقال الزجاج المراد هنا تخليهم ببعض الانعام وتحريرهم بعضهم وقولهم هذا حلال وهذا حرام وقيل المراد به شهادة الزور وقال ابن عباس يعني الافتراء على الله والتكذيب به وقيل هو قول المشركين في تلبيةهم لمبيك لاشريك لك الاشرى بكاهولك فلكه ومالك أخرج أحمد والترمذي وابن المنذر وغيرهم عن أيمن بن حريم قال قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطيبا فقال يا أيها الناس عدت شهادة الزور وشركا لله ثلاثا ثم قرأ هذه الآية قال أحمد غريب ولا تعرف لايمن ابن حريم سمعا من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي بكره قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألا أنبئكم يا كبر الكائر ثلاثا قلنا بلى يا رسول الله قال الاشرى بالله وعقوق الوالدين وكان متكئا فجلس فقال وقول الزور الا وشهادة الزور فقال يكررهما حتى قلنا ليمتسكت (حنفاء لله) أي مستقيمين على الحق أو ماثلين الى الحق - يمين عاقلين عن كل دين سوى دينه ولنظ حنفاء من الاضداد يتبع على الاستقامة ويقع على الميل وقيل معناه حجابا قاله ابن عباس وعن أبي بكر الصديق نحوه ولا وجه لهذا (غير مشركين به) شيئا من الاشياء كما ينفيده الحذف من العموم تأ كيد لقوله له وهما حالان من الواو في اجتنبوا والاولى مؤسسة والثانية مؤكدة قيل ان أهل الجاهلية كانوا يجعون مشركين فلما أظهر الله الاسلام قال الله للمسلمين حجوا الآن غير مشركين به (ومن يشرك بالله) مبتدأة مؤكدة لما قبلها من الامر بالاجتناب والغرض بهذا ضرب المثل لمن يشرك بالله والمعنى ان بعد من أشرك به عن الحق والايان (فكأعماخر) أي كبعد من سقط (من السماء) الى الارض أي انحط من أوج الايمان الى

وقال العوفي عن ابن عباس ثلاث ليال سويا أي متتابعات والقول الاول عنه وعن الجمهور أصبح كما قال تعالى في آل عمران قال رب اجعل لي آية قال آيتك أن لاتكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا واذكركم كثير اوسج بالعشى والابكار وقال مالك عن زيد بن اسلم ثلاث ليال سويا من غير خرس وهذا دليل على أنه لم يكن يكلم الناس في هذه الليالي الثلاث وأيامها الارمى أي اشارة ولهذا قال في هذه الآية الكريمة فخرج على قومه من الخراب أي الذي بشر فيه بالولد فاوحى اليهم أي أشار خفية سريرة أن سبحوا بكرة وعشيا أي موافقة له أي فيما أمر في هذه الايام الثلاثة زيادة على اعماله شكر الله على ماؤلاه قال مجاهد فاوحى اليهم أي أشار به قال وهب وقتادة وقال مجاهد في رواية عنه فاوحى اليهم أي كتب لهم في الارض وكذا قال السدي (يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا وحنانا من لدنا وزكاه وكان تقيا وبر ابوابه ولم يكن جبارا عصيا وسلام عليه يوم ولد

ويوم يموت ويوم يبعث حيا) وهذا أيضا تضمن محذوفات تقديره أنه وجد هذا الغلام المبشر به وهو يحيى عليه السلام وإن الله عليه الكتاب وهو التوراة التي كانوا يدرسونها بينهم ويحكم بها النبيون الذين أسلموا الذين هادوا والربانيون والاحبار وقد كان سنه اذذاك صغيرا فلهمذنومه ذكره وبما أنعم به عليه وعلى رآديه فقال يا يحيى خذ الكتاب بقوة أى تعلم الكتاب بقوة أى يجيد وحرص واجتهاد وآتيناه الحكم صبيا أى الفهم والعلم والجد والعزم والاقبال على الخير والاكباب عليه والاجتهاد فيه وهو صغير حدث قال عبد الله بن المبارك قال معمر قال الصبيان ليحيى بن زكريا ذهب بنا لعب فقال ما لعب خلقنا قال فلهمذنا أنزل الله وآتيناه الحكم صبيا وقوله وحنانا من لدنا قال علي بن أنس طلحة عن ابن عباس وحنانا من لدنا يقول ورحة من عندنا وكذا قال عكرمة وقتادة والضحك وزاد لا يقدر عليها غيرنا وزاد قتادة رحم الله بها (١٨٥) زكريا وقال مجاهد وحنانا من لدنا وتعطفنا من

ربه عليه وقال عكرمة وحنانا من لدنا قال محبة عليه وقال ابن زيد أما الحنان فالمحبة وقال عطاء بن أبي رباح وحنانا من لدنا قال تعظيما من لدنا وقال ابن جرير أخبرني عمرو بن دينار أنه سمع عكرمة عن ابن عباس أنه قال لا والله ما أدري ما حنانا وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن منصور سألت سعيد بن جبيرة عن قوله وحنانا من لدنا فقال سألت عنها ابن عباس فلم يجد فيها شيئا والظاهر من السياق أن قوله وحنانا معطوف على قوله وآتيناه الحكم صبيا أى وآتيناه الحكم وحنانا وزكاة أى وجعلناه ذا حنان وزكاة فالحنان هو المحبة في شدة وميل كما تقول العرب حنت الناقة على ولدها وحنت المرأة على زوجها ومنه سميت المرأة حنة من الحنية وحن الرجل الى وطنه ومنه تعطف والرحمة كما قال الشاعر

حضيض الكفر (فخطفه الطير) يقال خطفه يخطفه إذا سلمه ومنه قوله يخطف أبصارهم أى تخطف لهم وتسلبه وتقطعها بخالها وتذهب به وقرئ بتشديد الطاء وفتحها وبكسر الخاء والطاء وبكسر التاء مع كسرهما (أو تموى بالريح) أى تفدغه وترمي به (في مكان صحيح) يقال صحيح يصحق صحقا فهو صحيح إذا بعدد أى بعينه دفلا يصل اليه أحد بحال قاله الزجاج وقيل شبهه حال المشرك بحال الهاوى من السماء لانه لا يملك لنفسه حيلة حتى يقع حيث تسقطه الريح فهو هالك لا محالة أما بسلاب الطير لجه أو بسقوطه في المكان الصحيح قال الزمخشري يجوز في هذا التشبيه أن يكون من المركب والمنرق فإن كان تشبيهاهم بكافكانه قال من أشرك بالله فقد أهلك نفسه أهلا كما ليس بعده هلاك بأن صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاخطفته الطير منترقا موزعا في حواصلها وعصفت به الريح حتى هوت به في بعض الأماكن البعيدة وإن كان منترقا فقد شبه الايمان في علوه بالسماء والذي ترك الايمان وأشرك بالله بالساقط من السماء والاهواء المردية بالطير المخطفة والشيطان الموقع في الخلال بالريح التي تموى بما عصفت به في بعض المهاوى المتلفة (ذلك ومن يعظم شعائر الله) جمع شعيرة أو شعارة بالكسر بوزن قلادة وهى كل شئ قيمه لله شعار ومنه شعار القوم في الحرب وهو علامتهم التي يتعارفون بها ومنه اشعار البدن وهو الطعن في جانبها الاثنان فشاء الله اعلام دينه وتدخل فيها الهديان في الحج دخولا أوليا وعن ابن عباس في الآية قال الشعائر البدن والاستسمان والاستحسان والاستعظام وينبغي للانسان ان يترك المشاحفة في غنهاروى ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أهدى مائة بدنة فيها لابي جهل في أنفه برة من ذهب وان عمر أهدى نجبية طلبت منه بثلاثمائة دينار (فأنها) الضمير يرجع الى الشعائر بتقدير مضاف محذوف أى فان تعظيم الشعائر (من تقوى القلوب) أى مبتدأ ونائب عن أفعال القلوب التي هي من التقوى وانما ذكر القلوب لانها مراكر

(٢٤ - فتح البيان سادس) تعطف على هذا الملية فان لكل مقام مقالا وفي المسند للإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يبقى رجل في النار ينادى ألف سنة يا حنان يا منان وقد ثنى ومنهم من يجعل ما ورد من ذلك لغة بذاتها كما قال طرفة أبا منذر أنفيت فاستبق بعضنا * حنائيك بعض الشر أهون من بعض وقوله وزكاة معطوف على وحنانا فالزكاة الطهارة من الدنس والآثام والذنوب وقال قتادة الزكاة العمل الصالح وقال الضحاك وابن جرير العمل الصالح الزكى وقال العوفي عن ابن عباس وزكاة وكان تقياطهر فلم يعمل بذنب وقوله وبرأى رآه ولم يكن جبارا عصيا لما ذكر تعالى طاعته لربه وأنه خلقه ذارحة وزكاة ونقى عطف بذكر طاعته لوالديه وبرههما ومجانبته عقوقهما قولاً وفعلاً أمرأونيا ولهذا قال ولم يكن جبارا عصيا ثم قال بعد هذه الاوصاف الجميلة جزاءه على ذلك وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا إلى الأمان .

في هذه الثلاثة الاحوال وقال سفيان بن عيينة أوحش ما يكون الخلق في ثلاثة مواطن يوم يولد فيرى نفسه خارجا مما كان فيه ويوم يموت فيرى قومه لم يكن عاينهم ويوم يبعث فيرى نفسه في محشر عظيم قال فأكرم الله فيها يحيى بن زكريا فخصه بالسلام عليه فقال وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا روادا بن جرير عن أحمد بن منصور المروزي عن صدقة بن الفضل عنه وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر بن قتادة في قوله جبار عصيا قال كل ابن المسيب يذكر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من من أحد ليقي الله يوم القيامة الا اذنب الا يحيى بن زكريا قال قتادة ما اذنب ولا هم بأمر مرسل وقال محمد بن اسحق عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب حدثني ابن العاص انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال كل بني آدم يأتي يوم القيامة وله ذنب الا ما كان من يحيى بن زكريا ابن اسحق (١٨٦) مدلس وقد ضعف هذا الحديث فالحق أعلم وقال الامام أحمد

حدثنا عفان حدثنا حماد أخبرنا علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من أحد من ولد آدم الا وقد أخطأ أو هم بخطيئة ليس يحيى بن زكريا وما ينبغي لاحد أن يقول أنا خير من يونس بن متى وهذا أيضا ضعيف لأن علي بن زيد ابن حماد عنه منكرات كثيرة والله أعلم وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة أن الحسن قال يحيى وعيسى عليهما السلام التقيا فقال له عيسى استغفر لي أنت خير مني فقال له الآخر أنت خير مني فقال له عيسى أنت خير مني سلمت على نفسي وسلم الله عليهما فعرّفوا الله فضاهما (واذ كرفى الكتاب مريم اذا انتبذت من أهلها مكانا شرقياً فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراسوا يا قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما أنا رسول ربك لا اله الا أنا فاستجب لى بغيري ولم يسمنى بشرا ولم يكلمنى بغيري قال كذلك قال ربك هو على هين ولتجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا) لما ذكر تعالى قصة زكريا عليه السلام وانه أوجده منه في حال كبره وعقم زوجته ولدان يكاطاها رما باركا عطف بذكر قصة مريم في ايجاده ولدها عيسى عليهما السلام منهن من غير أب فان بين القصتين مناسبة ومشاكلة ولهذا ذكرهما في آل عمران وهما في سورة الانبياء يقرن بين القصتين لتقارب ما بينهما ما في المعنى ليدل عباده على قدرته وعظمته سلطانه وانه على ما يشاء قادر فقال واذا كرفى الكتاب مريم وهي مريم بنت عمران من سلالة داود عليه السلام وكانت من بيت طاهر طيب في بني اسرائيل وقد ذكر الله تعالى قصة ولادة أمها لها في سورة آل عمران وانهم اندرتا محجرة أى تخدمن معجديت المقدس وكانوا يتقربون بذلك فتقبلها ربها بقبول حسن وأنتهنا نبأنا حسنا ونشأت في بني اسرائيل نشأة عظيمة

التقوى (لكم فيها) أى في الشعائر على العموم أو على الخصوص وهي البدن كما يدل عليه السياق واجبة أو مندوبة (منافع) ومنها الركوب والدرو والنسل والصوف والوبر وغير ذلك مما لا يضربها (الى أجل سمير) وهو وقت نحرها وقيل الى ان تسمى بدنا قاله ابن عباس وعن مجاهد نحوه وقال في ظهورها وأنبانها وأوبارها وأشعارها وأصوافها منافع الى ان تسمى هديا فاذا سميت هديا ذهبت المنافع (ثم محلها) أى حيث يحل نحرها حين تسمى (الى البيت العتيق) المعنى انها تنتهي الى البيت وما يابيه من الحرم فتنافقهم اذ ينويه المستفاد منها مستقرة الى وقت نحرها ثم تكون منافعها به وذلك دينية وقيل ان محلها ههنا مأخوذ من احلال الحرام والمعنى أن شعائر الحج كلها من الوقوف بعرفة ورمى الجمار والسعي ينتهي الى طواف الافاضة بالبيت فاليست على هذا امر اذ ينسبها قال عكرمة اذا دخلت الحرم فقد بلغت محلها (واكل أمة) هي الجماعة المقتضية على مذهب واحد (جعلنا منسكا) مصدر من نسك اذ ذبح القربان والذبيحة تسمى نسكة قال الازهرى ان المراد بالنسك في الآية موضع النحر ويقبل منسك بكسر السين وقتها الغتان قال الفراء المنسك في كلام العرب الموضع المنة وفي خبير وأشر وقال ابن عرفة منسكا أى مذهبهم طاعة الله وروى عن الفراء ان المنسك العبد وبه قال ابن عباس وقيل هو الحج وقال مجاهد في الآية اهراق الدماء وعن عكرمة قال ذبحا وعن زيد بن أسلم قال مكة لم يجعل الله لامة قط منسكا غيرهما والاول أولى لقوله (ليذكروا اسم الله) والمعنى جعلنا لكل أهل دين من الاديان أو الجماعة ملة سلفت قبلكم ذبحا يذبحونه ودمار يقونه أو متعبدا أو طاعة أو عيدا أو حجابا يحجبونه ليدكروا اسم الله وحده ويجعلوا نسكهم نصابه (على) ذبح (ما رزقهم من رحمة الانعام) سماها هبة لانها لا تتكلم وقيدها بالانعام لان القربان لا يكون الا من الانعام دون غيرها وان جازأ كله وفي القاموس البهية كل ذات أربع قوائم ولوى الماء أو كل حي لا يميز والجعر بفتح والهمم الا يحجم وامتهم استجهم فيقدر على الكلام في

الآية

رسول ربك لا اله الا أنا فاستجب لى بغيري ولم يسمنى بشرا ولم يكلمنى بغيري قال كذلك

قال ربك هو على هين ولتجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا) لما ذكر تعالى قصة زكريا عليه السلام وانه أوجده منه في حال كبره وعقم زوجته ولدان يكاطاها رما باركا عطف بذكر قصة مريم في ايجاده ولدها عيسى عليهما السلام منهن من غير أب فان بين القصتين مناسبة ومشاكلة ولهذا ذكرهما في آل عمران وهما في سورة الانبياء يقرن بين القصتين لتقارب ما بينهما ما في المعنى ليدل عباده على قدرته وعظمته سلطانه وانه على ما يشاء قادر فقال واذا كرفى الكتاب مريم وهي مريم بنت عمران من سلالة داود عليه السلام وكانت من بيت طاهر طيب في بني اسرائيل وقد ذكر الله تعالى قصة ولادة أمها لها في سورة آل عمران وانهم اندرتا محجرة أى تخدمن معجديت المقدس وكانوا يتقربون بذلك فتقبلها ربها بقبول حسن وأنتهنا نبأنا حسنا ونشأت في بني اسرائيل نشأة عظيمة

فكانت إحدى العبادات المشهورات بالعبادة العظيمة والتبذل والدؤب وكانت في كماله زوج خالتهاز كريانجي بني اسرائيل اذ ذل وعظيمهم الذي يرجعون اليه في دينهم ورأى لهاز كريان من الكرامات الهائلة ما بهر كمالا دخل عليهاز كريا الحراب وجد عندهاز زقا قال يا مريم أئني لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فدكرانه كان يجد عندها ثمر الشتاء في الصيف وثمر الصيف في الشتاء كما تقدم بيانه في سورة آل عمران فلما أراد الله تعالى وله الحكمة والحجة البالغة ان يوجد منها عبده ورسوله عيسى عليه السلام أحد الرسل أولى العزم الخسنة العظام انتبذت من أهلها مكانا شرقيا أي اعترلتهم وتحت عنهم وذهبت الى شرق المسجد المقدس قال السدي لحض أصابها وقيل لغير ذلك قال أبو كدينة عن قابوس بن ظبيان عن أبيه عن ابن عباس قال ان أهل الكتاب كتب عليهم الصلاة الى البيت (٢٨٧) والحق اليه وما صرفهم عنه الا قبل

ربك فانتبذت من أهلها مكانا شرقيا قال خرجت مريم مكانا شرقيا فصلوا قبل مطاع الشمس رواه ابن أبي حاتم وابن جرير وقال ابن جرير أيضا حدثنا اسحق ابن شاهين حدثنا خالد بن عبد الله عن داود عن عامر عن ابن عباس قال اني لاعلم خلق الله لاي شئ اتخذ النصرى المشرق قبله لقول الله تعالى فانتبذت من أهلها مكانا شرقيا واتخذوا ميلا دعسى قبله وقال قتادة مكانا شرقيا شامعا متحميا وقال محمد بن اسحق ذهبت الى بقلتها لتستقي الماء وقال نوف البكالي اتخذت لها منزلا تعبد فيه فانه أعلم وقوله فاتخذت من دونهم حجابا أي استترت منهم وتوارت فأرسل الله تعالى اليها جبريل عليه السلام فتمثل لها بشرا سويا أي على صورة انسان تام كامل قال مجاهد والضحاك وقاتدة وابن جرير ووهب

الآية دليل على ان المقصود من الذبح المذكور هو ذكرا سم الله عليه وقد وردت أحاديث في الاضحية ليس هذا موضع ذكرها ثم أخبرهم سبحانه بتفرد به الالهية وانه لا شريك له فقال (فألهكم الواحد) الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها ثم أمرهم بالاسلام والانتقياد لطاعته وعبادته فقال (فأله أسلموا) أي اتنادوا وأخلصوا وأطيعوا وتقدم الطرف على الفاعل للتعظيم والفاء كالفاء التي قبلها (وبشر الخبيتين) من عباده أي المتواضعين الخاشعين الخاضعين وقال مجاهد أي المطعنتين وقال عمرو بن أوس هم الذين لا يظلمون الناس وإذا ظلموا لم ينتصروا وهو مأخوذ من الخبت وهو المختنض من الارض والمعنى بشرهم يا محمد بما أعد الله لهم من جزيل ثوابه وجليل عطاائه ولا يخفى حسن التعبير بالخبيتين هنا من حيث ان نزول الخبت مناسب للعجاج لما فيهم من صفات المتواضعين كالعجبر عن اللباس وكشف الرأس والغربة عن الارطان ولذا وصف سبحانه هؤلاء الخبيتين بقوله (الذين اذا ذكر الله وجلت جلودهم) أي خافت وحذرت مخالفته وحصول الوجع منهم عند ذلك كله سبحانه دليل على كمال يقينهم وقوة ايمانهم (والصابرين على ما أصابهم) من البلياء والمصائب والحن في طاعة الله (والمتقيين الصلاة) وصفهم باقامة الصلاة أي الاتيان بها في أوقاتها على وجه الكمال لان السفر مظنة التصغير فيها ثم وصفهم سبحانه بقوله (ومما رزقناهم ينفقون) أي يصدقون به وينفقون في وجوه البر ويضعونه في مواضع الخير والمراد صدقة التطوع ويعلم منهم انهم كانوا يصدقون الصدقة الواجبة بالاولى (والبدن) قرئ بضم الباء وسكون الدال وبضمهما وهما العتان وهذا الاسم خاص عند الشافعي بالابل وسميته بدنة لانها تمدن والبدانة السمن وقال أبو حنيفة ومالك انه يطلق على الابل والبقر والاولى أولى الماسية أي من الاوصاف التي هي ظاهرة في الابل ولما تقدمه كتب اللغة من اختصاص هذا الاسم بالابل قال ابن القيمه فكلام الشافعية موافق لكلام الازهرى وكلام الحنابلة موافق لكلام الصحاح وقال ابن كثير في نفسه

ابن منبه والسدي في قوله فأرسلنا اليهاز وحناء يعني جبرائيل عليه السلام وهذا الذي قالوه هو ظاهر القرآن فانه تعالى قد قال في الآية الاخرى نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب قال ان روح عيسى عليه السلام من جملة الارواح التي أخذ عليها العهد في زمان آدم عليه السلام وهو الذي تمثل لها بشرا سويا أي روح عيسى خلعت الذي خاطبها وحل في فيها وهذا في غاية الغرابة والتمسك وكانه اسرائيل قالت اني أعوذ بالرحمن منك ان كنت نسيا أي لما تبدى لها الملك في صورة بشروهي في مكان منفرد وبينها وبين قومها حجاب خافقه وظنت انه يريد على نفسها فقالت اني أعوذ بالرحمن منك ان كنت نسيا أي ان كنت تخاف الله تذكركه بالله وهذا هو المشروع في الدفع ان يكون بالاسهل فالاسهل فحوقته أولا بالله عز وجل قال ابن جرير حدثني أبو كريب حدثنا أبو بكر عن عاصم قال قال أبو وائل

وذ كرسه مريم فقال قد علمت ان التي ذنوبية حين قالت اني اغوذ بالرجن منك ان كنت تقيا قال انما انار رسول ربك أي فقال لها الملك مجيبا لها ومن يلا محصل عندها من الخوف على نفسها است مما تظن من وليكن رسول ربك أي بعثني الله اليك ويقال انهم لما ذكروا الرجاء اتفقوا على ما مضى من عباد الله الى حيث قال انما انار رسول ربك لئيب لك غلاما زكاه كذا قرأ أبو عمرو بن العلاء أحد مشهورى القراء وقرأ الآخرون لأهب لك غلاما زكاه وكلا القراءتين له وجه حسن ومعنى صحيح وكل تستلزم الاخرى قالت انى يكون لك غلام أي فتعجب مريم من هذا وقالت كيف يكون لى غلام أي على أي صفة توجد هذا الغلام منى ولست بذات زوج ولا يتصور منى النجور ولهذا قالت ولم يمسسنى بشر ولم أكن بغيا والبغى هي الزانية ولهذا جاء فى الحديث النهى عن مهر البغى قال كذلك قال ربك هو على تهين أي (١٨٨) فقال لها الملك مجيبا لها عما سألت ان الله قد قال انه سيوجد منكم

غلاما وان لم يكن لك بعل ولا يوجد منك فاحشة فانه على ما يشاء قادر وله هذا قال ولتجعله آية للناس أي دلالة وعلامة للناس على قدرة بارئهم وخالقهم الذى تنوع فى خلقهم فخلق أباهم آدم من غير ذكر ولا أنثى وخلق حواء من ذكر بلا أنثى وخلق بنى آدم من ذكر وأنثى الاعمس فانه أوجد من أنثى بلا ذكر فت القصة الرابعة الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه فلا اله غيره ولا رب سواه وقوله ورسالة من أنى ونجعل هذا الغلام رحمة من الله نبييا من الانبياء يدعو الى عبادة الله تعالى وتوحيده كما قال تعالى فى الآية الاخرى اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمع المسمع عيسى بن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين أي يدعو الى عبادة ربه فى مهده

واختلفوا فى صحة اطلاق البدنة على البقرة على قولين أحدهما انه يطلق عليها ذلك شرعا كما صرح فى الحديث قال ابن عمر لانعم البدن الامن الابل والبقر وقال ايضا البدن ذات الجوف وعن مجاهد قال ليس البدن الامن الابل وعن عطاء بن حو قال ابن عمر وبه قال سعيد بن المسيب والحسن وقيل لا تسمى الغنم بدنة لصغرها (جعلنا انما لكم من شعائر الله) أي من أعلام الشريعة التي شرعها الله تعالى و اضافها الى اسمه تعظيم لها وقيل لانها تشعروها وأن تطعن بحديدة فى سنامها فيعلم بذلك أنها اهتدى وقد تقدم بيانه قريبا (لكم فيها خير) أي منافع دينية ودنيوية كما تقدم وهى جملة مستأنفة مقررة لها قبلها أو حالمة قاله السمين (فأذكروا اسم الله عليها) أي على نحرها بان تقولوا عند ذبحها الله أكبر لا اله الا الله والله أكبر اللهم منك واليك (صواف) أي انها فاعلت قد صنعت قوائمها لانها تنصرف قائمة معقولة وقرئ صوافى أي خواص لله لا يشركون به فى التسمية على نحرها أحد أو واحد صواف صاففة وهى قراءة الجمهور وواحد صوافى صافية وفى قراءة ابن مسعود صوافن بالنون جمع صاففة وهى التى قد رفعت احدى يديها بالحق لئلا تضرب ومنه قوله تعالى الصافات الجياد وأصل هذا الوصف فى الخيل يقال صفتن الفرس فهو صافن اذا قام على ثلاث قوائم وثنى الرابعة قال ابن عباس فى الآية اذا أردت ان تنحر البدنة فألقها على ثلاث قوائم معقولة ثم قل بسم الله والله أكبر وفى الصحيحين وغيرهما عنه انه رأى رجلا قد أخذ بيده وهو ينحرها فقال بعثنا قياما مقبدة سنة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكون قياما سنة انما هو على سبيل التذب ويجوز نحرها وذبحها مضجعة على جنبها كما بقى (فأذا وجبت جنوبها) الوجوب السقوط يقال وجبت الشمس أي سقطت ووجب الجدار سقط ومنه الواجب الشرعى كانه سقط علينا ولزمنا أي فاذ اسقط جنبها بعد نحرها على الارض وذلك عند خروج روحها فهو كتابة عن الموت وجع الجنوب مع ان البعير اذا خرب سقط على أحد جنبيه لان ذلك الجمع فى مقابلة جمع

وكهولته قال ابن أبي حاتم حدثنا أبى حدثنا عبد الرحيم بن ابراهيم حدثنا مروان حدثنا العلامة بدن الحارث الكوفى عن مجاهد قال قالت مريم عليها السلام كنت اذا خلوت حدثنى عيسى وكنتى وهو فى بطنى واذا كنت مع الناس سجد فى بطنى وكبر وقوله وكان أمرامقضيما يحتمل ان هذا من تمام كلام جبريل لمريم يخبرها ان هذا أمر مقدر فى علم الله تعالى وقدره ومشيئته ويحتمل ان يكون من خبر الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم وانه كفى به ذاعن النفخ فى فرجها كما قال تعالى ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وقال والتى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا قال محمد بن اسحق وكان أمرامقضيما أي ان الله قد عزم على هذا فليس منه بد واختار هذا أيضا ابن جرير فى تفسيره ولم يحك غيره والله أعلم (فحملته فانتبذت به مكانا قصيا) فاجاءها النخاض الى جذع النخلة قالت يا ليتنى مت قبل هذا او كنت نسيا منسيا) يقول تعالى مخبرا

عن مريم انها لما قال لها جبريل عن الله تعالى ما قال انها استسلمت لقضاء الله تعالى فذكر غير واحد من علماء السلف ان الملك
وهو جبرائيل عليه السلام عند ذلك نفخ في جيب درعها فتزلت النفخة حتى ولجت في الفرج فخملت بالولد باذن الله تعالى فلما
جملت به ضاقت ذرعاً ولم تدر ماذا تقول للناس فانها لا تعلم ان الناس لا يصدقونها فيما تخبرهم به غير انما أفشت سرها وذكرت
أمرها لخالتها امرأة زكريا وذلك ان زكريا عليه السلام كان قد سأل الله الولد فأجيب الى ذلك فدخلت أمرأته فدخلت عليها مريم
فقامت اليها فاعتنفتها وقالت أشعرت يامريم اني حبل فقلت لها مريم وهل علمت أيضاً اني حبل وذكرت لها شأنها وما كان من
خبرها وكأويت ايمان وتصديق ثم كانت امرأة زكريا بعد ذلك اذا واجهت مريم تجدد الذي في جوفها يسجد للذي في بطن مريم
أي يعظمه ويخضع له فان السجود كان في ملتهم عند السلام مشروعا (١٨٩) كما سجدا يوسف أبوه واخوته وكما

أمر الله الملائكة ان تسجد لآدم
عليه السلام ولكن خرم في ملتنا
هذه لتعظيم جلال الرب
تعالى قال ابن ابي حاتم حدثنا علي
ابن الحسين قال قرئ على الحرث بن
مسكين وأنا أسمع أخبرنا عبد
الرحمن بن القاسم قال قال مالك
رحمه الله بلغني ان عيسى بن مريم
ويحيى بن زكريا عليهما السلام
اشاخلة وكان جلهما جيعا ما
قبلغني ان أم يحيى قالت لمريم اني
أرى ان مافي بطني يسجد لما في
بطني قال مالك أرى ذلك لتفضيل
عيسى عليه السلام لان الله جعله
يحيى الموتى ويبرئ الاكف
والأبرص ثم اختلف المفسرون في
مدة حمل عيسى عليه السلام
فالمشهور عن الجمهور انها جملت به
تسعة أشهر وقال عكرمة غالية
أشهر قال ولهذا لا يعيش ولد
لثمانية أشهر وقال ابن جريج
أخبرني المغيرة بن عتبة بن عبد الله

البدن (فكلوا منها) ان شئت ذهب الجمهور الى ان هذا الامر للنسب (وأطعموا
القانع والمعتز) هذا الامر قيل هو للنسب كالاول وبه قال مجاهد والنخعي وابن جرير
وابن سريج وقال الشافعي وجاعة هو للوجوب واختلف في القانع من هو فقيل
هو السائل يقال قنع الرجل بفتح النون يقنع بكسرها اذا سأل وقيل هو المتعفف عن
السؤال المستغنى بيلغة كرمناه الخليل وبه قال ابن عباس قال ابن السكيت من
العرب من ذكر القنوع جمعني القناعة وهي الرضا والتعفف وترك المسئلة وبالأول قال
زيد بن أسلم وابنه وسعيد بن جبهر والحسن وبالثاني قال عكرمة وقتادة وقال ابن عمر
وابن عباس القانع الذي يقنع بما آتته واما المعتز فقال محمد بن كعب القرظي ومجاهد
وابراهيم والكبي والحسن انه الذي يتعرض من غير سؤال وقيل هو الذي يعتريك
ويسألك وقال مالك أحسن ما سمعت ان القانع النقي والمعتز الزائر وروى عن ابن عباس
ان كليهما الذي لا يسأل ولكن القانع الذي يرضى بما عنده ولا يسأل والمعتز الذي يتعرض
لك ولا يسأل وقرأ الحسن والمعتز ومعه كعفى المعتز يقال اعتراه واعتراه وعراه اذا
تعرض لما عنده أو طلبه ذكره النحاس قال ابن عباس المعتز السائل وعنه الذي يتعرض
وعنه القانع الذي يجلس في بيته وعنه انه سئل عن هذه الآية فقال أما القانع فالقانع
بما أرسلت اليه في بيته والمعتز الذي يعتريك وعنه قال القانع الذي يسأل والمعتز الذي
يتعرض ولا يسأل وقيل القانع المسكين والمعتز الذي ليس بمسكين وقيل القانع جارك
الذي يتظر ما دخل عليك والمعتز الذي يعتري بابك ويريك نفسه وقد روى عن التابعين
في تفسير هذه الآية أقوال مختلفة والمرجع المعنى اللغوي لاسيما مع الاختلاف بين
الصحابه ومن بعدهم في تفسير ذلك (كذلك) أي مثل ذلك التسخير البديع المفهوم
من قوله صواف (تخبرناها) أي ذلنا البدن (لكم) فصارت تنقاد لكم الى مواضع
تخبرها فتخبرونها وتنتفعون بها وهذا كان مسخرة للعمل عليها والركوب على ظهورها

الثقة في سمع ابن عباس وسئل عن حمل مريم قال لم يكن الا ان جملت فوضعت وهذا غريب وكأنه مأخوذ من ظاهر قوله تعالى فحملته
فانتدبت به مكانا فصافا جاءها الخاض الى جذع النخلة فالقائه وان كانت للتعقيب لكن تعقيب كل شيء بحسبه كقوله تعالى ولقد خلقنا
الانسان من سلاله من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقه فخلقنا العلقه مضغة فخلقنا المضغة عظاما فهذه القاء
للتعقيب بحسبها وقد ثبت في الصحيحين ان بين كل صفتين أربعين يوما وقال تعالى ألم تر ان الله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض
محضرة فالمشهور الظاهر والله على كل شيء قدير انها جملت به كما تحمل النساء بأولادهن ولهذا الماظهر ومخايل الحمل بها وكان معها في
المسجد رجل صالح من قرابتها يتجمد معها البيت المقدس يقال له يوسف البحار فلما رأى ثقل بطنها وكبره أنكر ذلك من أمرها ثم
صرفه ما يعلم من برايتها ونزاهتها ودينها وعبادتها ثم تأمل ما هي فيه فجعل أمرها يجوس في فكره لا يستطيع صرفه عن نفسه

حُمل نفسه على أن عرض لها في القول فقال يا مريم اني سأثلك عن أمر فلا تعجلي على قالت وما هو قال هل يكون قط شجر من غير حب وهل يكون زرع من غير بذرو هل يكون ولد من غير أب ففهمت ما أشار اليه أما قولك هل يكون شجر من غير حب وزرع من غير بذر فان الله قد خلق الشجر والزرع أول ما خلقه ما من غير حب ولا بذر وهل يكون ولد من غير أب فان الله تعالى قد خلق آدم من غير أب ولأدم فصدقه واسلم لها حالها ولما استشعرت مريم من قومها اتهامها بالرببة اتبذت منهم مكانا قصيا أي قاصيا منهم بعيدا عنهم لئلا تراهم ولا يروها قال محمد بن اسحق فلما حملت به وملاّت قلبها ورجعت استمسك عنها الدم وأصابها ما يصيب الحامل على الولد من الوصب والتوحم وتغير اللون حتى فطراسانها فمادخل على أهل بيت ما دخل على آل زكريا وشاع الحديث في بني اسرائيل فقالوا انما (١٩٠) صاحبها يوسف ولم يكن معها في الكنيسة غيره وتوارت من

الناس واتخذت من دونهم حجابا فلا يراها أحد ولا تراها وقوله فأجابه الخاض الى جذع النخلة أي فاضطرها وألجأها الى جذع نخلة في المكان الذي تختبئ اليه وقد اختلفوا فيه فقال السدي كان شرقى محرابها الذي تصلى فيه من بيت المقدس وقال وهب بن منبه ذهبت هاربة فلما كانت بين الشام وبلادم صرصر بها الطلق وفي رواية عن وهب كان ذلك على ثمانية أميال من بيت المقدس في قرية هناك يقال لها بيت لحم قلت وقد تقدم في أحاديث الاسراء من رواية النسائي عن أنس رضي الله عنه والبيهقي عن شداد بن أوس رضي الله عنه أن ذلك بيت لحم فأن الله أعلم وهذا هو المشهور الذي تلقاه الناس بعضهم عن بعض ولا يشك فيه النصارى انه بيت لحم وقد تلقاه الناس وقد ورد به الحديث ان صح وقوله تعالى اخبارا عنها قالت

والحلب لها ونحو ذلك (علمكم تشكرون) هذه النعمة التي أنعم الله بها عليكم (ان ينال الله) أي ان يصعد ولا يرفع اليه ولا يبلغ رضاه ولا يقع موقع النبول منه (لحومها) التي تصدقون بها (ولادماؤها) التي تنصب عند شجرها من حيث انها لحوم ودماء (ولكن يناله) أي يبلغ اليه (التقوى منكم) أي تقوى قلوبكم ويصل اليه اخلاصكم له في العمل الصالح وارادتكم بذلك وجهه مع الايمان فان ذلك هو الذي يقبله الله ويجازي عليه وقيل المراد استحباب اللحوم والدماء أي ان يرضى المخضون والمتقربون الى ربهم باللحوم والدماء ولكن بالتقوى قال الزجاج أعلم الله ان الذي يصل اليه تقواه وطاعته فيما يأمر به وحقبة تعني هذا الكلام تعود الى القبول وذلك ان ما يقبله الانسان يقال قد ناله ووصل اليه فخطاب الله الخلق كعادتهم في مخاطباتهم قال ابن عباس كان المشركون اذا ذبحوا استقبلوا الكعبة بالدماء فينضجون بها نحو الكعبة فأراد المسلمون ان يفعلوا ذلك فأنزل الله لن ينال الله لحومها ولا دماؤها وعن ابن جريج نحوه (كذلك شجرها لكم) كثر هذا التذكير (للكبر والله) هو قول الناحر الله أكبر عند النحر فذكر في الآية الاولى الامر بذلك كراسم الله عليها وذكر هنا التكبير للدلالة على مشروعية الجمع بين التسمية والتكبير وقيل المراد بالتكبير وصفه سبحانه بما يدل على الكبرياء ومعنى (على ما هداكم) على ما أرشدكم اليه من علمكم بكيفية التقرب بها وما مصدرية أو موصولة (وبشر المحسنين) قيل المراد بهم المخلصون وقيل الموحدون والظاهر ان المراد بهم كل من يصدر منه من الخير ما يصح به اطلاق اسم المحسن عليه (ان الله يدافع) وقيل يدفع الصيغة المناعلة هنا مجردة عن معناها الاصل وهو وقوع النسل من الجانبين كما تدل عليه القراءة الاخرى وقد رده هذه الصيغة ولا يراد بها معناها الاصل كثير امثال عاقبت اللص ونحو ذلك وقد قدمنا تحقيقه وقيل ان اراد هذه الصيغة هنا للمبالغة وقيل للدلالة على تكرار الواقع (عن الذين آمنوا) أي يدافع عن المؤمنين غوائل المشركين

بالبتني مت قبل هذا وكنت نسيما منسيا فيه دليل على جواز نفي الموت عند الفسنة فانها عرفت انها ستبلى وتختن وقيل بهذا المولود الذي لا يحمل الناس أمره فافهمه على السداد ولا يصدقونه في خبرها وبعد ما كانت عندهم عابدة ناسكة تصبح عندهم فيما يظنون عاهرة زانية فقالت يا ليتني مت قبل هذا أي قبل هذا الحال وكنت نسيما منسيا أي لم أخلق ولم أكن شيئا قاله ابن عباس وقال السدي قالت وهي تطلق من الحبل استحيامن الناس يا ليتني مت قبل هذا الكرب الذي أنا فيه والحزن بولادتي المولود من غير بعل وكنت نسيما منسيا نسي فتترك طلبه كغرق الحبيص اذا ألقيت وطرحتم لم تطلب ولم يتذكر والدك كل شيء نسي وترك فهو نسي وقال قتادة وكنت نسيما منسيا أي شيئا لا يعرف ولا يدرك ولا يدري من أنا وقال الربيع بن أنس وكنت نسيما منسيا هو السقط وقال ابن زيد لم أكن شيئا فظننا الاحاديث الدالة على النهي عن نفي الموت الا عند البقعة عند قوله توفي مسلما

والحقني بالصالحين) فناداهما من تحتها ألا تحزنني قد جعل ربك تحتك سر يا وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلني
 واشربي وقرى عينا فامات من البشر أحد افعولى انى نذرت للرحن صوما فلن أكلم اليوم انسيا) قرأ بعضهم من تحتها بمعنى الذى
 تحتها وقرأ الآخرون من تحتها على انه حرف جر واختلف المفسرون فى المراد بذلك من هو فقال العوفي وغيره عن ابن عباس
 فناداهما من تحتها جبرائيل ولم يتكلم عيسى حتى أتت به قومها وكذا قال سعيد بن جبيرة والنخلة وعمر بن ميمون والسدى وقناة
 انه الملك جبرائيل عليه الصلاة والسلام أى ناداهما من أسفل الوادى وقال مجاهد فناداهما من تحتها قال عيسى بن مريم وكذا قال
 عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال قال الحسن هو ابنها وهو احدى الروايتين عن سعيد بن جبيرة انه ابنها قال أولم تسمع الله يقول
 فأشارت اليه واختاره ابن زيد وابن جرير فى تفسيره وقوله أن لا تحزننى قد جعل
 (١٩١)

ربك تحتك سر يا قال سفيان
 الثوري وشعبة عن أبي اسحق عن
 البراء بن عازب قد جعل ربك تحتك
 سر يا قال الجدول وكذا قال علي بن
 أى طلحة عن ابن عباس السرى
 النهر وبه قال عمرو بن ميمون نهر
 تشرب منه وقال مجاهد هو النهر
 بالسريانية وقال سعيد بن جبيرة
 السرى النهر الصغير بالنبطية
 وقال الضحاك هو النهر الصغير
 بالسريانية وقال ابراهيم النخعي
 هو النهر الصغير وقال قتادة هو
 الجدول بلغة أهل الحجاز وقال وهب
 ابن منبه السرى هو ربيع الماء وقال
 السدى هو النهر واختاره هذا القول
 ابن جرير وقد ورد فى ذلك حديث
 مرفوع فقال الطبراني حدثنا أبو
 شعيب الحراني حدثنا يحيى بن عبد
 الله الباقلي حدثنا أيوب بن نهيك
 سمعت عكرمة مولى ابن عباس سمعت
 ابن عمر يقول سمعت رسول الله صلى
 الله عليه وسلم يقول ان السرى الذى

وقيل على حجتهم وقبل يوفتهم وقال أبو حيان لم يذكر الله ما يدفع عنهم ليكون أخف وأعظم
 وأعم والجملة مستأنفة لبيان هذه المزية الحاصلة للمؤمنين من رب العالمين وانه المتولى
 للمدافعة عنهم (ان الله لا يحب كل خوان كفور) مقرر للمضمون الجملة الاولى فان
 المدافعة من الله اهم عن عباده المؤمنين مشعرة أتم أشعار بانهم مبعوضون الى الله غير
 محبوبين له قال الزجاج من ذكر غير اسم الله وتقرّب الى الاصنام بذبيحته فهو خوان
 كفور ويراد صيغتي المبالغة للدلالة على أنهم كذلك فى الواقع لا لاخراج من خان دون
 خيانتهم أو كنفردون كفرهم (أذن للذين يقاتلون) قرئ أذن مبذبا للمفعول وللفاعل
 وكذلك يقاتلون وعلى كلا القراءتين فالأذن من الله سبحانه لعباده المؤمنين بانهم اذا صلحوا
 للقتال أو قاتلهم المشركون قاتلوهم قال المفسرون كان مشركا ومكة يؤذون أصحاب
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالسنة وأيديهم فيشكون ذلك الى رسول الله صلى الله
 عليه وآله وسلم فيقول لهم اصبر وافانى لم أوهى بالقتال حتى هاجر فأزل الله هذه الآية
 بالمدينة وهى أول آية نزلت فى القتال بعد ما نهى عنه فى يثرب وسبعين آية وقيل نزلت فى
 قوم باعياهم خرجوا مهاجرين من مكة الى المدينة فاعترضهم مشركو مكة فاذن الله فى
 قتال الذين ينعونهم من الهجرة وهذه الآية مقررّة أيضا للمضمون قوله ان الله يدافع فان
 اباحة القتال لهم هى من جملة دفع الله عنهم والباء فى (بانهم ظلموا) للسببية أى بسبب
 ما كان يقع عليهم من المشركين من سب وضرب وطرد ثم وعدهم الله سبحانه النصر على
 المشركين على طريق الرمز والكناية كما وعد بدفع أذى الكفار عنهم فقال (وان الله على
 نصرهم لقدير) وفيه تأكيد لما مر من المدافعة أيضا أخرج أحمد والترمذى وحسنه
 والنسائى وابن ماجه عن ابن عباس قال لما أخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم من مكة
 قال أبو بكر أخرجوا نبيهم أنا لله وأنا اليه راجعون ليهلكن القوم فنزلت أذن للذين
 يقاتلون الحوق قد روى نحو هذا عن جماعة من التابعين ثم وصف هؤلاء المؤمنين بقوله

قال الله لمريم قد جعل ربك تحتك سر يا نهر أخرجه الله لتشرب منه وهذا حديث غريب جدا من هذا الوجه وأيوب بن نهيك هذا هو
 الحبل قال فيه أبو حاتم الرازى ضعيف وقال أبو زرعة منكر الحديث وقال أبو الفتح الأزدي متروك الحديث وقال آخرون المراد
 بالسرى عيسى عليه السلام وبه قال الحسن والريبع بن أنس ومحمد بن عباد بن جعفر وهو احدى الروايتين عن قتادة وقول عبد
 الرحمن بن زيد بن أسلم والقول الاول أظهر ولهذا قال بعده وهزي اليك بجذع النخلة أى وخذى اليك بجذع النخلة قيل كانت يابسة
 قاله ابن عباس وقيل مثمرة قال مجاهد كانت عجوة وقال الثوري عن أبى داود نبيع الاعشى كانت صرقانه والظاهر انها كانت
 شجرة ولكن لم تكن فى ابان ثمرها قاله وهب بن منبه ولهذا امتن عليها بذلك بأن جعل عند هاطعها ما وشرابا فقال تساقط عليك رطبا
 جنيا فكلني واشربي وقرى عينا أى طيبى نفسا ولهذا قال عمرو بن ميمون ما من شئ خير للنساء من الثمر والرطب ثم تلا هذه الآية

الكريمة وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا شيبان حدثنا مسروق بن سعيد القيمي حدثنا عبد الرحمن بن عمرو
 الاوزاعي عن عمرو بن رويم عن علي بن أبي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرموا عتكم النخلة فانها خلقت من الطين
 الذي خلق منه آدم عليه السلام وليس من الشجر شيء يبلق غيرها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أطعموا نساءكم الولد الرطب
 فان لم يكن رطب فغرو وليس من الشجر شجرة أكرم على الله من شجرة نزلت تحتها مريم بنت عمران هذا حديث منكر جدا ورواه
 أبو يعلى عن شيبان به وقرأ بعضهم تساقط بتشديد السين وآخرون بتخفيفها وقرأ أبو نعيم تسقط عليك رطبا جنبا وروى
 أبو اسحق عن البراء انه قرأها تساقط أي الجذع والكل متقارب وقوله فاما ترين من البشر أحدا أي هم أرايت من أحد فقولي
 اني نذرت للرحن صوما فلن أكلم اليوم (١٩٢) انسيا المراد به هذا القول الاشارة اليه بذلك لا المراد به القول

(الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق) المراد بالديار مكة (الآن يقولوا) قال سيبويه هو
 استئنا منقطع أي لكن لتولهم (ربنا الله) أي أخرجوا بغير حق يوجب إخراجهم
 لكن لقولهم ربنا الله وحده وقال الفراء والزجاج هو استئنا متصل والتقدير الذين
 أخرجوا من ديارهم بلا حق الابان يقولوا ربنا الله فيكون مثل قوله سبحانه وماتت قمون
 منا الان آمنابايات ربنا (ولو لا دفع الله الناس) وقرئ دفاع (بعضهم) بدل بعض من
 الناس (ببعض لهدمت) بالتشديد لا تكثير وبالتخفيف أي لغربت باستيلاء أهل
 الشرك على أهل الملل وتكرر الهدم لكثرة المواضع (صوامع) نزل بها من معابدهم
 المتخذة في الصحراء وقبل صوامع الصابئين وهي جمع صومعة وهي بناء مرتفع محدد يقال
 صمغ الثريدة اذا رفع رأسها ورجل أسمع القلب أي حاذ النطنة والاصمغ من الرجال الحديد
 القول وقيل الصغير الاذن ثم استعمل في المواضع التي يؤذن عليها في الاسلام (وبيع)
 جمع بيعة وهي كنيسة النصارى في البلد وقيل مساجد اليهود (وصلوات) هي كائنات
 اليهود وقيل النصارى وقد ذكر ابن عطية في صلوات تسع قرأت وهي جمع صلاة وسميت
 الكنيسة صلاة لانها يصلى فيها وقيل هي كلمة معربة اصلها بالبرانية تصلونا قاله السمين
 ومعناه في لغتهم المصلى فلا يكون مجازا قاله الشهاب (ومساجد) للمسلمين وقدمت
 الصوامع والبيع والصلوات على المساجد لكونها أقدم بناء وأسبق وجودا وأما كون فيه
 الانتقال من شريف الى أشرف والظاهر من الهدم معناه الحقيقي كإزالة الزجاج وغيره
 وقيل المعنى المجازي وهو تعطيلها من العبادة والمعنى لولا ما شرعه الله لالانبياء والمؤمنين
 من قتال الاعداء بعضهم ببعض واقامة الحدود لآهل الشرك وذهبت مواضع
 العبادة من الارض وقيل المعنى لولا هذا الدفع لهدمت في زمن موسى الكائن وفي زمن
 عيسى الصوامع والبيع وفي زمن محمد صلى الله عليه وآله وسلم المساجد قال ابن عطية
 هذا أصوب ما قيل في تأويل هذه الآية فعلى هذا انما دفع عنهم حين كانوا على الحق قبل

اللفظي للآياتي فلن أكلم اليوم
 انسيا قال أنس بن مالك في قوله
 اني نذرت للرحن صوما قال سمنا
 وكذا قال ابن عباس والضحاك
 وفي رواية عن أنس صوما وسمنا
 وكذا قال قتادة وغيرهما والمراد
 انهم كانوا اذا صاموا في شهر بيعتهم
 يحرم عليهم الطعام والكلام
 نص على ذلك السدي وقاتدة
 وعبد الرحمن بن زيد قال ابن اسحق
 عن حارثة قال كنت عند ابن
 مسعود فجا رجلا فسلم أحدهما
 ولم يسلم الآخر فقال ما شأنك قال
 أصحابه حلف أن لا يكلم الناس
 اليوم فقال عبد الله بن مسعود كالم
 الناس وسلم عليهم فان تلك امرأة
 علمت ان أحد الاصدقاء انها جلت
 من غير زوج يعني بذلك مريم عليها
 السلام ليكون عذر لها اذا سلمت
 ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير رحمهما
 الله وقال عبد الرحمن بن زيد لما
 قال عيسى لمريم لا تحزنني قالت

وكيف لا أحزن وأنت معي لا ذات زوج ولا ملوكة أي شئ عذري عند الناس باليتنى مت قبل هذا
 وكنت نسيان منسيا قال لها عيسى أما أكفئك الكلام فاما ترين من البشر أحدا فقولي اني نذرت للرحن صوما فلن أكلم اليوم
 انسيا قال هذا كالم من كلام عيسى لأمه وكذا قال وهب (فأنت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا يا أخت هرون ما كان
 أبوك امرأ سووما كانت أمك بغيا فأشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا قال اني عبد الله أتاني الكتاب وجعلني
 نبيا وجعلني مباركا فيما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وراؤا الذي ولم يجعلني جبارا شقيا والسلام على يوم ولدت
 ويوم أموت ويوم أبعث حيا) يقول تعالى مخبرا عن مريم حين أمرت ان تصوم يومها ذلك وان لا تكلم أحدا من البشر فانها استكنى
 أمرها ويقام بحجتها فسلمت لأمه الله عز وجل واستسلمت لقضائه فأخذت ولدها فأقامت به قومها تحمله فلما رأوها كذلك أعظموا

التعريف

أمرها واستنكر وجهه داو قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا أي أمر اعظيما قاله مجاهد وقتادة والسدي وغير واحد وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن زياد حدثنا سيار حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا أبو عمران الجوني عن نوف البكالي قال وخرج قومها في لها نال وكانت من أهل بيت نبوة وشرف فلم يحسوا منها شيئا فلقوا را عي بقرفا لوارأيت فتاة كذا وكذا انعتها قال لا وليكني رأيت الاله من بقري ما لم أره منها قاط قالوا ومارأيت قال رأيتها الاله تسجد نحو هذا الوادي قال عبد الله بن أبي زياد واحفظ عن سيار أنه قال رأيت نوراساطعا فتوجهوا حيث قال لهم فاستقبلتهم مريم فلما رأتهم قعدت وجلت ابنتها في حجرها فجأوا حتى قاموا عليها وقالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا أي أمر اعظيما يا أخت هرون أي باشيطة هرون في العبادة ما كان أبولك أمرأ سو وما كانت أمك بغيا أي أنت من بيت طيب طاهر معروف بالصلاح (١٩٣) والعبادة والزهادة فكيف صدر هذا منك قال

علي بن أبي طلحة والسدي قيل لها يا أخت هرون أي أخي موسى وكانت من نسله كما يقال لله ممي يا أخاتيم وللمضري يا أخا مضر وقيل نسبت الى رجل صالح كان فيهم اسمه هرون فكانت تتأذى به في الزهادة والعبادة وحكى ابن جرير عن بعضهم أنهم شبهوا بامرئ فاجر كان فيهم يقال له هرون رواه ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير وأغرب من هذا كله ما رواه ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين الهسجاني حدثنا ابن أبي مريم حدثنا المنفل يعنى ابن فضالة حدثني أبو خضر عن القرظي في قول الله عز وجل يا أخت هرون قال هي أخت هرون لآبيه وأمه وهي أخت موسى أخي هرون التي قصت أثر موسى فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون وهذا القول خطأ محض فان الله تعالى قد ذكر في كتابه انه قفى بعيسى بعد الرسل فدلل على انه آخر الانبياء

التحرير وقيل النسح وقيل المعنى ولولا دفع الله ظلم الظلم بعدل الولاة وقيل ولولا دفع الله العذاب بدعاء الاخبار وعن علي قال انما انزلت هذه الآية في أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى ولولا دفع الله بأصحاب محمد عن التابعين لهدمت الآية قال أبو حيان أجرى الله العادة في الامم بذلك بان ينظم به الامر وتقوم الشرائع وتضامن المتعبدات من الهدم وأهلها من القتل والشتات ويؤيد ذلك قوله تعالى وقتل داود جالوت ثم قال ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض (يذكر فيها اسم الله) ذكر أو وقتا (كثيرا) والجملة صفة للمساجد وقيل لجميع المذكورات الأربع لان كل واحد منها جمع (وليس صرن الله) اللام هي جواب لتسمي محذوف أي والله لينصرن الله (من ينصره) أي دينه وأوليائه ومعنى نصره تعالى هو ان يظفروا بآيائه بأعدائهم ويكون النصر بالتجلي في القتال وبإيضاح الأدلة والبيانات وبالاعانة على المعارف والطاعات (ان الله لقوى) على نصر أوليائه (عزيز) على انتقام أعدائه والقوى القادر على الشئ والعزير الجليل الشريف قاله الزجاج وقيل الممتنع الذي لا يرام ولا يدافع ولا يمانع (الدين ان مكلهم في الارض) ينصرهم على عدوهم قيل المراد بهم المهاجرون والانصار والتابعون لهم بإحسان وقيل أهل الصلوات الخمس وقيل ولادة العدل وقيل غير ذلك وهو اخبار من الله بالغيب عما ستكون عليه سيرتهم ان مكن لهم في الارض وعن عثمان هذا والله ثناء قبل بلايريد ان الله أثنى عليهم قبل ان يحدثوا من الخير ما أحدثوا فتبالمنا يطعن بهم من أهل البدع والرفض بعد ذلك وتعالاهم (أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) هذا جواب الشرط وفيه إيجاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على من مكنه الله في الارض وأقدره على القيام بذلك وقد تقدم تنسيب الآية (ولله عاقبة الامور) أي مرجعها الى حكمه وتدبيره دون غيره وعن زيد بن أسلم في قوله الذين ان مكلهم في الارض قال أرض المدينة أقاموا الصلاة قال المكتوبة وآتوا الزكاة

(٢٥ - فتح البيان سادس) بعنا وليس بعده الا محمد صلوات الله وسلامه عليهم ما ولهذا ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال أنا أولى الناس بابن مريم لانه ليس بيني وبينه نبي ولو كان الامر كما زعم محمد ابن كعب القرظي لم يكن متأخرا عن الرسل سوى محمد ولو كان قبل سليمان وداود فان الله قد ذكر ان داود بعد موسى عليه السلام في قوله تعالى ألم ترالى الملامن بنى اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبي لهم ابعت لنا ملكا نقاتل في سبيل الله وذكروا القصص الى ان قال وقتل داود جالوت الآية والذي جراً القرظي على هذه المقالة ما في التوراة بعد خروج موسى وبني اسرائيل من البحر واغراق فرعون وقومه قال وقامت مريم بنت عمران أخت موسى وهرون النبية تضرب بالدف هي والنساء معها يسبحن لله ويشكرنه على ما أنعم به على بنى اسرائيل فاعتقد القرظي ان هذه هي أم عيسى وهذه هذوة غلاطة شديدة بل هي باسم هذه وقد كانوا يسمون باسماء

أنبيائهم وصالحهم كما قال الامام أحمد حدثنا عبد الله بن ادريس سمعت أبي يذكره عن سماعة عن علقمة بن وائل عن المغيرة بن
شعبة قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيبر فقالوا رأيت ما تقرؤون يا أخت هرون وموسى قبل عيسى بكذا وكذا قال
فرجعت فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألا أخبرتهم انهم كانوا يسمون بالانبياء والصالحين قبلهم انقر دباخر اجه
مسلم والترمذي والنسائي من حديث عبد الله بن ادريس عن أبيه عن سماعة قال الترمذي حسن صحيح غريب لا يعرفه الا من
حديث ابن ادريس وقال ابن جرير حدثني يعقوب بن عتبة عن عثمان بن عيسى عن سعيد بن أبي صدقة عن محمد بن سيرين قال أثبت ان كعبا
قال ان قوله يا أخت هرون ليس بهرون أخى موسى قال فقالت له عائشة كذبت قال بأثم المؤمنين ان كان النبي صلى الله عليه وسلم قاله
فهو أعلم وأخبر والافاني أجديهم ما سئلته (١٩٤) سنة قال فسكت وفي هذا التاريخ فظن وقال ابن جرير أيضا

حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا
سعيد بن قتادة قوله يا أخت هرون
الآية قال كانت من أهلى بيت
يعرفون بالصلاح ولا يعرفون
بالفساد ومن الناس من يعرفون
بالصلاح ويتوعدون به وآخرون
يعرفون بالفساد ويتوعدون به
وكان هرون مصليا محبا في عشرته
وليس بهرون أخى موسى ولكنه
هرون آخر قال وذكر لنا انه شجع
جنازته يوم مات أربعون ألفا
كلهم يسمى هرون من بني اسرائيل
وقوله فأشارت اليه قالوا كيف
نكلم من كان في المهدي صبا أى انهم
لما استراوا في أمرها واستنكروا
قضيتهما قالوا لها ما قالوا معرضين
بقصد فهاورمها بالنارية وقد كانت
يومها ذلك صائمة صائمة فأحالت
الكلام عليه وأشارت لهم الى
خطابه وكلامه فقالوا متكمين بها
ظانين انها تدرى بهم وتلعب بهم
كيف نكلم من كان في المهدي صبا

قال المنروضة وأمر وبالمرور قال بلالة الا الله ونحوه عن المنكر قال عن الشرع بالله
ولله عاقبة الامور قال وعنه الله ثواب ما صنعوا وقد أنجز الله تعالى وعده بان ساط
المهاجرين والانصار على صناديد العرب وأكبر العجم وقياسرتهم وأورثهم أرضهم
وديارهم وعن عثمان بن عفان قال فينا نزلت هذه الآية أخرجننا من ديارنا بغير حق ثم مكنا
في الارض فافقنا الصلوة وأقمنا الزكاة وأمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر فهى لى ولا صاحبى
وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد قوم هود وثمود وقوم صالح وقوم ابراهيم
وقوم لوط وأصحاب مدين هم قوم شعيب هذه تسليمة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
وتعزية له متضمنة للوعده له باهلاك المكذبين له كأهلك سبحانه المكذبين لمن كان قبله
وفيه ارشاده صلى الله عليه وآله وسلم الى الصبر على قومه والافتقار الى الله من الانبياء
في ذلك وقد تقدم ذكر هذه الامم وما كان منهم ومن أنبيائهم وكيف كانت عاقبتهم والمعنى
فأنت يا مشرف الخلق است بارحدى في التكذيب فان هؤلاء قد كذبوا رسلهم قبل قومك
فتمسل بهم قاله الخطيب وتأنيت قوم باعتبار المعنى وهو الامة أو قبيلة واستغنى في عاد وثمود
عن ذكر قوم لاشتهارهم بهذا الاسم الاخصر والاصل في التعبير العلم ولا علم لغيرهما فلهمذا
لم يقل قوم ثمود وقوم صالح ولم يقل قوم شعيب لان قومه يشملون أصحاب مدين وأصحاب
الايلة وأصحاب مدين سابقون على أصحاب الايلة في التكذيب له خصوصا في الذكر
بسبقهم في التكذيب وانما غير النظم في قوله (وكذب موسى) جاء بالفعل مبني للمفعول
ولم يتل وقوم موسى لان قوم موسى لم يكذبوه وانما كذبه غيرهم من القبط (فأملت
للكافرين) أى أخرت عنهم العقوبة وأمهلتهم وانما اتريب الاله حال على التكذيب
وفيه وضع الظاهر موضع المنع زيادة في التشجيع عليهم والنداء عليهم بصفة الكفر
(ثم أخذتهم) أى أخذت كل فريق من المكذبين السبعة بالعذاب بعد انقضاء مدة الامهال
(فكيف كان تكبير) هذا الاستفهام للتقرير أى فانظر كيف كان انكارى وتغيرى

قال ميمون بن مهران فأشارت اليه قالت تكلموه فقالوا على ما جاءت به من الداهية تأمرنا ان نكلم من كان
في المهدي صبا وقال السدي لما أشارت اليه غضبا وقالوا السخر يتهاشأ حتى تأمرنا ان نكلم هذا الصبي أشد علينا من زناها قالوا
كيف نكلم من كان في المهدي صبا أى من هو موجود في مهد في حال صباه وصغره كيف يتكلم قال انى عبد الله أول نبي تكلم به
ان نزه جناب ربه تعالى وبرأه عن الولد وأثبت لنفسه العبودية لربه وقوله آتاني الكتاب وجعلني نبيا تبرئة لامة مما نسب اليه من
الفاحشة قال نوف البكالى لما قالوا الامة ما قالوا كان يرتضع ثدييه فتزع الشدي من فمه وانكأ على جنبه الايسر وقال انى عبد الله
آتاني الكتاب وجعلني نبيا الى قوله مادحت حيا وقال جادين سلمة عن ثابت البناني رفع اصبعه السبابة فوق منكبيه وهو يقول
انى عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا الآية وقال عكرمة آتاني الكتاب أى قضى أنه يؤتيني الكتاب فيما قضى وقال ابن أبي حاتم

حدثنا أبي حدثنا محمد بن المصنف حدثنا يحيى بن سعيد هو العطار عن عبد العزيز بن زياد عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال كان عيسى بن مريم قد درس الانجيل وأحكمها وهو في بطن أمه فذلك قوله انى عبد الله آتالى الكتاب وجعلنى نبيا يحيى بن سعيد العطار الجصى متروك وقوله وجعلنى مباركا أيضا كنت قال مجاهد وعمر بن قيس والثوري وجعلنى معلما للخير وفي رواية عن مجاهد نفعا وقال ابن جرير حدثني سليمان بن عبد الجبار حدثنا محمد بن يزيد بن خنيس الخنزومي سمعت وهيب بن الورد وولى بنى مخزوم قال لى عالم عالما وهو فوقه فى العلم فقال له يرجئ الله ما الذى أعلن من عملى قال الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فانه دين الله الذى بعث به انبياءه الى عباداه وقد أجمع النصفه على قول الله وجعلنى مباركا أيضا كنت وقيل ما بركته قال الامر بالمعروف والنهى عن المنكر أيضا كان وقوله وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا (١٩٥) كقوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم

وأعبد ربك حتى يأتيك اليقين وقال عبد الرحمن بن القاسم عن مالك بن أنس فى قوله وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا قال أخرجه عما هو كائن من أمره الى أن يموت ما بينها لاهل النذر وقوله وبر ابوالدنى أى وأمرنى ببر والدنى ذكره بعد طاعة ربه لان الله تعالى كثيرا ما يقرن بين الامر بعبادته وطاعة الوالدين كما قال تعالى وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا وقال أن اشكر لى ولوالديك الى المصير وقوله ولم يجعلنى جبارا شقيا أى ولم يجعلنى جبارا مستكبرا عن عبادته وطاعته وبر والدنى فأشقى بذلك قال سفيان الثوري الجبار الشقى الذى يقتل على الغضب وقال بعض السلف لا تجدد أحدا عا قال ولديه الا وجدته جبارا شقيا ثم قرأ وبر ابوالدنى ولم يجعلنى جبارا شقيا قال ولا تجددسى الملكة الا وجدته مخنلا فخورا ثم قرأ وما

ما كانوا فيه من النعم وحل الاستغناء على التعجب أو نوح قال أبو حيان ويصعب هذا الاستغناء معنى التعجب فكانه قيل ما أشد ما كان انكارى عليهم وانكار اسم من المنكر ومصداق معنى الانكار قال الزجاج أى ثم أخذتهم فأنكرت أبلغ انكار قال الجوهرى النكير والانكار تغيير المنكر كما راد بالانكار التغير للضد بالندك الحياة بالموت والعمارة بالخراب وليس بمعنى الانكار اللسانى والقلبي وأثبت ياء نكير حيث وقع فى القرآن ورش فى الوصل وحذفها فى الوقف والباقيون يحذفونها واصله لا ووقفنا ثم ذكر سبحانه كيف عذب أهل القرى المكذبة فقال (فكأين من قرية أهلكناها) أى أهلها وقد تقدم الكلام على هذا التركيب فى آل عمران (وهى نائمة) المراد بنسبة الظلم اليها نسبة الى أهلها أى وأهلها الظالمون (فهى خاوية) الخوى بمعنى السقوط أى فهى ساقطة (على عروشها) أى ستوفها وذلك بسبب تعطل سكانها حتى تهدمت فسقطت حيطانها فوق سقوطها واسناد السقوط على العروش اليها التنزيل الجيطان منزلة كل البنين لكونها عمدة وقد تقدم تفسير هذه الآية فى البقرة قال قتادة خربة ليس فيها أحد (وبئر) أى ومن أهل بئر (معطلة) هكذا قال الزجاج يقال بأرت الارض أى حفرتها وسمه التآبير وهو شق كيزان طالع الاناث وذو طلع الذكور فيه والبئر فعل بمعنى دفعول وهى مؤنثة وقد تذكر على معنى القلب والمراد بالمعطلة المتروكة وقيل الخالية عن أهلها نهلا كهم وقيل الغائرة وقيل معطلة من الدلاء والارضية قال قتادة عطلها أهلها وتركوها وقال ابن عباس التى تركت لأهل لها (وقصر مشيد) هو المرفوع البنين كذا فى قتادة والضحاك وعن قتادة أيضا شيدوه وحصنوه فهلكوا وتركوه وقال سعيد بن جبير وعطاء وعكرمة ومجاهد وابن عباس المراد بالمشيد المخصص مأخوذ من الشيد وهو الحصص وقيل المشيد الحصين قاله الكلبى وقال الجوهرى المشيد المعمول بالمشيد والشيد بالكسر كل شئ طلبت به الحائط من حصص أو بلاط وبالفتح المصدر تقول شاده يشيده حصصه والمشييد

ملكتم أيما ذكركم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا وقال قتادة ذكركم ان امرأة رأت ابن مريم يحيى الموتى ويبرئ الاكهم والابرص فى آيات سلطه الله عليهن وأذنله فيهن فقالت طوبى للبطن الذى حملك وطوبى للشى الذى أرضعت به فقال نبى الله عيسى عليه السلام يحيى طوبى لمن تلا كتاب الله فاتبع ما فيه ولم يكن جبارا شقيا وقوله والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا اثبات منه لعبودية الله عز وجل وانه مخلوق من خلق الله يحيى ويعيت ويبعث كسائر الخلاق لا تى ولكن له السلامة فى هذه الاحوال التى هى أشق ما يكون على العباد صلوات الله وسلامه عليه (ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذى فيه يمترون ما كان الله أن يتخذ من ولد سبحانه اذ قضى أمرا فاعما يقول له كن فيكون وان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشه يوم عظيم) يقول تعالى لرسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه ذلك الذى قصصناه

عليك من خبر عيسى عليه السلام قول الحق الذي فيه يمترون أى يختلف المبطلون والمحقون ممن آمن به وكفر به وله أدقراً
الاكثر قول الحق برفع قول وقرأعاسم وعبدالله بن عامر قول الحق وعن ابن مسعود انه قرأ ذلك عيسى بن مريم قال الحق
والرفع أظهر اعراباً يشهد بقوله تعالى الحق من ربك فلا تكن من الممترين ولما ذكر تعالى انه خلقه عبداً نبياً زده نفسه
المقدسة فقال ما كان الله أن يخذل من ولد سبحانه أى عايه يتول هو لا الجاحلون الظالمون المعتدون علواً كبيراً اذا قضى أمراً فانما
يقول له كن فيكون أى اذا اراد شيئاً مأمراً به فيصير كما يشاء كما قال ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن
فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين وقوله وان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم أى ومما أمر به عيسى قومه
وهو في مهده أن أخبرهم اذ ذلك ان الله ربه وربهم وأمرهم بعبادته فقال فاعبدوه هذا صراط مستقيم أى هذا الذى جئتمكم به

(١٩٦)

مستقيم أى هذا الذى جئتمكم به
عن الله صراط مستقيم أى قويم
من اتبعه رشد وهدى ومن خالفه
ضل وغوى وقوله فاختلف
الاحزاب من بينهم أى اختلف قول
أهل الكتاب في عيسى بعد بيان
أمره ووضوح حاله وأنه عبده
رسوله وكلمته ألقاها الى مريم
وروح منه فصممت طائفة منهم
وهم جمهور اليهود عليهم لعائن الله
على انه ولد زينة وقالوا كلامه هذا
سحر وقالت طائفة أخرى انما
تكلم الله وقال آخرون بل هو ابن
الله وقال آخرون ثالث ثلاثة وقال
آخرون بل هو عبد الله ورسوله
وهذا هو قول الحق الذى أرشد الله
اليه المؤمنين وقد روى نحوه هذا عن
عمر بن ميمون وابن جرير وقادة
وغير واحد من السلف والخلف
قال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن
قتادة في قوله ذلك عيسى بن مريم
قول الحق الذى فيه يمترون قال

بالتشديد المطول قال الكسائي للواحد من قوله تعالى في روح مشيدة وانما بنى ههنا من
شاد وفي النساء من شيدته لانه هناك وقع بعد جمع فناسب التشكيير وهما وقع بعد مفرد
فناسب التثنية ولانه رأس آية وفاصلة والمعنى وكن من قصر مشيدته معطل مثل البئر
المعطلة ومعنى التعطيل في التصريح هو انه معطل من أهله أو من آلاته أو نحو ذلك قال
القرطبي في تفسيره ويقال ان هذه البئر والقصر بحضر موت ومعروفان فالقصر مشرف
على قلعة جبل لا يترقى اليه بحال والبئر في سفحه لا تقرأ الريح شيئاً سقط فيها الآخر حتمه
وحكى الثعلبي وغيره ان البئر كان بعد من العين في بلد الحضر وأما حجاب القصر الحضر
وأما حجاب البئر لولا البدو وحكى الثعلبي وغيره أيضاً ان البئر كان بعد من العين في بلد
يقال له حضرة انزل بها أربعة آلاف من آمن بصالح ونحوه من العذاب ومعهم صالح فبات
صالح فسمى المكان حضرة موت لان صالحاً لما حضره مات فنحوه حضرة وقعدوا على هذه
البئر وأمروا عليهم رحلاً منهم فاقاموا دهرات متساوية حتى كثروا وعبدوا الاصنام وكثروا
فأرسل الله اليهم نبياً يقال له حنظلة بن صفوان وكان جالفاً فيهم فقتلوه في السوق
فأهلكهم الله وعطلت بئرهم وخربت قصورهم ثم ذكر قصة طويلاً وقال بعد ذلك وأما
القصر المشيد فتصير بناءه شداد بن عاد بن ارم لم يبق في الارض مثله فيما ذكرنا وزعموا
وحاله أيضاً كحال هذه البئر المذكورة في الجحاشه بعد الانس واقفاره بعد العمران وان
أحد الاربعة تطيع ان يدفونه على أميال لم يسمع فيه من عزيف الجن والاصوات
المذكورة بعد النعيم والعيش الرغد وهم المثلث وانما نظام الاهل كالمثلث فبادوا وما عادوا
فذكرهم الله سبحانه في هذه الآية وعلمه وعبره قال وقيل انهم الذين أهلكهم بختصر
على ما تقدم في سورة الانبياء في قوله وكنتم قريظة فقتلهم بئرهم وخربت قصورهم
انتهى وقال النسفي والظاهر ان البئر والقصر على العموم ثم أنكر الله سبحانه على أهل
مكة عدم اعتبارهم بهذا الآثار قال (أولم يسروا في الارض) حناهم على السور لم يروا

مصارع

اجتمع بنو اسرائيل فأخرجوا منهم أربعة آلاف نفر وأخرج كل قوم منهم فامتنوا في عيسى حين
رفع فقال بعضهم هو الله هبط الى الارض فأحيانا وأما من أمان ثم صعد الى السماء وهم اليعقوبية فقال الثلاثة
كذبت ثم قال اثنتان منهم للثالث قل أنت فيه قال هو ابن الله وهم النسطورية فقال الاثنان كذبت ثم قال أحد الاثنتين للآخر
قل فيه فقتل هو ثالث الثلاثة الله الدود واله وهم الاسرائيلية ملوك النصارى عليهم لعائن الله وقال الرابع كذبت بل هو عبد
الله ورسوله وروى واحد وكلمته وهم المسلمون فكان لكل رجل منهم اتباع على ما قالوا فافتلوا وظهر على المسلمين وذلك قول الله تعالى
ويقتلون الذين يأمرون بالفسق من الناس قال قتادة وهم الذين قال الله فاختلف الاحزاب من بينهم قال اختلفوا فيه فصاروا
أحزاباً وقد روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس وعن عروة بن الزبير عن بعض أهل العلم قريلاً من ذلك وقد ذكر غير واحد من علماء

التاريخ من أهل الكتاب وغيرهم ان قسطنطين جمعهم في محفل كبير من مجامعهم الثلاثة المشهورة عندهم فكان جماعة الاساقفة منهم ألفين ومائة وسبعين أسقفًا فاختلقوا في عيسى بن مريم عليه السلام اختلافًا متباينًا جادًا فقاتل كل شريعة فيه قولًا فإثانة تقول فيه شيئًا وسبعون تقول فيه قولًا آخر وخسون تقول شيئًا آخر ومائتون تقول شيئًا ولم يجتمع على متالة واحدة أكثر من ثمانية وعشيرة منهم انفقوا على قول وصيه وعلية قال اليهم الملك وكان فيلسوفًا فافتد بهم ونصرهم وطرد من عداهم فوضعوا له الامانة الكبيرة بل هي الخيانة العظيمة ووضعوا له كتب القوانين وشروا له الأشياء وابتدعوا بدعا كثيرة وحرفوا دين المسيح وغيره فابتنى لهم حينئذ الكائس الكار في ملكته كلها بلاد الشام والحزيرة والروم فكان مبلغ الكائس في أيامه ما يقارب اثني عشر ألف كنيسته وبنت أمه هي لانة قامة على المكان الذي صلب (١٩٧) فيه المصلوب الذي يزعم اليهود

انه المسيح وقد كذبوا بل رفعه الله الى السماء وقوله فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم تهديد وعيد شديد من كذب على الله واقرى وزعم ان له ولدا ولكن انظرهم تعالى الى يوم القيامة وأجلهم حلا وثبة بقدرته عليهم فانه الذي لا يتجمل على من عصاء بل كما جاء في الصحاح ان الله لم يخلق للظلم حتى اذا أخذ له لم يخلق ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذها ليم شديد وفي الصحاح ان ايضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا أحد أصبر على أذى سمع من الله انهم يجعلون له ولدا وهو يرزقهم ويعافهم وقد قال الله تعالى وكاين من قسرية أملت لها وهي ظالمة ثم أخذتها الى المصير وقال تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار

مصارع تلك الامم فيعتبروا ويحتمل ان يكونوا قد سافروا ولم يعتبروا فلهذا أنكر عليهم كما في قوله وانكم لترون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون وعلى هذا فالاستنهام ليس على حقيقته (فتكون لهم قلوب) تترى على المنفى فهو منقأ أيضا (يعقلون بها) ما يجب ان يعقل من التوحيد ونحوه والعقل هنا بمعنى العلم والمعنى انهم بسبب ما شاهدوا من العبر تكون لهم قلوب يعقلون بها ما يجب ان يعقلوه وأسد التعقل الى القلوب لانها محل العقل كما ان الأذن محل السمع وقيل ان العقل محل الدماغ ولا مانع من ذلك فان القلب هو الذي يبعث على ادراك العقل وان كان محل خارج عنه وقد اختلف علماء المعتزلة في محل العقل وما هيته اختلافا كثيرا لا حاجة الى التطويل بذكره (أو اذان يسمعون بها) ما يجب ان يسمعه مما تلاه عليهم انبياءهم من كلام الله وما تلاه أهل الاخبار اليهم من أخبار الامم المهلكة وما نزل بالمكذابين (فانهم الاتعمى الابصار) قال الزمخشري انهم اذا يجوز ان يقول فانه وهي قراءة ابن مسعود والمعنى واحد التذكير على الخبر والتأنيث على الابصار أو لقصة أي فان الابصار لاتعمى أي أوفان القصة لاتعمى الابصار أي ابصار العميون (ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) أي ليس الخلل في مشاعرهم وانما أصابت الآفة عقولهم بتأثير الهوى والانهمالك في التقليد أي لاتدرك عقولهم مواطن الحق ومواضع الاعتبار قال الفراء والزجاج ان قوله التي في الصدورين التوكيد الذي تزيده العرب في الكلام كقوله عشرة كاملة ويقولون بافواهمهم ويظير بجناحية ثم حكى سبحانه عن هؤلاء ما حكى في عليهم من التكذيب والاستهزاء فقال (ويستجلبون) أي يطلبون علمك (بالعقل) لانهم كانوا منكرين بحقيقة أسد انكار فاستمع لهم لهو على طريقة الاستهزاء والسخرية وكانهم كانوا يقولون ذلك عند سماعهم لما يقوله الانبياء عن الله سبحانه من الوعد عذ وجل بوقوع عليهم وحلولهم ولهم هذا قال (ولن يحزن الله ورسوله) قال الفراء في هذه الآية وعيد لهم بالذاب في الدنيا

ولهذا قال ههنا فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم أي يوم القيامة وقد جاء في الحديث الصحيح المتفق على صحته عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه وان الجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل (أسمعهم وأبصر يوم يأتون) لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين وأندرهم يوم الحسرة اذ قضى الامر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون انا نحن نرتب الارض ومن عليها والينابر جمعون يقول تعالى يخبرنا عن الكفار يوم القيامة انهم يكونون أسمع شئ وأبصر كما قال تعالى ولوترى اذ المجرمون ناكس رؤوفهم عند ربهم ربنا أبصرنا ونوعنا الآية أي يقولون ذلك حين لا ينفعهم ولا يجدي عنهم شيئا ولو كان هذا قبل معاناة العذاب لكان نافعاً لهم ومنه ما من عذاب الله ولهذا قال أسمعهم وأبصر أي ما أسمعهم وأبصرهم يوم يأتون

يعني يوم القيامة لكن الظالمون اليوم أي في الدنيا في ضلال مبين أي لا يسمعون ولا يبصرون ولا يهتدون ولا يفتقدون حيث لا ينفهم ذلك ثم قال تعالى وأنذرهم يوم الحسرة أي انذار الخلائق يوم الحسرة أذقني الأمر أي فصل بين أهل الجنة وأهل النار وصار كل إلى ما صار إليه مخلدا فيه وهم أي اليوم في غفلة عما أنذر وأبه يوم الحسرة والندامة وهم لا يؤمنون أي لا يصدقون به قال الامام أحمد حدثنا محمد بن عبيد حدثنا الاعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يجابأ بالموت كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار فيقال يا أهل الجنة هل تعرفون هذا قال فيشربون وينظرون ويقولون نعم هذا الموت قال فيقال يا أهل النار هل تعرفون هذا قال فيشربون وينظرون ويقولون نعم هذا الموت قال فيشربون ويقولون نعم هذا الموت (١٩٨) فيذبح قال ويقال يا أهل الجنة خلدوا ولا موت ويا أهل النار

خلدوا ولا موت ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنذرهم يوم الحسرة أذقني الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون وأشار بيده ثم قال أهل الدنيا في غفلة الدنيا هكذا رواه الامام أحمد وخرجه البخاري ومسلم في صحيحهم - ما من حديث الاعمش به ولا نظره - ما قرىب من ذلك وقد روي هذا الحديث الحسن بن عرفة - حدثني أسباط ابن محمد عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة - مرفوعا عنه وفي سنن ابن ماجه وغيره من حديث محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة بنحوه وهو في الصحيحين عن ابن عمر ورواه ابن جريح قال قال ابن عباس فذكر من قبله نحوه ورواه أيضا عن أبيه أنه سمع عبيد ابن عمير يقول في قصصه يؤتى بالموت كأنه دابة فيذبح والناس ينظرون وقال سفيان الثوري عن سلمة بن كهيل حدثنا أبو الزعراء عن عبد

والآخر وذو كرز جاح وجهها آخر فقال اعلم ان الله لا يفوته شيء وان يوما عنده وألف سنة في قدرته واحد ولا فرق بين وقوع ما يستعجلون به من العذاب وتأخره في القدرة الا ان الله تنفصل بالامهال انتهى والمعنى والخال انه لا يخاف وعدا أبدا وقد سمع في الوعد فلا بد من مجيئه حتماً والجملة اعتراضية مبينة لما قبلها قال الخليلي أنجزه يوم يرى أهل العذاب بهم في الدنيا فقتل منهم سبعون وأسر منهم سبعون (وان يوما) من أيام عذابهم (عند ربك) في الآخرة (كألف سنة مما تعدون) أي من سني الدنيا والجملة مستأنفة مسوقة لبيان حالهم في الاستعجال وخطابهم في ذلك لبيان كمال كبره لكون المدة القصيرة عنده كالمدّة الطويلة عندهم كافي قوله انهم يرونه بعينهم ورواه غيره قال الشافعي هذا وعيد لهم بامتداد عذابهم في الآخرة أي يوم من أيام عذابهم في الآخرة في النقل والاستطالة كالتسعة وقيل المعنى وان يوما من الخوف والشدة في الآخرة كالتسعة من سني الدنيا فيها خوف وشدة وكذلك يوم النعيم قاسا واقصر في التشبيه على الاف لان الاف منه هي العدد بلا تكرار وقرئ يوم دون بالتحسية لقوله ويستعجلونك وبالوقية على الخطأ واختار الاولى أبو عبيدة والثانية أبو حاتم وعن ابن عباس قال ان يوما من الايام السبعة التي خلق الله فيها السموات والارض كالتسعة من عكرمة قال هو يوم التمام مقرعته قال الدنيا جمعة من جمع الآخرة سبعة آلاف سنة وقدمت منها ستة آلاف وأخرج ابن عدي والديلمي عن أنس مرفوعا نحوه وتتمام البحث في مدة الدنيا لما فيها من كتابنا لقطعة العجلان مما تنس الى معرفته حاجة الانسان (وكاين من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها) أي أعلمها هذا اعلام الله سبحانه انه أخذ قوم ما بعد الاملاء والتأخير قيل وتكرير هذا مع ذكره قبله للتأكيد وليس بتكرار في الحقيقة لان الاول سيق لبيان الأهرام المناسبة لقوله فكيف كان تكبير والثاني سيق لبيان الاملاء المناسبة لقوله ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالتسعة من عكرمة قيل وكمن أهل قرية كانوا ناسكاً

الله هو ابن مسعود في قصة ذكرها قال فليس نفس الا وهي تنظر الى بيت في الجنة وبيت في النار وهو يوم الحسرة فيرى أهل النار البيت الذي في الجنة ويقال لهم لو علمت فمأخذهم الحسرة قال ويرى أهل الجنة البيت الذي في النار فيقال لولا ان الله من عليكم وقال السدي عن زياد عن زر بن حبیش عن ابن مسعود في قوله وأنذرهم يوم الحسرة أذقني الأمر قال اذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار اتى بالموت في صورة كبش أملح حتى يوقف بين الجنة والنار ثم ينادى مناد يا أهل الجنة هذا الموت الذي كان يميت الناس في الدنيا فلا يبقى أحد في أهل عليين ولا في أسفل درجة في الجنة الا نظر اليه ثم ينادى مناد يا أهل النار هذا الموت الذي كان يميت الناس في الدنيا فلا يبقى أحد في صحاح من نار ولا في أسفل درج من جهنم الا نظر اليه ثم يذبح بين الجنة والنار ثم ينادى يا أهل الجنة هو الخلود أبداً بالآبدن ويا أهل النار هو الخلود أبداً بالآبدن فيفزع أهل الجنة فرحة لو كان أحد

ميتامن فرح ماتوا ويشهق أهل النار شهقة لو كان أحد ميتامن شهقة ماتوا فذلك قوله وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضى الأمر يقول اذ ذبح الموت ورواه ابن أبي حاتم في تنسيه وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله وأنذرهم يوم الحسرة من أسماء يوم القيامة : نظمهم الله وحذره عباده وقال عبد الرحمن بن زبد بن أسلم في قوله وأنذرهم يوم الحسرة قال يوم القيامة وقرأ أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وقوله انانحن نرث الارض ومن عليها والينا يرجعون يخبر تعالى انه الخالق المالك المتصرف وان الخلق كلهم هم لكون ويبقى هو تعالى وتقدس ولا أحد يدعى ملكا ولا تصرفا بل هو الوارث لجميع خلقه الباقي بعدهم الخاكم فيهم فلا تظلم نفس شيئا ولا جناح بعوضة ولا منقال ذرة قال ابن أبي حاتم ذكره عبد بن خالد القيسي حدثنا حزم بن أبي حزم القطعي قال كتب عمر بن عبد العزيز الى عبد الحميد بن عبد الرحمن صاحب الكوفة (١٩٩) أما بعد فإن الله كتب على خلقه حين

خلقهم الموت فجعل مصيرهم اليه وقال فيما أنزل في كتابه الصادق الذي حفظه بعلمه وأشهد ملائكته على حفظه انه يرث الارض ومن عليها واليه يرجعون (واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا اذ قال لابيد يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا يا أبت اني قد جئتني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا يا أبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرجن عصيا يا أبت اني أخاف ان يسلك عذاب من الرجن فتكون للشيطان وليا) يقول تعالى لتبته محمد صلى الله عليه وسلم واذكر في الكتاب ابراهيم واتل على قومك هؤلاء الذين يعبدون الاصنام واذكر لهم ما كان من خبر ابراهيم خليل الرحمن الذين هم من ذريته ويدعون أنهم على ملته وقد كان صديقا نبيا مع الله كيف نهاه عن عبادة الاصنام فقال يا أبت لم تعبد

ظالمين قد أمهلتمهم حينئذ ثم أخذتهم بالعذاب والمرجع للكل الى حكمي (و) جملة (الى المصير) تذييل لتقرير ما قبلها (قل يا أيها الناس انما أنا نذير مبين فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم) أمره سبحانه ان يخبر الناس بانه نذير لهم بين يدي الساعة مبين لهم منازل الهم فمن آمن وعمل صالحا فاز بالمغفرة وسر الذنوب ومن كان على خلاف ذلك فهو في النار والرزق الكريم الجنة والكريم من كل نوع ما يجمع فضائله ويجوز كماله (والذين سعوا في آياتنا) أي اجتهدوا في ابطالها حيث قالوا القرآن شعرا أو سحر أو أساطير الاولين (معاجزين) يقال عاجز سابقه لان كل واحد منهم ما في طلب اعجاز الآخر فاذا سبقه قبل أعجزه وعجزه قاله الاخفش وقيل معناه ظانين ومقدرين ان يعجز الله سبحانه ويقتوه فلا يعذبهم قاله الزجاج وقيل معاندين قاله القراء وقال ابن عباس مر اغني وندشاقين (أولئك أصحاب الجحيم) أي النار الموقدة (وما أرسلنا من قبلك) من لا ابتداء الغاية وهذا شروع في تسليمة ثانية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد التسليمة الاولى (من رسول ولانبي) من زائدة تنافي كد التقي وفيه دليل بين على ثبوت التغاير بين الرسول والنبي وسئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الانبياء فقال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا فقبل فكلم الرسل منهم فقال ثلثمائة وثلاثة عشر والفرق بينهم ما ان الرسول الذي أرسل الى الخلق بارسال جبريل اليه عيانا ومحاورته شداها والنبي الذي يكون وحيه الهاما أو منما وقيل الرسول من بعث بشرع وأمر بتبليغه والنبي من أمر ان يدعو الى شريعة من قبله ولم ينزل عليه كتاب ولا بدله ما جتمع من المعجزة الظاهرة وقرأ ابن مسعود ولا نبى ولا محدث وعن سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف مثله وزاد فتسخت محدث قال والمحدثون صاحب يس ولقد مان ومومن آل فرعون وصاحب موسى (الا اذا اتنى ألقى الشيطان في أمنيته) معنى غنى تشهيه وهيا في نفسه ما هو اه قال الواحدى قال المفسرون معنى غنى فلا قال جماعة المفسرين في سبب نزول هذه الآية انه

ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا اي لا يتبعك ولا يدفع عنك ضررا يا أبت اني قد جئتني من العلم ما لم يأتك يقول وان كنت من صلبك وتراني أصغر منك لاني ولدك فاعلم اني قد اطلعت من العلم من الله على ما لم تعلم انت ولا اطلعت عليه ولا جاءك بعد فاتبعني أهدك صراطا سويا أي طريقا مستقيما موصلا الى نيل المطلوب والنجاة من المروء يا أبت لا تعبد الشيطان أي لا تطعه في عبادتك هذه الاصنام فانه هو الداعي الى ذلك والراضي به كما قال تعالى ألم أعهد اليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه اسكنكم عدو مبين وقال ان يدعون من دونه الا انا وان يدعون الا شيطانا هميدا وقوله ان الشيطان كان للرجن عصيا اي مخالفا مستكبرا عن طاعة ربه فطرده وابعده فلا تتبعه تصر مثل يا أبت اني أخاف ان يسلك عذاب من الرجن أي على شركك وعصيانك لما أمرك به فتكون للشيطان ويا يعنى فلا يكون لك مولى ولا ناصر ولا مغيثا الا بالمس وليس اليه ولا الى غيره من الامم شيء بل اتباعك له موجب

لاحاطة العذاب بل كما قال تعالى تالله لقد أرسلنا الى امة من قبلك فزينا لهم الشيطان اعمالهم فهو وليهم اليوم وله - م عذاب أليم
(قال اراغب انت عن آلهي يا ابراهيم لئن لم تنته لارجنك واهجرني مليا قال سلام عليك سأستغفر لك ربى انه كان بى حنيا واعتزلكم
وماتدعون من دون الله وأدعوربى عسى أن لا أكون بدعا ربى شقيا) يقول تعالى مخبرا عن جواب أبى ابراهيم لولده ابراهيم
فيما دعاه اليه انه قال اراغب انت عن آلهي يا ابراهيم يعنى اما تريد عبادتها ولا ترضاها فانت عن سبها وشتمها وعيها فانك ان لم تنته
عن ذلك اقتصت منك وشمتك وسبيتك وهو قوله لارجنك قاله ابن عباس والسدى وابن جرير والخالك وغيرهم وقوله
واهجرني مليا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبيرة ومحمد بن اسحق يعنى دهر او قال الحسن البصرى زمانا طويلا وقال السدى
واهجرني مليا قال أبو داود قال علي بن أبي طلحة (٢٠٠) والعوفى عن ابن عباس واهجرني مليا قال سوياسا لما قيل ان

تصيبك منى عتوبة وكذا قال
الخالك وقتادة وعطية الجدى
ومالك وغيرهم واختاره ابن جرير
فعندما قال ابراهيم لاييه سلام
عليك كما قال تعالى فى صفة
المؤمنين واذا خاطبهم الجاهلون قالوا
سلاما وقال تعالى واذا سمعوا للغو
أعرضوا عنه وقالوا إنما أعمالنا
والكم أعمالكم سلام عليكم
لا نشتغى الجاهلين ومعنى قول
ابراهيم لاييه سلام عليك يعنى اما
أنا فلا يملك منى مكره ولا اذى
وذلك خزيمة الابوة سأستغفر لك ربى
واكن سأسأل الله فيك ان يهدى
ويغفر ذنبك انه كان بى حنيا قال
ابن عباس وعيره لطيفا الى ان
هدانى لعبادته والاخلال له
وقال قتادة ومجاهد وغيرهما انه
كان بى حنيا قال عوده الاجابة
وقال السدى الحنى الذى يهتم بأمره
وقد استغفر ابراهيم صلى الله عليه
وسلم لاييه مدة طويلة وبعد ان
هاجر الى الشام وبني المسجد الحرام

صلى الله عليه وآله وسلم لما شق عليه اعراض قومه عنه تنى فى نفسه أن لا ينزل عليه شئ
ينفرهم عنه لحرصه على ايمانهم فكان ذات يوم بالساقى نادى نادىهم وأدبهم وقد نزل عليه
سورة النجم اذا هوى فأخذها يقرؤها عليهم - م حتى بلغ قوله أفرأيتم اللات والعزى ونساء
النائلة الاخرى وكان ذلك التنى فى نفسه جرى على لسانه مما القاه الشيطان عليه تلك
الغرائب فى العلى وان شفعاءهم اترجى فلما سمعت قرىش ذلك فرحوا ومضى رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم فى قراءته حتى ختم السورة فلما سمع فى آخرها سمع معه جميع من
فى النادى من المسلمين والمشرىكين ففرقت قرىش سرورين بذلك وقالوا قد ذكر محمد
آلهتنا بأحسن الذكرا فاهجر بل فقال ما صنعت تلوت على الناس ما لم آت به عن الله
فخرن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخافوا فاشدوا فأمر الله هذه الآية هكذا
قالوا ولم يصح شئ من هذا ولا ثبت بوجه من الوجوه ومع عدم صحته بل بطلانه فقد دفعه
الحق بكتاب الله سبحانه حيث قال الله تعالى ولتقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا
منه باليمين ثم لقطع عنا منه الوتين وتوله وما ينطق عن الهوى وقوله ولولا أن ينشأ لك
كدت تركن اليهم - م ففى المقابلة للكون فضلا عن الركون قال البزار هذا حديث لا نعلمه
يروى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم باسناد متصل وقال البيهقى هذه القصة غير ثابتة
من جهة النقل ثم أخذيتكم ان رواة هذه القصة مطعون فيهم وقال امام الأئمة ابن خزيمة
ان هذه القصة من وضع الزاذقة قال القاسمى عياض فى الشفاء ان الامة أجمعت فيما
طريقه البلاغ أنه معصوم فيه من الاخبار عن شئ يخلاف ما هو عليه لا قصدا ولا عمدا
ولا بهوا ولا غطا قال الرازى هذه القصة باطلة موضوعة لا يجوز القول بها قال تعالى
وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى وقال تعالى سمعنا وأطعنا ولا شك ان
من جاوز على الرسول تعظيم الاوثان فقد كفر لان من المعلوم بالضرورة ان أعظم سعة كان
فى نفي الاوثان ولو جوزنا ذلك لارتفع الامان عن شرعه وجوزنا فى كل واحد من الأحكام

وبعد أن ولده اسمعيل واحقق عليه ما السلام فى قوله ربما اغترلى ولو الذى ولله مؤمنين يوم يقوم الحساب والشرايع
وقد استغفر المسلمون لقرباتهم وأهل بيته من المشرىكين فى ابتداء الاسلام وذلك اقتدا بابراهيم الخليل فى ذلك حتى أنزل الله تعالى قد
كان لكم اسوة حسنة فى ابراهيم - م والذى معه اذ قالوا القوم هم انابرآمتكم ومما تعبدون من دون الله الى قوله الا قول ابراهيم لاييه
لاستغفر لك وما أملك لك من الله من شئ الآية يعنى الا فى هذا القول فلا تتأسوا به ثم بين تعالى ان ابراهيم أطلع عن ذلك ورجع عنه
فقال تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية الى قوله وما كان استغفار ابراهيم - م لاييه الا عن موعدة وعدها
ايها فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه ان ابراهيم لا واهليم وقوله وأعتزلكم وماتدعون من دون الله وأدعوربى أى أجتنبكم وأتبرأ
منكم ومن آلهتكم التى تعبدونها من دون الله وأدعوربى أى وأعبد ربى وحده لا شريك له عسى ان لا اكون بدعا ربى شقيا

وعسى هذه موجبة لا محالة فانه عليه السلام سيد الانبياء بعد محمد صلى الله عليه وسلم (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله
وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلناهم لسان صدق عليا) يقول تعالى فلما اعتزل الخليل اياه
وقومه في الله أبدله الله من هو خـ برمنهم ووهب له اسحق ويعقوب يعني ابنه وابن اسحق كما قال في الآية الاخرى ويعقوب نافله
وقال ومن وراء اسحق يعقوب ولا خلاف ان اسحق والديعقوب وهونص القرآن في سورة البقرة أم كنتم شهداء إذ حضر
يعقوب الموت اذ قال لبيته ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله آباءك ابراهيم واسماعيل واسحق ولهذا انما ذكره هنا اسحق
ويعقوب أي جعلنا له نسلا وعقباً أنبياء أقر الله بهم عينه في حياته ولهذا قال وكلا جعلنا نبيا فلم يكن يعقوب عليه السلام قد نبى
في حياة ابراهيم لما اقتصر عليه ولذا كروله يوسف فانه نبى أيضا كما قال (٢٠١) رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق

على صحته حين سئل عن خير
الناس فقال يوسف نبي الله ابن
يعقوب نبي الله ابن اسحق نبي الله
ابن ابراهيم خليل الله وفي اللفظ
الاخر ان الكريم ابن الكريم ابن
الكريم ابن الكريم يوسف بن
يعقوب بن اسحق بن ابراهيم وقوله
ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم
لسان صدق عليا قال علي بن أبي
طلحة عن ابن عباس يعني الثناء
الحسن وكذا قال السدي ومالك
ابن أنس وقال ابن جرير انما قال
عليان جميع الملل والاديان ينون
عليهم ويمدحونهم صلوات الله
وسلامه عليهم أجمعين (واذكر
في الكتاب موسى انه كان مخلصا
وكان رسولا نبيا نذاه من جانب
الطور الايمن وقرناه نجيا ووهبنا
له من رحمتنا أخاه هرون نبيا لما ذكر
تعالى ابراهيم الخليل وأثنى عليه
عطف بذكر التكليم فقال واذا كرفي
الكتاب موسى انه كان مخلصا قرا

والشرائع ان يكون كذلك أي مما ألقاه الشيطان على لسانه ويطلق قوله تعالى بلغ ما أنزل
اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته فانه لافرق عند العقل بين نقصان من الوحي
وبين الزيادة فيه فبهذه الوجوه النقلية والعقلية عرفنا على سبيل الاجال ان هذه القصة
موضوعة انتهى لمخضا قال ابن كثير قد ذكر كثير من المفسرين ههنا قصة الغرائيق وما كان
من رجوع كثير من المهاجرين الى أرض الحبشة ظنا منهم ان مشركي قريش قد أسلموا
ولكنهم من طرق كلها مرسله ولم أرها مسندة من وجه صحيح والحاصل ان جميع الروايات
في هذا الباب امام مرسله أو منقطعة لا تقوم الحجة بشئ منها وقد أسلفنا عن الحفاظ في هذا
البحث ما فيه كفاية وفي الباب روايات من أحب الوقوف على جميعها فلينظره في الدر
المشور للسيروطي ولا يأتي التطويل بذكرها هنا بفائدة فقد عرفنا ان جميعها لا تقوم
بها الحجة لانه لم يروها أحد من أهل الصحة ولا أسندها ثقة بسند صحيح أو سليم متصل وانما
رواها المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب الملقون من الصحف كل صحيح وسقيم
وقد دل على ضعف هذه القصة اضطراب روايتها وانقطاع أسندها واختلاف ألفاظها
والذي جاء في الصحيح من حديث ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قرأ النجم
فسجد فيها وسجد من كان معه غير ابن شيخان قريش أخذ كذا من حدى أو تراب فرفعه
الى جبهته قال عبد الله فليقدر آيته بعد قتل كافرا أخرجه البخاري ومسلم وصح من
حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سجد بالنجم وسجد معه المسلمون
والمشركون والجن والانس رواه البخاري فهذا الذي جاء في الصحيح لم يذكرفيه ان النبي صلى
الله عليه وآله وسلم ذكر تلك الالفاظ ولا قرأها والذي ذكره المفسرون عن ابن عباس في هذه
القصة فقد رواه عنه الكلبى وهو ضعيف جدا بل متروك لا يعتمد عليه وكذا أخرجه
النحاس بسند آخر فيه الواقدي فهذا توهمين هذه القصة وقد أجابوا عنه من حيث المعنى
بوجوه أخرى يطول ذكرها بلا فائدة زائدة وقد استوفاهما الخازن في تفسيره والنسقي في

(٢٦ فتح البيان سادس) بعضهم بكسر اللام من الاخلاص في العبادة قال الثوري عن عبد العزيز بن رفيع عن أبي ثمامة قال
قال الحواريون يا روح الله أخبرنا عن الخلد لله قال الذي يعمل لله لا يحب ان يحمد الله الناس وقرأ الآخرون بفتحها بمعنى انه كان
مصطفى كما قال تعالى اني اصطفيتك على الناس وكان رسولا نبيا جمع بين الوصفين فانه كان من المرسلين البكار وأولى العزم الخمسة
وهم نوح و ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم وسلم على سائر الانبياء أجمعين وقوله ونادى نياه من جانب الطور
أي الجبل الايمن أي من جانبه الايمن من موسى حين ذهب يبتغي من تلك النار جذوة فقرأها تلوح فقصدتها فوجدها في جانب الطور
الايمن منه غريبه عند شاطئ الوادى فكلمه الله تعالى وناداه وقر به فناداه روى ابن جرير حدثنا ابن يسار حدثنا يحيى هو القطان
حدثنا سفيان عن عطاء بن يسار عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس وقر نياه نجيا قال أدنى حتى سمع صريف القلم وهكذا قال مجاهد

وأبو العالية وغيرهم يعنون صريف القلم بكتابة التوراة وقال السدي وقرئناه نجيا قال ادخل في السماء فكلهم عن مجاهد نحوه وقال عبد الرزاق عن معمر بن قتادة وقرئناه نجيا قال نجيا صدقه وروى ابن أبي حاتم حدثنا عبد الجبار بن عاصم حدثنا محمد بن سلمة الحراني عن أبي الواصل عن شهر بن حوشب عن عمرو بن معد يكرب قال لما قرب الله موسى نجيا بطور سيناء قال يا موسى اذ خلقت لك قلبا شاكر أو لسانا ذا كرا أو زوجة تعين على الخير فلم اخزن عنك من الخير شيئا ومن اخزن عنه هذا فلم افتح له من الخير شيئا وقوله ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا أي وأجبنا سؤل الله وشنا عنه في اخيه فجعلناه نبيا كما قال في الآية الاخرى واخي هرون هو افسح مني لسانا فارس له معي ردأ يصدقني اني أخاف ان يكذبون وقال قدأوتيت سؤلك يا موسى وقال فارس له الى هرون ولهم على ذنب فآخاف أن يقتلوا ولهذا قال بعض السلف (٢٠٢) ما شفيع أحد في أحد شفاعا في الدنيا أعظم من شفاعا موسى في هرون ان

يكون نبيا قال الله تعالى ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا قال ابن جرير حدثنا يعقوب بن حدثنا ابن عليه عن داود عن عكرمة قال قال ابن عباس قوله ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا قال كان هرون أكبر من موسى ولكن أراد وهب له نبوة وقد ذكر ابن أبي حاتم معلقا عن يعقوب وهو ابن ابراهيم الدوري به (واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادقا للوعد وكان رسولا نبيا وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا) هذا ثناء من الله تعالى على اسمعيل بن ابراهيم الخليل عليه السلام وهو والد العرب الحجاز كلهم بأنه كان صادقا للوعد قال ابن جرير لم يعد ربه عدة الا انجزها يعني ما التزم عبادة قط بنذر الا قام بها او فاهأحتها وقال ابن جرير حدثني يونس انبأنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث ان سهل بن عقيل

المدارك وثبه الحافظ ابن حجر على ثبوت أصلها في الجملة وقال ان ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح لكنها من اسبيل واذا انقر ذلك بطلان ذلك عرفت ان معنى تثنى قرأوا كما قدمنا من حكاية الواحد في ذلك عن المفسرين قال البغوي ان أكثر المفسرين قالوا معنى تثنى تلاوا قرأ كتاب الله ومعنى ألقى الشيطان في أمنيته أي في تلاوته وقراءته قال ابن جرير هذا القول أشبه بتأويل الكلام ويؤيد هذا ما تقدم في تفسير قوله لا يعلمون الكتاب الا أماني وقبل معنى تثنى حدث ومعنى في أمنيته في حديثه روى هذا عن ابن عباس وقيل معنى تثنى قال فاضل معنى الآية ان الشيطان أوقع في مسامع المشركين ذلك من دون ان يتكلم به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم ولا جرى على لسانه فتكون هذه الآية تسليية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أي لا يهولك ذلك ولا يحزنك فقد أصاب مثل هذا من قبلك من المرسلين والانبياء وعلى تقدير ان معنى تثنى حدث نفسه كما أحكامه القراء والكسائي فانه ما قال لا يقال تثنى اذا حدث نفسه فالمعنى انه اذا حدث نفسه بشئ تكلم به الشيطان وألقاه في مسامع الناس من دون ان يتكلم به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا جرى على لسانه قال ابن عطية لا خلاف ان القاء الشيطان انما هو لالفاظ مسموعة وتعت بها الفتنة قال القاضي عياض وهذا أحسن الوجوه وهو الذي يظهر ترجيحه وكذا استحسن ابن العربي هذا التأويل وقال في أمنيته في تلاوته وقد قيل في تأويل الآية ان المراد بالغرائق الملائكة ويرد بقوله الا تني فيمنسخ الله ما يلقي الشيطان أي يطله وشفاعا الملائكة غير باطلة وقيل ان ذلك جرى على لسانه سهوا ونسيانا وهم ما يجوز ان على الانبياء ويرد بان السهو والنسيان فيما طريقه البلاغ غير جائز كما هو مقرر في مواطنه قال الضحاك يعني بالثني التلاوة والقراءة فيمنسخ الله أي جبريل بأمر الله ما ألقى الشيطان على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال مجاهد اذا تثنى أي تكلم وأمنيته كلامه فاخبر تعالى في هذه الآية ان سنة الله في رسوله اذا قالوا قولنا زاد الشيطان فيه من

حدثه ان اسمعيل النبي عليه السلام وعد رجلا مكانا ان يأتيه بخاء ونسي الرجل فظل به اسمعيل ويات قبل حتى جاء الرجل من الغد فقال ما برحت من ههنا قال لا قال اني نسيت قال لم أكن لأبرح حتى تأتيني فلذلك كان صادقا للوعد وقال سفيان الثوري بلغني انه أقام في ذلك المكان ينتظره حولا حتى جاءه وقال ابن شاذان بلغني انه اتخذ ذلك الموضع مسكنا وقد روى أبو داود في سننه وأبو بكر محمد بن جعفر الخرائطي في كتابه مكارم الاخلاق من طريق ابراهيم بن طهمان عن عبيد الله بن ميسرة عن عبد الكريم يعني ابن عبد الله بن شقيق عن أبيه عن عبد الله بن أبي الحساة قال بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث فبقيت له على بقية فوعده ان آتية بها في مكانه ذلك قال فنسيت يومى والغد فأنيته في اليوم الثالث وهو في مكانه ذلك فقال لي يا فتى لقد شققت على انا ههنا منذ ثلاث أنتظر لك لفظ الخرائطي وساق آثارا حسنة في ذلك ورواه ابن منده أبو عبد الله في كتاب

معرفة الصحابة له باسناده عن ابراهيم بن طهمان عن بديل بن ميسرة عن عبد الكريم وقال بعضهم انما قيل له صادق الوعد لانه قال لا يسه سجدتي ان شاء الله من الصابر بن فصدق في ذلك فصدق الوعد من الصفات الحميدة كما ان خلفه من الصفات الذميمة قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا مالا تفعلون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان ولما كانت هذه صفات المنافقين كان التلبس بضدها من صفات المؤمنين ولهذا انى الله على عبده ورسوله اسمعيل بصدق الوعد وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم صادق الوعد ايضا لا بعد أحد شيئا الا وفي له به وقد انى على ابي العاص بن الربيع زوج ابنته زينب فقال حدثني فصدقني ووعدني فوفى لي ولما توفي النبي صلى الله عليه وسلم قال الخليفة ابو بكر الصديق من كان له عند رسول الله (٢٠٣) صلى الله عليه وسلم عدة أو دين فلما انى انجزه نجاه جابر بن عبد الله فقال ان

قبل نفسه فهذا نص في أن الشيطان زاد في قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قاله لانه معصوم وقد سبق الى ذلك الطبري مع جلالة قدره وسعة علمه وشدة ساعده في النظر فصول هذا المعنى قاله الحافظ في التلخيص لماسلامه سبحانه بهذه التسلية وانها قد وقعت لمن قبله من الرسل والانبياء بين سبحانه انه يبطل ذلك ولا يثبت ولا يستقر تغير الشيطان به فقال (فينسخ الله ما يلقي الشيطان) أي يبطله ويجعله ذاهبا غير ثابت (ثم يحكم الله آياته) أي يثبتها (والله عليم حكيم) أي كثير العلم والحكمة في كل أقواله وافعاله (ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة) تعليل أي ذلك الاتقاء الذي يلقيه الشيطان ضلالة ومحنة وبلية (للذين في قلوبهم مرض) أي شك ونفاق (والقاسية قلوبهم) هم المشركون فان قلوبهم لم تلتين للحق أبدا ولا ترجع الى الصواب بحال ثم جعل سبحانه على هاتين الطائفتين بأنهم ظالمون فقال (وان الظالمين انى شقاق بعيد) أي عداوة شديدة ووصف الشقاق بالبعد مبالغة والموصوف به حقيقة من قام به ولما بين سبحانه ان ذلك الالتقاء كان فتنة في حق أهل النفاق والشك والشرك بين انه في حق المؤمنين العالمين بالله العارفين به سبب لحصول العلم لهم بأن القرآن حق وصدق فقال (وليعلم الذين أوتوا العلم) أي التوحيد والقرآن والتصديق بنسخ الله ما يشاء (انه الحق من ربك) أي الحق النازل من عنده وقبل الضمير في انه راجع الى تمكين الشيطان من الالتقاء لانه مما جرت به عادته مع أنبيائه ولكنه يرد هذا قوله (فيؤمنوا به) فان المراد الايمان بالقرآن أي يثبتوا على الايمان به (فثبت له قلوبهم) أي تحشع وتسكن وتتقاد فان الايمان به واخبات القلوب له لا يمكن ان يكونا تمكين من الشيطان بل للقرآن (وان الله لهادى الذين آمنوا) في أمور دينهم (الى صراط مستقيم) أي طريق صحيح قوي لا عوج به وقرى لهادى بالتنوين (ولا يزال الذين كفروا في مريية منه) أي في شك من القرآن وقيل من الدين الذي يدل عليه ذكر الصراط المستقيم وقيل من الرسول وقيل من القاء الشيطان

خفاء جابر بن عبد الله فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قال لو قد جاء مال البحرين أعطيت هكذا وهكذا وهكذا يعنى ملء كفيه فلما جاء مال البحرين أمر الصديق جابر فاعرف بيديه من المال ثم أمره بعده فاذا هو وخسمائة درهم فأعطاه مثليها معها وقوله وكان رسولا نبيا في هذا دلالة على شرف اسمعيل على أخيه اسحق لانه انما وصى بالنبوته فقط واسمعيل وصى بالنبوته والرسالة وقد ثبت في صحيح مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل وذكر تمام الحديث فدل على صحة ما قلناه وقوله وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا هذا ايضا من الثناء الجميل والصفة الحميدة والخلة السديدة حيث كان صابرا على طاعة ربه عز وجل أمر اهلها له كما قال تعالى لرسوله

وأمر أهله بالصلاة واصطبر على الأتية وقال يا ايها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليهم املا مكة غلاظ شدد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون أي مروهم بالمعروف وانهم وهم عن المنكر ولا تدعوهم هم لافقأ كلهم النار يوم القيامة وقد جاء في الحديث عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم رحم الله رجلا قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فان أبته نضح في وجهها الماء رحم الله امرأته قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فان أبته نضحت في وجهه الماء أخرجه أبو داود وابن ماجه وعن ابي سعيد وأبي هريرة رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم لم اذا استيقظ الرجل من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين كتب من كتابين الذين كثروا والذاكرات رآه أبو داود والنسائي وابن ماجه واللفظ له (واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا ورفعهما مكانا عليا) ذكر ادريس عليه السلام بالثناء علمه بأنه كان صدقا نبيا وان الله

رفعه مكانا عليا وقد تقدم في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر به في ليلة الاسراء وهو في السماء الرابعة وقد روى ابن جرير ههنا اثر اغريبيا عجيبا فقال حدثني يونس بن عبد الاعلى انما نا ابن وهب اخبرني جرير بن حازم عن سايان الاعشى عن شمر بن عطية عن هلال بن يساف قال سأل ابن عباس كعبا واثا حاضر فقال له ما قول الله عز وجل لا دريس ورفعهما مكانا عليا فقال كعب اما دريس فان الله أوحى اليه انى أرفع لك كل يوم مثل عمل جميع بنى آدم فاحب ان يزاد عملا فانه خليل له من الملائكة فقال له ان الله أوحى الى كذا وكذا فكم لي ملك الموت فليؤخرنى حتى أزداد عملا فعمله بين جناحيه حتى صعد به الى السماء فلما كان في السماء الرابعة تلقاهم ملك الموت منحدرا فكلهم ملك الموت في الذى كلمه فيه ادريس فقال وأين ادريس فقال هو ذا على ظهري قال ملك الموت فالحجب بعثت وقيل لي اقبط روح ادريس (٢٠٤) في السماء الرابعة فجعلت أقول كيف أقبط روحه في السماء الرابعة وهو

في الارض فقبض روحه هناك فذلك قول الله ورفعهما مكانا عليا هـ ذا من أخبار كعب الاحبار الاسرائيليات وفي بعضه نكارة والله أعلم وقد رواه ابن أبي حاتم من وجه آخر عن ابن عباس انه سأل كعبا فذكر شيئا مما تقدم غير انه قال لذلك الملاك هل لك ان تأله به فبني ملك الموت كم بقي من أجلى لى كى ازداد من العمل وذ كر باقيه وفيه انه لما سأله عما بقي من أجلى له قال لا أدري حتى انظر فنظر ثم قال انك تسألنى عن رجل ما بقي من عمره الا طرفة عين فنظر الملك تحت جناحه فاذا هو قد قبض عليه السلام وهو لا يشعر به ثم رواه من وجه آخر عن ابن عباس ان ادريس كان خياطا فكان لا يغرز ابرة الا قال سبحان الله في مكان عسى حين عسى وليس في الارض أحد أفضل علامته وذ كر بقمته كالذى قبله أو نحوه وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ورفعهما مكانا عليا

فيقولون ما باله ذكر الاصنام بخير ثم رجع عن ذلك وقرئ مرية بضم الميم وهما الغتان مشهورتان وظاهر كلام أبي البقاء انه ما قرأنا قال السمين: لا أحفظ الضم هنا (حتى تأتهم الساعة) أى القيامة أو الموت (بغثة) أى فجأة (أو بآتهم عذاب يوم عقيم) وهو يوم القيامة لانه لا يوم بعده فكان بهذا الاعتبار عقيما وهو في اللغة من لا يكون له ولد ولما كانت الأيام تتوالى جعل ذلك كهيئة الولادة ولم يكن بعد ذلك اليوم يوم وصف بالعقم وقيل يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر قاله ابن عباس وعن أبي بن كعب نحوه وعن سعيد بن جبيرة وعكرمة مثله وعن مجاهد قال يوم القيامة لا ليلة له وعن الخليل وسعيد مثله أيضا وقيل ان اليوم وصف بالعقم لانه لا رافة فيه ولا رجعة فكانه عقيم من الخير ومنه قوله تعالى فارسلنا عليهم الريح العقيم أى التي لا خير فيها ولا تأتي عطر وفيه استعارة بالكناية بان شبه اليوم المنفرد عن سائر الأيام والزمان الذي لا خير فيه بالنساء العقيم تشبيها مضرا في النفس واثبات العقم تخييل فان الايام بعضها نتائج لبعض فكل يوم يلد مثله (الملك يومئذ) أى السلطان الظاهر والاستيلاء التام يوم القيامة والتنوين عوض عن الجملة أى يوم يؤمنون أو يوم تزول مرية ثم (لله) سبحانه وحده لا منازع له فيه ولا مدافع له عنه (يتحكم) أى ينصل (بينهم) مستأنفة أو هي طائفة ثم فسر هذا الحكم بقوله (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات) كانوا (في جنات النعيم) مستقرون في أرضها منعمون في نعيمها فضلا من الله (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) أى جمعوا بين الكفر بالله والتكذيب بآياته (فأولئك لهم عذاب) متصف بأنه (مهين) للمعذنين بالغ منهم المبلغ العظيم بسبب كفرهم (والذين هاجروا في سبيل الله) أفرد سبحانه المهاجرين بالذ كر تخصص مصالحهم بزيادة الشرف وتنفيم ما لسانهم قال بعض المفسرين هم الذين هاجروا من مكة الى المدينة وقال بعضهم الذين هاجروا من الاوطان في سرية أو عسكر ولا يعد جمل ذلك على الامرين والسكنى في سبيل الله وطاعته (ثم قتلوا) وقرئ مشددا

قال ادريس رفع ولم يمت كما رفع عيسى وقال سفيان عن منصور عن مجاهد ورفعهما مكانا عليا قال السماء الرابعة وقال العوفي عن ابن عباس ورفعهما مكانا عليا قال رفع الى السماء السادسة فبات بها وهكذا قال الضحاك بن مزاحم وقال الحسن وغيره في قوله ورفعهما مكانا عليا قال الجنة (أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم ومن جملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل ومن هـ دينا واجتينا اذا نتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا) يقول تعالى هؤلاء النبيون وليس المراد المذكورين في هـ هذه السورة فقط بل جنس الانبياء عليهم السلام استطراد من ذكر الأشخاص الى الجنس الذى أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم الآية قال السدى وابن جرير رحمه الله فالذى عنى به من ذرية آدم ادريس والذى عنى به من جملنا مع نوح ابراهيم والذى عنى به من ذرية ابراهيم اسحق ويعقوب واسماعيل والذى عنى به من ذرية اسرائيل موسى وهرون وزكريا ويحيى

وعيسى بن مريم قال ابن جرير ولذلك فرق أنسابهم وان كان يجمع جميعهم آدم لان فيهم من ليس من ولد من كان مع نوح في السفينة وهو ادريس فانه جد نوح (قلت) هذا هو الاظهر ان ادريس في عمود نسب نوح عليهم السلام وقد قيل انه من أنبياء بني اسرائيل اخذ من حديث الاسراء حيث قال في سلامه على النبي صلى الله عليه وسلم مر حبا بالنبي الصالح والاخ الصالح ولم يقل والولد الصالح كما قال آدم و ابراهيم عليهم السلام وروى ابن أبي حاتم حدثنا يونس أنبا نا بن وهب أخبرني ابن لهيعة عن يزيد بن حبيب بن عبد الله بن عمرو أن ادريس أقدم من نوح فبعثه الله الى قومه فامرهم ان يقولوا لا اله الا الله ويعملوا ما شاؤا فاقبلوا فاهلكهم الله عز وجل وعما يؤيد ان المراد بهذه الآية جنس الانبياء انها كقوله تعالى في سورة الانعام وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا (٢٠٥) من قبل ومن ذريته داود وسليمان

وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجرى الحسين وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين واسمعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ومن آباءهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم الى قوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال سبحانه وتعالى منهم من قصصنا علىك ومنهم من لم نقصص عليك وفي صحيح البخارى عن مجاهد انه سأل ابن عباس أفى ص سجدة فقال نعم ثم تلا هذه الآية أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فنيكم عن أمران يقتدى بهم قال وهو منهم يعنى داود وقال الله تعالى في هذه الآية الكريمة اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا اذا سمعوا كلام الله المتضمن حجة

على التكثير (أو ما نوا) في حال المهاجرة (ليرزقهم الله) جواب قسم محذوف (رزقا) أى مرزوقا (حسنا) أو مصدر مؤكد وفيه دليل على وقوع الجملة القسمية خبر للمبتدأ ومن يعمه فقوله مرجوح والرزق الحسن هو نعيم الجنة الذى لا ينقطع وقيل هو الغنمة لانه حلال وقيل هو العلم والفهم كقول شعيب ورزقى منه رزقا حسنا والتسوية في الوعد بالرزق لا يدل على تفضيل في قدر المعطى ولا تسوية فان يكن تفضيل فن دليل آخر والمقرر في كتب الفروع ان المقتول أفضل لانه شهيد وقد أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن سلمان الفارسي انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول من مات مرابطا أجرى الله عليه مثل ذلك الاجر وجرى عليه الرزق وأمن من الثقتين اقرؤا ان شئتم والذين هاجر والى قوله حلیم (قلت) ويؤيد هذا قوله سبحانه ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله (وان الله له خير الرازقين) أى أفضل لهم فانه سبحانه يرزق بغير حساب بمحض الاحسان وكل رزق يجري على يد العباد بعضهم لبعض فهو منه سبحانه لارازق سواء ولا معطى غيره والجملة تذييل مقرر لما قبلها ولما ذكر الرزق أعقبه بذكر المسكن بقوله (ليدخلنهم مدخلا يرضونه) مستأنفة أو بدل من جملة ليرزقهم الله قرئ مدخلا بفتح الميم وبضمها وهو اسم مكان أريد به الجنة أو مصدر ميمي مؤكدا للفعلى المذكور وقد مضى الكلام على مثل هذا في سورة سبحان وفي هذا من الامتنان عليهم والتبشير لهم ما لا يتبادر قدره فان المدخل الذى يرضونه هو الاوفى لنفوسهم والاقترب الى طلبهم على انهم يرون في الجنة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وذلك هو الذى يرضونه وفوق الرضا (وان الله لعليم) بدرجات العاملين ومراتب استحقاقهم وقيل بأحوال من قضى شحبه مجاهدا وآمال من مات وهو ينتظر معاهدا (حلیم) عن تضريط المنظرين منهم بامهال من قاتلهم معاندا لا يعاجلهم بالعقوبة (ذلك) أى ما تقدم أو الامر ذلك وما بعده مستأنف وقال الزجاج أى الامر

ودلائله وبراينه وسجدوا لربهم خضوعا واستكانة كما دعا وشكرا على ما هم فيه من النعم العظيمة والبكى جمع بالك فلماذا أجمع العلماء على شريعة السجود ههنا اقتداء بهم واتباعا لما هو لهم قال سفيان الثوري عن الامش عن ابراهيم عن أبي معمر قال قرأ عمر بن الخطاب رضى الله عنه سورة مريم فسجد وقال هذا السجود فأين البكى يريد البكاء رواه ابن أبي حاتم وابن جرير وسقط من روايته ذكر أبى معمر فيما رأيت قاله أعلم (نخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا الا من تاب وآمن وعمل صالحا فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا) لما ذكر تعالى حرب السعداء وهم الانبياء عليهم السلام ومن اتبعهم من القائلين بسجود الله وأوامره المؤيد من فرائض الله التاركين لزواجه ذكرانه خلف من بعدهم خلف أى قرون أخرضاعوا الصلاة واذا أضاعوها فهم لما سواها من الواجبات أضيع لانها عماد الدين وقوامه وخير اعمال العباد وأقبلوا على شهوات الدنيا وملازها ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها فهو لا سيملقون غيا أى خسار يوم القيامة وقد اختلفنا في المراد بأضاعة الصلاة ههنا فقال

قائلون المراد بضاعتهم تركها بالصلاة قاله محمد بن كعب القرظي وابن زيد بن أسلم والسدي واختاره ابن جرير ولهذه اذهب من ذهب من السلف والخلف والائمة كما هو المشهور عن الامام أحمد وقول عن الشافعي الى تكفير تارك الصلاة للعديث بين العبد وبين الشرك ترك الصلاة والحديث الآخر العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر وليس هذا محل بسط هذه المسئلة وقال الاوزاعي عن موسى بن عثمان عن القاسم بن مخيمرة في قوله خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة قال انما أضاعوا المواقيت ولو كان تركا كان كفرا وقال وكيع عن المسعودي عن القاسم بن عبد الرحمن والحسن بن سعيد عن ابن مسعود انه قيل له ان الله يكثر ذكر الصلاة في القرآن الذين هم عن صلاتهم ساهون وعلى صلاتهم دائمون وعلى صلاتهم يحافظون فقال ابن مسعود على مواقيتها قالوا ما كنا نرى ذلك الا على الترك قال ذلك (٢٠٦) الكفر وقال مسروق لا يحافظ أحد على الصلوات الخمس فيكتب من الغافلين

وفي افراطهن الهلكة وافرطهن اضاعتن عن وقتهن وقال الاوزاعي عن ابراهيم بن يزيد ان عمر بن عبد العزيز قرأ خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياثم قال لم تكن اضاعتهم تركها ولكن أضاعوا الوقت وقال ابن أبي نجيج عن مجاهد خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات قال عند قيام الساعة وذهب صالحى أمة محمد صلى الله عليه وسلم ينزوا بعضهم على بعض في الآخرة وكذا روى ابن جرير عن مجاهد مثله وروى جابر الجعفي عن مجاهد وعكرمة وعطاء ابن أبي رباح انهم من هذه الامة يعنون في آخر الزمان وقال ابن جرير حدثني الحرث حدثنا الحسن الاشيب حدثنا شريك عن ابراهيم بن مهاجر عن مجاهد خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات قال هم في هذه

ما قصصنا عليكم من انجاز الوعد لله هاجر بن خاصة اذا قتلوا أو ما نوافهوا على هذا خبر مبتدأ محذوف (ومن عاقب بمثل ما عوقب به) أى من جازى الظالم بمثل ما ظلمه والعقاب ما أخذ من التعاقب وهو مجيء الشيء بعد غيره وحينئذ يسمى الابتداء عقابا باسم الجزاء مشابها لكقوله وجرأسيئة سيئة مثلها وقوله في اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم أو من قبيل تسمية السبب باسم السبب والعقوبة في الاصل انما تكون بعد فعل تكون جزاء عنه والمراد بالمثلية انه اقتصر على المقدار الذي ظلم به ولم يزد عليه عن ابن جرير قال تعاون المشركون على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه فأخرجوه فوعده الله ان ينصره وهو في التماس أيضا (ثم بغي عليه) أى ان الظالم له في الابتداء عاوده بالمظلمة بعد تلك المظلمة الاولى وقيل المراد بهذا البغي هو ما وقع من المشركين من ازعاج المسلمين من أوطانهم بعد ان كذبوا نبينهم وأذوا من آمن به وقيل المعنى ثم كان انجازى مبيغا عليه أى مظلوما ومعنى ثم تناوت التوبة لان الابتداء بالقول معه نوع ظلم كما قيل في امثال العرب البادى أظلم وقيل ان هذه الآية مدنية وهى في القصص والجراحات (لينصره الله) اللام جواب قسم محذوف أى والله لينصرن الله المبعي عليه على البناغى (ان الله لعنوا غفور) أى لكثير العفو والغفران للمؤمنين فيما وقع منهم من الذنوب أو القتال في الشهر الحرام وقيل العنوا والغفران لما وقع من المؤمنين من ترجيح الانتقام على العفو (ذلك بأن الله يولي الليل في النهار ويولي النهار في الليل) اشارة الى ما تقدم من نصر الله سبحانه للمبغى عليه والباء للسببية أى ذلك النصر بسبب انه سبحانه قادر ومن كمال قدرته ايلاج الليل في النهار والنهار في الليل قاله الرازي وقال البيضاوى قادر على قلب الامور بعضها على بعض جارية عادته على المداوله بين الاشياء المتعاقبة وعبر عن الزيادة بالايلاج لان زيادتها تستلزم نقصان الآخر وقيل يجعل ظلمة الليل مكان ضياء النهار وذلك بغيموبة الشمس ويجعل ضياء النهار مكان ظلمة الليل بطلوع الشمس

فالمراد

من الناس

الامة يتراكبون تراكب الانعام والحرفى الطرق لا يخافون الله في السماء ولا يستحيون من الناس في الارض وقال ابن أبي حاتم حدثنا أسد بن سنان الواسطي حدثنا أبو عبد الرحمن المقرئ حدثنا حمزة حدثنا بشير بن أبي عمرو الخولاني ان الوليد بن قيس حدثه انه سمع أبا سعيد الخدري يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يكون خلف القرآن لا يعدون تراقيمهم ويقرأ بعد ستين سنة أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياثم يكون خلف يقرؤون القرآن لا يعدون تراقيمهم ويقرأ القرآن ثلاثة مؤمن ومنافق وفاجر وقال بشير قلت للوليد ما هؤلاء الثلاثة قال المؤمن مؤمن به والمنافق كافر به والفاجر يتأكل به وهكذا رواه أحمد عن أبي عبد الرحمن المقرئ وقال ابن أبي حاتم أيضا حدثني أبي حدثنا ابراهيم بن موسى أنبأ ناعيسى بن يونس حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن وهب عن مالك عن أبي الرجال ان عائشة كانت ترسل بالشئ صدقة لاهل الصفة وتقول لا تعطوا

منه بربريا ولا بربرية فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هم الخلف الذين قال الله تعالى فيهم خلف من بعدهم خلف
أضاعوا الصلاة هذا حديث غريب وقال أيضا حدثني أبي حدثنا عبد الرحمن بن الفضال حدثنا الوليد بن جري عن شيخ من
أهل المدينة أنه سمع محمد بن كعب القرظي يقول في قول الله خلف من بعدهم خلف الآية قال هم أهل الغرب يملكون وهم
شمر من ملك وقال كعب الأخبار والله اني لأجد صنعة المنافقين في كتاب الله عز وجل شرابين للقهوات تركين للصلوات لعابين
بالكعبات رقادين عن العتات مفرطين في الغدوات تراكين للجماعات قال ثم تلا هذه الآية خلف من بعدهم خلف
أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا وقال الحسن البصري عطلوا المساجد ولزموا الضيعات وقال أبو الأشهب
الطاطري أوحى الله الى داود عليه السلام ياد داود حذر وانذر أصحابك أكل (٢٠٧) الشهوات فان القلوب المعلقة بشهوات
الدنيا عقولها عنى محجوبة وان

أهون ما أصنع بالعبد من عبيدي
إذا أثر شهوة من شهواته أن أحرمه
طاعتي وقال الامام أحمد حدثنا
زيد بن الحباب حدثنا أبو التميمي
عن أبي قبيل أنه سمع عبد الله بن
عامر قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اني أخاف على أمتي
اثنتين القرآن (١) والكنى اما
الكنى فيتبعون الزيف ويتبعون
الشهوات ويتركون الصلاة وأما
القرآن فيتمعله المنافقون فيجادلون
به المؤمنين ورواه عن حسن بن
موسى عن ابن لهيعة حدثنا أبو
قبيل عن عقبه به مرفوعا نحوه
تفريده وقوله فسوف يلقون غيا
قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس
فسوف يلقون غيا أى خسروا
وقال قتادة شرا وقال سفيان
الثوري وشعبة ومحمد بن اسحق
عن أبي اسحق السبيعي عن أبي
عبيدة عن عبد الله بن مسعود

فالمراد تحصيل أحد العرضين في محل الآخر وقد مضى في آل عمران معنى هذا الابلج
(وان الله سميع) يسمع كل مسع ولا يشغله سماع عن سماع (بصير) يبصر كل مبصر أو
سميع للاقوال وان اختلفت في النهار الاصوات بفنون اللغات بصير بما يقعون لا يستتر
عنه شئ بشئ في الليالي وان تواتت الظلمات فلا يعزب عنه مثقال ذرة (ذلك) اشارة الى
ما تقدم من اتصافه سبحانه بكل القدرة الباهرة والعلم التام (بان الله هو الحق) أى هو
سبحانه ذو الحق قد ينه حق وعبادته حق ونصره لا وليائه على أعدائه حق ووعدده حق فهو
عز وجل في نفسه وافعاله وصفاته كلها حق (وان ما يدعون من دونه هو الباطل) قرئ
بالنونية على الخطاب للمشركون وبالتحتمية على الخبر وهما اسميتان والمعنى ان الذى
يدعونه الها وهى الاصنام هو الباطل الذى لا ثبوت له ولا يكونه الها أى المعدم فى حد
ذاته والباطل ألوهيته والباطل الزائل وقال مجاهد الباطل هنا الشيطان (وان الله هو
العلي) أى العالى على كل شئ بقدرته وذاته المتقدس عن الاشياء والانداد المتصف بصفات
الكمال المتناهية عما يقوله الظالمون والمعتلون (الكبير) أى ذوالكبرياء الذى يصغر كل
شئ سواه وهو عبارة عن كمال ذاته وعظيم قدرته وسلطانه وتفريده بالالهية ثم ذكر سبحانه
دليلا يبين على كمال قدرته فقال (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) الاستفهام للتقرير كما
قاله الخليل وسيبويه قال الخليل المعنى ألم تعلم انه أنزل من السماء مطرا فكان كذا وكذا
ذكر هنا ستة أشياء أولها انزال الماء النازل منه اخضرار الارض كما قال (فتصبح
الارض مخضرة) قال الفراء أى ذات خضرة كما تقول مبقلة ومسبعة أى ذات بقل وسباع
وهو عبارة عن استجهاها انزول الماء بالنبات واستقرارها كذلك عادة وصيغة الاستقبال
لاستحضار صورة الاخضر ارمع الاشجار بتجدد الانزال واستمراره وهذا المعنى لا يحصل الا
بالمستقبل والرفع هنا متعين لانه لو نصب لانعكس المعنى المقصود من الآية فينقلب الى
نقى الاخضرار والمقصود اثباته قال ابن عطية هذا لا يكون بعد الاخضرار فى صباح ليلة

فسوف يلقون غيا قال وادى جهنم بعيد القعر خبيث الطعم وقال الاعشى عن زياد عن أبي عياض فى قوله فسوف يلقون غيا قال
وادى جهنم من قيع ودم وقال الامام أبو جعفر بن جرير حدثني عباس بن أبي طالب حدثنا محمد بن زياد حدثنا شريك بن قنطام
عن لقمان بن عامر الخزاعي قال جئت أبا أمامة صدى بن عجلان الباهلي فقلت حدثنا حديثا سمعته من رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم دعابطعام ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن سخرة زنة عشرين اوقاف قد ذفى بها من شفير جهنم ما بلغت
قعرها خسين خربنا ثم ننهى الى نعى وآثام قال قلت ما نعى وآثام قال قال بشران فى أسفل جهنم يسيل فيه ما صديد أهل النار
وهما اللذان ذكرهما الله فى كتابه أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا وقوله فى الفرقان ولا تزنون ومن يفعل ذلك
يلقنا ما هذا حديث غريب ورفعته منكر وقوله الامن تاب وآمن وعمل صالحا أى الامن رجع عن ترك الصلوات واتباع الشهوات
(١) قوله والكنى الخ كذا فى الاصل الذى بايدنا وحرر لفظ الحديث هـ

فإن الله يقبل توبته ويحسن عاقبته ويجعله من ورثة الجنة النعيم ولهذا قال فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا وذلك لأن التوبة تجب ما قبلها وفي الحديث الآخر التائب من الذنب كمن لا ذنب له ولهذا لا ينقص هؤلاء التائبون من أعمالهم التي عملوها شيئا ولا قوبلوا بما عملوه قبلها فينقص لهم مما عملوه بعدها لأن ذلك ذهب هدرًا وترك نسيًا وذهب مجانًا من كرم الكريم وحلم الحليم وهذا الاستثناء ههنا كقوله في سورة الفرقان والذين لا يدعون مع الله الهة أخرى ولا يقتلون النفس التي حرم الله الألباحق إلى قوله وكان الله غفورًا رحيمًا (جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب إنه كان وعده مآثيًا لا يسمعون فيها لغوا إلا سلامًا ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا) يقول تعالى الجنات التي يدخلها التائبون من ذنوبهم هي جنات عدن أي إقامة التي وعد الرحمن عباده بنظر الغيب أي هي (٢٠٨) من الغيب الذي يؤمنون به وما رأوه وذلك لشدة إيمانهم وقوة إيمانهم

وقوله إنه كان وعده مآثيًا كمد لحصول ذلك وثبوته واستقراره فإن الله لا يخلف الميعاد ولا يبطله كقوله وكان وعده مفعولاً أي كائنًا لا محالة وقوله ههنا مآثيًا أي العباد صارتون اليه وسياق تونه ومنهم من قال مآثيًا بمعنى آتيا لأن كل ما آتاك فقد آتيتك كما تقول العرب آتت على خمسون سنة وآتيت على خمسين سنة كلاهما بمعنى واحد وقوله لا يسمعون فيها لغوا أي هذه الجنات ليس فيها كلام ساقط نافه لا معنى له كما قد يوجد في الدنيا وقوله إلا سلامًا استثناء منقطع كقوله لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما الإقلاسلاما سلاما وقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا أي في مثل وقت البكرات ووقت العشيات لأن هناك ليلا ونهارا ولكنهم في أوقات تتعاقب يعرفون ضياءها بضواها وأنوارها كما قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق

المطر الأبعكة وتمامة والظاهر أن المراد بالاخضر اراخضر ارا الأرض في نفسها الإبا اعتبار النبات فيها كما في قوله فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت والمراد بقوله (إن الله لطيف) أي يصل علمه إلى كل دقيق وجليل وقيل لطيف بارزاق عباده وقيل باستخراج النبات (خبير) أي اندوخبرة بتدبير عباده وما يصلح لهم وقيل خبير بما يخطون عليه من القنوط عند تأخير المطر وقيل خبير بما يحتاجهم وفاقتهم والثاني قوله (له ما في السموات وما في الأرض) خلقا وملاكوا ونصر فأوعبدا واكلهم محتاجون إلى رزقه (وان الله لهو الغنى) فلا يحتاج إلى شيء (الحمد) أي المستوجب للعمدة في كل حال (ألم تر أن الله سخركم ما في الأرض) هذه نعمة أخرى نالته ذكرها الله سبحانه فاخبر عباده بأنه سخر لهم وذل ما يحتاجون اليه من الدواب والشجر والأنهار والخروج والحديد والنار لما يريد منها والحيوان للاكل والركوب والحمل عليه والنظر اليه وجعله لمنافعهم (و) سخر لكم (الفلak) أي السفن في سلاحيها (تجري في البحر بأمره) أي بتقديره واذنه فلولا أن الله سخرها لكانت تغوص أو تنف وهذه نعمة رابعة والخامسة قوله (ويسكن السماء) كراهة (ان تقع على الأرض) وذلك بأنه خلقها على صفة مستزمنة لا مسالك لان النعم المتقدمة لا تكمل الا به والسماء جرم ثقیل وما كان كذلك لا بد له من السقوط لولا مانع يمنع منه وهو القدرة فأمكنها الله بقدرته لئلا تسقط فتبطل النعم التي امتن بها علينا (الاباذنة) أي بارادته ومشيئته وذلك يوم القيامة والظاهر أنه استثناء مفرغ من أعم الأحوال وهو لا يقع في الكلام الموجب إلا أن قوله ويسكن السماء ان تقع على الأرض في قوة النفي أي لا يتركها تقع في حالة من الأحوال الا في حالة كونها ملتبسة بمشيئته تعالى فالأبالة للملازمة (ان الله بالناس لرؤوف رحيم) أي كثير الرأفة والرحمة حيث سخر هذه الامور لعباده وهيا لهم اسباب المعاش وأمسك السماء ان تقع على الأرض فتحملكم تفضلا منه على عباده وانعاما عليهم ثم ذكر سبحانه نعمة أخرى سادسة فقال (وهو الذي أحياكم) بعد ان كنتم

حدثنا عمر عن همام عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة جداد القمير ليلة البد ولا يصقون فيها ولا يتخطون فيها ولا يتغيطون آتيتهم وأمشطهم الذهب والفضة ومجامرهم الالوة ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقهما من وراء اللعم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب رجل واحد يسبحون الله بكرة وعشيا أخرجه في الصحيحين من حديث معمر بن وهب وقال الامام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن ابن اسحق حدثنا الحارث بن فضال الانصاري عن محمود بن لبيد الانصاري عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا تفرد به أحمد من هذا الوجه وقال النخاع عن ابن عباس ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا قال قتادير اليل والنهار وقال ابن جرير حدثنا علي بن سهل حدثنا الوليد بن مسلم قال سألت زهير بن محمد

عن قول الله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا قال ليس في الجنة قليل هم في نورا بد اولهم مقدار الليل والنهار يعرفون مقدار الليل بارخاء الحب واغلاق الابواب ويعرفون مقدار النهار برفع الحب وفتح الابواب وبهذا الاسناد عن الوليد بن مسلم عن خليفه عن الحسن البصري وذكر أبواب الجنة فقال أبواب يرى ظاهرها من باطنها فتكلم وتكلم فيهمهم انتحى الغلق فتتبع وقال قتادة في قوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا فيها اسعمان بكرة وعشى ليس ثمليل ولا نهار وانما هو ضوء نور وقال مجاهد ليس بكرة ولا عشى ولكن يؤتون به على ما كانوا يشتهون في الدنيا قال الحسن وادة وغيرهما كانت العرب الانعم فيهم من يتعدى ويتعشى فنزل القرآن على ما في أنفسهم من النعيم فقال تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وقال ابن مهدي عن حماد بن زيد عن همام عن الحسن ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا قال البكور يرد على العشى والعشى يرد (٢٠٩) على البكور ليس فيه الليل وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا

جماد ابل لم تكونوا شيئا (ثم يبيحكم) عند انقضاء اعماركم (ثم يبيحكم) عند البعث للعقاب والعقاب (ان الانسان لكفور) أي لا كثير الخلود نعم الله عليه مع كونهما ظاهرة غير مستترة ولا ينافي هذا خروج بعض الافراد عن هذا الجدل ان المراد وصف جميع الجنس بوصف من يوجد فيه ذلك من افراده مبالغة وعن الحسن في قوله كفور قال يعد المصليات وينسى الذم ثم عاود سبحانه الى بيان أمر التكليف مع الزجر لمعاذ بن ابي حاتم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أهل الايمان عن منازعة فقال (لكل أمة جعلنا منسكا) أي لكل قرن من القرون الماضية والباقية وضعنا شريعة خاصة بحيث لا تتخطى أمة منهم شر يعتم المعينة لها الى شر يعتم أخرى لاستقلالها ولا اشتراكا وقيل عبدا وقيل موضع قربان يذبحون فيه وقيل موضع عبادة (هم ناسكوه) الضمير لكل أمة أي تلك الامم عيسى العاملة بآثاره فكانت التوراة منسك الامم التي كانت من مبعث موسى الى مبعث عيسى والانجيل منسك الامم التي كانت من مبعث عيسى الى مبعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن منسك المسلمين الى يوم القيامة والمنسك مصدر لا اسم مكان كما يدل عليه هم ناسكوه ولم يقل ناسكون فيه وقيل هو الذبايح ولا وجه للتخصيص ولا اعتبار بخصوص السبب (فلا يزار عنك في الامر) الفاء لترتيب النهي على ما قبله والضمير راجع الى الامم الباقية آثارهم يعني قد عينا لكل أمة شريعته ومن جملة الامم هذه الامم المتحدة وذلك موجب لعدم منازعة من بقي منهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومستلزم لطاعتهم اياه في امر الدين والنهي اما على حقيقة قوله أو كناية عن نهيه صلى الله عليه وآله وسلم عن منازعته عن الالتفات الى نزاعهم له قال الزجاج انه نهى له صلى الله عليه وآله وسلم عن منازعته أي لا تزعهم انت كما تقول لا يجاهدك فلان أي لا تخادمه وكما تقول لا يضاربك فلان أي لا تضاربه وذلك ان المشاعلة تقتضي العكس ضمنا ولا يجوز لا يضاربك فلان وأنت تريد لا تضربه وحكي عن الزجاج انه قال في معنى الآية لا يزار عنك أي فلا يجادلنك قال

سليمان بن منصور بن عمار حدثني أبي حدثني محمد بن زياد فأنى أهل سمسط عن عبد الله بن حدير عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من غداة من غدوات الجنة وكل الجنة غدوات الا انه يزف الى ولي الله فيها زوجة من الخور العين اذ ناهن التي خلقت من الزعفران قال أبو محمد هذا حديث غريب منكر وقوله تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا أي هذه الجنة التي وصفنا بهذه الصفات العظيمة هي التي نورثها عبادنا المتقين وهم المطيعون لله عز وجل في السراء والضراء والصلوات الغيظ والافون عن الناس وكما قال تعالى في أول سورة المؤمنين قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون الى أن قال أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون

(٢٧ - فتح البيان سادس) (وماتنزل الابرار ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيما رب السموات والارض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا) قال الامام أحمد حدثنا يعلى ووكيع قال حدثنا عمر بن ذر عن أبيه عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخبرائيل ما يمنعك ان تزورنا أكثر مما تزورنا قال فنزلت ومانزل الابرار ربك الى آخر الآية انفرادا بخارج البخاري فرواه عنه تفسير هذه الآية عن أبي نعيم عن عمر بن ذر به ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث عمر بن ذر به وعندهما زيادة في آخر الحديث فكان ذلك الجواب لمحمد صلى الله عليه وسلم وقال العوفي عن ابن عباس احتبس جبرائيل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وحرث فأنه جبرائيل فقال لمحمد ومانزل الابرار ربك الآية وقال مجاهد لبث جبرائيل عن محمد صلى الله عليه وسلم اثنتي عشرة ليلة ويقولون أقل فلما جاءه قال

يا جبريل لقد رثت على حتى ظن المشركون كل ظن فقلت وماتنزل الابرار بك الآية قال وهذه الآية كالتى فى الضحى وكذلك قال الضحاك بن مزاحم وقتادة والسدى وغير واحد انها نزلت فى احتباس جبريل وقال الحكم بن أبان عن عكرمة قال ابطأ جبرائيل النزول على رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين يوماً ثم نزل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما نزلت حتى اشتقت اليك فقال له جبريل بل انا كنت أشوق ولكنى مأموراً فأوحى الله الى جبرائيل ان قل له وماتنزل الابرار بك الآية رواه ابن أبي حاتم رحمه الله وهو غريب وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن مجاهد قال ابطأت الرسل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم أتاه جبريل فقال له ما حبسك يا جبريل فقال له جبريل وحسبى فأنصتكم وأنتم لا تنصون اظنناركم ولا تنصون براجمكم ولا تأخذون شواربكم ولا تنسمون (٢١٠) ثم قرأ وماتنزل الابرار بك الآية وقد قال الطبراني

حدثنا أبو عامر الثوري حدثنا محمد
ابن ابراهيم الصوري حدثنا سليمان
ابن عبد الرحمن الدمشقي حدثنا
اسماعيل بن عباس أخبرني نعلبة بن
مسلم عن أبي كعب مولى ابن عباس
عن ابن عباس عن النبي صلى الله
عليه وسلم ان جبرائيل أبطأ عليه
فذكر له ذلك فقال وكيف وأنتم
لا تمنون ولا تقولون أظنناكم
ولا تتصون شواربكم ولا تتقون
براجلكم وهكذا رواه الامام أحمد
عن أبي اليمان عن اسمعيل بن
عباس عن ابن عباس بنحوه وقيل
الامام أحمد حدثنا سيار حدثنا
جعفر بن سليمان حدثنا المغيرة
ابن حبيب عن مالك بن زيد ان رجلا
شيخ من أهل المدينة عن أم سلمة
قالت قال لي رسول الله صلى الله
عليه وسلم ألم أضحى لنا المجلس فانه
ينزل ملك الى الارض لم ينزل اليها قط
وقوله ما بين أيدينا وما خلفنا قيل
المراد بما بين أيدينا أمر الدنيا وما

ودل على هذا وان جادلوك وقرئ فلا ينزعك في الامر اى لا يستخفك ولا يغلبك على دينك وقرأ الجمهور فلا ينزعك من المنازعة كما تقدم وقال ابن عباس هم ناسكوه اى ذابحوه فلا ينزعك في الامر اى في الذبح وعن عكرمة ومجاهد نحوه وعن مجاهد قال قول اهل الشرك اماما يبع الله بينه فلا تأكلوه واماما يجهت بآيديكم فهو حلال (وادع) هؤلاء للمنازعين وادع الناس على العموم (الى) دين (ربك) وتوحيد (والايمان به) (انك اعلى هدى) اى طريق (مستقيم) لا اعوجاج فيه (وان جادلوك) اى وان ابوا الابدال بعد البيان لهم وظهور الحق عليهم (فقل الله أعلم بما تعملون) فكل امرهم الى الله وقل لهم هذا القول المشتمل على الوعيد (الله يحكم بينكم) اى بين المسلمين والكافرين (يوم النيامة فيما كنتم فيه تختلفون) من امر الدين فيمتين حينئذ الحق من الباطل وفي هذه الآية تعليم لهذه الامة بما ينبغي لهم ان يجيبوا به من اراد الجدل بالباطل وقيل انها نسب وخباية السيف وهذا ان يصح اذا كان المراد من قوله وان جادلوك الكذب عن قتالهم وشوق غير متمعين بل يصح ان يكون المعنى فانك جدالهم وفوض الامر الى الله فيكون هذا وعيد لهم على اعم لهم وهذا المعنى لان نسخة آية السيف بل هو باق بعد مدة شرعية القتال لعدم المفااة (الم تعلم) مستأنفة مقرر فنهتوا ما قبلها والاستنهاج للتقرير اى قد علمت يا محمد وتيقنت (ان الله يعلم ما فى السماء والارض) ومن جملة ذلك ما انتم عليه من الاختلاف (ان ذلك) الذى فى السماء والارض من معلوماته (فى كتاب) اى مكتوب عنده فى ام الكتاب اخرج ابن ابى حاتم وابن مردويه عن ابن عباس قال خلق الله اللوح المحفوظ مسيرة ثمانئة عام وقال للقل قى ان يخلق الخلق وشوعلى عرشه اكتب قال ما اكتب قال علمى فى خلقى الى يوم تقوم الساعة فجرى التلم بما هو كائن فى علم الله الى يوم القيامة فذلك قوله سبحانه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ألم تعلم ان الله يعلم ما فى السماء والارض يعنى ما فى السموات السبع والارضين السبع ان ذلك

خلفنا أمر الآخرة وما بين ذلك ما بين النفتين هذا قول أبي العالقة وعكرمة ومجاهد وسعيد بن جبيرة وقتادة في رواية عنهم ما العلم والهدى والريع بن أنس وقيل ما بين أيدينا ما ليس - متقبل من أمر الآخرة وما خلفنا أي ماضى من الدنيا وما بين ذلك أي ما بين الدنيا والآخرة يرى نحوه عن ابن عباس وسعيد بن جبيرة والضحاك وقتادة وابن جرير والثوري واختاره ابن جرير أيضا والله أعلم وقوله وما كان ربك نسيا قال مجاهد والسدى معناه مانس - يترك وقد تقدم عن هذه الآية كقولوه والضحي والليل إذا سجي ما ودع ربك وما قلى وقال ابن أبي حاتم - حدثنا يزيد بن محمد - حدثنا ابن عبد الصمد الدمشقي - حدثنا محمد بن عثمان يعني أبا الجاهر حدثنا اسمعيل بن عياش - حدثنا عاصم بن رجا بن حمزة عن أبيه عن أبي الدرداء - يرفعه قال ما أحل الله في كتابه فهو حلال وما حرمه فهو حرام وما سكت عنه فهو عافية فاقبلوا من الله عافيته فان الله لم يكن لينسى شيئا ثم تلا هذه الآية وما كان ربك نسيا - وقوله رب السموات

والارض وما بينهما أى خالق ذلك ومدبره والحاكم فيه والمتصرف الذى لا معقب لحكمه فاعبدوه واصطبر لعبادته هل تعلم له سمياً قال عني بن ابى طلحة عن ابن عباس هل تعلم للرب مثلاً أو شبيهاً وكذلك قال مجاهد وسعيد بن جبير وقتادة واب جريح وغيرهم وقال عكرمة عن ابن عباس ليس أحد يسمى الرحمن غيره تبارك وتعالى وتقدس اسمه (ويقول الانسان أنذامات لسوف اخرج حياً ولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً فور يك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جنباً ثم لننزعن من كل شيعة اياهم أشد على الرحمن عتياً ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صلياً) يخبر تعالى عن الانسان انه يتعجب ويستبعد اعادته بعد موته كما قال تعالى وان تعجب فحجب قولهم انذا كآزاً انى خلق جديد وقال اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وضرب انام مثلاً ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم (٢١١) قل يحيى الذى أنشأه أول مرة وهو

بكل خلق عليم وقال ههنا ويقول الانسان أنذامات لسوف اخرج حياً ولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً يستدل تعالى بالدعاء على الاعادة يعنى انه تعالى قد خلق الانسان ولم يك شيئاً أفلا يعيبدوه وقد صار شيئاً كما قال تعالى وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وفى الصحيح يقول الله تعالى كذبنى ابن آدم ولم يكن له أن يكذبنى وآذانى ابن آدم ولم يكن له أن يؤذنى أما تكذبه اياى فقله لن يعيبدنى كما بدانى وليس أول الخلق باهون على من آخره وأما اذا ماى فقله ان لى ولداً وأنا الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد فقله فور يك لنحشرنهم والشياطين أقسم الرب تبارك وتعالى بنفسه الكريمة انه لابد ان يحشرهم جميعاً وشياطينهم الذين كانوا يعبدون من دون الله ثم لنحضرنهم حول جهنم جنباً قال

العلم فى كتاب يعنى فى اللوح المحفوظ مكتوب قبل ان يخلق السموات والارضين (ان ذلك يعنى ان الحكم منه سبحانه بين عباده فيما يختلفون فيه (على الله يسير) أى هين أو ان احاطة علمه بما فى السماء والارض جلة ونقصه لا يسير عليه وان تعد على الخلق (ويعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطاناً) هذا حكاية لبعض فضايحهم أى انهم يعبدون اصناماً لم يتسكوا فى عبادتها بحجة نيرة من الله سبحانه فهو نفي للدليل السمعى (وما ليس لهم به علم) من دليل عقلى يدل على جواز ذلك بوجه من الوجوه (وما للظالمين بالاشراك) (من نصير) ينصرهم ويدفع عنهم عذاب الله وقد تقدم الكلام على هذه الآية فى آل عمران (واذا تتلى عليهم آياتنا) من القرآن (بينات) أى حال كونها وانصحات ظاهرة الدلالة (تعرف فى وجوه الذين كفروا والمنكر) أى الامر الذى ينكر وهو غضبهم وعيوسهم عند سماعها والمراد بالذكرا انكار أى تعرف فى وجوههم انكارها والمنكر مصدر وقيل هو التجبر والترفع وهذان ايقاع الظاهر موقع المضمحل للشهادة عليهم بوصف الكفر (يكادون يسطون) السطو الوثب والبطش والسطوة شدة البطش يقال سطا به سطا اذا بطش به بضرب أو شتم أو أخذ باليد وأصل السطو القهر وقال ابن عباس أى يبطشون (بالذين يتلون عليهم آياتنا) هم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه رضى الله تعالى عنهم والجملة مستأنفة كأنه قيل ما ذلك المنكر الذى يعرف فى وجوههم فتيل يكادون يسطون وهكذا ترى أهل البدع المنهكة اذا سمع الواحد منهم ما يتلو العالم عليهم من آيات الكتاب العزيز أو من السنة الصحيحة مخالفاً لما اعتقده من الباطل والفلا تقرأيت فى وجهه من المنكر مالم يمتنع من ان يسطو بذلك العالم لفعل به مالم لا ينفعه بالمشر كين وقد رأينا وسمننا من ذلك من أهل البدع مالم لا يحيط به الوصف والله ناصر الحق وظاهر الدين ومدحض الباطل ودامغ البدع وحافظ المتكلمين بما أخذهم عليهم المبينين للناس ما نزل اليهم وهو حسبنا ونعم الوكيل ثم أمر رسوله ان يرد عليهم

العوفى عن ابن عباس يعنى قعوداً كقوله وترى كل أمة جاثية وقال السدى فى قوله جنباً يعنى قياماً وروى عن مرة عن ابن مسعود مثله وقوله ثم لننزعن من كل شيعة يعنى من كل أمة قاله مجاهد أيهم أشد على الرحمن عتياً قال الثورى عن على بن الاقرع أبى الاحوص عن ابن مسعود قال يحبس الاول على الآخر حتى اذا تكاملت العدد أناهم جميعاً ثم بدأ بالأكبر فالأكبر جرحاً وهو قوله ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتياً قال ثم لننزعن من أهل كل دين قاداتهم ورؤساءهم فى الشر وكذا قال ابن جرير وغير واحد من السلف وهذا كقوله تعالى حتى اذا داركوا فيها جعاً قالت اخر اهل لؤلؤهم ربنا هؤلاء أضلوا فآفاهم عذاباً ضدها من النار الى قوله بما كنتم تكسبون وقوله ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صلياً ثم ههنا العطف الخبر على الخبر والمراد انه تعالى أعلم عن يستحق من العباد ان يصلى بنار جهنم ويخلد فيها وعن يستحق تضعيف العذاب

كما قال في الآية المتقدمة قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون (وان منكم الاواردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جحشا) قال الامام أحمد حدثنا سليمان بن حرب حدثنا خالد بن سليمان عن كثير بن زياد البرساني عن أبي سمينة قال اختلنا في الورد فقال بعضنا لا يدخلها مؤمن وقال بعضهم يدخلونها جميعا ثم ننجي الله الذين اتقوا فلقيت جابر بن عبد الله فقلت له انا اختلنا في الورد فقال يردونهم جميعا وقال سليمان مرة يدخلونها جميعا وأشوى باصبعيه الى اذنيه وقال سمنا ان لم أكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا ينجى بر ولا فاجر الا دخلها فتهلكون على المؤمن بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم حتى ان للنار ضجيجا من بردهم ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جحشا غريب ولم يخرجوه وقال الحسن بن عرفة حدثنا مروان بن معاوية عن بكابر بن أبي مروان عن خالد بن معدان (٢١٢) قال قال اهل الجنة بعد ما دخلوا الجنة لم يعد نارها الورد على النار

قال قد مررت على ما وهي خامدة وقال عبد الرزاق عن ابن عيينة عن اسمعيل بن أبي خالد عن قيس ابن أبي حازم قال كان عبد الله بن رواحة واضع رأسه في حجر امرأته فبكت فبكت امرأته قال ما يبكيك قالت رأيتك تبكي فبكت قال اني ذكرت قول الله عز وجل وان منكم الاواردها فلا أدري انجوا منها ام لا وفي رواية وكان مريضا وقال ابن جرير حدثنا ابو كريب حدثنا ابن يمان عن مالك بن مغول عن أبي اسحق كان أبو ميسرة اذا شوى الى فراشه قال يا ليت احي لم تلدنني ثم يبكي فقتل له ما يبكيك يا أبا ميسرة فتسال اخبرنا انا واردها ولم نخبرنا ما صادر ون عنها وقال عبد الله بن المبارك عن الحسن البصري قال قال رجل لاخيه هل أتاك بالناك وارد النار قال نعم قال هل أتاك انك صادر عنها قال لا قال ففيم الضحك قال فاروى ضاحكا حتى لحق بالله

فقال (قل أفأنبئكم) أي أخبركم (بشئ من ذلكم) الذي فيكم من الغيظ على من يتلو عليكم آيات الله ومقاربتكم للوثوب وهو (النار) التي (وعدها الله الذين كفروا) وقيل المعنى افاخبركم بشئ مما يلحق تالي القرآن منكم من الاذى والتأويل والتؤب عليهم وقرئ النار بالحركات الثلاث (وبئس المصير) أي الموضع الذي يصيرون اليه وهو النار (يا أيها الناس ضرب مثل) هذا متصل بقوله ويعبدون من دون الله وانما قال ضرب مثل لان حجج الله عليهم بضرب الامثال لهم اقرب الى افهامهم قال ابن عباس نزلت في صنم قال الاخفش ليس ثم مثل وانما المعنى ضربوا الى مثلا قال النحاس المعنى ضرب الله عز وجل لما يعبدونه من دون مثلا قال وهذا من أحسن ما قيل فيه أي بين الله لكم شيا ولم يعبدكم وقال القتيبي معنى ضرب مثل أي عبدت آلهة لم تستطع ان تخلق ذبا بأصل المثل جعله من الكلام متلقاة بالراء والقبول مسيرة في الناس مستغربة عندهم وجعلوا مضربا لهم لا لوردتها ثم قد يستعبرون بالقصصة أو الحالة أو الصفة المستغربة لكونها مماثلة لها في الغرابة كهذه القصة المذكورة في هذه الآية (فاستعواها) أي اضرب هذا المثل وتدبروه حتى تدبروه فان الاستماع بلا تدبر وتعتقل لا ينفع والمعنى ان الكفار جعلوا لله مثلا يعبدونهم غيرهم فكأنه قال جعلوا لي شبيها في عبادتي فاستعوا خبر هذا الشبه ثم بين حالها ووصفها فقال (ان الذين تدعون من دون الله) المراد بهم الاصنام التي كانت حول الكعبة وغيرها وقيل المراد بهم السادة الذين صرفوهم عن طاعة الله لكونهم أهل الحل والعقد فيهم وقيل الشياطين الذين جلوهم على معصية الله والاول أوفق بالمقام وظاهر في التمثيل (ان يخلقوا ذبابا) واحدا مع ضعفه وصغره وقتله وهو اسم للواحد بطلق على الذكور والانثى وجمع الذبابة الذبابة والذكور بالذكور مشل غراب وأغربة وغربان وبالضم كقنهان وقال الجوهرى الذباب معروف الواحد ذبابة وسمى ذبابا لانه كلما ذب لاستهذاره بالاسم كيد الذنبي المستقبل وتأكيده هنا

وقال عبد الرزاق أيضا أخبرنا ابن عيينة عن عمرو أخبرني من سمع ابن عباس يحاسب نافع بن الأزرق فقال ابن

عباس الورد والدخول فقال نافع لا فقرأ ابن عباس انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون ووردوا ام لا وقال يقدم قومه يوم القيامة فاوردتهم النار ووردوا ام لا ما انا وانت فستدخلها فانظر هل تخرج منها أم لا وما رأى الله يخرجك منها بيك ذكبك فضحك نافع وروى ابن جرير عن عطاء قال قال أبو راشد الحنوري وهو نافع ابن الأزرق لا يسمعون حسيبها فقال ابن عباس وياك أجنون انت أين قوله يقدم قومه يوم القيامة فاوردتهم النار ونسوق الجرمين الى جهنم ووردوا ام لا منكم الاواردها والله ان كان دعاء من مضى اللهم أخرجني من النار سالوا وأدخلني الجنة غانما وقال ابن جرير حدثني محمد بن عبيد المحاربي حدثنا أسباط عن عبد الملك عن عبيد الله عن مجاهد قال كنت عند ابن عباس فأتاه رجل يقال له أبو راشد وهو نافع بن الأزرق فقال له يا ابن

عباس أرايت قول الله وان منكم الاواردها كان على ربك حتماً قضيا قال اما أنا وانت يا ابا راسد فسندرها فانتظر هل تصدر عنها ام لا
وقال ابوداود الطيالسي قال شعبة وأخبرني عبد الله بن السائب عن سمع ابن عباس يقرأوها وان منهم الاواردها يعني الكفار وهكذا
روى عن ابن الوليد البستي انه سمع عكرمة يقرأوها كذلك وان منهم الاواردها قال وهم الظلمة كذلك فكانت قروها روى ابن أبي حاتم
وابن جرير وقال العوفي عن ابن عباس قوله وان منكم الاواردها يعني البر والفاجر ألا تسمع الى قول الله لفرعون يقدم قومه يوم
القيامة فاوردتهم النار الآية ونسوق الجرمين الى جهنم ورد افسى الورود في النار دخولا وليس بصادق وقال الامام أحمد حدثنا
عبد الرحمن عن اسرائيل عن السدي عن مرة عن عبد الله هو ابن مسعود وان منكم الاواردها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يرد النار كلهم ثم يصعدون عنها باعمالهم ورواه الترمذي (٢١٣) عن عبد بن حميد عن عبيد الله عن اسرائيل

عن السدي به ورواه من طريق
شعبة عن السدي عن مرة عن ابن
مسعود هرفوعا هكذا وقع هذا
الحديث ههنا هرفوعا وقد رواه
اسباط عن السدي عن مرة عن
عبد الله بن مسعود قال يرد الناس
جميعا الصراط وورودهم قيامهم
حول النار ثم يصعدون على الصراط
باعمالهم فمنهم من يمر مثلاً البرق
ومنهم من يمر مثل الريح ومنهم من
يمر مثل الطير ومنهم من يمر كاجود
الخيل ومنهم من يمر كاجود الابل
ومنهم من يمر كعدو الرجل حتى ان
آخرهم مر ارجل نوره على موضع
ابن امي قدمه يمر فيسكنها به الصراط
والصراط دحض منزلة عليه حسك
كحسك الاقتاد حقاها ملائكة معهم
كلايب من نار يخطفون بها
الناس وذكروا تمام الحديث رواه
ابن أبي حاتم وقال ابن جرير حدثنا
خالد بن مسلم حدثنا النضر
حدثنا اسرائيل أخبرنا ابواسحق

للدلالة على ان خلق الذباب منهم مستحيل كانه قال محال ان يخلقوا وتخصيص الذباب
لمهانتهم واستقذاره والمعنى ان يقدر واعلى خلقه مع كونه صغير الجسم حقير الذات وهو
أجهل الحيوانات لا يدري نفسه في المهلكات ومدة يشه أربعون يوما وأصل خلقته
من العفونات ثم يتوالد بعضها من بعض يقع روثه على الشيء الأبيض فيرى أسود وعلى
الأسود فيرى أبيض (ولراجعة عوالة) أي خلق الذباب والتقدير ان يخلقوه على كل حال
ولو في هذه الحالة المتضمنة لجمعهم فكأنه تعالى قال ان هذه الاصنام ان اجتمعت لا تقدر
على خلق ذبابة على ضعفها فكيف يليق بالعاقل جعلها معبودا كما أشار اليه
في التثنية ثم بين سبحانه كمال عجزهم وضعف قدرتهم فقال (وان يسلمهم الذباب شيأ
لا يستمقذوه منه) أي اذا أخذوا خفط منهم هذا الخلق الاقل الارذل شيأ من الاشياء
بسرعة لا يقدر على تخليصه منه لجل عجزهم وفقر وضعفهم والاستعانة والانتقاد
التخلص واذا عجزوا عن خلق هذا الحيوان الضعيف وعن استنقاذ ما أخذ منهم فهم عن
غيره مما هو أكبر منه جرم ما أو أشد منه قوة أعجزوا وضعف قال عكرمة أي لا تستنقذ الاصنام
ذلك الشيء ثم عجب سبحانه من ضعف الاصنام والذباب فقال (ضعف الطالب والمطلوب)
فالصنم كالمطلوب من حيث انه يطلب خلق الذباب أو يطلب استنقاذه ما سلبه منه والمطلوب
الذباب وهذا كالنسوية بينهم وبين الذباب في الضعف ولو حقت وجدت الطالب أضعف
فان الذباب حيوان وهو جاد وهو غالب وذلك مغلوب وقيل الطالب عابد الصنم والمطلوب
الصنم قال ابن عباس الطالب آلهتهم والمطلوب الذباب ثم بين سبحانه ان المشركين الذين
عبدوا من دون الله آلهة عاجزة الى هذه الغاية في العجز ما عرفوا الله حق معرفته فقال
(ما قدر الله حق قدره) أي ما عظمه وحق تعظيمه ولا عرفوه حق معرفته حيث جعلوا هذه
الاصنام شركا له مع كون حالها هذا الحال وقد تقدم في الانعام (ان الله لقوى) على خلق
كل شيء (عزيز) غالب لا يغالبه أحد بخلاف آلهة المشركين فانهم ايجاد لا يعقل ولا ينفع

عن أبي الاحوص عن عبد الله قوله وان منكم الاواردها قال الصراط على جهنم مثل حد السيف فتم الطبقة الاولى كالبرق
والثانية كالريح والثالثة كاجود الخيل والرابعة كاجود البهايم ثم يرون والملائكة يقولون اللهم سلم وسلم لهذا شواهد في الصحيحين
وغيرهما من رواية أنس وأبي سعيد وأبي هريرة وجابر وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن
عليه عن الجري عن أبي السليك عن غنيم بن قيس قال ذكرنا ورود النار فقال كعب تسلك النار للناس كأنهم امتن اها له حتى يستوى
عليها أقدام الخلائق برهم وفاجرهم ثم يناديهم انا ان امسكي أصحابك ودعي أصحابي قال فتخسف بكل ولي لها هي أعلم بهم من الرجل
بولده ويخرج المؤمنون ندية ثيابهم قال كعب ما بين منكبي الخازن من خزنته امسيرة سنة مع كل واحد منهم عود ذو شعبتين يدفع به
الدفع فيصرع به في النار سبع مائة ألف وقال الامام أحمد حدثنا ابو معاوية حدثنا الاعمش عن أبي سفيان عن جابر عن أم مبشر

عن حفصة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لارجو ان لا يدخل النار ان شاء الله أحد شهد بدرا والحديبية قالت فقلت
أليس الله يقول وان منكم الاوردها قالت فسمعت به يقول ثم نجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وقال أحمد أيضا حدثنا ابن
ادريس حدثنا الاعمش عن أبي سفيان عن جابر عن أم مبشر امرأة زيد بن حارثة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت
حفصة فقال لا يدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية قالت حفصة أليس الله يقول وان منكم الاوردها فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم نجي الذين اتقوا الآية وفي الصحيحين من حديث الزهري عن سعيد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا يموت لاحد من المسلمين ثلاثة من الولد تسه النار لا تحل القسم وقال عبد الرزاق قال معمر أخبرني
الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة (٢١٤) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من مات له ثلاثة لم تسه النار

الاتحالة القسم يعني الورود وقال
أبو داود الطيالسي حدثنا زمعة
عن الزهري عن سعيد بن المسيب
عن أبي هريرة قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يموت
لمسلم ثلاثة من الولد تسه النار
الاتحالة القسم قال الزهري كأنه يريد
هذه الآية وان منكم الاوردها
كان على ربك حكمة مقصيا وقال
ابن جرير حدثني عمـران بن بكار
الكلابي حدثنا أبو المغيرة حدثنا
عبد الرحمن بن يزيد بن جهم حدثنا
اسماعيل بن عبيد الله عن أبي صالح
عن أبي هريرة قال خرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم يعود رجلا
من أصحابه وعك وأنامعه ثم قال ان
الله تعالى يقول هي نارى اسلطها
على عبدي المؤمن ليكون حنطه
من النار في الآخرة غريب ولم
يخرجوه من هذا الوجه وحدثنا أبو
كريب حدثنا أبو اليمان عن عثمان
ابن الاسود عن مجاهد قال الحبي

ولا يضروا ولا يتقدروا على شيء ثم أراد سبحانه ان يرد عليهم ما بعثه قدونه في النبوات والالهيات
فقال (الله يصطفي من الملائكة رسلا) كجبريل واسرافيل وميكائيل وعزرائيل
والحنفاة (و) يصطفي أيضا رسلا (من الناس) وهم الانبياء فيرسل الملك الى النبي والنبي الى
الناس أو يرسل الملك بقبض أرواح مخلوقاته أو لتحصيل ما يتبعه أو لانزال العذاب عليهم
أخرج الحاكم وصححه عن عكرمة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله
اصطفى موسى بالكلام وبرايم بالخلة وأخرج عن أنس وصححه ان النبي صلى الله عليه
وآله وسلم قال موسى بن عمران صني الله قال الخلي نزل لما قال المشركون أنزل عليه الذكر
من بيننا أي وليس باكرنا ولا اشرفنا والقائل هو الواسع المغيرة ووجه مناسبة هذه
الآية لما قبلها انه لما ذكر ما يتعلق بالالهيات ذكره ما يتعلق بالنبوات وقال الرازي
وجه المناسبة انه لما أبطل في قبيلها عبادة الاوثان أبطل ههنا عبادة الملائكة (ان الله
سميع) لا قول عبادة (بصير) بن يختاره من خلقه (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) أي
ما قبله وما من الاعمال وما يتروكونه من الخير والشر كقوله تعالى وكتب ما قدموا وآثارهم
وقبل ما مضى ولم يأت وقيل ما عملوا وما سيعملوه أو أمر الدنيا وأمر الآخرة (والى الله)
لا الى غيره (ترجع الامور) لما تضمن ما ذكر من ان الامور ترجع اليه الزجر لعباده عن
معاصيه والحض لهم على طاعته سبحانه بالمتصود فقال (يا أيها الذين آمنوا اركعوا
واسجدوا) أي صلوا الصلاة التي شرعها الله لكم لأن الصلاة لا تكون الا بالركوع
والسجود وخس الصلاة لتكونها أنشرف العبادات ثم عمم فقال (واعبدوا ربكم) أي
افعلوا جميع أنواع العبادة التي أمركم الله بها وقيل وحدوه (وافعلوا الخير) أي ما هو
خير وهو أعم من الطاعة الواجبة والمندوبة وقيل المراد بالخير ههنا المندوبات ثم عمل ذلك
بقوله (لعلكم تتلحون) أي اذا فعلتم هذه كلها رجوت الفلاح وفي هذا الإشارة الى ان دخول
الجنة ليس مرتبا على هذه الاعمال مثلا بل هذه أمور كفنا الله بها شرعنا وأما قبولها فشي

حظ كل مؤمن من النار ثم قرأ وان منكم الاوردها وقال الامام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا
زبان بن قائد عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ قل هو الله احد حتى يختمها عشر
مرات بنى الله له قصر في الجنة فقال عراذ انستكثير بارسل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكثر واطيب وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرأ ألف آية في سبيل الله كتب يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك
رفيقا ان شاء الله ومن حرس من وراء المسلمين في سبيل الله متطوعا لاجرا سلطان لم ير النار بعينيه الاتحالة القسم قال الله تعالى وان
منكم الاوردها وان الذكرفي سبيل الله يضاعف فوق النفقة بسبع مائة ضعف وفي رواية بسبع مائة ألف ضعف وروى أبو داود
عن أبي الطاهر عن ابن وهب وعن يحيى بن أيوب كلاهما عن سهل عن زبان عن سهل عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الصلاة

والصيام والذكر يضاعف على النفقة في سبيل الله بسبب عمانية ضعف وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قوله وان منكم
الاواردها قال هو الممر عليها وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله وان منكم الاواردها قال ورود المسلمين المروء على الجسر
بين ظهرايتها وورود المشركين ان يدخلوها وقال النبي صلى الله عليه وسلم الزالون والزالات يومئذ كثير وقد أحاط بالجسر يومئذ
سمطان من الملائكة دعاؤهم يا الله سلم وقال السدي عن مرة عن ابن مسعود في قوله كان على ربك حتما قضيا قال قسم
واجبا وقال مجاهد حتما قال قضاء وكذا قال ابن جريج وقوله ثم تجبي الذين اتقوا أي اذا امر الخلاق كلهم على النار وسقط
فيهم امن سقط من الكفار والعصاة ذوى المعاصي بحسبهم ثم تجبي الله تعالى المؤمنين المتقين منها بحسب أعمالهم فجوازهم على الصراط
وسرعتهم بقدر أعمالهم التي كانت في الدنيا ثم يشفعون في أصحاب الكبائر (٢١٥) من المؤمنين فيشفع الملائكة والنبيون
والمؤمنون فيخرجون خلقا كثيرا

قد أكلتهم النار الادارات وجوههم
وهي مواضع السجود واخراجهم
اياهم من النار بحسب ما في قلوبهم
من الايمان فيخرجون أولامن كان
في قلبه مثقال دينار من ايمان ثم الذي
يليه ثم الذي يليه ثم الذي يليه حتى
يخرجون من كان في قلبه أدنى أدنى
أدنى مثقال ذرة من ايمان ثم يخرج الله
من النار من قال يومادى الدهر لا اله
الا الله وان لم يعمل خيرا قط ولا يبقى
في النار الا من وجب عليه الخلود
كما وردت بذلك الاحاديث الصحيحة عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا
قال تعالى ثم تجبي الذين اتقوا وندر
الظالمين في جهنم (واذا أتى عليهم
آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين
آمنوا أي النبر يقين خير مما
وأحسن دنيا وكم أهل كتاب لهم من
قرنهم أحسن أنما نورثنا) يخبر
تعالى عن الكفار حين أتى عليهم
آيات الله ظاهرة الدلالة بينة الحجة

آخر يتفضل الله به علينا وهذه الآيات من مواطن سجود التلاوة عند الشافعي ومن وافقه
لا عند أبي حنيفة ومن قال بقوله وقد تقدم ان هذه السورة فضلت بسجدةتين وهذا دليل
على ثبوت السجود عند تلاوة هذه الآية وقد اختلف في عدة سجود التلاوة فذهب أكثر
اهل العلم الى انها أربع عشرة سجدة لكن الشافعي رحمه الله تعالى قال في الحج سجدةتان
وأستقط سجدة ص وقال أبو حنيفة في الحج سجدة وأثبت سجدة ص وقيل خمس
عشرة سجدة وقال قوم ليس في المنصل سجدة فعلى هذا تكون إحدى عشرة سجدة وسجود
التلاوة سنة عند الشافعي وواجب عند أبي حنيفة ودلائل الاقوال مبسطة في مواطنها
ثم أمرهم بما هو سنة الدين وأعظم أعماله فقال (وجاهدوا في الله) أي في ذاته من أجله
والمراد به الجهاد الاكبر وهو الغزو للكفار ومدافعتهم اذا غزوا بلاد المسلمين وقيل المراد
بالجهاد هنا مثال مأمرهم الله في الآية المتقدمة وامتنال جميع ما أمر به ونهى
عنه على العموم ومعنى (حق جهاده) المبالغة في الامر بهذا الجهاد باستفراغ الطاقه لانه
أضاف الحق الى الجهاد والاصل اضافة الجهاد الى الحق أي جهادنا لله فعكس ذلك
لقد المبالغة وأضاف الجهاد الى الضمير اتساعا أو لاختصاصه به سبحانه من حيث كونه
منعولا ومن أجله وقيل المراد بحق جهاده هو ان لا يخافوا في الله لومة لائم وقيل المراد
بداستفراغ ما في وسعهم في احباء دين الله وقال مقاتل والكلبي ان الآية منسوخة بقوله
تعالى فاتقوا الله ما استطعتم كما ان قوله اتقوا الله حق ثقاته منسوخ بذلك ورد ذلك بان
التكليف مشروط بالقدرة فلا حاجة الى المصير الى النسخ عن عبد الرحمن بن عوف قال
قال لي عمر السدنا كنا نقرأ فيما نقرأ أو جاهدوا في الله حق جهاده في آخر الزمان كما جاء في
في أوله قالت بلى ففى هذا يا أمير المؤمنين قال اذا كانت بنو أمية الامراء وبنو المغيرة الوزراء
وأخرج الترمذى وصححه وابن حبان عن فضالة بن عبيد قال قال رسول الله صلى الله عليه
 وآله وسلم الجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله ثم عظم سبحانه شأن المكائين بقوله (هو

واحدة البرهان انهم يصدون ويعرضون عن ذلك ويقولون عن الذين آمنوا منتخزين على صحة ما هم عليه من الدين
الباطل بانهم خير مما قاموا وأحسن دنيا أي أحسن منازل وارفح دورا وأحسن دنيا وهو مجتمع الرجال للحدث أي ناديهم أم عمر وأكثر
وارادوا طارفا يعنون فكيف نكون ونحن بهذه المثابة على باطل وأولئك الذين هم مختفون مستترون في دار الارقم بن أبي الارقم
ونحوها من الدور على الحق كما قال تعالى مخبر عنهم وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه وقال قوم نوح أنؤمن
لك واتبعك الارذلون وقال تعالى وكذلك فتننا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله باعلم بالشاكرين ولهذا
قال تعالى راد عليهم شبهتهم وكم أهل كتاب لهم من قرنهم أي وكم من أمة وقرن من المكذبين قد أهل كتابهم بكفرهم هم احسن أنما
ورثنا أي كانوا احسن من هؤلاء أموالا وامتعة ومناظر واشكالا قال الاعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس خير مما قاموا وأحسن

نديا قال المقام المنزل والنسدى المجلس والاثاث المتاع والرئى المنظر وقال العوفى عن ابن عباس المقام المسكن والنسدى المجلس والنعمة والبهجة التى كانوا فيها وهو كما قال الله لقوم فرعون حين اهلكهم وقص شأنهم فى القرآن كم تركوا من جنات وعميون وزروع ومقام كريم فالمقام المسكن والنعيم والنسدى المجلس والمجمع الذى كانوا يجتمعون فيه وقال تعالى فيما قص على رسوله من أمر قوم لوط وتأتون فى ناديتكم المنكر والعرب تسمى المجلس النادى وقال قتادة لما راوا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فى عيشهم خشونة وفيهم قسافة فعرض اهل الشرك ما سمعوا من أى الفريقين خيرا مقاماً وحسن نديا وكذا قال مجاهد والضحاك ومنهم من قال فى الاثاث هو المال ومنهم من قال الثياب ومنهم من قال المتاع والرئى المنظر كما قاله ابن عباس ومجاهد وغير واحد وقال الحسن البصرى يعنى الصور (٢١٦) وكذا قال مالك اثاثا ورثيا اكثر اموالا واحسن

صورا والكل متقارب صحيح قل من كان فى الضلالة فلم يدله الرجن مداحى اذارا واما لو عدون اما العذاب واما الساعة فسيعلمون من هو شركا واما ضعف جندا يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المشركين برهم المدعين انهم على الحق وانكم على الباطل من كان فى الضلالة اى منا ومنكم فلم يدله الرجن مداى فاما له الرجن فيما هو فيه حتى يلقي ربه وينتضى اجله اما بعد عذاب يصيبه واما الساعة بغتة تأتية فسيعلمون حينئذ من هو شركا واما ضعف جنسدا فى مقابلة ما احتجوا به من خيرية المقام وحسن الندى قال مجاهد فى قوله فلم يدله الرجن مدا فليدعه الله فى طغيانه هكذا قرر ذلك ابو جعفر بن جرير رحمه الله وهذه مباهلة للمشركين الذين يزعمون انهم على هدى فيما هم فيه كما ذكر تعالى مباهلة اليهود فى قوله قل

اجباكم اى اختاركم لدينه وفيه تشرىف لهم عظيم ثم لما كان فى التكليف مشقة على النفس فى بعض الحالات قال (وما جعل عليكم فى الدين من حرج) اى من ضيق وشدة وقد اختلف العلماء فى هذا الحرج الذى رفعه الله فقبل هو ما حله الله من النساء منى وثلاث ورباع ومالك اليمين وقيل المراد قصر الصلاة والافطار للمسافر والصلاة بالايام على من لا يقدر على غيره واسقاط الجهاد عن الاعرج والاعمى والمرضى وأكل الميتة عند الضرورة واعتقار الخطأ فى تقديم الصيام وتأخيرها لاختلاف الائمة وكذا فى الفطر والانحى وقيل المعنى انه سبحانه ما جعل عليهم حرجا بانه تكليف ما يشق عليهم ولكن كفهم بما يقدرون عليه ورفع عنهم التكليف الذى فيها حرج فلم يتعبهم بها كما تعبهم ابى اسرائيل وقيل المراد بذلك انه جعل لهم من الذنب مخرجا يفتح باب التوبة وقبول الاستغفار والتكفير فيما شرع فيه الكفارة والارش أو القصاص فى الجنائيات ورد المال أو مثله أو قيمته فى الغصب ونحوه فليس فى دين الاسلام ما لا يجد العبد فيه سبيلا الى الخلاص من الذنوب ومن العقاب وقيل المراد بالدين التوحيد ولا حرج فيه بل فيه تخفيف فانه يكفر ما قبله من الشرك وان امتد ولا يتوقف الاتيان به على زمان أو مكان معين وفى القرطبى قال العلماء رفع الحرج انما هو لمن استقام على منهاج الشرع واما السراق واصحاب الحد وفعليهم حرج وهو ما جاءوا به على انفسهم عقارقتهم الدين وايس فى الشرع اعظم حرجا من الزام ثبات رجل لاشئ فى سبيل الله لكنه مع صحة اليقين وجودة العزم ليس يخرج انتهى والمعنى الاول أولى والظاهر ان الآية اعم من هذا كله فقد حط سبحانه ما فيه مشقة من التكليف على عباده اما بما ساقطها من الاصل وعدم التكليف بها كما كان بها غيرهم أو بالتخفيف وتجويز العدول الى بدل لا مشقة فيه أو بمسح رعية التخلص عن الذنب بالوجه الذى شرعه الله وما نفع هذه الآية وأجل موقعها وأعظم فائدتها ومثلها قوله سبحانه فاتقوا الله ما استطعتم وقوله ير يد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقوله ربنا ولا تحمل

يا أيها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء الله من دون الناس فتنوا الموت ان كنتم صادقين اى ادعوا بالموت على المبطل علينا دنا او منكم ان كنتم تدعون انكم على الحق فانه لا يضركم الدعا فنكوا عن ذلك وقد تقدم ذكر ذلك فى سورة البقرة مبسوطا ولله الحمد وكذا كرر تعالى المباهلة مع النصارى فى سورة آل عمران حين دعوا على الكفر واستمروا على الطغيان والغلو فى دعواهم ان عيسى ولد الله وقد ذكر الله حججه وبراهينه على عبودية عيسى وانه مخلوق كآدم قال تعالى بعد ذلك فن حاك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وبناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم يتل فنجعل لعنة الله على الكاذبين فنكوا ايضا عن ذلك (ويريد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا) لماذا كرر تعالى امداد من هو فى الضلالة فيما هو فيه وزيادته على ما هو عليه اخبر بزيادة المهتدين هدى كما قال تعالى واذا ما أنزلت سورة فثم من يقول ايكلم

زادته هذه أيماناً لايتين وقوله والباقيات الصالحات قد تم نفسه سيرها والكلام عليها وإيراد الأحاديث المتعلقة بها في سورة الكهف خير عند ربك ثواباً أي جزاء وخير مرد أي عاقبة ومرداً على صاحبها قال عبد الرزاق أخبرنا معمر بن راشد عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فاخذ عوداً يبسا خط ورقه ثم قال ان قول لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله تحط الخطايا كما تحط ورق هذه الشجرة الربيع خذهن يا أبا الدرداء قبل ان يحال بينك وبينهن هن الباقيات الصالحات وهن من كنوز الجنة قال أبو سلمة فكان أبو الدرداء اذا ذكر هذا الحديث قال لا هالن الله ولا كبرن الله ولا تسبحن الله حتى اذا رأني الجاهل حسب اني مجنون وهذا ظاهراً منه مرسل ولكن قد يكون من رواية أبي سلمة عن أبي الدرداء والله اعلم وهكذا وقع في سنن ابن ماجه من حديث أبي معاوية عن (٢١٧) عمر بن راشد عن يحيى عن أبي سلمة عن أبي

الدرداء فذكر نحوه (أفرايت الذي كفر يا أتانا وقال لا وتين مالا وولدا اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهداً كلا سنكتب ما يقول ونعذله من العذاب مداونته ما يقول ويأتينا فرداً قال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن مسروق عن خباب بن الارت قال كنت رجلاً قيناً وكان لي على العاص ابن وائل دين فاقضاه أتقاضاه منه فقال لا والله لا أقضيه حتى تكفر بعمد فقلت لا والله لا أكفر بعمد صلى الله عليه وسلم حتى تموت ثم تبعته قال فاني اذا مت ثم بعثت جنتي ولي ثم مال وولدا فاعطتني فأنزل الله أفرايت الذين كفر يا أتانا وقال لا وتين مالا وولدا الى قوله ويأتينا فرداً أخرجه صاحبنا الصحيح وغيرهما من غير وجهه عن الاعمش به وفي لفظ البخاري كنت قيناً بمكة فعملت للعاص بن وائل

علينا اصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به وفي الحديث الصحيح انه سبحانه قال قد فعلت كما سبق بيانه في تفسير هذه الآية والاحاديث في هذا كثيرة وعن عائشة انهم اسألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن هذه الآية فقال الضيق وقال أبو هريرة لابن عباس أما علينا في الدين من حرج في ان نسرق أو نزنق قال بلى قال فما هذه الآية قال الاسر الذي كان على بني اسرائيل وضع عنكم وعن ابن عباس كان يقول وما جعل عليكم في الدين من حرج توسعة الاسلام وما جعل الله من التوبة والكفارات وعنه قال هذا في هلال رمضان اذا شئت فيه الناس وفي الحج اذا شكوا في الاضحية وفي النظر وأشباهه وعنه سئل عن الحرج فقال ادع لي رجلاً من هذيل فجاءه فقال ما الحرج فيكم قال الحرجة من الشجر التي ليس فيها مخرج فقال ابن عباس الذي ليس له مخرج وفي لفظ قال الهذيل الشيء الضيق قال هو ذلك وعن عمر بن الخطاب قرأ هذه الآية ثم قال ادع لي رجلاً من بني مدلج وقال ما الحرج فيكم قال الضيق (مله أيبكم ابراهيم) أي وسع عليكم دينكم توسعة مله أيبكم قاله الزمخشري وقال الزجاج المعنى اتبعوا مله أيبكم وبه قال الحوفي واتبعه أبو البقاء وقال الفراء كمله أيبكم وقيل التقدير وافعلوا الخير كفعل أيبكم ابراهيم فأقام الملّة مقام الفعل وقيل النصب على الاغراء وقيل على الاختصاص أي أعني بالدين مله أيبكم وانما جاء له سبحانه أياهم لانه أبو العرب قاطبة ولأن له عند غير العرب الذين لم يكونوا من ذرية حرمة عظيمة كحرمة الأب على الابن لكونه أبا النبيهم صلى الله عليه وآله وسلم قال السدي مله أيبكم أي دين أيبكم (هو سماً كم المسلمين من قبل) أي قبل نزول القرآن في الكتب المتقدمة قال ابن عباس الله عز وجل سماً كم وروى نحوه عن جماعة من التابعين وأخرج أحمد والبخاري في تاريخه والترمذي وصححه والنسائي والبيهقي وغيرهم عن الحرث الأشعري عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال من دعا بدعوى الجاهلية فانه من جنى جهنم قال رجل يا رسول الله وان صام وصلى قال نعم فادعوا بدعوة الله التي سماً كم بها

(٢٨ - فتح البيان سادس) سيفاً جئت أتقاضاه فذكر الحديث وقال أم اتخذ عند الرحمن عهداً قال موثقاً وقال عبد الرزاق أخبرنا الثوري عن الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال قال خباب بن الارت كنت قيناً بمكة فكنت أعمل للعاص بن وائل فاجتعت لي عليه دراهم فميت لا تقاضاه فقال لا أقضيه حتى تكفر بعمد فقلت لا أكفر بعمد حتى تموت ثم تبعته قال فاذا بعثت كان لي مال وولد قال فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله أفرايت الذي كفر يا أتانا الايات وقال العوفي عن ابن عباس ان رجلاً من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يطلبون العاص بن وائل السهمي يدين فأتوه يتقاضونه فقال ألسنتم ترزعون ان في الجنة ذهباً وفضة وحريراً ومن كل الثمرات قالوا بلى قال فان موعدكم الآخرة فواته لا وتين مالا وولدا وتين

مثل كتابكم الذي جئتم به فضرب الله مثله في القرآن فقال أفرأيت الذي كفر بآياتنا إلى قوله ويأتينا فردا وهكذا قال مجاهد وقنادة وغيرهم أنها نزلت في العاص بن وائل وقوله لا وتين مالا وولدا قرأ بعضهم بفتح الواو من ولدا وقرأ آخرون بضمة هاء وهو بمعناه قال روبة وقال الحرث بن حمزة

الجد لله العزيز فردا * لم يتخذ من ولد شيء ولدا
ولقد رأت معاشرا * قد غدروا مالا وولدا
فليت فلانا كان في بطن أمه * وليت فلانا كان ولد جاره

وقال الشاعر

وقيل إن الولد بالضم جمع والولد بالفتح مفرد وهي لغة قيس والله أعلم وقوله اطلع الغيب انكار على هذا القائل لا وتين مالا وولدا يعني يوم القيامة أي أعلم ماله في الآخرة حتى تأتي (٢١٨) وحلف على ذلك أم اتخذ عند الرحمن عهدا أم له عند الله عهدا

سيؤتيه ذلك وقد تقدم عند البخاري أنه الموثق وقال الضحاك عن ابن عباس اطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا قال لا اله الا الله فيرجوه ووال محمد بن كعب القرظي الامن اتخذ عند الرحمن عهدا قال شهادة ان لا اله الا الله ثم قرأ الامن اتخذ عند الرحمن عهدا وقوله كلا هي حرف ردع لما قبلها وتأكيدها لمابعة ما كتب ما يقول أي من طلبه ذلك وحكمه لنفسه بما عنده وكفره بالله العظيم وقتله من العذاب منذ أي في الدار الآخرة على قوله ذلك وكفره بالله في الدنيا ونزله ما يقول أي من مال وولد نسبه منه عكس ما قال أنه يؤتى في الدار الآخرة مالا وولدا زيادة على الذي له في الدنيا بل في الآخرة يسلب من الذي كان له في الدنيا ولهذا قال تعالى ويأتينا فردا أي من المال والولد قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ونزله ما يقول قال

المسلمين والمؤمنين عباد الله وقيل إن السكينة راجعة إلى إبراهيم يعني إبراهيم سبأكم المسلمين في أيامه من قبل هذا الوقت وهو قوله ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذرئتنا أئمة مسلمة لك فاستجاب الله دعائهم فبينا (وفي هذا) أي في حكمه ان من اتبع محمد صلى الله عليه وآله وسلم فهو مسلم قال النحاس وهذا القول مخالف لقول علماء الأئمة وقيل أي في القرآن يعني فضلكم على سائر الأمم وسبأكم بهذا الاسم الاكرم ثم علل سبحانه ذلك بقوله (ليكون الرسول شهيدا عليكم) يوم القيامة بتبليغه اليكم (وتكونوا) أنتم (شهداء على الناس) ان رسلهم قد بلغتهم فان تسمية الله إبراهيم لهم حكمه باسلامهم وعدهم لهم وهو سبب لقبول شهادة الرسول الداخل فيهم دخولا أوليا لقبول شهادتهم على الامم قاله الشهاب وقد تقدم بيان معنى هذه الآية في البقرة ثم أمرهم بما شأوا عظم الاركان الاسلامية فقتل (فاقبوا الصلاة) بواجباتها واداروا عليها (وأبوا الزكاة) بشرائطها وتخصيص الحاصلتين بالذكر يزيد شرفهما (واعصوا بأمر الله) أي اجعلوا عصمة لكم مما تحذرون والتجئوا إليه في جميع أحوالكم ولا تطلبوا ذلك الامنة وقيل الاعتصام هو التمسك بالكتاب والسنة وقيل تسكوا بدين الله وقيل تقوا به تعالى في مجامع أموركم (هو مولاكم) أي ناصركم ومتولى أموركم دقيقتها وجليلها (فتم المولى) هو (ونعم النصير) أي الناصر لكم هو يعني لا مسائل له في الولاية لا أموركم والنصرة على أعدائكم

* (سورة المؤمنين)

قال القرطبي كلها مكية في قول الجميع أي بلا خلاف وآياتها مائة وتسع عشرة آية عند البصريين ومائة وثماني عشرة آية عند الكوفيين وسبب هذا الاختلافهم في قوله ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بآياتنا وسلطان مبين هل هو آية أو بعض آية وقد أخرج أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه وغيرهم عن عبد الله بن السائب قال صلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمكة الصبح فاستفتح سورة المؤمنين حتى إذا جاء ذكر موسى وهرون أو

نثرته وقال مجاهد ونزله ما يقول ماله وولده وذلك الذي قال العاص بن وائل وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة ذكر

ورثته ما يقول قال ما عنده وهو قوله لا وتين مالا وولدا في حرف ابن مسعود ونزله ما عنده وقال قتادة ويأتينا فردا لا ماله ولا ولدا وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ونزله ما يقول قال ما جمع من الدنيا وما عمل فيها قال ويأتينا فردا قال فردا من ذلك لا يتبعه قليل ولا كثير (واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا) ألم تر أننا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزفا فلا تعجل عليهم انما نعدهم عدا) يخبر تعالى عن الكفار المشركين بربهم انهم اتخذوا من دونه آلهة لتكون لهم تلك الآلهة عزاء يعتزون بهم ويستعصمونهم ثم أخبر ان ليس الامر كما زعموا ولا يكون ما طمعوه افعال كلا سيكفرون بعبادتهم أي يوم

القيامة ويكونون عليهم ضداً أي بخلاف ما ظنوا فيهم كما قال تعالى ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين وقرأ أبوهم بك كل سبيكفرون بعبادتهم وقال السدي كذا سبيكفرون بعبادتهم أي بعبادة الأوثان وقوله ويكونون عليهم ضداً أي بخلاف ما رجوا منهم وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ويكونون عليهم ضداً قال أعوانا قال مجاهد عوننا عليهم تخابهم وتكذبهم وقال العوفي عن ابن عباس ويكونون عليهم ضداً قال قرناه وقال قتادة قرناه في النار يابن بعضهم بعضاً ويكفر بعضهم ببعض وقال السدي ويكونون عليهم ضداً قال الخصماء الأشداء في الخصومة وقال الضحاك ويكونون عليهم ضداً قال أعداء وقال ابن زيد الضد البلاء وقال عكرمة الضد الحسرة وقوله ألم تر

(٢١٩)

تؤزهم أزا قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس تغويهم اغواء وقال العوفي عنه تحرضهم على محمد وأصحابه وقال مجاهد تسليهم إشلاء وقال قتادة تربحهم ازعاجا إلى معاصي الله وقال سفيان الثوري تغريهم اغراء وتسبجهم استجبالا وقال السدي تطعيمهم طغيانا وقال عبد الرحمن بن زيد هذا كقوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وقوله فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عداً أي لا تعجل يا محمد على هؤلاء في وقوع العذاب بهم إنما نعد لهم عداً أي إنما أخرهم لأجل معدود مضبوط وهم صائرون لامحالة إلى عذاب الله ونكاله وقال ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون الآية فهل الكافرين أمهلهم رويداً إنما على لهم ليزدادوا إنما تعهم قليلاً ثم نضطرهم إلى

ذكر عيسى أخذته سبعة فرجع وأخرج البيهقي من حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لما خلق الله الجنة قال لها تكلمي فقالت قد أفلح المؤمنون وقد ورد في فضائل العشر الآيات من أول هذه السورة ما سيأتي قريبا
(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قد أفلح المؤمنون) قال الفراء قلنا كيف فلا حهم وافادة ثبوت ما كان يتوقع الثبوت من قبل أول تقرب الماضي من الحال ألا تراهم يقولون قد قامت الصلاة قبل حال قيامها والمعنى ان الفلاح قد حصل لهم وانهم عليه في الحال والفلاح الظفر بالمراد الفوز بالمرام والنجاة عن المكروه وقبل البقاء في الخير ويقال أفلح اذا دخل في الفلاح ويقال أفلحه اذا أصاره إلى الفلاح وقد تقدم معنى الفلاح في البقرة وقرئ أفلح ببناء للمفعول وقرئ أفلحوا على الإبهام والتفسير أو على لغة كلوني البراغيث وقد أخرج أحمد والترمذي والنسائي وغيرهم عن عمر بن الخطاب قال كان إذا أنزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الوحي يسمع عنده وجهه كدوى النخل فانزل الله عليه به ما فكتنا ساعة فسررى عنه فاستقبل القبلة فقال اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تمنا وأعطنا ولا تحرمنا وأثرنا ولا تؤثر علينا وارزنا وارزقنا فقال لقد أنزل على عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد أفلح المؤمنون حتى ختم العشر وفي أسناده يونس بن سليم قال انسائي لا نعرفه وعن يزيد بن بانوس قال قلنا عائشة كيف كان خلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالت كان خلقه القرآن ثم قالت تقرأ سورة المؤمنین اقرأ قد أفلح المؤمنون حتى بلغ العشر فقالت هكذا كان خلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم وصف هؤلاء المؤمنين بقوله (الذين هم في صلاتهم خاشعون) وما عطف عليه والخشوع منهم من جعله من أفعال القلوب كالخوف والرهبة ومنهم من جعله من أفعال الجوارح كالسكون وترك الالتفات والعبث وهو في اللغة السكون والتواضع والخوف والتدال وقد اختلف الناس

عذاب غلظ قل تمتعوا فان حصركم إلى النار وقال السدي إنما نعد لهم عد السنين والشهور والايام والساعات وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس إنما نعد لهم عداً قال نعد أنفاسهم في الدنيا (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهداً) يخبر تعالى عن أوليائه المتقين الذين خافوه في الدار الدنيا واتبعوا رسوله وصدقوه فيما أخبرهم وأطاعوه فيما أمرهم وبه وانتهوا عما نهى عنهم وهم يوم يحشرهم يوم القيامة وقد ألبه والوفدهم القادمون ربكنا ومنه الوفود وركوبهم على نجائب من نور من مرابك الدار الآخرة وهم قادمون على خير موفود إليه إلى دار كرامته ورضوانه وأما المجرمون المكذبون للرسول المخالفون لهم فأنهم يساقون عننا إلى النار ورداً أعطاشاً قاله عطاء بن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وغير واحد وههنا يقال أي الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا ابن خالد عن

عمرو بن قيس الملائي عن ابن مرزوق يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا قال يستقبل المؤمن عند خروجه من قبره أحسن صورة رآها وأطيبها رجا فيقول من أنت فيقول أنا متعرفني فيقول لا إلا أن الله قد طيب ريحك وحسن وجهك فيقول أنا عملك الصالح وهكذا كنت في الدنيا حسن العمل طيبه فطما لما ركبته في الدنيا فلهلم اركبني فيركبه فذلك قوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا قال ركبنا وقال ابن جريج حدثني ابن المنذر حدثنا ابن مهدي عن سعيد بن اسمعيل عن رجل عن أبي هريرة يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا قال علي الأبل وقال ابن جريج عن النجاشي وقال الثوري عن علي الأبل النوق وقال قتادة يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا قال الى الجنة وقال عبد الله بن الإمام أحمد في مسند أبيه حدثنا سويد بن سعيد أخبرنا علي بن مسهر عن (٢٢٠) عبد الرحمن بن اسحق حدثنا النعمان بن سعيد قال كجأوا

عند علي رضي الله عنه فقراء هذه الآية يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا قال لا والله ما على أرجلهم يحشرون ولا بجيش الوعد على أرجلهم ولكن نوق لم ير الخلائق مثلها عليها رحائل من ذهب فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة وهكذا رواه ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث عبد الرحمن بن اسحق المديني به وزاد عليها رحائل الذهب وأرتمتها الزبرجند والباقي مثله وروى ابن أبي حاتم ههنا حديثا غريبا جدا مر فوجا عن علي فقال حدثنا أبي حدثنا أبو غسان مالك بن اسمعيل المديني حدثنا مسلمة بن جعفر الجبلي سمعت أبا معاذ البصري قال ان عليا كان ذات يوم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقراء هذه الآية يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا فقال ما أظن الوعد إلا الركب يا رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انهم

في الخشوع هل هو من فرائض الصلاة أو من فضائلها على قولين قيل الصحيح الاول وقيل الثاني وادعى عبد الواحد بن يزيد اجماع العلماء على انه ليس للعبد الاماقل من صلاته حكاه النيسابوري في تفسيره قال ومما يدل على صحة هذا القول قوله تعالى أفلا يتدبرون القرآن والتدبر لا يتصور بدون الوقوف على المعنى وكذا قال أقم الصلاة لذكري والغفلة تضاد الذكروا لهذا قال ولا تمكن من الغافلين وقوله حتى تعلموا ما تقولون نهى للسكران والمستغرق في هموم الدنيا بمنزلة أخرجه البيهقي عن محمد بن سيرين قال بنيت ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان اذ صلى رفع بصره الى السماء فنزلت الذين هم في صلاتهم خاشعون وزاد عبد الرزاق عنه فامر به بالخشوع فمرى يبصره نحو مسجده وأخرج الحاكم وصححه والبيهقي في سننه عن أبي هريرة كان اذ صلى رفع بصره الى السماء فنزلت هذه الآية فطأ رأسه وعن علي قال الخشوع في القلب وأن تليز كتفك للعرس المسلم وان لا تلتفت في صلاتك وقال ابن عباس خاشعون خائفون ساكنون وقيل خاضعون بالقلب ساكنون بالجوارح فلا يلتفتون شيئا ولا يشعرون شيئا من فروض الصلاة عند الغزاة وذهب بعضهم الى انه ليس بواجب لأن اشتراط الخشوع واجماع الفقهاء فلا يلتفت اليه وقد ورد في مشروعية الخشوع في الصلاة والنهي عن الالتفات وعن رفع البصر الى السماء أحاديث معروفة في كتب الحديث (والذين هم عن اللغو معرضون) قال الزجاج اللغو هو كل باطل ولهو وهزل وعصية وما لا يجمل من القول والفعل وقد تقدم تفسيره في البقرة وقال الضحاك ان اللغو هنا الشرك وقال الحسن انه المعاصي كلها وقيل هو معارضة الكفار بالسب والشتم وقال ابن عباس اللغو الباطل وقيل المراد باللغو كل ما كان حراما أو مكروها أو باحتم تدع اليه ضرورة ولا حاجة والمعنى ان لهم من الجسد ما شغلهم عن الهزل وفي وصفهم بالخشوع ألا وبالاعراض ثانيا جاع لهم النعل والترك الشاقين على الانفس الذين هم قاعد تابوا التكليف ومعنى اعراضهم عنه تجنبهم له وعدم

التفاتهم

اذا خرجوا من قبورهم يستقبلون أو يؤتون بنوق بيض لها أجنحة وعليها رحال الذهب شرك نعالهم نور يتلأأ كل خطوة منهم الى البصر فينتهون الى شجرة ينبع من أصلها عيسان فيشربون من احداهما فتغسل ما في بطونهم من دنس ويغتسلون من الأخرى فلا تسعت أبشارهم ولا أشعارهم بعدها أبدا وتجري عليهم نضرة النعيم فينتهون أو فيأتون باب الجنة فاذا حلقتهم ياقوتة جراء على صنائع الذهب فيضربون بالحلقة على الصنعة فيسمع لها طنين ياعلى فيبلغ كل حوراء ان زوجها قد أقبل فتبعته قيمها فيفتح له فاذا رآه أخرجه قال مسلمة أراه قال ساجدا فيقول ارفع رأسك فأنما أنا قميت وكنت بأمرك فيتبعه ويقبض اثره فتسخر الحوراء المجمل فتخرج من خيام الدر والياقوت حتى تعتقه ثم تقول أنت حي وأنا حبيك وأنا الخالدة التي لا أموت وأنا الناعمة التي لا أبأس وأنا الراضية التي لا أسخط وأنا المقيمة التي لا أظعن فيدخل بيتا من أسفه الى سفته مائة ألف ذراع بناؤه على

جندل اللؤلؤ طرائق أصفر وأحمر وأخضر ليس منها طريفة تشبه كل صاحبته أو في البيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون حشمة على كل حشمة سبعون زوجه على كل زوجه سبعون حلة يرى نوح ساقها من وراء الحلال يقضى جماعها في مقدار ليلة من لياليكم هذه الانهار من تحتهم تطرد أنهار من ماء غير آسن قال صافي لا كدرفيه وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ولم يتخرج من ضررع المشاة وأنهار من خمر لذيذ للشاربين لم يتغير طعمها وأنهار من عسل مصفى لم يتغير ج من بطون النحل فيستحب للشارفان شاء كل قائما وان شاء قاعدا وان شاء متكئا ثم تلاودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلًا فيشتهى الطعام فيأتيه طير أبيض وريعا قال أخضر فترفع أجنتها فيأكل من جنوبها أى اللؤلؤ ان شاء ثم يطير فيذهب فيدخل الملك فيقول سلام عليكم تلك الجنة التي أوردتوها بما كنتم تعملون ولو أن شعرة من شعرا الحوراء رفعت (٢٢١) لاهل الارض لاضاءت الشمس معها سواد

في نورها كذا وقع في هذه الرواية مرفوعا وقدر ونيته في المقدمات من كلام على رضى الله عنه بنحوه وهو أشبه بالصحة والله اعلم وقوله ونسوق الجرمين الى جهنم وردا أى عطاشا لا يملكون الشفاعة أى ليس لهم من يشنع لهم كما يشفع المؤمنون بعضهم لبعض كما قال تعالى مخبراعنهم فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقوله الامن اتخذ عند الرحمن عهدا هذا استثناء منقطع بمعنى لكن من اتخذ عند الرحمن عهدا هو شهادة أن لا اله الا الله والقيام بحقوقها قال على بن أبي طلحة عن ابن عباس الامن اتخذ عند الرحمن عهدا قال العهد شهادة أن لا اله الا الله ويبرأ الى الله من الحول والقوة لا يرجو الا الله عز وجل وقال ابن أبي حاتم حدثنا عثمان بن خالد الواسطي حدثنا محمد بن الحسن الواسطي عن المسعودي عن عون بن عبد الله عن أبي فاختة عن الاسود بن يزيد قال قرأ عبد الله

التفاتهم اليه وظاهره انصافهم بصفة الاعراض عن اللغو في كل الاوقات فيدخل وقت الصلاة في ذلك دخولا وليا كما تنفذه الجملة الاسمية (والذين هم للزكاة فاعلون) أى يؤدون ما فعبر عن التأدية بالنعل لانها بما يصدق عليه الفعل أو المراد بالزكاة هنا المصدر لانه الصادر عن الفاعل وقيل يجوز أن يراد به العين على تقدير مضاف أى والذين هم لتأدية الزكاة فاعلون أى دائون (والذين هم لقروضهم حافظون) القرض يطلق على فرج الرجل والمرأة فهو واسم سواهم ما والمراد بحفظهم هم لها انهم مملكون لها بالعنف مما لا يحل لهم قبل والمراد هنا الرجال خاصة دون النساء بدليل قوله (الاعلى أزواجهم) الخ فلا جماع على أنه لا يحل للمرأة ان يطأها من نكاحك قال الفراء على معنى من وقيل ان الاستثناء من نفي الارسال المنهوم من الحفظ أى لا يرسلون على أحد الاعلى أزواجهم وقيل بالامون على كل مباشرة الاعلى ما أحل لهم فانهم غير ملومين عليه ودل على المحذوف ذكر اللوم في آخر الآية وقيل المعنى الا والين على أزواجهم وقوامين عليهم من قولهم كان فلان على فلانة فبات عنها خلف عليها فلان قاله الزمخشري والمعنى انهم لقروضهم حافظون في جميع الاحوال الا في حال تزوجهم أو تسريحهم وجملة (أو ما ملكت أيمانهم) في محل جر والمراد بذلك الاماء وعبر عنهم بما التي لغير العقلاء لانه اجتمع فيهن الاثوثة المنبئة عن قصور العقل وجواز البيع والشراء فيهن كسائر السلع فأجرهن به الذين الامرين مجرى غير العقلاء ولهذا تباع كتابع البهائم والمراد الاماء والحواري (فانهم غير ملومين) في اتيانهم بجماع أو غيره لتعديله للاستثناء مما لا يجب عليهم حفظ فروجهم منه (فن ابنتي وراة) أى سوى (ذلك) من الزوجات ومثلت اليهين وقال الزجاج ما بعد ذلك (فأولئك هم العادون) أى الجاوزون الى ما لا يحل لهم فسمى سبحانه من نكح ما لا يحل عاديا وقد دلت هذه الآية على تحريم نكاح المتعة وعن القاسم بن محمد انه سئل عن المتعة فقال اني لا أرى تحريمها في القرآن ثم تلا هذه الآية واستدل بها بعض

يعنى ابن مسعود هذه الآية الامن اتخذ عند الرحمن عهدا ثم قال اتخذوا عند الله عهدا فان الله يقول يوم القيامة من كان له عند الله عهد فليقم قالوا يا أبا عبد الرحمن فعلنا قال قولوا اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة فاني اعهد اليك في هذه الحياة الدنيا انك ان تكفى الى على يقربنى من الشرى ويباعدنى من الخير وانى لأتق الا برجتك فاجعل لى عندك عهدا تؤدبه الى يوم القيامة انك لا تتخلف المعاد قال المسعودي فحدثني زكريا عن القاسم بن عبد الرحمن أخبرنا ابن مسعود وكان يلقي بين خائفه مستجيها مستغفرا رابعا اليك ثم رواه من وجه آخر عن المسعودي بنحوه (وقالوا اتخذوا الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا اذنا كاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هذا أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا ان كل من في السموات والارض الا ات الرحمن عبد القدا حصاهم وعدهم عدا وكلام آية يوم القيامة فردا) لما قرر تعالى في هذه السورة الذرية عبودية عيسى

عليه السلام وذ كر خلقه من هريم بلا أب شرع في مقام الانكار على من زعم أن له ولدا تعالى وتقدس وتنزه عن ذلك علوا كبيرا فقال
وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم في قولكم هذا شيا إذا قال ابن عباس ومجاهد وقتادة ومالك أي عظيماء يقال إذا بكسر الهمزة
وفتحها ومع مدها أيضا ثلاث لغات أشهرها الأولى وقوله تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا دعوا
للرحمن ولدا أي يكاد يكون ذلك عند سمعهم هذه المقالة من جفرة بن آدم أعظما للرب واجلا لالان من مخلوقات ومؤسسات على
توحيدِه وأنه لا اله الا هو وأنه لا شريك له ولا نظير له ولا ولد له ولا صاحبة له ولا كف له بل هو الاحد الصمد

وفي كل شيء آية * تدل على انه الواحد قال ابن جرير حدثني علي حدثنا عبد الله حدثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله
تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض (٢٢٢) وتخر الجبال هدا دعوا للرحمن ولدا قال ان الشرك فزعته منه

السموات والأرض والجبال وجميع
الخالق الا الثقلين وكادت ان
تزل منه لعظمة الله وكلا لا ينفع مع
الشرك احسان المشرك كذلك
نرجو أن يغفر الله ذنوب الموحدين
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اقنوا موتا كم شهادة ان لا اله
الا الله فن قالها عند موته وحيث
له الجنة فقالوا يا رسول الله فن قالها
في صحته قال تلك أو جب وأوجب
ثم قال والذي نفسي بيده لو جئ
بالسموات والأرضين وما فيهن وما
بينهن وما تحتهن فوضعهن في كفة
الميزان ووضعت شهادة ان لا اله الا
الله في الكفة الاخرى لرجحت بهن
هكذا رواه ابن جرير ويشهد له
حديث البطاقة والله أعلم وقال
الضحالك تكاد السموات يتفطرن
منه أي يتشققن فوقا من عظمة الله
وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم
وتنشق الأرض أي غضبته عز وجل
وتخر الجبال هدا قال ابن عباس هدا
وقال سعيد بن جبيرة هدا ينكسر

أهل العلم على تحريم الاستثناء لانه من الورا لما ذكر فهو حرام عند الجمهور وقد جمع شيخنا
الشوكاني في ذلك رسالة سماها بلوغ المني في حكم الاستثناء ذكر فيه ادلة المنع والجواز
وترجيح الرابع منهما (والذين هم لأماناتهم) قرئ بالجمع وقرأ ابن كثير بالانفراد والامانة
ما يؤثنون عليه (وعهدهم) هو ما يبعاهدون عليه من جهة الله سبحانه أو من جهة
عباده وقد جمع العهد والامانة كل ما يتحملة الانسان من أمر الدين والدنيا فلا يرد ما يقال
كيف حكم على الموصوفين بالصنات السبعة بالفلاح مع انه تعالى لم يتم ذكر العبادات
الواجبة كالصوم والحج والامانة أهم من العهد فكل عهد أمانة (راعون) أي حافظون
والراعي القائم على الشيء يحفظ واصلاح كراعى الغنم (والذين هم على صلواتهم) قرأ
الجمهور بالجمع ومن قرأ بالانفراد فقد أراد اسم الجنس وهو في معنى الجمع (يحافظون)
الحفاظة على الصلاة اقامتها واخفاضة عليها في أوقاتها واتمام ركوعها وسجودها وقراءتها
والمشروع من اذكارها عن ابن مسعود أنه قيل له ان الله يكثر ذكر الصلاة في القرآن
الذين هم على صلواتهم دائمون والذين هم على صلواتهم يحافظون قال ذلك على موافقتها قالوا
ما كثري ذلك الاعلى تركها قال تركها كنفروا وقد وصفهم أولا بالخشوع في الصلاة وآخرها
بالحفاظة عليها فليس في الآية تكرار والطهارات دخلت في جملة الحفاظة على الصلوات
لكونها من شرائطها ثم مدح سبحانه هؤلاء فقال (أولئك هم الوارثون) أي الاحقاء
بان يسموا بهذا الاسم دون غيرهم لان ضمير الفاعل يدل على التخصيص والحصر اضافي
لاحق في لانه ثبت ان الجنة يدخلها الاطفال والجنان والولدان والحرور ويدخلها الفساق
من اهل القبلة بعد العفو لقوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قاله الكرخي ثم بين
الموروث بقوله (الذين يرثون الفردوس) لغدرومية معربة وقيل فارسية وقيل حبشية
وقيل عربية وهو أوسط الجنة وأعلى الجنان كما سمع تفسيره بذلك عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم والمعنى ان من عمل بما ذكر في هذه الآيات فهو الوارث الذي يرث من الجنة

بعضها على بعض متتابعات وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن سويد المقرئ حدثنا سفيان بن عيينة حدثنا مسعر ذلك
عن عون بن عبد الله قال ان الجبل لما نادى الجبل باسمه يا فلان هل مرت بك اليوم ذكرته عز وجل فيقول نعم ويستبشر قال عون لهي
للغير اسمع فيسمع الزور والباطل اذا قيل ولا يسمع غيره ثم قرأ تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا دعوا
للرحمن ولدا وقال ابن أبي حاتم أيضا حدثنا المنذر بن شاذان حدثنا هودة حدثنا عون عن غالب بن عجره حدثني رجل من أهل الشام
في مسجد منى قال بلغني ان الله لما خلق الأرض وخلق ما فيها من الشجر لم يكن في الأرض شجرة يأتها بنو آدم الا صابوا منها منفعة
أو قال كان لهم فيها منفعة ولم تزل الأرض والشجر بذلك حتى تكلم جفرة بن آدم بتلك الحكمة العظيمة قولهم اتخذ الرحمن ولدا فلما
تكلموا بها اقشعرت الأرض وشال الشجر وقال كعب الاحبار غضبت الملائكة واستعرت جهنم حين قالوا ما قالوا وقال الامام

أحمد حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن سعيدي بن جبيرة عن أبي عبد الرحمن السلمي عن أبي موسى رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله أن يشرك به ويجعل له ولده وهو يعافهم ويدفع عنهم ويرزقهم أخرجاه في الصحيحين وفي لفظ أنهم يجعلون له ولدا وهو يرزقهم ويعافهم وقوله وما ينبغي للرجل أن يتخذ ذولا أي لا يصلح له ولا يليق به الجلالة وعظمته لأنه لا كف له من خلقه لأن جميع الخلائق عبيده ولهذا قال أن كل من في السموات والأرض إلا أت الرحمن عبد القداحصاهم وعددهم عدا أي قد علم عددهم منذ خلقهم إلى يوم القيامة ذكرهم وائناهم وصغيرهم وكبيرهم وكلهم آتية يوم القيامة فردا أي لا ناصر له ولا مجير إلا الله وحده لا شريك له فيحكم في خلقه بما يشاء وهو العادل الذي لا يظلم من قال ذرة ولا يظلم أحد (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) (٢٢٣) فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتذير به

قوما لدا وكم أهل كما قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا) يخبر تعالى أنه يغفر لعباده المؤمنين الذين يعملون الصالحات وهي الأعمال التي ترضى الله عز وجل لمتابعتها الشريعة المحمدية يغفر لهم في قلوب عباده الصالحين محبة ومودة وهذا أمر لا بد منه ولا محيد عنه وقد وردت بذلك الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير وجه قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة حدثنا سهيل عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله إذا أحب عبدا أعاد عابه بل فقال يا جبريل اني أحب فلانا فأحببه قال فاجبه جبريل قال ثم ينادي في أهل السماء إن الله يحب فلانا فأحبوه قال فيجبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض وإن الله إذا أبغض عبدا دعا جبريل فقال يا جبريل اني

ذلك المكان وهذا بيان لما يرثونه وتقييد للورثة بعد اطلاقها وتفسير لها بعد اجمالها وتغنيها لها ورفع لمحلها وهي استعارة لاستحقاقهم الفردوس بأعمالهم حسبا يقتضيه الوعد الكريم للبالغ فيهم وقيل المعنى أنهم يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فرقوها على أنفسهم لأنها سبحانه خلق لكل انسان منزلا في الجنة ومنزلا في النار وعن أبي هريرة قال يرثون مساكنهم ومساكن اخوانهم التي أعدت لهم لو أطاعوا الله وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما منكم من أحد الا وله منزل في الجنة ومنزل في النار فاذا مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله فذلك قوله أولئك هم الوارثون أخرجه ابن ماجه وسعيدي بن منصور وابن جرير وابن المنذر والبيهقي وغيرهم وأخرجه الترمذي وقال حسن صحيح وعبد بن حميد عن أنس فذكر قصة وفيها أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال الفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها ويدل على هذه الوراثة المذكورة هنا قوله تعالى تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا وقوله فلكم الجنة أو رثوها بما كنتم تعملون وشهد الحديث أبي هريرة هذا ما في صحيح مسلم عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال يجي يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال فيغفرها الله لهم ويضعها عن اليهود والنصارى وفي لفظ له قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا كان يوم القيامة دفع الله إلى كل مسلم دينه ودينه وأرضه وأرضه فيقول هذا فكاك من النار (هم فيها خالدون) حالة أو مستأننة لا محل لها ومعنى الخلود أنهم يدومون فيها لا يخرجون منها ولا يموتون فيها وتأنيت الضمير مع أنه راجع إلى الفردوس لأنه بمعنى الجنة وما حدث الله سبحانه عباده على العبادة ووعدهم الفردوس على فعلها وتضمن ذلك المعاد الآخر عاد إلى تقرير المبدأ التي يمكن ذلك في نفوس المكلفين فإن الابتداء في العادة أصعب من الاعادة لقوله وهو أهون عليه وجعله ماذ كرمه من الدلائل أنواع أربعة الأولى الاستدلال بتقلب الانسان في أطوار الخلقة وهي تسعة آخرها تبعثون الثاني خلق السموات بقوله ولقد

أبغض فلانا فأبغضه قال فيبغضه جبريل ثم ينادي في أهل السماء إن الله يبغض فلانا فأبغضوه قال فيبغضه أهل السماء ثم يوضع له البغضاء في الأرض ورواه مسلم من حديث سهيل ورواه أحمد والبخاري من حديث ابن جريج عن موسى بن عقبة عن نافع مولى بن عمر عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن بكر حدثنا ميمون أبو محمد المرائي حدثنا محمد بن عباد الخزرجي عن ثوبان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن العبد ليلتمس مرضاة الله عز وجل فلا يزال كذلك فيقول الله عز وجل لجبريل ان فلانا عبد يلقى ان يرضيني الا وان رجيت عليه فيقول جبريل رجى الله على فلان ويقولها جل العرش ويقولها من حولهم حتى يقولها أهل السموات السبع ثم يبط إلى الأرض غريب ولم يخرجوه من هذا الوجه وقال الامام أحمد

حدثنا أسود بن عامر حدثنا بشر بن عمار عن محمد بن سعد الواسطي عن أبي ظبية عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المقة من الله قال شريك هي المحبة والصيت من السماء فاذا أحب الله عبد قال جبريل عليه السلام اني أحب فلانا فينادي جبريل ان ربكم يقه يعني يحب فلانا فاحبوه أرى شريكاً قد قال فتزل له المحبة في الأرض واذا بغض عبد قال جبريل اني أبغض فلانا فابغضه قال فينادي جبريل ان ربكم يبغض فلانا فابغضوه أرى شريكاً قال فيجري له البغض في الأرض غريب ولم يخرجوه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو داود الخندي حدثنا عبد العزيز يعني ابن محمد وهو الدراوردي عن مهيل ابن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا أحب الله عبد نادى جبريل اني قد أحبت فلانا فاحبه فينادي في السماء ثم ينزل له المحبة في أهل الأرض فذلك (٢٢٤) قول الله عز وجل ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل

لهم الرحمن رداً ورواه مسلم والترمذي كلاهما عن عبد الله عن قتيبة عن الدراودي به وقال الترمذي حسن صحيح وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله سيجعل لهم الرحمن ودا قال حبا وقال مجاهد عنه سيجعل لهم الرحمن ودا قال محبة في الناس في الدنيا وقال سعيد ابن جبير عنه سيحبهم ويحبهم يعني الى خلقه المؤمنين كما قال مجاهد أيضاً والضالك وغيرهم وقال العوفي عن ابن عباس أيضاً الود من المسلمين في الدنيا والرزق الحسن واللسان الصادق وقال قتادة ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا أي والله في قلوب أهل الإيمان ذكر لنا ان هرون بن حبان كان يقول ما أقبل عبد بقلبه الى الله الا أقبل الله بقلوب المؤمنين اليه حتى يرزقه مودتهم ورحمتهم وقال قتادة وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه يقول ما من عبد يعمل خيراً أو شراً الا كساه الله عز وجل رداً

خالقة فوقكم سبع طرائق الثالث انزال الماء بقوله وأنزلنا من السماء ماء الرابع الاستدلال باحوال الحيوانات بقوله وان لكم في الانعام لعبرة وأحوال الحيوان أربعة مذكورة في الآية فقال (ولقد) أي والله لقد (خلقتنا الانسان) أي الجنس لانهم مخلوقون في ضمن خلق أبيهم آدم وقيل المراد به آدم (من سلالة) فعالة من السل وهو استخراج الشيء من الشيء والسلالة الخلاصة لانها تنسل من بين الكدر وقيل انما هي التراب الذي خلق آدم منه سلالة لانها تنسل من كل تراب يقال سللت الشعرة من العجين والسيف من الغمد فانسل فالنطفة سلالة والولد سليل وسلالة أيضاً وقيل السلالة الطين اذا عصرته انسل من بين أصابعه فالذي يخرج هو السلالة قاله الكلبي وعن ابن عباس قال السلالة صفو الماء الرقيق الذي يكون منه الولد وعن ابن مسعود قال ان النطفة اذا وقعت في الرحم طارت في شعر وظفر فبكث أربعين يوماً ثم يخرج في الرحم فيكون علقته وللتابعين في تفسير السلالة أقول قد قدمنا الإشارة اليها أي سلالة كائنة (من طين) من اللين والمعنى انه سبحانه خلق جوهر الانسان أو لامن طين لان الأصل آدم وهو من طين خالص وأولاده من طين ومنى (ثم جعلناه) أي الجنس باعتبار افراده الذين هم بنو آدم أو جعلنا نسله على حذف منافي ان أريد بالانسان آدم (نطفة) وقد تقدم تفسير النطفة في سورة الحج وكذلك تفسير العلقة والمضغة (في قرار مكين) المراد به الرحم وعبر عنها بالقرار الذي هو مصدره بالغة واختلاف العواطف بنم والقائه تناوت الاستحالات يعني ان بعضهما مستبعد حصوله بمابقله وهو المعطوف بنم فجعل الاستبعاد عقلاً وأرتبة منزلة التراخي والبعد الحسي لان حصول النطفة من اجزاء ترابية غريب جداً وكذا جعل النطفة البيضاء دماً أجراً بخلاف جعل الدم لحماً شبهه في اللون والصورة وكذا انصليح احتي تسير عظامه لانها قد يحصل ذلك بالمكث فيما يشاهد وكذلك لم المضغة عليه ليستره فسد ما قيل ان الوارد في الحديث ان مدة كل استحالة أربعين يوماً

عمله وقال ابن أبي حاتم رحمه الله حدثنا أحمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن الربيع بن صبح عن الحسن البصري وذلك رحمه الله قال قال رجل والله لا عبد من الله عبادة اذ كرهها فكان لا يرى في حين صلاة الا قائماً يصلي وكان أول داخل الى المسجد وآخر خارج فكان لا يعظم فكث بذلك سبعة أشهر وكان لا يمر على قوم الا قالوا انظروا الى هذا المرأى فاقبل على نفسه فقال لا اراني اذ كرا لا بشر لا جعلن علي كاه الله عز وجل فلم يزد علي ان قلب نيتي ولم يزد علي العمل الذي كان يعمل فكان يمر بعد الصلاة فيقولون رحمه الله فلانا الآن الآن وتلا الحسن ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا وقد روى ابن جرير أثر ان هذه الآية نزلت في هجرة عبد الرحمن بن عوف وهو خطأ فان هذه السورة بكاملها مكية لم ينزل منها شيء بعد الهجرة ولم يصح سند ذلك والله أعلم وقوله فانما يبشرنا به عن القرآن بلسانك أي يا محمد وهو اللسان العربي المبين الفصح الكامل لتبشيره المتقين أي

المستحيين لله المصدقين لرسوله وتذنبه قوم الداءى عوجا عن الحق مائلين الى الباطل وقال ابن أبي نجيج عن مجاهد قوم الداء لا يستقيمون وقال الثوري عن اسمعيل وهو السدي عن أبي صالح وتذنبه قوم الداء عوجا عن الحق وقال الضحاك الادل الحسم وقال القرظي الادل الكذاب وقال الحسن البصري قوم الداء صما وقال غيره صم آذان القلوب وقال قتادة قوم الداء يعنى قريشا وقال العوفي عن ابن عباس قوم الداء اخارا وكذا روى ليث بن أبي سليم عن مجاهد وقال ابن زيد الادل الظالم وقرأ قوله تعالى وهو الادل الخصام وقوله وكم أهلكنا قبلهم من قرن أى من أمة كثر وأبآيات الله وكذبوا رسله هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا أى هل ترى منهم أحد أو تسمع لهم ركزا قال ابن عباس وأبو العالية وعكرمة والحسن البصري وسعيد بن جبير والضحاك وابن زيد يعنى صوتا وقال الحسن وقتادة هل ترى عينا أو تسمع صوتا والركز فى اصل (٢٢٥) اللغة هو الصوت الخفى فال الشاعر

فتوجست ركزا الانيس فراها
عن ظهر غيب والانيس ستامها
آخر تفسير سورة مريم والله الحد
والمنة يتلوه ان شاء الله تفسير سورة
طه والله الحد

* (سورة طه وهى مكينة) *

روى امام الأئمة محمد بن اسحق بن
خزيمة فى كتاب التوحيد عن زياد
ابن أيوب عن ابراهيم بن المنذر
الحزامى حدثنا ابراهيم بن مهاجر بن
مسما عن عمر بن حفص بن ذكوان
عن مولى الحرقة يعنى عبد الرحمن
ابن يعقوب عن أبي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
الله قرأ طه وبس قبل ان يخلق آدم
بألف عام فلما سمعت المسلاكة
قالوا طوبى لامة ينزل عليهم هذا
وطوبى لأجواف تحمل هذا وطوبى
لألسن تتكلم بهذا هذا حديث
غريب وفيه زيادة و ابراهيم بن
مهاجر وشيخه تكلم فيهما

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى

وذلك يقتضى عطف الجميع بتم ان نظرا لآخر المدة وأولها أوية يقتضى العطف بالناء ان نظرا
لاخرها فقط (ثم خلقنا النطفة علقة) أى انه سبحانه أحال النطفة البيضاء علقة جراء
(خلقنا العلقة مضغة) أى قطعة لحم غير مخلقة (خلقنا المضغة) أى غالبها أو كلها أقولان
حكاهما أبو السعود (عظاما) أى متصلة لتكون عمودا للبدن على اشكال مخصوصة
(فكسونا العظام لحما) من بقية المضغة وأما انبث الله سبحانه على كل عظم لحما على المقدار
الذى يليق به ويناسبه (ثم أنشأناه خلقا آخر) مبينا للخلق الاول أى نفخنا فيه الروح بعد
ان كان جادا قاله ابن عباس وبه قال مجاهد وعكرمة والشعبي والحسن وأبو العالية
والربيع بن أنس والسدي والضحاك وابن زيد واختاره ابن جرير وقيل أخر جنادا الى
الدنيا وقيل هونبات الشعر وقيل خروج الأسمان قاله ابن عباس وقيل تكميل
التوى المخلوقة فيه وقيل كمال شبابه وقيل ان ذلك تصرف أحواله بعد الولادة من
الاستهلال الى الرضاع الى القعود والقيام الى المشى الى النظام الى ان يأكل ويشرب
الى ان يبلغ الحلم ويتقلب فى البلاد الى ما بعدهما والصحيح انه عام فى هذا وفى غيره من النطق
والادراك وحسن المحاولة وتحصيل المعقولات الى ان يموت قال الكرخى المعنى حولنا
النطفة عن صفاتها الى صفة لا يحيط بها وصف الواصفين (فتبارك الله) أى استحق
التعظيم والثناء وقيل مأخوذ من البركة أى كثر خير وبركته (أحسن الخالقين)
أى المصورين والخلق فى اللغة التقدير يقال خلقت الأديم اذا قصته لتقطع منه شيئا فعناه
أنسن المانعين المقدرين خلقنا فى الظاهر والافاللة خالق الكل عن صالح أبي الخليل قال
لما نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم لم الى قوله ثم أنشأناه خلقا آخر قال عمر
رضى الله عنه فتبارك الله أحسن الخالقين قال والذي ينسى بيده ختمت بالذى تكلمت به
يا عمر وعن أنس قال قال عمر وافقت ربى فى أربع قلت يا رسول الله لو صليت خلف المقام
فأنزل الله واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقلت يا رسول الله لو اتخذت على نسائك حجابا

(٢٩ - فتح البيان سادس) الاتذ كره ان يحشى تنزيلا من خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى
له ما فى السموات وما فى الارض وما بينهما ما تحت الثرى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى
قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة فى أول سورة البقرة بما أغنى عن اعادته وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسين بن محمد بن شعبة
الواسطى حدثنا أبو حمديعى الزبيرى أنبأنا اسرائيل عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال طه ياربجل وهكذا
روى عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وعطاء ومحمد بن كعب وأبي مالك وعطية العوفى والحسن وقتادة والضحاك والسدي
وابن أبى نعيم قالوا طه بمعنى ياربجل وفى رواية عن ابن عباس وسعيد بن جبير والثوري انها كلمة بالنبطية معناها ياربجل وقال
ابو مالك هو معرب وأسمد القاضى عياض فى كتابه الشفا من طريق عبد بن حميد فى تفسيره حدثنا هاشم بن القاسم عن ابن جعفر

عن الربيع بن أنس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى قام على رجل ورفع الأخرى فانزل الله تعالى طه يعني طأ الأرض يا محمد ما أنزلنا عليك القرآن لتشقي ثم قال ولا يخفى ما في هذا من الأكرام وحسن المعاملة وقوله ما أنزلنا عليك القرآن لتشقي قال جويرير عن الضحاك لما أنزل الله القرآن على رسوله صلى الله عليه وسلم قام به هو وأصحابه فقال المشركون من قرئش ما أنزل هذا القرآن على محمد إلا لتشقي فانزل الله تعالى طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقي إلا تذكرة لمن يخشى فليس الأمر كما زعمه المبطلون بل من آناه الله العلم فقد أراد به خيراً كثيراً كما ثبت في الصحيحين عن معاوية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ير الله به خيراً ينقهه في الدين ومأحسن الحديث رواه الحافظ أبو القاسم الطبراني في ذلك حيث قال حدثنا أحمد بن زهير حدثنا العلاء بن سالم حدثنا إبراهيم الطالقاني حدثنا ابن المبارك عن سفيان (٢٢٦) عن سمك بن حرب عن ثعلبة بن الحَكَم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول الله تعالى للعلماء يوم القيامة إذا قعدت على كرسيه لقضاء عبادي أني لم أجعل علمي وحكمي فيكم إلا وأنا أريد أن أغفر لكم على ما كان منكم ولا أبالي أسأله جمد وعلبة ابن الحكم هذا هو الذي ذكره أبو عمر في استيعابه وقال نزل البصرة ثم تحول إلى الكوفة وروى عنه سمك ابن حرب وقال مجاهد في قوله ما أنزلنا عليك القرآن لتشقي هي كقوله فافروا ما تبسر منه وكنوا يعلمون الحبال بصدورهم في الصلاة وقال قتادة ما أنزلنا عليك القرآن لتشقي لا والله ما جعله شقاء ولكن جعله رحمة ونورا ودليلاً إلى الجنة إلا تذكرة لمن يخشى أن الله أنزل كتبه وبعث رسله رحمة رحمها عباده ليتذكروا وينتفع رجل بما سمع من كتاب الله وهو ذكر أنزل الله فيه حلاله وحرامه وقوله تنزيلاً من خلق الأرض والسموات العلى أي هذا القرآن الذي جاءك يا محمد هو تنزيل من ربك كل شيء

فانه يدخل عليك البر والنجاة فانزل الله وإذا سألتهم متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب وقلت لازواجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم لتنهن أو ليبدلنه الله أزواجاً خيراً منك فنزلت عسى ربه أن طلقك أن الآيات ونزلت ولقد خلقنا الإنسان من سلاله إلى قوله ثم أنشأنا خلقاً آخر فقلت فتبارك الله أحسن الخالقين أخرجه الطيالسي وابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساکر وعن زيد بن ثابت قال أُمي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية ولقد خلقنا الإنسان الآية فقال معاذ بن جبل فتبارك الله أحسن الخالقين فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال له معاذ ثم ضحك يا رسول الله قال بها ختم وفي أسناده جعفر الجعفي وهو ضعيف جداً قال ابن كثير وفي خبره هذا إنكاراً شديدة وذلك أن هذه السورة مكية زيد بن ثابت إنما كتب الوحى بالمدينة وكذلك أسلام معاذ إنما كان بالمدينة والله تعالى أعلم (ثم أنكم بعد ذلك) أي الأمور المتقدمة (لميتون) أي اصنئون إلى الموت لا شئاً (ثم أنكم يوم القيامة تبعثون) من قبوركم إلى الخشعر للعساب والجزاء والعقاب (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) اللام جواب قسم محذوف والجملة مبتدأة مشتملة على بيان خلق ما يحتاجون إليه بعد بيان خلق أنفسهم والمراد بالوقوف جهة العلو من غير اعتبار فوقية لهم لأن تلك النسبة إنما تعرض لهم بعد خلقهم ووقت خلق السموات لم تكن مخلوقات لم تكن هي فوقنا بل خلقنا بعد قاله الخنفاوى والطرائق هي السموات قال الخليل والنراء والزجاج سميت طرائق لأنها طورق بعضها فوق بعض كطارقة النعل وكل ما فوقه مثله فهو طريقته قاله البيضاوى قال أبو عبيد طارقت الشئ جعلت بعضه فوق بعض والعرب تسمى كل شئ فوق شئ طريقته وقيل لأن طرائق الملائكة في العروج والهبوط والطيران قاله الرازى وقيل لأنها طرائق الكواكب ومقتلباتهم (وما كنا عن الخلق غافلين) لمراد بالخلق هنا المخلوق أي وما كنا عن هذه السبع الطرائق وحفظها عن أن تقع على الأرض بغافلين وقال أكثر

المفسرين ولم يكن القادر على ما يشاء الذي خلق الأرض باختصاصها وكثافتها وخلق السموات العلى في ارتفاعها ولطافتها وقد جاء في الحديث الذي صححه الترمذي وغيره أن كل سماء مسيرة خمسمائة عام وبعد ما بينها والتي تليها مسيرة خمسمائة عام وقد أورد ابن أبي حاتم هذا حديث الأوعال من رواية العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثنى الله عنه وقوله الرحمن على العرش استوى تقدم الكلام على ذلك في سورة الأعراف بما أغنى عن إعادته أيضاً وأن لمسلك الإسلام في ذلك طريقة السلف أمر ما جاء في ذلك من الكتاب والسنة من غيبة تكيف ولا تحريف ولا تشبيه ولا تعظيم ولا تكميل وقوله ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى أي الجميع ما كنه في قبضته وتحت تصرفه وشيئته وأراد به وحكمه وهو خالق ذلك ومالكه واله لا اله سواه ولا رب غيره وقوله وما تحت الثرى قال محمد بن كعب أي ماتحت الأرض السابعة وقال الأوزاعي إن يحيى بن أبي كثير حدثه أن كعباً سأل فقيل له ماتحت هذه الأرض فقال الماء قيل وماتحت الماء قال الأرض قيل وماتحت الأرض قال الماء قيل

وما تحت الماء قال الارض قيل وما تحت الارض قال الماء قيل وما تحت الارض قال حوت معلق طرفاه بالعرش قيل وما تحت الحوت قال الهواء والظلمة وانقطع العلم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو عبيد الله بن أخي بن وهب حدثنا عبيد الله بن عباس حدثنا عبد الله بن سليمان عن دراج عن عيسى بن هلال الصديقي عن عبد الله بن عمر وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الارضين بين كل أرض وأرض تليها مسيرة خمسمائة عام والعليان منها على ظهر حوت قد اتفق طرفاه في السماء والحوت على صخرة والصخرة بيد الملك والثانية سجن الريح والثالثة فيها حجارة جهنم والرابعة فيها كبريت جهنم والخامسة فيها حيايات جهنم والسادسة فيها عقارب جهنم والسابعة فيها سقر (٢٢٧) وفيها ابليس مصفد بالحديد أمامه ويد خلفه فإذا أراد الله ان يطلقه لما يشاء

أطلقه وهذا حديث غريب جدا ورفعته فيه نظر وقال الحافظ أبو يعلى في مسنده حدثنا أبو موسى الهروي عن العباس بن الفضل قلت ابن الفضل الانصاري قال نعم عن القاسم بن عبد الرحمن عن محمد بن علي عن جابر بن عبد الله قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فاقبلنا راجعين في حر شديد ففحن متفرقون بين واحد واثنين منتشرين قال وكنت في أول العسكر اذ عارضنا رجل فسلم ثم قال ايكم محمد ومضى أصحابي ووقفت معه فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقبل في وسط العسكر على جمل أحمر مقنع بشو به على رأسه من الشمس فقلت أيها السائل هذا رسول الله قد أتاك فقال أيهم هو فقلت صاحب البكر الأحمر فدنا منه فأخذ بخطام راحلته فكف عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنت محمد قال نعم قال اني أريد

المفسر من المراد الخلق كلهم بل حفظنا السموات عن ان تسقط وحفظنا من في الارض ان تسقط السماء عليهم فقلنا لهم أو عيبتهم الارض أو لم يكون بسبب من الاسباب المستأصلة لهم ويجوز ان يرادني الغفلة عن القيام بعصا لحهم وما يعيشهم ونفي الغفلة عن حفظهم وعن أعمالهم وأقوالهم (وأمرنا من السماء ماء) هذا من جملة ما امتن الله سبحانه به على خلقه والمراد بالماء المطر فان به حياة الارض وما فيها من الحيوان ومن جملة ذلك ماء الانهار النازل من السماء والعيون والآبار المستخرجة من الارض فان اصلها من ماء السماء وقيل ماء اى عذبا والآفلا جاج ثابت في الارض مع التعط والعذب يتل مع التعط وفي الاحاديث ان الماء كان موجودا قبل خلق السموات والارض ثم جعل الله منه في السماء ماء وفي الارض ماء كذا في البحر ومن ابتدائية وتقدية على المفعول الصريح للاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر والعدول عن الاضمار لان الانزال لا يعتبر فيه عنوان كونه اطراف بل مجرد كونه ابصفة العلو (بقدر) اى بتقدير من لا يستجلب منافعهم ودفع مضارهم او تقدير ما يكون به صلاح الزرائع والثمار والشرب فانه لو كثير لكان به هلاك ذلك ومثله قوله تعالى وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم (فاسكننا في الارض) أى جعلناه ساكنا مستقرنا بابتنا فيها بعضه على ظهرها وبعضه في بطنها ينتفعون به وقت حاجتهم اليه كالماء الذي يبقى في المستنقعات والغدران ونحوها عند انقطاع المطر وأخرج ابن مردويه والخطيب قال السيعوطي بسند ضعيف عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال انزل الله من الجنة الى الارض خمسة انهار سيجون وهو نهر الهند وجيحون وهو نهر بلخ ودجلة والفرات وهما نهر العراق والنيل وهو نهر مصر انزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة من اسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل فاستودعها الجبال وأجرها في الارض وجعلها منافع للناس في اصناف معاشهم فذلك قوله وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكننا في الارض فاذا كان عند خروجه بأجوج

أن أسألك عن خصال لا يعلمن أحد من أهل الارض الا رجل أو رجلان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سل عما شئت قال يا محمد أينام النبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تنام عيناه ولا ينام قلبه قال صدقت ثم قال يا محمد من اين يشبه الولد أباه وأمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماء الرجل ابيض غليظ وماء المرأة رقيق فأى الماء من غلب على الآخر غلب على الولد فقال صدقت فقال للرجل من الولد والملا المرأة منه فقال للرجل رجل العظام والعروق والعصب والمرأة اللحم والدم والشعر قال صدقت ثم قال يا محمد ما تحت هذه يعنى الارض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق فقال فتحتهم قال ارض قال فتحت الارض قال الماء قال فتحت الماء قال ظلمة قال فتحت الظلمة قال الهواء قال فتحت الهواء قال الثرى قال فتحت الثرى ففاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء وقال انقطع علم الخلق عند علم الخالق أيها السائل والمسئول عنها بأعلم من السائل قال فقال صدقت

أشهد أنك رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها الناس هل تدرون من هذا قالوا الله ورسله أعلم قال هذا جبريل صلى الله عليه وسلم هذا حديث غريب جداً وسياق عجيب تفرد به القاسم بن عبد الرحمن هذا وقد قال فيه يحيى بن معين ليس بساوي شيئاً وضعفه أبو حاتم الرازي وقال ابن عدي لا يعرف قلت وقد خا ط في هذا الحديث ودخل عليه شيء في شيء وحديث في حديث وقد يحتمل أنه تعمّد ذلك أو أدخل عليه فيه والله أعلم وقوله وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى أي أنزل هذا القرآن الذي خلق الارض والسموات العلى الذي يعلم السر وأخفى كما قال تعالى قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض انه كان غفوراً رحيماً قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعلم السر وأخفى قال السمر ما سره ابن آدم في نفسه وأخفى ما أخفى علي ابن آدم مما هو فاعله قبل ان يعلمه فانه يعلم ذلك كما فعله فيما مضى من ذلك وما بقي علم واحد وجميع الخلائق في ذلك (٢٢٨)

عنده كنفس واحدة وهو قوله ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وقال الضعفاء يعلم السر وأخفى قال السمر ما تحدث به نفسك وأخفى ما لم تحدث به نفسك بعد وقال سعيد بن جبيرة انت تعلم ما تسر اليوم ولا تعلم ما تسر غدا والله يعلم ما تسر اليوم وما تسر غدا وقال مجاهد وأخفى يعني الوسوسة وقال أيضاً هو وسعيد بن جبيرة وأخفى أي ما هو عامله ما لم يحدث به نفسه وقوله الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى أي الذي انزل عليك القرآن هو الله الذي لا اله الا هو والاسماء الحسنى والصفات العلى وقد تقدم بيان الاحاديث الواردة في الاسماء الحسنى في أوخر سورة الاعراف ولله الحمد والمنّة (وهل اتاك حديث موسى اذ رأى نارا فقال لاهله امشكوا انى آتت نارا لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى) من ههنا شرع تبارك

ومأجوج ارسل الله جبريل فرفع من الارض القرآن والعلم والحجر الاسود من ركن البيت ومقام ابراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الانهار الخمسة فيرفع كل ذلك الى السماء فذلك قوله (وانا على ذهاب بلة قادر) فاذا رفعت هذه الاشياء من الارض فقد أهلهها خيرا الدنيا والآخرة قال البغوي رواه الحسن بن سفيان بالا جازة عن سعيد بن سابق السكندري عن مسلمة بن علي عن مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس والمعنى كما قدرنا على انزاله ف نحن قادرون على ان نذهب به بوجه من الوجوه اما بالافساد واما بالتصعيد واما بالتعميق والتغوير في الارض ولهذا التنكير حسن موقع لا يخفى وفي هذا تهديد شديد لما يدل عليه من قدرته سبحانه على اذهابه وتغويره حتى يهلك الناس بالعطش وتملك مواشيهم ومثله قوله قل أرايتم ان اصبح ماء كم غورا فز يا تيكم بما معين ثم بين سبحانه ما يتسبب عن انزال الماء فقال (فأنا أنأنا) أي أوجدنا (لكم به) أي بذلك الماء (جنات من نخيل وأعناب) انما أفردهم بالذكر لكثرة منافعها فانهم ما يقومون مقام الطعام والادام والقوا كدربها ويابسوا وقيل اقتصر سبحانه عليهم لانهم الموجودون في الطائفة والمدينة وما يتصل بذلك كذا قال ابن جرير وقيل لانهم أشرف الاشجار غرة وأطيبها منفعة وطعمها ولذّة (لكم فيها) أي في هذه الجنات (فوا كه كثيرة) تتشكّهون بها (ومنها قاكلون) وتطعمون منها شتاء وصيفا وقيل المعنى ومن هذه الجنات وجوه ارزاقكم ومعاشكم كقولهم فلان يأكل من حرفة كذا وهو بعيد وقيل المعنى ان لكم فيها قوا كه من غير العنب والنخيل وقيل المعنى لكم في هذين النوعين خاصة فوا كه لان فيها أنواعا مختلفة متناوثة في الطعم واللون وقد اختلف أهل التفقه في لفظ النفا كهة على ماذا يطلق اختلافا كثيرا وأحسن ما قيل انها تطلق على الثمرات التي يأكلها الناس وليست بقوت لهم ولا طعام ولا ادم واختلف في البقول هل تدخل في النفا كهة أم لا (وشجرة) قال الواحدي والمفسرون كلهم يقولون ان المراد بهذه الشجرة شجرة الزيتون وخصت بالذ كر لانها لا يتعاهد لها أحد

وتعالى في ذكر قصة موسى وكيف كان ابتداء الوحي اليه وتنكّيه اياه وذلك بعد ما قضى موسى الاجل الذي بالسقي كان بينه وبين صهره في رعاية الغنم وسار بأهله قيل فاصدا بالادمصر بعدما طالت الغيبة عنها أكثر من عشرين سنين ومعز وجهه فأضل الطريق وكانت ليلة شاتية ونزل منزلا بين شعاب وجبال في برد وشتاء وصحاب وظلام وضباب وجعل يقدح بزبد معه ليحوري نارا كما جرت له العادة به فجعل لا يقدح شيئا ولا يخرج منه شرر ولا شيء فبينما هو كذلك اذا نس من جانب الطور نارا أي ظهرت له نار من جانب الجبل الذي هنالك عن يمينه فقال لاهله يبشروهم انى آتت نارا لعلى آتيكم منها بقبس أي شهاب من نار وفي الآية الاخرى أو جذوة من النار وهي الجمر الذي معه لعلكم تصطلون دل على وجود البرد وقوله بقبس دل على وجود الظلام وقوله أو أجد على النار هدى أي من يهديني الطريق دل على أنه كان قد ناه عن الطريق كما قال النوري عن أبي سعد الاعور عن عكرمة

عن ابن عباس في قوله أو أجد على النار هدى قال من يهديني إلى الطريق وكانوا شاكين وضلوا الطريق فلم يروى النار قال ان لم أجد
 احدا يهديني الطريق أتيتكم بنار توقدون بها (فلما أتاهم نودي يا موسى اني انار بك فاخلع نعليك انك بالوادي المقدس طوى
 وأنا اخترتك فاستمع لما يلوحى اني أنا الله لا اله الا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري ان الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما
 تسعى فلا يصدك عنهما من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى) يقول تعالى فلما أتاهم أي النار وأقرب منهم نودي يا موسى وفي الآية
 الاخرى نودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى اني أنا الله وقال ههنا اني انار بك أي الذي يكلمك
 ويخاطبك فاخلع نعليك قال علي بن أبي طالب وأبو ذر وأبو أيوب وغير واحد من السلف كاتمان جلد حمار غريزي و قيل انما أمره
 بجناح نعليه تعظيما للبقعة وقال سعيد بن جبيرة كما يؤمر الرجل ان يخلع (٢٢٩) نعليه اذا أراد ان يدخل الكعبة وقيل

ليطأ الارض المقدسة بقدميه
 حافيا غير متعل وقيل غير ذلك
 والله أعلم وقوله طوى هو اسم
 ابن أبي طلحة عن ابن عباس هو اسم
 للوادي وكذا قال غير واحد فعلى
 هذا يكون عطف بيان وقيل عبارة
 عن الامر بالوطء بقدميه وقيل
 لانه قدس مرتين وطوى له البركة
 وكررت والا قول أسحق كنوله اذا ناداه
 ربه بالوادي المقدس طوى وقوله وأنا
 اخترتك كنوله اني اصطنعتك على
 الناس برسالتي وبكلامي أي على
 جميع الناس من الموجودين في
 زمانه وقد قيل ان الله تعالى قال
 يا موسى أتدري لم خصصتك بالتكليم
 من بين الناس قال لا قال لاني لم
 يتواضع الى أحد تواضعك وقوله
 فاستمع لما يلوحى أي استمع الآن
 ما أقول لك وأوحيه اليك اني
 أنا الله لا اله الا أنا هذا أول واجب
 على المكافئين ان يعلموا انه لا اله
 الا الله وحده لا شريك له وقوله

بالسقي رهي التي يخرج الدهن منها وهي أول شجرة نبتت بعد الطوفان تعمّر في الارض
 كثيرا حتى قال بعضهم انها تعمّر ثلاثة آلاف سنة على ما ذكره الخازن وذكرها الله سبحانه
 امتنانا منه على عباده بها ولا نهأ كرم الشجر وأعمها نفعاً وأكبرها بركة (تخرج من
 طور سيناء) خصت به سمع انها تخرج من غيره أيضا لان أصلها منه ثم نقلت الى غيره ذكره
 زكريا وهو جبل بيت المقدس والطور الجبل في كلام العرب وقيل هو معارب من كلام
 المحم واختلف في معنى سيناء فقيل هو الحسن باللغة النبطية وقيل الحبشية وقيل
 بالسريانية ومعناه الجبل المتفبال اشجار وقيل كل جبل فيه اشجار مثمرة يسمى سيناء
 وسينين وقيل هو من السنا وهو الارتفاع وقيل هو المبارك وذهب الجمهور الى انه اسم
 للجبل كما تقول جبل أحد وقيل هو جبل فلسطين وقيل هو اسم المكان الذي فيه هذا الجبل
 وقيل سيناء اسم حجر بعينه أضيف الجبل اليه لوجوده عنده وقيل هو كل جبل يحمل
 الثمار وقرئ سيناء بفتح السين وبكسر ها ولم يصرف لانه جعل اسم البقعة وزعم الاخفش
 انه أعجمي قال ابن عباس هو الجبل الذي نودي منه موسى (تنبت بالدهن) قال ابن
 عباس هو الزيت يؤكل منه ويدهن به وقرئ بفتح التاء وضم الباء وضم التاء وكسر الباء
 من الثلاثي والرابع والمعنى على الاولى انها تنبت في نفسها متلبسة بالدهن وعلى الثانية
 الباء بمعنى مع فهي للمصاحبة قال أبو علي الفارسي التقدير تنبت جناها ومعها الدهن وقيل
 الباء زائدة قاله أبو عبيدة وقال الفراء والزجاج ان نبت وأنبت بمعنى والاصحى ينكر
 أنبت وقرئ تنبت بضم التاء وفتح الباء قال الزجاج وابن جني أي تنبت ومعها الدهن وقرأ
 ابن مسعود تخرج بالدهن وقرئ تنبت الدهن بحذف حرف الجر وقرئ بالدهان والدهن
 عصارة كل شيء ذي دسم قاله السمين (وصبغ للآكلين) أي تنبت بالشئ الجامع بين كونه
 دهنا يدهن به وكونه صبغا يؤتد به وقرئ صبغ مثل لبس ولباس وكل ادم يؤتد به فهو
 صبغ وصباغ وأصل الصبغ ما يلون به الثوب وشبهه الا دام به لان الخبز يكون بالادام

فاعبدني أي وحدني وقم بعبادتي من غير شريك وأقم الصلاة لذكري وقيل معناه صل لتذكرني وقيل معناه صل لأتذكرك
 لي ويشهد لهذا الثاني ما قال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا المشي بن سعيد عن قتادة عن أنس عن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم قال اذا رقد أحدكم عن الصلاة أو غفل عنها فليصلها اذا ذكرها فان الله تعالى قال وأقم الصلاة لذكري وفي الصحيحين
 عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم من نام عن صلاة أو نسيها فكفارتها أن يصلحها اذا ذكرها لا كنفارتها الا ذلك
 وقوله ان الساعة آتية أكاد أخفيها قال الضحاك عن ابن عباس انه كان يقرأ ما كاد
 أخفيها من نفسي يقول لانم لا تخفى من نفسي الله أبدا وقال سعيد بن جبيرة عن ابن عباس من نفسه وكذا قال مجاهد وأبو صالح
 ويحيى بن زافع وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أكاد أخفيها يقول لا أطعم عليها أحد غيري وقال السدي ليس احد من أهل

السموات والارض الا قد أخفى الله تعالى عنه علم الساعة وهي في قراءة ابن مسعود اني أ كاد أخفيها من نفسي يقول كتمت من الخلاق حتى لو استظعت ان أ كتمها من نفسي لنعلت وقال قتادة أ كاد أخفيها وهي في بعض التراآت أخفيها من نفسي ولعمري لقد أخفاها الله من الملائكة المقربين ومن الانبياء والمرسلين قلت وهذه كقوله تعالى قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وقال ثقلت في السموات والارض لانا نيكم الابطسة أي ثقل علمها على أهل السموات والارض وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا شبيب حدثنا أبو غيلة حدثني محمد بن سهل الاسدي عن ورقاء قال اقرأنيهم ساعدين جبراً كاد أخفيها يعني نصب الالف وخفض الفاء يقول أظهرها ثم قال اما سمعت قول الشاعر داب شهرين ثم شهراد ميكا * بار بكن يخفيان غيرا قال الاسدي الغمير نبت رطب ينبت

(٢٣٠)

وهذا الشعر لكعب بن زهير وقوله سبحانه وتعالى تجزي كل نفس بما تسعى أي أقيمتها لا محالة لا تجزي كل عامل بعمله فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره وانما تجزون ما كنتم تعملون وقوله فلا يصدك عنها من لا يؤمن بها الآية المراد بهذا الخطاب آحاد المكلفين أي لا تتبعوا سبيل من كذب بالساعة وأقبل على ملاذه في دنياه وعصى بولاه واتبع شواهق من وافقههم على ذلك فتدخا ب وخسر فتردى أي تهاك وتعطب قال الله تعالى وما يغني عنه ماله اذا تردى (وما تترك يمينك يا موسى قال هي عصا أتودك أ لميها وأهش بها على غنى ولي فيها ما رآب أخرى قال ألقها يا موسى فالتقاها فاذا هي حية تتسم قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى) هـ ابرهان من الله تعالى لموسى عليه السلام ومجزة عظيمة وخرق

كالمصروع به جعل الله سبحانه في هذه الشجرة المباركة آدماء هو الزيتون ودها وهو الزيت (وان لكم في الانعام لعبرة) هذه من جله النعم التي امتن الله بها عليهم وقد تقدم تنسير الانعام في سورة النحل وهي الابل والبقر والغنم قال اليسابوري ولعل القصد بالانعام هنا الى الابل خاصة لانها هي المحمول عليها في العادة ولانه قرن بها بالملك وهي سنائن البركان الفلك سنائن البحر قال ذوالرمة * سنائن برتحت خدي زمامها * وبين سبحانه امة عبرة وعظة لانها مما يستدل بحالها وفعالها على عظم القدرة الالهية وخصها بالعبرة دون النباتات لان العبرة فيها أظهر ثم فصل سبحانه ما في هذه الانعام من النعم بعدما ذكره من العبرة فيها للعباد فقال (استقيمكم) بضم النون وفتحها (مما في بطونها) يعني اللب المتكئون في بطونها المنصب الى ضرر وعها من بين فرت ودم فان في انفعاد ما تأكله من العلف واستحالتها الى هذا الغذاء اللذيذ والمشراب النفيس أعظم عبرة للمعتبرين وأ كبر موعظة للمتعتين رقرى بالقوة على ان الفاعل هو الانعام وذكره هنا بلفظ الجمع لانه راجع للانعام مراد بها الجمع وفي النحل قال مما في بطونه بالافراد نظرا الى ان الانعام اسم مفرد ذكره كرا في متشابه القرآن وقال الكرماني ان ما في النحل مراد به بعض الانعام وهو الاناث فاتي بالضمير مفردا مذكرا والمراد منه هنا الكل الشامل للاناث والمذكور بدليل العطف في قوله الآتي ولكم فيها منافع فان هذا لا يخص الاناث وهذا العطف لم يذكرفي النحل ثم ذكر ما فيها من المنافع اجمالا فقال (ولكم فيها) أي في ظهورها وألبانها وأولادها وأصوافها وأشعارها وهي حية (منافع كثيرة) ثم ذكر منفعة خاصة فقال (ومنهما ما يكون) بعد الذبح لما في الال من عظيم الانتفاع لهم وكذلك ذكر الركوب عليها لما فيه من المنفعة العظيمة فقال (وعليها) أي وعلى الانعام فان أريد بها الابل والبقر والغنم فالمراد وعلى بعض الانعام وهو الابل خاصة وان أريد بها الابل خاصة فالمعنى واضح ثم لما كانت الانعام غالب ما يكون الركوب عليه في البرنم اليها ما يكون الركوب عليه

في

للعادة باهر دال على انه لا يقدر على مثل هذا الا الله عز وجل وانه لا يأتي به الا نبى مرسل وقوله وما تألک بيمينك يا موسى قال بعض المفسرين انما قال له ذلك على سبيل الإناس له وقيل انما قال له ذلك على وجه التقرير رأى أما هذه التي في يمينك عصا التي تعرفها فسترى ما صنع بها الآن وما تألک بيمينك يا موسى استفهام تقرير قال هي عصا أي كأعليها أي أعظمها عليا في حال المشي وأهش بها على غنى أي أهز بها الشجرة لئلا تساقط ورقها لترعا غنى قال عبد الرحمن بن القاسم عن الامام مالك الهش أن يضع الرجل الحجج في الغصن ثم يحركه حتى يسقط ورقه وغره ولا يكسر العود فهذا الهش ولا يخط وكذا قال ديون بن مهران أيضا وقوله ولي فيها ما رآب أخرى أي مصالح ومنافع وحاجات أخر غير ذلك وقد تكلف بعضهم لذكر شيء من تلك المآرب التي أبهمت فقيل كانت تضيء له بالليل وتحرس له الغنم اذا نام ويغرسها فتصير شجرة تظله وغير ذلك من الامور الخارقة

للعادة والظاهر أنهم لم تكن كذلك ولو كانت كذلك لما استنكروا موسى عليه الصلاة والسلام صبراً ورتباً ثعباناً ما كان يفتر منها هارباً
ولكن كل ذلك من الأخبار الإسرائيلية وكذا قول بعضهم أنها كانت لا تدم عليه الصلاة والسلام وقول الآخر أنها هي الدابة التي
تخرج قبل يوم القيامة وروى عن ابن عباس أنه قال كان اسمها ماشا والله أعلم بالصواب وقوله تعالى قال ألقها يا موسى أي هذه العصا
التي في يدك يا موسى ألقها فألقها فاذا هي حية تسعى أي صارت في الحال حية عظيمة ثعباناً طويلاً يتحرك حركة سريعة فاذا هي
تمت كأنها جان وهو أسرع الحيات حركة ولكنه صغير فهذه في غاية الكبر وفي غاية السرعة الحركة تسعى أي تشي وتند - طرب قال
ابن أبي حاتم حدثنا أي حدثنا أحمد بن عبد الله حدثنا حفص بن جميع حدثنا مالك عن عكرمة عن ابن عباس قال ألقها فاذا هي حية
تسعى ولم تكن قبل ذلك حية فترت بشجرة ففكاها ومرت بصخرة فابتلعها (٢٣١) فجعل موسى يسمع وقع الصخرة في جوفها

فولى مسدراً ونودي أن يا موسى
خذها فلم يأخذها ثم نودي الثانية أن
خذها ولا تخف فقبل له في الثالثة
أنك من الآمنين فأخذها وقال
وهب بن منبه في قوله فألقها فاذا
هي حية تسعى قال فالتقاها على
وجه الأرض ثم حانت منه نظرة
فاذا بأعظم ثعبان نظر إليه
الناظرون يدب يلتمس كأنه يتبعني
شياً يريد أخذه يمر بالصخرة مثل
الخلف من الأبل فيلتقمها ويضعن
بالتاب من أنيبه في أصل الشجرة
العظيمة فيجثها عينا فتقدان ناراً
وقد عاد المحجن منها عرفاً قيل شعر
مثل النيازك وعاد الشعبان فامتلأ
القلب الواسع فيه أنهراس
وأنياب لها صريف فلما عين ذلك
موسى ولى مدبراً ولم يعقب فذهب
حتى أمعن ورأى أنه قد أعجز الحية ثم
ذكر به فوقف استحياء منه ثم نودي
يا موسى أي ارجع حيث كنت
فرجع موسى وهو شديد الخوف

في الجحر فقال (وعلى النمل تحملون) تميم اللعنة وتكميلاً للمنة ولما ذكر سبحانه
النمل اتبعه به ذكر نوح لانا قول من صنعه وذكر ما صنعه قوم نوح معه بسبب إهمالهم
للتدكير في مخلوقات الله سبحانه والتذكر لنعمة عليهم فقال (ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه)
وفي ذلك تعزية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتسليمة له ببيان أن قوم غيره من
الأنبياء كانوا يصنعون مع أنبيائهم ما يصنع قومهم معه واللام جواب قسم محذوف
والرأول للاستئناف وهذا شروع في خمس قصص هداً وأولها والثانية قصة هود وأولها ثم
إنشأنا من بعدهم قرناً آخرين والثالثة قوله ثم إنشأنا من بعدهم قرناً آخرين والرابعة قصة
موسى وهرون المذكور بقوله ثم أرسلنا موسى وأخاه والخامسة قصة عيسى وأمه
المذكورة بقوله وجعلنا ابن مريم وأمه آية ثم إن اسم نوح يشكرو نوح لقبه على ما قاله
الرازي أو عبد الله على ما قاله السيوطي وعاش نوح من العمر أربعمائة سنة وخمسين عاماً
مراراً وقد استقصته لتصل بقصة آدم المذكور لأنه مناسبتة بين نوح وآدم من حيث أنه
آدم الثاني لا لاختصار النوع الإنساني بعده في نسله (فقال يا قوم اعبدوا الله وحده
وأطيعوه ولا تشركوا به شيئاً كما يستفاد من الآيات الآخرة وجمله) (مالككم من الله غيره)
واقعة موقع التعاليل لما قبلها أي مالككم في الوجود الله غيره سبحانه ومن زائدة (أفلا
تتقون) تتقون أن تتركوا عبادته بكم الذي لا يستحقها غيره وليس لكم إلا سواه وقيل
المعنى أفلا تتقون أن يرفع عنكم ما خولكم من النعم ويسلبها عنكم وقيل المعنى أفلا
تقون أن ننسلكم عذاب الذي تقتضيه ذنوبكم بعبادتنا غير (فقال الملاء) أي الأشراف
(الذين كفروا) به (مر قومه) لا تباعهم وحاصل ما ذكره من الشبهة خمسة أولاً هاقولهم
(ما هذا إلا بشر مثلكم) أي من جنسكم في البشرية لا فرق بينه وبينكم (يريد) أي يطلب
(أن يتفضل عليكم) بأن يسودكم ويتشرف حتى تكونوا تابعين له متقادين لأمره

فقال خذها بيمينك ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى وعلى موسى حينئذ مدرعة من صوف قد دخلها بخلال من عيدان فلما أمره
بأخذها فطرف المدرعة على يده فقال له ملك أرايت يا موسى لو أذن الله بما تتحاذراً كانت المدرعة تغني عنك شيئاً قال لا ولكني
ضعيف ومن ضعف خلقت فكشفت عن يده ثم وضعها على فم الحية حتى سمع حس الانهراس والأنياب ثم قبض فاذا هي عصاه
التي عهد لها وإذا يده في موضعها الذي كان يضعها إذا نوحاً بين الشعبين ولهذا قال تعالى سنعيدها سيرتها الأولى أي إلى حالها التي
تعرف قبل ذلك (وانهم يدك إلى خناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى لتريك من آياتنا الكبرى انذهب إلى فرعون أنه
طغي قال رب انصرني على صديقي وبسري أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيراً من أعلى هرون أخي
اشد به أزرى وأنصره في أمري كي نسجك كثيراً ونذكرك كثيراً إنك كنت نبأ بصيراً) وهذا برهان ثان لموسى عليه السلام وهو

أن الله أمره أن يدخل يده في جيبه كما صرح به في الآية الأخرى وهما عبر عن ذلك بقوله وأخضعهم يدك إلى جناحك وقال في مكان آخر وأخضعهم إليك جناحك من الرهب فذا لك برهانان من ربك إلى فرعون وملئه وقال مجاهد وأخضعهم يدك إلى جناحك كفه تحت عضدك وذلك أن موسى عليه السلام كان إذا أدخل يده في جيبه ثم أخرجه أخرج تبتلاً لا كأنها فلقمة قرو قوله يخرج بيضاء من غير سوء أي من غير برص ولا أذى ومن غير شين قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة والضحاك والسدي وغيرهم وقال الحسن البصري أخرجهما والله كأنهما صباح فعلم موسى أنه قد لقي ربه عز وجل ولهذا قال تعالى لربك من آياتنا الكبرى وقال وهب قال له ربه أدنه فلم يزل يديه حتى سند ظهره بمجدع الشجرة فاستقر وذهبت عنه الرعدة وجمع يده في العصى وخضع برأسه وعنقه وقوله أذهب إلى فرعون أنه طغى أي أذهب إلى فرعون (٢٣٢) ملائكة مصر الذي خرجت فاراً منه وهارياً فادعاه إلى عبادة الله وحده

لا شريك له ومره فليحسن إلى بني إسرائيل ولا يعذبهم فإنه قد طغى وبغى وأثر الحياة الدنيا ونسى الرب الأعلى قال وهب بن منبه قال الله لموسى انطلق برسالتى فإني قد سمعنى وإن معك أيدي ونصرى وإني قد ألبستك جنة من سلطانى لتستكمل بها القوة فى أمرى فإنت جند عظيم من جنسدى بعثتك إلى خلق ضعيف من خلقى بطرنتهم حتى وأمن مكرى وغرته الدنيا عنى حتى مجدحتى وأنكر ربى بيتى وزعم أنه لا يعرفنى فإنى أقسم بعزى لولا القدر الذى وضعت بينى وبين خلقى لبطشت به بطشة جبار يغضب لغضبه السموات والأرض والجبال والبحار فأن أمرت السماء حصنته وأن أمرت الأرض ابتلعتته وأن أمرت الجبال دمرته وأن أمرت البحار غرقته ولكنه هان على وسقط من عيني ووسع على حلمي واستغفيت بما عندى وحق أنى أنا

ثم صرحوا بأن البشر لا يكونون رسولا فقالوا (ولو شاء الله) إرسال رسول (لا أنزل) أى لا أرسل ملائكة رسلا وعلى الشبهة الثانية وإنما عبر بالانزال عن الإرسال لأن إرسالهم إلى العباد يستلزم نزولهم إليهم وقيل معناه لو شاء أن لا يعبد غيره لا أنزل (ملائكة) لا بشرا (ما سمعنا بهذا) أى بمثل دعوى هذا المدعى للنبوّة من البشر أو بمثل كلامه وهو الأمر بعبادة الله وحده أو ما سمعنا بشرا يدعى هذه الدعوى وقيل الباء زائدة وهذه هى الشبهة الثالثة والعجب منهم أنهم رضوا بالالوهية للعبر ولم رضوا بالنبوّة للبشر (فى آياتنا الأولى) أى فى الأمم الماضية قبل هذا قالوا هذا اعتمادهم على التقليد واعتصامهم بجماله ولم يفتنعوا بذلك حتى ذهبوا إليه الكذب البحت والبهت الصراح فقالوا (إن دعوى الرجل به جنة) أى حالة جنون لا يدرك ما يقول وهى الشبهة الرابعة (فترى بصوابه حتى حين) أى أنتظر رآيه حتى يستبين أمره بأن يفتق من جنونه فيترك هذه الدعوى أو حتى يموت فتستريحوا منه وهى الشبهة الخامسة ولم يتعرض لردها الظهور فسادا فقال الفراء ليس يريد بالحين هنا وقت بعينه إنما هو كقولهم دعاه إلى يوم ما فلما سمع عليه السلام كلامهم وعرف عدايتهم على الكفر وأسرارهم عليه (قال رب انصرنى) عليهم فانتقم منهم بما تشاء وكيف تريد (بما كذبون) أى بسبب تكذيبهم إياى (فأوحينا إليه) أى أرسلنا إليه رسولا من السماء (أن اصنع الفلأ) أن مفسرة لما فى الوحى من معنى القول فلا حاجة إلى جعلها مصدرية والفلأ السفينة (بأعيننا) أى برأى منأ ومثلنا بحفظنا وكلا تنا وقيل بعلمنا فلا يتعرض له أحد ولا يفسد عليه علمه والاول أولى وجمع العين للجمع لغة وإن كانت العادة أن الرأى له عينان فقط وقد تقدم معنى هذا فى هود (ورحينا) أى بأمرنا لك وتعلمنا إياك لكيفية صنعها قبل وقد صنعها فى الدنيا وجعل طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين وارتفاعها ثلاثين وجعلها ثلاث طبقات السفلى للسباع والهاوam

والوسطى والعلوى لا غنى عنى فبلغه رسالتى وادعاه إلى عبادتى وتوحيدى وإخلاصى وذكره إياهم وحذره فتمت وبأبى وأخبره أنه لا يتوهم شئ لغضبى ونزل له فيما بين ذلك قولنا لعلنا نبتدأ أو يخشى وأخبره أنى إلى العنود والمغفرة أسرع منى إلى الغضب والعقوبة ولا يروى عنك ما ألبسته من لباس الدنيا فإن ناصيته بيدي ليس ينطق ولا يطرف ولا يتنفس إلا بأذنى وقد له أجبر بك فإنه واسع المغفرة وقد أمهلناك أربعمائة سنة فى كل ما أنت مبارك به بالخيار به تسبه وتتمثل به برصد عباده عن سبيله وهو يطر عليك السماء وينبت لك الأرض لم تسقم ولم تهرم ولم تفتتروا ولم تغلب ولو شاء الله أن يعاجلك العتوبة لفعل ولكنه ذواته وحلم عظيم وجاهده بنفسك وأخبرك أننا تحتسب أن يجاهدها فإنى لو شئت أن آتية بجنود لا قبل لها بها فعلت ولكن ليعلم هذا العبد الضعيف البنى قد أعجبته نفسه وجوعه أن الفئة القليلة ولا قليل منى تغلب الفئة الكثيرة بأذنى ولا تعجبنا كان ينته

ولما منع به ولا تعد الى ذلك أعين كما فاه زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين ولو شئت ان أرينكم ما من الدنيا بنية لم يعرفون حين ينظر اليها ان مقدرة تعجز عن مثل ما أوتيتما فعلت ولكني أرغب بكم عن ذلك وأزويه عنكم وكذلك أفعول بأوليائي وقد عاينا ما حرت في ذلك فاني لا ذودهم عن نعيمها وزخارفها كما يذود الراعي الشفيع ابله عن مبارك العناء وما ذاك لهما منهم على ولكن ليستكمموا نصيبهم في دار كرامتي سالما موافرا لم تكلمه الدنيا واعلم انه لم يتزين لي العباد بنية هي ابغ فيا عندى من الزهد في الدنيا فاهما زينة المتقين عليهم من الباس يعرفون به من السكينة والخشوع وسماهم في وجوههم من أن السجود أولئك وأوليائي حقا حقا فإذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك وذلل قلبك ولسانك واعلم أنه من أهان لي وليا وأخافه فقد بارزني بالمحاربة وباداني وعرض لي نفسه ودعاني اليها وانا أسرع شئ الى نصرته وأوليائي افيطن الذي يحاربني أن يقوم لي (٢٣٣) أم يظن الذي يعاديني أن يعجزني أم يظن

الذي يبارزني أن يسبقني أو يفوتني وكيف وأنا الشائر لهم في الدنيا والآخرة لا اكل نصرتهم الى غيري رواه ابن أبي حاتم قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري هذا سؤال من موسى عليه السلام لربه عز وجل ان يشرح له صدره فيما بعثه به فانه قد أمره بأمر عظيم وخطب جسيم بعثه الى أعظم ملك على وجه الارض اذ ذاك وأجبرهم وأشدهم كفرا وأكثرتهم جنودا وأمرهم بالكلوا أطغاهم وأبلغهم تمردا بلغ من أمره ان ادعى انه لا يعرف الله ولا يعلم لرعاياه الها غيره هذا وقد مكث موسى في داره مدة ولما بدا عندهم في حجر فرعون على فراشه ثم قتل منهم نفسا خافهم ان يقتلوه فهرب منهم هذه المدة بكل لها ثم بعد هذا بعثه ربه عز وجل اليهم نذير ايدعوهم الى الله عز وجل ان يعبدوه وحده لا شريك له ولهذا قال رب اشرح

والوسطى للدواب والالعام والعالم الانس كما مر (فاذا جاء أمرنا) الفاء لترتيب مضمون ما بعدها على ما قبلها من صنع الفلك والمراد بالامر الامر بالعذاب (وفار التنور) اي ان يحجى الامر هو فور التنور اي تنور آدم الذي تخبر فيه حواء الصائر الى نوح وكان من حجارة وقيل التنور وجه الارض واختلف في مكانه فقيل في مسجد الكوفة وقيل بالشام وقيل بالهند والمعنى اذا وقع ذلك (فاسلك) اي فادخل (فيها) يقال سلك في كذا أي دخله وأسلكته ادخلته وقال ابن عباس اجعل معك في السفينة (من كل زوجين اثنين) قرئ كل بالتنوين وبلاضافة ومعنى الاولى من كل أمة زوجين ومعنى الثانية من كل زوجين وهم أمة الذكور والانثى اثنين اي من غير البشر والافانه ادخل فيها من البشر سبعين أو ثمانين فادخل من هذا النوع زيادة على اثنين (وأهلك) أي واسلك فيها اهلك اي زوجتك وأولادك (الامن سبق عليه القول) اي الوعد الازلي بأهلا كمنهم كانه كنعان وأمه (ولا تخاطبني في الذين ظلموا) بالدعاء لهم بانحائهم (انهم مغرورون) تعليل للنهي عن المخاطبة اي انهم مقضى عليهم بالاغراق اظلمهم ومن كان هكذا فهو لا يستحق الدعاء له (فاذا استويت) أي علوت (أنت) واعتدلت (ومن معك) من أهلك واتبعك (على الفلك) راكبين عليه (فقل) وكان الظاهر ان يقال فتولوا اي أنت ومن معك وانما أفردنوحا بالامر بالدعاء المذكور اظهار النضلة واشعارا بان في دعائه مندوحة عن دعائهم (الحمد لله الذي نجا انا من القوم الظالمين) اي حال بيننا وبينهم وخلصنا منهم كقوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وقد تقدم تفسير هذه القصة في سورة هود على التام والكمال وانما جعل سبحانه استواءهم على السفينة نجاة من الغرق جزا لما لاند سبق في علمه ان ذلك سبب نجاتهم من الظلمه وسلامتهم من ان يصابوا بما أصيبوا به من العذاب ثم أمره ان يسأل ربه ما هو النفع له وأتم فائدة فقال (وقل رب أنزلني منزلا مباركا) اي أنزلني في السفينة قرئ منزلا بضم الميم وفتح الزاي على انه مصدر وفتح الميم وكسر الزاي على انه اسم

(٣٠ - فتح البيان سادس) لي صدري ويسر لي أمري أي ان لم تكن أنت عوني ونصيري وعضدي وظهيري والافلاطاة لي بذلك واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي وذلك لما كان أصابه من اللثغ حين عرض عليه القمرة والجرة فأخذ الجرة فوضعهما على لسانه كما سيأتي بيانه وما سأل ان يزول ذلك بالسكينة بل بحيث ما يزول العي ويحصل لهم فهم ما يريد منه وهو قدر الحاجة ولو سأل الجميع زال ولكن الانبياء لا يسألون الا بحسب الحاجة ولهذا بقيت بقية قال الله تعالى اخبار عن فرعون انه قال أم انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين أي يفصح بالكلام وقال الحسن البصري واحلل عقدة من لساني قال حل عقدة واحدة ولو سأل أكثر من ذلك أعطى وقال ابن عباس شكك موسى الى ربه ما يخوف من آل فرعون في القتل وعقدة لسانه فانه كان في لسانه عقدة تمنعه من كثير من الكلام وسأل ربه ان يعينه بأخيه هرون يكون له رداً ويتكلم عنه بكثير مما لا يفصح به لسانه فاتاه سؤله فحل

عقدة من لسانه وقال ابن حاتم ذكر عن عمرو بن عثمان حدثنا بقية عن ارباطة بن المنذر حدثني بعض أصحاب محمد بن كعب عنه قال أتاه ذو قرابة له فقال له ما بك بأس لولا انك تلحن في كلامك ولست تعرب في قراءتك فقال القرظي يا ابن أخي أأنت أفهمك اذا حدثتك قال نعم قال فان موسى عليه السلام انما سأل ربه ان يحمل عقدة من لسانه كي يفتقه بنو اسرائيل كلامه ولم يزد عليه هذا لفظه وقوله واجعل لي وزيراً من أهلي هرون أخى وهذا أيضاً سؤال من موسى عليه السلام في أمر خارجي عنه وهو مساعد أخيه هرون له قال الثوري عن أبي سعيد عن عكرمة عن ابن عباس انه قال نبي هرون ساعدت حين نبي موسى عليه السلام وقال ابن أبي حاتم ذكر عن ابن غير حدثنا أن أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة انها خرجت فيما كانت تعفر فزلت ببعض الاعراب فسمعت رجلاً يقول أي أخ كان في الدنيا (٢٣٤) أنفع لآخيه قالوا ما ندري قال أنا والله أدري قالت فقات في نفسي في حلقة

لا يستثنى انه لم أي أخ كان في الدنيا أنفع لآخيه قال موسى حين سأل لآخيه النبوة فقات صدق والله فأت ومن هذا قال الله تعالى في التثنية على موسى عليه السلام وكان عند الله وجهاً وقوله اشدد به أزرى قال مجاهد ظهري وأشركه في أمرى أي في مشاورتي كي نرجو ككثيراً ونذكر ككثيراً قال مجاهد لا يكون العبد من الذاكرين الله كثير احبني يذكرك الله فأعنا وقاعدنا ومضطجعاً وقوله انك كنت بنابصير أي في اصطفاك لما اعطاك انا النبوة وبعثتك لنا الى عدوك فرعون فلك الحمد على ذلك (قال قد أوتيت سؤالك يا موسى ولقد مننا عليك مرة أخرى اذ أوحينا الى أمك ما يوحى أن اقد فيه في التباوت فاقد فيه في اليم فليقلته اليم بالساحل يأخذ هذه عدوتى وعدولة وألقيت عليك محبة منى ولتصنع على عيني

مكان فعلى الاولى التقدير أنزلني انزالاً مباركاً وعلى الثانية أنزلني مكاناً مباركاً قال الجوهري المنزل بفتح الميم والزاى النزول وهو الحلول تقول نزلت نزولاً ومنزلاً عن مجاهد قال قال الله تعالى لنوح حين أنزل من السفينة وقيل أمره الله سبحانه بان يقول هذا القول عند دخول السفينة وقيل عند خروجه منها وأراد بالبركة النجاة من الغرق وكثرة النسل بعد الانجاء والاية تعلم من الله لعباده اذ اركبوا ثم نزلوا ان يقولوا هذا القول قال الواحدى قال المفسرون انه أمر أن يقول عند استوائه على الفلك الحمد لله وعند نزوله منها رب أنزلني منزلاً مباركاً (وأنت خير المنزلين) هذا ثناء منه على الله عز وجل أن ردعائه (ان في ذلك) أي ما تقدم مما قصه الله علينا من أمر نوح عليه السلام والسفينة وهلاك الكفار (لايات) أي دلالات على كمال قدرته سبحانه وعلامات يستدل بها على عظيم شأنه (وان كالمبتلين) أي تختبرين قوم نوح بارساله اليهم ووعظه أو لختبرين لهم بارسال الرسل اليهم ليظهر المطيع والعاصي للناس أولاً ملائكة وقيل المعنى انه يعاملهم سبحانه معاملة المختبر لا حوالهم ثم تارة بالارسال وتارة بالعذاب لينظر من يعتبر ويذكر كقولوه ولقد تركناهم آية فهل من مدكر (ثم أنشأنا من بعدهم) أي من بعدهم اخلاهم (قرنا) أي قوماً (آخرين) قال أكثر المفسرين ان هؤلاء هم عاد قوم هود بنجي قصتهم على أثر قصة نوح في غير هذا الموضع وقوله في الاعراف واذا جعلناكم خلائفاً من بعدهم قوم نوح وقيل هم هود لانهم الذين أهلكوا بالصيحة وقد قال سبحانه في هذه القصة فاخذتهم الصيحة وقيل هم أصحاب مدائن قوم شعيب لانهم من أهلكت بالصيحة (فارسلنا فيهم رسولا منهم) عدى فعل الارسال بنى مع انه يتعدى الى الدلالة على ان الرسول المرسل اليهم نشأ فيهم وبين أظهرهم يعرفون مكانه ومولد له ليكون سكوتهم الى قوله أكثر من سكوتهم الى من يأتيهم من غير مكانهم وقيل وجه التعدي بنى انه ضمن معنى القول والاولى لان تضمين أرسالنا معنى قلنا لا يستلزم تعديته بنى (أن اعبدوا الله) ان مفسر لا يرسلنا أي قلنا لهم على لسان

الرسول

اذ تشي أخذك فتقول هل أدلكم على من يكفله فرجعناك الى أمك كي تقر عينها ولا تحزن وقتلت نفسك فنجيناك من الغم وفتناك فتونا) هذه اجابة من الله لرسوله موسى عليه السلام فيما سأل من ربه عز وجل وتذكر له بعمه الساقية عليه فيما كان من أمر أمه حين كانت ترضعه وتحذر عليه من فرعون وملائته أن يقتلوه لانه كان قد ولد في السنة التي يقتلون فيها الغلمان فاتخذت له تابوتاً فكانت ترضعه ثم نفعه فيه وترسله في البحر وهو الغيل وتسلطه الى منزلها بجبل فذهبت مرة لتربط الحبل فانفلت منها وذهب به البحر فحصل لها من الغم والهم ما ذكره الله عنها في قوله واصبح فزادهم موسى فارغاً ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها فذهب به البحر الى دار فرعون فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً أي قدر امد دورهم من الله حيث كانوا هم يقتلون الغلمان من بني اسرائيل حذرهم وجود موسى فيكم الله وله السلطان العظيم والقدرة التامة ان لا يربى الا على فراش

فرعون وبغدي بطعامه وشرابهم محبته وزوجته له ولهذا قال تعالى ياخذهم عدو لي وعدو له وألقيت عليك محبة مني أي عند عدوك جعلته يحبك قال سلمة بن كهيل وألقيت عليك محبة مني قال حبيبتك اني عبادي ولتضع علي عيني قال أبو عمران الجوني تري بعين الله وقال قتادة تغذي علي عيني وقال معمر بن المنني ولتضع علي عيني بحيث أرى وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم يعني أجعله في بيت الملك يسم ويتعرف وغذاؤه عندهم غذاء الملك فتلك الصنعة وقوله اذتمشي أخذت فتقول هل أدلكم على من يكفله فرد ذلك الى أمك كي تقر عينها وذلك انه لما سأل فرعون عن ذلك عرضوا عليه المراضع فأباهما قال الله تعالى وحرمناعليه المراضع من قبل فجاءت أخته فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون تعني هل أدلكم على من يرضعه لكم بالاجرة فذهبت به وهم معها الى أمه فعرضت عليه ثديها فقبله ففرضوا بذلك فرحاً شديداً (٢٣٥) واستأجر وهما على ارضاءه فقالها بسببه سعادة

ورفعته وراحته في الدنيا وفي الآخرة أعظم وأجل ولهذا جاء في الحديث مثل الصانع الذي يحسب في صنعيته الخير كمثل أم موسى ترضع ولدها وتأخذ أجرها وقال تعالى ههنا فرجعناك الى أمك كي تقر عينها ولا تحزن أي عليك وقتلت نفسك يعني القبطي ففحصناك من الغم وهو ما حصل له بسبب عزم آل فرعون على قتله ففر منهم هارباً حتى ورد ماء مدين وقال له ذلك الرجل الصالح لا تخف نجوت من القوم الظالمين وقوله وقتنالك فتونا قال الامام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي رحمه الله في كتاب التفسير من سننه قوله وقتنالك فتونا حديث الفتون حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا يزيد بن هرون أنبأنا أصبغ بن زيد حدثنا القاسم بن أبي أيوب أخبرني سعيد بن جبيرة قال سألت عبد الله بن عباس عن قول الله عز وجل لموسى عليه السلام

الرسول هذا القول (مالكم من الله غيره) لتعلم للامر بالعبادة (أفلا تتقون) عذابه الذي يقتضيه شرككم (وقال الملا من قومه) أي قادتهم وأشرافهم ثم وصف الملا بالكفر والتكذيب فقال (الذين كفروا وكذبوا بآياتنا الآخرة) أي بما في الآخرة من الحساب والعقاب أو بالمصير اليها أو كذبوا بالبعث (وأترفناهم في الحياة الدنيا) أي وسعنا لهم نعم الدنيا فبطور وبسبب ماصاروا فيه من كثرة المال ورفاهة العيش حتى وصفوا رسولهم بما ساءوا فيه في البشرية وفي الاكل والشرب فقالوا (ما هذا الا بشر مثلكم يا كل منانا كلون منه ويشرب مما تشربون) منه قاله الفراء وقيل ما مصدرية فلا تحتاج الى عائذ وذلك يستلزم عندهم انه لا فضل له عليهم وهذه شبهة أولى تنزه عنده قوله لخاسرون (ولئن أطعتم بشرا مثلكم) فها ذكر من الاوصاف (انكم اذا) اي اذا أطعتموه (لخاسرون) أي معبونون بترككم آلهم ترككم واتباعكم اياه من غير فضيلة له عليكم ومن حقهم انهم أبوا اتباع مثلهم وعبدوا أعجز منهم (أيعدكم انكم اذا متهم) الهمزة للانكار والجملة مستأنفة مقررقة لما قبلها من تنقيح اتباعهم له بانكار وقوع ما يدعوه الى الايمان به واستبعاده قري بكسر الميم من متهم من مات يمات كخاف ويخاف وبضمنها من مات يموت كثال يقول (وكنتم) أي كان بعض اجرائكم (ترابوا) بعضها (عظاما) نخرة لا لحم فيها ولا أعصاب عليها قليل وتقديم التراب لكونه أبعد في عقولهم وقبل المعنى كان متقدماً وموت تراباً ومات خروك عظاماً (انكم مخرجون) أي مبعوثون من قبوركم احياء كما كنتم للسؤال والحساب والنواب والعقاب وثني انكم لتأكلوا كبشاً وحسن ذلك طول الفصل بين الاولى والثاني بالظرف واليه ذهب الجرمي والمبرد والفراء وقيل بدل من الاولى واليه ذهب سيبويه (هيهات هيهات) أي بعد وقال ابن عباس بعيد بعد قال ابن الانباري وفي هيهات عشر لغات ثم سردها وهي مينة في علم النحو وقد فرغ من بعضها وقال سليمان الجلي في لغات كثيرة تزيد على أربعين ثم ذكر منها مشهورها وما قرئ به تركها القلة النادرة ههنا وهو اسم فعل ماض بمعنى

وقتنالك فتونا فأسأله عن الفتون ما هو فقال استأنف التمر يا ابن جبيرة فان لها حديثاً طويلاً فلما أصبح حدثت عن أبي عبد الله بن عباس لا تنجز منه ما وعدني من حديث الفتون فقال تذا كرفرعون وجلسا وما كان الله وعد ابراهيم عليه السلام ان يجعل في ذريته أنبياء وملا كقفال بعضهم ان بنى اسرائيل ينتظرون ذلك لا يشكون فيه وكانوا يظنون انه يوسف بن يعقوب فلما هلك قالوا ليس هكذا كان وعد ابراهيم عليه السلام فقال فرعون كيف ترون فأنقروا واجمعوا أمرهم على ان يبعث رجلاً معهم الشفار يطوفون في بنى اسرائيل فلا يجدون مولوداً ذكراً الا نجوه ففعلوا ذلك فلما رأوا ان البكار من بنى اسرائيل يموتون بأجالهم والصغار يذبحون قالوا اليس يمكن ان تفتنوا بنى اسرائيل فتصيروا ان تباشروا من الاعمال والخدمة التي كانوا يكفونكم فافتلوا عاماً كل مولود ذكراً وتركوا بناتهم ودعوا عاماً فلا تقتلوا منهم أحداً فيشب الصغار مكان من يموت من البكار فانهم لم يكثر واغن نستحيون

منهم فتخافوا ما كثرتهم اياكم ولم يفتنوا بغير تقبلون وتحتاجون اليهم فاجمعوا امرهم على ذلك فعملت أم موسى بهرون في العام الذي لا يذبح فيه الغلمان فولدته علانية آمنة فلما كان من قابل جاءت بموسى عليه السلام فوقع في قلبها الهم والحزن وذلك من الفتون يا ابن جبير ما دخل عليه وهو في بطن أمه مما يرا دبه فوحي الله اليها ان لا تخافي ولا تحزني ان ارا دوه اليك وجاء علوه من المرسلين فامرها اذا ولدت ان تجعله في تابوت ثم تلقيه في اليم فلما ولدت فعلت ذلك فلما توارى عنها ابنتها اناها الشبهة طان فقاتت في نفسها ما فعلت با بنى لوزج عنده فواريته وكفنته كان أحب الى من أن ألقيه الى دواب البحر وحيثانه فانتهى الماء به حتى أوفى به عندهم فعة مستقي جوارى امرأة فرعون فلما رأته أخذته فاردن ان يتكهن التابوت فقال بعضهم ان في هذا مالا وانا ان فتحناه لم نصدقنا امرأة الملك بما وجدنا فيه فسلمته كهنته (٢٣٦) لم يخرجن منه شيئا حتى دفعنه اليها فلما فكتته رأته في غلاما فالتى الله عليه

منها محبة لم تناق منها على أحد قط وأصبح فؤاد أم موسى فارغا من ذكر كل شيء الا من ذكر موسى فلما سمع الذبايحون بأمره أقبلوا يشتمونه ثم الى امرأة فرعون ليذبحوه وذلك من الفتون يا ابن جبير فقالت لهم اقروه فان هذا الواحد لا يزيد في بنى اسرائيل حتى أتى فرعون فأستوهبه منه فان وجهه منى كنتم قد أحسنتم وأجلتم وان أمر بذبحه لم اليكم فانت فرعون فقالت قرة عينى ولك فقال فرعون يكون لك فأمالى فلا حاجة لى فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي يحلف به لو أفر فرعون أن يكون قرة عين له كما أقرت امرأته لهداه الله كما هداها ولكن حرمه ذلك فارسلت الى من حولها الى كل امرأة لها لان تختار له نظرا فجعل كلما أخذته امرأة منهم لترضعه لم يقبل على ثديها حتى أشفت امرأة فرعون ان يمتنع من اللبن

مصدر والغالب في الاستعمال ان تستعمل هذه الكلمة مكررة والثانية تو كيد لفظى للدولى وليست المسئلة من التنازع واللام في (لما توعدون) لبيان المستبعد كافي قوله هيت لك كانه قبل لما ذاهذا الاستبعاد فقيل لما توعدون والمعنى بعد اخر احكم للوعد الذى توعدون هذا على ان هيئات اسم فعل وقال الزجاج هو في تقدير المصدر أى البعد لما توعدون أو بعد لما توعدون على قراءة من نون ثم بين سبحانه اترافهم بانهم قالوا (ان هى) أى ما الحياة (الاحياء الدنيا) لا الحياة الآخرة التى تعدنا بها فاقيم الضمير مقام الاولى لدلالة الثانية عليها احذر من التكرار واسعار باغنائها عن التصريح كفى هى النفس تحتمل ما حلت وهى العرب تقول ماشاءت وحيث كان الضمير بمعنى الحياة الدالة على الجنس كانت ان النافية بمنزلة النافية للجنس وحمله (نموت ونحى) مفسرة لما ادعوه من قصرهم حياتهم على حياة الدنيا وقيل يموت الاباء ويحيى الابناء وقيل يموت قوم ويحيى قوم أو يموت بعض ويولد بعض وينتشر قرن فى أبى آخر وفه تقديم وتأخير أى نحى ونموت ويدقرا أبى وابن مسعود ثم صرحوا بنفى البعث وان الوعد به منه افتراء على الله فقتلوا (وما نحن بمبعوثين) بعد الموت (ان هو الا رجل افترى على الله كذبا) أى ما هو فيما يدعيه من النبوة والبعث الامترياً يكذب على الله (وما نحن له بمؤمنين) أى بمصدقين له فيما يقوله (قال) نبيهم لما علم بانهم لا يصدقون البتة (رب انصرنى) عليهم واتقم لى منهم (بما كذبون) أى بسبب تكذيبهم اياى (قال) الله سبحانه مجيب الدعائه واعده بالقبول لما دعا به (عما ظليل) من الزمان وفى معناه عن قريب وعن معنى بعد وما عزيمة بين الطرفين للتوكيد لقله الزمان كافي قوله فبمراجعة من الله (ليصحب نادمين) على ما وقع منهم من التكذيب والعناد والاصرار على الكفر ثم أخبر سبحانه بانهم أخذتهم النجعة وحاك بهم عذابه ونزل عليهم سخطه فقال (فأخذتهم النجعة) قال المفسرون صاحب بهم جبريل صيحة واحدة مع الريح التى أهلكتهم الله بها فماتوا جميعا

فموت فاحزنه ذلك فأمرت به فأخرج الى السوق وجمع الناس ترجوا ان تجده نظرا يأخذهم منها فلم يقبل وقيل وأصبحت أم موسى والها فقالت لاخته قصى أثره واطلبه هل تسمعين له ذكر أحنى ابنى أم قدأ كلمته الدواب ونسيت ما كان الله وعدا فيه فبصرت به فأخذه عن جنب وهم لا يشعرون والجنب أن يسمو بصير الانسان الى شيء بعيد وهو الى جنبه لا يشعر به فقالت من الفرح حين أعياهم الظورات انا أدلكم على أهل بيت يكذبونه لكم وهم لا نحكون فأخذوها ففعلوا ما يدريكم ما نفعهم له هل تعرفينه حتى شكوا فى ذلك وذلك من الفتون يا ابن جبير فقالت نفعهم له وشفتهم عليه رغبتهم فى صهر الملك ورجاء منفعة الملك فتركوها فانطلقت الى أمها فأخبرتها الخبر فقامت أمه فلما وضعتها فى حجرها رأت الى ثديها فخصه حتى امتلأ جنبها ريا وانطلق البشير الى امرأة فرعون يبشر ونها ان قد وجدنا لابلنك ظئرا فارسلت اليها فانت بها وبه فلما رأت ما يصنع بها قالت امكثى ترضى ابنى هذا

فاني لم أحب شيأ حبه قط قالت أم موسى لا أستطيع ان ادع بتي وولدي فيضيع فان طابت نفسك ان تعطينيه فاذهب به الى بيتي فيكون معي لألوه خيرا ففعلت فاني غير تاركة بيتي وولدي وذ كرت أم موسى ما كان الله وعد هافيه فتعاسرت على امرأة فرعون وأيقنت ان الله منجز وعده فرجعت به الى بيتها من يومها وأيقنته الله نبأنا حسنا وحفظه لما قد قضى فيه فلم يزل بنوا اسرائيل وهم في ناحية القربة يمتنعين من السخرة والظلم ما سكن فيهم فلما تزعزع قالت امرأة فرعون لأم موسى أزيريني اني فوعدتني اليوم ان تزورها اليه وفيه وقالت امرأة فرعون لخزانها وطرورها وقهارتها لا ييقين أحد منكم الا استقبل ابني اليوم به مدي وكرامة لا ترى ذلك وأنا باعنة أمين يا حصى ما يضع كل انسان منكم فلم تزل الهدايا والكرامة والنحل تستقبله من حين خرج من بيت أمه الى أن دخل على امرأة فرعون فلما دخل عليها انحلتها وأكرمتها وفرحت به ونحلت أمه لحسن (٢٣٧) أثرها عليه ثم قالت لا تبين به فرعون

فليخلفه وليكرمه فلما دخلت به عليه جعله في حجره فتناول موسى الحية فرعون فدها الى الارض فقال الغواة من أعداء الله لفرعون ألا ترى ما وعد الله ابراهيم نبيه انه زعم ان يرثك ويعلموك ويصرعك فارسل الى الذابحين ليدبحوه وذلك من انفتون يا ابن جبير بعد كل بلاء ابتلي به وأريد به فتونا فخامت امرأة فرعون فتسالت ما بذاك في هذا الغلام الذي وهبته لي فقال ألا تريه يزعم انه يصرعني ويعلموني فقالت اجعل بيني وبينك أمرا يعرف الحق به أنت بجسمرتين ولؤلؤتين فقدمهن اليه فان بطش باللؤلؤتين واجتنب الجرتين عرفت انه يعقل وان تناول الجرتين ولم يرد اللؤلؤتين علمت ان أحدا لا يؤثر الجسرتين على اللؤلؤتين وهو يعقل فقرب اليه الجرتين واللؤلؤتين فتناول الجرتين

وقيل الصحيحة هي نفس العذاب والهلاك الذي نزل بهم (بالحق) أي كائنة بالعدل من الله فانوا يقال فلان يقضى بالحق أي بالعدل ثم أخبر سبحانه عما صاروا اليه بعد العذاب النازل بهم فقال (جعلناهم غناء) أي كغناء السيل قيل الغشاء الحفاء وقال الزجاج هو البالي من ورق الشجر اذا جرى السيل فخالط زبده وقيل كل ما يلقيه السيل والتدريج لا ينتفع به وبه يضرب المثل في ذلك ولا موه واولاه من غشا الوادي يغثو غثوا وكذلك غثت التدري وقال الخليلي هونبت يس وعنه هو العشب اذا يبس والمعنى صيرناهم ملكي فيسوا كما يبس الغناء وقال ابن عباس جعلوا كالشيء الميت البالي من الشجر (فبعد اللقوم الظالمين) أي بعدوا بعدا أو الزمنا بعدا فهو اخبار أو دعا واللام لبيان من قيل له ذلك كافي سقيما له وجدعاه قاله الزمخشري وقال العوفي متعلق ببعد وهذا امر دود لانه لا يحفظ حذف هذه اللام ووصول المصدر الى مجرورها البتة ولذلك منعوا الاشتغال في قوله فتعسا لهم وهو من المصادر المنصوبة بأفعال لا يستعمل اظهارها ووضع الظاهر موضع المضمر للتعليل (ثم انشأ ناس بعدهم قرونا آخرين) أي مع رسلهم بعد اهلاكهم قيل هم قوم صالح ولوط وشعيب ويونس وأيوب وغيرهم كما وردت قصتهم على هذا الترتيب في الاعراف وهو دوقيل هم بنوا اسرائيل وكان فيهم الرسل قبل موسى والقرون الأمام ولعل وجه الجمع هنا للقرون والافراد فيسابق قريبا انه أراد ههنا أمم متعددة وههنا أمة واحدة ثم بين سبحانه كمال علمه وقدرته في شأن عباده فقال (ما تسبق من أمة أجلاها وما يستأخرون) أي ما يتقدم كل طائفة مجتمعة في قرن آجالها المكتوبة لها في الهلاك ولا يتأخر عنها ومثل ذلك قوله تعالى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ذكر الضمير بعد تأنيبه رعاية للمعنى لان أمة بمعنى قوم ثم بين سبحانه ان رسله كانوا بعد هذه القرون متواترين وان شأنهم كان واحدا في التكذيب لهم فقال (ثم أرسلنا رسلنا تترى) يعني ارسال كل رسول متأخر عن انشاء القرن الذي أرسل اليه لا على معنى ان ارسال الرسل جميعا متأخر

فاتزعهم - جامنه مخافة أن يحرقوا فاهه فقالت المرأة ألا ترى فصرفه الله عنه بعدما كان قد هم به وكان الله بالغافيه أمره فلما بلغ أشده وكان من الرجال لم يكن أحد من آل فرعون يخلص الى أحد من بني اسرائيل معه بظلم ولا سخرة حتى امتنعوا كل الامتناع فبينما موسى عليه السلام عشي في ناحية المدينة اذا هو برجلين يقتتلان أحدهما فرعوني والآخر اسرائيل فاستغاها الاسرائيلي على الفرعوني فغضب موسى غضبا شديدا لانه تناوله وهو يعلم منزلته من بني اسرائيل وحفظه لهم لا يعلم الناس الا انما ذلك من الرضاع الأم موسى الا أن يكون الله أطلع موسى من ذلك على ما لم يطلع عليه غيره فوكره موسى الفرعوني فقتله وليس يراهما أحد الا الله عز وجل والاسرائيلي فقال موسى حين قتل الرجل هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين ثم قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم فأصبح في المدينة خائفا تترقب الاخبار فأق فرعون ف قيل له ان بني اسرائيل قتلوا رجلا من

احدى ابنتي هاتين على ان تأجرني ثمانى حجج فان أتممت عشر افن عندك وما أريد أن أشق عليك سبحانه في ان شاء الله من الصالحين
ففعّل فكانت على نبي الله موسى ثمان سنين واجبة وكانت سنتان عدة منه ففضى الله عنه عدة فأتقها عشرًا قال سعيدهو ابن
جبير فلقيني رجل من أهل النصرانية من علمائهم قال هل تدري أى الاجلين قضى موسى قلت لا وانا يومئذ لا أدري فلقيت ابن
عباس فذكرت ذلك له فقال أما علمت ان ثمانيا كانت على نبي الله واجبة لم يكن نبي الله لينقص منها شيئاً ويعلم ان الله كان قاضياً عن
موسى عدة الذى كان وعدة فانه قضى عشر سنين فلقيت النصراني فاخبرته بذلك فقال الذى سأته فاخبرك أعلم منك بذلك قلت
أجل وأولى فلما ساره موسى باهله كان من أمر النار والعصى ويده ما قص الله عليك في القرآن فشكالى الله تعالى ما يحذر من آل
فرعون في القتل وعدة لسانه فانه كان في لسانه عدة تنمعه من كثير من الكلام (٢٣٩) وسأل ربه ان يعينه باخيه هرون يكون

له رداً أو يتكلم عنه بكثير مما لا ينصحه
بدلسانه فأتاه الله سؤله وحل
عدة من لسانه وأوحى الله الى
هرون وأمره ان يلقاه فاندفع
موسى بعصاه حتى لقي هرون عليه
السلام فاطلقا جعيا الى فرعون
فأقاما على بابه حين لا يؤذن لهما
ثم أذن لهما بعد حجاب شديد
فقالا انارسلوك قال فن ربيكما
فاخبراه بالذى قص الله عليك
في القرآن قال فاستر يدان و ذكره
القبيل فاعذرت بما قد سمعت قال
أريد أن تؤمن بالله وترسل معنا
بنى اسرائيل فأبى عليه وقال انت
بأية ان كنت من الصادقين فآلتي
عصاه فإذا هى حية تسعى عظيمة
فاغرة فهاهما رجعة الى فرعون فلما
راهما فرعون قاصدة اليه خفها
فاقتحم عن سريره واستغاث بموسى
ان يكفها عنه ففعل ثم أخرج
يده من جيبه فراها بيضاء من غير
سوء يعنى من غير برص ثم ردها

الطائفتين أوليكون هؤلاء لم يقع منهم الا مجرد عدم التصديق وأولئك هم واليه تلك
الاقوال الشنيعة التي هي أشد الظلم وأفظعه ثم حكى سبحانه ما وقع من فرعون وقومه عند
ارسال موسى وهرون اليهم فقال (ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون) متلبين (بآياتنا) هي
التسع المتتمة ذكرها غير مرة ولا يصح عد فلق البحر منها هنا لان المراد الآيات التي كذبوا
بها واستكبروا عنها (وسلطان مبين) المراد به الحجة الواضحة البينة قبل هي الآيات
التسع نفسها والعطف من باب الى المئات القرص وابن الهمام وقيل أراد العصالها ثم
الآيات فيكون من باب عطف جبريل على الملائكة وقيل المراد بالآيات الدلائل التي
كانت لهم ما وبالسلطان المبين التسع الآيات (الى فرعون وملئه) أى الاشراف منهم
كما سبق بيانه غير مرة (فاستكبروا) أى طلبوا الكبر وتكفروا ونعظموا عن الايمان
فلم ينقادوا للحق (وكانوا قوما عاقلين) قاهرين للناس أولي بنى اسرائيل بالبغي والظلم
مستعجلين عليهم متطاولين كبارا وعنادا وتردا (فقالوا أنؤمن لبشرين) يعنون بهما موسى
وهرون (مثلنا) الاستغناء لاننا نرى كيف نصدق من كان مثلنا في البشرية وبالبشر
يطلق على الواحد كقوله بشر اسوياً كما يطلق على الجمع كقوله فامات من البشر أحد
فتنبه هنا على اعتبار المعنى الاول ويطلق على المثني والمذكر والمؤنث وأفراد المثل لانه
في حكم المصدر يجري مجراه في الافراد والتذكير ولا يؤنث أصلاً وقد بطابق ما هو له تنبيه
كقوله يرونهم من عليهم رأى العين وجعا كقوله ثم لا يكونوا مثلكم (وقومهما) أى بنو
اسرائيل (لنا عابدون) أى انهم مطيعون لنا منقادون لما أمرهم به كاتقياد العبد
المبرد العابد المطيع الخاضع قال أبو عبيدة العرب تسمى كل من دان الملك عابداً له وقيل
يحتل انه كان يدعى الالهية فدعا الناس الى عبادته فاطاعوه وتقدم الظرف لرعاية
القواصل والجملة طالية (فكذبوهما) أى فأصروا على تكذيبهما (فكانوا من المهلكين)
بالغرق في البحر ثم حكى سبحانه ما جرى على قوم موسى بعد اهلاك عدوهم فقال (ولقد

فعدت الى لونها الاول فاستشار الملائكة فصار رأى فقالوا له هذا ساحران يريدان ان يخرجنا كم من أرضكم يسحرهم ما يذهبها
بطريقكم المثل يعنى ملكهم الذى هم فيه والعيش وأبوا على موسى ان يعطوه شيئاً مما طاب وقالوا له اجمع لهما السحرة فأنهم
بأرضك كثير حتى تغلب بسحره سحرهم ما فارسل الى المدائن فحضره كل ساحر متعالم فلما أتوا فرعون قالوا لهما اجمع لهما السحرة فأنهم
قالوا لهما اجمع لهما السحرة فأنهم قالوا لهما اجمع لهما السحرة فأنهم قالوا لهما اجمع لهما السحرة فأنهم قالوا لهما اجمع لهما السحرة فأنهم
قال لهم أنتم أقاربى وخاصتى وانا صانع اليكم كل شئ أحبيتم فتواعدوا يوم الزينة وان يحضر الناس نهي قال سعيدين جبير فحدثني
ابن عباس ان يوم الزينة اليوم الذى أظهر الله فيه موسى على فرعون والسحرة هو يوم عاشوراء فلما اجتمعوا في صعيد قال الناس
بعضهم لبعض انطلقوا فلتحضر هذا الامر لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين يعنون موسى وهرون استهزأ بهما فقالوا يا موسى

تغدرهم بسحرهم اما ان تلقى واما ان تكون نحن الملقين قال بل القوا فالقوا حباليهم وعصيمهم وقالوا بعزة فرعون اننا نحن الغالبون فرأى موسى من سحرهم ما اوجس في نفسه خيفة فآوى الله اليه ان التي عصاه فلما ألقاها صارت ثعباناً عظيمة فاغرة فاها فجعلت العصى تلتبس بالحبال حتى صارت جرزاً الى الثعبان تدخل فيه حتى ما بقيت عصا ولا حبلاً الا ابتلعته فلما عرف السحرة ذلك قالوا لو كان هذا سحراً لم يبلغ من سحرنا كل هذا ولكن هذا امر من الله عز وجل آمن بالله وبما جاءه موسى من عند الله وتوب الى الله مما كلفه ففكس الله ظهر فرعون في ذلك الموطن واشياعه وظهر الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا وهلكوا وانقلبوا صاغرين وامرأة فرعون بارزة متبذلة تدعو الله بالنصر لموسى على فرعون واشياعه فن رآها من آل فرعون ظن انها انما ابتذلت للشفقة على فرعون واشياعه وانما كان حزنها (٢٤٠) وهمها موسى فلما طال مكث موسى بموايد فرعون الكاذبة كلما جاءه بآية

وعنده عنده ان يرسل معه بنى اسرائيل فاذا مضت أخلف موعده وقال هل يستطيع ربك ان يصنع غير هذا فارسل الله على قومه الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات كل ذلك يشكو الى موسى ويطلب اليه ان يكفها عنه ويوانقعه على ان يرسل معه بنى اسرائيل فاذا كف ذلك عنه أخلف موعده ونكث عهده حتى امر الله موسى بالخروج بقومه فخرج بهم ليلاً فلما أصبح فرعون ورأى انه قد مضوا ارسل في المداين حاشرين فتبعه بجند عظيمة كثيرة وأوى الله الى البحر اذا ضربك عبيدى موسى بعصاه فانطلق اثنتى عشرة فرقة حتى يجوز موسى ومن معه ثم التقى على من بقى بعد من فرعون واشياعه فنسى موسى ان يضرب البحر بالعصا وانتهى الى البحر وله قصيف مخافة ان يضربه موسى

آتيناموسى الكتاب) يعنى التوراة وخص موسى بالذكر لان التوراة أنزلت عليه في الطور وكان هرون خليفة في قومه (لعلمهم) أى لعل قوم موسى (يبتدون) بهم الى الحق ويعلمون بما فيهم من الشرائع فجعل سبحانه آيتام موسى ايها ايتاء لقومه لانها وان كانت منزلة على موسى فهي لارشاد قومه وقيل المعنى آتيناموسى الكتاب وقبل ضمير لعلمهم يرجع الى فرعون وملئه وهو وهم لان موسى لم يؤت التوراة الا بعد هلاك فرعون وقومه كما قال سبحانه ولقد آتينا موسى الكتاب من بعدما هلك القرون الاولى ثم أشار سبحانه الى قصة عيسى اجالاً فقال (وجعلنا ابن مريم وأمه آية) أى علامة تدل على عظيم قدرتنا وبديع صنعنا وقد تقدم الكلام على هذا في آخر سورة الانبياء في تفسير قوله سبحانه وجعلناها وابنها آية للعالمين قال قتادة آية أى ولدته من غير أب وحمل وخلق من غير نطفة وعن الربيع بن أنس قال آية أى عبرة ولم يقل آيتين لان الآية محبوبة فيهم ما واحدة أو المراد ابن مريم وآمه آية أخذت الاولى للدلالة الثانية علىها (واوتيناها) أى أسكناهما وأنزلناهما وأوصلناهما وجعلناهما ما يأتين (الى ربوة) بفتح الراء وضمها قراءتان سمعيتان قيل هى أرض دمشق وقيل قال عبدالله بن سلام وسعيد بن المسيب ومقاتل وقيل بيت المقدس قاله قتادة وكعب وقيل أرض فلسطين قاله السدي قال ابن عباس الربوة المستوية وهى المكان المرتفع من الارض وهو أحسن ما يكون فيه النبات وأثبتنا الله دمشق وقيل هو أعلى مكان من الارض فيزيد على غيره في الارتفاع ثمانية عشر ميلاً فهو أقرب بقاع الارض الى السماء وعن مرة الهزلى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول الربوة الرملة أخرجه الطبرانى وابن أبى حاتم وابن جرير وغيرهم وعن أى هريرة قال هى الرملة من فلسطين وقيل مصر وسبب الايواء انها أقرب بابنها اليها لان ملك ذلك الزمان كان أراد أن يقتل عيسى فهربت به الى تلك الربوة ومكثت بها اثنتى عشرة سنة حتى هلك ذلك الملك (ذات قرار) أى مستوى مستقر ليستقر عليه ساكنوه وقال ابن عباس أى ذات خصب

بعصاه وهو غافل فيصير عاصي الله فلما رأى الجمع ان تقارباً قال أصحاب موسى انالمدركون افعلم ما أمر الله به ربك وقيل فانه لم يكذب ولم تعدنى ربى اذا أتيت البحر انفرق اثنتى عشرة فرقة حتى جاوزته ثم ذكر بعد ذلك العصى فضرب البحر بعصاه حين دنأ وائل جند فرعون من أواخر جند موسى فانفرق البحر كما أمر ربه وكما وعد موسى فلما ان جاز موسى وأصحابه كاهم البحر ودخل فرعون وأصحابه التقى عليهم البحر كما أمر فلما جاوز موسى البحر قال أصحابه اننا نخاف ان لا يكون فرعون غرق ولا نؤمن به لا كهد عاربه فأخرجهم له يديه حتى استيقنوا به لا كهم ثم وابعدهم ذلك على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الهة كالهة آلهم قال انكم قوم تجهلون ان هؤلاء متبر ما هم فيه الاية قد رأيتم من العبروسه معتم ما فيكم ومضى فانزلهم موسى منزلاً وقال أطيعوا هرون فانى قد اسخط الله عليكم فانى ذاهب الى ربى وأجلهم ثلاثين يوماً ما ان يرجع اليهم فيها فلما أتى ربه

وأراد ان يكلمه في ثلاثين يوماً وقد صامهن ايلهن ونهارهن وكره ان يكلم ربه ويرى فيه ريح فم الصائم فتناول موسى من نبات الارض شيئاً فضعه فقال له ربه حين اناه لم أفطرت وهو أعلم بالذي كان قال يا رب اني ككرهت ان أكلت الا وفي طيب الريح قال أو ما علمت يا موسى ان ريح فم الصائم أطيب عندى من ريح المسك ارجع فضع عشرين اثم اثنى فتفعل موسى عليه السلام ما أمر به فلما رأى قوم موسى انهم يرجع اليهم في الاجل ساءهم ذلك وكان هرون قد خطبهم وقال انكم قد خرجتم من مصر ولقوم فرعون عندكم عواري وودائع ولكم فيهم مثل ذلك فاني أرى انكم تحتسبون ما لكم عندهم ولا أحل لكم وديعة استودعوهها ولا عارية ولست ابرادين اليهم شيئاً من ذلك ولا ممسكية لانفسنا فخر خذوا وأمر كل قوم عندهم من ذلك شيء من متاع أو حليمة أن يقدفوه في ذلك الخفير ثم أوقد عليه النار فأحرقه فقال لا يكون لنا ولا لهم وكان (٢٤١)

لبني اسرائيل ولم يكن من بني اسرائيل فاحتل مع موسى وبني اسرائيل حين احتملوا فقتل له ان رأى له أثراف قبض منه قبضة فر هرون فقال له هرون عليه السلام يا سامري ألا تاتي ما في يدك وهو قابض عليه لا يراه أحد طول ذلك فقال هذه قبضة من أثر الرسول الذي جاوز بكم البحر ولا القيم بالشيء الا ان تدعو الله اذا القيتم ان يجعلها ما أريد فاقها ودعاه هرون فقال أريد ان يكون عجلاً فاجتمع ما كان في الخفيرة من متاع أو حليمة أو نحاس أو حديد فصارت عجلاً أجوف ليس فيه روح وله خوار قال ابن عباس لا والله ما كان له صوت قط انما كانت الريح تدخل في دبره وتخرج من فيه وكان ذلك الصوت من ذلك فتفرق بنو اسرائيل فرقا فقالت فرقة يا سامري ما هذا وأنت أعلم به قال هذا ذابركم ولكن موسى

وقبل ذات ثمار (و) ماء (معين) قال الزجاج والفراء هو الماء الجاري في العيون فالهم على هذا زيادة كزيادتها في منبع وقيل هو فاعيل بمعنى مفعول قال علي بن سليمان الاخفش يقال معن الماء اذا جرى فهو معين وممعون وكذا قال ابن الاعرابي وقيل هو مأخوذ من الماعون وهو النفع قال ابن عباس المعين الماء الجاري وقيل الذي تراه العيون وهو النهر الذي قال الله قد جعل ربك تحتك سرياناً (يا أيها الرسل كلوا) قال الزجاج هذه مخاطبة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال ابن جرير ان الخطاب لعيسى قال الفراء هو كما تقول للرجل الواحد كنوا عينا وقيل ان هذه المقالة خطوبتها كل نبي في زمانه لان هذه طريقته التي ينبغي لهم السكون عليها فيكون المعنى وقلنا يا أيها الرسل خطابا لكل واحد على انفراد لا اختلاف أزمنتهم ويدخل تحتهم عيسى دخولا أو ليا فلهذه حكاية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على وجه الاجال لما خطوبته كل رسول في عصره حتى ياتي اثر حكاية ايوان عيسى وأمه الى الرتبة اذ انابان ترتيب مبادئ التسليم لم يكن من خصائصه عليه السلام بل اباحة الطعام شرع قديم جرى عليه جميع الرسل ووصوابه أي وقلنا لكل رسول من الرسل كلوا (س الطيبات) وهو ما يستطاب ويستلذ وقيل هي الخلات وقيل هي ما جمع الوصفين المذكورين ثم بعد ان أمرهم بالاكل من الطيبات أمرهم بالعمل الصالح فقال (واعملوا) عملا (صالحا) وهو ما كان موافقا للشرع فعبّر عن تلك الاوامر المتعددة المتعلقة بالرسول بصيغة الجمع عند الحكاية اجمالا للايجاز وفيه من الدلالة على بطلان ما عليه الرهبان من رفض الطيبات ما لا يخفى ثم علل هذا الامر بقوله (اني بما تعملون عليم) لا يخفى على شيء منه واني مجازيكم على حسب أعمالكم ان خيرا فخير وان شرا فشر وهو تحذير للرسول والمقصود أنهم يخرج أحد ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا أيها الناس ان الله طيب لا يقبل الا طيبا وان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال يا أيها الرسل كلوا الآيات وقال

(٢٤١ - فتح البيان سادس) أضل الطريق ففسدت فرقة لا تكذب بها حتى يرجع اليها موسى فان كان ربنا لم يكن ضيعناه وبخزنا فيه حين رأينا وان لم يكن ربنا فانا تتبع قول موسى وقالت فرقة هذا من عمل الشيطان وليس بربنا ولا نؤمن به ولا نصدق وأشرب فرقة في قلوبهم الصدق بما قال السامري في العجل وأعلنوا التكذيب به فقال لهم هرون يا قوم انما اقتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمرى قالوا فإنا بال موسى وعدنا ثلاثين يوماً ثم أخلقنا هذه أربعون يوماً فدمضت وقال سفهاؤهم أخطأ ربه فهو يطالبه يتبعه فلما كالم الله موسى وقال له ما قال أخبره بما بقي قومه من بعده فرجع موسى الى قومه غضبان أسفا فقال لهم ما سمعتم في القرآن وأخذ برأس أخيه يجره اليه وألقى الألواح من الغضب ثم انه عذرا خاه بعده واستغفر له وانصرف الى السامري فقال له ما جعلت على ما صنعت قال قبضت قبضة من أثر الرسول وفطنت لها وعملت عليكم فنبذتها وكذلك

سولت لي نفسي قال فاذهب فان لك في الحياة ان تقول لا مساس وان لك موعد ان تخلفه وانظر الى الهك الذي ظلت عليه
عاصكنا لحرقة ثم لنسفه في اليم نسفوا لو كان الهام ليخلص الى ذلك منه فاستيقن بنو اسرائيل بالفسقة واعتبط الذين كان
رأيهم فيه مثل رأي هرون فقالوا لجماعتهم يا موسى سل النار بك ان يفتح لنا باب توبة تصنعها فيكفر عنا ما عملنا فاختر موسى
قومه سبعين رجلا لذلك لا يالو الخير خيار بنى اسرائيل ومن لم يشرك في العجل فانطلق بهم يسأل لهم التوبة فرجفت بهم الارض
فاستجابني الله من قومه ومن وفد حين فعل بهم ما فعل فقال لوشئت اهلكتم من قبل واياي اتملك كما فعل السنيها منا وفيهم من
كان الله اطعم منه على ما شرب قابه من حب العجل وايمان به فلذلك رجفت بهم الارض فقال رجنى وسعت كل شئ فساكتها
للذين يتقون ويؤمنون الزكاة والذين هم بايتنا يؤمنون الذين يتبعون (٢٤٢) الرسول النبي الامي الذي يبدونه مكتوبا

عندهم في التوراة والانجيل فقال
يا رب سالتك التوبة القوي فقلت
ان رجنى كتبتهم بالقوم غير قوي
هلا آخرتى حتى تخرجنى في امة
ذلك الرجل المرحومة فقال له ان
توبتهم ان يقتل كل رجل منهم من
اتى من الدو ولا فيقة له بالسيف
ولا يبالى من قتل في ذلك الموطن
وتاب أولئك الذين كان خفى
على موسى وهرون واطاع الله من
ذنوبهم فاعترفوا بها وفعلموا
ما أمر واغفر الله للقاتل والمقتول
ثم سار بهم موسى عليه السلام
متوجها نحو الارض المقدسة
وأخذ الألواح بهد مسكت عنه
الغضب فأمرهم بالذى أمرهم به
ان يبالغهم من الوظائف فقل ذلك
عليهم وأبوا ان يقر واجهفتق الله
عليهم الجبل كانه ظلة ودناهم
حتى خافوا ان يتبع عليهم فأخذوا
الكعب بأيمانهم وهم مصغون
ينظرون الى الجبل والكتاب

يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكرا الرجل بطيل السفر أشعث أغبر
ومطعمه حرام ومشر به حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام يديه الى السماء يا رب يا رب
فأتى يستجاب لذلك وعن حفص الفزارى قال ذلك عيسى بن مريم كان يأكل من غزل أمه
وهو مرسل لان حفصا تابعي (وان هذه أمة متكم أمة واحدة) هذا من جلة ما خوطب به
الانبياء والمعنى واعلموا ان هذه ملتكم وشرب بعتكم أيها الرسل مله واحدة وشربعة
متحدة يجمعها أصل هو أعظم ما بعث الله به أنبياءه وأنزل فيه كتبه وهو دعاء جميع الانبياء
الى عبادة الله وحده لا شريك له والمراد بها على هذا العائد اذ هي التي اتحدت في شكل
الشرائع أما الأحكام الفرعية فقد اختلفت باختلاف الشرائع وقيل المعنى ان هذا
الذي تقدم ذكره هو دينكم وملتكم فالزموه على ان المراد بالامة هنا الدين كما في قوله انا
وجدنا آبائنا على امة وقال الخليل أي أنا عالم بان هذا دينكم الذي أمرتكم ان تؤمنوا به
قال الفراء واعلموا ان هذه أمة متكم وقال سيبويه فالتقون لان أمتكم أمة واحدة وانما
أشير اليها بهذه التسمية على كمال ظهور رأيهم في الصحة والسادات وانظامها بسبب ذلك في
ذلك الامور المشاهدة والفاء في (وأنا ربكم فالتقون) لترتيب الامر بالتقوى على ما قبله من
كونه ربكم المختص بالربوبية أي لا تشعروا ما يوجب العتق بعتكم منى بأن تشركوا بى
غيري أو تحالوا أمرتكم به أو نهيتكم عنه ثم ذكر سبحانه ما وقع من الامم من مخالفتهم
لما أمرهم به الرسل فقل (فقطعوا أمرهم بدينهم زبرا) الفاء لترتيب عصيانهم على
ما سبق من الامر بالتقوى والضمير يرجع الى ما يدل عليه لفظ الامة والمعنى انهم جعلوا
دينهم مع الاتحاد قطعاً منفردة وأدباً ناعمة لئلا قال المبرز برافر فاقطعوا مخرقة واحدة
زبوروهى الفرقة والطائفة ومثله الزبرة وجمعها زبرا بالضم والفتح قيل معنى زبرا كتبنا
فوصف سبحانه الامم بأنهم اختلفوا فاتبعت فرقة التوراة وفرقة الزبور وفرقة الانجيل
ثم حرفوا وبدلوا وفرقة مشركة آتية واما رسمهم أباهم من الخلل قرى زبرا بضم الباء

وقرى

بايديهم وهم من وراء الجبل مخافة ان يتبع عليهم ثم مضوا حتى أتوا الارض المقدسة

فوجدوا مدينة فيها قوم ماجبارين خلقهم خلق منكرود كروا من غبارهم أمر عبيد من عظمها فقالوا يا موسى ان فيها قوما
جبارين لا طاعة لنا بهم ولا ندخلها ماداموا فيها فان يخرجوا منها فانا نأخذ اخلون قال رجلان من الذين يخافون قيل ايزيد هكذا قرأت
قال نعم من الجبارين آمنابوسى وخرجا اليه قالوا نحن أعلم بقرمنا ان كنتم انما تخافون مارأيتم من أجسامهم وعددهم
فانهم لا قلوب لهم ولا منعة عندهم فادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموهم فأنكم غالبون ويقول اناس انهم من قوم موسى فقال
الذين يخافون بنو اسرائيل قالوا يا موسى اننا لندخلها أبدا ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلانا ههنا فاعدون فاغضبوا
موسى فدعا عليهم وسخطهم فاسقين ولم يدع عليهم قبل ذلك لما رأى منهم من المعصية واساءتهم حتى كان يومئذ فاستجاب الله له

وسماهم كما سماهم فاسقين وحرما عليهم أربعين سنة يتيهون في الارض يصبحون كل يوم فيسيرون ليس لهم قرار وظلال عليهم الغمام في اتيه وأنزل عليهم المن والسبل وجعل لهم ثيابا لاتبلي ولا تتسخ وجعل بين ظهرانيهم حجرا امرى بها موسى فضر به بعضاه فانتعرت منه اثنا عشرة عينا في كل ناحية ثلاثة أعين وأعلم كل سبط عينهم التي يشربون منها فلا يرتحلون من مشقة الا وجود ذلك الجرب بينهم بالمكان الذي كان فيه بالامس رفع ابن عباس هذا الحديث الى النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصدق ذلك عندي ان معاوية سمع ابن عباس يحدث هذا الحديث فانكر عليه ان يكون الفرعوني الذي أفشى على موسى أمر القتل الذي قتل فتال كيف ينشئ عليه ولم يكن علم به ولا ظهر عليه الا الاسرائيلي الذي حضر ذلك فعذب ابن عباس فاخذ بيد معاوية وانطلق به الى سعد بن مالك لزهري فقال له يا أبا اسحق هل تذكر يوم حدثنا (٢٤٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل

موسى الذي قتل من آل فرعون الاسرائيلي الذي أفشى عليه أم الفرعونى قال لما أفشى عليه الشرعوني بما سمع من الاسرائيلي الذي شهد على ذلك وحضره هكذا رواه النسائي في السنن الكبرى وأخرجه أبو جعفر بن جرير وابن أبي حاتم في تنسييريهما كلاهما من حديث يزيد بن هرون به وهو موقوف من كلام ابن عباس وليس فيه مرفوع الا قليل منه وكأنه تلقاه ابن عباس رضى الله عنهما مما أبيع نقله من الاسرائيليات عن كعب الاحبار وغيره والله أعلم سمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزني يقول ذلك أيضا وقوله عز وجل (فلبنت سنين في أهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى واصطنعتك لنفسى اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري اذهب الى فرعون انه طغى فقولاله قولنا لعنه يذكر أو يخشى) يقول تعالى

وقرى بفتحها أى قطعاً كقطع الحديد (كل حزب بما لديهم فرحون) أى كل فريق من هؤلاء المختلفين بما عندهم من الدين محبون مسرورون لا اعتدادهم انهم على الحق (فذرهم في غمرهم) أى اتركهم في جهلهم فليسوا بأهل للهداية ولا ينطق صدورهم بتأخير العذاب عنهم فلكل شئ وقت شبه سبحانه ما هم فيه من الجهل بالماء الذي يغمرهم من دخل فيه والغمر في الاصل ما يغمرك ويغولك وأصلها الستر والغمر الماء الكثير لانه يغطي الارض وغمر الرداء هو الذي يشل الناس بالعطاء ويتال للعقد الغمر والمراد هنا الحيرة والغفلة والاضلال والآية خارجة مخزجة التهديد لهم والتسليم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يخرج الامر له صلى الله عليه وآله وسلم باله كفف عنهم بل نهى له عن الاستعجال بعد اذ بهم والجزع من تأخيرهم ومعنى (حتى حين) حتى يحضر وقت عذابهم بالقتل أو حتى يموتوا على الكفر فيعذبون بالنار (أيحسبون) الهمز لئلا نكار والجواب عنه مقتدر يدل عليه قوله الاتي بل لا يشعرون (أنما آتاهم به من مال وبنين) أى ما يعطيهم في هذه الدنيا من الاموال والبنين ونحوه مدد الهيم (نسارع لهم في الخيرات) أى فيما فيه خيرهم وكرمهم قال الزجاج المعنى نسارع لهم به في الخيرات فخذت به وما في أنما موصولة والرباط هو هذا المحذوف وقال الكسائي ان أنما محذوف واحد فلا يحتاج الى رابط وقرئ يسارع بالتخسية على ان فاعله هو الامداد أو يسارع الله لهم وقرئ بالنون قال الثعلبي وهذه هي الصواب لقوله غدهم وهذه الآية حجة على المعتزلة في مسئلة الاصلح لانهم يقولون ان الله لا يفعل بأحد من الخلق الا ما هو اصلح له في الدين وقد أخذ خبر ان ذلك ليس بخير لهم في الدين ولا اصلح (بل لا يشعرون) عطف على بقدر ينسحب اليه الكلام أى انشرب انتقالي عن الحسن بان المستغفم عنه استغفمهم تقريع والمعنى كلالا لنفعل ذلك بل هم لا يشعرون بشئ أصلا كالبهائم التي لا تفهم ولا تعقل فان ما خولناهم من النعم

مخاطبا لموسى عليه السلام انك انت مقيم في أهل مدين فارا من فرعون وملة يدري على صهره حتى انتهت المدة وانقضى الاجل ثم جاء موافقا لقدرة الله وارادته من غير معاد والامر كله لله تبارك وتعالى وهو المسير عباده وخلقه فيما يشاء ولهذا قال ثم جئت على قدر يا موسى قال مجاهد أى على موعد وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله ثم جئت على قدر يا موسى قال على قدر الرسالة والنبوة وقوله واصطنعتك لنفسى أى اصطنعتك واجتبيتك رسولاً لنفسى أى كما أريد وأشاء وقال البخاري عند تفسيره حدثنا الصلت بن محمد حدثنا مهدي بن ميمون حدثنا محمد بن سيرين عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال التقي آدم وموسى فقال موسى أنت الذي أشقيت الناس وأخرجتهم من الجنة فقال آدم وأنت الذي اصطفاك الله برسالة واصطفاك لنفسه وأنزل عليك التوراة قال نعم قال فوجدته مكتوباً على قبل ان يحلقني قال نعم فخرج آدم موسى أخرجاه وقوله اذهب أنت وأخوك بآياتي

أى بجى وبراهينى ومجزيانى ولا تنبأ فى ذى كرى قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس لا تبسطا وقال مجاهد عن ابن عباس لا تضعفا والمراد أنهم لا يلتفتان فى ذى كرى الله بل يذكرون الله فى حال مواجهة فرعون ليكون ذكرا لله عونا لله ما عليه وقوة له ما وسلطانا كبراله كما جاء فى الحديث أن عبدى كل عبدى الذى يذكرنى وهو مناجز قرنه وقوله أذهبوا إلى فرعون أنه لطغى أى غر وعى وتجبر على الله وعصاه فقوله لا قولنا لعلنا لا نذكر أو يخشى هذه الآية فيها عبرة عظيمة وهوان فرعون فى غاية العتو والاستكبار وموسى صفوة الله من خلقه ذل النوع هذا أمر أن لا يتخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين كما قال يزيد الرقائى عند قوله فقوله لا قولنا لا يامن يتجنب إلى من يعاديه فكيف بمن يتولا ويناديه وقال رهب بن منبه قوله انى إلى العفو والمغفرة أقرب منى إلى الغضب والعقوبة وعن عكرمة فى قوله فقوله لا قولنا قال لا اله الا الله وقال (٢٤٤) عمر بن عبيد عن الحسن البصرى فقوله لا قولنا

أنا اعذر الله قوله ان لا ربنا ولك معاد وأن بين يديك الجنة ونارا وقال بقية عن على بن هرون عن رجل عن الضحى بن مزاحم عن أنزل بن سبرة عن على فى قوله فقوله لا قولنا قال كنه وكذا روى عن سفیان الثورى كنه بابى مرة والحاصل من أقوالهم أن دعوتهم ماله تكون بكلام رفيق ابن سهل رفيق ليعلمون أو وقع فى النفوس وأبلغ وأنجع كما قال تعالى ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن وقوله لعلنا لا نذكر أو يخشى أى لعلنا لا يرجع عما هو فيه من الضلال والهلكة أو يخشى أى يوجد طاعة من خشى ربه كما قال تعالى لمن أراد أن يذكر أو يخشى فالتذكر الرجوع عن المخذور والخشية تحصيل الطاعة وقال الحسن البصرى لعلنا لا نذكر أو يخشى يقول لا تنقل

وأمددناهم به من الخيرات انما هو استدراج لهم واستجرا إلى زيادة الانم ليزدادوا انما كما قال سبحانه انما على لهم ليزدادوا انما هوهم بحسبونه مسارة لهم فى الخيرات ولما نى سبحانه الخيرات الحقيقية عن الكفرة المتشعنين أتبع ذلك بذكر من هو أهل للخيرات عاجلا وأجلا فوصفهم بصفات أربع الاولى قوله (ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون) الاشفاق الخوف تقول انما مشفق من هذا الامر أى خائف قيل الاشفاق هو الخشية فظاهر ما فى الآية هو التكرار وأجيب بحمل الخشية على العذاب أى من عذاب ربهم مشفقون ولومن غير فعل خطيئة وبه قال الكلبي ومقاتل وأجيب أيضا بحمل الاشفاق على ما هو أثر له وهو الدوام على الطاعة أى دائمون على طاعته وأجيب أيضا بان الاشفاق كمال الخوف فلا تكرر وقيل هو تكرر لئلا يكيد كما أشار إليه فى التقرير وفيه نظر والصفة الثانية قوله (والذين هم بآيات ربهم يؤمنون) قيل المراد بالآيات هى التنزيلية وقيل هى التكوينية وقيل مجموعهما قيل وليس المراد بالآيات بها هو التصديق بوجودها فقط فان ذلك معلوم بالضرورة ولا يوجب المدح بل المراد التصديق بكونها دلائل وأن مدلولها حق والصفة الثالثة قوله (والذين هم برهم لا يشركون) معه غيره أى يتركون الشرك تركا كاملا ظاهرا وباطنا والصفة الرابعة قوله (والذين يؤتون) أى يعطون (مأثورا) أى ما أعطوا (وقلوهم وجله) أى خائفة أشد الخوف من أجل ذلك الاعطاء يظنون أن ذلك لا ينجمهم من عذاب الله والجملة حالية قال الزجاج فلوهم وجله من (أنهم إلى ربهم راجعون) وسبب الوجع هو ان يخافوا ان لا يقبل منهم ذلك على الوجه المطلوب لا مجرد رجوعهم إليه سبحانه وقيل المعنى أن من اعتقد الرجوع إلى الجزاء والحساب وعلم ان الجزاء والحساب هو الرب الذى لا تخفى عليه خافية لم يخجل من وجع وقرئ يأتون مأثورا متصورا من الآيات قال الثراء ولو صحت لم تخالف قراءة الجماعة لأن من العرب من يلزم فى

أنت يا موسى وأخوك هرون أهل مكة قبل ان اعذر الله وهما يذكر شعز زيد بن عمرو بن نفيل اللهمز وروى لامية بن أبى الصلت فيما ذكره ابن اسحق * وانت الذى من فضل من ورجة * بعثت إلى موسى رسولا مناديا فقلت له فاذهب وهرون فادعوا * إلى الله فرعون الذى كان باغيا فتولاه أنت سويت هذه * بلا وتدحى استقلت كما هيا وقولاه أنت رفعت هذه * بلا عمد ارفق اذن بك يا نيا وقولاه أنت سويت وسطها * منسيرا اذا ما جنسه الليل هاديا وقولاه من يخرج الشمس بكرة * فيصبح ما مست من الارض ضاحيا وقولاه من ينبت الحب فى الترى * فيصبح منه البقل ينزرا بيا ويخرج منه حبه فى رؤسه * فى ذال آيات لمن كان واعيا

وقوله عز وجل (فالأرباب اثنا عشر) قال لا تخافا إني معكما أسمع وأرى فأتياه فقولا إنا رسول ربك فأرسل معنا بنى إسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى إنا قد أوحى إليك أن العذاب على من كذب وتولى) يقول تعالى أخبرا عن موسى وهرون عليهما السلام أنهما قالوا لا مستجيرين بالله تعالى شاكرين إليه اثنا عشر أن يفرط عليهما وأن يطغى يعنيان أن يبدرا إليهما بعقوبة أو يعتدي عليهما فإيهما أقبح ما وهما لا يستحقان منه ذلك قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أن يفرط يعمل وقال مجاهد يبسط عليهما وقال الضحاك عن ابن عباس أو أن يطغى يعتدي قال لا تخافا إني معكما أسمع وأرى أى لا تخافا منه فإني معكما أسمع كلامكما وكلامه وأرى مكانكما ومكانه لا يخفى على من أمركم شئ وأعلمنا ناصيته بيدي فلا يتكلم ولا يتنفس ولا يطمش إلا بأذني وبعد أمرى وأنا معكما بحفظى ونصرى (٢٤٥) وتأيدى وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا

علي بن محمد الطنافسى حدثنا أبو معاوية عن الأعشى عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن عبد الله قال لما بعث الله عز وجل موسى إلى فرعون فقال رب أى شئ أقول قال قل هيا شراهما قال الأعشى فسر ذلك أنا الحى قبل كل شئ والحى بعد كل شئ إسناده جيد وشئ غريب فأتياه فقولا إنا رسول ربك قد تقدم في حديث الفتون عن ابن عباس أنه قال مكنا على بابيه حين لا يؤذن لهما ثم أذن لهما بعد حجاب شديد وذكر محمد بن اسحق ابن يسار أن موسى وأخاه هرون خرجا فوقنا بباب فرعون يلبسان الأذن عليه وهما يقولان إنا رسول رب العالمين فأتونا بهذا الرجل فمكنا فيما بلغنى سنتين يغدوان ويرحان لا يعلم بهما ولا يجترئ أحد على أن يخبره بشأنهما حتى دخل عليه بطال له يلاعبه ويضحكه فقال له أيها الملك ان على

الهمز الالف في كل الحالات قال النحاس ومعناها يعملون ما فعلوا ويعملون ما فعلوا من الطاعات أخرجه الترمذى وابن ماجه والحاكم وصححه وغيرهم عن عائشة قالت قلت يا رسول الله قول الله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم هم وجه لهم أهو الرجل يسرق ويترى ويشرب الخمر وهو مع ذلك يخاف الله قال لا ولكنه الرجل يصوم ويتصدق ويصلى وهو مع ذلك يخاف الله أن لا يتقبل منه وعن ابن عباس قال يعطون ما أعطوا ويعملون خائفين وعن ابن عمر قال الزكاة وعن عائشة قالت هم الذين يخشون الله ويطيعونه وأخرج البخارى في تاريخه والدارقطنى والحاكم وصححه وغيرهم عن عبيد بن عمير أنه سأل عائشة كيف كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ هذه الآية والذين يؤتون ما آتوا والذين يؤتون ما آتوا قالت آيتهم ما أحب اليك وقلت والذي نفسي بيده لأحدهما أحب إلى من الدنيا وما فيها قالت آيتهما قالت الذين يؤتون ما آتوا فقلت أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأها كذلك وكذلك أنزات ولكن الهجاء حرف وفي إسناده اسمعيل بن علي وهو ضعيف (أو أئلك) أى المتصفون بهذه الصفات (يسارعون في الخيرات) أى يبادرون بها ويرغبون في الطاعات أشد الرغبة قال الفراء والزجاج ينافسون فيها وقيل يسابقون وقرئ يسرعون (وهم لها سابقون) اللام للتقوية أى هم سابقون إياها وقيل اللام بمعنى إلى كما في قوله بأن ربك أوحى إليها وقيل هم سابقون الناس لأجلها والأظهر أن الضمير يعود على الخيرات أتقدمها في اللفظ وقيل يعود على الجنة وقيل على السعادة قال ابن عباس أى سبقت لهم السعادة من الله ثم لما أنجز الكلام إلى ذكر أعمال المكلفين ذكر أعمالهم (الاول قوله) ولا تكاف نفسا (الاول سعيها) قد تقدم بيان هذا في آخر سورة البقرة وفي تفسير الواسع قولان الاول انه الطاقة كما فسره بذلك أهل اللغة الثانى انه دون الطاقة وبه قال مقاتل والضحاك والكلبي والمعترلة قالوا ان الواسع انما سعى وسعائه يتسع على فاعله فعله ولا يضيق عليه معن لم

بأك رجلا يقول قولاً عسائرهم ان له آله أغربك أرسله اليك قال سبأى قال نعم قال أدخلوه فدخل ومعه أخوه هرون وفي يده عصاه فلما وقف على فرعون قال إني رسول رب العالمين فعرقه فرعون وذكر السدى أنه لما قدم بلاد مصر ضاف أمه وأخاه وهما لا يعرفانه وكان طعامهم ليلئذ الطفشيل (١) وهو الفت ثم عرفاه وسما عليه فقال له موسى يا هرون ان ربى قد أمرنى أن أتى هذا الرجل فرعون فأدعوه إلى الله وأمرى أن تعاونى قال أفعلم ما أمرى ربك فذهبوا وكان ذلك ليلة فاضرب موسى باب القصر بعصاه فسمع فرعون فغضب وقال من يجترئ على هذا الصنيع الشديد فأخبره السدنة والبوابون بأن ههنا رجلا مجنوناً يقول انه رسول الله فقال على به فلما وقفوا بين يديه قالوا وقال لهما ما ذكر الله في كتابه وقوله قد جئناك بآية من ربك أى بدلالة ومجزة من ربك والسلام على من اتبع الهدى أى والسلام عليك ان اتبع الهدى وله هذا كما كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هرقل عظيم الروم كتاباً كان (١) قوله الطفشيل كذا بالنسخ ولينجز

أوله بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فاسلم تسلم بوثك الله
أجر لمرتين وكذلك لما كتب رسالة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً بصورته من مائة رسالة رسول الله إلى محمد رسول الله سلام
عليك أما بعد فإني قد أشركت في الأمر فلما المدر ولي الير وليكن قريش قوم يعتدون فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
من محمد رسول الله إلى رسالة الكذاب سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة
للمتقين ولهذا قال موسى وهرون عليهما السلام لفرعون والاسلام على من اتبع الهدى أنا قد أوحى اليك ان العذاب على من
كذب وتولى أي قد أخبرنا الله فيما أوحى اليك ان العذاب متعمد لمن كذب بآيات الله وتولى عن طاعته كما قال
تعالى فاما من طغي وأثر الحياة الدنيا فان (٢٤٦) الخيم هي المأوى وقال تعالى فانذر تكلم ناراً تطفى لا يصهاها الا الاشقي
الذي كذب وتولى وقال تعالى فلا

يستطع الجاوس فليوحي اليه ومن لم يستطع الصوم فليمنظر وهذه جملة مستأنفة للتحرير
على ما وصف به السابقون من فعل الطاعات المؤدى إلى نيل الكرامات ببيان سهولته وكونه
غير خارج عن حدود الوسع والطاقة وان ذلك عادة الله سبحانه في تكليف عباده وهو رد
على من جوز تكليف ما لا يطاق (و) جملة (لدينا كتاب ينطق بالحق) من تمام
ما قبلها من نفي التكليف بما فوق الوسع والمراد بالكتاب صحائف الاعمال أي عندنا كتاب
قد أثبت فيه أعمال كل واحد من المكلفين على ما هي عليه يظهر به الحق المطابق للواقع
من دون زيادة ولا نقص ومثله قوله سبحانه هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ
ما كنتم تعملون وفي هذا تمديد للعصاة وتأنييس للمطيعين من الخيف والظلم وقيل المراد
بالكتاب اللوح المحفوظ فانه قد كتب فيه كل شيء وقيل المراد القرآن والاول أولى وفي هذه
الآية تشبيه للكتاب بعن البرهان بالبيان بالنطق بلسانه فان الكتاب يعرب عما فيه كما
يعرب الناطق بالحق والمعنى ينطق مثل لسان الناطق وجملة (وله من لا يظلمون) مبيحة لما
قبلها من تنفذه تعالى وعمله في جزاء عباده أي النفوس العادلة لا يظلمون شيئاً منها
بنقص ثواب أو بزيادة عقاب ومثله قوله سبحانه ووجدوا ما عملوا حائراً ولا يظلم ربك
أحدًا والجمع باعتبار عموم الناس لوقوعها في سياق النفي ثم انضرب سبحانه عن هذا فتبل
(بل فلوهم في غمرة) أي بل قلوب الكفار في غمرة غامرة لهما (من هذا) الكتاب الذي ينطق
بالحق أو عن الأمر الذي عليه المؤمنون يقال غمره الماء اذا غطاه ونهر غمر يغطي من دخله
والمراد بها هنا الغطاء والغفلة أو الحيرة والعمى والجهالة قال ابن عباس يعني بالغمرة
الكفر والشك (وله من) أي للكفار (أعمال من دون ذلك) قال ابن عباس يقول
أعمال سيئة دون الشرك منها اقامة امامهم في الزنا وقال قتادة ومجاهد أي لهم خطايا لا بد
ان يعملوها من دون الحق وقال الحسن وابن زيد لهم أعمال سيئة لم يعملوها من دون
ما علم عليه لا بد ان يعملوها فيدخلون بها النار والمراد بالدون الغير أي الضد أي ان لهم

الذي كذب وتولى وقال تعالى فلا
صدق ولا صل ولكن كذب وتولى
أي كذب بقلبه وتولى بعباده (قال
فن ربك يا موسى قال ربنا الذي
أعطى كل شيء خلقه ثم هدى قال
في بال التورون الاولى قال علمها
عند ربك في كتاب لا يضل ربك ولا
ينسى) يقول تعالى مخبراً عن
فرعون انه قال لموسى متذكراً
وجود الصانع الخلاق الله كل شيء
وربه وما ليك قال فن ربك يا موسى
أي الذي بعثك وأرسلك من
هو فإني لا أعرفه وما علمت اليكم من
الله غيري قال ربنا الذي أعطى
كل شيء خلقه ثم هدى قال علي بن
أبي طلحة عن ابن عباس يقول خلق
لكل شيء زوجاً وقال الضحاك
عن ابن عباس جعل الله الانسان
انساناً والجمادى جراداً والشاءة
وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد
أعطى كل شيء صورته وقال ابن
أبي نجيح عن مجاهد سوى خلق كل

أعمالاً

دابة وقال سعيد بن جبيرة في قوله أعطى كل شيء خلقه ثم هدى قال أعطى كل

ذي خلق ما يصلحه من خلقه ولم يجعل للانسان من خلق الدابة ولا للدابة من خلق الكلب ولا للكلب من خلق الشاة وأعطى كل
شيء ما ينفعه من النكاح وهما كل شيء على ذلك ليس شيء منها يشبه شيئاً من أفعاله في الخلق والرزق والنكاح وقال بعض
المفسرين أعطى كل شيء خلقه ثم هدى كقوله تعالى الذي قدر فهدى أي قدر قدره وهدى الخلائق إليه أي كتب الاعمال
والآجال والارزاق ثم الخلائق ماشون على ذلك ولا يحيدون عنه ولا يتدراخ على الخروج منه يقول ربنا الذي خلق الخلق
وقدر التدريج والخلق على ما أراد قال في بال القرون الاولى أصح الاقوال في معنى ذلك ان فرعون لما أخبره موسى بأن ربه
الذي أرسله هو الذي خلق ورزق وقدر فهدى شريعته بالقرن الاولى أي الذين لا يعبدون الله أي في بالهم اذ كان الامر كذلك

لَمْ يَعْبُدُوا رَبَّكَ بِلَعِبٍ وَاغْتِرَهُ فَقَالَ لَهُ مُوسَى فِي جَوَابِ ذَلِكَ هُمْ وَأَنْ لَمْ يَعْبُدُوهُ فَإِنَّهُمْ عِنْدَ اللَّهِ مُصْبُوطٌ عَلَيْهِمْ وَتَجِيزٌ بِهِمْ بِعَمَلِهِمْ فِي كِتَابٍ وَهُوَ الْوَحْ الْمَحْنُوظُ وَكُتِبَ الْأَعْمَالُ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى أَى لَا يَنْشُدُ عَنْهُ شَيْءٌ وَلَا يَفُوتُهُ صَغِيرٌ وَلَا كَبِيرٌ وَلَا يَنْسَى شَيْئاً يَصِفُ لَهُ تَعَالَى بِأَنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ وَأَنَّهُ لَا يَنْسَى شَيْئاً تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَتَقْدُسُ وَتَنْزَهُ فَإِنَّ عِلْمَ الْخَلْقِ يَعْتَرِيهِ نَقْصَانٌ أَحَدُهُمَا عَدَمُ الْإِحَاطَةِ بِالشَّيْءِ وَالْآخَرُ نَسْيَانُهُ بَعْدَ عِلْمِهِ فَتَنْزَهُ عَنْ ذَلِكَ (الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهَادًا وَسَوَّلَ لَكُمْ فِيهَا سَبِيلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ نَبَاتَ شَتَّى كَلَّوْا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ) وَلِى الْإِنْبِيَّ مِنْهَا اخْلُقْنَاكُمْ وَفِيهَا نَعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُفَخُّ جُحُومَكُمْ تَارَةً أُخْرَى وَتَقْدَارُ نَهَادَاتُنَا كُنْهَا كَلْهَا فَكَذِبَ وَأُتِي) هَذَا مِنْ عِلْمِ كَلَامِ مُوسَى فِيهِمَا وَصَفِي بِهِ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ حِينَ سَأَلَهُ فِرْعَوْنُ عَنْهُ فَقَالَ الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ثُمَّ أَعْرَضَ عَنِ الْكَلَامِ بَيْنَ ذَلِكَ ثُمَّ قَالَ (٢٤٧) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهَادًا وَفِي قِرَاءَةِ

أعمال المضادة ومخالفه لاوصاف المؤمنين وقيل الإشارة بقوله ذلك اما الى أعمال المؤمنين أو الى أعمال الكفار أى لهم أعمال من دون أعمال المؤمنين التي ذكرها الله أو من دون أعمال الكفار التي تقدم ذكرها من كون قلوبهم في غفلة عظيمة بما ذكر وهو هي فنون كفرهم ومعاصيهم التي من جملتها ما سيأتي من طعنهم في القرآن قال الواحدى اجماع المفسرين وأنخاب المعاني على ان هذا الخبر عما سيعملون من أعمالهم الخبيثة التي كتبت عليهم لا بد لهم ان يعملوها ووجهه (هم لها عاملون) مقرر لما قبلها أى واجب عليهم أن يعملوها فأي دخلوا بها النار لما سبق لهم في الازل من الشقاوة لا تحميمهم عن ذلك أى مستحقون عليها ثم رجع سبحانه الى وصف الكفار فقال (حتى) ابتدائية أو حرف جر أو غاية عاطفة أقوال (إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجارون) مبينة لما قبلها والضمير راجع الى ما تقدم ذكره من الكفار والمراد بالمترفين المستعمون منهم وهم الذين أمدهم الله بما تقدم ذكره من المال والبنين أو المراد بهم الرؤساء منهم والمراد بالعذاب هو عذابهم بالسيف يوم بدر أو بالجوع بدناء النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليهم حيث قال اللهم اشد وطأتك على مضرب واجعلها عليهم سنين كسني يوسف وقيل المراد عذاب الآخرة ورجح هذا بأن ما يقع منهم من الجوار انما يكون عند عذاب الآخرة لانه الاستغاثة بالله ولم يقع منهم ذلك يوم بدر ولا في سبي الجوع ويحجب عنه بأن الجوار في اللغة الصراخ والصياح قال الجوهرى الجوار مثل الجوارية قال جأرا الثور يجأرا أى صاح وقد وقع منهم ومن أهلهم وأولادهم عند أن عذبوا بالسيف يوم بدر وبالجوع في سبي الجوع وليس الجوار هنا مقيد بالجوار الذي هو التضرب بالدعاء حتى يتم ما ذكره هذا القائل وجملة إذا هم يجارون جواب الشرط وإذا هي النجائية والمعنى حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب فاجأوا الصراخ قال ابن عباس يجارون يستغيثون أى يبريهم ويلتجئون اليه في كشف العذاب عنهم ومع ذلك لا ينفعهم ولذلك أخبر سبحانه انه يقال لهم حينئذ على جهة

إذا تم وبأيم ومنها فخرجكم تارة أخرى يوم يدعوكم فتجيبون بحمدوه وتظنون أن ابنتم الأقل لا وهذه الآية كقوله تعالى قال فيها
تحيون وفيها توتون ومنها فخرجون وفي الحديث الذي في السنن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حضر جنازة فلما دفن الميت أخذ
قضة من التراب فلقاها في القبر وقال منها اخلقناكم ثم أخذ أخرى وقال وفيها نعيدكم ثم أخرى وقال ومنها فخرجكم تارة أخرى
وقوله ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى يعني فرعون أنه قامت عليه الحجج والآيات والدلالات وعين ذلك وأبصره فكذب بها
وأبأها كفرًا وعنادًا وبغيا كما قال تعالى وحجودها واستيقظتها أنفسهم ظلما وعلوا الآية (قال أجمعت التخر جناد من أرضنا بسحره
ياموسى فلما ينمك بسحر مثله فاجمل بيننا وبينك موعد ألا تخافه نحن ولا أنت مكانا سوى قال موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس
ضغى) يقول تعالى محذرا عن فرعون أنه قال لموسى حين أراه الآية الكبرى وهى القامعاه فصارت نعبا ناظما ونزع عيده من تحت

بجناحه فتخرج بيضاء من غير سوء فقال هذا سحر جئت به لتسحرنا وتستولي به على الناس فيتبعونك وتسكنا ثم نأبهم ولا يتم هذا معك فان عندنا سحر امثل سحرك فلا يغرنك ما أنت فيه فاجعل بيننا وبينك موعدا اى يوما نجت مع نحن وانت فيه فمعارض ما جئت به بما عندنا من السحر في مكان معين ووقت معين فعند ذلك قال لهم موسى موعدكم يوم الزينة وهو يوم عيدهم ونير وزهم وتفرغهم من أعمالهم واجتماع جميعهم ليشاهد الناس قدرة الله على ما يشاء ومجرات الانبياء وبطلان معارضة السحر لخوارق العادات النبوية ولهذا قال وان يحشر الناس اى جميعهم نضحى اى ضحوة من النهار ليكون أظهر وأجلى وأبين وأوضح وهكذا شأن الانبياء كل أمرهم بين وانضح ليس فيه خفاء ولا تزويج ولهذا لم يقل ليلا ولكن نهارا نضحى قال ابن عباس وكان يوم الزينة يوم عاشوراء وقال السدى وقتادة وابن زيد كان (٢٤٨) يوم عيدهم وقال سعيد بن جبيرة كان يوم سوقهم ولا منافاة قلت وفي مثله

أهلك الله فرعون وجنوده كما ثبت في الصحيح وقال وهب بن منبه قال فرعون يا موسى اجعل بيننا وبينك أجلا ننظر فيه قال موسى لم أؤمر بهذا إنما أمرت بمناجرتك ان أنت لم تخرج دخلت اليك فاوحى الله الى موسى ان اجعل بينك وبينه أجلا وقل له أن يجعل هو قال فرعون اجعله الى أربعين يوما ففعل وقال مجاهد وقتادة مكانا سوى منصفاه وقال السدى عدلا وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم مكانا سوى مستويا بين الناس وما فيه لا يكون صوت ولا شيء يتغيب بعض ذلك عن بعض مستوحى يرى (فتولى فرعون فجاءه كيدهم ثم أتى قال لهم موسى ويا ربكم لا تفوتوا على الله كذبا فيسحقكم بعذاب وقد خاب من افتري فتنازعوا أمرهم بينهم وأسرر التاجري قالوا ان هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم

التبكي (لاتجار واليوم) فالقول مضمر والجمله مسوقة لتبكيهم واقفاطهم وقطع أطعامهم وخصص سبحانه المترفين مع ان العذاب لاحق بهم جميعا ووقع على مترفيهم وغير مترفيهم لبيان انهم بعد النعمة التي كانوا فيها صاروا الى حاله تخالفها وتباينها فاتهموا من النعيم التمام الى الشقاء الخالص وخص اليوم بالذكر لانه يوم والمعنى لا تصيحوا ولا تضجوا ولا تنجروا ولا تجزعوا ولا تنغيثوا والجوار الصراخ باستغاثة وفى القاموس جار كنح جاروا جوارا رفع صوته بالدعاء وتضرع واستغاث بالبصرة والثور صاحا والنبات طال والارض طال نباتها (انكم مغالاة تصرون) تعليل للنهي عن الجوار والمعنى انكم من عذابنا لا تمنعون ولا ينفعكم جزعكم وقيل المعنى لا يلحقكم من جهنم نصرقة تنزعكم مما دهمكم من العذاب ثم عدد الله سبحانه عليهم قبائحهم بقوله بينا لهم فقال (قد كانت آياتى) اى القرآن (تتلى عليكم) فى الدنيا (فكنتم على اعقابكم تنكصون) اى ترجعون وراءكم قال ابن عباس تدبرون وأصل النكوص ان يرجع القهقهري اى الى جهة الخلف وهو واقع المشيات لانه لا يرى ما وراءه وهو خائف من الاستمارة لا عراض عن الحق وقرأ على بن ابي طالب على ادباركم يدل على اعقابكم (مستكبرين به) اى بالبيت العتيق وقيل بالحرم والذى سوغ الانصار قبل الذكرا شتهارهم بالاستكبار به واقتدارهم بولايته والقيام به وكانوا يقولون لا يظهر علينا أحد لا ناهل الحرم وخدامه الى هذا ذهب جمهور المفسرين وقيل الضمير عائدا الى القرآن والمعنى ان سماعه يحدث لهم كبرا وطغيانا فلا يؤمنون به قال ابن عطية وهذا قول جيد وقال النحاس القول الاول أولى ويذهب ما ذكرناه فعلى الاول يكون به متعلفا بمستكبرين وعلى الثانى بقوله (سامرا) لانهم كانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمررون وكان عامة سمرهم ذكر القرآن والطعن فيه والسامر كالحاسر والحاج والراكب والغائب فى الاطلاق على الجمع قال الواحدي السامر الجماعة يسمررون بالليل اى يتحدثون وقيل ماخوذ من السمر وهو سمر الليل وقال

بسحرهما ويذهبا بطريفة كتم المثل فاجعوا كيدكم ثم اتوا صفا وقد أفلح اليوم من استعلى) يقول تعالى الراغب مخبرا عن فرعون انه لما تواعد موسى عليه السلام الى وقت ومكانه لومين تولى أى شرع فى جمع السحرة من مدائن مملكته كل من ينسب الى السحر فى ذلك الزمان وقد كان السحر فيهم كثر انا فاجدا كما قال تعالى وقال فرعون اتتوني بكل ساحر عليم ثم أتى أى اجتمع الناس لميقات يوم معلوم وهو يوم الزينة وجلس فرعون على سرير مملكته واصطف له أكبر دولته ووقف الرعايا يمينه ويسرة وأقبل موسى عليه الصلاة والسلام متوكئا على عصاه ومعه أخوه هرون ووقف السحرة بين يدي فرعون صنفا وهو يحرضهم ويحثهم ويرغبهم فى اعادة علمهم فى ذلك اليوم ويتنصرون عليه وهو بعدهم ويعنيهم يقولون اننا لالاجران كنا نحن الغالبيين قال نعم وانكم اذ المن المقر بين قال لهم موسى ويا ربكم لا تفتروا على الله كذبا لى لا تخيلوا للناس باعمالكم ايجادا شيئا لا حقائق لها

وانها مخلوقة وليست مخلوقة فتكونون قد كذبتم على الله فيسحقكم بعذاب أى يهلككم بعقوبة هلا كالأبقية له وقد خاب من افترى فتنازعوا امرهم بينهم قيل معناه انهم تشاجروا فيما بينهم فقتل يقول ليس هذا بكلام ساحر انما هذا كلام نبي وقائل يقول بل هو ساحر وقيل غير ذلك والله أعلم وقوله وأسروا النجوى أى تناجوا فيما بينهم قالوا ان هذان لساحران وهذه لغة لبعض العرب جاءت هذه القراءة على اعرابها ومنهم من قرأ ان هذين ساحران وهذه اللغة المشهورة وقد توسع النحاذ في الجواب عن القراءة الاولى بما ليس ههنا موضعه والغرض ان السحرة قالوا فيما بينهم لم تعلمون ان هذان الرجل وأخاه يعنون موسى وهرون ساحران عالمان خبيران بصناعة السحر يريدان في هذا اليوم ان يغلباكم وقومكم ويستوليا على الناس وتبعهما العامة ويقا تلان فرعون وجنوده فينصر اعليه ويخرجواكم من ارضكم (٢٤٩) وقوله ويذهب بطريقتكم المثلئ أى ويستبدل

بهذه الطريقة وهى السحر فانهم كانوا عظماء بسببها لهم أموال وأرزاق عليها يقولون اذا غلب هذان اهلكاكم وأخرجواكم من الارض وتزددوا بذلك وتعتد لهم الرئاسة بهادونكم وقد تقدم في حديث الفتون أن ابن عباس قال في قوله ويذهب بطريقتكم المثلئ يعنى ملكهم الذى هم فيه والعيش وقال ابن أبى حاتم حدثنا أى حدثنا نعيم بن حجاج حدثنا هشيم عن عبد الرحمن بن اسحق سمع الشعبي يتحدث عن على فى قوله ويذهب بطريقتكم المثلئ قال يصرفا وجوه الناس اليهما وقال مجاهد ويذهب بطريقتكم المثلئ قال أولوا الشرف والعقل والاسنان وقال أبو صالح بطريقتكم المثلئ أشرفكم ومروا تكم وقال عكرمة بن خفركم وقال قتادة وطريقتهم المثلئ يومئذ بنو اسرائيل كانوا كثر القوم عددا وأموالا فقال عدو الله

الراغب السامري الليل المظلم رقرئ مراراً ورويت هذه عن ابن عباس قال الراغب ويقال سامرو وسمارو وسامرون ويجوز أن يتعلق به بقوله (تم سجرون) والهجر بالفتح الهذيان أى هم يهزون فى شأن القرآن أو من الهجر بالضم وهو النعش وقريئ تم جرون من أخرج أى أخش فى منطقة ومن هجر بالتشديد ومن الهجران وهو الترك ومن الهجر يسكون الجيم وهو القطع والصدأ أى تهجرون آيات الله ورسوله وترهدون فيما فلا تلوهم ما قرئ بالتحكية وفيه التفات قال ابن عباس تسمرون حول البيت وتقولون هجرا وكانت قرىش يتحلقون حلقا يتحدثون حول البيت وعنده قال كان المشركون يهجرون رسول الله صلى الله عليه وسلم فى انقول بسمهم وعنه قال انما كره السمر حين نزلت هذه الآية أخرجه النسائى (أقول يدبر والتول) بين سبحانه ان سبب اقدامهم على الكثرة هو أحدث هذه الامور الاربعة الاول عدم التدبر فى القرآن فانهم لو تدبروا معانيه لظهروا لهم صدقه وآمنوا به وعافيه والهـ زلة لا نكروا الفاء للعطف على مقدر اى فعلوا ما فعلوا فلي تدبروا والمراد بالقول القرآن ومثله افلا يتدبرون القرآن والثانى قوله (أم جاءهم الم بآيات ابائهم الاولين) ام هى المقطعة اى بل آجاءهم من الكتاب فكان ذلك سببا لاستكبارهم للقرآن والمقصود تقرير انه لم يأت آباءهم الاولين رسول فلذلك انكروا ومن مثله قوله لتندرقوا ما أنذر آبائهم وقيل انه أى آباءهم الاقدمين رسل أرسل الله اليهم كجاءه سنة الله سبحانه فى ارسال الرسل الى عباده فقد عرف هؤلاء ذلك فكيف كذبوا هذا القرآن وقيل المعنى أم جاءهم من الأمن من عذاب الله ما لم يأت آباءهم الاولين كانه عليل ومن بعده والثالث قوله (ام لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون) وفى هذا اضطراب وانقل من التوبيخ بما تقدم الى التوبيخ بوجه آخر أى بل لم يعرفوه بالامانة والصدق فانكروه ومعلوم انهم قد عرفوه بذلك عن أبى صالح قال عرفوه ولكنهم حسدوه والرابع قوله (أم يقولون به جنه) هذا ايضا انتقال من توبيخ الى توبيخ أى بل ايقولون به جنون مع انهم قد

(٣٢ - فتح البيان سادس) يريدان أن يذهباهما لانفسهم ما وقال عبد الرحمن بن زيد بطريقتكم المثلئ بالذى انتم عليه وقوله فاجعوا كيدكم ثم اتوا صنادى اجتمعوا كلكم صنادوا واحدا والقوام فى ايديكم مرة واحدة لتبتهوا الابصار وتغلبوا هذان واخاه وقد افلح اليوم من استعلى اى منا ومنه أما نحن فقد وعدنا هذا الملك العطاء الجزيل وأما وفينا لرياسة العظيمة (قالوا يا موسى امان تلقى واما ان نكون اول من اتى قال بل ألقوا فاذ احبالهم وعصيم يخيل اليه من سحرهم انما تسعى فاجس فى نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك انت الاعلى وأنت فى عينك تلقف ماصنعا والماصنعا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث اتى فالتى السحرة سجدوا قالوا آمنا برب هرون وموسى) يقول تعالى مخبراعن السحرة حين توافقوا هم وموسى عليه السلام انهم قالوا لموسى امان تلقى أى أنت أولا واما ان نكون أول من ألقى قال بل ألقوا أى انتم والا ليرى الناس ماذا تصنعون من السحر وليظهر للناس جليلة

امرهم فاذا احببهم وعصمهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى وفي الآية الاخرى انهم لما اتوا بالواحدة فرعون انالحن الغالبون وقال تعالى وسحره وأعين الناس واستر سحرهم وجاوا بسحر عظيم وقال ههنا فاذا احببهم وعصمهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى وذلك انهم اودعوها من الزئبق ما كانت تتحرك بسببه وتضطرب وتبدج حيث يخيل للناظر انها تسعى باختيارها وانما كانت حيلة وكانوا جاعفرا وجعا كثيرا فأتى كل منهم عصا وحبل حتى صاروا لادى ملائكة حيث يركب بعضهم ابعضا وقوله فلو جس في نفسه خيفة موسى أى خاف على الناس ان يفتنوا بسحرهم ويعتروا بهم قبل ان يلقي ما في بيته فأتى الله تعالى اليه في الساعة الراهنة ان القى ما في عينك يعنى عصاها فاذا هي تلقف ما صنعوا وذلك انها صارت تبتلع عظيمها فلا ذاقوا ثم وعنق ورأس وأضر اس فجعلت تتبع تلك الحبال والعصى حتى لم يتبق منها شيا (٢٥٠) الا تلقفته وابتلعه والسحرة والناس ينظرون الى ذلك عيانا جهرة

نهارا سحره فقامت المعجزة واتضح البرهان ووقع الحق وبطل السحر ولهذا قال تعالى انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن موسى الشيباني حدثنا حماد بن خالد حدثنا ابن معاذ أحسبه الصائغ عن الحسن بن جندب بن عبد الله الجبلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أخذتم يعنى الساحر فأتوه ثم قرأ ولا يفلح الساحر حيث أتى قال لا يؤمن من حيث وجد وقد روى أصله الترمذى موقوفا ومرفوعا فلما عاين السحرة ذلك وشاهدوه ولهم خبرة بفنون السحر وطرقه ووجوهه علموا علم الباقين ان هذا الذى فعله موسى ليس من قبيل السحر والحيل وانه حق لا مرية فيه ولا يتقدر على هذا الا الذى يقول للشيء كن فيكون فعند ذلك وقعوا بحمد الله وقالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون ولهذا قال ابن عباس

علموا انه أخرج الناس عقلا واثبتهم ذهنا وأوجههم لبابا وكبه جاء بما يخالف هواهم فدفعوه وجدوا تعصبا ووجهة وسبأ فى قوله ام نسألهم خر جاعث أضرب سبحانه عن ذلك كله فقال (بل جاءهم بالحق) أى ليس الامر كما زعموا فى حق القرآن والرسول بل جاءهم متلبسا بالحق والحق هو الدين القويم أو القرآن المشتل على التوحيد وشرائع الاسلام وعن أبي صالح قال الحق هو الله عز وجل (وأكثرهم للحنى كارهون) لما جابوا عليه من التعصب والانحراف عن السوابق والبعد عن الحق فلذلك كرهوا هذا الحق الواضح الظاهر والمراد بالحق هنا أعينهم من الاول فلذلك أتى به مظهرافى مقام المضمر وظاهر النظم انترأتى ان أقلهم كانوا لا يكبرهون الحق ولا يسموهم لم يظهروا الايمان خوفا من الكافرين له أو لانه فطنهم وعدم فكرتهم لا الكراهة الحق (ولو اتبع الحق أهواءهم) مستأنفة لبيان انه لو جاء الحق على ما يهوى ويريدونه من الشريك والولادة تعالى لكان ذلك مستلزما للنسب العظيم وخرج نظام العالم عن الصلاح بالكلية وهو معنى قوله (ففسدت السموات والارض) قال ابن جرير ومقاتل والسدى الحق هو الله والمعنى لو جعل الله مع نبيه كما يحبون شريكا ففسدت هي (ومن فيهن) وقال الفراء والزاوج الحق القرآن أى لو نزل انترأتى بما يحبون من الشرك لفسد نظام العالم وقيل المعنى لو كان الحق ما يقولون من اتخاذ الآلهة مع الله لاختلفت الآلهة ومثل ذلك قوله لو كان فيه ما آلهة الا الله لفسد نظام الوجود المتنازع فى الشئ عادة عند تعدد الخلق وقد ذهب الى القول الاول الا كثرون ولكنهم يريد عليه ان المراد بالحق هنا هو الحق المذكور قبله من قوله بل جاءهم بالحق ولا يصح ان يكون المراد به ههنا كاله سبحانه فالاولى تفسير الحق هنا وههناك بالصدق الصحيح من الدين الخالص من شرع الله والمعنى ولو ورد الحق متابعا لاهوائهم موافقا لافسادهم مقاصدهم لحصل الفساد والمراد بمن فى السموات والارض ما فيه مما من المخلوقات وخص العتلاء بالذكر لان غيرهم تبع وقرأ ابن مسعود وما بينهم ما وسبب فساد

المكافين

وعبيد بن عمير كانوا أول النهار سحره وفى آخر النهار شهدا بيرة قال محمد بن كعب كانوا ثمانين ألفا وقال القاسم بن أبي برة كانوا سبعين ألفا وقال السدى بضعة وثلاثين ألفا وقال الثورى عن عبد العزيز بن ربيع عن أبي ثمامة كان سحره فرعون تسعة عشر ألفا وقال محمد بن اسحق كانوا خمسة عشر ألفا وقال كعب الاحبار كانوا اثني عشر ألفا وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن علي بن حزة حدثنا علي بن الحسين بن واقد عن أبيه عن يزيد النخوى عن عكرمة عن ابن عباس كانت السحرة سبعين رجلا أصحوا سحره وأمسوا شهداء قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا المسيب بن واضح بمكة حدثنا ابن المبارك قال قال الأوزاعي لما سحر السحرة بحمد ارفع لهم الجنة حتى نظروا اليها قال وذكر عن سعيد بن سلام حدثنا اسمعيل بن عبد الله بن سلمان عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير قوله وألقى السحرة سجدا قال رأوا منازلهم تبين لهم وهم فى سجودهم وكذا قال عكرمة والقاسم بن أبي برة (قال أميتم له قبل أن آذن ليكم انه لكبيركم الذى علمكم السحر فلا قطعن أيديكم وأرجلكم من

خلاف ولا صلبتكم في جذوع النخل ولتعلم أني أشهد عذابا وابقى قالوا لن نؤثر لك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا انا آمناب ربنا ليغفر لنا خطايانا وما كرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى (يقول تعالى مخبرا عن كفر فرعون وعناده وبغيه ومكابرته الحق بالباطل حين رأى ما رأى من المعجزة الباهرة وقال آية العظيمة ورأى الذي قد استنصر بهم قد آمنوا بحضرة الناس كلهم وغلب كل الغلب شرع في المكابرة والبهت وعدل الى استعمال جاهه وسلطانه في السحرة فتهدهم وتدهمهم وقال آمنتم له اى صدقة وه قبل ان آذن لكم اى وما أمرتكم بذلك وافتتتم على في ذلك وقال قولا يعلم هو والسحرة والخلق كلهم انه كذب وكذب لكبيركم الذي علمكم السحرا اى انتم اغنا أخذتم السحر عن موسى واتنقتم انتم واباه على وعلى رعيته لتظهره كما قال تعالى في الآية الاخرى ان هذا الميكربكرتوه في (٢٥١) المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون

ثم أخذتهم ددهم فقال لا قطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولا صلبتكم في جذوع النخل اى لا جعلتكم مثله لاقتلتكم ولا شمرتكم قال ابن عباس فكان أول من فعل ذلك رواه ابن أبي حاتم وقوله ولتعلم أني أشهد عذابا وابقى اى انتم تتولون انى وقومى على ضلالة وأنتم مع موسى وقومه على الهدى فسوف تعلمون من يكون له العذاب ويبقى فيه فلما صال عليهم بذلك وتوعدهم هانت عليهم أنفسهم في الله عز وجل وقالوا لن نؤثر لك على ما جاءنا من البينات اى لن نختار لك على ما حصل لنا من الهدى واليقين والذي فطرنا يحتمل أن يكون قسما ويحتمل أن يكون معطوفا على البينات يعنون لاشية ركة على فاطرنا وخالقنا الذي انشأنا من العدم المبتدئ خلقنا من الطين فهو المستحق للعبادة والخضوع لأنك أفاض ما أنت قاض اى فافعل ما شئت وما

المكلفين من بني آدم ظاهر وهو ذنوبهم الى من جعلها الهوى المخالف للحق واما فساد ما عداهم فعلى وجه التبع لانهم مدبرون في الغالب بذوى العقول فلما فسدوا فسدوا ثم ذكر سبحانه ان نزول القرآن عليهم من جملة الحق فقال (بل أنيناهم بذكرهم) انضرب وانتقال عن قوله واكثرهم للحق كارهون اى كيف يكرهون الحق مع ان القرآن اتاهم بتشر يفهم وتعظيمهم فاللائق بهم الانقياد فالمراد بالذكر هنا القرآن اى أنيناهم بالكتاب الذي هو خفرهم وشرفهم لان الرسول منهم والقرآن بلغتهم ومثله قوله وانه لذكرك ولقومك وحاصل المعنى بل أنيناهم بفخرهم وشرفهم الذي كان يجب عليهم ان يقبلوه ويقتبلوا عليه وقال قتادة المعنى بذكرهم الذي ذكر فيه ثوابهم وعقابهم وقيل المعنى بذكر ما لهم به حاجة من أمر الدين وقرئ آتيتهم بآء التكم وآتيتهم بآء الخطاب اى آتيتهم بالحمد وقرئ بذكرهم وبذكرهم بصيغة التكم من التذكير وقيل الذكر هو الوعظ وقيل الذي كانوا يفتنون به يقولون لو ان عندنا ذكرا من الاولين وقال ابن عباس أنيناهم بينا لهم (فهم) بما فعلوا من الاستكبار والتكبر (عن ذكرهم) المختص بهم (معرضون) بسوء اختيارهم لا يلتفتون اليه بحال من الاحوال وأتى بذكرهم مظهر للتوكيد والتشبيع عليهم وفي هذا التركيب ما يدل على ان اعراضهم مختص بذلك لا يتجاوز الى غيره ثم بين سبحانه ان دعوة نبيه صلى الله عليه وسلم ليست مشوبة باطماع الدنيا فقال (أم) منقطعة والمعنى لكنهم يزعمون انك (تسألهم خراجا) تأخذه على الرسالة والخرج الاجر والجعل فتركو الانبياء بك وبما جئت به لاجل ذلك مع انهم يعلمون انك لم تسألهم ذلك ولا طلبته منهم (خراج) اى فرزق (ربك) الذي يرزقك في الدنيا واجره الذي يعطيك في الآخرة (خير) لك وقرئ خراجا والخرج هو الذي يكون مقابلا للدخل يقال لكل ما يخرج الى غيرك خراجا والخراج غالب في الضريبة على الارض قال المبرد الخرج المصدر والخراج الاسم وقال ابو عمرو بن العلاء الخراج مال زمك والخرج ما تبرعت به وروى عنه ايضا الخرج من الرقاب والخراج

وصات اليه بذلك انما تقضي هذه الحياة الدنيا اى انما لك تسلط في هذه الدار وهى دار الزوال ونحن قدر غبننا في دار القرار انا آمناب ربنا ليغفر لنا خطايانا وما كرهتنا عليه من السحر لتعارض به آية الله تعالى ومعجزة نبيه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا نعيم بن حماد حدثنا سفيان بن عيينة عن ابي سعيد عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى وما كرهتنا عليه من السحر قال أخذ فرعون أربعين غلاما من بنى اسرائيل فامر ان يعلموا السحر بالفرما وقال علموهم تعليما لا يعلمه احد في الارض قال ابن عباس فهم من الذين آمنوا بموسى وهم من الذين قالوا آمناب ربنا ليغفر لنا خطايانا وما كرهتنا عليه من السحر وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقوله والله خير وأبقى اى خير لنا منك وأبقى اى أدوم ثوابنا كما كنت وعدتنا ومنيتنا وهو رواية عن ابن اسحق رحمه الله وقال محمد بن كعب القرظى والله خير اى لنا منك ان اطيع وأبقى اى منك عذابا ان عصي وروى نحوه عن ابن

اسحق أيضا واظهار ان فرعون لعنه الله صمم على ذلك وفعله بهم رحمة لهم من الله ولهذا قال ابن عباس وغيره من السلف اصبحوا
سحرة وامسوا شهداء (انه من يات ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ومن يات مؤمنا فقد عمل الصالحات فأولئك لهم
الدرجات العلى جنت عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى) الظاهر من السياق ان هذا من تمام ما وعظه
السحرة لفرعون يحذرونه من نعمة الله وعذابه الدائم السرمدى ويرغبونه فى ثوابه الا بدى الخلد فقالوا انه من يات ربه مجرما أى
يلقى الله يوم القيامة وهو مجرم فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى كقوله لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك
تجزى كل كنوز وقال ويحببها الاشقى الذى يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيى وقال تعالى ونادوا يا مالك ليقض علينا
ربك قال انكم ما كنون وقد الامام أحمد (٢٥٢) بن حنبل حدثنا اسمعيل اخبرنا سعيد بن يزيد عن أبي نضرة عن أبي سعيد

الخدري قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم أما أهل النار الذين
هم أهلها فانهم لا يموتون فيها ولا
يحبون ولكن أناس تصيبهم النار
بذنوبهم فميتهم اماتة حتى اذا
صاروا حما أذن في الشفاعة حتى
يهم ضمائر ضماير فثموا على أنهار
الجنة فيقال يا أهل الجنة أفبضوا
عليهم فينبئون نبات الحبة تكون
في جيل السيل فقال رجل من
القوم كأن رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان بالبادية وهكذا
اخرجه مسلم في كتابه الصحيح من
رواية شعبة وبشر بن المفضل
كلاهما عن أبي سلمة سعيد بن يزيد
وقال ابن أبي حاتم ذكر عن عبد
الوارث بن عبد الصمد بن عبد
الوارث قال حدثنا ابي حدثنا
حبان سمعت سليمان التيمي عن أبي
نضرة عن أبي سعيد ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم خطب فأنى
على هذه الآية انه من يات ربه
مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا

من الارض فالخرج أخص من الخراج تقول خراج القرية وخرج الكوفة فزيادة اللفظ
لزيادة المعنى (وهو خير الرازيين) أى أفضل المعطين والجملة مقرر لما قبلها من كون
خرجه سبحانه خيرا ثم لما أثبت سبحانه لرسله من الأدلة الواضحة المقتضية لقبول ما جاء
به ونفى عنه أضداد ذلك قال (وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم) أى الى طريق واضحة
تشهد العقول بانها مستقيمة غير معوجة والصراط فى اللغة الطريق فسمى الدين طريقا
لانها تؤدى اليه ثم وصفهم سبحانه بانهم على خلاف ذلك فقال (وان الذين لا يؤمنون
بالآخرة عن الصراط لنا كيون) يقال نكس عن الطريق ينكب نكوبا اذا عدل عنه
ومال الى غيره والنكوب والنكوب والعدول والميل ومنه النكباء للريح بين ريحين سميت
بذلك لعدولها عن المهاب والمعنى ان هؤلاء الموصوفين بعدم الايمان بالآخرة أى البعث
والثواب والعقاب لعدولون عن ذلك الصراط أو عن جنس الصراط ثم بين سبحانه انهم
مصرعون على الكفر لا يرجعون عنه بحال فقال (ولورجناهم وكشفنا ما بهم من ضر)
أى من قحط وجذب (للعواف طغيانهم) أى لتمادوا فى ضلالهم وأصل اللجاج القمادى
فى العناد ومنه اللجة بالفتح اتردد الصوت ولجة البحر تردد أواجه ولجة الليل تردد ظلامه
وقبل المعنى لورد دناهم الى الدنيا ولم ندخلهم النار وامتحنناهم للعواف طغيانهم (بعضهون)
أى يترددون ويتذبذبون ويحبطون (ولقد أخذناهم بالعذاب) تأكيد للشرطية مسوق
لتقريرها والعذاب قيل هو الجوع الذى أصابهم فى سنى القحط وقيل المرض وقيل القتل
يوم بدر واختاره الزجاج وقيل الموت وقيل المراد من أصابه العذاب من الامم الخالية
(فما استكانوا) أى ما خضعوا ولا تذللوا (لربهم) بل أقاموا على ما كانوا فيه من الترد على
الله والانهمالة فى معاصيه (وما يضرعون) أى وما يخشعون لله فى الشدائد عند أصابتها
لهم ولا يدعون له رفع ذلك أخرج النسائي والطبراني والحاكم وصححه وغيرهم عن ابن عباس

يحيى قال قال النبي صلى الله عليه وسلم أما أهلها الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون وأما الذين
ليسوا من أهلها فان النار تسهم ثم يقوم الشفعاء فيشفعون فيجعل الضمائر فيؤتى بهم نهارا يقال له الحياة أو الحيوان فينبئون
كما ينبت العشب فى جيل السيل وقوله تعالى ومن يات مؤمنا فقد عمل الصالحات أى ومن لقي ربه يوم المعاد مؤمنا القلب قد صدق
ضميره بقوله وعمله فأولئك لهم الدرجات العلى أى الجنة ذات الدرجات العاليات والغرف الآمنات والمسكنات الطيبات قال الامام
احمد حدثنا عبدان انبأناهم احدثنا زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عباد بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الجنة
مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض والفردوس اعلاها درجسة ومنها تخرج الانهار الاربعة والعرش فوقها فاذا
سألتم الله فاسألوه الفردوس ورواه الترمذى من حديث يزيد بن هرون عن همام بن وهب وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سليمان بن

عبد الرحمن الدمشقي اخبرنا خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه قال كان يقال الجنة مائة درجة في كل درجة مائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والأرض فيهن المواقف والخطى في كل درجة أمير يرون له الفضل والسودد وفي الصحيحين أن أهل عليين ليرون من فوقهم كما ترون الكوكب الغابر في أفق السماء لتفضل ما ينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء قال بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين وفي السنن أن أبا بكر وعمر لما نهم وأنعموا وقوله جنات عدن أي أقامة وهي بدل من الدرجات العلى خالدين فيها أي ما كثرين أبدا وذلك جزاء من ترك أي طهر نفسه من الدنس والخبث والشرك وعبد الله وحده لا شريك له واتبع المرسلين فيما جاوبه من خير وطلب (ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فأضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركاً ولا يخشى فاتبعهم فرعون بمجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم وأضل (٢٥٢) فرعون قومه وما هدى) يقول تعالى مخبرا

أنه أمر موسى عليه السلام حين أرى فرعون أن يرسل معه بني إسرائيل أن يسرى بهم في الليل ويذهب بهم من قبضة فرعون وقد بسط الله هذا المقام في غير هذه السورة الكريمة وذلك أن موسى لما خرج ببني إسرائيل أصبحوا وليس منهم عسر لا داع ولا نجيب فغضب فرعون غصبا شديدا وأرسل في المداين حاشرين أي من يجتمعوا له الجنود من بلدانه ورسايتهم يقول أن هؤلاء الشريعة قليلون وأنهم لنا غائطون ثم لما جمع جنده واستوسق له جيشه ساق في طلبهم فاتبعوه هم مشرقين أي عند طلوع الشمس فلما تراءى الجمعان أي نظر كل من الفريقين إلى الآخر قال أصحاب موسى أنا لمدركون قال كلا إن معي ربي سيهدين ووقف موسى ببني إسرائيل البحر أمامهم وفرعون وراءهم فعند ذلك أوحى الله إليه أن اضرب لهم طريقا في البحر

قال جاء يوسفيان إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أنشدك الله والرحم فقد أكلنا العلاء زرعني الوبر بالدم فأنزله الله ولقد أخذناهم بالعذاب إلى آخر الآية وأصل الحديث في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا على قريش حين استعصوا فقال اللهم أعني عليهم بسميع كسبع يوسف الحديث وأخرج البيهقي وغيره عن ابن عباس أن ابن أثال الحنفى لما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أسير خلفي سبيله لحق بالبيعة خصال بين أهل مكة وبين الميرة من الإمامة حتى أكلت قريش العاهز نجاة يوسفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ليس تزعم أنك بعثت رجلا للعالمين قال بلى قال فلقد قتلت الأبا بالسيف والابناء بالجوع فأمر الله هذه الآية وعن علي بن أبي طالب في الآية قال أي لم يتواضعوا في الدنيا ولم يخضعوا ولو خضعوا لله لاستجاب لهم (حتى) ابتدائية (إذا) فتحنا عليهم بابا إذا عذاب شديد قيل هو عذاب الآخرة وقيل قتلهم يوم بدر بالسيف قاله ابن عباس وقيل القعط الذي أصابهم وقيل فتح مكة وقيل قيام الساعة (إذا هم فيه مبلسون) أي متحيرين لا يدرون ما يصنعون والابلاس التحير والاياس من كل خير وقرئ مبلسون بفتح اللام من أبلسه أي أدخله في الابلاس والابلاس مثل سلام المصح وهو فارسي معرب وأبلس أيس وقد تقدم في الانعام وهو الذي أنشأ لكم السمع والابصار والفائدة) امتن الله سبحانه عليهم ببعض النعم التي أعطاهم والمقصود به التقرير والتوبيخ بالنسبة للكافرين وتذكير النعم بالنسبة للمؤمنين وهي نعمة السمع والبصر والفؤاد فصارت هذه الامور معهم ليسمعوا المواعظ وينظروا العبر ويتفكروا بالفائدة فلم ينفعوا بشئ من ذلك لاصرارهم على الكبر والغرور بعدهم عن الحق ولم يشكروه على ذلك ولهذا قال (قليل) ما تشكرون أي شكر اقلية لا حقير غير معتد به باعتبار تلك النعم الجليلة وقيل المعنى أنهم لا يشكروا فيه البتة لان لهم شكر اقلية كما يقال لحامد النعمة ما أقل شكره أي لا يشكروا ومثل هذه الآية قوله فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم وفيه تنبيه

يبسا فاضرب البحر به صاه وقال انفلق على باذن الله فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم أي الجبل العظيم فارسل الله الريح على أرض البحر فلنعمته حتى صار يابسا كوجه الأرض فلما قال فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركاً أي من فرعون ولا تخشى من البحر أن يغرق قومك ثم قال تعالى فاتبعهم فرعون بمجنوده فغشيهم من اليم أي البحر ما غشيهم أي الذي هو معروف ومشهور وهذا يقال عند الامر المعروف المشهور كما قال تعالى والموتفة اهوى فغشاها ما غشى وقال الشاعر

أنا أبو النجم وشعري شعري أي الذي يعرف وهو مشهور وكما تقدمهم فرعون فسلك بهم في اليم فاضلهم وما هداهم إلى سبيل الرشاد كذلك يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود (يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الايمن ونزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تنظروا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد

هو واني لغفار ابن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى) يذكر تعالى نعمه على بني اسرائيل العظام ومنه الجسام حيث أنجاهم من عدوهم فرعون وأقر أعينهم منه وهم ينظرون اليه والى جنده قد غرقوا في صبيحة واحدة لم ينج منهم احد كما قال واغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون وقال البخاري حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا روح بن عباد حدثنا شعبة حدثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وجد اليه ود تصوم عاشورا فسألهم فقالوا هذا اليوم الذي أنظر الله فيه موسى إلى فرعون فقال نحن أولى بموسى فصوروه ورواه مسلم أيضا في صحيحه ثم انه تعالى واعد موسى بني اسرائيل بعد هلاك فرعون الى جانب الطور الايمن وهو الذي كلمه الله تعالى عليه وسأل فيه الرؤية وأعطاه التوراة هناك وفي غبون ذلك عبد بن عباس ان ائيل العجل كما يقصه الله تعالى قريبا وأما المولى والسوى (٢٥٤) فقد تقدم الكلام على ذلك في سورة البقرة وغيره فالمن حلوى كانت

تنزل عليهم من السماء والسوى طائر يستقط عليهم فيأخذون من كل قدر الحاجة الى الغد لطفا من الله ورحمة بهم واحسانا اليهم ولهذا قال تعالى كانوا من طبيبات مارزقناكم ولا تنغوا فيه فيحل عابكم غضبي أي كانوا من هذا الرزق الذي رزقكم ولا تنغوا في رزقي فتأخذوه من غير حله وتخنقوا ما أمرتكم به فيحل عليكم غضبي أي أغضب عليكم ومن يحل عليه غضبي فقد هوى قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما أي فقد شق وقال شق بن مانع ان في جهنم قصر ايرى الكافر من أعلاه فهو في جهنم أربعين خراييف قبل أن يبلغ الصلصال وذلك قوله ومن يحل عليه غضبي فقد هوى رواه ابن أبي حاتم وقوله واني لغفار ابن تاب وآمن وعمل صالحا أي كل من تاب الى تبت عليه من أي ذنب كان حتى انه تاب

على ان من لم يعمل هذه الاعضاء فيما خلقت له فهو بمنزلة عادمها (وهو الذي ذرأ كم في الارض) أي بشكم فيها بالنسل كما ثبت الحبوب وقد تقدم تحقيقه (واليه تحشرون) أي تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم (وهو الذي يحيي) النسم بالانشاء ونفخ الروح في المضة (ويحيي) النسم بالافناء على جهة الانفراد والاستقلال وفي هذا تذكير بنعمة الحياة وبيان الانتقال منها الى الدار الآخرة (وله اختلاف الليل والنهار) خلقوا وابتدوا قال النراء هو الذي جعلهم ما مختلفين يتعاقبان ويختلفان في السواد والبياض وقيل اختلافهم ما نقصان أحدهما وزيادة الآخر وقيل تكرارهم أي يوما بعد يوم وليله بعد ليله (أفلا تعقلون) كنه قدرته وتذكرون في ذلك ثم بين سبحانه انه لا شبهة لهم في انكار البعث الا ان ثبت بحبل التمثيل المبني على مجرد الاستبعاد فقال (بل قالوا مثل ما قال الاولون) أي أبائهم والموافقون لهم في دينهم من قوم نوح وهود وصالح وغيرهم ثم بين ما قاله الاولون فقال (قالوا اننا متنا وما كنا بمبعوثون) فهذا مجرد استبعاد لم يتعلقوا فيه بشئ من الشبه ثم كملوا ذلك القول بقولهم (لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل) أي وعدنا هذا البعث الآن ووعد آباؤنا الكائنون من قبلنا فلم نصدقهم كالم يصدقوه ثم صرحوا بالكذب وفروا الى مجرد الزعم الباطل فقالوا (ان هذا الاساطير الاولين) أي ما هذا الا كاذب الاولين التي سطرها في الكتب جمع أسطورة كاحد وثنة والاساطير الباطل والترغبات والكذب وقيل جمع أسطار وهو جمع سطر واولا وفق والمعنى لم نر هذا الوعد شيئا وانما رأيناها اساطير الاولين ثم أمر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم ان يسأل أهل مكة عن أمور لا عذر لهم من الاعتراف فيها فقال (قل لمن الارض ومن فيها) المراد من الخلق جميعا وعبر عنهم من تغليب للعقلاء لمن خبر مقدم والارض مبتدأ مؤخر (ان كنتم تعلمون) شيئا من العلم وجواب الشرط محذوف أي فاخبروني وفي هذا تلويح

تعالى على من عبد العجل من بني اسرائيل وقوله تعالى تاب اي رجع عما كان فيه من كفر أو شرك بجهلهم أو معصية أو نفاق وقوله وآمن اي تلبه وعمل صالحا اي بجوارحه وقوله ثم اهتدى قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أي ثم لم يشك وقال سعيد بن جبير ثم اهتدى اي استقام على السنة والجماعة وروى نحوه عن مجاهدوا الاختار وغير واحد من السلف وقال قتادة ثم اهتدى أي لم يزل على الاسلام حتى يموت وقال سفيان الثوري ثم اهتدى أي علم ان الله ذابوا باؤهم ههنا لترتيب الخبر على خبر كقوله ثم كان من الذين آمنوا و عملوا الصالحات (وما أعجلك عن قومك يا موسى قال هم أولاء علي اترى وعملت اليك رب لترضى قال فانا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري فرجع موسى الى قومه غضبان اسفا قال يا قوم لم بعدكم رب بكم وعدا حسنا أن أفضال عليكم العهد اريدتم ان يحل عليكم غضب من ربكم فاخلفتم موعدى قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا

أوزار من زينة القوم فقد فتنناها فكذلك التي السامري فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا له ذا الهكم واله موسى فنسي
 أفلا يرون أن لا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا لما سار موسى عليه السلام بنى إسرائيل بعد هلاك فرعون وأتوا على
 قوم يعكفون على أصنام لهم فقالوا يا موسى اجعل لنا الهة كالهة آلهم قال أنكم قوم تجهلون أن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا
 يعملون واعد له ثلاثين ليلة ثم اتبعها عشرين افتتار بعين ليلة أي يصومها باللائمة وأوقدت قدم في حديث الفتنون بيان ذلك
 فسارع موسى عليه السلام مبادرا إلى الطور واستخلف على بني إسرائيل أخاه هرون ولهذا قال تعالى وما أعجلك عن قومك يا موسى قال
 هم أولاء على أتري أي قادمون ينزلون قريما من الطور وعجلت اليك رب لترضى أي لتزداد عن رضا قال فانا قد فتنا قومك من بعدك
 وأضلهم السامري أخبر تعالى نبيه موسى بما كان بعده من الحدث في بني (٢٥٥) إسرائيل وعبادتهم العجل الذي عمله لهم ذلك
 السامري وفي الكتب الاسرائيلية

انه كان اسمه هرون أيضا وكتب
 الله تعالى له في هذه المدة الألواح
 المتضمنة للتوراة كما قال تعالى
 وكتبنا له في الألواح من كل شيء
 موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها
 بقوة وأمر قومك يأخذوا باحسنها
 سار يكمل دار الفاسقين أي عاقبة
 الخارجين عن طاعتي المخالفين
 لامري وقوله فرجع موسى إلى
 قومه غضبان أسفا أي بعدما أخبره
 تعالى بذلك في غاية الغضب والحزن
 عليهم وهو فيما هو فيه من الاعتناء
 بامرهم وتسليم التوراة التي فيها
 شريعتهم وفيها شرف لهم وهم قوم
 قد عبدوا غير الله ما يعلم كل عاقل له
 لب وحزم بطلان ما هم فيه وسخافة
 عقولهم وأذهانهم ولهذا قال
 رجع إليهم غضبان أسفا والأسف
 شدة الغضب وقال مجاهد غضبان
 أسفا أي حزنا وقال قتادة والسدى
 أسفا حزنا على ما صنع قومه من

بجهلهم وفطر غباوتهم (سيرة أولون لله) أي لا بد أن يقولوا ذلك لأنه معلوم به داهية العقل
 وهذا الخبر من الله بما يتبع منهم في الجواب قبل وقوعه ثم أمره سبحانه أن يقول لهم بعد
 اعترافهم (قل أفلا تدرون) ترغب إليهم في التدبر وامتاع النظر والتفكير فان ذلك مما
 يقوده هم إلى اتباع الحق وترك الباطل لأن من قدر على ذلك استدأ قدر على إحياء الموتى
 (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله) جاء سبحانه باللام نظرا
 إلى معنى السؤال فان قولك من ربه ولو هو في معنى واحد كقولك من رب هذه الدار فيقال
 زيدو يقال لزيد وقرئ الله بغير لام نظرا إلى لفظ السؤال وهذا أوضح من الأولى ولكنه
 يؤيدها أنهم ما كتبوا به في جميع المصاحف باللام بدون الالف (قل أفلا تتقون) عبادة غيره
 أو تحذرون عقابه أو قدرته على المعص فلا تشركوا به وفيه تنبيه على أن انتفاء عذاب الله
 لا يحصل إلا بترك عبادة الأوثان والاعتراف بجواز الإعادة فهذا الختم أبلغ من ختم الآية
 الأولى لاشتماله على الوعيد الشديد ولما ذكر الأرض أولا والسماء ثانيا نعم الحكم ههنا
 فقال (قل من بيده ملكوت كل شيء) الملكوت الملك وزيادة التاء للمبالغة نحو جبروت
 ورجوت ورهوت وقال مجاهد يعني خزائن كل شيء (وهو يجبر) أي أنه يغيب غيره إذا شاء
 ويمنعه (ولا يجار عليه) أي لا يمنع أحدا من عذاب الله ولا يقدر على نصرته وإغاثة
 يتألم أجرت فلانا إذا استغاث بك فخميته وأجرت عليه إذا حيت عنه والمعنى يحمي ولا
 يحمي عليه (ان كنتم تعلمون) فاجيبوا (سيقولون لله) قرئ باللام نظرا إلى معنى السؤال
 كما سلف وقرئ بغير لام نظرا إلى لفظ السؤال (قل فاني تسعون) قال الفراء والزجاج أي
 تصرفون عن الحق وتحذعون والمعنى كيف يخيل إليكم الحق باطلا والصحيح فاسدا
 والحادع لهم هو الشيطان أو الهوى أو كلاكه أنهم بين الله سبحانه أنه قد بالغ في الاحتجاج
 عليهم فقال (بل آتيناهم بالحق) أي بالامر الواضح الذي يحق اتباعه (وانهم يكذبون) فيما
 ينسبونه إلى الله تعالى من الواد والشر يك ثم نفاهم عن نفسه فقال (ما اتخذ الله من ولد)

بعده قال يا قوم ألم بعدكم ربكم وعدا حسنا أي أمارعكم على لسان كل خير في الدنيا والآخرة وحسن العاقبة كما قد شاهدتم من
 نصرته إياكم عني عدوكم وادهاكم عليه وغير ذلك من أيادي الله عنكم أفعال عليكم العهد أي في انتظار ما وعدكم الله ونسيان ما سلف
 من نعمه وما بالعهد من قدم أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم أم هم نابعني بل وهى للاضراب عن الكلام الأول وعدول إلى
 الثاني كأنه يقول بل أردتم بصنيعكم هذا أن يحل عليكم غضب من ربكم فاخلنتم موعدي قالوا أي بنو إسرائيل في جواب ما أنبأهم
 موسى وقرعهم ما أخلفنا موعدا بملكنا أي عن قدرتنا واختيارنا ثم شرعوا يعتذرون بالعدو الباردي يخبرونه عن تورعهم عما كان
 بأيديهم من حلي القبط الذي كانوا قد استعاروه منهم حين خرجوا من مصر فقد فتنناها أي ألقيناها عينا وقد تقدم في حديث الفتنون
 أن هرون عليه السلام هو الذي كان أمرهم بالفناء الحلي في حفرة فيها نار وهي في رواية السدي عن أبي مالك عن ابن عباس إنما أراد

هرون ان يجتمع الخلى كله في تلك الحفيرة ويجعل مجرى واحد حتى اذا رجع موسى عليه السلام رأى فيه ما يشاء ثم جاء ذلك السامري فأتى عليها تلك القبضة التي أخذها من أثر الرسول وسأل من هرون ان يدعو الله ان يستجيب له في دعوة فدعاه هرون وهو لا يعلم ما يريد فأجيب له فقال السامري عند ذلك أسأل الله أن يكون عجلا فكان عجلا له خوارى صوت استدرأجا وأماها لا ومحنة واختبارا وألهذا قال في ذلك التي السامري فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عباد بن الجعفي حدثنا يزيد بن هرون أخبرنا جاد عن سمك عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس ان هرون مر بالسامري وهو ينحت العجل فقال له ما صنعت فقال أصنع ما يضر ولا ينفع فقال هرون اللهم أعطه ما سأل على ما في نفسه ومضى هرون وقال السامري اللهم اني أسألك أن يخور فخار فكان اذا خار سجد والله اذا خار (٢٥٦) رفعوا رؤسهم ثم رواه من وجه آخر عن جاد وقال أعمل ما ينفع ولا يضر

وقال السامري كان يخور وعشى فقالوا أي الضلال منهم الذين افتتنوا بالعجل وعبدوه هذا الهكم والله موسى قسى أى نسبته ههنا وذهب يطلبه كذا تقدم في حديث الفتون عن ابن عباس وبه قال مجاهد وقال سمك عن عكرمة عن ابن عباس قسى أى نسي أن يذكركم ان هذا الهكم وقال محمد بن اسحق عن حكيم بن جبيرة عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس فقالوا هذا الهكم والله موسى قال ففعلوا عليه وأجبه حبالهم بحبوا شيئا قط يعنى مثله يقول الله قسى أى ترك ما كان عليه من الاسلام يعنى السامري قال الله تعالى رد اعليهم ونقرع الههم وبيانا لنقض حجهم ونخافة عقولهم فبما ذهبوا اليه أفلا يرون أن لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضروا ولا نفعا أى العجل أفلا يرون انه لا يجيبهم اذا سألوه ولا اذا خاطبوه ولا يملك لهم ضرا

لانه منزعه عن النوع والجنس وولد الرجل من جنسه (وما كان معه من اله) شريك في الالهية ومن في الموضوعين زائدة لتوكيد النفي ثم بين سبحانه ما يستلزمه ما يدعيه الكفار من اثبات الشريك فقال اذ ذهب كل اله بما خلق وفي الكلام حذف أى لو كان مع الله آلهة أخرى لا نفرد لكل اله بحقيقته واستبدبه وامتاز ملكه عن ملك الآخرو وقع بينهم التطالب والتحارب والتغالب (ولعل بعضهم على بعض) أى ولعل القوي على الضعيف وقهره وأخذ ملكه كعادة المملوك من بني آدم وحينئذ فذلك الضعيف المغلوب لا يستحق أن يكون الها واذا تقرر عدم امكان المشاركة في ذلك وانه لا يقوم به الا واحد تعين أن يكون هذا الواحد هو الله سبحانه وهذا الدليل كمال على نفي الشريك فانه يدل على نفي الولدان الولد يارزع أباه في ملكه ثم نزه سبحانه نفسه فقال (-بحان الله عما يصفون) من الشريك والولد واثبات ذلك لله عز وجل (عالم الغيب والشهادة) أى هو مختص بعلم ما غاب وما شهود وأما غيره سبحانه فهو وان علم الشهادة لا يعلم الغيب وهذا دليل آخر على الوحدة اية بواسطة مقدمة أخرى كانه قيل الله عليهم ما غيره لا يعلم ما غيره ليس باله وهذا من قبيل الشكل الثاني وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف أى هو الله وقرئ بالجر على انه صفة لله عز وجل أو بدل منه وروى عن يعقوب انه كان يخفص اذا وصل ويرفع اذا ابتدأ (فتعاني) الله (عما يشركون) عطف على معنى ما تقدم كانه قال علم الغيب فتعالى أو أقول فتعاني والمعنى انه سبحانه متعال عن ان يكون له شريك في الملك (قل رب اماتني ما يوعدون) أى ان كان ولا بد ان ترى العذاب المستأصل لهم (رب فلا تجعلني في القوم الظالمين) قال الزجاج أى ان أنزلت بهم العقوبة ارب فاجعلني خارجا عنهم يعنى ان الندام معترض وذكر الرب مرتين قبل الشرط وبعده مباغتة في التضرع والابتهال وأمره الله ان يسأله ان لا يجعله في القوم الظالمين مع ان الانبياء لا يكونون معهم أبدا تعليمه صلى الله عليه وسلم من ربه كيف يتواضع ويهضم نفسه أولكون شوم الكفر قد يلحق من لم يكن من أهله

ولا نفعا أى في دنياهم ولا في اخرهم قال ابن عباس رضى الله عنهما ما لا والله ما كان خواره الا ان يدخل الريح ككوله في دبره فيخرج من فمه فيسمع له صوت وقد تقدم في متون الحديث عن الحسن البصري ان هذا العجل اسمه بهموت وحاصل ما اعتذر به هؤلاء الجهلة انهم تورعوا عن زينة القبط فألقوها عنهم وعبدوا العجل فتورعوا عن الحثيرة وفعلا الامر الكبير كما جاء في الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمر انه سأله رجل من اهل العراق عن دم البعوض اذا أصاب الثوب يعنى هل يصلى فيه أم لا فقال ابن عمر رضى الله عنهما انظروا الى اهل العراق قتلوا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى الحسين وهم يسألون عن دم البعوضة (ولقد قال لهم هرون من قبل يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني واطيعوا امرى قالوا ان نبرح عليه عا كذبن حتى يرجع الينا موسى) يخبر تعالى عما كان من نهي هرون عليه السلام لهم عن عبادتهم العجل واخباره اياهم انما هذا فتنه لكم وان ربكم

الرحمن الذي خلق كل شيء فقد رده تقدير اذوالعرش المجيد الفاعل لما يريد فاتبعوني وأطيعوا أمرى اى فيما أمركم به واتركوا ما أنهىكم عنه قالوا ان نبرح عليه ما كفينا حتى يرجع اليه موسى اى لا نترك عبادته حتى نسمع كلام موسى فيه وخالفوا هرون في ذلك وحاربوه وكادوا ان يقتلوه (قال ياهرون مامنعك اذ رأيتهم ضلوا ان لا تتبعن أف عصيت أمرى قال يا ابن أم لا تأخذ بلعيتى ولا برأسى انى خشيت أن تقول فرقت بين بنى اسرائيل ولم ترقب قولى) يخبر تعالى عن موسى عليه السلام حين رجع الى قومه فرأى ما قد حدث فيهم من الامر العظيم فامتلاء عند ذلك غضبا وألقى ما كان في يده من الألواح الآلهية وأخذ برأس أخيه يجره اليه وقد قدمنا في سورة الاعراف بسط ذلك وذكرنا هناك حديث ليس الخبر كالمعاينة وشرع يلوم اخاه هرون فقال مامنعك اذ رأيتهم ضلوا ان لا تتبعن اى فتخبرنى بهذا الامر اول ما وقع أف عصيت أمرى اى فيما (٢٥٧) كنت قدمت اليك وهو قوله اخلقتنى فى قومى

وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين قال يا ابن أم ترقله بذكر الام مع انه شقيقه لاوبه لان ذكر الام ههنا أرق وأبلغ فى الخنوق والعطف ولهذا قال يا ابن أم لا تأخذ بلعيتى ولا برأسى الآية هذا اعتذار من هرون عند موسى فى سبب تأخره عنه حيث لم يلحقه فيخبره بما كان من هذا الخطب الجسيم قال انى خشيت أن أتبعن فأخبرك بهذا فتقول لى لم تتركهم وحدثهم وفرقت بينهم ولم ترقب قولى اى وما رايت ما أمرتك به حيث استخلفتك فيهم قال ابن عباس وكان هرون هائبا مطيعا له (قال فما خطبك يا سامرى قال بصرت بما لم يصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لى نفسى قال فاذهب فان لك فى الحياة أن تقول لا مساسم وان لك موعد ان تخلفه وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا تحرقنه ثم لنسفنه

كقوله واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ثم لما كان المشركون ينكرون العذاب ويستمخرون من النبي صلى الله عليه وسلم اذ اذكر لهم ذلك أ كد سبجانه وقوعه بقوله (وانا على ان نريك ما نهدهم لقادرون) يعنى ان الله سبجانه قادر على ان يرى رسوله عذابهم ولكنه يؤخره لعله بان بعضهم سيؤمن أو لكون الله سبجانه لا يعذبهم والرسول فيهم وقيل قد أراه الله سبجانه ذلك يوم يدري يوم فتح مكة ثم أمره سبجانه بالصبر الى ان ينتضى الاجل المضروب فقال (ادفع بالتي هي أحسن السيئة) اى ادفع بالخصلة التى هى أحسن من غيرها وهى الصفح والاعراض عما يفعله الكفار من الخصلة السيئة وهى الشرك فقبل وهذه الآية منسوخة بآية السيف وقيل هى فى حق هذه الامة فيما بينهم منسوخة فى حق الكفار قال مجاهد اى أعرض عن أذاهم اياك وقال عطاء ادفع بالسلام وعن انس قال هو قول الرجل لآخيه ما ليس فيه فيقول ان كنت كاذبا فانا سأل الله ان يغفر لك وان كنت صادقا فانا سأل الله ان يغفر لى (نحن اعلم بما يصفون) اياك به مما انت على خلافه او بما يصفون من الشرك والاكاذيب وفى هذا وعيد لهم بالعقوبة ثم علمه سبجانه ما يقويه على ما ارشده اليه من العفو والصفح ومقابلة السيئة بالحسنة فقال (وقل رب اعوذ بك) اى أعصم (من همزات الشياطين) جمع همزة وهى فى اللغة الدفعة باليد أو بغيرها يقال همزه ولمزه ونفسه اى دفعه وقيل الهمز كلام من وراء القفا والمزمز المواجهة والمراد بها هنا خطراته التى يخطر بها قلب الانسان ووساوسه وقيل نفخهم ونفثهم والجمع للمرات أولتنوع الوساس أو لتعدد المضاف اليه وفى الآية ارشاد لهذه الامة الى التعوذ من الشيطان ومن همزات الشياطين وهى سورات الغضب التى لا يملك الانسان فيها نفسه (وأعوذ بك رب ان يحضرون) امره الله سبجانه ان يتعوذ بالله من حضور الشياطين بعد ما أمره ان يتعوذ من همزاتهم وعيد كل من العامل والنداء مبالغة ولزيادة اعتناء بهذه الاستعاذة والمعنى وأعوذ بك ان يكونوا معى فى حال من الاحوال فانهم اذا حضروا

(٣٣ - فتح البيان سادس) فى اليم نسفا انما الهكم الذى لا اله الا هو وسع كل شيء علما) يقول موسى عليه السلام للسامرى ما جعلك على ما صنعت وما الذى عرض لك حتى فعلت ما فعلت قال محمد بن اسحق عن حكيم بن جبيرة عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال كان السامرى رجلا من أهل باجر وما كان من قوم يعبدون البقر وكان حب عبادة البقر فى نفسه وكان قد أظهر الاسلام مع بنى اسرائيل وكان اسمه موسى بن ظفر وفى رواية عن ابن عباس انه كان من كرمانيين وقال قتادة كان من قرية اسمها سامرا قال بصرت بما لم يصروا به اى رأيت جبريل حين جاء لهلاك فرعون فقبضت قبضة من أثر الرسول اى من أثر فرسه هذا هو المشهور عند كثير من المفسرين أو أكثرهم وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عمار بن الحرث أخبرنا عبيد الله بن موسى أخبرنا اسرائيل عن السدى عن أبي بن عساة عن علي بن رضى الله عنه قال ان جبريل عليه السلام لما نزل فصعد عيسى عليه السلام الى السماء بصبر به السامرى

من بين الناس فتقبض قبضة من اثر الفرس قال وجل جبريل موسى عليهم السلام خلفه حتى اذا نام من باب السماء معه وكتب الله
 الاواح وهو يسمع صرير الاقلام في الاواح فلما اخبره ان قومه قد قتلوا من بعده قال نزل موسى فاخذ العجل فاخرقه غرب وقال
 مجاهد فقبض قبضة من اثر الرسول قال من تحت حافر فرس جبريل قال والقبضة مل الكف والقبضة باطراف الاصابع قال
 مجاهد بن السامري اى التي ما كان في يده على حلية بنى اسرائيل فانسبك عجل جسد له خوار حفيف الریح فيه فهو خواره وقال
 ابن ابي حاتم حدثنا محمد بن يحيى اخبرنا علي بن المديني حدثنا يزيد بن زريع حدثنا عمارة حدثنا عكرمة ان السامري رأى الرسول
 فألقى في روعه انك ان أخذت من اثر هذا الفرس قبضة فالقيتها في شئ فقلت له كن فكان فتقبض قبضة من اثر الرسول فبيست
 أصابعه على القبضة فلما ذهب موسى للميتات (٢٥٨) وكان بنو اسرائيل قد استعاروا حلي آل فرعون فقال لهم السامري انما

أصابكم من أجل هذا الحلي فأجمعوه
 لجمعوه فأوقدوا عليه فذاب فراه
 السامري فألقى في روعه انك لو
 قدفت هذه القبضة في هذه فقلت
 كن فكان فتدفع القبضة وقال
 كن فكان عجل جسد له خوار فقال
 هذا الهكم واله موسى ولهذا قال
 فنبذتها أى ألقيتها مع من ألقى
 وكذلك سوات لى نفسى اى
 حسنته وأعجبها اذ ذاك قال فذهب
 فان لك فى الحياة ان تقول لامساس
 اى كما أخذت ومست
 ما لم يكن لك أخذه ومسه من أثر
 الرسول فعقبوبك فى الدنيا ان
 تقول لامساس اى لاتماس الناس
 ولا يمسونك وان لك موعدا اى يوم
 القيامة لن تخلفه اى لا يحيد لك
 عنه وقال قتادة ان تقول لامساس
 قال عتوبه لهم وبقاياهم اليوم
 يقولون لامساس وقوله وان لك
 موعدا لن تخلفه قال الحسن وقتادة
 وأبوهمك لن تغيب عنه وقوله

الانسان لم يكن له عمل الا الوسوسة والاعراء على الشر والصرف عن الخير وفي قراءة أبى وقيل
 رب عائد بك وأخرج احمد وأبو داود والترمذى وحسنه والفسائى والبيهقى عن عمرو بن
 شعيب عن أبيه عن جده قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا كلمات نقولهن عند
 النوم من الغزع بسم الله أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ومن
 همزات الشياطين وان يحضرون قال فكان ابن عمر ويعلمها من بلغ من أولاده ان يقولها
 عند نومه ومن كان منهم صغيرا لا يعقل ان يحفظها كتبها له فعلقها في عنقه وفي اسنانه
 محمد بن اسحق وفيه مقال معروف وأخرج احمد عن الوليد بن الوليد انه قال يا رسول الله
 انى أجود وحشة قال اذا أخذت مضجعا فقل أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه
 وشر عباده ومن همزات الشياطين وان يحضرون فانه لا يحضرك وبالحرى لا يحضرك
 (حتى اذا جاء أحدهم الموت) حتى هى الابتداء ثم دخلت على الشرطية وهى مع ذلك غاية
 لما قبلها متعلقة بقوله ليكذبون وقيل يصفون والمراد بجي الموت مجي علاماته أى رأى
 مقعده من النار ومقعده من الجنة لو آمن (قال) أى ذلك الاحد الذى حضره الموت
 تحسر او تحزن على ما فرط منه (رب ارجعون) أى ردنى الى الدنيا وانما قال بصمير الجماعة
 لتعظيم المخاطب وقيل هو على معنى تكثير الفعل أى ارجعنى ارجعنى ارجعنى قاله
 أبو البقاء ومثله قوله تعالى ألقيا في جهنم قال المازنى معناه ألقى ألقى وهكذا قيل فى قول
 امرئ القيس * ففانبك من ذكرى حبيب ومنزل * ومثله قول الحجاج يا حرسى انى رب
 عنقه وقول الآخر الافارجون يا الله محمد * وقيل انهم لما استغاثوا بالله قال قائلهم رب
 نمرجع الى مخاطبة الملائكة فقال ارجعون (على أعمل) عملا (صالحا) فى الدنيا اذا
 رجعت اليها من الايمان وما يتبعه من أعمال الخير أخرج ابن ابي الدنيا وابن ابي حاتم عن
 أنى هريرة قال اذا أدخل الكافر فى قبره فبرى مقعده من النار قال رب ارجعون أتوب
 وأعمل صالحا فيقال له قد عمرت ما كنت معمرا فيضيق عليه قبره فهو كلثموش ينزع

وانظر الى الهلك اى معبودك الذى ظلت عليه عاكفا اى اقت على عبادته يعنى العجل لتحرقنه قال الضحاك
 عن ابن عباس والسدى يحمله بالمباردوا ألقاه على النار وقال قتادة استحبال العجل من الذهب لجوده ما خرقه بالنار ثم ألقى رماده
 فى البحر ولهذا قال ثم لنسفنه فى ايم نسفنا وقال ابن ابي حاتم حدثنا أبى حدثنا عبد الله بن رجاء انبا اسرائيل عن ابى اسحق عن
 عمارة بن عبد الله وأبى عبد الرحمن عن علي بن رضى الله عنه قال ان موسى لما تعجل الى ربه عمدا السامري فجمع ما قدر عليه من حلي
 نساء بنى اسرائيل ثم صور عجلا قال فعمد موسى الى العجل فوضع عليه المبارد فبرده بها وهو على شط نهر فلم يشرب أحد من ذلك
 الماء من كان يعبد العجل الا اصفر وجهه مثل الذهب فقالوا لموسى ما تبتنا قال يقتل بعضكم بعضا وهكذا قال السدى وقد تقدم
 فى تفسير سورة البقرة ثم فى حديث الفتون بسط ذلك وقوله انما الهكم الله الذى لا اله الا هو وسع كل شئ علما يقول لهم موسى عليه

السلام ليس هذا الهكم انما الهكم الله الذي لا اله الا هو لا يستحق ذلك على العباد الا هو ولا تنبغي العبادة الا له فان كل شيء فقير اليه عدله وقوله وسع كل شيء علما صب على التيزاي هو عالم بكل شيء أحاط بكل شيء علما وأحصى كل شيء عددا فلا يعزب عنه مثقال ذرة وما تسقط من ورقه الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستورها ومستودعها كل في كتاب مبين والآيات في هذا كثيرة جدا (كذلك نقص عليكم من انباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا من اعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزرا خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة جلا) يقول تعالى انبيي محمد صلى الله عليه وسلم كما قصصنا عليك خبر موسى وما جرى له مع فرعون وجنوده على الجلية والامر الواقع كذلك نقص عليك الاخبار الماضية كما وقعت من غير زيادة ولا نقص هذا وقد آتيناك (٢٥٩) من لدناي من عندنا ذكرا وهو القرآن العظيم الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد الذي لم يعط نبى من الانبياء منه شبهة واثبتوا الى ان ختموا بمحمد صلى الله عليه وسلم كتابا مثله ولا اكمل منه ولا أجمع لخبر ما سبق وخبر ما هو كائن وحكم الفصل بين الناس منه ولهذا قال تعالى من

اعرض عنه اي كذب به واعرض عن اتباعه امر او طلبا وابتغى الهدى من غيره فان الله يضله ويهديه الى سواء السبيل ولهذا قال من اعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزرا اي انما كما قال تعالى ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده وهذا عام في كل من بلغه القرآن من العرب والعجم اهل الكتاب وغيرهم كما قال لا نذكركم به ومن بلغ فكل من بلغه القرآن فهو نذير له وداع فمن اتبعه هدى ومن خالقه وأعرض عنه ضل وشقي في الدنيا والنار موعده يوم القيامة ولهذا قال من اعرض عنه فانه يحمل يوم

ويفرغ تهوى اليه حيات الارض وعنا ربها وعن ابن جرير قال زعموا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعائشة ان المؤمن اذا عاين الملائكة قالوا ان رجعا الى الدنيا فيقول الى دار اللهم وم والاحزان بل قدما الى الله وأما الكافر فيقولون له ان رجعا فيقول رب ارجعون اعلى اعلى صالحا وهو مرسل وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حضر الانسان الوفاة يجمع له كل شيء ينفعه عن الحق فيجعل بين عينيه فعند ذلك يقول رب ارجعون الآية وعن ابن عباس في قوله اعمل صالحا قال أقول لا اله الا الله (فيما تركت) أى في الموضع الذي ضيعت أو منعت وقيل خلعت من التركة وهو الدنيا لانه ترك الدنيا وصار الى العقبى قال قتادة ماتني ان يرجع الى أهله وعشيرته ولا يجمع الدنيا ويقضى الشهوات ولكن تخي ان يرجع فيعمل بطاعة الله فرحم الله امرأ اعمل فيم تنم الكافر اذا رأى العذاب ولما تخي ان يرجع ليعمل رد الله عليه ذلك بقوله (كلا انها كلمة هو قائلها) فجاء بكلمة الردع والزجر والضمير في انها يرجع الى قوله رب ارجعون أى ان هذه الكلمة هو قائلها المحالة لا يحلها ولا يستكت عنها الاستيلاء الحسرة والندم عليه وليس الامر كما يظنه من انه يجاب الى الرجوع الى الدنيا أو المعنى انه لو أجيب الى ذلك لما حصل منه الوفاء كافي قوله ولوردوا العاد والماتن وعنه وقيل ان الضمير في هو يرجع الى الله أى لا خلف في خبره وقد أخبرنا انه لا يؤخر نفسا اذا جاء أجلها (ومن ورائهم) أى من أمامهم وبين أيديهم والضمير للاحد والجمع باعتبار المعنى لانه في حكم كلهم كما ان الافراد في الضمير الاول باعتبار اللفظ (برزخ) هو الحاجز بين الشيئين قاله الجوهري واختلف في معنى الآية فقال الضحاك ومجاهد وابن زيد حاجز بين الموت والبعث وقال الكلبي هو الاجل بين النفتختين وبينهم ما أربعون سنة وقال السدي هو الاجل وقيل بينهم وبين الرجوع الى الدنيا (الى يوم يبعثون) اي يوم القيامة وهو اقناط كل من الرجوع الى الدنيا ما علم انه لاربعة يوم البعث الى الدنيا وانما الرجوع فيه الى حياة تكون في الآخرة عن عائشة

القيامة وزرا خالدين فيه أى لا يحيد لهم عنه ولا انفسكاك وساء لهم يوم القيامة جلا أى بسس الحجل حلقهم يوم ينفخ في الصور وتحشر المجرمين يومئذ ذررا يتخافتون بينهم ان لبئس الاعشار نحن أعلم بما يقولون اذ يقول أمثلهم طريقته ان لبئس الايومان ثبت في الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الصور فقال قرن ينفخ فيه وقد جاء في حديث الصور من رواية أبي هريرة انه قرن عظيم الدائرة منه بقدر السموات والارض ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام وجاء في الحديث كيف أنعم وصاحب القرن قد اتقم القرن وحى جهته وانتظر ان يؤذن له فقالوا يا رسول الله كيف نقول قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على انه لو كنا وقوله وتحشر المجرمين يومئذ ذررا قبل معناه زرق العيون من شدة ما هم فيه من الاحوال يتخافتون بينهم قال ابن عباس يتسارون بينهم أى يقول بعضهم لبعض ان لبئس الاعشار أى في الدار الدنيا لقد كان لبشكم فيها قيل عسرة أيام أو نحوها قال الله

تعالى نحن أعلم بما يقولون أي في حال تناجيهم بينهم اذ يقول أمثلهم طريقة أي العاقل الكامل فيهم ان لبثتم الايام اي لقصر مدة الدنيا في أنفسهم يوم المعاد لان الدنيا كلها وان تكررت أوقاتنا ونعاقبت ليالها وايامها وساعاتها كأنها يوم واحد ولهذا يستقصر الكافرون مدة الحياة الدنيا يوم القيامة وكان غرضهم في ذلك رد قيام الحجة عليهم لقصر المدة ولهذا قال تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة الى قوله ولكنكم كنتم لا تعلمون وقال تعالى أولم نعمركم ما يذكركم فيه من تذكرة وجاءكم النذير الآية وقال تعالى كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا البنا يوماً وبعض يوم فاسأل العادين قال ان لبثتم الا قليلاً وانكم كنتم تعلمون أي انما كان لبثكم فيها قليلاً لو كنتم تعلمون لا تترتم الباقي على الثاني ولكن تصرفتم فأسأتم التصريف قدمتم الحاضر القاني على الدائم الباقي (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً) (٢٦٠) فيذرها قاعاً صافها لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً يمشون الداعي

لا عوج له وخشعت الاصوات للرجن فلا تسمع الا همساً) يقول تعالى ويسألونك عن الجبال أي هل تبقى يوم القيامة أو تزول فقل ينسفها ربي نسفاً أي يذهبها عن أماكنها ويعتقها ويسيرها تسيراً فيذرها أي الارض قاعاً صافها أي بسطاً واحداً والتعاق هو المستوى من الارض والصفوف تأكيدها على ذلك وقيل الذي لا نبات فيه والاول أولى وان كان الآخر مراداً أيضاً باللازم ولهذا قال لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً أي لا ترى في الارض يومئذ وادياً ولا رية ولا مكاناً متخففاً ولا مرتفعاً كذا قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن البصري والضحاك وقتادة وغير واحد من السلف يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له أي يوم يرون هذه الاحوال والاهوال يستجيبن مسارعين الى الداعي حيث ما مروا بادروا اليه ولو كان هذا في الدنيا لكان

قالت ويل لاهل المعاصي من أهل القبور تدخل عليهم في قبورهم حيات سود حية عند رأسه وحية عند رجليه تقرضانه حتى تلتقي في وسطه فذلك العذاب في البرزخ الذي قال الله ومن وراءهم برزخ الى يوم يبعثون (فاذا نفخ في الصور) قيل هذه هي النفخة الاولى قاله ابن عباس وقيل الثانية قاله ابن مسعود وهذا أولى وهي النفخة التي بين البعث والنشور وقيل المعنى فاذا نفخ في الاجساد وأرجحها على ان الصور جمع صورة لا القرن وقد قرئ بها وبضم الصاد وسكون الواو والقرن الذي ينفخ فيه (فلا انساب بينهم يومئذ) يتفاخرون بها أو تنفعهم لزوال التراحم والتعاطف أي لا يذكرون من الماشاءم فيه من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة وهو جمع نسب وهو القرابة (ولا يتساءلون) أي لا يسأل بعضهم بعضاً عنها فان لهم اذنا لا شعلاً شاغلاً ومنه قوله يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه وقوله ولا يسأل جيم جيماً ولا ينافي هذا ما في الآية الاخرى من قوله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون فان ذلك محمول على اختلاف المواقف يوم القيامة فالانبياء باعتبار بعضها والنبي باعتبار بعض آخر كما قررناه في نظائر هذا مما أثبت تارة وتفي أخرى وعن ابن عباس في الآية قال حين ينفخ في الصور فلا يبقى حي الا الله وعنه انه سئل عن هذه الآية وقوله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال انهم اواقف فاما الموقف الذي لا انساب بينهم ولا يتساءلون فعند الصعقة الاولى لا انساب بينهم فيها اذا صعقوا فاذا كانت النفخة الاخرى فاذا هم قيام يتساءلون وعنه انه سئل عن الايتين فقال هذا في النفخة الاولى حين لا يبقى على الارض شيء وذلك لما دخلوا الجنة أقبل بعضهم على بعض يتساءلون وعن ابن مسعود قال اذا كان يوم القيامة جمع الله الاولين والآخرين وفي النظر يؤخذ بيد العبد والامة يوم القيامة على رؤس الاولين والآخرين ثم ينادى مناداً الا ان هذا فلان بن فلان فمن كان له حق قبله فليأت الى حقه وأخرج أحمد والطبراني والحاكم والبيهقي في سننه عن المسور بن مخرمة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الانساب تنقطع يوم القيامة غير

أنفع لهم ولكن حيث لا ينفعهم كما قال تعالى أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا وقال مهطعين الى الداع وقال محمد بن نسي كعب القرظي يحشر الله الناس يوم القيامة في ظلمة ويطوى السماء وتتناثر النجوم وتذهب الشمس والقمر وينادي مناد فيتبع الناس الصوت يؤمنونه فذلك قوله يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وقال قتادة لا عوج له لا يلبثون عنه وقال أبو صالح لا عوج له لا عوج عنه وقوله وخشعت الاصوات للرجن قال ابن عباس سكنت وكذا قال السدي فلا تسمع الا همساً قال سعيد بن جبيرة عن ابن عباس يعني وطء الاقدام وكذا قال عكرمة ومجاهد والضحاك والربيع بن أنس وقتادة وابن زيد وغيرهم وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فلا تسمع الا همساً الصوت الخفي وهو رواية عن عكرمة والضحاك وقال سعيد بن جبيرة فلا تسمع الا همساً الحديث وسره ووطء الاقدام فتدفع سعيد كلا القولين وهو محتمل اما وطاء الاقدام فالمراد سعي الناس الى الخشر وهو مشيهم في

سكون وخضوع وأما الكلام الخفي فقد يكون في حال دون حال فقد قال تعالى يوم يأت لاتكلم نفس الاباذنه فمن شق وسعيد (يومئذ لاتنفع الشفاعة الا لمن أذن له الرحمن ورضى له قولا يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من جل ظلماء ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما) يقول تعالى يومئذ أي يوم القيامة لاتنفع الشفاعة أي عنده الا لمن أذن له الرحمن ورضى له قولا كتوله من ذا الذي يشفع عنده الاباذنه وقوله وكلم من ملك في السموات لاتغنى شفاعتهم شيئا الا لمن بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى وقال ولا يشفعون الا لمن ارضى وهم من خشيتهم مشفقون وقال ولا تنفع الشفاعة عند الا لمن أذن له وقال يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا لمن أذن له الرحمن وقال صوابا وفي الصحيحين من غير وجه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سيد ولد آدم واكرم (٢٦١) الخلائق على الله عز وجل انه قال آتني

تحت العرش وآخرته ساجدا ويفتح علي بمجامد لا احصياها الآن فبعد عنى ماشاء الله ان يدعنى ثم يقول يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع واشفع تشفع قال فيجدلى حدا فادخلهم الجنة ثم اعود فذ كر اربع مرات صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الانبياء وفي الحديث ايضا يقول تعالى اخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال من ايمان فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقول اخرجوا من النار من كان في قلبه نصف مثقال من ايمان اخرجوا من النار من كان في قلبه ما وزن ذرة من النار من كان في قلبه ادنى ادنى مثقال ذرة من ايمان الحديث وقوله يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم اى يحيط علما بالخلائق كلهم ولا يحيطون به علما كتوله ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وقوله وعنت الوجوه للحي القيوم قال ابن عباس وغير واحد خضعت وذلت واستسلمت الخلائق لجبارها الحى الذى لا يموت

نسبي وسببي وصهرى وأخرج البزار والطبرانى وأبو نعيم والحاكم والضياء في المختارة عن عمر بن الخطاب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة الاسبى ونسبى وأخرج ابن عساكر عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل نسب وصهر ينقطع يوم القيامة الاسبى وصهرى وأخرج أحمد عن أبي سعيد الخدرى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول على المنبر ما بال رجال يقولون ان رحم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لاتنفع قومهم بلى والله ان رحى موصولة في الدنيا والآخرة وانى أيها الناس فرط لكم (فن ثقلت موازينه) أي موازينه من اعماله الصالحة فلموازين جمع موازن ويجوز كونه جمع ميزان ومع وحده جمعه لتعدد الموازن (فاولئك هم المفلحون) أي الفائزون بمطالبهم المحمودة الناجون من الامور التى يخافونها (ومن خفت موازينه) وهى اعماله الصالحة (فاولئك الذين خسروا أنفسهم) أي ضيعوها وتر كواميا تنفعها (في جهنم خالدون) قد تقدم الكلام على هذه الآية مستوفى فلانعيده (تلفح وجوههم النار) أي تحرقها مستأنفة أو طالمة أو خبرلا وائلك والالنج أشد النفع لانه الاصابة بشدة واللفح الاصابة بقلل كما في قوله تعالى ولئن مستهم نفعة من عذاب ربك وقيل اللفح الاحراق يقال للنفعة النار اذا أحرقتة والنفعة بالسيف اذا ضربت به وخص الوجه لانها أشرف الاعضاء وقيل تسفيع قال ابن عباس تلفح تسفيع أخرج ابن مردويه والضياء عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الآية تلفعهم لفععة فتسيل لحومهم على اعقابهم وعن أبي مسعود قال لفععهم لفععة فابقت لحما على عظم الا لقتة على اعقابهم (وهم فيها كالحون) حالية والكالخ الذى قد شمئت شفتهاء وبدت اسنانه قاله الزجاج ودهر كالج أى شديد قال أهل اللغة الكلوح تكشر في عبوس وبابه خضع ومنه كلوح الاسد أى تكشيره عن أنيابه وقيل الكلوح تنقب الوجوه وكالج الرجل يكالج كلوحا وكلاحا وعن ابن مسعود قال كلوح الرأس النضج

القيوم الذى لا ينام وهو قيم على كل شيء يديره ويحفظه فهو الكامل في نفسه الذى كل شيء فقير اليه لا قوام له الا به وقوله وقد خاب من جل ظلماء أي يوم القيامة فان الله سيؤدى كل حق الى صاحبه حتى يقتص للشاة الجاه من الشاة القرناء وفي الحديث يقول الله عز وجل وعزنى وجلالى لا يجاوزنى اليوم ظلم ظالم فى الصحيح اياكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة والخيسة كل الخيسة من لقي الله وهو به مشرك فان الله تعالى يقول ان الشرك لظلم عظيم وقوله ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما لما ذكر الظالمين وعيدهم ثنى بالمتقين وحكمهم وهو أنهم لا يظلمون ولا يظلمون أى لا يراى في سياهم ولا ينقص من حسناتهم قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك والحسن وقتادة وغير واحد فانظلم الزيادة بان يحمل عليه ذنب غيره والهضم النقص (وكذلك انزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكر افتعال الله الملك الحق ولا تجمل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه وقل

رب زدني علماً) يقول تعالى ولما كان يوم المعاد والجزاء بالخير والشر واقفالا محالة انزلنا القرآن بشيرا ونذيرا بلسان عربي مبين فصيح لا لبس فيه ولا غي وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أي يتركون المآثم والمحارم والنواحش أو يحدث لهم ذكرا وهو إيجاد الطاعة وفعل القربات فتعالى الله الملك الحق أي تنزهه وتقدس الملك الحق الذي هو حق ووعدته حق ووعدته حق ورسوله حق والجنة حق والنار حق وكل شيء منته حق وعدل تعالى ان يعذب احدا قبل الانذار وبعثة الرسل والانذار الى خلقه لا يبق لاحد حجة ولا شبهة وقوله ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يفيض اليك وحيه كقوله تعالى في سورة لا أقسم بيوم القيامة لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه وثبت في الصحيح عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعالج من الوحي شدة فكان مما يحرك (٢١٢) به لسانه فانزل الله هذه الآية يعني انه عليه السلام كان اذا جاءه جبريل بالوحي كلما

قال جبريل آية قالها معه من شدة حرصه على تحفظ القرآن فأرشد الله تعالى الى ما هو الاسهل والاخف في حقه لتلاشيق عليه فتال لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه أي ان نجمعه في صدرك ثم تقرأه على الناس من غير ان تنسى منه شيئا فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه وقال في هذه الآية ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يفيض اليك وحيه أي بل انصت فاذا فرغ الملك من قراءته عليك فاقرأه بعده وقل رب زدني علما أي زدني منك علما قال ابن عيينة رحمه الله ولم يزل صلى الله عليه وسلم في زيادة حتى توفاه الله عز وجل واهذا جاء في الحديث ان الله تابع الوحي على رسوله حتى كان الوحي أكثر ما كان يوم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن ماجه حدثنا ابو بكر بن أبي

بنت اسنانهم وتصلت شفاههم وعن ابن عباس قال كالحون أي عباسون وعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الآية قال تشويه النار فتتقلص شفاهه العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسخر شفاه السفلى حتى تضرب سرة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب وقد ورد في صفة أهل النار وما يقولونه وما يقال لهم أحاديث كثيرة معروفة (ألم تكن آياتي تأتيهم على كل حال في الدنيا يعني قوارع القرآن وزواجره تخوفونهم او يقال لهم ذلك توقوا بها وتقر بها) فكنتهم بها تكذبون وترعون انهم ليست من الله تعالى (فالواربنا غلبت علينا شقوتنا) مستأنفة والمعنى غلبت علينا الذنوب وشهواتنا فسمى ذلك شقوة لانه يؤهل الى الشقاء وقرئ شقاوتنا وبها قرأ ابن مسعود والحسن وهما مصدران بمعنى سوء العاقبة والشفاء ضد السعادة والشدة والعسر (وكذا قوم اضلين) بسبب ذلك عن الهدى فانهم ضلوا عن الحق والصواب بتلك الشقوة ثم طلبوا اما لا يجابون اليه فقالوا (ربنا أخرجننا منها) أي من النار (فان عدنا) الى ما كنا عليه من الكفر والتكذيب وعدم الايمان (فانا ظالمون) لانفسنا بالعود الى ذلك (قال) تعالى لهم بلسان مالك بعد قدر الدنيا مرتين قيل هو سبعة آلاف سنة بعدد الكواكب السيارة وقيل اثنا عشرة ألف سنة بعدد البروج وقيل ثلثمائة ألف سنة وستون بعدد ايام السنة وذكره القرطبي في التذكرة والتحقيق فيه ما ذكرناه في لقطه العجلان (احسوا فيها) أي اسكنوا في جهنم سكوت هوان قال المبرد الحسن ابعاد بكرة قال الزجاج تباعدوا واتباعدوا وخبثوا وابتعدوا وابتعدوا وابتعدوا وابتعدوا في جهنم كما يتسأل للكلب اخسأ أي ابعده وخبثات الكلب طردته (ولا تسكتمون) في اخر اجكم من النار وجوعكم الى الدنيا او في رفع العذاب عنكم وقيل المعنى لا تسكتمون رأسا قال الحسن هو آخر كلام يتكلم به أهل النار وما بعد ذلك الا الزفير والشهيق وعواء الكلاب ثم علل ذلك بقوله (انه) تعليل لما قبلها من الزجر عن دعائهم بالخروج منها (كان فریق من عبادی) وهم المؤمنون وقيل

شبهة حدثنا عبد الله بن عمر عن موسى بن عبيدة عن محمد بن ثابت عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني وزدني علما والحمد لله على كل حال وأخرجه الترمذي عن أبي كريب عن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن أبي عاصم عن موسى بن عبيدة به وزاد في آخره وأعوذ بالله من حال أهل النار (ولقد عهدنا الى آدم من قبل فليس ولم نجعله عزا واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابي فقلنا يا آدم ان هذا عدوك ولز وجك فلا يخرجك من الجنة فتشقى ان لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تطعم فيها ولا تجمد فيها فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملاك لا يلي فأكل منها فابتدأ لهم ما سواهما وطفا فاختصفا ان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتبا به قناب عليه وهدي) قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان

حدثنا سباط بن محمد حدثنا الاعمش عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال انما سمي الانسان لانه عهد اليه فندى وكذا رواه علي بن ابي طلحة عنه وقال مجاهد والحسن ترك وقوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم يدرك تعالي تشريف آدم وتكريمه وما فضله به على كثير من خلق تفضيلا وقد تقدم الكلام على هذه القصة في سورة البقرة وفي الاعراف وفي الحجر والكهف وسياقي في آخر سورة ص يدرك تعالي فيها خلق آدم وامره الملائكة بالسجود له تشريفا وتكريعا وبين عداوة ابليس ابني آدم ولا يهيم قديما ولهذا قال تعالي فسجدوا الا ابليس ابي ابي امتنع واستكبر فقلنا يا آدم ان هذا عدوك ولزوجهك يعني حواء عليها السلام فلا يخرج جنك من الجنة فتشقي اى اياك ان تسعي في ارجلك منها فتمتع وتغنى وتشقي في طلب رزقك فانك ههنا في عيش رغيد ههنا في بلا كسفة ولا مشقة ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى انما قرن بين الجوع والعري لان الجوع (٢٦٣) ذل الباطن والعري ذل الظاهر وانك لا تنظمها فيها ولا تضحي وهذان ايضا

متقابلان فالظما حر الباطن وهو العطش والضحي حر الظاهر وقوله فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد وملاك لا يبلى قد تقدم انه ذلها ما بغرور وقامه ما اني لك لمن الناصحين وقد تقدم ان الله تعالى عهد الى آدم وزوجه ان يأكل من كل الثمار ولا يقربا هذه الشجرة المعينة في الجنة فلم يزل بهما ابليس حتى اكلا منها وكانت شجرة الخلد يعني التي من اكل منها خلد ودام مكثه وقد جاء في الحديث ذك شجرة الخلد فقال ابو داود والطحاوي حدثنا شعبة عن ابي الضحالك سمعت ابا هريرة يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها وهي شجرة الخلد ورواه الامام احمد وقوله فأكل منها فابتدأ لهم ما سواها قال ابن ابي حاتم حدثنا علي بن الحسين بن

الصحابه المهاجرون ومنهم بلال وسهيب وعمار وخباب (يقولون ربنا آما نافع غفر لنا وارحنا وانت خير الراحمين) ومخط التعليل قوله (فالتخذتموهم سخريا) بكسر السين وبضمة سبعينان وفتح بينهما أبو عمرو فجعل الكسر من جهة الهمزة والضم من جهة الضمة قال النحاس ولا يعرف هذا الفرق الخليل ولا سيديويه ولا الكسائي ولا انشأ وحكى عن الكسائي ان الكسر بمعنى الاستهزاء والسخرية بالقول والضم بمعنى التسخير والاستبعاد بالفعل (حتى أنسوكم ذكري) أى اتخذتموه سخرى أى الى هذه الغاية فانهم نسوا ذكر الله لشدة اشتغالهم بالاستهزاء (وكنتم منهم تضحكون) في الدنيا والمعنى حتى نسيت ذكرى بأشغالكم بالسخرية والضحك فنسب ذلك الى عبادة المؤمنين لكونهم السبب (انى جزيتهم اليوم بما صبروا) مستأنفة لتزير ما سبق لبيان حسن حالهم والباء للسببية (انهم هم الفسائرون) بفتح الهمزة منه قول ثان لجزيتهم وقرئ بكسرهما على الاستثناء والمعنى جزيتهم بصبرهم الفوز بالجنة قال الله عز وجل تذكير لهم بان ما ظنوه طويلا دائما فهو قليل بالاضافة الى ما تذكره وقرئ قل على صيغة الامر والمعنى قل يا محمد لك كذا أو يكون أمر الملك بسوء لهم أو التقدير قولوا فأخرج الكلام مخرج الامر للواحد والمراد الجماعة (كم لبثتم في الارض) التي دلتهم الرجوع اليها والغرض من هذا السؤال التبكيت والتوبيخ لانهم كانوا ينكرون اللبث في الآخرة اصلا ويحتمل أن يكون السؤال عن جميع ما لبثوا في الحياة الدنيا وفي القبور وقيل هو سؤال عن مدة لبثهم في القبور لقوله في الارض ولم يقل على الارض ورد بمثل قوله تعالى ولا تفسدوا في الارض (عدد سنين) أى لبثتم كم عددا من السنين بفتح النون على انها نون الجمع ومن العرب من يخفضها ويؤننها (قالوا البشايوما أو بعض يوم) استنصر وامتد لبثهم وشكوا في ذلك لعظم ما هم فيه من العذاب الشديد وقيل ان العذاب رفع عنهم بين النفختين فنسوا ما كانوا فيه من العذاب في قبورهم وقيل انساهاهم الله ما كانوا فيه من العذاب من النفخة الاولى الى النفخة الثانية ثم لما عرفوا

اشكابا حدثنا علي بن عاصم عن سعيد بن ابي عروبة عن قتادة عن الحسن عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم رجلا طولا كثيرا شعر الرأس كأنه نخلة يحرق فلما ذاق الشجرة سقط عنه لباسه فأول ما بدا منه عورته فلما نظر الى عورته جعل يشتد في الجنة فأخذت شعره شجرة فنازعها فناداه الرحمن يا آدم متى تشرف فلما سمع كلام الرحمن قال رب لا ولكن استحياء أرأيت ان تبت ورجعت أعائدى الى الجنة قال نعم فذلك قوله فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه وهذا من جنته بين الحسن وأبي بن كعب فلم يسمعه منه وفي رقبته نظرا أيضا وقوله وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة قال مجاهد ديرقعان كهيشة الثوب وكذا قال قتادة والسدي وقال ابن ابي حاتم حدثنا جعفر بن عون حدثنا سفيان عن ابن ابي ليلى عن المنال عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة قال ينزعان ورق التين فيجعلانه على سواتهما وقوله وعصى آدم ربه فغوى ثم

اجتباهم به فتأب عليه وهدي قال البخاري حدثنا قتيبة حدثنا أيوب بن النجار عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال حاج موسى آدم فقال له أنت الذي أخرجت الناس من الجنة بذنبك وأشقيتهم قال آدم يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه أتولمني على أمر كتبه الله على قلب أن يخلفني أو قدره الله على قبل أن يخلفني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج آدم موسى وهذا الحديث له طرق في الصحيحين وغيرهما من المسانيد وقال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني أنس بن عياض عن الحرث بن أبي ذئب عن يزيد بن هرم عن قال سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتج آدم وموسى عند ربهم ما فجع آدم موسى قال موسى أنت الذي خلقك الله بيده ونفخ فيه من روحك واسجد لك ملائكته (٢٦٤) واسكنك في الجنة ثم أهبطت الناس إلى الأرض بخطيئتك قال آدم

أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء وقربك نجيا فبكمت وجسدت الله كتب التوراة قال موسى باربعين عاما قال آدم فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى قال نعم قال أتسلومني على أن علمت عملا كتب الله على أن عمله قبل أن يخلفني باربعين سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فجع آدم موسى قال الحرث بن أبي عبد الرحمن بن هرم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم (قال أهبطا منها جعجا بعضكم لبعض عدو فاما يا بنيتمكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فتدبرتها وكذلك اليوم تنسى) يقول تعالى لا آدم وحواء ابليس

ما أصابهم من النسيان أشده ما هم فيه من الهول العظيم أحوالوا على غيرهم فقالوا (فاسئل العادين) جمع عاد من العدد أي المتكئين من معرفة العدد وهم الملائكة لانهم الحفظة العارفون بأعمال العباد وأعمارهم وقيل المعنى فاسئل الحاسبين العارفين بالحساب من الناس (قال ابن المنذر الا قليلا) قرئ على الخبر وقرئ قل كافي الآية الأولى وقد تقدم توجيه القراءة بين أي ما لبثتم في الأرض الا زمنا قليلا أو لبثا قليلا قال تعالى ذلك بلسان مالك تصديقاهم وتقريعا وتوبينا (لوانكم كنتم تعلمون) شيأ من العلم والجواب محدوف أي لعلمكم اليوم قلبه لبثتم في الأرض أوفى القبور وفيهم ما فكل ذلك قليل بالنسبة إلى لبثهم في النار ثم زاد في توبيتهم على عما هم في الغفلة وتركهم النظر الصحيح فيما يدل على حتمية البعث والقيامة فقال (أخسبتم انما خلقناكم سمعنا) لا الحكمة والهمزة للتوبيخ والتقرير والثناء للعطف على مقدرا أي ألم تعلموا شيأ أخسبتم أو أغفلتم ولا هيتم وتعاميتم فحسبتم والمعنى عابثين أو لاجل العيب قال بالاول سيبويه وقطرب وبالثاني أبو عبيدة والعيب في اللغة اللعب وما لا فائدة فيه يقال عبت عينا فهو عابث أي لاعب وأصله من قولهم عبت الاقط أي خلطته والمعنى أخسبتم انما خلقناكم للاهمال كما خلقت البهائم ولا ثواب ولا عقاب (وانكم انيالاترجعون) بالبعث والنشور فنجاز بكم بأعمالكم قرئ ترجعون مبنيا للنساء وللنفعول وقدم الينا على الفعل لاجل النواصل ثم نزه سبحانه نفسه فقال (فقال الله) أي تنزه عن الاولاد والشركاء أو عن ان يخلق شيأ عبثا أو عن جميع ذلك وهو (الملائكة) الذي يحق له الملك على الاطلاق ايجادا واعدا مابدا واعادة واحياء واماتة وعقابا وابانة وكل ما سواه مملوك له بالذات مقهور للملكوته مالك بالعرض من وجهه دون وجهه وفي حل دون حال (الحق) في جميع أفعاله وأقواله وهذا اسم تعظيم له تعالى ولشؤنه (لا اله الا هو رب العرش الكريم) فكيف لا يكون الهاور بالماهور دون العرش الكريم وما تحتته من المخلوقات وما أحاط به من الموجودات كأنما كان ووصف

العرش

كلكم وقد بسطنا ذلك في سورة البقرة بعضكم لبعض

عدو قال آدم وذريته وابليس وذريته وقوله فاما يا بنيتمكم مني هدى قال أبو العالية الانبياء والرسل والبيان فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى قال ابن عباس لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ومن أعرض عن ذكرى أي خالف أمرى وما أنزلته على رسولى أعرض عنه وتناساه وأخذ من غيره هداة فان له معيشة ضنكا أي ضنكا في الدنيا فلا طمأينة له ولا انشراح لصدره بل صدره ضيق حرج اضلاله وان نعم ظاهره ولبس ماشاؤه كل ماشاؤه وسكن حيث شاء فان قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى فهو في قلق وحيرة وشك فلا يزال في ريبه يتردد فهذا من ضنك المعيشة قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فان له معيشة ضنكا قال الشفاء وقال العوفي عن ابن عباس فان له معيشة ضنكا قال كلما أعطيته عبدا من عبادى قل أو أكثر فلا يتقنى فيه فلا خير فيه وهو

الضنك في المعيشة وقال أيضا ان قوما ضللا كانوا عرضوا عن الحق وكانوا في سعة من الدنيا متكبرين فكانت معيشتهم ضنكا وذلك انهم كانوا يرون ان الله ليس محلفا لهم معايشهم من سوء ظنهم بالله والتكذيب فاذا كان العبد يكذب بالله وبسبى الظن به والثقة به اشتدت عليه معيشته فذلك الضنك وقال الضحالك هو العمل السيئ والرزق الخبيث وكذا قال عكرمة ومالك بن دينار وقال سفيان بن عيينة عن أبي حازم عن أبي سلمة عن أبي سعيد في قوله معيشة ضنكا قال يضيق عليه قبره حتى تختلف اضلاعه فيه قال أبو حاتم الرازي البعير بن أبي عباس يكنى أبا سلمة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان أن أبا الوليد أن أبا عبد الله بن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول الله عز وجل فان له معيشة ضنكا قال ضمة القبره والموقوف أصبح وقال ابن أبي حاتم أيضا حدثنا الربيع بن سليمان (٢٦٥) حدثنا سعد بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا

دراج أبو السمع عن أبي حنيفة عن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المؤمن في قبره في روضة خضراء وينسج له في قبره سبعون ذراعا وبنور له قبره كالقمر ليلة البدر أتدرون فيما أنزلت هذه الآية فان له معيشة ضنكا أتدرون ما المعيشة الضنك قالوا الله ورسوله أعلم قال عذاب الكافر في قبره والذي نفسي بيده انه ليسلط عليه تسعة وتسعون تنينا أتدرون ما التين تسعة وتسعون حبة لكل حبة سبعة رؤس يسبحون في جسمه ويسعون ويخششونه الى يوم يبعثون رفعه من كبر جدا وقال البرار حدثنا محمد بن يحيى الأزدي حدثنا محمد بن عمرو حدثنا هشام ابن سعد عن سعيد بن أبي هلال عن أبي حنيفة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله عز وجل فان له معيشة ضنكا قال المعيشة الضنك الذي قال الله انه يسلط عليه تسعة وتسعون حبة

العرش بالكريم لنزول القرآن أو الرحمة أو الخير منه أو باعتبار من استوى عليه كما يقال بيت كريم اذا كان ساكنوه كراما أو نسبته الى أكرم الأكرمين من حيث انه أعظم مخلوقاته وقرئ الكريم بالرفع على انه نعت لرب أخرج الحكيم الترمذي وأبو يعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن السني في عمل اليوم والليلة وابن مردويه وأبو نعيم في الخلية عن ابن مسعود انه قرأ في اذن مصاب أخسبتم حتى ختم السورة فبرئ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما إذا قرأت في اذنه فاخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والذي نفسي بيده لو ان رجلا موقنا قرأ بها على جبل زال وأخرج ابن السني وابن منده وأبو نعيم قال السيوطي بسند حسن عن ابراهيم التيمي قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سرية وأمرنا ان نقول اذا أمسينا وأصبحنا أخسبتم الخ فقرأناها فغفنا وسلمنا ثم زيف ما عليه أهل الشرك توخاها لهم وتقرى بها فقال (ومن يدع مع الله الها آخر) بعده مع الله أو بعده وحده (لأبرهان له به) صفة كاشفة لقوله اله الا منهوم لها وهي صفة لازمة جى به التنا كيد كقوله يطير بجناحيه والبرهان الحجة الواضحة والدليل الواضح وجواب الشرط قوله (فانما حسابه عند ربه) أى فهو محجازه بقدر ما يستحقه وجلة لأبرهان له به معترض بين الشرط والجزاء وقيل ان جواب الشرط قوله لأبرهان له به (انه) قرئ بالكسر على الاستئناف المقيد للعلل وبالفتح على التعليل (لا يفلح الكافرون) قرئ من أفلح وقرئ بفتح الباء مضارع فليح معنى أفلح فيه مرعاة معنى من وفيه الاظهار في مقام الاضمار للنداء عليهم بهذا الوصف التبيح جعل فاتحة السورة قد أفلح المؤمنون وخاتمتها انه لا يفلح الكافرون فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة ثم ختم هذه السورة بتعليم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يدعو بالمغفرة والرحمة فقال (وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين) أمره سبحانه بالاستغفار ليقضى به أمته وقيل أمره بالاستغفار لامته وقد تقدم بيان كونه أرحم الراحمين وفي الرحمة زيادة على المغفرة وهي ايصال الاحسان

(٣٤ - فتح البيان سادس) ينشون له حتى تقوم الساعة وقال أيضا حدثنا أبو زرعة حدثنا أبو الوليد حدثنا جابر بن سارة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فان له معيشة ضنكا قال عذاب القبر اسناد حميد وقوله ونخشى يوم القيامة أعمى قال مجاهد وأبو صالح والسدي لا حجة له وقال عكرمة عمى عليه كل شئ الا جهنم ويحتمل أن يكون المراد انه يبعث أو يحشر الى النار أعمى البصر والبصيرة أيضا كما قال تعالى ونخشى يوم القيامة على وجوههم عميا وبكرا ضمما وأهم جهنم الآية وله ذاق قول رب لم تحشرني أعمى وقد كنت بصيرا أى في الدنيا قال كذلك أتمك آياتنا نفسيتم وأكذلك اليوم نفسي أى لما أعرضت عن آيات الله وعاملتهم معاملة من لم يذكرها بعد بلاغها اليك تناسيتها وأعرضت عنها وأغفلتها كذلك اليوم نعاملك معاملة من ينسأك فالיום ننسأهم كما ننسأ القاه يومهم هذا فان الجزاء من جنس العمل فأمنسأنا لفظ القرآن مع فهم معناه

والقيام بمقتضاه فليس داخل في هذا الوعيد الخاص وإن كان متوعدا عليه من جهة أخرى فإنه قد وردت السنة بالنهي الأكيد والوعيد الشديد في ذلك قال الإمام أحمد حدثنا خلف بن الوليد حدثنا خالد بن يزيد بن أبي زياد عن عيسى بن فائد عن رجل عن سعد بن عباد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من رجل قرأ القرآن فأنسيه إلا أتى الله يوم يلقاه وهو أجذم ثم رواه الإمام أحمد من حديث يزيد بن أبي زياد عن عيسى بن فائد عن عباد بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكر مثله سواء (وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) يقول تعالى وهكذا نجزي المكذبين بآيات الله في الدنيا والآخرة لهم عذاب في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشق وما لهم من الله من واق ولهذا قال ولعذاب الآخرة أشد وأبقى أي أشد المآل من عذاب الدنيا وأدوم (٢٦٦) عليهم فهم مخلدون فيه ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمتلاعنين

إن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة (أفلم يهد لهم مسلكا) أهلكم قبلهم من القرون يشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات لاولي النهي ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لأمرنا أجل مسمى فاصبر على ما يقولون وسبح بحمديك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى) يقول تعالى أفلم يهد لهؤلاء المكذبين عما جئتهم به يا محمد كم أهلكتكم الأمم المكذبين بالرسول قبلهم فبادوا فليس لهم باقية ولا عين ولا أثر كما يشاهدون ذلك من ديارهم الخالية التي خلصوهم فيها يعيشون فيها في ذلك لا آيات لاولي النهي أي العتول الصالحة والالباب المستقيمة كما قال تعالى أفلم يسروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنهم لا تعمي الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقال في سورة ألم السجدة

زيادة على غفر الذنب وأيضا الغفران قد يكون من غير احسان الذي هو معنى الرحمة ووجه اتصال هذا بما قبله أنه سبحانه لما شرع أحوال الكفار أمر بالانقطاع اليه والالتجاء الى غفرانه ورحمته لأن رحمته إذا أدركت أحد الغنمة عن رحمة غيره ورحمة غيره لا تغنيه عن رحمته

* (سورة النور هي مدينة وآياتها أربع وستون آية) *

وبه قال ابن عباس وابن الزبير عن عائشة مرفوعا قال لا تنزلوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة يعني النساء وعلوهن الغزل وسورة النور أخرجه البيهقي والحاكم وابن مردويه وعن مجاهد مرفوعا قال علماؤنا لكم سورة المائدة وعلماؤنا لكم سورة النور رواه البيهقي وابن المنذر وسعيد بن جبير وهو مرسل

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(سورة) هي في اللغة اسم للمنزلة الشريفة ولذلك سميت السورة من القرآن سورة ومنه قول زهير ألم تر أن الله أعطاك سورة * قوى كل ملك دونها تنبذ أي منزلة وقرئ بالرفع وفيه وجهان أحدهما أن يكون خبر المبتدأ محذوف والتقدير هذه سورة ووجه الزاجج والقراء والمبرد قالوا لأنها أنكرت ولا يبتدأ بها في كل موضع والثاني أن يكون مبتدأ وجازا لابتداء بالنكرة لكونها موصوفة بقوله (أنزلناها) والخبر الزائفة والزاني والى هذا انما ابن عطية والمعنى السورة المنزلة المفروضة كذا وكذا إذا السورة عبارة عن آيات مسرودة لها مبدأ ونحتم وهذا معنى صحيح ولا وجه لما قاله الاولون وقيل التقدير فما أوحينا لك سورة وردبان مقتضى المقام بيان شأن هذه السورة الكريمة لا بيان أن في جلة ما أوحى الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم سورة شأنها كذا وكذا وقرئ بالنصب أي اتل سورة أو اقرأ أو أنزلنا سورة أو دونك سورة قاله الزمخشري ورده أبو حيان وقيل أنزلنا الأحكام حال كونها سورة من سور القرآن (وفرضناها) قرئ بالتخفيف

أولم يهد لهم كم أهلكتكم قبلهم من القرون يشون في مساكنهم الآية ثم قال تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لأمرنا أجل مسمى أي لولا الكلمة السابقة من الله وهو أنه لا يعذب أحد إلا بعد قيام الحجة عليه والاجل المسمى الذي ضربه الله تعالى لهؤلاء المكذبين الى مدة معينة لجاءهم العذاب بغتة ولهذا قال لنبيه مسليلا فاصبر على ما يقولون أي من تكذيبهم لك وسبح بحمديك قبل طلوع الشمس يعني صلاة التجر وقبل غروبها يعني صلاة العصر كما جاء في الصحيحين عن جرير بن عبد الله الجبلي رضي الله عنه قال كما جالسوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر فقال انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ هذه الآية وقال الإمام أحمد حدثنا سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن عمار بن ربيعة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لن بلج

النار أحصى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها رواه مسلم من حديث عبد الملك بن عمير به وفي المسند والسنة عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أدنى أهل الجنة منزلة من يتظر في ملكه مسيرة ألفي سنة يتظر إلى أقصاه كما يتظر إلى أذناه وإن أعلاهم منزلة لمن يتظر إلى الله تعالى في اليوم مرتين وقوله ومن آتاه الليل فسبح أي من ساعاته فتهجد به وحمله بعضهم على المغرب والعشاء واطراف النهار في مقابلة آتاه الليل لعلا ترني كما قال تعالى واسوف يعطيك ربك فترضى وفي الصحيح يقول الله تعالى يا أهل الجنة فيقولون ليبيك ربنا وسعديك فيقول هل رضيتم فيقولون ربنا وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول أني أعطيتكم أفضل من ذلك فيقولون وأي شيء أفضل من ذلك فيقول أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا وفي الحديث الآخر يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه (٢٦٧) فيقولون وما هو الميعاد يبض وجوهنا ويثقل

موازيفنا ويرزقنا من النار ويدخلنا الجنة فيكشف الحجاب فينظرون إليه فوالله ما أعطاهم خيرا من النظر إليه وهي الزيادة (ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم - ثم زهرة الحياة الدنيا لفتنتهم فيه ورزق ربك خير وأبقى وأمر أهلًا بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للمتقوى) يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لا تنظر إلى ما هو لاء المترفون وأشبهاهم ونظر أروهم فيه من النعيم فاعلم هو زهرة زائله ونعمة حائلة ليحترهم بذلك وقيل من عبادي الشكور وقال مجاهد أروا جامهم - بمعنى الأغنياء فقد آتاك خيرا مما آتاهم كما قال في الآية الأخرى ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم لا تمدن عينيك الآية وكذلك ما ذكره الله تعالى

والتشديد ومعنى المشدد قطعناها في الانزال نجح ما نجحنا وما والنقض القطع والتشديد للتكثير أو لوم المبالغة أولها كيد الإيجاب أو لكثرة النراض فيها كالزنا والقذف واللعان والاستئذان وغض البصر وغير ذلك ومعنى الخنثى أو حيناها وجهها ما لم تقطوعه وقيل الزنا كالمعمل بها وقيل قدرنا ما فيها من الحدود والفرض التقدير ومنه ان الذي فرض عليك القرآن وقيل بينها قاله ابن عباس وقيل أوجبنا ما فيها من الأحكام إيجاباً قطعياً وفيه من الإيدان بغاية وكادة الفرضية ما لا يخفى (وأنزّلنا فيها آيات بينات) أي أنزلنا في عصونها وتضاعفها آيات واضحة الدلالة على مدلولها وتكرير أنزلنا لئلا يحل العناية بالزنا هذه السورة وشأنها لما اشتملت عليه من الأحكام المنروضة قال الرازي ذكر الله في أول السورة أنواعاً من الأحكام والحدود وفي آخرها دلائل التوحيد فقوله فرضناها إشارة إلى الأحكام وقوله هذا إلى ما بين فيه من دلائل التوحيد ويؤيده قوله (اعلمكم تذكرون) فان الأحكام لم تكن معلومة حتى نؤمر بتذكرها أما دلائل التوحيد فقد كانت كالمعلومة لهم لظهورها فامروا بتذكرها وقيل والمعنى تتعظون وقيل قوله (الزانية والزاني) تفصيل مأجل من الآيات البينات والزنا هو وطء الرجل للمرأة في فرجها من غير نكاح ولا شبهة نكاح وقيل هو الإلاج فرج في فرج مشتمى طبعاً محرم شرعاً والزانية هي المرأة المطاوعة للزنا الممكنة منه كما تبنى عنه الصيغة لا المكرهية وكذلك الزاني وتقديم الزانية على الزاني لانها الأصل في الفعل ليكون الداعية فيها مأفوراً ولا تمكينة منه لم يقع قاله أبو السعود وإنما قدمت المرأة هنا وأخرت في آية حد السرقة لان الزنا أعظم من السرقة وبشهوة الوقاع وهي في المرأة أقوى وأكثر والسرقة إنما تتولد من الجساراة والقوة والجرأة وهي في الرجل أقوى وأكثر قاله الكرخي وقيل وجه تقديم الزانية على الزاني ههنا ان الزاني في ذلك الزمان كان في النساء أكثر حتى كان لهن رايات تنصب على أبوابهن ليعرفهن من أراد الفاحشة منهن وقيل لان العار فيهن أكثر من موضوعهن الحجة والصيانة فقدم ذكر الزانية تغليظاً واهتماماً

لرسوله صلى الله عليه وسلم في الآخرة أمر عظيم لا يحسد ولا يوصف كما قال تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى ولهذا قال ورزق ربك خير وأبقى وفي الصحيح ان عمر بن الخطاب لما دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك المشربة التي كان قد اعتزل فيها نساءه حين آلى منهن فرأته وسد مضطجها على رمال حصير وليس في البيت الا صبرة من قرط واهبة معلقة فابتدرت عينا عمر بالبكاء فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك فقال يا رسول الله ان كسرى وقيصر فيما هما فيه وأنت صفوة الله من خلقه فقال أو في شأن أنت يا ابن الخطاب أو أنك قوم عجلت لهم طبيبتهم في حياتهم الدنيا فكان صلى الله عليه وسلم أهد الناس في الدنيا مع القدرة عليها اذا حصلت له ينفعها هكذا وهكذا في عباد الله ولم يدخر لنفسه شيئاً لقد قال ابن أبي حاتم أن أباناً بنونس أخبرني ابن وهب أخبرني مالك عن زيد بن اسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح الله

لكم من زهرة الدنيا قالوا وما زهرة الدنيا يا رسول الله قال بركات الارض وقال قتادة والسدى زهرة الحياة الدنيا يعني زينة الحياة الدنيا وقال قتادة لئن تمنهم فيه لنبتلهم وقوله وأمر أهل الصلاة واصطبر عليهم أي استنقذهم من عذاب الله بأقام الصلاة واصبر أنت على فعلها كما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب أخبرني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر بن الخطاب كان يبيت عنده نايبراً وكان له ساعة من الليل يصلي فيها فمر به لم يقيم فنقول لا يقوم الليلة كما كان يقوم وكان اذا استيقظ أقام يعني أهله وقال وأمر أهل الصلاة واصطبر عليهم وقوله لأنس ألك رزقا نحن نرزقك يعني اذا اقلت الصلاة أتاك الرزق من حيث لا تحتسب كما قال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون الى قوله ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين ولهذا

قال لأنس ألك رزقا نحن نرزقك وقال الثوري لأنس ألك رزقا أي لا تكلفك الطيب وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا حفص بن غياث عن هشام عن أبيه انه كان اذا دخل على أهل الدنيا فرأى من دنياهم طرفا فادرجع الى أهله فدخل الدار قرأ ولا تمدن عينيك الى قوله نحن نرزقك ثم يقول الصلاة الصلاة رحكم الله وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن أبي زياد القطراني حدثنا شماس حدثنا جعفر عن ثابت قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا أصابه خصاصة نادى أهله يا أهله صلوا صلوا قال ثابت وكانت الانبياء اذا نزل بهم أمر فزعوا الى الصلاة وقد روى الترمذي وابن ماجه من حديث عمران بن زائدة عن أبيه عن أبي خالد الوالبي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(فاجلدوا) الجلد الضرب يقال جلده اذا ضرب جلده مثل بطنه اذا ضرب بطنه ورأسه اذا ضرب رأسه ودخول الفاء تضمن المبتدأ معنى الشرط على مذهب الاخشف وعلى مذهب سيبويه التقدير فيما يلي عليكم حكم الزانية ثم بين ذلك بقوله فاجلدوا والخطاب في هذه الآية الكريمة للامم ومن قام مقامهم وقيل للمسلمين أجمعين لان اقامة الحدود واجبة عليهم جميعا والامام يوجب عنهم اذ لا يمكنهم الاجتماع على اقامة الحدود (كل واحد منهم مائة جلدة) هو حد الزاني الحر البالغ المكر وكذا ذلك الزانية وثبت بالسنة زيادة على هذا الجلد وهو تغريب عام وبه قال الشافعي وقال أبو حنيفة التغريب الى رأى الامام والحد يرد به وقال مالك يجلد الرجل ويغرب وتجلد المرأة ولا تغرب واما المملوك والمملوكه فكل واحد واحد من خمسين جلدة لقوله سبحانه فان أتيت بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب وهذا نص في الاماء والحق بهن العبيد لعدم الفارق وأما من كان محصنا من الاحرار فعليه الرجم بالسنة الصحيحة المتواترة وباجماع أهل العلم بل وبالقرآن المنسوخ لفظه الباقي حكمه وهو الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة وزاد جماعة من أهل العلم مع الرجم جلدة مائة وقد أوضح الشوكاني ما هو الحق في ذلك في شرحه للمنتقى وقدمنى الكلام في حد الزانما ستوفى وهذه الآية ناسخة لاية الحبس وآية الاذى اللتين في سورة النساء وزاد النسفي والتغريب منسوخ بالآية وليس بصحيح فقد أثبتته السنة الصحيحة كما اثبتنا اليه (ولا تأخذكم) بالتأنيث مراعاة للفظ وبالبيان لانه مجازي وللنصل بالمتعول والجار (بهم مارأفة) يقال رأف يرأف رأفة على وزن فعلة ورأفة على وزن فعالة مثل النساء والنساء وكلاهما بمعنى الرقة والرحمة وقيل هي أرق الرحمة وأشدّها (في دين الله) أي في طاعته وحكمه كما في قوله ما كان لياخذ أخاه في دين الملك أي لا يأخذكم الدين في استيفاء الحدود فتعطلوها وهذا قول مجاهد وعكرمة وعطاء وسعيد ابن جبير والخفي والشعبي وقيل تخففوا الضرب وهو قول سعيد بن المسيب والحسن قال

يقول الله تعالى يا ابن آدم تنرغ لعبادتي أملا صدرك غنى وأسدفقرك وان لم تفعل ملأت صدرك شغلا الزهري ولم أسد فقرك وروى ابن ماجه من حديث الضعاف عن الاسود عن ابن مسعود سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول من جعل الهوموما واحدا هم المعاد كناه الله هم دنياه ومن تشعبت به الهوموم أحوال الدنيا لم يبال الله في أي أوديته هلك وروى أيضا من حديث شعبة عن عمر بن سليمان عن عبد الرحمن بن أبان عن أبيه عن زيد بن ثابت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا الا ما كتب له ومن كانت الآخرة نيته جمع له أمره وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة وقوله والعاقبة للمتقوى أي وحسن العاقبة في الدنيا والآخرة وهي الجنة لمن اتقى الله وفي الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت الدلية كاتافي دار عقبة بن رافع وانا أتينا برطب من رطب ابن طاب فاقلت

ذلك ان العاقبة لنا في الدنيا والرفعة وان ديننا قاطب (وقالوا لا يتنبأ به من ربه ولم تأتهم بيته ما في الصحف الاولى ولوانا
 اهلكناهم بعذاب من قبله لعلنا نرسلوا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل ونخزي قل كل متر بص قتر بصوا فستعلمون
 من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى) يقول تعالى مخبر عن الكفار في قولهم لولا أي هلا يا يتناجدا بآية من ربه أي بعلامة
 دالة على صدقه في انه رسول الله قال تعالى أولم تأتهم بيته ما في الصحف الاولى يعني القرآن العظيم الذي أنزله عليه الله وهو وحى
 لا يحسن الكتابة ولم يدرس أهل الكتاب وقد جاء فيه أخبار الاولين بما كان منهم في سالف الدهور بما وافقه عليه الكتب
 المتقدمة الصحيحة منها فان القرآن مهين عليها يصدق الصحيح ويبين خطأ المكذوب فيها وعلما هذه الآية كقوله تعالى في سورة
 العنكبوت وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل انما الآيات عنده والله وانما (٢٦٩) أنابيرميين أولم يكفهم أنا أنزلنا عليهم

الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة
 وذكري لقوم يؤمنون وفي الصحيحين
 عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 انه قال ما من نبي الا وقد أوتي من
 الآيات ما آمن على مثله البشر
 وانما كان الذي أوتيته وحيا أو ما
 الله الى قارجوان أكون أكثرهم
 تابعا يوم القيامة وانما ذكرهنا
 أعظم الآيات التي أعطيها عليه
 السلام وهو القرآن والا فله من
 المعجزات ما لا يحصى ولا يحصر كما هو
 مودع في كتبه ومقرر في مواضعه
 ثم قال تعالى ولوانا اهلكناهم بعذاب
 من قبله لعلنا نرسلوا رسولا
 لعلنا نرسلوا رسولا لعلنا نرسلوا
 المكذبين قبل ان نرسل اليهم هذا
 الرسول الكريم وتنزل عليهم هذا
 الكتاب العظيم لكنا قالوا ربنا
 لولا أرسلنا رسولا قبل أن
 تهلكنا حتى نؤمن به ونتبعه كما قال
 فنتبع آياتك من قبل ان نذل ونخزي
 بين تعالى ان هؤلاء المكذبين
 متعنتون معاندون لا يؤمنون ولو

الزهري يجتهد في حد الزنا والفرية أي القذف ويخفف في حد الشرب وقيل يجتهد في حد
 الزنا ويخفف دون ذلك في حد القذف ودونه في حد الشرب ثم قال مشبها للامورين ومهيجا
 لهم (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) أي ان كنتم تصدقون بالتوحيد والبعث
 الذي فيه جزاء الاعمال فلا تعطوا الحد ودوفيه الهاب الغضب لله ولدينه وذلك لان
 الايمان به ما يقتضي الخلود في طاعة الله وفي اجراء احكامه وذكري اليوم الآخر لانه كبير
 ما فيه من العقاب في مقابلة المسامحة في الحدود وتعظيمها والحاصل ان الواجب على
 المؤمنين ان يتصلوا في دين الله ويستعملوا الحث والمثانة ولا يأخذهم اللين والهوان
 في استيناء حدود الله وكذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اسوة في ذلك حيث قال لو
 سرق فاطمة بنت محمد لقطعت يدها (وليشهد عذابهما) أي لتحضر الجلاد اذ أقيم عليهما
 زيادة في التشكيل بهما وشروع العار عليهما واشتهار فضيحةتهما (طائفة من المؤمنين) نبا
 والطائفة الفرقة التي تكون حافة حول الشيء من الطوف وأقلها ثلاثة لانه أقل الجمع
 وقيل اثنان قاله عكرمة وقيل واحد قاله مجاهد وقيل أربعة لانهم عدد شهود الزنا وقيل
 عشرة قال ابن عباس الطائفة الرجل فما فوقه ولا يجب على الامام حضور رجمه ولا على
 الشهود لانه صلى الله عليه وآله وسلم أمر برجم معز والغامدية ولا يحضر رجمهما وانما
 خص المؤمنين بالحضور لان ذلك أقضج والناسق بين صلحاء قومه أمجّل وتسمية الجلدة
 عذابا لدليل على انه عقوبة ثم ذكر سبحانه شيئا يختص بالزاني والزانية فقال (الزاني لا ينكح
 الزانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشركة) يعني ان الغالب ان المائل الى
 الزنا لا يرغب في نكاح الصالح والزانية لا يرغب فيها الصالحاء فان المشاكلة الالفية
 والتضام والمخالفة سبب للفرقة والافتراق وقد اختلف أهل العلم في معنى هذه الآية على
 أقوال الاول ان المقصود منها تشنيع الزنا وتشنيع أهله وانه محرم على المؤمنين ويكون
 معنى الزاني لا ينكح الزانية الوطء لا العقد أي الزاني لا يرزى الا بزانية والزانية لا ترزى الا

جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم كما قال تعالى وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واطعوا أوامرنا وتجنبوا عقابنا
 يصدفون وقال وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من احدى الامم الآية وقال وأقسموا بالله جهد أيمانهم
 لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها الآية ثم قال تعالى قل أي يا محمد لمن كذبك وخالفك واستمر على كفره وعناده كل متر بص أي منا ومنكم
 قتر بصوا أي فانتظروا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي أي الطريق المستقيم ومن اهتدى الى الحق وسبيل الرشاد وهذا
 كقوله تعالى وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا وقال سيعلمون غدا من الكذاب الاشر آخر تفسير سورة طه
 ولله الحمد والمنة (تفسير سورة الانبياء عليهم السلام وهي مكية) قال البخاري حدثنا محمد بن بشار حدثنا شعبة عن أبي اسحق
 سمعت عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله قال بنو اسرائيل والكهف ومريم وطه والانبياء هن من العتاق الاول وهن من تлады

* (بسم الله الرحمن الرحيم) * (اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحروا أنتم تبصرون قال ربي يعلم القول في السماء والارض وهو السميع العليم بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراء بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الاولون ما أمنت قبلهم من قرينة أهلكناهم يومئذ) هذا تنبيه من الله عز وجل على اقتراب الساعة ودنوها وان الناس في غفلة عنها أي لا يعملون لها ولا يستعدون من أجلها وقال النسائي حدثنا أحمد بن نصر حدثنا شام بن عبد الملك أبو الوليد الطيالسي حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم في غفلة معرضون قال في الدنيا وقال تعالى أتى أمر الله فلا تستهجلوه وقال اقتربت الساعة وانشق القمر وان (٢٧٠) يروا آية يعرضوا الآية وقد روى الحافظ بن عساكر في ترجمة الحسن بن هاني

أبي نواس الشاعر انه قال أشعر الناس الشيخ الطاهر أبو العتاهية
حدث يقول
الناس في غفلاتهم

ورحاً المنية تطعن
فتدبل له من أين أخذ هذا قال
من قول الله تعالى اقتراب للناس
حسابهم وهم في غفلة معرضون
وروي في ترجمة عامر بن ربيعة من
طريق موسى بن عبيد الأمدى عن
عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه
عن عامر بن ربيعة أنه نزل به رجل
من العرب فأكرم عامر منواه وكام
فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
جاءه الرجل فقتل اني استقطعت من
رسول الله صلى الله عليه وسلم واديا
في العرب وادفصل منه وقد أردت
ان اقطع لك منه قطعة تكون لك
ولعقبك من بعدك فقال عامر لا
حاجة لي في قطعتك نزلت اليوم
سورة أذهلتنا عن الدنيا اقتراب
للناس حسابهم وهم في غفلة
معرضون ثم أخبر تعالى انهم لا

بزان وزاد كرام المشرقة والمشركة لكون الشرك أعم في المعاصي من الزنا وورد هذا الزجاج
وقال لا يعرف النكاح في كتاب الله الا بمعنى التزويج ويرد هذا الربدان النكاح بمعنى الوطء
ثابت في كتاب الله سبحانه ومنه قوله حتى تنكح زوجاً غيره فقد بينه النبي صلى الله عليه وآله
وسلم بأن المراد به الوطء ومن جملة القائلين بان معنى الآية الزاني لا يزني الا زانية سعيد بن
جبير وابن عباس وعكرمة كما حكاه ابن جرير عنهم وعن ابن عباس قال ليس هذا بالنكاح
ولكن الجماع لا يزني بهما حين تزني الا زاناً أو مشركاً الثاني ان الآية هذه نزلت في امرأة
خاصة فتكون خاصة بها كما قال الخطابي عن ابن عمر وقال كانت امرأة يقال لها أم
مهزول وكانت تسافح وتشتري ان ينفق عليها فأراد رجل من أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم ان يتزوجها فانزل الله هذه الآية أخرجه أحمد والنسائي والحاكم وصححه
وغيرهم الثالث انها نزلت في رجل من المسلمين فتكون خاصة به قاله مجاهد وعن عمرو بن
شعيب عن أبيه عن جده قال كان رجل يقال له مرثد يحمي الاسارى من مكة حتى يأتي
بهم المدينة وكانت امرأته يفي بمكة يقال لها عناق وكانت صديقة له وذ كرقصة وفيها فاقبت
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت يا رسول الله أنكح عناقاً لم يرد على شيئاً حتى نزلت
الزاني لا ينكح الا زانية الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا مرثد الزاني لا
ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زاناً أو مشركاً وحرم ذلك على المؤمنين
فلا تنكحها أخرجه أبو داود والترمذي وحسنه والنسائي والحاكم وصححه والبيهقي وغيرهم
الرابع انها نزلت في أهل الصنعة فتكون خاصة بهم قاله أبو صالح الخامس أن المراد بالزاني
والزانية المحمودان حكاه الزجاج وغيره عن الحسن قال وهذا حكم من الله فلا يجوز زان
محمودان يتزوج المحمودة وروي نحوه عن ابراهيم التيمي وبه قال بعض أصحاب
الشافعي قال ابن العربي وهذا لا يصح نظراً كما لا يثبت نقلاً السادس ان هذه الآية
منسوخة بقوله سبحانه وانكحوا الايام منكم قال الخداس وهذا القول عاميه أكثر العلماء

يصغون الى الوحي الذي أنزل الله على رسوله والخطاب مع قريش ومن شابههم من الكفار فقال ما يأتيهم
من ذكر من ربهم محدث أي جديد انزاله الاستعوه وهم يلعبون كما قال ابن عباس ما لكم تسألون أهل الكتاب عما يديهم وقد
حرفوه وبدلوه وزادوا فيه ونقصوا منه وكابكم أحدث الكتب بالله تفرؤنه محضاً لم يشب رواه البخاري بخوة وقوله وأسروا النجوى
الذين ظلموا أي قائلين فيما بينهم خفية هل هذا الا بشر مثلكم يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم يستبعدون كونه نبياً لانه بشر
مثلهم فكيف اختص بالوحي دونهم ولهذا قال أفتأتون السحروا أنتم تبصرون أي اقتبصونه فمكثون كن يأتى السحر وهو يعلم
انه سحر فقال تعالى مجيباً لهم عما افتروه واخلفوه من الكذب قال ربي يعلم القول في السماء والارض أي الذي يعلم ذلك لا يخفى
عليه خافية وهو الذي أنزل هذا القرآن المشتمل على خبر الاولين والاخرين الذي لا يستطيع احد أن يأتي بمثله الا الذي يعلم السر

في السموات والارض وقوله وهو السميع العليم أي المسيح لاقوالكم العليم باحوالكم وفي هذا تمديد لهم ووعد وقوله بل قالوا
اضغات احلام بل اقترام هذا الخمار عن تغت الكفار والحادهم واختلافهم فيما يصنفون به القرآن وحيثهم فيه وضلالهم
عنه فتارة يجعلونه شعرا وتارة يجعلونه اضغات احلام وتارة يجعلونه منترى كما قال انظر كيف ضربوا لك الامثال
فضلوا فلا يستطيعون سبيلا وقوله فلما تنابا آية كما أرسل الاولون يعنون كافة صالح وآيات موسى وعيسى وقد قال الله وما من عنان
نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون الآية ولهذا قال تعالى ما آمنت قبلهم من قرية اهلكناها فهم يؤمنون أي ما آتينا قرية
من القرى الذين بعث فيهم - م الرسل آية على يدي نبينا فآمنوا بها بل كذبوا فاهلكناهم بذلك افعهؤلاء يؤمنون بالآيات لورا وهادون
أولئك كلابل ان الذين حققت عليهم - م كلمة ربك لا يؤمنون ولوجاءتهم كل (٢٧١) آية حتى يروا العذاب الاليم هذا كله
وقد شاهدوا من الآيات الباهرات

والجج القاطعات والدلائل
المينات على يدي رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما هو اظهر وأجلى
وابهر واقطع وأقهر مما شوهد مع
غيره من الانبياء صلوات الله
وسلامه عليهم اجمعين قال ابن أبي
حاتم رحمه الله ذكر عن زيد بن الحباب
حدثنا ابن لهيعة حدثنا الحرث بن
زيد الحضرمي عن علي بن رباح
الخمعي حدثني من شهد عبادة بن
الصامت يقول كافي المسجد ومعا
أبو بكر الصديق رضي الله عنه
يسر أربعين القرآن فباع عبد الله بن
سلول وسعه غرة وزريرة فوضع
واتكا وكان صبيحا فصيحاجدا
فقال يا أبا بكر قل لحمد يا نبينا آية
كما جاء الاقولن جاء موسى بالالواح
وجاء اود بالزبور وصالح بالناقة
وجاء عيسى بالانجيل وبالماندة فبكي
أبو بكر رضي الله عنه فخرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو

والسابع ان هذا الحكم مؤسس على الغالب العام والمعنى ان غالب الزنا لا يرغب في
الزواج بزانية مثله وغالب الزواني لا يرغب في الزواج برآن مثلهن قال الامام
الفاطسي الخبيث الذي من شأنه الزنا لا يرغب في نكاح المرأة الصالحة وانما يرغب في نكاح
فاسقة مثله أو في مشركة والفاسقة لا ترغب في نكاح الرجل الصالح بل تنفر عنه وانما
ترغب فيمن هو من جنسها من الفسقة والمشركن فهذا على الاعمال الاغلب كما يقال لا يفعل
الخبر الا الرجل التقى وقد يفعل الخير من ليس بشي فكذلك اهلنا والفرق بين قوله الزاني لا
ينكح الزانية أو مشركة وقوله والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك ان الكلام يدل على
أن الزاني لا يرغب الا في نكاح الزانية بخلاف الزانية فقد ترغب في نكاح غير الزاني فلا
جرم بين ذلك بالكلام الثاني والمقصود زجر المؤمنين عن نكاح الزواني بعد زجرهم عن
الزنا وهذا أريح الاقوال وسبب التزول يشهد له كما تقدم وعن شعبه مولى ابن عباس قال
كنت مع ابن عباس فأناذ رجل فقال اني كنت اتبع امرأة فأصبت منها ما حرم الله علي وقد
رزقني الله منها برة فاردت ان أتزوجها فقال الناس الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة
فقال ابن عباس ليس هذا موضع هذه الآية انما كن نساء بغايا متعاليات يجعلن على
أبوابهن رايات يأتينهن الناس يعرفن بذلك فأنزل الله هذه الآية تزوجها فما كان فيهما من
انتم فعلي وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا ينكح الراي اليهود
الا مثله أخرجه ابو داود وابن المنذر والحاكم وابن أبي حاتم وغيرهم وعن علي أن رجلا تزوج
امرأة ثم انه زنى فأقيم عليه الحد فجاءه الى علي ففرق بينهما وبين امرأته وقال لا تتزوج الا
مجلودة مثلك وعن مجاهد قال كن نساء في الجاهلية بغيات فكانت منهن امرأتان جيلة
تدعى أم جيل فكان الرجل من المسلمين يتزوج احدهن لتتفق عليه من كسبهما فنهى الله
سبحانه أن يتزوجهن أحد من المسلمين وهو مرسل وعن ابن عباس انهما نزلت في بغايا
معلنات كن في الجاهلية وكن زواني مشركات فخرم الله نكاحهن على المؤمنين وعنه قال

بكر قوما بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم نسبتغيث به من هذا المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يقام لي انما
يقام لله عز وجل فقلنا يا رسول الله اننا لقيناه من هذا المنافق فقال ان جبريل قال لي اخرج فأخبر بنم الله التي أنعم بها عليك وفضلته
التي فضلت بها فبشرني اني بعثت الى الاحمر والاسود وأمرني ان أنذر الجان وآتاني كتابه وانا أني وغفر ذنبي ما تقدم وما تأخر وذكر
اسمي في الاذان وأمدني بالملائكة وآتاني النصر وجعل الرب اماني وآتاني الكوثر وجعل حوضي من أعظم الحياض يوم
القيامة ووعدني المقام المحمود والناس مهطعون مقنعون رؤسهم وجعلني في أول زمرته تخرج من الناس وادخل في شفاعتي سبعين
ألنامن أمتي الجنة بغير حساب وآتاني السلطان والملاك وجعلني في أعلى غرفة في الجنة في جنات النعيم فليس فوق أحد الا الملائكة
الذين يحملون العرش واحل لي ولأمتي الغنائم ولم تحل لاحد كان قبلنا وهذا الحديث غريب جدا (وما أرسلنا قبلك الا رجالا

نوحى اليهم فاسألوا أهل الذكرا ان كنتم لاتعلمون وما جعلناهم جسدا لايأكلون الطعام وما كانوا خالدين ثم صدقناهم الوعد فانجيناهم ومن نساء واهلئلكم المسرفين يقول تعالى راداعلى من أنكر بعنة الرسل من البشر وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحى اليهم أى جميع الرسل الذين تقدموا كانوا رجالا من البشر لم يكن فيهم أحد من الملائكة كما قال فى الآية الاخرى وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحى اليهم من أهل القرى وقال تعالى قل ما كنت بدعا من الرسل وقال تعالى حكاية عن تقدم من الامم لانهم أنكروا ذلك فقالوا ابشروهم بآياتنا وهذا قال تعالى فاسألوا أهل الذكرا ان كنتم لاتعلمون أى اسألوا أهل العلم من الامم كاليهود والنصارى وسائر الطوائف هل كان الرسل الذين أتوهم بشرا أم ملائكة وانما كانوا بشرا وذلك من تمام نعمة الله على خلقه اذ بعث فيهم رسلا منهم فيكون من تناول البلاغ منهم والاخذ عنهم وقوله (٢٧٢) وما جعلناهم جسدا لايأكلون الطعام أى بل قد كانوا أجسادا ياكلون

الطعام كما قال تعالى وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق أى قد كانوا بشرا من البشر يأكلون ويشربون مثل الناس ويدخلون الاسواق للتكسب والتجارة وليس ذلك بضارّاتهم ولا ناقص منهم شيئا كما تراه من المشركون فى قوله من مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذير أو يلقى اليه كثر أو تكون له جنة يأكل منها الآية وقوله وما كانوا خالدين أى فى الدنيا بل كانوا يعيشون ثم يموتون وما جعلنا للبشر من قبلك الخلد وخصصتهم انهم يوحى اليهم من الله عز وجل تنزل عليهم الملائكة عن الله بما يحكمهم فى خلقه مما يأمر به وينهى عنه وقوله ثم صدقناهم الوعد أى الذى وعدهم ربهم لئلا يملكون الظالمين صدقهم الله وعده وفعل ذلك ولهذا قال فانجيناهم

كانت بغيا فى الجاهلية بغيا آل فلان وبغيا آل فلان فقال الله الزانى لا ينكح الزانية فاحكم الله ذلك فى أمر الجاهلية وروى نحوه ذاعن جماعة من التابعين وعن الضحاك قال انما عني بذلك الزنا ولم يكن به التزويج وعن ابن عباس فى هذه الآية قال الزانى من أهل القبلة لا يزنى الزانية مثله من أهل القبلة أو مشرك من غير أهل القبلة والزانية من أهل القبلة لا تزنى الا بزنا مثلهما من أهل القبلة أو مشرك من غير أهل القبلة وحرم الزنا على المؤمنين وقد اختلف فى جواز تزويج الرجل بامرأة قد زنى هو بها فقال الشافعى وأبو حنيفة يجوز ذلك وروى عن ابن عباس وعمر وابن مسعود وجابر انه لا يجوز قال ابن مسعود اذ زنى الرجل بالمرأة ثم نكحها بعد ذلك فهو زانىان أبدا وبه قال مالك (وحرم ذلك) أى الزنا ونكاح الزواني لما فيه من التشبه بالنسقة والتعرض للتممة والطعن فى النسب والتسبب بسوء المقالة وغير ذلك من المناسك وموجب السخط الخاطئ كمن فيها من التعرض لاقتراف الآثام فكيف بزاوجة الغايات والتعاب وقيل هو مكره فقط وعبر بالتحريم عن كراهة التزويج بمبالغة فى الزجر (على المؤمنين) الاخيار الا برأى المؤمن أن لا يدخل نفسه تحت هذه العادة ويتصون عنها وقدمت الزانية على الزانى أولا ثم قدم عليها ثانيا لان تلك الآية سميقت لعقوبتها ما على ما جنىها والمرأة هى المادة التى منها نشأت تلك الجناية لانها لم تظمع الرجل ولم تؤمض له ولم تكن لم يطمع ولم يتمكن فلما كانت أصلا فى ذلك بدى بذكرها وأما الثانية فسوق ذلك زنا نكاح والرجل أصل فيه لانه الخاطب ومنه بدء الطلب (والذين يرسون) استعار الرمي للشتم بفاحشة الزنا لكونه جناية بالقول ويسمى هذا الشتم بهذه الفاحشة الخاصة قد فأتى يشنون (المحصنات) أى النساء العفيفات بالزنا وكذا المحصنين وانما خصهن بالذكر لان قد فذهن أشنع والمارفهن أعظم ويلحق الرجال بالنساء فى هذا الحكم بالاخلاق بين علماء هذه الامة وقد جمع الشوكانى فى ذلك رساله تردبها على بعض المتأخرين من علماء القرن الحادى عشر لما نازع فى ذلك

ومن نساء أى أتباعهم من المؤمنين وأهليكم المسرفين أى المكذبين بما جاء به الرسل لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم وقيل أفلا تعقلون وكم قصصنا من قرية كانت ظالمة وانشأنا بعدها قوم آخرين فلما أحسوا بأسنا اذا هم منها يركضون لا ترضوا وارجعوا الى ما أتوكم فيه ومساكنكم عليكم تسئلون قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين فزال ذلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا حامدين يقول تعالى منها على شرف القرآن محرضاهم على معرفة قدره لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم قال ابن عباس شرفكم وقال مجاهد حديثكم وقال الحسن دينكم أفلا تعقلون أى هذه النعمة وتلقونها بالقبول كما قال تعالى وانهذا كرلكم ولقومك وسوف تسئلون وقوله وكم قصصنا من قرية كانت ظالمة هذه صيغة تكثير كما قال وكم أهليكم من القرون من بعد نوح وقال تعالى وكأين من قرية أهلكناها وهى ظالمة فهى خاطئة على عروشها الآية وقوله وانشأنا بعدها قوم آخرين أى أمة أخرى بعدهم فلما أحسوا بأسنا أى

يتقنوا ان العذاب واقع بهم لا محالة كما وعدهم نبيهم اذ ادهم منها بر كضون أى يفرون هار بين لا تركضوا وارجعوا الى ما أترفتم فيه ومساكنكم هذاتكم بهم هم نزل أى قبل لهم نزل لا تركضوا هار بين من نزل العذاب وارجعوا الى ما كنتم فيه من النعمة والسرور والمعيشة والمساكن الطيبة قال قتادة استنزه بهم لعلكم تستلثون أى عما كنتم فيه من اداء شكر النعم قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين اعترفوا بذنوبهم حين لا يندفعهم ذلك فزال ذلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين اى ما زالت تلك المقالة وهى الاعتراف بالظلم هجيراهم حتى حصدناهم حصدا وخذت حر كاتهم وأصواتهم خودا (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما الا عيين لو أردنا ان نتخذلهوا لاتخذناه من لدنا ان كفافعين بل نقذف بالباطل فيدمغه فاذا هوزاهق وليكم الويل مما تصننون وله من فى السموات والارض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون (٢٧٣) يسبحون الليل والنهار لا يفترون) يخبر تعالى انه خلق السموات والارض بالحق

أى بالعدل والقسط ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى وانه لم يخلق ذلك عبثا ولا لعبا كما قال وما خلقنا السموات والارض وما بينهما ما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار وقوله تعالى لو أردنا أن نتخذهم اذهاوا لاتخذناه من لدنا ان كفافعين قال ابن أى نجح عن مجاهد لو أردنا ان نتخذهم اذهاوا لاتخذناه من لدنا يعنى من عندنا يقول وما خلقنا الجنة ولا نارا ولا موتا ولا بعثا ولا حسابا وقال الحسن وقتادة وغيرهما لو أردنا ان نتخذ لهوا للهِوا والمرأة بلسان أهل اليمن وقال ابراهيم النخعي لاتخذناه من الحور العين وقال عكرمة والسدى المراد بالله وهما الولد وهذا الذى قبله تلامذته وهو كقوله تعالى لو أراد الله ان يتخذ ولد الاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد التهار فتره نفسه عن اتخاذ الولد

وقيل ان الآية نعم الرجال والنساء والتقدير النفس المحصنات ويؤيده مذا قوله فى آية أخرى والمحصنات من النساء فان البيان بكونهن من النساء يشعر بان لفظ المحصنات يشمل غير النساء والام يكن للبيان كثير معنى وقيل أراد بالمحصنات الفروج كما قال والى أحصنت فرجها فتناول الآية الرجال والنساء وقيل ان لفظ المحصنات وان كان للنساء لكنه ههنا يشمل النساء والرجال تغايبا وفيه ان تغليب النساء على الرجال غير معروف فى لغة العرب وقدمضى فى سورة النساء ذكر الاحصان وما يحتمل له من المعانى وللعلماء فى الشروط المتبعة فى المقدوف والقاذف أبحاث مطولة مستوفاة فى كتب النقض منها ماهو مأخوذ من دليل ومنها ماهو مجرد رأى يحتمل قرئ المحصنات بفتح الصاد وكسر هاء ذهب الجمهور من العلماء انه لا حد على من قذف كافرا أو كافرة وقال الزهري وسعيد بن المسيب وابن أبى ليلى يجب عليه الحد وذهب الجمهور أيضا الى ان العبد يجلد أربعين جلدة وقال ابن مسعود وعمر بن عبد العزيز وقبيصة يجلد ثمانين قال القرطبي وأجمع العلماء على ان الحر لا يجلد للعبد اذا افتري عليه لتباين مرتبتهما وقد ثبت فى الصحيح عنه صلى الله عليه وآله وسلم ان من قذف مملوكا لم يأتى أقيم عليه الحد يوم القيامة الا ان تكون كاتال وشرائط الاحصان خسة الاسلام والعقل والبلوغ والحرية والعنة من الزنا والمحصن كالمحصنة فى وجوب حد القذف وبسط الكلام فى هذا فى كتب الفروع ثم ذكر سبحانه شرطا لاقامة الحد على من قذف المحصنات فقال (ثم لا تأتوا باربعة شهداء) يشهدون عليهم بوقوع الزنا منهم برؤيتهم ولفظ ثم يدل على أنه يجوز أن تكون شهادة الشهود فى غير مجلس القذف وبه قال الجمهور وخالف فى ذلك مالك وظاهر الآية انه يجوز أن تكون الشهود مجتمعين ومتفرقين وخالف فى ذلك الحسن ومالك واذا لم يكمل الشهود أربعة كانوا قذفة يحدون حد القذف وقال الحسن والشعبي انه لا حد على الشهود ولا على الشهود عليه وبه قال أحمد وأبو حنيفة ومحمد بن الحسن ويرد ذلك ما وقع

(٣٥ - فتح البيان ٣٨٥) مطلقا ولا سيما عما يقولون من الاذك والباطل من اتخاذ عيسى أو العزيز أو الملائكة سبحانه الله عما يقولون علوا كبيرا وقوله ان كفافعين قال قتادة والسدى وابراهيم النخعي ومغيرة بن مقسم أى ما كفافعين وقال مجاهد كل شئ فى القرآن انه هو انكار وقوله بل نقذف بالحق على الباطل أى نبين الحق فيدحض الباطل ولهذا قال فيدمغه فاذا هوزاهق أى ذاهب مضمحل وليكم الويل أى أيها القائلون لله ولدهما تصفون أى تقولون وتفترون ثم أخبر تعالى عن عبودية الملائكة له ودأبهم فى طاعته ليلالهم ارا فقال وله من فى السموات والارض ومن عنده يعنى الملائكة لا يستكبرون عن عبادته أى لا يستكفون عنها كما قال لن يستكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا وقوله ولا يستحسرون أى لا يتعبون ولا يملون يسبحون الليل والنهار لا يفترون فهم دائمون فى العمل ليلالهم ارا طيعون قصدا

وعلماء قادرون عليه كما قال تعالى لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن أبي دلامة البغدادي
 أن أبا عبد الوهاب بن عطاء حدثنا سعيد عن قتادة عن صفوان بن محرز عن حكيم بن حزام قال يشار رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بين أصحابه إذ قال لهم هل تسمعون ما أسمع قالوا ما نسمع من شيء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاسمع أطيظ السماء
 وما تلام أن تنط وما فيها موضع شبر الا وعليه ملك ساجد أو قائم غريب ولم يخرجوه ثم رآه أعني ابن أبي حاتم من طريق يزيد بن أبي
 زريع عن سعيد عن قتادة مرسلًا وقال محمد بن الحنفى عن حسان بن محارق عن عبد الله بن الحرث بن نوفل قال جلست الى
 كعب الاحبار وأنا غلام فقلت له أرايت قول الله تعالى للملائكة يسجدون الليل والنهار لا يفترون أما ينظرون أم ينظرون أم ينظرون أم ينظرون أم ينظرون
 والرسالة والعمل فقال من هذا الغلام (٢٧٤) فقالوا من بنى عبد المطلب قال فقبل رأي ثم قال يابني

انه جعل لهم التيسير كما جعل لكم
 النفس أليس تتكلم وانت تنفس
 وأنت تشى وأنت تنفس (أم
 اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون
 لو كان فيهم ما آلهة الا الله لفسدنا
 فسبحان الله رب العرش عما
 يصفون لا يسئل عما يفعل وهم
 يسئلون) ينكر تعالى على من اتخذ
 من دونه آلهة فقال أم اتخذوا آلهة
 من الارض هم ينشرون أى أنهم
 يحبون الموتى وينشرونهم من
 الارض أى لا يقدرون على شيء
 من ذلك فكيف جعلوا لله ندا
 وعبدوا معه ثم اخبر تعالى انه لو كان
 في الوجود آلهة غير الله لفسدت
 السموات والارض لو كان يقال فيهم ما
 آلهة أى فى السموات والارض
 لفسدنا كقوله تعالى ما اتخذ الله
 من ولد وما كان معه من الة اذا
 لذهب كل الة بما خلق ولعل بعضهم
 على بعض سبحانه الله عما يصفون
 وقال ههنا فسبحان الله رب العرش

فى خلافة عمر رضى الله تعالى عنه من جلده للاثلاثة الذين شهدوا على المغيرة بالزنا ولم
 يخاف فى ذلك أحد من الصحابة وقد اختلف فى اعراب شهادته على أقوال ثم بين الله سبحانه
 ما يجب على القاذف فقال (فاجلدوهم) أى كل واحد منهم (ثمانين جلدة) بالجلد الضرب
 كما تقدم والمجالد المضاربة فى الجلود أو بالجلود ثم استعير للضرب بالعصا والسيف وغيرهما
 وقد تقدم بيان الجلد قريبا (ولا تقبلوا لهم شهادة) أى فاجعوا لهم بين الامر من الجلد وترك
 قبول الشهادة فى شيء لانهم قد صاروا بالقذف غير عدول بل فسقة كما حكم الله عليهم فى
 آخر هذه الآية ومعنى (أبدا) مادام وفى الحياة ثم بين سبحانه حكمهم بعد صدور القذف
 منهم واصرارهم عليه وعدم رجوعهم الى التوبة فقال (وأولئك هم الفاسقون) لا تيمانهم
 كبيرة وهذه الجملة مستأنفة مقررة لمضمون ما قبلها والفسق هو الخروج عن الطاعة
 ومجاوزة الحد المعصية وفيه دليل على ان القذف من البكائر لان اسم الفسق لا يقع الا على
 صاحب كبيرة ثم بين الله سبحانه ان هذا التأييد لم يقبل شهادتهم مع عدم التوبة
 فقال (الا الذين نابوا من بعد ذلك) أى من بعد اقرارهم لذنب القذف (وأصلحوا) أعمالهم
 التى من جملتها ذنب القذف ومداركة ذلك بالتوبة والاعتقاد للعد (فان الله غفور رحيم)
 يغفر ذنوبهم ويرحمهم وقد اختلف أهل العلم فى هذا الاستثناء هل يرجع الى الجملتين قبله
 وهى عدم قبول الشهادة والحكم عليهم بالفسق أم الى الجملة الاخيرة وهذا الاختلاف
 بعد اتفاقهم على انه لا يعود الى جملة الجلد بل يجلد التائب كالصواب بعد اجماعهم أيضا
 على ان الاستثناء يرجع الى جملة الحكم بالفسق فيعمل الخلاف هل يرجع الى جملة عدم
 قبول الشهادة أم لا فقال الجمهور ان هذا الاستثناء يرجع الى الجملتين فاذا تاب القاذف
 قبلت شهادته وزال عنه الفسق لان سبب ردها هو ما كان متصفا به من الفسق
 بسبب القذف فاذا زال بالتوبة بالاجماع كانت الشهادة مقبولة وقال القاضي شريح
 وابراهيم النخعي والحسن البصرى وسعيد بن جبيرة ومكحول وابن زيد وفسقان الثورى

وما يقولون ان له ولدا أو شركا سبحانه وتعالى وتقدس وتنزه عن الذى يشتركون وبأن يكون علوا
 كبيرا وقوله لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون أى هو الحاكم الذى لا معقب لحكمه ولا يعرض عليه احد اعظمته وجلاله وكبريائه
 وعلمه وحكمته وعدله ولطفه وهم يسئلون أى وهو سائل خلقه عما يعملون كقوله فوريك لنساء لئن لم أجعبن عما كانوا يعملون وهذه
 كقوله تعالى وهو يحير ولا يجار عليه (أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من قبل بل اكثرهم لا يعملون
 الحق فهم معرضون وما ارسلنا من قبلك الا نوحا اليه انه لا اله الا أنا فاعبدن) يقول تعالى أم اتخذوا من دونه آلهة
 قل يا محمد هاتوا برهانكم أى دليلكم على ما تقولون هذا ذكر من معنى القرآن وذكر من قبل يعنى الكتب المتقدمة على خلاف
 ما تقولونه وترغمون فكل كتاب انزل على كل نبي ارسل ناطق بانه لا اله الا الله ولكن انتم أيها المشركون لا تعلمون الحق فانه معرضون

عنه ولهذا قال وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون كما قال واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا
اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون وقال ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فكل نبي بعثه الله يدعو
الى عبادة الله وحده لا شريك له والقطرة شاهدة بذلك أيضا والمشركون لا يبرهان لهم وحجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم
عذاب شديد (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم
ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم ائني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين)
يقول تعالى راد اعلى من زعم ان له تعالى وتقدس ولدا من الملائكة كمن قال ذلك من العرب ان الملائكة بنات الله فقال سبحانه
بل عباد مكرمون أي الملائكة عباد الله مكرمون عنده في منازل عالية ومقامات (٢٧٥) سامية وهم له في غاية الطاعة قولا وفعلا

لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون أي لا يتقدمون بين يديه بأمر ولا يخالفونه فيما أمرهم به بل يسأرون الى فعله وهو تعالى علمه محيط بهم فلا يخفى عليه منهم خافية يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم وقوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى كقوله من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وقوله ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له في آيات كثيرة في معنى ذلك وهم من خشيته أي من خوفه ورهبة مشفقون ومن يقل منهم ائني اله من دونه أي من ادعى منهم انه اله من دون الله أي مع الله فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين أي كل من قال ذلك وهذا شرط والشرط لا يلزم وقوعه كقوله قل ان كان للرحمن ولد فانا أول العابدين وقوله لن أنشركت ليحبطن عملك ولتسكنن من الخاسرين (أو لم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففلقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون

وأبو حنيفة ان هذا الاستثناء يعود الى جملة الحكم بالفسق لا الى جملة عدم قبول الشهادة فيرفع بالتوبة عن القاذف وصف الفسق ولا تقبل شهادة أصل لا وذهب الشافعي والضحاك الى التفصيل فقل لا تقبل شهادة وان تاب إلا ان يعترف على نفسه بأنه قد قال البهتان حينئذ تقبل شهادته وقول الجمهور هو الحق لان تخصيص التقييد بالجملة الاخرى دون ما قبلها مع كون الكلام واحدا في واقعة شرعية من متكلم واحد خلاف ما تقتضيه لغة العرب وأولوية الجملة الاخيرة المتصلة بالقييد بكونه قيد الها لا تنفي كونه قيداً لما قبلها غاية الامر ان تقييد الاخيرة بالقييد المتصل بها أظهر من تقييد ما قبلها به ولهذا كان مجعاع عليه وكونه أظهر لا ينافي كونه فيما قبلها ظاهراً وقد أطل أهل الأصول الكلام في القيد الواقع بعد جمل بما هو معروف عند من يعرف ذلك الفن والحق هو هذا والاحتجاج بمواقع تارة من القيود عائدة الى جميع الجمل التي قبله وتارة الى بعضها لا تقوم به حجة ولا يصلح للاستدلال فانه قد يكون ذلك لدلائل كما وقع هنا من الاجماع واتفاق الأئمة الاربعة على عدم رجوع هذا الاستثناء الى جملة الجملد القاذف يجلد عند الجميع سواء تاب أو لم يتب ومما يؤيد ما قررنا ويقويه ان المانع عن قبول الشهادة وهو الفسق المتسبب عن القذف قد زال فلم يبق ما يوجب الردل الشهادة واختلف العلماء في صورة توبة القاذف فقال عمر بن الخطاب والشعبي والضحاك وأهل المدينة ان توبته لا تكون الا بان يكذب نفسه في ذلك القذف الذي وقع منه وأقيم عليه الحد بسببه وقالت فرقة منهم مالك وغيره ان توبته تكون بان يحسن حاله ويصلح عمله ويندم على ما فرط منه ويستغفر الله من ذلك ويعزم على ترك العود الى مثله وان لم يكذب نفسه ولا يرجع عن قوله وقد أجمعت الامة على أن التوبة تحو الذنب ولو كان كفرا فمحو ما هو دون الكفر بالاولى حكى هذا الاجماع القرطبي قال أبو عبيد الاستثناء يرجع الى الجمل السابقة وليس من رمى غيره بالزنا باعظم جرماً من من تركب الزنا والزاني اذا تاب قبلت شهادته لان التائب من الذنب كمن

وجعلنا في الارض رواسي ان تقيمهم وجعلنا فيها اجناس ليعلمهم ثم تدون وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون يقول تعالى منهم اعلى قدرته التامة وسلطانه العظيم في خلقه الاشياء وقهره لجميع المخلوقات فقال أولم ير الذين كفروا أي الجاحدون لاهيته العابدون معه غيره ألم يعلموا أن الله هو المستقل بالخلق المستبد بالتدبير فكيف يليق أن يعبد معه غيره أو يشركه بما سواه ألم يروا أن السموات والارض كانتا رتقا أي كان الجميع متصلا بعضه ببعض متلاصقا متراكم بعضه فوق بعض في ابتداء الامر ففتق هذه من هذه فجعل السموات سبعاً والارض سبعاً وفصل بين السماء الدنيا والارض بالهواء فامطرت السماء وأثبتت الارض ولهذا قال وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون أي وهم يشاهدون المخلوقات تحدث شأفاً عما نأوا ذلك كله دليل على وجود الصانع الفاعل المختار القادر على ما يشاء

أن تعبد بهم أي ثلاثتهم وقوله وجعلنا فيها جاسداً أي نغرافي الجبال يسلكون فيها طرقاً من قطر إلى قطر وأقلام إلى أقلام كما هو المشاهد في الأرض يكون الجبل هاتلين هذه البلاد وهذه البلاد فيجعل الله فيه فجوة نغرة ليسلك الناس فيها من ههنا إلى ههنا ولهذا قال لعلمهم يتدون وقوله وجعلنا السماء سقفا محفوظاً أي على الأرض وهي كالقبة عليها كما قال والسماء بيننا وبينكم وبيننا وبينكم وقال والسماء وما بناها فلم يتناروا إلى السماء فوقهم كيف بيننا وبيننا هاوزيناها وما لها من فروج والبناء هو نصب القبة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يخس أي خمسة دعائم وهذا لا يكون إلا في الخيام كما تعهد العرب محفوظاً أي عاليًا محروساً نال وقال مجاهد مرفوعاً وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا جندب بن عبد الرحمن الدمشقي حدثني أبي عن أبيه عن أشعث يعني ابن إسحق القمي عن جعفر بن أبي المغيرة عن (٢٧٧) سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال رجل

بارسول الله ما هذه السماء قال رجل هذا موج مكفوف عنكم اسناده غريب وقوله وهم عن آياتها معرضون كقوله وكان من آية في السموات والأرض يرون عليها وهم عنها معرضون أي لا يتفكرون فيما خلق الله فيها من الاتساع العظيم والارتفاع الباهر وما زينت به من الكواكب الثوابت والسيارات في ليلها وفي نهارها من هذه الشمس التي تقطع الفلك بكاله في يوم وليلة فتسير غاية لا يعلم قدرها إلا الله الذي قدرها وسخرها وسبرها وقدر ابن أبي الدنار رحمه الله في كتابه التفكر والاعتبار أن بعض عباد بني إسرائيل تعبد ثلاثين سنة وكان الرجل منهم إذا تعبد ثلاثين سنة أظلمت عمامته فلم يزد ذلك الرجل شيئاً مما كان يحصل لغيره فشكى ذلك إلى أمه فقالت له يا بني فلعلك أذنبت في مدة عبادتك هذه فقال لا والله ما أعلم قالت فلعلك هممت قال لا ولا هممت قالت

هذه النقصه أبو داود الطيالسي وعبد الرزاق واحد وعبد بن جبيرة وأبو داود وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس مطولة وآخر جهابذة البخاري ومسلم وغيرهم ما لم يسهوا الرجل ولا المرأة في آخر القصة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال له اذهب فلا سييل لك عليهم افعال يارسول الله مالي قال لا مال لك أن كنت صدقت عليهم افعول بما استحللت من فرجها وان كنت كذبت عليهم افعال ابعده لك منها وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن سهل بن سعد قال جاء عويمر إلى عاصم بن عدى فقال سل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أ رأيت رجلاً وجد مع امرأته رجلاً فقتله أ يقتل به أم كيف يصنع فسأل عاصم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاعاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المسائل فقال عويمر والله لا تبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا سأله فاتاه فوجده قد انزل عليه فدعاها ما فلا عن بينهما قال عويمر انطلقت بها يارسول الله لقد كذبت عليها فادفنها قبل أن يأمره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فصار سنة للمتلاعنين فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبصروها فان جاءت به أسهم أ دعي العيين عظيم الاليتين فلا أراه الا قد صدق وان جاءت به أحمر كأنه وحره فلا أراه الا كاذباً جاءت به مثل النعت المكروه وفي الباب أحاديث كثيرة وفيما ذكرنا كفاية وأخرج عبد الرزاق عن عمر بن الخطاب وعلى وابن مسعود قالوا لا يجتمع المتلاعنان أبداً ثم ذكر سبحانه بعد ذلك حكم التدف على العموم حكم نوع من أنواع التدف وهو قذف الزوج للمرأة التي تحتها بعقد النكاح فقال (والذين يرمون أزواجهم) جمع زوج بمعنى الزوجة فان حذف التاء منها أفحص من آياتها إلا في الفرائض ولم يقيدها بالمحصنات إشارة إلى أن اللعان يشرع في قذف المحصنة وغيرها فافهم في قذف المحصنة بسقط الحد عن الزوج وفي قذف غيرها يسقط التعزير كأن كانت ذميمة أو أمة أو صغيرة تحتل الوطء بخلاف قذف الصغيرة التي لا تحتله وبخلاف قذف الكبيرة التي ثبت زناها بينة أو اقرار

فلعلك رفعت بصرك إلى السماء ثم رددته بغير فكر فقال نعم كثيراً قالت فن ههنا أتيت ثم قال منها على بعض آياته فقال وهو الذي خلق الليل والنهار أي هذا في ظلامه وسكونه وهذا بضياءه وإنه يطول هذا تارة ثم يقصر أخرى وعكسه الآخر والشمس والقمر هذه لها نور يخصها وفلك بذاته وزمان على حدة وحركة وسير خاص وهذا نور آخر وفلك آخر وسير آخر وتقدير آخر وكل في فلك يسبحون أي يدورون قال ابن عباس يدورون كما يدور المغزل في الفلكة قال مجاهد فلا يدور المغزل إلا بالفلكة ولا الفلكة إلا بالمغزل كذلك النجوم والشمس والقمر لا يدورون إلا به ولا يدور إلا بهن كما قال تعالى فائق الاصباح وجعل الليل سكا والشمس والقمر حسباً ناذلك تقدير العزيز العليم (وما جعلنا البشر من قبلك الخلد) أفان مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت وبلوكم بالشرا والخير فتنه والينارت رجعون) يقول تعالى وما جعلنا البشر من قبلك أي يا محمد يد الخلد أي في الدنيا بل كل من عليها فان ويبقى وجهه

ربك ذوالجلال والا كرام وقد استدبل بهذه الآية الكريمة من ذهب من العلماء الى أن الخضر عليه السلام مات وليس بحي الى الآن لانه بشر سواء كان ولياً أو نبياً أو رسولاً وقد قال تعالى وما جعلنا البشر من قبلك الخلد وقوله أفان مت أى يا محمد فهم الخالدون أى يؤملون أن يعيشوا بعد ذلك لا يكون هذا بل كل الى الفناء ولهذا قال تعالى كل نفس ذائقة الموت وقد روى عن الشافعى رحمه الله انه أنشد واستشهد بهذين البيتين

تمنى رجال أن أموت وإن أمت * فتلك سبيل لست فيها باوحد

فقل للذى يبنى خلاف الذى مضى * تهماً لاخرى مثلها فكاك قد

وقوله ونبلوكم بالبشر والخير فتنة أى تختبركم بالمصائب تارة وبالنعيم أخرى فننظر من يشكر ومن يكفر ومن يصبر ومن يقنط كما قال علي بن أبى طلحة عن ابن عباس

(٢٧٨)

فان الواجب في قذفهما التعزير لا كنه لا يلاع لدفعه كفى كتب الفروع وقد وقع قذف الزوجية بالزنا لجماعة من الصحابة كهلal بن أمية وعوير المجاني وعاصم بن عدى (ولم يكن لهم شهداء) يشهدون بما رموه من الزنا (الأنفسهم) بالرفع على البديل من شهداء ولم يذكر الزنا شري غيره وقيل انه نعت له على أن الابعى غير بالانصب على الاستثناء على الوجه المار جوح ولا مفهوم لهذا القيد بل يلاع ولو كان واجدا للشهود الذين يشهدون بزناها النفي ولد ولد دفع العقوبة حداً أو تعزيراً (وشهادة أحدهم) أى الشهادة التى تزيل عنه حداً القذف أو فالواجب شهادة أحدهم أو شهادة أحدهم كائنة أو واجبة وقيل فعلمهم أن يشهد أحدهم (أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين) فيأمرها به من الزنا وهى المشهود به (و) الشهادة (الخامسة أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين) فيأمرها به من الزنا قرأ الجمهور أن بالتشديد ونافع بخفيها (ويدراً) أى يدفع (عنها) أى عن المرأة (العذاب) الذى هو الحد والمعنى انه يدفع عن المرأة الحد (ان تشهد) أى شهادتها (أربع شهادات بالله انه) أى الزوج (ان الكاذبين) فيأمرانى به من الزنا (و) تشهد الشهادة (الخامسة ان غضب الله عليها ان كان) الزوج (من الصادقين) فما رماها به من الزنا وتخصه يص الغضب بالمرأة للتعليظ عليها لكونها أصل الفجور ومادته ولان النساء يكثرن اللعن فى العادة ومع استكثرهن منه لا يكون له فى قلوبهن كبير موقع بخلاف الغضب (ولو لافضل الله عليكم) فيه التفات عن الغيبة والخطاب لكل من الفر يقين أى القاذفين والمقذوفات فى الكلام تغليب صيغة الذكور على صيغة الاناث حيث لم يقل عليكم وعليكن (ورجته) لنال الكاذب منه مما عذاب عظيم قاله الزجاج أو لعابلكم بالعقوبة ولكنه ستر عليكم ودفع عنكم الحد بالعنان أو لنضحكم بخواب لو محذوف ثم بين سبحانه كثير توته على من تاب وعظيم حكمته بالالفة فقال (وأن الله نواب) أى يعود على من تاب اليه ورجع عن معاصيه بالتوبة عليه والغفر له فى ذلك وغيره

قال علي بن أبى طلحة عن ابن عباس والغنى والنقر والحلال والحرام والطاعة والمعصية والهدى والضلال وقوله والينسار جمعون أى فنجاز بكم بأعمالكم (واذا رآك) للذين كذبوا ان يتخذونك الاهزوا أهذا الذى يذكركم آلهتكم وهو يذكركم الرحمن هم كافرون خلق الانسان من عجل سار بكم آتاك فلا تستعجلون) يقول تعالى لتبينه صلوات الله وسلامه عليه واذا رآك الذين كذبوا يعنى كفار قريش كائى جهل واشباهه ان يتخذونك الاهزوا اى يستهزؤن بك وينقصونك يقولون أهذا الذى يذكركم آلهتكم يعنون أهذا الذى يسب آلهتكم ويسفه أحلامكم قال تعالى وهم يذكركم الرحمن هم كافرون أى وهم كافرون بالله ومع هذا يستهزؤن برسول الله ما قال فى الآية الاخرى واذا رآك ان يتخذونك الاهزوا أهذا الذى بعث الله رسولا ان كاد ليلضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون

(حكيم)

حين يرون العذاب من اضل سبيلا وقوله خلق الانسان من عجل كما قال فى الآية الاخرى وكان الانسان عجولاً أى فى الامور قال مجاهد خلق الله آدم بعد كل شئ من آخر النهار من يوم خلق الخلاق فلما أحيا الروح عينيه ولسانه ورأسه ولم يبلغ أسنانه قال يارب استعجل بخلقى قبل غروب الشمس وقال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا يزيد بن هرون أنبأنا محمد بن علقمة بن وقاص اللبني عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلع فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أهيأ منها وفيه تقوم الساعة وفيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يصلى وقبض أصابعه يقللها فسأل الله خيرا الا أعطاه اياه قال أبو سلمة فقال عبد الله بن سلام قد عرفت تلك الساعة هى آخر ساعات النهار من يوم الجمعة وهى التى خلق الله فيها آدم قال الله تعالى خلق الانسان من عجل سار بكم آتاك فلا تستعجلون والحكمة فى ذكر عجلة الانسان ههنا انه لما ذكر المسبتهزؤن بالرسول صلوات الله وسلامه عليه وقع فى النفوس سيرة الانتقام منهم واستعجلت

ذلك فقال الله تعالى خلق الانسان من عجل لانه تعالى عجل للظالم حتى اذا اخذته لم يفلته يؤجل ثم يعجل وينظر ثم لا يؤخر ولهذا قال سأريكم آياتي أى نقي وحكمى واقتدارى على من عصانى فلا تستعجلون (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون بل تأتيتهم بغتة فتبهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون) يخبر تعالى عن المشركين انهم يستعجلون أيضا بوقوع العذاب بهم - ثم تكذبا ويجحدوا وكفروا عنادوا واستبعادا فقال ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قال الله تعالى لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم لو يتقنوا انه واقع بهم لامحالة لما استعجلوا به لو يعلمون حين يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل لهم من جهنم مهادون من فوقهم غواش (٢٧٩) وقال فى هذه الآية حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم وقال سرايلهم

من قطران وتغشى وجوههم النار من فالعذاب محيط بهم من جميع جهاتهم ولا هم ينصرون أى لا ناصر لهم كما قال وما لهم من الله من واق وقوله بل تأتيتهم بغتة أى تأتيتهم النار بغتة أى فجأة فتبهم أى تدعهم فيستسلمون لها حائرين لا يدرون ما يصنعون فلا يستطيعون ردها أى ليس لهم حيلة فى ذلك ولا هم ينظرون أى ولا يؤخر عنهم ذلك ساعة واحدة (ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا يستهزئون قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون ام لهم آلهة تمنعهم من دونه لا يستطيعون نصرا أنفسهم ولا هم مناصحون) يقول تعالى مسليا رسوله عما آذاه به المشركون من الاستهزاء والكذب ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا يستهزئون يعنى من العذاب الذى كانوا

(حكيم) فيما شرع لعباده من الله ان وفرض عليهم من الحدود (ان الذين جاؤا بالافك) هذا شروع فى الآيات المتعلقة بالافك وهى ثمانية عشر تنتهى بقوله أولئك مبرؤن والافك أسوء الكذب وأفسسه وأقبحه وهو مأخوذ من أفك الشئ اذا قلبه عن وجهه فالافك هو الحديث المقلوب لكونه مصر وفاق الحق وقيل هو المبهتان وأجمع المسلمون على ان المراد بما فى الآية ما وقع من الافك على عائشة أم المؤمنين وانما وصفه الله بأنه افك لان المعروف من حاله ارضى الله عنها خلاف ذلك قال الواحدى ومعنى القلب فى هذا الحديث الذى جاء به أولئك النفر أن عائشة كانت تستحق النماء بما كانت عليه من الحصانة والشرف والعقل والديانة وعلو النسب والسبب والعفة لا القذف فالذين رموها بالسوء قلبوا الامر عن وجهه فهو افك كقبح وكذب ظاهر (عصبة منكم) العصبة الجماعة من العشرة الى الاربعين والمراد بهم هنا عبد الله بن أبى رأس المنافقين وزيد بن رفاعه وحسان بن ثابت ومسطح بن أثانة وحنيفة بنت جحش ومن ساعدتهم وقيل العصبة من الثلاثة الى العشرة وقيل من عشرة الى خمسة عشر وأصلها فى اللغة الجماعة الذين يتعصب بعضهم لبعض وقد أخرج البخارى ومسلم وأهل السنن وغيرهم حديث عائشة الطويل فى سبب نزول هذه الآيات بالفاظ متعددة وطرق مختلفة حاصله ان سبب النزول هو ما وقع من أهل الافك الذين تقدم ذكرهم فى شأن عائشة وذلك انها خرجت من هودجها التمس عقدا لها انقطع من جزع فرحلوا وهم ينظرون انها فى هودجها فرجعت وقد ارتحل الجيش والهودج معهم فاقامت فى ذلك المكان ومريها صقوان بن المعطل وكان متأخرا عن الجيش فاناخ راحلته وحملها عليه فلما رأى ذلك أهل الافك قالوا ما قالوا فبرأها الله عما قالوا هذا حاصل القصة مع طولها وتشعب أطرافها فلا نطول بذلك وجلة (لا تحسبوه شرا لكم) ان كانت خبر الان فظاهر وان كان الخبر عصبة فهى مستأمنة خوطب بها النبى صلى الله عليه وآله وسلم وعائشة وأبو بكر وصفوان بن المعطل الذى قذف مع عائشة

يستعدون وقوعه كما قال تعالى ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى آتاهم نصرنا ولا يبدل لكلمات الله ولقد جاءنا من نبأ المرسلين ثم ذكر تعالى نعمته على عبده فى حفظه لهم بالليل والنهار وكلاءته وحراسته لهم بعينه التى لا تنام فتقال قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن أى يدل الرحمن يعنى غيره كما قال الشاعر

جارية لم تلبس المرققا * ولم تذق من البقول الفستقا
أى لم تذق بدل البقول الفستق وقوله تعالى بل هم عن ذكر ربهم معرضون أى لا يعترفون بنعمة الله عليهم واحسانه اليهم بل يعرضون عن آياته وآلائه ثم قال أم لهم آلهة تمنعهم من دونه استذهام انكار وتقرير وتوبيخ أى لهم آلهة تمنعهم وتكلؤهم غيرنا ليس الامر كما توهموا الا ولا كما زعموا ولهذا قال لا يستطيعون نصرا أنفسهم أى هذه الآلهة التى استندوا اليها غير الله لا يستطيعون نصرا أنفسهم وقوله ولا هم مناصحون قال العوفي عن ابن عباس ولا هم مناصحون أى يجارون وقال قتادة لا يصحبون من الله بخير وقال غيره ولا هم مناصحون يعنون (بل متعنا

هؤلاء وآبائهم حتى طال عليهم العمر أفلا يرون أنا أنأتى الأرض تنقصهم من أطرافها أفهم الغالبون قل إنما أنذركم بالوحي ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون ولئن مستهم نفعه من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا أنا كنا ظالمين ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين يقول تعالى مخبر عن المشركين إنما غرهم وحلهم على ما هم فيه من الضلال أنهم متعوفى الحياة الدنيا ونعموا وطال عليهم العمر في ما هم فيه فاعتقدهوا أنهم على شئ ثم قال واعظا لهم أفلا يرون أنا أنأتى الأرض تنقصهم من أطرافها اختلف المفسرون في معناه وقد أسلفناه في سورة الرعد وأحسن ما فسر بقوله تعالى ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون وقال الحسن البصرى يعنى بذلك ظهور الاسلام على الكفر والمعنى أفلا يعتبرون بنصر الله لا وليائهم على أعدائهم وأهلكناهم (٢٨٠) المكذبة والقرى الظالمة ونجنا لعباده المؤمنين ولهذا قال أفهم

الغالبون يعنى بل هم الغالبون الاسفلون الاخسرون الارذلون وقوله قل إنما أنذركم بالوحي أى إنما أنا مبلغ عن الله ما أنذرتكم به من العذاب والذكال ليس ذلك إلا عما أوحاه الله الى ولكن لا يجدى هذا عن أعمى الله بصيرته وختم على سمعه وقلبه ولهذا قال ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون وقوله ولئن مستهم نفعه من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا أنا كنا ظالمين أى ولئن مس هؤلاء المكذبين أدنى شئ من عذاب الله ليعترفن بذنوبهم وانهم كانوا ظالمين أنفسهم في الدنيا وقوله ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا أى ونضع الموازين العدل ليوم القيامة الاكثر على انه إنما هو ميزان واحد وإنما جع باعتبار تعدد الاعمال الموزونة فيه وقوله فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين كما قال تعالى ولا ينظرك أحد او قال

أم المؤمنين وتسلمية لهم والضمير المنسوب للآفة والشر ما زاد ضرره على نفعه (بل هو خير لكم) الخير ما زاد نفعه على ضرره وأما الخير الذى لا شرف فيه فهو الجنة والشر الذى لا خير فيه فهو النار ووجه كونه خير لهم انه يحصل لهم به الثواب العظيم مع بيان براة أم المؤمنين عائشة وصيرورة قصته اهذه شرعا ما وهذا غاية الشرف والفضل وفيه تم ويل الوعيد لمن تكلم فيهم والثناء على من ظن بهم خيرا (لكل امرئ منهم) أى من العصبية الكاذبة (ما اكتسب من الاثم) بسبب تكلمه بالافك (والذى تولى) أى تحمل (كبره) أى معظمه (منهم) فبدأ بالخوض فيه وأشاعه وهو ابن أبى قريظة بنهم الكاف قال القراء وهو وجه جيد لان العرب تقول فلان تولى عظم كذا وكذا أى أ كبره وقرى بكسر هاء قيل هما لغتان وقيل هو بالضم معظم الافك وبالكسر البداءة به وقيل هو بالكسر الاثم فالمعنى ان الذى تولى معظم الافك من العصبية (له عذاب عظيم) فى الدنيا وفى الآخرة وفيهم ما واختلف في هذا الذى تولى كبره من عصبية الافك من هو منهم فقيل هو عبد الله بن أبى وقيل هو حسان والاقل هو الصحيح وقد روى محمد بن اسحق وغيره ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم جلد فى الافك رجلين وامرأة وهم مسطح بن أثانة وحسان بن ثابت وحنة بنت جحش وقيل جلد عبد الله بن أبى وحسان وحنة ولم يجلد مسطح لان لم يصرح بالقذف ولكن كان يسمع ويشبع من غير تصريح وقيل لم يجلد احدا منهم قال القرطبي المشهور ومن الاخبار والمعروف عند العلماء ان الذين حسدوا حسان ومسطح وحنة ولم يسمع بمحمد لعبد الله بن أبى ويؤيد هذا ما فى سنن أبى داود عن عائشة قال لما نزل عذرى قام النبي صلى الله عليه وآله وسلم فذكر ذلك وتلا القرآن فلما نزل من المنبر أمر بالرجلين والمرأة فضر بواحدهم وسماهم حسان ومسطح وحنة وأختلفوا فى وجه تركه صلى الله عليه وآله وسلم لجلد عبد الله بن أبى فقيل لتوفير العذاب العظيم له فى الآخرة وحين عداه ليكون ذلك تكفير الذنوب ثم كاثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم فى الحدود انه قال انها كفارة لمن

ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تلك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجر عظيما وقال لقمان يا بني انك مثقال حبة من اقيمت خردل فتسكن فى صحرة أو فى السموات أو فى الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير وفى الصحيحين عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وقال الامام أحمد حدثنا ابراهيم بن اسحق الطالقاني حدثنا ابن المبارك عن ليث بن سعد عن عامر بن يحيى عن أبى عبد الرحمن الجبلى قال سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يستخلص رجلا من امتى على رؤس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مد البصر ثم يقول أأنكر من هذا شيئا أظلمت كتبى الحافظون قال لا يارب قال افك عذرا وحسنة قال فبهت الرجل فيقول لا يارب فيقول بلى ان لك عندنا حسنة واحدة لا ظلم عليك اليوم فتخرج له بطاقة فيها

أشهد أن لا إله الا الله وان محمداً رسول الله فيقول أحضره وفيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السموات فيقول انك لا تطعم قال
 فتوضع السموات في كفة والبطاقة في كفة قال فطاشت السموات وثقلت البطاقة قال ولا يشعل نبي (٣) مع اسم الله الرحمن الرحيم رواه
 الترمذي وابن ماجه من حديث الليث بن سعد وقال الترمذي حسن غريب وقال الامام أحمد حدثنا قيس بن عباد عن ابن لهيعة عن عمرو
 ابن يحيى عن أنس بن عبد الله بن عروة بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوضع الموازين يوم القيامة
 فيؤتى بالرجل فيوضع في كفة ويوضع ما أحصى عليه فيما يلي به الميزان قال فيبيع بثب إلى البار قال فإذا أدبر به إذا صاح من عند الرحمن
 عز وجل يقول لا تتجملوا فإنه قد بقي له فيؤتى ببطاقة فيها لا إله الا الله فتوضع مع الرجل في كفة حتى يعامل به الميزان وقال الامام أحمد
 أيضاً حدثنا أبو نوح فزاد أن أبا ناليث بن سعد عن مالك بن أنس عن (٢٨١) الزهري عن عروة عن عائشة ان رجلاً من
 أصحاب رسول الله صلى الله عليه

وسلم جلس بين يديه فقال يا رسول الله
 ان لي مملوكين يكذبونني ويخونونني
 ويعصونني وأضرهم وأشدهم
 فكيف أنا منهم فقال له رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يحسب ما خاولوك
 وعصوك وكذبوك وعقابك اياهم
 فان كان عقابك اياهم بقدر ذنوبهم
 كان كفافاً لك ولا عليك وان كان
 عقابك اياهم دون ذنوبهم كان فضلاً
 لك وان كان عقابك اياهم فوق
 ذنوبهم اقتص لهم من الفضل
 الذي بقي قبلك فجعل الرجل يبكي بين
 يدي رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ويهتف فقال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم ما له ما يقرأ كتاب الله
 ونضع الموازين القسط ليوم القيامة
 فلا تطعم نفس شيئاً وان كان مثقال
 حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا
 حاسمين فقال الرجل يا رسول الله
 ما أجده شيئاً أخيراً من فراق هؤلاء
 يعني عبيده اني أشهدك انهم أحرار
 كلهم (ولقد آتينا موسى وهرون

أقيمت عليه وقيل ترك حده قالنا القوم واحتراماً لانه فانه كان من صالحى المؤمنين
 واطفأنا لثائرة الفتنة فتد كان ظهرت مبادئهم من سعد بن عباد ومن معه كفى صحيح
 مسلم وأخرج البخارى وابن المنذر والطبرانى وابن مردويه والبيهقى في الدلائل عن
 الزهري قال كنت عند الوليد بن عبد الملك فقال الذى تولى كبره منهم على فقلت
 لاحدثنى سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعلمة بن وقاص وعبد الله بن عبد الله بن
 عتبة بن مسعود كلهم مع عائشة تقول الذى تولى كبره منهم عبد الله بن أنس قال فقال لى فما
 كان جرماً قلت حدثنى شيخان من قومك أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف وأبو بكر بن
 عبد الرحمن بن الحارث بن هشام انهما معاً عائشة تقول كان مسياً فى أمرى وقال يعقوب
 ابن شبيب فى مسنده دخل سليمان بن يسار على هشام بن عبد الملك فقال له يا سليمان الذى
 تولى كبره من هو قال ابن أنس قال كذبت هو على قال أمير المؤمنين أعلم بما يقول فدخل
 الزهري فقال يا ابن شهاب من الذى تولى كبره فقال ابن أنس قال كذبت هو على قال أنا
 أكذب لا ابالأك والله لو نادى مناد من السماء ان الله قد أحل الكذب ما كذبت حدثنى
 عروة وسعيد وعبد الله وعائشة عن عائشة ان الذى تولى كبره عبد الله بن أنس وأخرج
 البخارى ومسلم وغيرهما عن مسروق قال دخل حسان بن ثابت على عائشة فشيب وقال
 حصان رزان ما ترن بريبة * رتصبح غرثى من لحوم الغوافل

قالت لكنك است كذالك قلت تدعين مثل هذا يدخل عليك وقد أنزل الله فيه والذى تولى
 كبره منهم له عذاب عظيم فقالت وأنى عذاب أشد من العصى ثم صرف سبحانه الخطاب عن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه الى المؤمنين بطريق الالتفات فقال (لولا)
 تحضية أى هلا (اذ سمعتموه من المؤمنين والمؤمنات بانفسهم خيراً) تأكيدها
 للتوبيخ والتقرير ومبالغة فى معاتبتهم وشروع فى توبيخهم وتعييرهم وزجرهم بتسعة
 زواجر الاول هذا والثاني لولا جازاً عليه والثالث ولولا فضل الله والرابع اذلقونه

(٣٦ - فتح البيان سادس) الفرقان وضياء وكذا الممتقين الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مثفقون
 وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفانتم له منكرون قد تقدم التبيين على ان الله تعالى كثيراً ما يقرن بين ذكر موسى ومحمد صلوات
 الله وسلامه عليهم ما بين كتابهما ولهذا قال ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان قال مجاهد يعنى الكتاب وقال أبو صالح التوراة
 وقال قتادة التوراة حلالها وحرامها وما فرق الله بين الحق والباطل وقال ابن زيد يعنى النصر وجامع القول فى ذلك ان الكتب
 السماوية مشتملة على التفرقة بين الحق والباطل والهدى والضلال والغي والرشاد والحلال والحرام وعلى ما يحصل نوراً فى القلوب
 وهداية وخوفاً وانبابة وخشية ولهذا قال الفرقان وضياء وكذا الممتقين أى تذكيرهم وعظة ثم وصفهم فقال الذين يخشون ربهم
 بالغيب كقوله من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب وقوله ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير وهم من
 (٣) قوله مع بسم الله الرحمن الرحيم هكذا فى الاصل وانظره مع ما قبله وحرر الرواية اه

الساعة مشفقون أي خائفون وجلون ثم قال تعالى وهذا ذكر مبارك أنزلناه يعني القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فأنتم له منكرون أي أفنتمكرونه وهو في غاية الجلاء والظهور (ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عاينين) إذ قال لا ييه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون قالوا وجدنا آباءنا على آباءنا ما كنا عاكفين قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين قالوا أجبنا بالحق أم أنت من اللادعين قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين) يخبر تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام أنه آتاه رشده من قبل أي من صغره ألهمه الحق والخيرة على قومه كما قال تعالى وتلك جنتنا آتيناها إبراهيم على قومه وما يدرك من الأخبار عنه في ادخال أبيه له في السرب وهو رضيع وأنه خرج به بعد أيام فنظر إلى الكوكب والخلق فتبصر فيها وما قصه كثير (٢٨٢) من المفسرين وغيرهم فعاتبها حديث بنى إسرائيل فوافق منها الحق مما

بأيدينا عن المعصوم قبلنا له موافقته الصحيح وما خاف شأ من ذلك رددناه وما ليس فيه واقفة ولا مخافة لا تصدقه ولا تكذبه بل نجعله وقفا وما كان من هذا الضرب منها فند رخص كثير من الساف في روايتها وكثير من ذلك مما لا فائدة فيه ولا حاصل له بما ينفع به في الدين ولو كانت فائدة تعود على المكفين في دينهم لبيته هذه الشريعة الكاملة الشاملة والذي نسلكه في هذا النفسير الأعراض عن كثير من الأحاديث الإسرائيلية لما فيها من تضيق الزمان ولم اشتمل عليه كثير منها من الكذب المروج عليهم فانهم لا تفرقة عندهم بين صحيحها ومستقيمها كما حرره الأئمة الحفاظ المتقنون من هذه الأمة والمتصود ههنا ان الله تعالى أخبر أنه قد أتى إبراهيم رشده من قبل أي من قبل ذلك وقوا وكنا به عاينين أي وكان أهلا لذلك ثم قال إذ قال لا ييه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون

والخامس ولولا إذ سمعتموه والسادس بعظكم الله والسابع ان الذين يحبون والثامن ولولا فضل الله عليكم والتاسع بأيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان إلى سميع عليهم ومعنى الآية كان ينبغي للمؤمنين حين سمعوا مقالة أهل الإفك ان يقيسوا ذلك على انفسهم فان كان ذلك يعد فيهم فهو في أم المؤمنين أبعد وقيل كان ينبغي لكم بعد سماعه ان تحسنوا الظن في أم المؤمنين فضلا عن ان تتبادوا في سماعه فضلا ان تصر واعلمه بعد السماع قال الحسن معنى بانفسهم باهل دينهم لان المؤمنين كنفس واحدة في اشتراك الكل في الايمان ألا ترى إلى قوله ولا تقتلوا أنفسكم قال الزجاج وكذلك يقال للقوم الذين يقتل بعضهم بعضا انهم يقتلون انفسهم قال المبرد ومثله قوله تعالى فاقتلوا أنفسكم قال الفحاح معنى بانفسهم باخوانهم وقيل بآبائهم فوجب الله سبحانه على المسلمين اذا سمعوا رجلا يقول أحدا يذكره بشيخ لا يعرفونه به أن يشكروا عليه ويكذبوه وانما عدل عن الخطاب إلى الغيبة وعن الصبر إلى الظاهر ولم يقل ظننتم بانفسكم خيرا وقلتم لبيالغ في التوبيخ بطريق الالتفات ولابد التصريح بالنظر الايمان على أن الاشتراك فيه يقتضي أن لا يصدق مؤمن على أخيه ولا مؤمنة على أختها اقول عائب ولا طاعر وهذا من الادب الحسن الذي قل التأم به والحفاظ له وليست بحمد من يسمع فيسكت ولا يسمع ما يسمعه باخوانه وكذا بالمر كذبان يحدث بكل ما سمع قال العلماء في الآية دليل على ادرجة الايمان والعفاف لا يزل بها الخبر المحتمل وان شاع وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وغيرهم عن بعض الانصار أن امرأة أبي أيوب قالت له حين قال أهل الإفك ما قالوا ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة قال بلى وذلك الكذب أنت فاعله ذلك بأمر أيوب قالت لا والله قال فعائشة خير منك وأطيب انما هذا كذب وافك باطل فلما نزل القرآن ذكر الله من قال من الناحية ما قال من أهل الإفك ثم قال ولولا إذ سمعتموه الآية أي كما قال أبو أيوب وساجدته (وقالوا) أي قال المؤمنون عند سماع

الافك

هذا هو الرشيد الذي أوتيه من صغره الانكار على قومه في عبادة الاصنام من دون الله عز وجل فقال

ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون أي معتكفون على عبادتها قال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد الصباح حدثنا أبو معاوية الضرير حدثنا سعيد بن طريف عن الاصمعي بن نباتة قال مر على قوم يلعبون بالشرطي فقال ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون لأن عيسى أحدكم جراح حتى يطنأ خياله من أن يسميها قالوا وجدنا آباءنا على آباءنا ما كنا عاكفين قالوا آباءهم الضلال ولهذا قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين أي الكلام مع آباءكم الذين احتججتم بضيقتهم كالكلام معكم فأنتم وهم ضلال على غير الطريق المستقيم فلما سمعهم وضلل آباءهم واحتقر آلهتهم قالوا أجبنا بالحق أم أنت من اللادعين يقولون هذا الكلام الصادر عنك تقوله لاعبا ومحض فقه فأنتم تسمع به قبلك قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن

أى ربكم الذى لا اله غيره هو الذى خلق السموات والارض وما حوت من المخلوقات الذى ابتدأ خلقهم وهو الخالق لجميع الاشياء
واناعلى ذلكم من الشاهدين أى وأنا أشهد انه لا اله غيره ولا رب سوا (وتالله لا يكيدن اصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فاعلمهم
جذاذا الا كبير الهم لعلهم اليه يرجعون قالوا من فعل هذا يا آلهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتيذكرهم يقال له ابراهيم قالوا فأتوا
به على أعين الناس لعلهم يشهدون قالوا أنت فعلت هذا يا آلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون ثم
اقسم الخليل قسما أسمع به بعض قومه ليكيدن اصنامهم اى يحرضن على اذهابهم ويكسبرهم بعد ان تولوا مدبرين أى الى عبيدهم
وكان لهم عيد يخرجون اليه قال السدي لما اقترب وقت ذلك العيد قال أبو يابى لخرجت معنا الى عيدنا لا نجعل لك ديننا فخرج
معهما فلما كان ببعض الطريق أتى نفسه الى الارض وقال انى سقيم (٢٨٣) فجعلوا يعرون عليه وهو صريع فبقولون معه

فيقول انى سقيم فلما جاز عامتهم
وبقى ضعناوهم قال تالله لا كيدن
اصنامكم فسمعوا أولئك وقال ابن
اسحق عن أبي الاوص عن عبد
الله قال لما خرج قوم ابراهيم الى
عيدهم مروا عليه فقالوا يا ابراهيم
لا تخرج معنا قال انى سقيم وقد كان
بالامس قال تالله لا كيدن
اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين
فسمعوا ناس منهم وقوله فجعلهم
جذاذا أى حطاما كسرها كلها
الا كبير الهم يعنى الا الصنم الكبير
عندهم كما قال فراغ عايمهم ضربا باليمين
وقوله لعلهم اليه يرجعون ذكروا
ان وضع انقدروم يد كبيرهم لعلهم
يعتقدون انه هو الذى غار لنفسه
وأنف ان تعبد معه هذه الاصنام
الصغار فكسرها قالوا من فعل هذا
يا آلهتنا انه لمن الظالمين أى حين
رجعوا وشاهدوا ما فعله الخليل
باصنامهم من الاهانة والاذلال
الدال على عدم الهيتها وعلى سخافة
عقول عابديها قالوا من فعل هذا

الافث (هذا امين) أى كذب بين ظاهر مكشوف لاحتمية قوله (تولوا جاوا
عليه) من تمام ما يقوله المؤمنون أى هلا جاء الخائفون فى الافث (باربعة شهادا)
يشهدون على ما قالوا (فاذلم يا ابا يشهدا فاولا ث) أى الخائفون فى الافث (عند
الله) أى فى حكمه وقضائه الاذلى أو شرعه المؤسس على الدلائل الظاهرة المتقنة (هم
الكاذبون) أى القاذفون الكاملون فى الكذب وهذا من باب الزاجر (ولولا فضل الله
عليكم ورحمته فى الدنيا والاخرة) هذا خطاب للسامعين وفيه زجر عظيم ولولا هذه هى
لامتناع الشئ لوجود غيره والمعنى لولا انى قضيت عليكم بالنصل فى الدنيا بالنعم التى من
جلتها الامهال للتوبة والرحمة فى الآخرة بالعشو (لمسكم فيما أفضتم) أى بسبب ما أفضتم
(فيه) من حديث الافث والابهام لتحويل امره يقال أفاض فى الحديث واندفع وخاض
بمعنى (عذاب عظيم) أى اعاجلناكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الافث وقيل
المعنى لولا فضل الله عليكم لمسكم العذاب فى الدنيا والآخرة معا ولكن برحمته ستر عليكم
فى الدنيا ويرحمكم فى الآخرة من آناه ثانيا (اذ تلقونه بالسلامتكم) من التلقى والاصل
تلقونه قال مقاتل ومجاهد المعنى برونه بعضكم عن بعض قول الكلبي وذلك ان
الرجل منهم يلقى الرجل فيقول بلغنى كذا وكذا ويلتقونه ثانيا قال الزجاج معناه يلقيه
بعضكم الى بعض وقرئ من الالتقاء ومعناها واضح وقرئ بفتح التاء وكسر اللام وضم
القاف وهى مأخوذة من قول العرب القى الرجل يلقى واذا كذب قال ابن سيده جاوا
بالمعنى شاعدا على غير المتعدي قال ابن عطية وعندى أراد يلقون فيه فحذف حرف
الجرف اتصل الضمير وقال الخليل وأبو عمرو وأصل الولى الاسراع يقال جاءت الابل تلقى
أى تسرع وعن ابن جرير مثله وزاد الولى هو الاسراع بالشئ بعد الشئ كعدد فى اثر عدد
وكلام فى اثر كلام وقرئ تألقونه من الالتق وهو الكذب وقرئ يلقونه وهو مضارع
واقى بكسر اللام والتلقى والتلقف والتلقن معان متقاربة بخلاف لان فى الاول معنى

يا آلهتنا انه لمن الظالمين أى فى صنيعة هذا قالوا سمعنا فتيذكرهم يقال له ابراهيم أى قال من سمعه يحلف انه ليكيدنهم سمعنا
فتى أى شأبا يذكرهم يقال له ابراهيم قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عوف حدثنا سعيد بن منصور وحدثنا جرير بن عبد الحميد عن
قائوس عن أبيه عن ابن عباس قال ما بعث الله نبيا الا شابا ولا أوفى العليم عالم الا وهو شاب وتلاه هذه الآية قالوا سمعنا فتيذكرهم
يذكرهم يقال له ابراهيم وقوله قالوا فأتوا به على أعين الناس أى على رؤس الاشهاد فى الملا الا كبير يحضرة الناس كلهم وكان
هذا هو المقصود الا كبير لابراهيم عليه السلام ان يبين فى هذا المحفل العظيم كثرة جهلهم وقلة عقلهم فى عبادة هذه الاصنام التى
لا تدفع عن نفسها خيرا ولا تملك لها نصرا فكيف يطلب منها شئ من ذلك قالوا أنت فعلت هذا يا آلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله
كبيرهم هذا يعنى الذى تركه لم يكسره فاسألوهم ان كانوا ينطقون وانما أراد بهذا ان يادروا من تلقاء أنفسهم فيعترفوا انهم

لا ينطقون وان هذا لا يصدر عن هذا الصنم لانه جاد وفي الصحيحين من حديث هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ابراهيم عليه السلام لم يكذب غير ثلاث ثنتين في ذات الله قوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله اني ستيم قال ويينا هو يسير في أرض جبار من الجبابرة ومعه سارة اذ نزل - نزل افاقي الجبار رجل فقال انه قد نزل ههنا رجل بارضك معه امرأه أحسن الناس فارسا اليه فجاء فقال ما هذه المرأة منك قال هي أختي قال فاذهب فارسل بها الي فاطلق الي سارة فقال ان هذا الجبار قد ساءني عنك فاخبرته بانك أختي فلا تكذبي عنده فانك أختي في كتاب الله وانه ليس في الارض مسلم غيري وغيرك فانطلق بها ابراهيم ثم قام يصلي فلما ان دخلت عليه فرأها أهوى اليها فتناولها فأخذها أخذاً شديداً فقال ادعي الله لي ولا أضرك فدعت له فأرسل فأهوى اليها فتناولها (٢٨٤) فأخذ بها فأشدد ففعل ذلك الثالثة فأخذ فذكر مثل المرتين الاوتين

فقال ادعي الله ولا أضرك فدعت له فأرسل ثم دعا أدنى حجابها فقال انك لم تأتني بانسان ولكنك انتي بشيطان أخرجه وأعطها هاجر فأخرجت وأعطت هاجر فأقبل فلما أحس ابراهيم بعجيئها انفتل من صلاته وقال مهيم قالت كفى الله كيد الكافر الناظر وأخذ مني هاجر قال محمد بن سيرين فكان أبو هريرة اذا حدث به - هذا الحديث قال تلك أمكم يا بني ماء السماء (فرجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون ثم نكسوا على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون قال أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئا ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون) يقول تعالى مخبراً عن قوم ابراهيم حين قال لهم ما قال فرجعوا الى أنفسهم أي بالملافة في عدم احترازهم وحراستهم لا آلهتهم فقالوا انكم أنتم الظالمون أي في ترككم لها مهمله لا حافظ

الاستقبال وفي الثاني معنى الخطف والاخذ بسرعة وفي الثالث معنى الحذق والمهارة وقال الراغب في التلقن الحذق في تناول وفي التلقف الاحتيال فيه (وتقولون بأفوا همكم ما ليس لكم به - لم) معناه ان قولهم هذا مختص بالا فواء من غير ان يكون واقعاً في الخارج معتقداً في القلوب وقيل ان ذكر الافواه لئلا يكيد كما في قوله بطير يجناحيه ونحوه (وتحسبون) أي الحديث الذي وقع الخوض فيه والاذاعة (هيناً) أي شياً يسيراً لا يلحقكم فيه اثم (وهو عند الله عظيم) ذنبه وعقابه والجملة في محل الحال قيل جزع بعضهم عند الموت فقليل له في ذلك فقال أخاف ذنباً لم يكن مني على بال وهو عند الله عظيم (ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا) - هذا اعتبار لجميع المؤمنين أي هلا اذ سمعتم حديث الافك قلتم فكذبوا للغايبين فيه المنقرين له بمجرد اول السماع ما ينبغي لنا ولا يمكننا ان نتكلم بهذا الحديث ولا يصدر ذلك منا بوجه من الوجوه (سبحانك هذا بهتان عظيم) التعجب من أولئك الذين جاؤوا بالافك وأصله التنزيه لله سبحانه ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه والبهتان هو ان يقال في الانسان ما ليس فيه أي هذا كذب عظيم لكونه قيل في أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها وصدوره مستحيل شرعاً من مثلها ثم وعظ سبحانه الذين خاضوا في الافك فقال (يعظكم الله ان تعودوا لمثله أبداً) أي ينهيكم أو يخرج الله عنكم قاله ابن عباس أو يحرم عليكم أو ينهاكم كراعاة أن تعودوا أو من ان تعودوا أو في ان تعودوا لمثل هذا القذف أو استماع حديثه مدة حياتكم (ان كنتم مؤمنين) فان الايمان يقتضى عدم الوقوع في مثله مادامتم أحياء وفيه تهيج عظيم وتقريع بالغ (ويبين الله لكم الآيات) في الامر والنهي لتعملوا بذلك وتتأدبوا بأداب الله وتزجر واعين الوقوع في محارمه (والله عليم) بما تبدونه وما تخفونه أو بأمر عائشة وصفوان (حكيم) في تدبيراته خلقه أو في حكمه ببراءتهم ما هم - عدد سبحانه القاذفين ومن اراد ان يتسامع الناس بعيوب المؤمنين وذنوبهم فقال (ان الذين يحبون ان تشيع

عندها ثم نكسوا على رؤسهم أي ثم اطرقوا في الارض فقالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون قال قتادة أدركت القوم (الناحشة) حيرة سوء فقالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون وقال السدي ثم نكسوا على رؤسهم أي في القفنة وقال ابن زيد أي في الرأي وقول قتادة أظهر في المعنى لانهم انما فعلوا ذلك حيرة وعجزاً ولهذا قالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فكيف تقول لنا سلوهم ان كانوا ينطقون وأنت تعلم انها لا تنطق فعندها قال لهم ابراهيم لما اعترفوا بذلك أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئا ولا يضركم أي اذا كانت لا تنطق وهي لا تنفع ولا تضر فلم تعبدونهم من دون الله أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون أي أفلا تتدبرون ما أنتم فيه من الضلال والكفر الغليظ الذي لا يروى الا على جادل ظالم فاجر فاقام عليهم الحجة والزعم بها ولهذا قال تعالى وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه الآية (قالوا حر قومه وانهصر وآلهتكم ان كنتم فاعلين قلنا يا نار كوني بردا وسلاماً على ابراهيم وأرادوا به

كيدا فجعلناهم الاخسرين) لما دحضت حججهم وبان عجزهم وظهور الحق واندفع الباطل عدلوا الى استعمال جاد ملصكهم فقالوا احرقوه وانصر وآلهتكم ان كنتم فاعلين فجمعوا حطباً كثيراً اقال السدي حتى ان كانت المرأة تعرض فتندران عوفيت ان تحمل حطباً لخر يق ابراهيم ثم جعلوا في جوبة من الارض وانصرموها نارا فكان لها شر عظيم ولهب مرتفع لم يوقد نار قط مثلها وجعلوا ابراهيم عليه السلام في كفة المنجنيق باشاره رجل من اعراب فارس من الاكراد قال شبيب الجبائي اسمه هيزن نخسف الله به الارض فهو يتجبل فيها الى يوم القيامة فلما القوه قال حسبي الله ونعم الوكيل كما رواه البخاري عن ابن عباس انه قال حسبي الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم حين القي في النار وقالها محمد عليهم السلام حين قالوا ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا احسننا الله ونعم الوكيل وروى الحافظ ابو يعلى حدثنا ابن هشام حدثنا اسحق بن (٢٨٥) سليمان عن ابي جعفر عن عاصم عن ابي صالح عن ابي هريرة قال قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم لما القي ابراهيم عليه السلام في النار قال اللهم انك في السماء واحد وان في الارض واحد أعبدك ويروي انه لما جعلوا نوتونه قال لا اله الا انت سبحانك لك الحمد ولك الملائكة لاشريك لك وقال شبيب الجبائي كان عمره اذ اذلت عشرة سنة قال الله أعلم وذ كبر بعض السلف انه عرض له جبريل وهو في الهواء فقال لك حاجة فقال أما البك فلا وأما من الله فبلى وقال سعيد بن جبير و يروي عن ابن عباس أيضا قال لما اقي ابراهيم جعل خازن المطر يقول متى أوامر بالمطر فإرساله قال فكان أمر الله أسرع من أمره قال الله يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم قال لم يبق نار في الارض الا طفئت وقال كعب الاحبار لم ينتفع أحد يومئذ بنار ولم تحرق النار من ابراهيم سوى وثاقه وقال النوري عن الاعمش عن شيخ عن

الفاحشة) هي فاحشة الزنا والقول السيئ أي يحبون ان تنفثوا الفاحشة وتنشرون قولهم شاع الشيء يشيع شيوعا وشيعا ناذ اظهر وانتشر والمراد بشيوعها شيوع خبرها قال علي بن ابي طالب قائل الفاحشة والذي شيع بها في الائمة سواء (في الذين آمنوا) أي المحصنين العفيفين أو كل من اتصف بصفة الايمان (لهم عذاب اليم في الدنيا) باقامة الحد عليهم (والآخرة) بعذاب النار (والله يعلم) جميع المعلومات (وأنتم لاتعلمون) الا ما علمكم به وكشفه لكم ومن جملة ما يعلم الله عظم ذنب القذف وعقوبة فاعله (ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله روف رحيم) لعاجلكم بالعقوبة ومن رأفته لعباده ان لا يعاجلهم بذنوبهم ومن رحمته لهم ان يتقدم اليهم مثل هذا العذر والانداز وهو تكرر لما تقدم ذكر كبر اللامة منه سبحانه على عباده بترك المعاجلة لهم (يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان) جمع خطوة وهي ما بين القدمين والخطوة بالفتح المصدر رأى لا تتبعوا مسالك الشيطان ومذاهبه وآثاره ولا تسلكوا طرائقه التي يدعوكم اليها قرأ الجمهور خطوات بفتح الخاء والطاء وقرئ بضم الخاء والطاء وباسكان الطاء وهما سبعيتان (ومن يتبع خطوات الشيطان) جواب الشرط محذوف تقديره فتدغوى وقيل جزاء الشرط محذوف أقيم مقامه ما هو عليه أعنى قوله (فانه يأمر بالفعشاء والمنكر) أي فقد ارتكب الفعشاء والمنكر لان دأبه ان يستمر أمر الفعراء بهما أو صار فيه خاصية الشيطان وهي الامر بهما والفعشاء ما أفرط فحشه والمنكر ما ينكره الشرع وضمير انه للشيطان وقيل للسان والاولى ان يكون عائدا الى من اتبع الشيطان صار مقتديا به في الامر بالفعشاء والمنكر والاية عامة في حق كل واحد لان كل مكلف ممنوع من ذلك (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) قد تقدم بيانه وجواب لولا هو قوله (مازكي منكم من احدا) أي لولا التفضل والرحمة من الله ما طهر احد منكم نفسه من دنسها مادام حيا قرئ زكي مخففا وشددا أي ما طهره الله وقال مقاتل ماصح

علي بن ابي طالب قلما يانار كوني بردا وسلاما على ابراهيم قال لا تنصريه وقال ابن عباس وأبو العباس لولا ان الله عز وجل قال وسلاما لأذي ابراهيم بردها وقال جوير عن الضحاك كوني بردا وسلاما على ابراهيم قال صنعوا له حظيرة من حطب جزل وأشعلوا فيه النار من كل جانب فاصبح ولم يصبه منها شيء حتى أخذها الله قال ويذكرون ان جبريل كان معه يسبح وجهه من العرق فلم يصبه منها شيء غير ذلك وقال السدي كان معه فيها ملك الظل وقال علي بن ابي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا يوسف ابو موسى حدثنا مهران حدثنا معيل بن ابي خالد عن المنهال بن عمر قال أخبرني ان ابراهيم القي في النار قال فكان فيها اما خسين واما أربعين قال ما كنت اياما وليالي قط أطيبت عيشا اذ كنت فيها وددت ان عيشي وحياتي كلها مثل عيشي اذ كنت فيها وقال أبو زرعة بن عمرو بن جرير عن ابي هريرة قال ان أحسن شيء قال أبو ابراهيم لما رفع عنه الطبق وهو في النار وجدته يرشح

جميعه قال عند ذلك نعم الرب ربك يا ابراهيم وقال قتادة لم يات يوم مذابة الاطفأت عنه النار الا الوزغ وقال الزهري امر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله وسماه نوسنا وقال ابن أبي حاتم حدثنا عبيد الله بن أخي بن وهب حدثني عمي حدثنا جابر بن حازم ان نافعا حدثه قال حدثني مولا الفاسك بن المغيرة الخزومي قالت دخلت على عائشة فראيت في بيتها رجلا فقلت يا أم المؤمنين ما تصنعين بهذا الرجل فقالت تقتل به هذه الوزغ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ابراهيم حين أتى في الدار لم يكن في الارض دابة الا تطنى النار غير الوزغ فانه كان ينفخ على ابراهيم فأمر ناس رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله وقوله وارادوا به كيدا فجعلناهم الاخسر من أى المغلوبين الاسفلين لانهم ارادوا بنبي الله كيدا فكادهم الله ونجاهم من النار فغلبوا هالك وقال عطية العوفي لما أتى ابراهيم في النار جاء ملكهم

(٢٨٦)

لينظر اليه فطارت شرارة فوقعت على ابيهامه

فأحرقتهم مثل الصوفة (ونحنناهم ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا ناصالحين وجعلناهم ائمة يمدون بامرنا ووحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة واتيء الزكاة وكانوا ناعابدين ولوطا آتيناها حكماء وعلماء ونحنناهم من القرية التي كانت تعمل الخبائث انهم كانوا قوم سوء فاسقين وأدخلناه في رحمتنا الله من الصالحين) يقول تعالى مخبرا عن ابراهيم انه سلمه الله من نار قوميه وأخرجه من بين أظهرهم مهاجرا الى بلاد الشام الى الارض المقدسة منها كما قال الربيع بن أنس عن أبي العالية عن ابني بن كعب في قوله الى الارض التي باركنا فيها للعالمين قال الشام وما من ماء عذب الا يخرج من تحت الصخرة وكذا قال أبو العالية أيضا وقال قتادة كان بارض العراق فانجاه الله الى الشام وكان يقال للشام اعقار دار الهجرة وما

والاولى نفس يركى بالتطهر والتطهير وهو الذي ذكره ابن قتيبة وعن ابن عباس قال ما هتدى أحد من الخلائق لشيء من الخير والآية على العموم وقبل خاصة بالذين خاضوا في الافك وانهم تطهروا وتابوا غير عبد الله فانه استمر على الشقاوة حتى هلك والاولى (وايكن الله يركى من يشاء) من عباده بالتفضل عليهم والرحمة لهم (والله سمع) لما يقولونه (علم) بجميع المعلومات وفيه بحث بالغ على الاخلاص وتبجح عظيم لعباده التائبين ووعد شديد لمن يتبع الشيطان ويحب ان تشيع الفاحشة في عباد الله المؤمنين ولا يجر نفسه من واجر الله سبحانه (ولا يأتى أولو النضل منكم والسعة) لانهية والفعل مجزوم يحذف الياء لانه معتل بها أى لا يحذف وزنه فيفعل من الآية كهدية يقال الآية والأيمان نهدية وهذا هو النبي يقال أتى بأتى بوزن انتهى ينتهى اذا حلت ومنه قوله سبحانه للذين يؤثون من نساءهم وقالت فرقة هو من ألوت في كذا اذا قصرت ومنه آل جهد أى لم أقصر وكذا من قوله تعالى لا يؤثونكم خبالا والاولى بديل سبب النزول قال ابن عباس لا تنقسموا ان لا تنقسموا أحد أخرج ابن المنذر عن عائشة قالت كان سبط بن أنثاة ممن تولى كبره من أهل الافك وكان قريبا لابي بكر وكان في عياله خلف أبو بكر ان لا يناله خير ابدا فنزل الله هذه الآية قامت فاعاده أبو بكر الى عياله وقال لا حلف على عيني فارى غير ما خيرا منها الاتحلفت وأثبت الذي هو خير وقدرى هذا من طرق عن جماعة من التابعين وعن ابن عباس في الآية قال كان ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد رموا عائشة بالقيح وأنفوا ذلك وتكلموا فيها فافهم ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم منهم أبو بكر ان لا يتصدقوا على رجل تكلم بشيء من هذا ولا يصلوه فقال لا يقسم أولو النضل منكم والسعة ان لا يصلوا راحمهم وان لا يعطوهم من أموالهم كالذي كانوا يفعلون قبل ذلك فأمر الله ان يغفر لهم ويعفى عنهم (أن يؤثوا) قال الزجاج أى على ان لا يؤثوا لحذف لا وقال أبو عبيدة لا حاجة الى اضممار

لا

نقص من الارض زيدى الشام وما نقص من الشام زيدى فلسطين وكان يقال هي أرض المحشر والمنشر وبها ينزل عيسى بن مريم عليه السلام وبها يك المسيح الدجال وقال كعب الاحبار في قوله الى الارض التي باركنا فيها للعالمين الى حران وقال السدي انطلق ابراهيم ولوط قبل الشام فلقي ابراهيم سارة وهي ابنة ملك حران وقد طعنت على قومها في دينهم فترجها على ان يفر بها رواه ابن جرير وهو غريب والمشهور ان ابنت عمه وانتهج بها مهاجرا بن بلاده وقال العوفي عن ابن عباس الى مكة ألا تسمع الى قوله ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مبارك وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا وقوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة قال عطاء ومجاهد عطية وقال ابن عباس وقتادة والحكم بن عيينة النافلة ولد الولد يعنى ان يعقوب ولدا اسحق كما قال فبشرناه باسحق ومن وراء اسحق يعقوب وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم سأل واحدا فقال رب هبلى

من الصالحين فاعطاه الله اسحق وزاده يعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين أي الجميع أهل خير وصلاح وجعلناهم أئمة أي يقتدى بهم يهدون بأمرنا أي يدعون إلى الله بأذنه ولهذا قال وأوحينا إليهم فعل الخيرات وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة من باب عطف الخاص على العام وكانوا الناعابدين أي فاعلين لما يأمرون الناس به ثم عطف به كقولط وهو لوط بن هاران بن آزر كان قد آمن بآبراهيم عليه السلام واتبعه وهاجر معه كما قال تعالى فآمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي فاتاه الله حكما وعلما وأوحى إليه وجعله نبيا وبعثه إلى سدوم وعمالكاف كذبوه وخالفوه فاهلكهم الله ودمر عليهم ما قص خبرهم في غير ما موضع من كتبه العزيز ولهذا قال ولنجينا من القرية التي كانت تعمل الخبائث انهم كانوا قوم سوء فاسقين وأدخلناه في رحمتنا انهم من الصالحين (وفو حاذن أدي من قبل فاستجيبنا له فنجيناه وأهلكنا من الكبر العظيم ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا (٢٨٧) قوم سوء فاغرقناهم اجمعين) يخبر تعالى عن استجابته لبعده ورسوله نوح عليه

السلام حين دعا على قومه لما كذبوه دعاربه أي مغلوب فانتصر وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا ولهذا قال ههنا اذ نادى من قبل فاستجيبنا له فنجيناه وأهلكنا من الذين آمنوا به كما قال وأهلك الامن سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل وقوله من الكبر العظيم أي من الشدة والتكذيب والاذى فانه اثبت فيهم الف سنة الا تخين عاملا يدعوه إلى الله عز وجل فلم يؤمن به منهم الا القليل وكانوا يتصدون لآذاه ويتواصون قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل على خلافه وقوله ونصرناه من القوم أي ونجينا هه وخلصناه منتصرين من القوم الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين أي أهلكهم الله بعامه ولم يبق على

لا والمعنى لا ينجفوا على ان لا يحسنوا الى المستحقين للاحسان من (أولى القرى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله) الجامعين لتلك الاوصاف وعلى الوجه الآخر يكون المعنى لا يقصروا في ان يحسنوا اليهم وان كانت بينهم وبينهم شحنة لئلا يذهب اقتوفه وقرى بقاء الخطاب على الالتفات ثم علمهم سبحانه أدبا آخر فقال (وليعنوا) عن ذنبهم الذي أذنبوه عليهم وجناباتهم التي اقترفوها من عفا الربع أي درس والمراد هو الذنب حتى يعنوا كما يعفوا الربع (وليعنوا) باغضاء عن الجاني والاعراض عن جنابته والاعراض عن لومه فان العنوان يتجاوز عن الجاني والدفع ان يتنابى جرمة وقيل العنوب بالنعل والدفع بالتلب وقرى في الفعلين جميعا بالدوقية ثم ذكر سبحانه ترغيبا عظيما لمن عفا وصنع فقال (الأتقون ان يعسر الله لكم) بسبب عنوكم وصنعكم عن انفاعلين لئلا ساء عليكم قال أبو بكر بن انا أحب ان يغفر الله لي ورجع إلى المسطح ما كان ينفقه عليه (والله غفور رحيم) أي كثير المغفرة والرحمة لعباده مع كثرة ذنوبهم فكيف لا يقتدى العباد بهم في العفو والصنع عن المسيئين اليهم (ان الذين يرون) بالزنا (المحرمات) العفائف قد مرتنفس يرهاؤا ذكرنا ان الاجماع على ان حكم المحصنين من الرجال حكم المحصنات من النساء في حد القذف (العافلات) أي اللاتي غفلن عن الفاحشة بحيث لا تخطر ببالهن ولا يفتن لها وفي ذلك من الدلائل على كمال النزاهة وطهارة الجيب ما لم يكن في المحصنات وقيل هن السليمات الصدور والقيمات القلوب اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر لانهن لم يجربن الامور ولم يرزن الاحوال فلا يفتن لما تنظر له المجربات العرافات وكذلك البلاء من الرجال الذين غلبت عليهم سلامة الصدور وحسن الظن بالناس لانهم اغفلوا أمر دنياهم فجهلوا حدائق التصرف فيها وقبلوا على آخرتهم فسهلوا دنوسهم بها (المؤمنات) بالله ورسوله وقد اختلف في هذه الآية هل هي خاصة أو عامة فقال سعيد بن جبير هي خاصة فين رمى عائشة وقال مقاتل هي خاصة بعباد الله بن أي رأس

وجه الأرض منهم أحد كما دعا عليهم بنبيهم (وداود وسليمان اذ يحكما في الحرة اذ نفشت فيه غم القوم وكنا لحكمهم شاهدين فنهماها سليمان وكلا اتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين وعلما صنعة لبوس لكم تحصنكم من بأسكم فهدى أئمتنا كرون وسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وكنا نكل شئ عالمين ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكالهم حافظين) قال ابن اسحق عن مرة عن ابن مسعود كان ذلك الحشر كرم ما قد نذلت عناقبده وكذا قال شريح وقال ابن عباس النفس الرمي وقال شريح والزجرى وقتادة النفس لا يكون الا بالليل زاد قتادة والهمل بالنهار وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب وهو روى بن ادريس الاصح قال حدثنا الحارثي عن أشعث عن أبي اسحق عن مرة عن ابن مسعود في قوله وداود وسليمان اذ يحكما في الحرة اذ نفشت فيه غم القوم قال كرم قد انبتت عناقبده فافسدته

قال فقضى داود بالغنم لصاحب الكرم فقال سليمان غير هذا يا نبي الله قال وماذا قال تدفع الكرم الى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان وتدفع الغنم الى صاحب الكرم فيصيب منها حتى اذا كان الكرم كما كان دفعت الكرم الى صاحبه ودفعت الغنم الى صاحبه اقول فنههناها سليمان وهكذا روى العوفي عن ابن عباس وقال حماد بن سلمة عن علي بن زيد حدثني خليفه عن ابن عباس قال قضى داود بالغنم لاصحاب الحرث بخروج الرعاء معهم الكلاب فقال لهم سليمان كيف تقضى بينكم فاخبروه فقالوا لو ليت امركم لتضيت بغيره فاخبر بذلك داود فدعا فقال كيف تقضى بينهم قال ادفع الغنم الى صاحب الحرث فيكون لهم اولا ولداها والباقي لاهل الحرث مثل حرثهم فاذا بلغ الحرث الذي كان عليه اخذها اصحاب الحرث وردوا الغنم الى اصحابها وقال ابن ابي حاتم (٢٨٨) حدثنا ابي حنيفة عن سليمان حدثنا خديجة عن ابي

المنافقين وقال الضحالك والكليبي هي في عائشة وسائر أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم دون سائر المؤمنين والمؤمنات فمن قذف إحدى امهات المؤمنين فهو من أهل هذه الآية قال الضحالك ومن أحكام هذه الآية أنه لا يثبت التوبة كما تقدم في قوله إلا الذين تابوا عليه وآله وسلم ومن قذف غيره فقد جعل الله له التوبة كما تقدم في قوله إلا الذين تابوا وقيل إن هذه الآية خاصة بمن أصر على القذف ولم يتب وقيل إنها خاصة بمشركي مكة لأنهم كانوا يقولون للمرأة إذا خرجت مهاجرة أنما خرجت لتفجر وقيل إنها تعم كل قاذف ومقدوف من المحصنات والمحصنين واختاره النحاس وهو الموافق لما قرره أهل الأصول من أن الاعتبار بموم اللفظ لا بخصوص السبب قال أهل العلم إن كان المراد بهذه الآية المؤمنين من القذفة فالمراد باللعنة في قوله (لعنوا في الدنيا والآخرة) الأبعاد عن الثناء الحسن على ألسنة أهل الإيمان وضرب الحد وهو سائر المؤمنين لهم وزوالهم عن رتبة العدالة واستحسان أهل الإيمان منهم وإن كان المراد بمن قذف عائشة خاصة كانت هذه الأمور في جانب عبد الله بن أبي راس المنافقين وإن كانت في مشركي مكة فأنهم ملعونون في الدنيا والآخرة (ولهم عذاب عظيم) على ذنب عظيم وجملة (يوم تشهد عليهم السنتهم) مقررة لما قبلها مبينة لحلول وقت ذلك العذاب بهم وتعيين اليوم لزيادة التحويل بما فيه من العذاب الذي لا يحيط به وصف قرئ تشهد بالفقوية وبالتحسنة وهما سبع عيان والمعنى تشهد ألسنة بعضهم على بعض في ذلك اليوم وقيل تشهد عليهم ألسنتهم في ذلك اليوم بما تكلموا به وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون أي بما عملوا في الدنيا من قول أو فعل وإن الله سبحانه ينطقها بالشهادة عليهم والمشهد به محذوف وهو ذنبهم التي اقترفوها أي تشهد هذه عليهم بذنبهم التي اقترفوها ومعاصيهم التي عملوها آخر ج الطبراني وأبو يعلى وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال إذا كان يوم القيامة عرف الكافر بعمله فجعد وخاصم فيقال احملوا فيحملون ثم

سليمان ولم يذم داود ثم قال يعني الحسن ان الله اتخذ على الحكمة ثلاثا لا يشتروا به ثمنًا قليلًا ولا يتبعوا فيه الهوى ولا يخشوا فيه أحدًا ثم تلا يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله وقال فلا تخشوا الناس واخشوني وقال ولا تشتروا بآياتي ثمنًا قليلًا قلت أما الانبياء عليهم السلام فكذلك معصومون مؤيدون من الله عز وجل وهذا مما لا خلاف فيه بين العلماء المحققين من السلف والخلف وأما من سواهم فقد ثبت في صحيح البخاري عن عمرو بن العاص انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اجتهد الحاكم فاصاب فله أجران واذا اجتهد فخطأ فله أجر فهذا الحديث يرد نصًا ما توهمه اياس من أن القاضي اذا اجتهد فخطأ فهو في النار والله أعلم وفي السنن القضاة ثلاثة قاض في الجنة وقاضيان في النار رجل علم الحق وقضى به فهو في الجنة ورجل حكم بين الناس على جهل فهو في النار ورجل علم الحق (٢٨٩) وقضى بخلافه فهو في النار وقرئ من هذه القصة المذكورة في القرآن

يصمهم الله تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم ثم يدخلهم النار وقد روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من طريق جماعة من الصحابة ما يتضمن شهادة الجوارح على العصاة (يؤمنون) يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم ثم جوارحهم بأعمالهم القبيحة يعطيهم الله جزاءهم عليها موافقًا لما بالدين هنا الجزء بالحق الثابت الذي لا شك في ثبوته قرئ يوفيه من أوفى تخففًا ومن وفى مشددًا وقرئ الحق بالرفع على انه نعت لله وروى ذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه وبال نصب على انه نعت لدينهم قال ابو عبيدة ولو لا كراهة خلاف الناس لكان الوجه الرفع ليكون نعتًا لله عز وجل وليكون موافقًا لقراءة أبي وذلك ان جرير بن حازم قال رأيت في مصنف أبي يوفيه الله الحق دينهم قال النحاس وهذا الكلام من أبي عبيدة غير مرضي لانه احتج بما هو مخالف للسواد الأعظم ولا حجة أيضا فيه لانه لو صح انه في مصنف أبي كذلك لجاز ان يكون دينهم بدلا من الحق وعن ابن عباس قال دينهم أي حسابهم وكل شيء في القرآن الدين فهو الحساب واخرج الطبراني وغيره عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قرأ يومئذ يوفيه الله الحق دينهم (ويعلمون ان الله هو الحق المبين) أي يعلمون عند معيائهم لذلك ووقعه على ما نطق به الكتاب العزيز ان الله هو الحق الثابت في ذاته وصفاته وفعاله المبين المظهر للاشياء كما هي في انفسها وانما سمى سبحانه الحق لان عبادته هي الحق دون عبادة غيره وقد سمى بالحق أي الموجود لان نقيضه الباطل وهو المعدم وفسره بظهور ألوهيته تعالى وعدم مشاركة الغير له فيها وعدم قدرة ما سواه على الثواب والعقاب ليس له كثير من مناسبة للمقام ولم يغلط الله سبحانه وتعالى في القرآن في شيء من المعاصي تغليظه في أفك عائشة فاوجز في ذلك واشبع وفصل واجل وأكد وكرر وما ذلك الا ما روى عن ابن عباس من أذنب ذنبًا ثم تاب منه قبلت توبته الا من خاض في أمر عائشة وهذا منه تعظيم ومبالغة في أمر الافك ولقد برأ الله تعالى أربعة باربعة برأ يوسف بشاهد من اهلها وموسى بالحجر الذي ذهب بثوبه

مارواه الامام أحمد في مسنده حيث قال حدثنا علي بن حفص أخبرنا ورقاء عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما امرأتان معهما ابنان لهما جاء الذئب فاخذ أحدهما ابني فتحا كتمانًا لداود فقضى به للكبرى فخرجتا فادعاها سليمان فقال هاتوا السكين أشقه بينهما فقالت الصغرى ير جك الله هو ابنا لا تشقه فقضى به للصغرى وأخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما وبوب عليه النسائي في كتاب القضاء باب الحاكيم يوههم خلاف الحكم ليستعمل الحق وهكذا القصة التي أوردها الحافظ أبو القاسم بن عساكر في ترجمة سليمان عليه السلام من تاريخه من طريق الحسن بن سفيان عن صفوان بن صالح عن الوليد بن مسلم عن سعيد ابن بشير عن قتادة عن مجاهد عن ابن

(٣٧ فتح البيان سادس) عباس فذكر قصة مطولة ملخصها ان امرأة حسنة في زمان بني اسرائيل راودها عن نفسها أربعة من رؤسائهم فامتنعت على كل منهم فاتفقوا فيما بينهم عليها فاشهدوا عليها عند داود وعليه السلام انها مكنت من نفسها كلها لها قد عودته ذلك منها فامر برجمها فلما كان عشية ذلك اليوم جلس سليمان واجتمع معه ولدان مثله فاتصب حاكما وترا أربعة منهم بزي أولئك وآخر بزي المرأة وشهدوا عليها بانها مكنت من نفسها كلها فقال سايمان فرقوا بينهم فأسأل أولهم ما كان لون الكلب فقال اسود فعزله واستدعى بالآخر فقال أجرو وقال الآخر أغبش وقال الآخر أبيض فأمر عند ذلك بقتلهم فحكي ذلك لداود عليه السلام فاستدعى من فوره وبأولئك الاربعة فأسألهم متفرقين عن لون ذلك الكلب فاخلفوا عليه فأمر بقتلهم وقوله وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير الآية وذلك لطيب صوته بتلاوة كتابه الزبور وكان اذا ترنم به تنفط الطير في الهواء فتجاوبه وترد عليه

الجبال تأويها ولهذا الماهر النبي صلى الله عليه وسلم على أبي موسى الأشعري وهو يتلو القرآن من الليل وكان له صوت طيب جدا فوقفوا سمع لقراءته وقال لقد أوتي هذا من مرام من مزمار من آل داود قال يا رسول الله لو علمت أنك تستمع لجبرته لك تحبير أو قال أبو عثمان النهدي ما سمعت صوت صبح ولا بربط ولا من مرام مثل صوت أبي موسى رضي الله عنه ومع هذا قال عليه السلام لقد أوتي من مرام من مزمار من آل داود وقوله وعلمناه صنعة لبوس لكم لحصنكم من بأسكم يعني صنعة الدروع قال قتادة إنما كانت الدروع قبله صفائح وهو أول من سردها حلقا كما قال تعالى وألنا له الحديد أن يعمل سبغات وقد روي في السرد أي لا توسع الحلقة فتتعلق السمار ولا تغلظ السمار فتتد الحلقة ولهذا قال لحصنكم من بأسكم يعني في القتال فهل أنتم شاكرون أي نعم الله عليكم لما ألهم به عبده داود فعلمه ذلك من أجلكم وقوله واسلمان (٢٩٠) الريح عاصفة أي وسخرنا بالسليمان الريح العاصفة تجري بأمره إلى

ومريم بانطاق ولدها وعائشة بهذه الآسى العظام في كتابه المعجز المتلوع على وجه الدهر بهذه المسبغات فانظر كم بينها وبين نبرثة أولئك حيث لم يرض لها براءة صبي ولا نبي حتى برأها بكلامه من القذف والبهتان وما ذاك الا لظاهر علم منزلة رسوله والتنبه على انافاة محله صلى الله عليه وعلى آله واجتباؤه أجعين ثم ختم سبحانه الآيات الواردة في أهل الافك بكلمة جامعة فقال (الخبيثات) من النساء (الغيبين) من الرجال أي محتصات بهم لا يكذب يتجاوزهم إلى غيرهم كلام مستأنف مؤسس على قاعدة السنة الالهية الجارية فيها بين الخلق على موجب ان الله تعالى ملكا يسوق الاهل إلى أهلها (و) كذا (الخبيثون) (الغيبات) أي محتصون بهم لا يتجاوزونهم لان المجانسة من دواعي الانضمام (و) هكذا (الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات) قال مجاهد وسعيد بن جبيرة وعطاء وأكثر المفسرين المعنى الكلمات الخبيثات من القول الخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من الكلمات والكلمات الطيبات من القول للطيبين من الناس والطيبون من الناس للطيبات من الكلمات وعن ابن عباس مثله وزاد نزلت في الذين قالوا في زوجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما قالوا من البهتان وعن قتادة فحوه وكذا روي عن جماعة من التابعين قال النخاس وهذا أحسن ما قيل قال الزجاج ومعناه لا يتكلم بالخبيثات الا الخبيث من الرجال والنساء ولا يتكلم بالطيبات الا الطيب من الرجال والنساء وهذا من الذين قد فؤوا عائشة بالخبت ومدح للذين برؤها وقيل ان هذه الآية مبنية على قوله الزاني لا ينكح الزانية فان خبيثات الزواني والطيبات العفاف وكذا الخبيثون والطيبون وعن ابن زيد قال نزلت في عائشة حين رماها المنافقون بالبهتان والفرية فبرأها الله من ذلك وكان ابن أبي هو الخبيث وكان هو أولى بأن تكون له الخبيثة ويكون هو لها وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طيبا فكان أولى ان تكون له الطيبة وكانت عائشة الطيبة وكانت أولى بأن يكون لها الطيب (أولئك مبرؤن مما يقولون) الإشارة إلى الطيبين والطيبات أي هم

الارض التي بارك فيها يعني أرض الشام وكما بكل شيء عالمين وذلك انه كان له بساط من خشب يوضع عليه كل ما يحتاج اليه من أمور المملكة والخيل والجمال والخيام والخند ثم يأمر الريح ان تحمله فتدخل تحته ثم تحمله فتفرقه وتسير به وتظله الطير تنبيه الحر إلى حيث يشاء من الارض فينزل وتوضع آلاته وحشمه قال الله تعالى فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب وقال تعالى غدقوها شهر ورواحها شهر قال ابن أبي حاتم ذكر عن سفيان بن عيينة عن أبي سنان عن سعيد بن جبيرة قال كان يوضع لسليمان سقاة ألف كرى فيجلس مما يليه مؤمنوا الأئس ثم يجلس من وراءهم مؤمنوا الجن ثم يأمر الطير فتظلمهم ثم يأمر الريح فتحمله صلى الله عليه وسلم وقال عبد الله بن عبيد بن عمر كان سليمان يأمر الريح فتجتمع كالطود العظيم

مبرؤن

كالجبل ثم يأمر بفراشه فيوضع على أعلى مكان منها ثم يدعو بفرس من ذوات الاجنحة فترفع حتى تصعد على فراشه ثم يأمر الريح فترفع به كل شرف دون السماء وهو مطأطي رأسه ما يلتفت عينا ولا شعا لا تعظم الله عز وجل وشكرا لما يعلم من صغرها هو فيه في ملك الله تعالى حتى تضعه الريح حيث شاء ان تضعه وقوله ومن الشياطين من بغوصون له أي في الماء يستخرجون اللآلئ والجواهر وغير ذلك ويعملون عملادون ذلك أي غير ذلك كما قال تعالى والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الاصفاد وقوله وكألهم حافظين أي يحرسه الله ان يناله احدهم من الشياطين بسوء بل كل في قبضته وتحت قهره لا يتجاسر احدهم منهم على الدنوا اليه والقرب منه بل هو يحكم فيهم ان شاء أطلق وان شاء حبس منهم من يشاء ولهذا قال وآخرين مقرنين في الاصفاد (وأيوب اذا نادى ربني مسنى الضراء أنت أرحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضرر وآتيناه أهله ومثلهم معهم

رحمة من عندنا وذكري للعابدين) يذكر تعالى عن أيوب عليه السلام ما كان أصابه من البلاء في ماله وولده وجسده وذلك أنه كان له من الدواب والانعام والحارث شيء كثير وأولاد كثيرة ومنازل مرضية فابتلى في ذلك كله وذهب عن آخره ثم ابتلى في جسده يقال بالجدام في سائر بدنه ولم يبق منه سليم سوى قلبه ولسانه يذكريهما الله عز وجل حتى عافاه الجليس وأفرق في ناحية من البلد ولم يبق أحد من الناس يجنوع عليه سوى زوجته كانت تقوم بامرأته ويقال إنها احتاجت فصارت تخدم الناس من أجله وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل وفي الحديث الآخر يبتلى الرجل على قدر دينه فإن كان في دينه صلابة زِيدَ في بلاءه وقد كان نبي الله أيوب عليه السلام غاية في الصبر وبه يضرب المثل في ذلك وقال يزيد بن ميسرة لما ابتلى الله أيوب عليه السلام ومات الأهل والمال والولد ولم يبق شيء له أحسن (٢٩١) الذكر ثم قال أحمد بن حنبل رحمه الله الذي

أحسن إلى أعطيته في المال والولد فلم يبق من قلبي شعبة إلا قد دخله ذلك فأخذت ذلك كله مني وفترغت قلبي فليس يحول بيني وبينك شيء لو يعلم عدوى ابليس بالذي صنعت حسدني قال فلنقرب ابليس من ذلك منك كرا قال وقال أيوب عليه السلام يا رب انك أعطيتني المال والولد فلم يبق علي بابي أحد يشكوني لظلم ظلماته وأنت تعلم ذلك وأنه كان يوطأ إلى الفراش فأتركها وأقول لنفسى يا نفس انك لم تخلي لوط الفراش ما تركت ذلك إلا ابتغاء وجهك رواه ابن أبي حاتم وقد روى عن وهب بن منبه في خبره قصة طويلة ساقها ابن جرير وابن أبي حاتم بالسند عنه وذكرها غير واحد من متأخري المفسرين وفيها غرابة تركها لحال الطول وقد روى أنه مكث في البلاء مدة طويلة ثم اختلنوا في السبب المبهج له على هذا الدعاء فقال الحسن وقتادة

مبرؤن مما يقوله الخبيثون والخبيثات وقيل الإشارة إلى أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقيل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعائشة وصفوان بن المعطل وقيل إلى عائشة وصفوان فقط قال الفراء وجمع كما قال فان كان له أخوة والمراد أخوان قال ابن زيد ههنا برئت عائشة (إلهم مغفرة) عظيمة لما لا يخلو عنه البشر من الذنوب (ورزق كريم) هو رزق الجنة روى أن عائشة كانت تفتخر بأشياء لم تعطها امرأة غير هاهنا أن جبريل أتى بصورتها في خرقه حرير وقال هذه زوجتك ومنها أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يتزوج بكرة غيرها وقبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حجرها في يومها ودفن في بيتها وكان ينزل عليه الوحي وهي معه في العفاف ونزلت برأتها من السماء وأنها ابنة الصديق وخليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخلقت طيبة ووعدت مغفرة ورزقا كريما وكان مسروق إذا حدث عن عائشة يقول حدثتني الصديقة ابنة الصديق حبيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المبرأة من السماء وقال حسن معتز في حقها

حصان رزان ماتزق بريسة * وتصبح غرثي من لحوم الغوافل
حليلة خيرا الناس دينها ومنصبا * نبي الهدى والمكرمات النواضل
عقيلة حتى من لوى بن غالب * كرام المساعي مجدها غير زائل
مهذبة قد طيب الله خبيها * وطهرها من كل شين وباطل
ولما فرغ سبحانه من ذكر الزجر عن الزنا والقذف شرع في ذكر الزجر عن دخول البيوت بغير استئذان لما في ذلك من مخالطة الرجال بالنساء فرمى بما يؤدي إلى أحد الأمرين المذكورين وأيضا فان الإنسان يكون في بيته ومكان خلوته على حالة فلا يحب أن يراه عليها غيره فنهى الله سبحانه عن دخول بيوت الغير فقال (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم) أي التي لستم تملكونها ولا تسكنونها وليس لكم عليها يد شرعية أما المكثري والمستعير فكل منهما ما يدخل بيته والمعنى لا تدخلوها إلى غاية هي قوله (حتى تستأمنوا) الاستئناس الاستعلام والاستخبار أي حتى تستعلموا من في البيت والمعنى حتى تعلموا أن

ابتلى أيوب عليه السلام سبع سنين وأشهر املق على كفاية بني إسرائيل تختلف الدواب في جسده ففرج الله عنه وأعظم له الأجر وأحسن عليه الثناء وقال وهب بن منبه مكث في البلاء ثلاث سنين لا يزيد ولا ينقص وقال السدي تساقت لحم أيوب حتى لم يبق إلا العصب والعظام فكانت امرأته تقوم عليه ونأية بالمراد يكون فيه نقبات له امرأته لما طال وجعه يأبى لو دعوت ربك ينجع عنك فقال قد عشت سبعين سنة صحيفا فويل لله أن أصبر له سبعين سنة فخرعت من ذلك فخرجت فكانت تعمل للناس بالأجر وتأتيه بما تصيب فتطعمه وإن ابليس أنطلق إلى رجلين من أهل فلسطين كانا صديقين له وأخوين فأتاهما فقال أخوك أيوب أصابه من البلاء كذا وكذا فأتياه وزوراه واجلاهما عنكم من خرابكم فانه ان شرب منه برئ فأتياه فلما نظر إليه بكيا فقال من أنت فقالا نحن فلان وفلان فرحب بهم وأقال مرحبا بمن لا يحفوني عند البلاء فقالا يا أيوب لعلك كنت تسر شيئا وتظهر غيره فلذلك ابتلنا

الله فرفع رأسه الى السماء فقال هو يعلم ما سررت شيئا أظهرت غيره ولكن ربى انا لاني لينظر أأصابهم أم اخرج فقال لا اله الا يوب اشرب من خمرنا فانك ان شربت منه برأت قال فغضب وقال جاء كما الخبيث فأمر كما هذا كلامكم وطعامكم وشربكم على حرام فقاما من عنده وخرجت امرأته تعمل للناس فخرت لاهل بيت لهم صبي فجعلت لهم قرضا وكان ابنهم نائما فسكر هو ان يوقظوه فوهبوه لها فأتت به الى أيوب فأنكره وقال ما كنت تأتيني بهذا فإياك اليوم فأخبرته الخبر قال فعل الصبي قد استيقظ فطلب القرص فلم يجده فهو يبكي على أهله فانطلق به اليه فأقبلت حتى بلغت درجة القوم فنطحته بأشاة لهم فقالت تعس أيوب الخطاء فلما صعدت وجدت الصبي قد استيقظ وهو يطلب القرص ويبكي على أهله لا يقبل منهم شيئا غيره فقالت رحمه الله يعني أيوب فدفعته اليه القرص ورجعت ثم ان ابليس أتاه في صورة (٢٩٢) طيب فقال لها ان زوجك قد طال سقمه فان اراد ان يبرأ فليأخذ ذبا

فليذبحه باسم صخري فلان فانه يبرأ ويؤوب بعد ذلك فقد ات ذلك لا يوب فقال قد أتاك الخبيث لله على ان برأت ان أجلك مائة جلدة فخرجت تسعى عليه فخطر عنها الرزق فجعلت لاتأني أهل بيت فيريدونها فلما اشتد عليها ذلك وخافت على أيوب الجوع خلقت من شعرها قرا فباعته من صبيحة من بنات الاشراف فاعطوها طعاما مطيبا كثيرا فأتت به أيوب فلما رآه أنكره وقال من أين لك هذا قالت علمت لاناس فاطعموني فأكل منه فلما كان الغد خرجت فطلبت ان تعمل فم تجد خلقت أيضا قرا فباعته من تلك الجارية فاعطوها أيضا من ذلك الطعام فأتت به أيوب فقالت والله لا أطعمه حتى أعلم من أين هو فوضعت خمارها فلما رأى رأسها محلوفا جزع جزعا شديدا فعند ذلك دعا الله عز وجل فقال رب انى مسنى

صاحب البيت قد علم بكم وتعلموا أنه قد أذن بدخولكم فاذا علم ذلك دخلته ومنه قوله فان آتستم منهم رشدا أى علم قال الخليل الاستئناس الاستكشاف من أنس الشيء اذا أبصره كقوله انى آتست نارا أى أبصرت وقال ابن جرير انه معنى تؤنسوا أنفسكم قال ابن عطية وتصريف الفعل يأنى ان يكون من أنس ومعنى كلام ابن جرير هذا انه من الاستئناس الذى هو خلاف الاستيحاش لان الذى بطرق باب غيره لا يدري أيؤذن له أم لا فهو كالمستوحش حتى يؤذن له فاذا أذن له استأنس فنهى سبحانه عن دخول تلك البيوت حتى يؤذن للدخول وقيل هو من الانس وهو ان يعرف هل ثم انسان أم لا قال الواحدى قال جماعة المفسرين حتى تستأذنوا ويؤيده ما حكاه القرطبي عن ابن عباس وأبى وسعيد ابن جبير انهم قرؤا حتى تستأذنوا قال مالك فيما حكاه عنه ابن وهب الاستئناس فيما ترى والله أعلم الاستئذان وعن ابن عباس قال أخطأ الكاتب حتى تستأذنوا (وتسلموا على أهلها) وفي مصنف عبد الله حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا وعن عكرمة نحوه أخرج ابن أبى شيبة والطبرانى وغيرهما عن ابى أيوب قال قلت يا رسول الله أرايت قول الله حتى تستأذنوا وتسلموا على أهلها هذا التسليم قد عرفناه فما الاستئناس قال يسلكم الرجل بتسبيحة وتكبيرة وتحميدة ويتخف فيؤذن أهل البيت قال ابن كثير هذا حديث غريب وأخرج الطبرانى عن أبى أيوب ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال الاستئناس ان تدعو الخادم حتى يستأنس أهل البيت الذين تسلم عليهم وفى الصحيحين وغيرهما من حديث سهل بن سعد قال اطلع رجل من حجر فى حجرة النبى صلى الله عليه وآله وسلم ومعه مدري يحك بهارأسه قال لو أعلم انك تنظر لطمعت بها فى عيذك انما جعل الاستئذان من أجل النظر وفى لفظ انما جعل الاذن من أجل البصر وعن أنس قال قال رجل من المهاجرين لقد طلبت عرى كاهى فى هذه الآية فما أدركتها ان استأذن على بعض اخواني فيقول ارجع فأرجع وأما غيبط لقوله وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أوزكى لكم وعن ابن عباس

الضر وأنت أرحم الراجلين قال ابن أبى حاتم حدثنا ابى حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا جاد حدثنا أبو عمران قال قال الجوفى عن نوفى المكالى ان الشيطان الذى عرج فى أيوب كان يقال له مبسوط قال وكانت امرأة أيوب تقول ادع الله فيشفيك فجعل لا يدع حتى مر به نفر من بنى اسرائيل فقتل بعضهم لبعض ما أصابه ما أصابه الا بذب عظيم أصابه فعند ذلك قال رب انى مسنى الضر وأنت أرحم الراجلين * وحدثنا أبى حدثنا أبو سلمة حدثنا جرير بن حازم عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال كان لا يوب عليه السلام أخوان فجأوا فمافهم يستطيعان يدنو منه من ربحه فقاما من بعيد فقال احدهما للآخر لو كان الله علم من أيوب خيرا ما ابتلاه بهذا فجزع أيوب من قوله ما جزع عالم يجزع من شيء فقل اللهم ان كنت تعلم انى لم ابت ليله قط شعبان وانا اعلم مكان جاثع فصدقنى فصدق من السماء وهما يشعنان ثم قال اللهم ان كنت تعلم انى لم يكن لى قيصان قط وانا اعلم مكان عار فصدقنى فصدق من

امسكت امرأته بيده حتى يبلغ
فلما كان ذات يوم ابطأت عليه فأوحى
الله الى أيوب في مكانه أن اركض
برجلك هذا اغتسل بارد ومراهم
رفع هذا الحديث غريب جدا
وروى ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا
موسى بن اسمعيل حدثنا حماد
أخبرنا علي بن زيد عن يوسف بن
مهران عن ابن عباس قال وألبسه
الله حلة من الجنة فتحنى أيوب
لجاس في ناحية وجاءت امرأته فلم
تعرفه فقالت يا عبد الله أين ذهب
هذا المبتلى الذي كان ههنا العليل
الكلاب ذهبت به أو الذئاب فجعلت
تكلمه ساعة فقال ويحك أنا أيوب
قالت أنسخرنى يا عبد الله فقال
ويحك أنا أيوب قدر الله على
جسدي وبه قال ابن عباس ورد
عليه ماله وولده عيانا ومثلهم معهم
وقال وهب بن منبه أوحى الله الى
أيوب قدر دنت عليك أهلاك ومالك
ومثلهم معهم فاغتسل بهذا الماء

فان فيه شفاء لك وقرب عن صحابك قربانا واستغفر لهم فانهم قد عصوني فيك رواه ابن أبي حاتم وقال أيضا حدثنا أبو زرعة حدثنا عمرو بن مرزوق حدثنا حماد عن قتادة عن النضر بن أنس عن بشير بن نهيك عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما عافى الله أيوب أمطر عليه جراد من ذهب فجعل يأخذ منه بيده ويجعله في ثوبه قال فقيل له يا أيوب أمانت شبع قال يا رب ومن يشبع من رحمتك أصله في الصحابين وسيلتي في موضع آخر وقوله وآتيناه أهله ومثلهم معهم قد تقدم عن ابن عباس أنه قال ردوا عليه بأعيانهم وكذا رواه العوفي عن ابن عباس أيضا وروى مثله عن ابن مسعود ومجاهد وبه قال الحسن وقتادة وقد زعم بعضهم ان اسم زوجته رجة فان كان اخذ ذلك من سياق الآية فقد أبعد النجعة وان كان اخذه من نقل اهل الكتاب وصح ذلك عنهم فهو مما لا يصدق ولا يكذب وقد سماها ابن عبد الكافي تاريخه رجة الله تعالى قال ويقال اسمها اليانث منشابن يوسف بن يعقوب بن اسحق

ابن ابراهيم قال ويقال ليا بنت يعقوب عليه السلام زوجة ايوب كانت معه بأرض الشنية وقال مجاهد قيل له يا ايوب ان اهلك لك في الجنة فان شئت آتيناك بهم وان شئت تركتهم لك في الجنة وعوضناك مثلهم قال لا بل اتركهم في الجنة فترى كوا له في الجنة وعوض مثلهم في الدنيا وقال جناد بن زيد عن ابي عمران الجوني عن نوف البكالي قال اوتي اجرهم في الآخرة واعطى مثلهم في الدنيا قال فحدثت به مطرفا فقال ما عرفت وجهها قبل اليوم وهكذا روى عن قتادة والسدي وغير واحد من السلف والله اعلم وقوله رجسة من عندنا أي فعلنا به ذلك رجسة من الله به وذكرى للعابدين أي وجعلناه في ذلك فدية لئلا يظن اهل البلاء انما فعلنا بهم ذلك لئلا يظن انهم علينا ولينا وسواه في الصبر على مقدورات الله والتأله لعباده بما يشاء وله الحكمة البالغة في ذلك (واسمعيل وادريس وذا الكنل كل من الصابرين وأدخلناهم (٢٩٤) في رحمتنا انهم من الصالحين) اما اسمعيل فلما راد به ابن ابراهيم الخليل عليهم

السلام وقد تقدم ذكره في سورة مريم وكذا ادريس عليه السلام واما ذوالكنل فظاهر من السياق انه ما قرن مع الانبياء الا وهوني وقال آخرون انما كان رجلا صالحا وكان ملكا عادلا وحكما مقسطا وتوقف ابن جرير في ذلك فانه اعلم قال ابن جرير عن مجاهد في قوله وذا الكنل قال رجل صالح غيرني تكفل لنبي قومه ان يكفيه الله قومه ويقمهم له ويقضى بينهم بالعدل ففعل ذلك فسمى ذا الكنل وكذا روى ابن جرير عن مجاهد ايضا وروى ابن جرير حدثنا محمد بن المثنى حدثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا داود عن مجاهد قال لما كبر اليسع قال لو أني استخلفت رجلا على الناس يعمل عليهم في حياتي حتى انظر كيف يعمل بجمع الناس فقال من يتقبل مني بثلاث أسـ تخلفه

او كان فيه منكر ونحوه وعن مجاهد قال المعنى فان لم تجدوا فيها أحدا أي لم يكن فيها امتاع وضعفه ابن جرير وهو حقيق بالضعف فان المراد بالاحد المذكور اهل البيوت الذين يذنون للغير بدخولها لامتاع الداخلين اليها (وان قيل لكم) أي ان قال لكم اهل البيت (ارجعوا فارجعوا) ولا تعاودوهم بالاستئذان مرة أخرى ولا تنتظروا وبعد ذلك ان يؤذن لكم بعد امرهم بكم بالرجوع ولا تقفوا على الباب ملازمين ثم ينسبحانه ان الرجوع افضل من الاحاح وتكرير الاستئذان والعود على الباب والاصرار على الانتظار فقال (هو) أي الرجوع (أركيكم) أي افضل واظهر من التمسك بالمساحة على الدخول ومن اللج والعناد والوقوف على الابواب لما في ذلك من سلامة الصدر والبعد من الريبة والفرار من الدناءة والردالة واذا حضر احد الى الباب فلم يستأذن وقعد على الباب منتظرا جاز كان ابن عباس يأتي دور الانصار لطلب الحديث فيقعده على الباب ولا يستأذن حتى يخرج اليه الرجل فيراه ويقول يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو اخبرني بمكانك فيقول هكذا امرنا ان نطلب العلم (والله بما تعملون علم) لا تخفى عليه من امم الكرم خافية ومنه الدخول باذن وغير اذن (ليس عليكم جناح) في الدخول بغير استئذان (ان تدخلوا بيوت غير مسكونة) أي البيوت التي ليست بموضوعة لسكنى طائفة مخصوصة بل كانت موضوعة ليدخلها كل من له حاجة فتصدم منها وقد اختلف الناس في المراد بهذه البيوت فقال محمد بن الحنفية وقتادة ومجاهد وهى الفنادق التي في الطرق السابلة الموضوعة لابن السبيل يأوى اليها وقال ابن زيد والشعبي هى حوانيت القيساريات وبيوت التجار وحوانيتهم في الاسواق والربط قال الشعبي لانهم جاءوا ببيوتهم فجعلوها فيها وقالوا للناس هلم وقال عطاء المراد بها الحرب التي يدخلها الناس للبول والغائط ففي هذا أيضا امتاع وقيل هى بيوت مكة روى ذلك عن محمد بن الحنفية أيضا وهو موافق لقول من قال ان الناس شركاء فيها ولكن قد قيد سبحانه هذه البيوت المذكورة هنا بانها غير

مسكونة

يصوم النهار ويقوم الليل ولا يغضب قال فقام رجل تزدي به العين فقال أنا فقال أنت تصوم النهار ويقوم الليل ولا تغضب قال نعم قال فردهم ذلك اليوم وقال مثلها في اليوم الآخر فسكت الناس وقام ذلك الرجل فقال أنا فاستخلفه قال

فجعل ابليس يقول للشياطين عليكم بفلان فأعياهم ذلك فقال دعوني واباه فأناه في صورة شيخ كبير فقبرناه حين أخذ مضجعه للقاتلة وكان لي نام الليل والنهار لا تلك النومة فدق الباب فقال من هذا قال شيخ كبير مظلوم قال فقام ففتح الباب فجعل يقص عليه فقال ان بيني وبين قومي خصومة وانهم ظلموني وفعلوا بي وفعلوا بي وجعل يطول عليه حتى حضر الروح وذابت القاتلة فقال اذا رحت فاتنى أخذك بمحك فانطلق وراح فكان في مجلسه فجعل ينظر هل يرى الشيخ فلم يره فقام يتبعه فلما كان الغد جعل يقضى بين الناس وينظره فلا يراه فلما رجع الى القاتلة فأخذ مضجعه فأناه فدق الباب فقال من هذا قال الشيخ الكبير المظلوم ففتح له فقال

ألم أقل لك اذا قصدت فاتني قال انهم أخبث قوم اذا عرفوا أنك فاعدا قالوا نحن نعطيك حقلك واذا اقت بجدوني قال فانطلق فاذا رحت فاتني قال ففاتته القائلة فراح فجعل ينظره ولا يراه وشق عليه النعاس فقال لبعض أهله لا تدع أحدا يقرب هذا الباب حتى أنام فاني قد شق على النوم فلما كان تلك الساعة جاء فقال له الرجل ورائك ورائك قال اني قد أقيتته أمس وذكرته لأمرى فقال لا والله لندأ أمرنا ان لا ندع أحدا يقربه فلما أعياءه نظر فرأى كوة في البيت فتسور منها فاذا هو في البيت واذا هو يدق الباب من داخل قال واستيقظ الرجل فقال يا فلان ألم أمرك قال أما من قبلي والله فلم توت فانتظر من أين أتيت قال فقام الى الباب فاذا هو مغلق كما أغلقه واذا الرجل معه في البيت فعرفه فقال أعدو الله قال نعم أعيتني في كل شيء ففعلت ما ترى لأغضبك فسماه الله ذا الكنفل لانه تكفل بأمر فوفى به وهكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث زهير بن اسحق عن (٢٩٥) داود عن مجاهد بن جهم قال قال ابن أبي حاتم حدثنا

أبي حدثنا أحمد بن يونس حدثنا أبو بكر بن عباس عن الأعمش عن مسلم قال قال ابن عباس كان قاض في بني اسرائيل فحضره الموت فقال من يقوم مقامى على أن لا يغضب قال فقيل له رجل أنا فسمى ذا الكنفل قال فكان له جميع عيادى لي ثم أصبح صائما فيتعذى بين الناس قال وله ساعة يقبلها قال فكان كذلك فاتاه الشيطان عند نومته فقال له اصحابه مالك قال انسان مسكين له على رجل حق وقد غلبني عليه قالوا كما انت حتى يستيقظ قال وهو فوق نائم قال فجعل يصيح عمدا حتى يوقظه قال فسمع فقال مالك قال انسان مسكين له على رجل حق قال فاذهب فقل له يعطيك قال قد أبى قال اذهب انت اليه قال فاذهب ثم جاء من الغد فقال مالك قال ذهبت اليه فلم يرفع بكلامك رأسا قال اذهب اليه فقل له يعطيك حقلك قال فاذهب ثم

مسكونة (فيها متاع لكم) المتاع المنفعة عند أهل اللغة فيكون معنى الآية فيها منفعة لكم كاستئذان من الحر والبرد وإيواء الرحال والسلع والشراء والبيع ومنه قوله ومتعوهم وقولهم أمتع الله بك وقد فسر الشعبي المتاع في كلامه المتقدم بالاعيان التي تباع قال جابر ابن زيد وليس المراد بالمتاع الجهاز ولكن ما سواه من الحاجة قال النحاس وهو حسن موافق للغة (والله يعلم ما تدون وما تكتون) أى ما تظهرون وما تخفون وفيه وعيد لمن لم يتأدب بأداب الله في دخول بيوت الغير ويدخل الخربات والدور الخالية من أهل الريّة ولما ذكر سبحانه حكم الاستئذان أتبعه بحكم النظر على العموم فقال (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) فيندرج تحته غض البصر من المستأذن كما قال صلى الله عليه وآله وسلم انما جعل الاذن من أجل البصر وخص المؤمنين مع تحريمه على غيرهم ليكون قطع ذرائع الزنا التي منها النظرهم أحق بهامن غيرهم وأولى بذلك ممن سواهم وقيل ان في الآية دليل على ان الكفار غير مخاطبين بالشريعات كما يقوله بعض أهل العلم وفي الكلام حذف والتقدير قل للمؤمنين غضوا وغضوا بمعنى غض البصر اطباق الحفن على العين بحيث يمنع الرؤية ومنه التبعيضية واليه ذهب الاكثرون وعليه اقتصر القاضي كالكشف وبنيوه بان المعنى غض البصر عما يحرم والاقتصاري به على ما يحل وقيل وجه التبعيض انه يعنى للنظر أول نظرة تقع من غير قصد وقال الاخفش انها زائدة وأنكر ذلك سيويه وقيل انها البيان الخدش قاله أبو البقاء واعترض عليه بأنه لم يتقدم بهم حتى يكون تفسير ابن وقيل انها لا تبدأ الغاية قاله ابن عطية وعليه اقتصر أبو حيان في التهرؤ وقيل الغض التقصص يقال غض فلان من فلان أى وضع منه بالبصر اذ لم يمكن من غله فهو مغضوض منه ومنقوص فتسكون من صله للغض وليست لمعنى من تلك المعاني الاربعة وفي هذه الآية دليل على تحريم النظر الى غير من يحل النظر اليه قال ابن عباس يغضوا أبصارهم يعنى من شهوراتهم مما يكره الله وأخرج أبو داود والترمذى والبيهقى في سننه عن بريدة قال

جاء من الغد حين قال قال فقال له اصحابه اخرج فقل الله بك تجبى كل يوم حين ينام لا تدعه ينام قال فجعل يصيح من اجل انى انسان مسكين لو كنت غنيا قال فسمع ايضا فقال مالك قال ذهبت اليه فضر بنى قال امش حتى أجي معك قال فهو مسك بيده فلما رآه ذهب معه فتريده منه ففتر وهكذا روى عن عبد الله بن الحرث ومحمد بن قيس وابى حمزة الاكبر وغيرهم من السلف نحو هذه القصة والله أعلم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو الجاهر أخبرنا سعيد بن بشير حدثنا قتادة عن كنانة بن الاخنس قال سمعت الاشعري وهو يقول على هذا المنبر ما كان ذوالكفل نبي ولكن كان يعنى في بنى اسرائيل رجل صالح يصلى كل يوم مائة صلاة فتكفل له ذوالكفل من بعده فكان يصلى كل يوم مائة صلاة فسمى ذا الكفل وقدر واد ابن جرير من حديث عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال قال ابو موسى الاشعري فذكره منقطعاً والله أعلم وقدرى الامام أحمد حديثنا عن سباط بن محمد حدثنا

الاعشى عن عبد الله بن عبد الله عن سعد مولى طلحة عن ابن عمر قال سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً لم أسمعه إلا مرة أو مرتين حتى عدت سبع مرات ولكن قد سمعته أكثر من ذلك قال كان الكفل من بنى إسرائيل لا يتورع من ذنب عمه فأتته امرأة فأعطاهما ستين ديناراً على أن يطأها فلما قدمتهما معه الرجل من امرأته أرعدت وبكت فقال ما يبكيك أكرهتك قالت لا ولكن هذا عمل لم أعمله قط وانما جعلني عليه الحاجة قال فتفعلين هذا ولم تفعل عليه قط ثم نزل فقال اذهبي بالنار تترك ثم قال والله لا يعصى الله الكفل أبداً فمات من ليلته فأصبح مكتوباً على باب قد غفر الله للكفل هكذا وقع في هذه الرواية الكفل من غير إضافة والله أعلم وهذا الحديث لم يخرجوه أحد من أصحاب الكتب الستة واسناده غريب وعلى كل تقدير فلفظ الحديث أن كان الكفل ولم يقل ذوالكفل فلهذا رجل آخر والله أعلم (٢٩٦) (وذا النون اذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناها من الغم وكذلك تنجي المؤمنين) هذه القصة مذكورة ههنا وفي سورة الصافات وفي سورة ن وذلك ان يونس بن متى عليه السلام بعثه الله الى اهل قرية دينوى وهى قرية من ارض الموصل فدعاهم الى الله تعالى فأبوا عليه وتعادوا على كفرهم فخرج من بين أظهرهم مغاضباً لهم ووعدهم بالعذاب بعد ثلاث فلما تحققوا منه ذلك وعلوا أن النبي لا يكذب خرجوا الى الصحراء باطناء لهم وانعامهم ومواشيهم وفرقوا بين الامهات وأولادها ثم تضرعوا الى الله عز وجل وجأروا اليه ورغى الابل وفصلانها وخارت البقر وأولادها ونعت الغنم وسخاها فرفع الله عنهم العذاب قال الله تعالى فلولاً كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تتبع النظرة النظرة فان الاولى لك وليست لك الاخرى وفي مسلم وأبي داود والترمذى والنسائى عن جرير الجبلى قال سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن نظرة النجاة فأمرنى أن أصرف وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اياكم والجلوس على الطرقات قالوا يا رسول الله ما لنا بد من مجالسنا نتحدث فيها فقال ان ايتكم فاعطوا الطريق حقه قالوا وما حقه يا رسول الله قال غص البصر وكف الاذى ورد السلام والاصر بالمعروف والنهي عن المنكر (ويحفظوا فروجهم) أى يجب عليهم حفظها عما يحرم عليهم ولا يحل لهم وقيل المراد استرو فروجهم عن ان يراها من لا يحل له رؤيتها ولا مانع من ارادة المعنيين فالكل يدخل تحت حفظ الفرج وقيل وجه المجيى بمن فى الابصار دون الفروج انه موسع فى النظر فانه لا يحرم منه الا ما استثنى ألا ترى ان المحارم لا بأس بالنظر الى شعورهن وصدورهن وكذا الاماء المستعرضات للبيع بخلاف حفظ الفرج فانه مضيق فيه فانه لا يحل منه الا ما استثنى وقيل الوجه ان غص البصر كله كالتعذر بخلاف حفظ الفرج فانه ممكن على الاطلاق قال أبو العالمة كل ما فى القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا لا ما فى هذا الموضع فانه أراد به الاستئثار حتى لا يقع بصر الغير عليه (ذلك) أى ما ذكر من الغص والحفظ (أزكى) أى أظهر (لهم) من دنس الرينة وأطيب من التلبس بهذه الدنيئة (ان الله خير بما يصنعون) لا يخفى عليه شئ من صنعهم فيجازيهم عليه وفي ذلك وعيد لمن لم يغض بصره ويحفظ فرجه (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن) خص سبحانه الاناث بهذا الخطاب على طريق التأكيد لدخولهن تحت خطاب المؤمنين تغليبا كما فى سائر الخطابات القرآنية وظهر التضعيف فى يغضضن ولم يظهر فى يغضوا لان لام الفعل من الاول متحركة ومن الثانى ساكنة وهما فى موضع جزم جوابا للامرو بدأ سبحانه بالغض فى الموضوعين قبل حفظ الفرج لان النظر وسيلة الى عدم حفظ الفرج والوسيلة مقدمة على المتوصل اليه وعن

الاعشى عن عبد الله بن عبد الله عن سعد مولى طلحة عن ابن عمر قال سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً لم أسمعه إلا مرة أو مرتين حتى عدت سبع مرات ولكن قد سمعته أكثر من ذلك قال كان الكفل من بنى إسرائيل لا يتورع من ذنب عمه فأتته امرأة فأعطاهما ستين ديناراً على أن يطأها فلما قدمتهما معه الرجل من امرأته أرعدت وبكت فقال ما يبكيك أكرهتك قالت لا ولكن هذا عمل لم أعمله قط وانما جعلني عليه الحاجة قال فتفعلين هذا ولم تفعل عليه قط ثم نزل فقال اذهبي بالنار تترك ثم قال والله لا يعصى الله الكفل أبداً فمات من ليلته فأصبح مكتوباً على باب قد غفر الله للكفل هكذا وقع في هذه الرواية الكفل من غير إضافة والله أعلم وهذا الحديث لم يخرجوه أحد من أصحاب الكتب الستة واسناده غريب وعلى كل تقدير فلفظ الحديث أن كان الكفل ولم يقل ذوالكفل فلهذا رجل آخر والله أعلم (٢٩٦) (وذا النون اذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناها من الغم وكذلك تنجي المؤمنين) هذه القصة مذكورة ههنا وفي سورة الصافات وفي سورة ن وذلك ان يونس بن متى عليه السلام بعثه الله الى اهل قرية دينوى وهى قرية من ارض الموصل فدعاهم الى الله تعالى فأبوا عليه وتعادوا على كفرهم فخرج من بين أظهرهم مغاضباً لهم ووعدهم بالعذاب بعد ثلاث فلما تحققوا منه ذلك وعلوا أن النبي لا يكذب خرجوا الى الصحراء باطناء لهم وانعامهم ومواشيهم وفرقوا بين الامهات وأولادها ثم تضرعوا الى الله عز وجل وجأروا اليه ورغى الابل وفصلانها وخارت البقر وأولادها ونعت الغنم وسخاها فرفع الله عنهم العذاب قال الله تعالى فلولاً كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب

الخرى فى الحياة الدنيا ومغناهم الى حين واما يونس عليه السلام فانه ذهب فركب مع قوم فى سفينة فلهجت بهم مقائل وخفوا أن يغرقوا فاقترعوا على رجل يلقونه من بينهم يتخففون منه فوقعت القرعة على يونس فأبوا أن يلقوه ثم أعادوها فوقعت عليه ايضا فأبوا ثم أعادوها فوقعت عليه ايضا قال الله تعالى فساهم فكان من المدحضين اى وقعت عليه القرعة فقام يونس عليه السلام وتجر من ثيابه ثم اتى نفسه فى البحر وقد ارسل الله سبحانه من البحر الاخضر فيما قاله ابن مسعود حوتاً يشق البحار حتى جاءه فالتقم يونس حين ألقى نفسه من السفينة فأوحى الله الى ذلك الحوت ان لا تأكل لحمه ولا تهشم له عظما فان يونس ليس لك رزقا وانما بطنك تكون له سجنًا وقوله وذا النون يعنى الحوت صحت الاضافة اليه بهذه النسبة وقوله اذ ذهب مغاضباً قال الضحاك لقومه فظن ان لن نقدر عليه أى نصيق عليه فى بطن الحوت بروى نحو هذا عن ابن عباس ومجاهد والضحاك وغيرهم واختاره ابن جرير واستشهد

عليه وسلم ان يونس النبي عليه السلام حين بدله ان يدعوه بهذه الكلمات وهو في بطن الحوت قال اللهم لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فاقبلت هذه الدعوة تحن بالعرش فقالت الملائكة يا رب صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة فقال امانا تعرفون ذلك قالوا يا رب ومن هو قال عبد يونس قالوا عبدك يونس الذي لم يرزل يرفع له عمل متقبل ودعوة مجابة قالوا يا رب اولاً ترحم ما كان يصنعه في الرخاء فتجيبه من البلاء قال بلى فامر الحوت فترحمه في الغراء وقوله فاستجيبنا له ونجينا من الغم أي أخرجنه من بطن الحوت وتلك الظلمات وكذلك نجى المؤمنين أي اذا كانوا في الشدائد ودعونا من بين اليأس والاسم اذا دعوا بهذا الدعاء في حال البلاء فقد جاء الترغيب في الدعاء به اعني سيد الانبياء قال الامام أحمد حدثنا اسمعيل بن عمير حدثنا يونس بن أبي اسحق الهمداني حدثنا ابراهيم بن محمد بن سعد حدثني (٢٩٨) والدي محمد عن أبيه سعد هو ابن أبي وقاص رضى الله عنه قال مررت بعثمان

بن عثمان رضى الله عنه في المسجد فسلمت عليه فلاء عينيه مني ثم لم يرد علي السلام فانت عير من الخطاب فقلت يا امير المؤمنين هل حدث في الاسلام شيء مرتين قال لا وما ذلك قلت لا الا اني مررت بعثمان آتفا في المسجد فسلمت عليه فلاء عينيه مني ثم لم يرد علي السلام قال فارسل عمر الى عثمان فدعاه فقال ما منعك ان لا تكون رددت علي أخيك المسلم قال ما فعلت قال سعد قلت بلى حتى حلف وحلفت قال نعم ان عثمان ذكر فقال بلى واستغفر الله وأتوب اليه انك مررت بي آتفا وأنا أحدث نفسي بكلمة سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا والله ما ذكرت ما قط الا فغشي بصري وقلبي غشاوة قال سعد فانا أنبئهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر لنا أول دعوة ثم جاء اعرابي فشغله حتى قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبعته فلما

اليها ثم استثنى سبحانه من هذا النبي فقال (الاماظهر منها) أي ماجرت العادة والجليلة على ظهوره واختلاف الناس في ظاهر الزينة ما هو فقال ابن مسعود وسعيد بن جبيرة هو الثياب وزاد سعيد الوجه وقال عطاء والاوزاعي الوجه والكفان وقال ابن عباس وقناة والمسور بن مخزومة هو الكحل والخاتم والسوار والخضاب في الكف الى نصف الساق ونحو ذلك فانه يجوز للمرأة ان تديها وقال ابن عطية ان المرأة لا تبدى شيئاً من الزينة وتحفى كل شيء من زينتها ووقع الاستثناء في بانظر منها يحكم الضرورة ولا يحفى عليك ان ظاهر النظم القرآني انتهى عن ابداء الزينة الاماظهر منها كـ الجلباب والخمار ونحوهما مما في الكف والتقدمين من الخلية ونحوها وان كان المراد بالزينة مواضعها كان الاستثناء راجعاً الى ما يشق علي المرأة ستره كالكفين والتقدمين ونحو ذلك وهكذا اذا كان النبي عن اظهار الزينة يستلزم النبي عن اظهار مواضعها بقوى الخطاب فانه يحمل الاستثناء على ما ذكرنا في الموضوعين وأما اذا كانت الزينة تشمل مواضع الزينة وما تزين به النساء فالامر واضح والاستثناء يكون من الجميع قال القرطبي في تفسيره الزينة على قسمين خلقية ومكتسبة فالخلقية وجهها فانه أصل الزينة والمكتسبة ما نحاوله المرأة في تحسين خلقها كالثياب والحلي والكحل والخضاب ومنه قوله تعالى خذوا زينتكم وعن ابن مسعود قال الزينة السوار والدمج والخنخال والقرط والقلادة الاماظهر منها قال الثياب والجلباب وعنه قال الزينة زينة تظاهر وزينة باطنة لا يراها الا الزوج فاما الزينة الظاهرة فالثياب وأما الزينة الباطنة فالكحل والسوار والخاتم وفي لفظ فالظاهرة منها الثياب وما خفي الخنخال والقرطان والسواران وعن ابن عباس في الآية قال الكحل والخاتم والقرط والقلادة وعنه قال هو خضاب الكف والخاتم وعن ابن عمر قال الزينة الظاهرة الوجه والكفان وقال ابن عباس الاماظهر منها أي وجهها وكفها والخاتم وعنه قال رقعة الوجه وباطن الكف وعن عائشة انها مثلت عن الزينة الظاهرة فقالت القلب

والفتح

أشبهت ان يسبقني الى منزله ضربت بقدمي الارض فالتفت الى رسول الله صلى الله

عليه وسلم فقال من هذا أبو اسحق قال قلت نعم يا رسول الله قال فقه قلت لا والله الا انك ذكرت لنا أول دعوة ثم جاء هذا الاعرابي فشغلنا قال نعم دعوة ذي النون اذ هو في بطن الحوت لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فانه لم يدعهم اسلم ربه في شيء قط الاستجاب له ورواه الترمذي والنسائي في اليوم والليلة من حديث ابراهيم بن محمد بن سعد عن أبيه سعد بن عبد الله وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشجعي حدثنا أبو خالد الاجر عن كثير بن زيد عن المطلب بن حنطب قال أبو خالد أحسبه عن مصعب يعني ابن سعد عن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعاه يونس استجيب له قال أبو سعيد يريد به وكذلك نجى المؤمنين وقال ابن جرير حدثني عمران بن بكار الكلاعي حدثنا يحيى بن صالح حدثنا أبو يحيى بن عبد الرحمن حدثني بشر بن منصور عن علي بن زيد

عن سعيد بن المسيب قال سمعت سعد بن أبي وقاص يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اسم الله الذي اذا دعي به
أجاب واذا سئل به أعطى دعوة يونس بن متى قال قلت يا رسول الله هي ليونس خاصة أم لجماعة المسلمين قال هي ليونس بن متى خاصة
ولجماعة المؤمنين عامة اذا دعوا بها ألم تسمع قول الله عز وجل فنادى في الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين
فاسم تسميته ونجته من النعم وكذلك نجي المؤمنين فهو شرط من الله لدعائه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن أبي
شريح حدثنا داود بن الجهم بن محمد بن العرش عن كثير بن معبد قال سألت الحسن فقلت يا أبا سعيد اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به
أجاب واذا سئل به أعطى قال ابن أخي أما تقرأ القرآن قول الله تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا الى قوله وكذلك نجي المؤمنين
ابن أخي هذا اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به أجاب واذا سئل به أعطى (٢٩٩) (وزكريا اذا نادى ربه رب لا تدركني

فردا وانت خير الوارثين فاستجبنا
له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه
انهم كانوا يسارعون في الخيرات
ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا
خاشعين) يخبر تعالى عن عبده
زكريا حين طلب ان يهبه الله ولدا
يكون من بعده نبيا وقد تقدمت
القصة بمسبوبة في أول سورة
مريم وفي سورة آل عمران أيضا
وهنا أخصر منها اذا نادى ربه
أي خفية عن قومه رب لا تدركني
فردا أي لا ولد لي ولا وارث يقوم
بعدي في الناس وأنت خير الوارثين
دعاء وشاء مناسب للمسئلة قال
الله تعالى فاستجبنا له ووهبنا له
يحيى وأصلحنا له زوجه أي امرأته
قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن
جبير كانت عاقرا لا تلد فولدت
وقال عبد الرحمن بن مهدي عن
طلحة بن عمرو عن عطاء كان
في لسانها طول فاصلمها الله
وفي رواية كان في خلقها شيء

والفتح وضمت طرفيها وأخرج أبوداود والبيهقي وابن مردويه عن عائشة ان أسماء بنت
أبي بكر دخلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها وقال
يا أسماء ان المرأة اذا بلغت المحيض لم يصلح ان يرى منها الا هذا وأشار الى وجهه وكفه وهذا
مرسل لان من طريق خالد بن دريك عن عائشة ولم يسمع منها وانما رخص في هذا القدر
للمرأة ان تبديه من بدن المرأة لا تجدد من من اوله الاشياء يديه ومن الحاجة الى
كشف وجهها خصوصا في الشهادة والمحاكمة والنكاح وتضطر الى المشي في الطرقات
وظهور رقمية او خاصة الفقيرات منهن قال الخليل فيجوز نظره أي تطرأ نظره من الاجنبى
ان لم يحفظ قسنة في أحد وجهين والثاني يحرم لانه مظنة الفتنة ويرجح حسنها للباب انتهى
أي باب النظر عن تفاصيل الاحوال كالخلوة بالاجنبية (وليضر بن بخمرهن على جيوبهن)
انخرج جمع خمار وهو ما تغطي به المرأة رأسها ومنه اخترت المرأة وتخصرت والجيوب جمع
جيب وهو موضع القطع من الدرع والقميص مأخوذ من الجوب وهو التطوع وقيل المراد
بالجيب هنا محله وهو العنق والافه في الاصل طوق القميص وعدى الضرب بعلى
لتضمينه معنى الالتئام والباهزائدة وتبع مضية وقال المفسرون ان نساء الجاهلية كن
يسدن خصرهن من خلفهن وكانت جيوبهن من قدام واسعة فكان ينكشف خصورهن
وقلائدهن فامرهن ان يضربن مقانعهن على الجيوب ليس تبرزن ذلك ما كان يبدون منها وفي
لفظ الضرب مبالغة في الالتئام الذي هو الاصاق وقرئ خصرهن بفتح الهمزة وبكسرهما
وكثير من متقدمي النحويين لا يجوزون الكسر قال الزجاج يجوز ان تبدل من الضمة
كسرة وأما ما روي عن حمزة من الجمع بين الضم والكسرة ففعال لا يقدر الانسان ان يتكلم
به الا على الائمة وقد فسر الجمهور الجيوب بما قدمنا وهو المعنى الحقيقي وقال مقاتل ان
معنى على جيوبهن على صدورهن فالمضاف محذوف أي على مواضع جيوبهن وقد
أخرج البخاري في صحيحه وأبوداود والنسائي والبيهقي وغيرهم في سننهم عن عائشة قالت

فأصلحها الله وهكذا قال محمد بن كعب والسدي والظاهر من السياق الاول وقوله انهم كانوا يسارعون في الخيرات أي في عمل
القربات وفعل الطاعات ويدعوننا رغبا ورهبا قال الثوري رغبا فيما عندنا ورهبا مما عندنا وكانوا خاشعين قال علي بن أبي طلحة
عن ابن عباس أي مصدين بما أنزل الله وقال مجاهد مؤمنين حقوا قال أبو العالية خائفين وقال أبو سنان الخشوع هو الخوف
اللازم للقلب لا يفارقه أبدا وعن مجاهد أيضا خاشعين أي متواضعين وقال الحسن وقادة الضحالك خاشعين أي متدلين لله عز
وجل وكل هذه الاقوال متقاربة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا محمد بن فضيل حدثنا عبد الرحمن
ابن اسحق عن عبد الله القرشي عن عبد الله بن حكيم قال خطبنا أبو بكر رضي الله عنه ثم قال أما بعد فاني أوصيكم بتقوى الله
وتنوا عليه بما هو له أهل وتخطوا الرغبة بالرهبة وتجمعوا الخوف بالمسئلة فان الله عز وجل اثني على زكريا وأهل بيته فقال

الحق فاذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا ياولا ويلنا قد كافي غفلة تم هذا بل كاظمان) يقول تعالى وحرام على قرية قال ابن عباس وجب يعني قد قدر أن أهل كل قرية أهل كواهم لا يرجعون الى الدنيا قبل يوم القيامة هكذا سر حبه ابن عباس وأبو جعفر الباقر وقادة وغير واحد في رواية عن ابن عباس أنهم لا يرجعون أي لا يتوبون والقول الاول أظهر والله أعلم وقوله حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج قد قدمناهم من سلالة آدم عليه السلام بل هم من نسل نوح أيضاً من أولاد نوح أي أبى الترك والترك شر ذمة منهم تركوا من وراء السد الذي بناه ذو القرنين وقال هذا رحمة من ربي فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقاً وتر كآبعضهم يؤمنون في بعض الآية وقال في هذه الآية الكريمة حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون أي يسرعون في المشي الى الفساد والحدب هو المرتفع من (٣٠١) الارض قاله ابن عباس وعكرمة وأبو صالح والثوري وغيرهم وهذه صفتهم في

حال آخر وجههم كأن السامع مشاهد لذلك ولا ينبغي مثل خبر هذا الخبر عالم ما كان وما يكون الذي يعلم غيب السموات والارض لا اله الا هو وقال ابن جرير حدثنا محمد بن مني حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عبد الله بن يزيد قال رأى ابن عباس صبيانا ينزوا بعضهم على بعض يلعبون فقال ابن عباس هكذا يخرج يأجوج ومأجوج وقد ورد ذكر وجههم في أحاديث متعددة من السنة النبوية فالحديث الاول قال الامام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن ابن اسحق عن عاصم بن عمرو ابن قتادة عن محمود بن ابى سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تفتح يأجوج ومأجوج فيخرجون على الناس كما قال الله عز وجل وهم من كل حدب ينسلون فيغشون

من ان يصفوهن لابنائهم والمعنى ان سائر القربان تشترك مع الاب والابن في المحرمية الابن العلم والخال وهذا من الدلالات البليغة في وجوب الاحتياط عليهن في النسب وليس في الآية ذكر الرضاع وهو كالنسب (أو نسائهن) أي المختصات بهن من جهة الاشتراك في الايمان الملا بسات لهن بالخدمة أو العصبية ويخرج من ذلك نساء الكفار من أهل الذمة وغيرهم فلا يحل لهن ان يبدن زينتهن لهن لانهن لا يتحرجن عن وصفهن للرجال وفي هذه المسئلة خلاف بين أهل العلم قال ابن عباس هن المسلمات لا تبديها ليهودية ولا نصرانية وهو النحر والقرط والوشاح وما يحرم ان يراه الا محرم وآخر ج سعيد ابن منصور والبيهقي وابن المنذر عن عمر بن الخطاب انه كتب الى أبي عبيدة أما بعد فانه بلغني ان نساء من نساء المؤمنين يدخلن الحمامات مع نساء أهل الشرك فانه من قبلك عن ذلك فانه لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان ينظر الى عورتها الا أهل ملتها (أو ما لا يكت أعيانهم) فيجوز لهن نظرهن الا ما بين السر والركبة فيحرم نظره لغيره الا زواج قاله الحلي وظاهر الآية يشمل العبيد والاماء من غير فرق بين أن يكونوا مسلمين أو كافرين وبه قال جماعة من أهل العلم واليه ذهب عائشة وأم سلمة وابن عباس ومالك وقال سعيد بن المسيب لا تغرنكم هذه الآية انما عني بها الاماء ولم يعن بها العبيد وكان الشعبي يكره أن ينظر المملوك الى شعر مولاه وهو قول عطاء ومجاهد والحسن وابن سيرين وروى عن ابن مسعود وبه قال أبو حنيفة وابن جرير وقال ابن عباس لا بأس ان يرى العبد شعر سيده وأخرج البيهقي وأبو داود وغيرهما عن أنس ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أتى فاطمة رضي الله تعالى عنها بعد قد وهب لها وعلى فاطمة ثوب اذا قنع برأسها لم يبلغ رجلها واذا غطت به رجلها لم يبلغ رأسها فلما رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما تلقى قال انه ليس عليك بأس انما هو أبوك وعلامة وهو ظاهر القرآن وأخرج عبد الرزاق وأحمد عن أم سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال اذا كان لاحدا كن مكاتب

الناس وينجاز المسلمون عنهم الى مدائنهم وحصونهم ويضمون اليهم مواشيهم ويشربون مياه الارض حتى ان بعضهم ايمر بالنهر فيشربون ما فيه حتى يتركوه يابساً حتى ان من بعدهم لم يتركوا النهر فيقول قد كان ههنا ماء مرة حتى اذا لم يبق من الناس احد الا أحد في حصن أو مدينة قال قائلهم هؤلاء أهل الارض قد فرغنا منهم بقي أهل السماء قال ثم يهزأ حدهم حربه ثم يرمي بها الى السماء فترجع اليه مخضبة دماء البلاء والفتنة فيدناهم على ذلك بعث الله عز وجل دوداً في أعناقهم كغف الجراد الذي يخرج في أعناقه فيصحبون موتى لا يسمع لهم حس فيقول المسلمون ألا رجل بشرى لنا نفسه فينظر ما فعل هذا العدو وقال فينحدر رجل منهم محتسباً نفسه قد أوطنها على ان يقتل فينزل فيجدهم موتى بعضهم على بعض فينادي يا معشر المسلمين ألا تبشروا ان الله عز وجل قد كفناكم عدوكم فيخرجون من مدائنهم وحصونهم ويسرعون مواشيهم فما يكون لاهل الارض منهم فتشكر عنه كائن

ما شكرت عن شيء من النبات أصابته قط ورواه ابن ماجه من حديث يونس بن بكير عن ابن اسحق به * الحديث الثاني قال الامام
 أحمد أيضا حدثنا الوليد بن مسلم أبو العباس الدمشقي حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر حدثني يحيى بن جابر الطائي قاضي حص
 حدثني عبد الرحمن بن جبير بن نفير الحضرمي عن أبيه انه سمع النواس بن سمعان الكلبي قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
 الدجال ذات غداة تخفض فيه ورفع حتى ظنناه في ناحية النخل فتال غير الدجال أخوفني عليكم فان يخرج وأنافيكم فانا حبيبة دونكم
 وان يخرج ولست فيكم فيكل امرئ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم وانه شاب جمع دقط عينه طافية وانه يخرج خلة
 بين الشام والعراق فعاتبينا وشمالا يعباد الله اثبتوا قلنا يا رسول الله مالئته في الارض قال أربعين يوما يوم كسنة ويوم كسهر
 ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم قلنا (٣٠٢) يا رسول الله فذل اليوم الذي هو كسنة أي كنفينا فيه صلاة يوم وليلة قال

لا اقدر والله قدره قلنا يا رسول الله
 فما أسرع في الارض قال كالغيث
 استدبرته الريح قال فيمر بالحي
 فيدعوهم فيسحبون له فيأمر
 السماء فتطرر والارض فتنبث
 وتروح عليهم سارحتهم وهي
 اطول ما كانت ذرا وامتده خواصر
 وأسبغه ضرعا ويسر بالحي
 فيدعوهم فيردون عليه قوله فتتبعه
 أموالهم فيصجون محملين ليس
 لهم من أموالهم شيء ويعبر بالخربة
 فيقول لها انترجي كنوزك فتتبعه
 كنوزها كيما يسبب النخل قال
 ويأمر برجل فيقتل فيضربه
 بالسيف فيقطعه جزأتين رمية
 الغرض ثم يدعوه فيقبل اليه
 فيمنهاهم على ذلك اذ بعث الله عز
 وجل المسيح بن مريم فينزل عند
 المنارة البيضاء شرقي دمشق بين
 مهرودتين واضعا يديه على أجنحة
 ملكين فيمنعه فيدركه فيقتله
 عند باب الشرقى قال فيمنهاهم

وكان له ما يؤدى فلتعجب منه قال سليمان الجلي عن شيخه فيجوز لهم ان يكشفن لهم
 ما عهدا ما بين السرة والركبة ويجوز للعبيد أيضا ان ينظروا له وان يكشفوا الهن من
 أبدانهم ما عهدا ما بين السرة والركبة لكن بشرط العفة وعدم الشهوة من الجانبين
 (أو التابعين غير أولي الاربة من الرجال) أصل الاربة والارب والمراد بأربة الحاجة والجمع
 ما رتب أي حوائج ومنه قوله سبحانه ولي في ما رتب أخرى قيل المراد بغير أولي الاربة من
 الرجال الختاء الذين لا حاجة لهم في النساء وقيل البله وقيل العنين وقيل الخصى وقيل
 الخنث وقيل الشيخ الكبير وقيل هو المحبوب ولا وجه لهذا التخصيص بل المحبوب الذي
 بقي أنثاه والخصى الذي بقي ذكره والعنين والخنث وهو المثلث بالنساء والشيخ الهرم
 كالنخل كذا أطلق الاكثرون وقال في الشامل لا يحل للخصى النظر الى ان يكبر ويهرم
 وتذهب شهوته وكذا الخنث وبه قال شيخه القاضي أبو الطيب وأطلق أبو محمد البصري
 في الخصى والخنث وجهين والمراد بالآية ظاهرا وهم من يتبع أهل البيت في فضول
 الطعام ولا حاجة له في النساء ولا يحصل منه ذلك في حال من الاحوال فيدخل في هؤلاء من
 هو بهذه الصفة ويخرج من عده قال ابن عباس في الآية هذا الذي لا تستحي منه النساء
 وعنه قال هذا الرجل يتبع القوم وهو مغفل في عقله لا يكثر للنساء ولا يشتهي النساء
 وعنه قال كان الرجل يتبع الرجل في الزمان الاول لا يعار علمه ولا ترهب المرأة ان تضع
 خمارها عنده وهو الاحق الذي لا حاجة له في النساء وعنه قال هو الخنث الذي لا يقوم
 زبه وأخرج مسلم وأبو داود والنسائي والبيهقي وغيرهم عن عائشة قالت كان رجل يدخل
 على أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم لمخنث فكانوا يدعونه من غير أولي الاربة فدخل
 النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوما وهو عند بعض نسائه وهو ينعت امرأة قال اذا أقبلت
 أقبلت باربع واذا أدبرت أدبرت بثمان قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا أرى هذا
 يعرف ما ههنا لا يدخلن عليكم فخبوه (أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء)

الطفل

كذلك اذا وحى الله عز وجل الى عيسى بن مريم عليه السلام اني قد اخرجت

عباد امن عبادي لا يدان لك بقتالهم فخر زعمادي الى الطور فيسبعث الله عز وجل يا جوج ومأجوج كما قال تعالى وهم من كل
 حذب ينسلون فيرغب عيسى وأصحابه الى الله عز وجل فيرسل عليهم نغفنا في رقابهم فيصبحون فرسي كوت نفس واحدة فيهبط
 عيسى وأصحابه فلا يجدون في الارض بيتا الا قد ملأه زهمهم وتنههم فيرغب عيسى وأصحابه الى الله عز وجل فيرسل عليهم طيرا
 كأنها نقاب الجث فتطرحهم حيث شاء الله قال ابن جابر حدثني عطاء بن يزيد السكسكي عن كعب او غيره قال فتطرحهم
 بالمهيل قال جابر فقلت يا ابا يزيد وابن المهيل قال مطلع الشمس قال ويرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر أربعين يوما
 فيغسل الارض حتى يتركها كالزغوة ويقال للارض انبتى غرك ودرى بركتك قال فيومئذ يأكل النفر من الرمانه ويستظلون

بجمعها ويبارك في الرسل حتى ان اللقعة من الابل لتكفي القنাম من الناس واللقعة من البقر تكفي الفخذ والشاة من الغنم تكفي اهل البيت قال فيبيناهم على ذلك اذ بعث الله عز وجل ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبص روح كل مسلم او قال مؤمن ويبقى شرار الناس يتهارجون تهارج الحرو عليهم تقوم الساعة انفراداً بخراجه مسلم دون البخاري فرواه مع بقية اهل السنن من طرق عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر به وقال الترمذي حسن صحيح الحديث الثالث قال الامام أحمد حدثنا محمد بن بشر حدثنا محمد بن عمرو عن ابن حرملة عن خالته قالت خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عاصب اصبعه من لدغة عقرب فقال انكم تقولون لا عدو لكم وانكم لاتزالون تقاتلون عدوا حتى يأتي بأجوج ومأجوج عراض الوجوه صغارا عيون صهب الشعاف من كل حدب ينسلون كأن وجوههم المجان المطرقة وكذا روى ابن أبي حاتم من حديث (٢٠٣) محمد بن عمرو عن خالد بن عبد الله بن حرملة المدجلي عن خالته عن النبي صلى

الله عليه وسلم فذكره مثله سواء الحديث الرابع قد تقدم في آخر تفسير سورة الاعراف من رواية الامام أحمد عن هشيم عن العوام عن جبهلة بن سمينة عن مرثد بن عثان عن ابن مسعود رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقيت ليلة أسري بي ابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام قال فذا كروا أمر الساعة فردوا أمرهم الى ابراهيم فقال لأعلم لي بها فردوا أمرهم الى موسى فقال لأعلم لي بها فردوا أمرهم الى عيسى فقال اما وجبت لها فلا يعلم بها أحد الا الله وفيما عهد الى ربي ان الدجال خارج ومعي قضيبان فاذا رأيته ذاب كالجذب الرصاص قال فيهلكه الله اذا رأيته حتى ان الحجر والشجر يقول يا مسلم ان تحتي كافر افعال فاقتله قال فيه ليكنهم الله ويرجع الناس

الطفل يطلق على المفرد والمثنى والمجموع أو المراد به هنا الجنس الموضوع موضع الجمع بدلالة وصفه بوصف الجمع وفي مصنف أبي أو الاطفال على الجمع قاله ابن قتيبة قيل معناه لم يبلغوا حد الشهوة قاله الفراء والزجاج يقال ظهرت على كذا اذا غلبته وقهرته والمعنى لم يبلغوا على عورات النساء ويكشفوا عنهن للجماع أو لم يبلغوا حد الشهوة للجماع وقيل لم يعرفوا العورة من غيرهما من الصغر وقيل لم يبلغوا أو ان القدرة على الوطء من ظهر على فلان اذا قوى عليه وقيل لم يحتمل قرأ الجمهور عورات بسكون الواو وتخفيف الحرف العلة وهي لغة جمهور العرب وعامتها وقرئ بفتحها وهي لغة هذيل بن مدركة والعورات جمع عورة وهي ما يريد الانسان ستره من بدنه وغلب في السواقين واختلف العلماء في وجوب ستر ما عدا الوجه والكفين من الاطفال فقيل لا يلزم لانه لا تكليف عليه وهو الصحيح وقيل يلزم لانها قد تشبه المرأة وهكذا اختلف في عورة الشيخ الكبير الذي قد سقطت شهوته والاولى بقاء الحرمة كما كانت فلا يحل النظر الى عورته ولا يحل له ان يكشفنها وقد اختلف العلماء في حد العورة قال القرطبي أجمع المسلمون على ان السواقين عورة من الرجل والمرأة وان المرأة كلها عورة الا وجهها ويديها على خلاف في ذلك وقال الاكثران عورة الرجل من سترته الى ركبتيه قال ابن عباس الزينة التي تبديها الهولاء قرطها وقلايدها وسوارها فاما خلخالها ومعضدها ونحرها وشعرها فانها لا تبديها الا لزوجهها ومجموع هذه المستثنيات اثنا عشر نوعا ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) أى لا تضرب المرأة برجلها اذا مشيت لئلا يسمع صوت خلخالها من يسمع من الرجال فيعلمون انهم اذا دخلوا خلخال فان ذلك مما يورث الرجال ميلا اليهن ويوهن ان لهم ميلا الى الرجال وهذا سد باب المحرمات وتعليم للاحوط والافصوت النساء ليس بعورة عند الشافعي فضلا عن صوت خلخالهن وقال الزجاج وسماع هذه الزينة أشد تحريكا للشهوة من ابدانها قال ابن عباس في الآية وهو ان تفرع الخلخال بالآخر عند الرجال أو تكون في رجلها خلخال فحصر كنه عند

الى بلادهم وأوطانهم قال فعند ذلك يخرج مأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيطون بلادهم لا يأتون على شيء الا أهلكوه ولا يعمرون على ماء الا شربوه قال ثم يرجع الناس الى أوطانهم يشكونهم فأدعوا الله عليهم فمهلكهم ويميتهم حتى تجوى الارض من نتن ريحهم وينزل الله المطر فيجترف أجسادهم حتى يقذفهم في البحر فقيامه الى ربي ان ذلك اذا كان كذلك ان الساعة كالحامل المتيم لا يدري أهلهامتى فتجوههم بولادها ابلا ونهارا ورواه ابن ماجه عن محمد بن بشر عن يزيد بن هريرة عن العوام بن حوشب به نحوه وزاد قال العوام ووجدت صدق ذلك في كتاب الله عز وجل حتى اذا فقت مأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ورواه ابن جرير بهن من حديث ابن جبهلة به والا حديث في هذا كثيرة جدا والآثار عن السلف كذلك وقد روى ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث عمر بن عبد العزيز عن حميد بن هلال عن أبي العيص قال قال كعب اذا كان عند خروج مأجوج ومأجوج

حضر وحتى يسمع الذين يلونهم قرع فوسهم فاذا كان الليل ألقى الله على لسان رجل منهم يقول نجي عذافنخرج فيمعيده الله كما كان فيحيون من العذ فيجبدونه قد أعاده الله كما كان فيجبدونه حتى يسمع الذين يلونهم قرع فوسهم فاذا كان الليل ألقى الله على لسان رجل منهم يقول نجي عذافنخرج ان شاء الله فيحيون من العذ فيجبدونه كما تركوه فيجبدون حتى يخرجوا فتر الزمرة الاولى بالبحيرة فيشربون ماء هاشم ثم الزمرة الثانية فيلمسون طينها ثم تمر الزمرة الثالثة فيقولون قد كان ههنا مرة ماء فيفتر الناس منهم فلا يقوم لهم شيء ثم يرمون بسهامهم الى السماء فترجع اليهم مخضبة بالدماء فيقولون غلبنا أهل الارض وأهل السماء فيدعو عليهم عيسى ابن مريم عليه السلام فيقول اللهم لا طقة ولا يد لنا بهم فاكفناهم عاشت فيسلط الله عليهم ودوا يقال له المغف فيفرس رقابهم ويبعث الله عليهم طيرا تأخذهم عن اقربها (٣٠٤) فتلقمهم في الجحيم ويبعث الله عينا يقال لها الحياة يطهر الله الارض وينبت ما

حتى ان الرمانة يشبع منها السكندر قيل وما السكندر يا كعب قال أهل البيت قال فيمنع الناس كذلك اذا ناههم الصريح ان اذا السويقتين يريده قال فيبعث عيسى ابن مريم طلعة سبع مائة أو بين السبع مائة والثمان مائة حتى اذا كانوا ببعض الطريق بعث الله ريحا عاصية طيبة فقبض فيها روح كل مؤمن ثم ينيق تحاج الناس فيتسافدون كما تتسافد البهائم فقبل الساعة كمثل رجل يطيف حول فرسه متى تضع قال كعب بن قال بعد قولي هداشياً أو بعد على هذا شيئاً فهو المتكف وهذا من أحسن سماعات كعب الاخبار لما شهد له من صحيح الاخبار وقد ثبت في الحديث أن عيسى بن مريم يحج البيت العتيق وقال الامام احمد حدثنا سليمان بن داود حدثنا عمران عن قتادة عن عبد الله بن أبي عتبة عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله

الرجال فنهى الله عن ذلك لانه من عمل الشيطان وسماع صوت الزينة كاظهارها ومنه سمى صوت الحلى وسوا ساقبه به على ان الذي لا جله نهي عنه ان يعلم به ما عليهم من الحلى وغيره وفي القرطبي من فعل ذلك من فرح بالحلمين فهو مكر وده ومن فعل ذلك منهم تبرجا وتعرضا للرجال فهو حرام مذموم وكذلك من ضرب ببعده الارض من الرجال ان فعل ذلك عجا حرم فان العجب كبيرة وان فعل ذلك تبرجاً لم يحرم انتهى ثم أورد سدس بجانه عبادته الى التوبة عن المعاصي فقال (وتوبوا الى الله جميعاً أيه المؤمنون) مما وقع لكم من النظر الممنوع منه ومن غير ذوقه الامر بالتوبة ولا خلاف بين المسلمين في وجوبها وانها فرض من فرائض الدين قيل العبد لا يتحول عن سهو ويقصر في أوامره ونواهيه وان اجتهد فلذا وصاهم جميعاً بالتوبة وقد تقدم الكلام على التوبة في سورة النساء وقيل ان المراد بالتوبة هنا هي عما كانوا يعملونه في الجاهلية والاولى لما تقرر في السنة ان الاسلام يجب ما قبله وقد ورد الحديث في الامر بالتوبة والاستكثار منها قيل وأحوج الناس الى التوبة من توبهم ان ليس له حاجة الى التوبة رظاها الآية تبدل على ان العصيان لا ينافي الايمان ثم ذكر ما يرغبهم في التوبة فقال (اعلمكم تفهون) أي تفوزون بسعادة الدنيا والآخرة وتنجون من ذلك لقبول التوبة منه وفي الآية تغليب الذكور على الاناث ولما أمر سبحانه بعض الابصار وحفظ الفروج أورد بعد ذلك الى ما يحل للعباد من النكاح الذي يكون به قضاء الشهوة وسكون دواعي الزنا ويسهل بعده غض البصر عن جميع المحرمات وحفظ الفروج عما لا يحل فقال (وأنكحوا الايامي منكم) الايم بالتحديد التي لا زوج لها ومن ليس له زوجة فيشمل الرجل والمرأة الغير المتزوجين والجمع أيامي والاصل أيام قال أبو عمر والكسائي اتفق أهل اللغة على ان الايم في الاصل هي المرأة التي لا زوج لها بكرة كانت أو ثيباً قال أبو عبيدة قال رجل أيم وامرأة أيم وأكثر ما يكون في النساء وهو كالمستعار في الرجال والخطاب في الآية للاولياء والسادة وقيل

عليه وسلم ليحجن هذا البيت وايعقرن بعدن ورج بأجوج ومأجوج انفر دباخر اجه البخارى وقوله للازواج واقترب الوعد الحق يعني يوم القيامة اذا حصلت هذه الالهوال والزلازل والبلابل أرفت الساعة واقتربت فاذا كانت وقعت قال الكافرون هذا يوم عسر ولهذا قال تعالى فاذا هي شاحصة ابصار الذين كفروا أي من شدة ما يشاهدونه من الامور العظام ياويلنا أي يقولون ياويلنا قد كنا في غفلة من هذا أي في الدنيا بل كنا ظالمين يعترفون بظلمهم لانفسهم حيث لا ينتفعهم ذلك (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون لهم فيها أزواج مطهرة من انهم لا يسمعون ان الذين سبق لهم مننا الحسنى أولئك عنهم بعدون لا يسمعون حسيبها وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون لا يخزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون) يقول تعالى مخاطباً لاهل مكة من مشركي قريش

ومن دان بدنيهم من عبدة الاصنام والاثوان انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال ابن عباس أي وقودها يعني كقوله وقودها الناس والحجارة وقال ابن عباس أيضا حصب جهنم يعني شجر جهنم وفي رواية قال حصب جهنم يعني حطب جهنم بالزنجية وقال مجاهد وعكرمة وقتادة حطبها وهي كذلك في قراءة علي وعائشة رضي الله عنهما وقال الضحاك حصب جهنم أي ما يرمى به فيها وكذا قال غيره والجميع قريب وقوله أنتم لها واردون أي داخلون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها يعني لو كانت هذه الاصنام والانداد التي اتخذوها من دون الله آلهة صحيحة لما وردوا النار وما دخلوها كل فيها خالدون أي العابدون ومعبوداتهم كلهم فيها خالدون لهم فيها زفير كما قال تعالى لهم فيها زفير وشهيق والزفير خروج أنفاسهم والشهيق ولوج أنفاسهم وهم فيها لا يسمعون قال ابن أبي حاتم حدثنا أي حدثنا علي بن محمد (٣٠٥) الطنافسي حدثنا ابن فضيل حدثنا عبد الرحمن يعني المسعودي عن أبيه قال قال

ابن مسعود إذا بقي من يتخلف في النار جمعوا في نوايت من نار فيها مسامير من نار فلا يرى أحد منهم أنه يعذب في النار غيره ثم تلا عبد الله لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون ورواه ابن جرير من حديث حجاج ابن محمد عن المسعودي عن يونس ابن حبان عن ابن مسعود فذكره وقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى قال عكرمة الرجة وقال غيره السعادة أولئك عندهم بعدون لما ذكر تعالى أهل النار وعذابهم بسبب شركهم بالله عطف بذكر السعداء من المؤمنين بالله ورسوله وهم الذين سبقت لهم من الله السعادة واسلفوا الأعمال الصالحة في الدنيا كما قال تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وقال هل جزاء الاحسان الا الاحسان فكما أحسنوا العمل في الدنيا أحسن الله ما بهم ونوابهم ونجباهم من العذاب وحصل لهم جزيل

للزواج والاول أريج وفيه دليل على ان المرأة لا تنكح نفسها عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل ثلاثا أخرجه أبو داود والترمذي وعندهما عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا نكاح الا بولي وقد خالف في ذلك أبو حنيفة فجوز للمرأة تزويج نفسها واختلف أهل العلم في هذا النكاح هل هو مباح أو مستحب أو واجب فذهب إلى الاول الشافعي وغيره وإلى الثاني مالك وأبو حنيفة وإلى الثالث بعض أهل العلم على تنصيص لهم في ذلك فقالوا ان خشى على نفسه الوقوع في المعصية وجب عليه والا فلا والظاهر ان القائلين بالاباحة والاستحباب لا يخالفون في الوجوب مع تلك الخشية وبالجملة فهو مع عدمها سنة من السنن المؤكدة لقوله صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث الصحيح بعد ترغيبه في النكاح ومن رغب عن سنتي فليس مني ولكن مع القدرة عليه وعلى مؤنه وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء أخرجه البخاري ومسلم قال ابن عباس أمر الله سبحانه بالنكاح ورغبهم فيه وأمرهم ان يزوجوا أحرارهم وعبيدهم ووعدهم في ذلك الغنى كما سألني وعن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قال أطيعوا الله فيما أمركم من النكاح يتجزل لكم ما وعدكم من الغنى وعن قتادة قال ذكرنا ان عمر بن الخطاب قال ما رأيت كرجل لم يلبس الغنى في الباءة وقد وعد الله فيها ما وعد فقال ان يكونوا فقراء الآية وعن ابن مسعود نحوه وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انكحوا النساء فانهن يأتينكم بالمال أخرجه البزار والدارقطني وأخرجه أبو داود في مراسيله عن عروة مرفوعا وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة حق على الله عونهم الناكح يريد العفاف والمكاتب يريد الاداء والغازی في سبيل الله وقد ورد في الترغيب في مطلق النكاح أحاديث كثيرة ليس هذا

(٣٩ - فتح البیان سادس) الثواب فقال أولئك عندهم بعدون لا يسمعون حسيبها أي حريقها في الأجساد وقال ابن أبي حاتم حدثنا أي حدثنا محمد بن عمار حدثنا عفا بن سلمة عن أبيه عن أبي عثمان الجوري (٣) عن أبي عثمان لا يسمعون حسيبها قال حيا على الصراط تلسعهم فاذا السعتهم قال حس حس وقوله وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون فسلمهم من المحذور والمزبور وحصل لهم المطلوب والمحبوب قال ابن أبي حاتم حدثنا أي حدثنا أحمد بن أبي شريح حدثنا محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني عن ايوب بن أبي سليم عن ابن عم النعمان بن بشير قال سمع مع علي ذات ليلة فقرا ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عندهم بعدون قال أنا منهم وعمر منهم وعثمان منهم والزبير منهم وطلحة منهم وعبد الرحمن منهم أو قال سعد منهم قال وأقيمت الصلاة فقام وأظنه يجزئونه وهو يقول لا يسمعون حسيبها أو قال شعبة عن أبي بشر عن يوسف المكي وعن محمد بن حاطب (٣) قوله عن أبي عثمان الجوري عن أبي عثمان الخهكذاني الاصل وحرر اه

قال سمعت عليا يقول في قوله ان الدين سبقت لهم منا الحسنى قال عثمان واصحابه ورواه ابن ابي حاتم ايضا ورواه ابن جرير من حديث يوسف بن سعد وليس بابن باهك عن محمد بن حاطب عن علي فذكره وانقطعه عثمان منهم وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس في قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون فاولئك اولياء الله يعمرون على الصراط مرها ووسع من البرق ويبقى الكفار فيها اجنيا فها هذا مطابق لما ذكرناه وقال آخرون بل نزلت استثناء من المعبودين وخرج منهم عزير والمسيح كما قال حجاج ابن محمد الاور عن جرير وعثمان بن عطاء عن عطاء عن ابن عباس انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون ثم استثنى فقال ان الذين سبقت لهم منا الحسنى فيقال هم الملائكة وعيسى ونحو ذلك مما يعبد من دون الله عز وجل وكذا قال عكرمة والحسن بن واين جرير وقال (٢٠٦) الضحاك عن ابن عباس في قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى قال نزلت

في عيسى بن مريم وعزير عيسى ما السلام وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابي حدثنا الحسين بن عيسى بن ميسرة حدثنا ابو زهير حدثنا سعد بن طريف عن الاصمعي عن علي في قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى قال كل شئ يعبد من دون الله في النار الا الشمس والقمر وعيسى بن مريم اسما ناده ضعف وقال ابن ابي نجيج عن مجاهد اولئك عنهم مبعدون قال عيسى وعزير والملائكة وقال الضحاك عيسى ومريم والملائكة والشمس والقمر وكذا روى عن سعيد بن جبير وابي صالح وغير واحد وروى ابن ابي حاتم في ذلك حديثا غريبا جدا فقال حدثنا الفضل بن يعقوب الرخاخي حدثنا سعد بن مسعدة بن عبد الملك حدثنا الليث بن ابي سليم عن مغيث عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها

موضع ذكرها والمراد بالايامى ههنا الاحرار والحرث واما المماليك فقد بين ذلك بقوله (والصالحين من عبادكم وامائكم) وقرئ عبيدكم والصالح هو الايمان وقيل القيام بحقوق النكاح حتى يقوم العبد بما يلزمها وتقوم الامة بما يلزم للزوج والمراد بالصلاح ان لا تكون صغيرة لا تحتاج الى النكاح وخسر الصالحين بالذليل حصن دينهم ويحفظ عليهم صلاحهم ولان الصالحين منهم هم الذين مواليتهم يشفقون عليهم وينزلونهم منزلة الاولاد في المودة وكانوا منظمة التوصية والاهتمام بهم ومن ليس بصالح فخاله على العكس من ذلك وذكروا سبحانه الصلاح في المماليك دون الاحرار لان الغالب في الاحرار الصلاح بخلاف المماليك وفيه دليل على ان المملوك لا يزوج نفسه وانما يزوج وجهه ويتولى تزويجه ماله وسيداه وقد ذهب الجمهور الى انه يجوز للسيد ان يكرم عبده وامته على النكاح وقال مالك لا يجوز ثم رجع سبحانه الى الكلام في الاحرار فقال (ان يكونوا فقرا يغنيهم الله من فضله) أي لا تمنعوا من تزويج الاحرار بسبب فقد الرجل والمرأة واحدهما مالا فانهم ان يكونوا فقرا يغنيهم الله سبحانه ويمنعهم من ذلك فان في فضل الله غنية عن المال فانه غادرنا قال الزجاج حدثنا الله على النكاح وأعلم انه سبب لنفي الفقر ولا يلزم أن يكون هذا حاصل لكل فقير اذا تزوج فان ذلك مقيد بالمشيئة وقد وجد في الخارج كثير من الفقراء لا يحصل لهم الغنى اذا تزوجوا وقيل المعنى انه يغنيهم بغنى النفس أي التناعة وقيل المعنى ان يكونوا فقراء الى النكاح يغنيهم الله من فضله بالحلال لبعثه ففوانع الزنا والوجه الاول اولى ويدل عليه قوله سبحانه وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء فيحمل المطلق هنا على المقيد هناك وقيل هو اجتماع الرزقين رزق الزوج والزوجة وقيل ان الله وعد الغنى بالنكاح وبالتنفر وهو قوله وان تنفرا يغني الله كلاما من سعة وجلته (والله واسع عليم) مقرر لما قبلها ومؤكد والمراد انه سبحانه ذو سعة لا ينقص من سعة ملكه غنى من يغنيه من عباده عليهم بمصالح خلقه يغني من يشاء ويفقر من يشاء ثم

ذكر بعضهم قصة ابن الزبيري ومناظرة المشركين قال أبو بكر ابن مردويه حدثنا محمد بن علي حدثنا سهل حدثنا محمد بن حسن الانطاقي حدثنا ابراهيم بن محمد عن عروة حدثنا يزيد بن ابي حكيم حدثنا الحكم بن عيسى بن ابيان عن عكرمة عن ابن عباس قال جاء عبد الله بن الزبيري الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال تزعم ان الله أنزل عليك هذه الآية انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون قال ابن الزبيري قد عبدت الشمس والقمر والملائكة وعزير وعيسى بن مريم كل هؤلاء في النار مع آلهتنا فنزلت ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون وقالوا آلهتنا خير أم هو ما ضرب به لك الاجدلا بل هم قوم خصمون ثم نزلت ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون رواه الحافظ أبو عبد الله في كتابه الاحاديث المختارة وقال ان ابي حاتم حدثنا ابي حدثنا قسصة بن عتبة حدثنا سفيان بن الثوري

عن الاعمش عن أصحابه عن ابن عباس قال لما نزلت انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون قال المشركون فاما تلك وعزير وعيسى يعبدون من دون الله فترأت لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها التي يعبدون الا آلهة وكل فيها خالدون وروى عن ابي كدينة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثل ذلك وقال فترأت ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون وقال محمد بن اسحق بن يسار رجه الله في كتاب السيرة وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني يوما مع الوليد بن المغيرة في المسجد فجاء النضر بن الحرث حتى جالس معهم وفي المسجد غير واحد من رجال قريش فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض له النضر بن الحرث فكلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أخمعه وتلا عليه وعليهم انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون الى قوله وهم (٣٠٧) فيها لا يسمعون ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم

واقبل عبد الله بن الزبير السهمي حتى جلس معهم فقال الوليد بن المغيرة لعبد الله بن الزبير والله ما قام النضر بن الحرث لابن عبد المطلب أنقا ولا قعد وقد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم فقال عبد الله بن الزبير أما والله لو وجدته لخصمته فسلوا محمدا كل ما يعبد من دون الله في جهنم مع من عبده ففتح عبد الملائكة واليهود تعبد عزير والنصارى تعبد المسيح عيسى بن مريم فغضب الوليد ومن كان معه في المجلس من قول عبد الله بن الزبير ورأوا انه قد احتج وخاصم فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كل من أحب ان يعبد من دون الله فهو مع عبده انهم انما يعبدون الشيطان ومن أمرهم بعبادته وأنزل الله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون

ذكر سبحانه حال العاجزين عن النكاح بعد بيان جوازنا لحكمهم ارشاد الهيم الى ما هو الاول فقال (وايستهذف الذين لا يجدون نكاحا) يقال استهذف اذا طلب أن يكون عفيفا أي لطلب العفة عن الزنا والحرام من لا يجدي سبب نكاح وهو المال وقيل النكاح هنا ما ينكح به المرأة من المهر والنفقة كاللحاف اسم لما يلحف به واللباس اسم لما يلبس قال ابن عباس ليتزوج من لا يجدفان الله سيفنيه وقد سبحانه هذا النبي بتلك الغاية وهي (حتى يغنيهم الله من فضله) أي يرزقهم رزقا يستغنون به ويتمكنون بسببه من النكاح وفي هذه الآية ما يدل على تقييد الجملة الاولى وهي ان يكونوا فقرا يغنيهم الله بالمشيئة كما ذكرنا فانه لو كان وعدا احتمالا لكان في حصوله لكان الغنى والزواج متلازمين وحينئذ لا يكون للأمر بالاستعفاف مع الفقر كثير فائدة فانه يستغنى عند تزوجه لاحتماله فيكون في تزوجه مع فقره تحصيل للغنى الا أن يقال ان الأمر بالاستعفاف للعاجز عن تحصيل مبادئ النكاح ولا يتأني ذلك وقوع الغنى له من بعد ان ينكح فانه قد صدق عليه انه لم يجد نكاحا اذا كان غير واجد لاسبابه التي تحصل بها واعظمها المال وانظر كيف رتب هذه الاوامر فامر أولا بما يعصم من الفتنة ويبعد عن موانع المعصية وهو غرض البصر ثم بالنكاح المحصن للدين المغنى عن الحرام ثم بعزة النفس الامارة بالسوء عن الطموح الى الشهوة عند العجز عن النكاح الى ان يتدبر عليه ثم لما رغب سبحانه في تزويج الصالحين من العبيد والاماء ارشد المالكين الى طريقة يصير بها المملوك من جملة الاحرار فقال (والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم) من العبيد والاماء والكتاب مصدر كاتب كالمكاتبة يقال كاتب يكتب كتابا ومكاتبة كما يقال قاتل يقتل قتالا ومقاتلة وقيل الكتاب ههنا اسم عين الكتاب الذي يكتب فيه النبي وذلك لانهم كانوا اذا كاتبوا العبد كتبوا عليه وعلى أنفسهم بذلك كتابا فيكون المعنى الذين يطلبون كتاب المكاتبة ومعناها في الشرع ان يكتب الرجل عبده على مال يؤديه منجما فاذا أداه فهو حر عن عبد الله بن

لا يسمعون حبيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون أي عيسى وعزير ومن عبدوا من الاحبار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله فاتخذهم من يعبدهم من أهل الضلالة أربابا من دون الله ونزل فيما يذكر انهم يعبدون الملائكة وانهم بنات الله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون الى قوله ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين ونزل فيما ذكر من أمر عيسى وانه يعبد من دون الله وعجب الوليد ومن حضره من حجة وخصومة ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون وقالوا آلهتنا خيرة أم هو ما ضربوه لك الاجد لابل هم قوم خصمون ان هو الا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لالبي اسرائيل ولونشاء جعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون وانه لم للساعة فلا تتقربن أي ما وضعت على يديه من الآيات من احياء الموتى وبراء الاسقام فكفي به دليلا على علم الساعة يقول فلا تتقربن واتبعون هذا صراط مستقيم وهذا الذي قاله ابن

الزبيري خطأ كبير إلا أن الآية إنما نزلت خطايا بالاهل مكة في عبادتهم الاصنام التي هي جاد لا تعقل ليكون ذلك تقر يعاونو بها لعابديها ولهذا قال انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم فكيف يورد على هذا المسيح والعزير ونحوهما ممن له عمل صالح ولم يرض بعبادة من عبده وعول ابن جرير في تفسيره في الجواب على ان مالم لا يعقل عند العرب وقد أسلم عبد الله بن الزبيري بعد ذلك وكان من الشعراء المشهورين وقد كان يهاجى المسلمين أولاً ثم قال معتذراً يا رسول الملك ان لسانى * راتنى ما فقتت اذا نابور اذا جارى الشيطان فى سنن السنن وفى من مال ماله مشهور وقوله لا يحزنهم الفزع الا كبر قيل المراد بذلك الموت رواه عبد الرزاق عن يحيى بن زبيدة عن عطاء وقيل المراد بالفزع الا كبر النفخة فى الصور قاله العوفي عن ابن عباس وابو سنان سعيد بن سنان الشيباني واختاره ابن جرير في تفسيره وقيل حين يؤمر (٣٠٨) بالعبد الى النار قاله الحسن البصري وقيل حين تطبق النار على أهلها قاله

سعيد بن جبيرة وابن جرير وقيل حين يذبح الموت بين الجنة والنار قاله أبو بكر الهذلي فيमारواه ابن أبي حاتم عنه وقوله وتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون يعنى تقول لهم الملائكة تبشروهم يوم معادهم اذا خرجوا من قبورهم هذا يومكم الذى كنتم توعدون أى فاملوا ما يسركم (يوم نطوى السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كفافا علين) يقول تعالى هذا كائن يوم القيامة يوم نطوى السماء كطي السجل للكتب كما قال تعالى وما قدر والله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون وقد قال البخارى حدثنا مقدم بن محمد حدثني عمي القاسم بن يحيى عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

صبيح عن أبيه قال كنت ملوكا لحويط بن عبد العزى فسألتها الكتابة فأتني فتزات هذه الآية ونظاها قوله (فكاتبوهم) ان العبد اذا طلب المكتبة من سيده وجب عليه أن يكتبه بالشرط المذكور بعده وهو (ان علمت فيهم خيرا) الخير هو القدرة على اداء ما كوتب عليه وان لم يكن له مال وقيل هو المال فقط كما ذهب اليه مجاهد والحسن وعطاء والضحاك وطاوس ومقاتل وروى عن علي وابن عباس وعنه أيضا امانة ووفاء وعنه قال ان علمت مكاتبك يقضه لك وعنه قال حله ولا تلقوا موثنتهم على المسلمين وذهب الى الاول ابن عمر وابن زيد واختاره مالك والشافعي والفرجاء قال الفرجاء يقول ان رجوتهم عندهم وفاء وتادية للمال وقال الزجاج لما قال فيهم كان الاظهر الا كتب والوفاء واداء الامانة وقال النخعي ان الخير الدين والامانة وروى مثل هذا عن الحسن وقال عبيدة السلماني اقامة الصلاة قال الطحاوي وأقول من قال انه المال لا يصح عندنا لان العبد مال لمولاه فكيف يكون له مال قال والمعنى عندنا ان علمت فيهم الدين والصدق قال أبو عمرو بن عبد البر من لم يقل ان الخير المال انكر ان يقال ان علمت فيهم مالا وانما يقال علمت فيه الخير والصلاح والامانة ولا يقال علمت فيه المال هذا حاصل ما وقع من الاختلاف بين أهل العلم في الخير المذكور في هذه الآية واذا تقررت لك هذا فاعلم انه قد ذهب الى ظاهر ما يقتضيه الامر المذكور في الآية من الوجوب عكرمة وعطاء ومسروق وعمر بن دينار والضحاك وأهل الظاهر فقلوا يجب على السيد ان يكتب مملوكه اذا طلب منه ذلك وعلم فيه خيرا وقال الجمهور من أهل العلم لا يجب ذلك وتسكوا بالاجماع على انه لو سأل العبد سيده ان يبيعه من غيره لم يجب عليه ذلك ولم يجبر عليه فكذلك الكتابة لانها معاوضة ولا يخفى انه حجة واهية وشبهة داحضة والحق ما قاله الاولون وبه قال عمرو بن عباس واختاره ابن جرير عن أنس بن مالك قال سألتني سير بن المكاتب فأتيت عليه فأتني عمر بن الخطاب فأقبل علي بالدرة وقال كاتبه وتلاف كاتبوهم ان علمت فيهم خيرا فكاتبته قال ابن

كثير

ان الله يقبض يوم القيامة الارضين وتكون السموات بيمينه انشرد به من هذا الوجه البخارى رحمه الله وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن احمد بن الخجاج الرقي حدثنا محمد بن سلمة عن أبي الواصل عن أبي الملاج الأزدي عن أبي الجوزاء الأزدي عن ابن عباس قال يطوى الله السموات السبع بما فيها من الخليقة والارضين السبع بما فيها من الخليقة يطوى ذلك كله بيمينه يكون ذلك كله في يده بمنزلة خردلة وقوله كطي السجل للكتب قيل المراد بالسجل الكتاب وقيل المراد بالسجل ههنا ملك من الملائكة قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن العلاء حدثنا يحيى بن يمان حدثنا أبو الوفاء الأشجعي عن أبيه عن ابن عمر في قوله تعالى يوم نطوى السماء كطي السجل للكتاب قال السجل ملك فاذا صعد بالاستغفار قال كتب انوراوه هكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن ابن يمان به قال ابن أبي حاتم وروى عن أبي جعفر محمد بن علي بن

الحسين ان السجل ملك وقال السدي في هذه الآية السجل ملك موكل بالصف فاذا مات الانسان رفع كتابه الى السجل فطواه ورفعه الى يوم القيامة وقيل المراد به اسم رجل صحابي كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم الوحي قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا نصر بن علي الجهضمي حدثنا نوح بن قيس عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس يوم تطوى السماء كطى السجل للكتاب قال السجل هو الرجل قال نوح وأخبرني يزيد بن كعب هو المعوذى عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال السجل كاتب للنبي صلى الله عليه وسلم وهكذا رواه أبو داود والنسائي كلاهما عن قتيبة بن سعيد عن نوح بن قيس عن يزيد بن كعب عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال السجل كاتب للنبي صلى الله عليه وسلم ورواه ابن جرير عن نصر بن علي الجهضمي كما تقدم ورواه ابن عدي من رواية يحيى بن عمرو بن مالك التكري عن أبيه (٣٠٩) عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال كان

لرسول الله صلى الله عليه وسلم كاتب يسمى السجل وهو قوله يوم تطوى السماء كطى السجل للكتاب قال كما يطوى السجل الكتاب كذلك تطوى السماء ثم قال وهو غير محفوظ وقال الخطيب البغدادي في تاريخه أنبأنا أبو بكر الرقاني أنبأنا محمد بن محمد بن يعقوب الخجاعي أنبأنا أحمد بن الحسن الكرخي أن جدان بن سعيد حدثهم عن عبد الله بن عمر عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال السجل كاتب للنبي صلى الله عليه وسلم وهذا منكر جدا من حديث نافع عن ابن عمر لا يصح أصلا وكذلك ما تقدم عن ابن عباس من رواية أبي داود وغيره لا يصح أيضا وقد مرح جماعة من الحفاظ بوضعه وان كان في سنن أبي داود منهم شيخنا الحافظ الكبير أبو الحجاج المزي فسمع الله في عمره ونسأ في أجله

كثير ان اسناده صحيح وعن يحيى بن كثير قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان علمهم فيهم حرفة ولا ترسلوهم كلاء على الناس أخرجه أبو داود في المراسيل والبيهقي في سننه ولا تجوز الكتابة على أقل من نجمين عند الشافعي وجوزها أبو حنيفة الى نجم واحد وقيل ان الامر مطلق فيجوز حاله مؤجلا ومفعلا وغير مجتم ثم أمر سبحانه الموالي بالاحسان الى المكاتب فقال (وآتوهم من مال الله الذي آتاكم) ففي هذه الآية الامر للمالكين باعانة المكاتب على مال الكتابة اما بان يعطوهم شيئا من المال أو بان يحطوا عنهم مما كوتبوا عليه وظاهر الآية عدم تقدير ذلك عند دار وقيل الثلث وقيل الربع وقيل العشر ولعل وجه تخصيص الموالي بهذا الامر هو كون الكلام فيهم وسياق الكلام معهم فانهم هم المأمورون بالكتابة وقال الحسن والنخعي وبريدة ان الخطاب بقوله وآتوهم جميع الناس وقال زيد بن أسلم ان الخطاب للولاة بان يعطوا المكاتب من مال الصدقة حفظهم كما في قوله سبحانه وفي الرقاب وللمكاتب أحكام معروفة اذا وفي بعض مال الكتابة قال ابن عباس أى ضعوا عنهم من مكاتبهم وعن نافع قال كان ابن عمر يكره ان يكتب عبده اذ لم تكن له حرفة ويقول نطفه منى من أوساخ الناس وعن ابن عباس في الآية قال أمر الله المؤمنين ان يعينوا في الرقاب وعن علي بن أبي طالب أمر الله السيد أن يدع للمكاتب الربع من غنمه وهذا تعلم من الله ليس بقرينة ولكن فيه أجرا وقال صاحب الجمل ان الامر للوجوب وعن يزيد في الآية قال حدث الناس على ان يعطوه ثم انه سبحانه لما أرشد الموالي الى نكاح الصالحين من المماليك منهم سي المسلمين عما كان يفعل أهل الجاهلية من اكرام امائهم على الزنا فقال (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء) المراد بالفتيات هنا الاماء وان كان الفتى والفتاة قد يطلقان على الارواح في مواضع أخر والفتى الشاب والفتاة الشابة والبغاء بالكسر والمد مصدر بغت المرأة تبغي بغاء اذازنت وبجرت وهذا مختص برزنا النساء فلا يقال للرجل اذازن انه بغى قاله الازهرى والجمع البغايا والبغى القينة وان كانت

وختم له بصلح عمله وقد أفردت لهذا الحديث جزءا على حديثه والله الحمد وقد تصدى الامام أبو جعفر ابن جرير للتكرار على هذا الحديث ورده أتم رد وقال لا يعرف في الصحابة أحد اسمه السجل وكاتب النبي صلى الله عليه وسلم معروفون وليس فيهم أحد اسمه السجل وصدق رحمه الله في ذلك وهو من أقوى الأدلة على نكارة هذا الحديث وأما من ذكره في اسماء الصحابة فائما اعتد على هذا الحديث لا على غيره والله أعلم والصحيح عن ابن عباس ان السجل هو الحكيمة قاله علي بن أبي طلحة والعوفى عنه ونص عن ذلك مجاهد وقادة وغير واحد واختاره ابن جرير لانه المعروف في اللغة فعلى هذا يكون معنى الكلام يوم تطوى السماء كطى السجل للكتاب أى على الكتاب بمعنى المكتوب كقوله فلما أسلموا له للجبين أى على الجبين وله نظائر في اللغة والله أعلم وقوله كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كفافا يعني هذا كائن لا محالة يوم يعيد الله الخلائق خلقا جديدا كما بدأهم هو القادر على اعادةهم وذلك واجب الوقوع لان من جهله وعد الله الذي لا يخاف ولا يبدل وهو القادر على ذلك ولهذا قال انا كفافا علي وقال الامام حدثنا وكيع وابو جعفر

وعنه المعنى قالوا أحد شأشعبة عن المغيرة بن النعمان عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة فقال انكم محشورون الى الله عز وجل حفاة عراة غرلا كبادنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كفافا عين وذ كرتام الحديث اخر جاد في الصحيحين من حديث شعبة ذكره البخاري عنده هذه الآية في كتابه وقد روى ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو ذلك وقال العوفي عن ابن عباس في قوله كبادنا أول خلق نعيده قال يهلك كل شيء كما كان أول مرة (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذ كر ان الارض يرثها عبادي الصالحون ان في هذا البلاغ لقوم عابدين وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) يقول تعالى مخبرا عما حتمه وقضاه لعباده الصالحين من السعادة في الدنيا والآخرة ووراثته الأرض في الدنيا والآخرة كقوله تعالى ان الارض لله يورثها من يشاء (٣١٠) من عباده والعاقبة للمتقين وقال انا لننصر رسلانا والذين آمنوا في الحياة

الدنيا ويوم يقوم الاشهاد وقال وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم ولم يكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وأخبر تعالى ان هذا مسطور في الكتب الشرعية والتدريسية وهو كائن لا محالة ولهذا قال تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذ كر قال الامم ش سألت سعيد بن جبيرة عن قوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذ كر فقال الزبور التوراة والانجيل والقرآن وقال مجاهد الزبور الكتاب وقال ابن عباس والشعبي والحسن وقتادة وغير واحد الزبور الذي انزل على داود والذ كر التوراة وعن ابن عباس الذ كر القرآن وقال سعيد بن جبيرة الذ كر الذي في السماء وقال مجاهد الزبور الكتاب بعد الذ كر والذ كر أم الكتاب عند الله واختار ذلك ابن جرير رحمه الله وكذا قال زيد

عنفقة لثبوت النجور لها في الاصل قاله الجوهرى ولا يراد به الشتم لانه اسم جعل كالقلب والامة تنبغى أى ترى وشروط الله سبحانه هذا النبي بقوله (ان أردن تحصنا) لان الاكراه لا يتصور ولا يكون الا عند ارادتهم لا تحصن فان من لم ترد التحصن لا يصح أن يقال لها مكرهه على الزنا والمراد بالتحصن هنا التعفف والتزويج وقيل ان هذا التمدد راجع الى الانبياء قال الزجاج والحسن بن النضل في الكلام تقديم وتأخير أى وأنكحوا الانبياء منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان أردن تحصنا وقيل ان هذا الشرط ملغى وقيل ان هذا الشرط باعتبار ما كانوا عليه فانهم كانوا يكرهون من وهن يردن التعفف وليس التخصيص النهى بصورة ارادتهم التعفف عن الزنا وقيل ان هذا الشرط خرج مخرج الغالب لان الغالب ان الاكراه لا يكون الا عند ارادة التحصن فلا يلزم منه جواز الاكراه عند عدم ارادة التحصن وهذا الوجه أقوى هذه الوجوه فان الامة قد تكون غير مريدة للعلل ولا للعرام كفاين لا رغبة لها في النكاح والصغيرة فتوصف بانها مكرهه على الزنا مع عدم ارادتها للتحصن فلا يتم ما قيل من انه لا يتصور الاكراه الا عند ارادة التحصن الا أن يقال ان المراد بالتحصن هنا مجرد التعفف وأنه لا يصح بدق على من كانت تريد الزواج انها مريدة للتحصن وهو بعيد فتد قال الحبر بن عباس ان المراد بالتحصن التعفف والتزويج ونابعه على ذلك غيره أخرج مسلم وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وغيرهم عن جابر بن عبد الله قال كان عبد الله بن أبي يقول لحارية له اذهبي فابغينا شيئا وكانت كارهة فأنزل الله هذه الآية زد كرمه في صحبه عن جابر ان جارية لعبد الله بن أبي يقال لها مسكة وأخرى يقال لها أمية وكان يدهما على انافش كذا ذلك الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأنزل الله هذه الآية وأخرج البزار وغيره عن أنس نحو حديث جابر الاول وعن علي بن أبي طالب قال كان أهل الجاهلية يغيثون اماءهم فنهوا عن ذلك في الاسلام وعن ابن عباس قال كانوا في الجاهلية يكرهون اماءهم على الزنا يأخذون أجورهن فنزلت الآية

وقد
ابن أسلم هو الكتاب الاول وقال النورى هو اللوح المحفوظ وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم
الزبور الكتب التي أنزلت على الانبياء والذ كر أم الكتاب الذى يكتب فيه الاشياء قبل ذلك وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس اخبر الله سبحانه وتعالى في التوراة والزبور وسابق علمه قبل ان تكون السموات والارض ان يورث أمة محمد صلى الله عليه وسلم الارض ويدخلهم الجنة وهم الصالحون وقال مجاهد عن ابن عباس ان الارض يرثها عبادي الصالحون قال أرض الجنة وكذا قال أبو العالية ومجاهد وسعيد بن جبيرة والشعبي وقتادة والسدى وأبو صالح والربيع بن أنس والنورى وقال أبو الدرداء نحن الصالحون وقال السدى هم المؤمنون وقوله ان في هذا البلاغ لقوم عابدين أى ان في هذا القرآن الذى أنزلناه على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم لبلاغ النفعه وكفاية لقوم عابدين وهم الذين عبدوا الله بما شرعه وأحبوه ورضيه وآثروا طاعة الله على طاعة الشيطان وشهوات

أنفسهم وقوله وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين يخبر تعالى أن الله جعل محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين أي أرسله رحمة لهم كلهم فمن قبل هذه الرحمة وشكر هذه النعمة سعد في الدنيا والآخرة ومن ردها وجحدتها خسر الدنيا والآخرة كما قال تعالى ألم ترى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار وقال تعالى في صفة القرآن قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عى أولئك ينادون من مكان بعيد وقال مسلم في صحيحه حدثنا ابن أبي عمر حدثنا مروان الفزاري عن يزيد بن كيسان عن ابن حازم عن أبي هريرة قال قيل يا رسول الله ادع على المشركين قال اني لم أبعث لعناً وانما بعثت رحمة ان فرد باخراجه مسلماً وفي الحديث الآخر انما أنا رحمة مهداة رواه عبد الله بن أبي عوانة وغيره عن وكيع عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً قال ابراهيم الحربي وقد رواه (٣١١)

قال البخاري وقد سئل عن هذا الحديث فقال كان عند حص بن غياث مرسلاً قال الحافظ بن عساكر وقد رواه مالك بن سعيد بن الحسن عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً ثم ساقه من طريق أبي بكر بن المقرئ وأبي أحمد الحاكم كلاهما عن بكر بن محمد بن ابراهيم الصوفي حدثنا ابراهيم بن سعيد الجوهري عن أبي أسامة عن اسمعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أنا رحمة مهداة ثم أورده من طريق الصلت بن مسعود عن سفيان بن عيينة عن مسعر عن سعيد بن خالد عن رجل عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله بعثني رحمة مهداة بعثت برفع قوم وخفض آخرين قال أبو القاسم الطبراني حدثنا أحمد بن محمد بن نافع الطعان حدثنا

وقد ورد النهي منه صلى الله عليه وآله وسلم عن مهر البغي وكسب الحجام وحلوان الكاهن ثم عمل سبحانه هذا النهي بقوله (لتبغوا عرض حياة الدنيا) وهو ما تكسبه الامة بفرجها وهذا التعليل أيضاً خارج مخرج الغالب والمعنى أن هذا الغرض هو الذي كان يحمله على إكراه الامة على البغاء في الغالب لأن إكراه الرجل لامته على البغاء لافائدة له اصلاً لا يصدر مثله عن العقل فلا يدل هذا التعليل على أنه يجوز له أن يكرهها اذ لم يكن مبتغياً بآكراهها عرض الحياة الدنيا وقيل أن هذا التعليل للإكراه هو باعتبار أن عاداتهم كانت كذلك لأنه مدار للنهي عن الإكراهين وهذا يلاقى المعنى الاول ولا يخالف (ومن يكرههن فإن الله من بعدا كراههن غفور رحيم) هذا مقرر لما قبله ومؤكده والمعنى أن عقوبة الإكراه راجعة الى المكرهين لا الى المكرهات كما تدل عليه قراءة ابن مسعود وغيره فإن الله غفور رحيم لهن قيل وفي هذا التفسير بعد لان المكرهات على الزنا غير آئمة وأجيب بأنهن وان كانت مكرهات فربما لا تخلو في تضاعيف الزنا عن شائبة مطاوعة اما بحكم الجبله البشرية او بكون الإكراه قاصراً عن حد الإلجاء المزيل للاختيار بالمرة واما الغاية فهو إيل امر الزنا وحث المكرهات على التثبت في التجافي عنه والتشديد في تحذير المكرهين ببيان انهن حيث كن عرضة للعقوبة لولا ان تداركنهن المغفرة والرحمة مع قيام العذر في حقهن فحال من يكرههن في استحقاق العقاب وقيل ان المعنى غفور رحيم لهم اماماً مطلقاً أو بشرط التوبة ولما فرغ سبحانه من بيان تلك الاحكام شرع في وصف القرآن بصفتين ثلاث فقال (وهدى الله لغيرك ما تشاء) انما كانت من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين) فالاولى انما كانت من الذين خلوا من قبلكم تصدقها الكتب المتقدمة والعقول المستقيمة أو موعظة من انبأهم فيدخل فيها الآيات المذكورة في هذه السورة دخولاً اولياً والصفة الثانية كونه مثلاً من الذين خلوا من قبل هؤلاء أي خبراً عجيباً كان من جهة أمثال الذين مضوا من النقص العجيب والامثال

أحمد بن صالح قال وجدت كتاباً بالديانة عن عبد العزيز الدراوردي و ابراهيم بن محمد بن عمر بن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن عمرو بن عوف عن محمد بن صالح التمار عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال قال أبو جهل حين قدم مكة منصرفه عن خروجه يامعشر قريش ان محمد انزل يثرب وأرسل طلائعهم وانما يريد أن يصيب منكم شيئاً فاحذروا ان تمروا طريقه أو تقاربوه فإنه كالاسد الضاري انه حنق عليكم لانكم نفيتهم فوهني القردان عن المناسم والله ان له لسحرة ما رأيت قط ولا أحداً من أصحابه الا رأيت معهم الشياطين وانكم قد عرفتم عداوة ابني قبله يعني الاوس والخزرج فهو عدو واستعان بعدو فقال له مطعم بن عدى يا أبا الحكم والله ما رأيت أحداً اصدق لساناً ولا أصدق موعداً من أخيكم الذي طردتم واذ فعلتم الذي فعلتم فكونوا ككف الناس عنه قال ابو سفيان بن الحرث كونا أشد ما كنتم عليه ابني فيسأله ان ظفروا بكم لم يرقبوا فيكم الا ولا ذمة وان أظعنوني الحاة وهه حر كانه

أو يخرجوا محمد من بين ظهرانيهم فيكون وحيداً مطروداً وأما بنا فقله فوالله ما هم وأهل ذلك في المذلة إلا سواء وسأ كفيهم
 حدهم وقال سأمنح جانباً مني غليظاً * على ما كان من قرب وبعد رجال الخزرجية أهل ذلك * إذا ما كان هزل بعد جد
 فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والذي نفسي بيده لا قتلهم ولا صلبهم ولا هديتهم وهم كارهون أني رجعة بعني الله
 ولا يتوفاني حتى يظهر الله دينه لي خمسة أسماء أنا محمد وأحمد وأنا الماسي الذي يدعو الله إلى الكفر وأنا الحائر الذي يحشر الناس
 على قدمي وأنا العاقب وقال أحمد بن صالح أرجو أن يكون الحديث صحيحاً وقال الإمام أحمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا زائدة
 حدثني عمرو بن قيس عن عمرو بن أبي قرة الكندي قال كان حذيفة بالمداين فكان يذكركم أشبهاء فالها رسول الله صلى الله عليه وسلم
 خفاء حذيفة إلى سلمان فقال سلمان يا حذيفة (٢١٢) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب فقال أيعارجل سببته في غضبي
 أو لعنته لعنة فأنما أنا رجل من

ولد آدم أغضب كما تغضبون وإنما
 بعثني رحمة للعالمين فاجعلها صلاة
 عليه يوم القيامة ورواه أبو داود
 عن أحمد بن يونس عن زائدة فان
 قيل فأي رجعة حصلت لمن كفر به
 فالجواب ما رواه أبو جعفر بن جرير
 حدثنا إسحاق بن شاهين حدثنا
 إسحاق الأزرق عن المسعودي عن
 رجل يقال له سعيد عن سعيد
 ابن جبير عن ابن عباس في قوله وما
 أرسلناك إلا رحمة للعالمين قال من
 آمن بالله واليوم الآخر كتب له
 الرحمة في الدنيا والآخرة ومن لم
 يؤمن بالله ورسوله عوفي مما أصاب
 الأمم من الخسف والقذف وهكذا
 رواه ابن أبي حاتم من حديث
 المسعودي عن أبي سعيد وهو سعيد
 ابن المرزبان البقال عن سعيد بن
 جبير عن ابن عباس فذكره
 بخوجه والله أعلم وقد رواه أبو القاسم
 الطبراني عن عبدان بن أحمد عن
 عيسى بن يونس الرمي عن أيوب

المضروبة لهم في الكتب السابقة فان العجب من قصة عائشة هو كالعجب من قصة يوسف
 ومريم وما اتهم به ثم تبين بطلانه وبراءتهم ما سلام الله عليهم ما والصفة الثالثة كونه
 موعظة ينتفع بها المتمعن خاصة فان الله قد ختم على قلوب غيرهم وجعل على أبصارهم
 غشاوة عن سماع الموعظ والاعتبار بقصص الذين خلوا من قبلهم ما تشغل عليه الآيات
 البينات ثم أردف الله وصف القرآن بكونه سبحانه في غاية الكمال ونهاية الجمال فقال
 (الله نور السموات والأرض) مستأنفة لتقرير ما قبلها قال البيضاوي النور في الأصل
 كيفية تدركها الباصرة ولا وتدرك بواسطة أسائر المبصرات كالكيفية الفائرة من
 النيران على الأجرام الكسيفة المحاذية لهما وهو بهذا المعنى لا يصح إطلاقه على الله تعالى
 إلا بتقدير مضاف أي ذو نور السموات كقولك زيد عدل أو يكون المراد المبالغة في وصفه
 سبحانه بأنه نور لكال جلاله وظهور عدله وبسطة أحكامه كما يقال فلان نور البلد وقر
 الزمن ونمس العصر قبل ومعنى النور في اللغة الضياء وهو الذي يبين الأشياء ويرى الأبصار
 حقيقة ما تراه فيجوز إطلاق النور على الله على طريقة المدح ولكونه أوجد الأشياء
 المنورة وأوجد أنوارها ويدل عليه قراءة زيد بن علي وأبي جعفر وعبد العزيز المكي الله
 نور السموات والأرض على صيغة الفعل الماضي فاعله نهرير جمع إلى الله والسموات
 مفعوله فعني الله نورهما أنه سبحانه صيرهما منبرتين باستقامة أحوال أهلها وما كال تدبيره
 عز وجل لمن فيهما كما يقال الملك نور البلد وهكذا قال الحسن ومجاهد والزهري والفخا
 والقرطبي وابن عرفة وابن جرير وغيرهم وقال هشام الجواليقي وطائفة من المجسمة أنه
 سبحانه نور لا كالأنوار وجسم لا كالاجسام وقال ابن عباس وأنس في الآية الله هادي
 السموات والأرض فهم بنوره إلى الحق يهتدون وبه دايته من حيرة الضلالة يتبعون وقيل
 نور السماء باللائكة ونور الأرض بالأنبياء وقيل مزين السماء والأرض زين السماء
 بالشمس والقمر والنجوم وزين الأرض بالأنبياء والعلماء والمؤمنين ويقال زين الأرض

ابن سويد عن المسعودي عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وما أرسلناك إلا رحمة
 للعالمين قال من تبعه كان له رحمة في الدنيا والآخرة ومن لم يتبعه عوفي مما كان يتلى به سائر الأمم من الخسف والمسخ والقذف
 قل أنما يوحى إلى أنما الحكم له واحد فهل أنتم مساوون فان تولوا فقل آذنتكم على سواء وان أدري اقرب أم بعيد ما توعدون
 أنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون وان أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين قال رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان
 إلى من تصفون يقول تعالى أمر ارسوله صلوات الله وسلامه عليه ان يقول للمشركين أنما يوحى إلى أنما الحكم له واحد فهل أنتم
 مسلمون أي متبعون على ذلك مستسلمون منقادون له فان تولوا أي تركوا ما دعوتهم إليه فقل آذنتكم على سواء أي أعلمتكم
 أني حرب لكم كما أنكم حرب لي برى منكم كما أنتم برآء مني كقوله وان كذبوك فقل لي على ولكم علمكم أنتم بريئون مما أعمل

وأبأرى مما تعملون وقال وما تخافن من قوم خيانة فأنذ إليهم على سواء أئى ليكن علمك وعلمهم ينبذ العهد على السواء وهكذا ههنا فان تولوا فقل آذنتكم على سواء أئى اعلمكم ببرأتى منكم وبراءتكم منى لعلى يذنبوا وقوله وان أدرى أقرب أم بعيد ما توعدون أى هو واقع لأشكاله ولكن لا علم لى بقربه ولا يبعده انه يعلم الجهر من القول ويدعلم ما تنكثون أى ان الله يعلم الغيب جميعه ويعلم ما يظهره العباد وما يسرون يعلم الظواهر والضمائر ويعلم السر وأخفى ويعلم ما العباد عاملون فى اجهارهم واسرارهم وسيجزىهم على ذلك القليل والجليل وقوله وان أدرى اعلم فتمتلككم وممتع الى حين أى وما أدرى لعل هذا فتمتلككم وممتع الى حين قال ابن جرير لعل تأخير ذلك عنكم فتمتلككم وممتع الى أجل مسمى وحكاة عون عن ابن عباس قال الله أعلم قال رب احكم بالحق أى افصل بيننا وبين قومنا المكذبين بالحق قال قتادة كانت الانبياء عليهم السلام يقولون ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين

(٣١٣)

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول ذلك وعن مالك عن زيد بن أسلم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا شهد غزاة قال رب احكم بالحق وقوله وربنا الرحمن المستعان على ما تصنون أى على ما يقولون وينصرون من الكذب ويتنوعون فى مقامات التكذيب والافك والله المستعان عليكم فى ذلك آخر تفسير سورة الانبياء عليهم السلام والله المجد والممنة

* (تفسير سورة الحج)

* (بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) يقول تعالى أمر اعباده بتقواه ونحوهم بما يستقبلون من

بالنبات والاشجار وقيل معناه ان الانوار كلها منه وقد ذكر هذا اللفظ على طريق المدح كما قال الشاعر

اذا سار عبد الله من مر وليلة * فقد سار عن انوارها وجاهها

وعن ابن عباس يدبر الامر فيهما ما نجوهمها وشمسها وقرهما (مثل نوره) مبتدأ وخبره (كشكاة) أى صفة نوره الفاضل عنه الطاهر على الاشياء كشكاة وهذه الجملة ايضاح لما قبلها وتفسير فلا محل لها ونم مضاف محذوف أى كمثل مشكاة وهى الكوة فى الحائط التى لا منفذ لها كذا حكاة الواحدى عن جميع المفسرين وحكاة القرطبي عن جمهورهم قبل هى لغة حبشية وقيل عربية ورسمت بالواو كالصلاة والزكاة وأصل المشكاة الوعاء يجعل فيه الشئ وقيل هى عمود القنديل الذى يجعل فيه القنيلة وقيل هى الانبوبة فى وسط القنديل وقيل هى الحديدية أو الرصاصية التى يوضع فيها الزيت وقيل هى العمود الذى يوضع على رأسه المصباح وقيل ما يعلق فيه القنديل من الحديدية وقال مجاهد هى القنديل والاول أولى ووجه تخصيص المشكاة انها أجمع للضوء الذى يكون فيها من مصباح أو غيره وعن ابن عباس قال فى الآية مثل نوره أى هداة فى قلب المؤمن كشكاة يقول موضع القنيلة وفى اسناده مقال وعن أبى بن كعب قال هو المؤمن الذى قد جعل الايمان والقرآن فى صدره فضرب الله مثله فقال الله نور السموات والارض مثل نوره وبدأ بنور نفسه ثم ذكر نور المؤمن فصدر المؤمن المشكاة وعن ابن عباس مثل نوره الذى اعطى المؤمن كشكاة وفى قراءة أبى مثل نور المؤمن وفى لفظ نور من أمر به كشكاة وعن ابن عباس ايضاً مثل نور من آمن بالله كشكاة وهى الكوة وعنه قال هى خطأ من الكتاب هى أعظم من أن يكون نوره مثل نور المشكاة بل مثل نور المؤمن كالمشكاة وقيل المعنى مثل نور الله عز وجل فى قلب المؤمن وهى النور الذى يهتدى به وقيل أراد بالنور القرآن وقيل أراد محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقيل هو الطاعة سمي الله طاعته نوراً وأضاف

(٤٠ - فتح البيان سادس) أهوال يوم القيامة وزلازلها وأحوالها وقد اختلف المفسرون فى زلزلة الساعة هل هى بعد قيام الناس من قبورهم يوم نشورهم الى عرصات القيامة أو ذلك عبارة عن زلزلة الارض قبل قيام الناس من اجدانهم كما قال تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها وأخرجت الارض أثقالها وقال تعالى وحملت الارض والجبال فدكاكاً واحدة فيومئذ وقعت الواقعة الآية وقال تعالى اذا رجحت الارض رجا وبست الجبال بساً الآية فقال قائلون هذه الزلزلة كائنة فى آخر عمر الدنيا وأول أهوال الساعة وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا يحيى حدثنا سفيان عن الاعشى عن ابراهيم عن علقمة فى قوله ان زلزلة الساعة شئ عظيم قال قبل الساعة ورأه ابن أبى حاتم من حديث الثورى عن منصور والاعشى عن ابراهيم عن علقمة قد كرهه قال وروى عن الشعبي وابراهيم وعبيد بن عمير فحذو ذلك وقال أبو كدينة عن عطاء عن عامر الشعبي يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم قال

هدا في الدنيا قبل يوم القيامة وقد ورد الامام ابو جعفر بن جري مستند من قال ذلك في حديث الصور من رواية اسمعيل بن رافع قاضي أهل المدينة عن يزيد بن أبي زياد عن رجل من الانصار عن محمد بن كعب القرظي عن رجل عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لما فرغ من خلق السموات والارض خلق الصور فأعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره الى العرش ينتظر متى يؤمر قال ابو هريرة يا رسول الله وما الصور قال قال فيكيف هو قال قرن عظيم ينفتح فيه ثلاث نفخات الاولى نفخة النزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام لرب العالمين يا مهر الله اسرافيل بالنفخة الاولى فيقول انفتح نفخة النزع فينزع أهل السموات وأهل الارض الامن شاء الله ويا مهره فيمدها ويداولها ولا يفتروهي التي يقول الله تعالى وما ينتظر هؤلاء الا الصيحة واحدة ما لها من فوق فتسير (٣١٤) الجبال فتكون ترابا وترج الارض بأغلها رجا وهي التي يقول الله

تعالى يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة فتكون الارض كالسفينة الموبة في البحر تضربها الامواج فتكنأها باهلها وكالقنديل المعلق بالعرش ترجفه الارواح فيمقد الناس على ظهرها فتسذل المراضع وتضع الحوامل ويشيب الولدان ونظير الشياطين هاربة حتى تأتي الاقطار فتلقاها الملائكة فتضرب وجوهها فتجرع ويولى الناس مدبرين ينادى بعضهم بعضا وهي التي يقول الله تعالى يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد فيدغمهم على ذلك اذ انصدت الارض من قطر الى قطر ورأوا امر اعظم افاخذهم لذلك من الكرب ما الله أعلم به ثم نظروا الى السماء فاذا هي كالمهل ثم خسف شمسها وقمرها وانتشرت نجومها ثم كشطت عنهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والاموات لا يعلمون

هذه الانوار الى نفسه تشرىفا وتفضيلا وقيل مثل نوره أي صفته دلالة التي يقذفها في قلب المؤمن والدلائل تسمى نوراً قاله القرطبي واختلفوا في هذا التشبيه هل هو مركب أو غير مركب وقيل ليس فيه مدقة بل تجزء من المثال يجزء من الممثل به بل وقع التشبيه فيه لجملة بجملة (فيها صباح) هو السراج الضخم وأصله من الضوء (المصباح في زجاجة) واحدة الزجاج يعني القنديل قال الزجاج النور في الزجاج وضوء النار أين منه في كل شيء ونحوه يزيد في الزجاج ووجه ذلك ان الزجاج جسم شفاف يظهر فيه النور اكل ظهور ثم وصف الزجاج فقال (الزجاجة كأنها) والنور فيها (كوكب دري) منسوب الى الدر لكون الصفاء والحسن والاشراق فيه ما يشابه الدر وقال الضحاك الكوكب الدر الزهرة وقرئ دري بكسر الدال أخذوه من درأت النجوم تدرا اذا اندفعت قاله ابو عمرو وقرئ بضم الدال مهموزا وأنكره القراء والزجاج والمبرد وقال ابو عبيد ان نعمت الدال وجب ان لا يهمل لانه ليس في كلام العرب والدراري هي المشورة من الكواكب كالمشترى والزهرة والمرخ وما يضاها من النواب وقال ابى دري أي مضى من الدر بمعنى الدفع لدفعه الظلام ثم وصف المصباح بقوله (يوقد) وقد قرئ بالتاء على ان الضمير راجع الى الزجاجة دون المصباح وقرئ بالتعنية وتخفيف القاف وضم الدال وقرئ يوقد على انه فعل ماض من التنعل والضمير في هاتين راجع الى المصباح قال النحاس وهاتان متقاربتان لانهما جميعا للمصباح وهو أشبه به هذا الوصف لانه الذي ينير ويضيء وانما الزجاجة وعمله وقرئ على انه فعل مضارع وأصله يوقد (من شجرة) أي ابتداء ايقاد المصباح منها وقيل يوقد من زيت شجرة (مباركة) أي كثيرة المنافع والبركة وقيل المنحة قال أبي أصل المبارك الاخلاص لله وحده وعبادته لا شريك له (زيتونة) الزيتون من أعظم الثمار غناء وقيل ومن بركتها ان أغصانها تورق من أسفلها الى أعلاها وهي ادم ودهان ودباغ ووقود وليس فيها شيء الا وفيه منفعة وهي اصفي الادهان واضوؤها وقيل انها أول

بشيء من ذلك قال ابو هريرة عن استثنى الله حين يقول فنزع من في السموات ومن في الارض الامن شاء الله قال أولئك شجرة الشهداء وانما يصل النزع الى الاحياء أولئك احياء عند ربهم يرزقون ووقاهم الله شر ذلك اليوم وآمنهم وهو عذاب الله يعصمه على شرار خلقه وهو الذي يقول الله يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد وهذا الحديث قد رواه الطبراني وابن جرير وابن أبي حاتم وغير واحد مطولا جدا والغرض منه انه دل على ان هذه الزلزلة كائنة قبل يوم الساعة أضيفت الى الساعة لقربها منها كما يقال اشراط الساعة ونحو ذلك والله أعلم وقال آخرون بل ذلك هول وفزع وززال ولبال كائن يوم القيامة في العرصات بعد القيام من القبور واختار ذلك ابن جرير واحتجوا باحدِيث الاول قال الامام أحمد حدثنا يحيى عن هشام حدثنا قتادة عن الحسن عن

ابن جده وان الله أعلم الحديث الثاني قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن الطباع حدثنا أبو سفيان يعني المعمرى عن معمر عن قتادة عن أنس قال نزلت ان زلزلة الساعة شئ عظيم وذكرى يعني نحو سيباق الحسن عن عمران غبرانه قال ومن هلك من كثرة الجن والانس ورواه ابن جرير بطوله من حديث معمر الحديث الثالث قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا عباد يعني ابن العوام حدثنا هلال بن حباب عن عكرمة عن ابن عباس قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية فذكرهم وقال فيه اني لارجو ان تكونوا رابع أهل الجنة ثم قال اني لارجو ان تكونوا شطر أهل الجنة فقرحوا وازاد ايضا وانما أنتم جزء من ألف جزء الحديث الرابع قال البخارى عند تفسير هذه الآية حدثنا عمر بن حفص حدثنا أبي حدثنا (٣١٦) الاعشى حدثنا أبو صالح عن أبي سعيد قال قال النبي صلى الله

عليه وسلم يقول الله تعالى يوم
القيامة يا آدم فيقول إنيك ربنا
وسعدك فينادي بصوت إن الله
أمرك أن تخرج من ذريتك بعثنا
إلى النار قال يارب وما بعث النار
قال من كل ألف أراه قال تسعمائة
وتسعة وتسعون حينئذ تضع
الحامل حملها ويشيب الوليد وترى
الناس بكاري وما هم بكاري
ولكن عذاب الله شديد فشق ذلك
على الناس حتى تغيرت وجوههم
قال النبي صلى الله عليه وسلم من
يأجوج وما جوح تسعمائة وتسعة
وتسعون ومنكم واحد أتم في
الناس كالشعرة السوداء في جنب
النور الأبيض أو كالشمرة البيضاء
في جنب النور الأسود إلى لارجو
أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبرنا
ثم قال ثلث أهل الجنة فكبرنا ثم
قال شطر أهل الجنة فكبرنا وقد رواه
البخاري أيضا في غير هذا الموضع
ومسلم والنسائي في نفسه من طرق

صفاته (ولولم تسمه نار) قرئ بالفوقية لان النار مؤنثة قال أبو عبيد ان لا يعرف الا هذه القراءة وقرأ ابن عباس بالتحسية لكون تأنيثها غير حقيقي والمعنى ان هذا الزيت في صفاته وانارته يكاد يضيء بنفسه من غير ان تسمه النار أصلاً (نور) أى هو نور كائن (على نور) صفة لنور سؤ كدلة وقيل نور الله أى هداه للمؤمنين نور على نور الايمان وقال مجاهد والمراد النار على الزيت وقال الكلبي المصباح نور والزاجاجة نور وقيل نور بالزيت مع نور بالنار وقال السدي نور الايمان ونور القرآن وقيل نور متضاعف من غير تديد لتضاعفه بمحمد وعين وتحميد مراتب تضاعف ما شئت بدم نور المشكاة بما ذكر لكونه أقصى مراتب تضاعفه عادة وعن ابن عباس ان اليهود قالوا الحمد صلى الله عليه وآله وسلم كيف يخص نور الله من دون السماء فضرب الله مثل ذلك لنوره فقال الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة وهى كوة البيت فيها مصباح وهو السراج يكون فى الزاجاجة وهو مثل شربة الله لطافة فسمى طاعته نوراً ثم سماها انواراً شتى لشرقية ولاغربية قال وهى وسط الشجرة لا تنالها الشمس اذا طلعت ولا اذا غربت وذلك أجود الزيت يكاد يضيئها يضىء بغير نار نور على نور يعنى بذلك ايمان العبد وعلمه بهدى الله لنور من يشاء وهو مثل المؤمن وعن ابن عمر قال المشكاة جوف محمد صلى الله عليه وآله وسلم والزاجاجة قلبه والمصباح النور الذى فى قلبه والشجرة ابراهيم لشرقية ولاغربية لاهودية ولا نصرانية ثم قرأ ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً الآية وعن شهر بن عطية قال جاء ابن عباس الى كعب الاحبار فقال حدثنى عن قول الله يعنى هذه الآية قال مثل نور محمد صلى الله عليه وآله وسلم ككوة شربة الله مثلاً لفمه فيها مصباح والمصباح قلبه والزاجاجة صدره كأنها كوكب درى شبه صدر محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالكوكب الدرى ثم رجع المصباح الى قلبه فقال يوفى من شجرة الى قوله يكاد يكاد محمد صلى الله عليه وآله وسلم بين الناس ولولم يتكلم انه نبي كما يكاد الزيت ان يضىء ولولم تسمه

عن الاعشى به الحديث الخامس قال الامام أحمد حدثنا سمارة بن محمد بن أخت سفيان الثوري وعبيدة المعنى كلاهما عن نار
ابراهيم بن مسلم عن أبي الاحوص عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يبعث يوم القيامة مناديا يا آدم ان الله
يأمرك ان تبعث بعثنا من ذريتك الى النار فيقول آدم يا رب من هم فيقال له من كل مائة تسعة وتسعون فقال رجل من القوم من هذا
الناجي من بعد هذا يا رسول الله قال هل تدرون ما أنتم في الناس الا كالشامة في صدر البعير انفرج بها السند وهذا السياق الامام
أحمد الحديث السادس قال الامام أحمد حدثنا يحيى عن حاتم بن أبي صفيرة حدثنا ابن أبي مليكة ان القاسم بن محمد أخبره عن
عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انكم تحشرون الى الله يوم القيامة حفاة عراة غرلا قالت عائشة يا رسول الله الرجال والنساء
ينظر بعضهم الى بعض قال يا عائشة ان الامر أشد من ان يهتمهم ذلك أخرجاه في الصحيحين الحديث السابع قال الامام أحمد

حدثنا يحيى بن اسحق حدثنا ابن لهيعة عن خالد بن أبي عمران عن القاسم بن محمد عن عائشة قالت قالت يا رسول الله هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيامة قال يا عائشة اما عند ثلاث فلا اما عند الميزان حتى يشقل أو يخف فلا واما عند تطاير الكتب اما يعطى بيمنه واما يعطى بشماله فلا وحين يخرج عنق من النار فيطوى عليهم ويتغيط عليهم ويقول ذلك العنق وكنت بثلاثة وكنت بثلاثة وكنت بثلاثة وكنت مع الله الها آخر وكنت بمن لا يؤمن بيوم الحساب وكنت بكل جبار عنيد قال فينطوى عليهم ويرميهم في غمرات جهنم ولجهنم جسر ارق من الشعر واحد من السيف عليه كلاب وحسد يأخذان من شاء الله والناس عليه كالبرق وكالطرف والريح وكابوا يد الخيل والركاب والملائكة يقولون رب سلم سلم فسلم فسلم فسلم ومخدوش مسلم ومكور في النار على وجهه والاحاديث في أهوال يوم القيامة والا تارك كثيرة جد الهام موضع (٣١٧) آخر ولهذا قال تعالى ان زلزلة الساعة شيء

عظيم أي أمر عظيم وخطب جليل وطارق مقطوع وحادث هائل وكان عجيب والزلازل هو ما يحصل للنفس من الرعب والنفزع كما قال تعالى هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلازلا شديدا ثم قال تعالى يوم ترونها هاهنا من باب ذي الشمالين والشان ولهذا قال مفسر الله تذهل كل مرضعة عما أرضعت أي فتشغل لهول ما ترى عن أحب الناس اليها والتي هي أشفق الناس عليه تدهش عنه في حال ارضاعها له ولهذا قال كل مرضعة ولم يقل مرضع وقال عما أرضعت أي عن رضيعها قبل فطامه وقوله وتضع كل ذات حمل حملها أي قبل تمام اشدة الهول وترى الناس سكارى وقرئ سكرى أي من شدة الامر الذي قد صاروا فيه قد دهشت عقولهم وغابت اذهانهم فمن رآهم حسب انهم سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد (ومن الناس من

نار قال ابن العربي قال ابن عباس هذا مثل نور الله وهذه في قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل ان تسمه النار فان مسته النار زاد ضوؤه كذلك قلب المؤمن يكاد يعمل بالهدى قبل ان يأتية العلم فاذا جاء العلم زاد هدى على هدى ونورا على نور كقلب ابراهيم من قبل ان تجيئه المعرفة قال هذا في من قبل ان يخبره أحد بأن له رباً فلما أخبره الله انه به زاد هدى اذ قال له رب أسلم قال أسلمت لرب العالمين وأقول ان تفسير النظم القرآني بهذا ونحوه مما تقدم عن أبي بن كعب وابن عباس وابن عمر رضي الله تعالى عنهم ليس على ما يقتضيه لغة العرب ولا ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما يجوز العدول عن المعنى العربي الى هذه المعاني التي هي شبيهة بالغاز والتعمية ولكن هؤلاء الحنابلة ومن وافقهم ممن جاء بعدهم استبعدوا تمثيل نور الله سبحانه بنور المصباح في المشكاة ولهذا قال ابن عباس هو أعظم من ان يكون نوره مثل نور المشكاة كما قد منع عنه ولا وجه له هذا الاستبعاد فاننا قد قدمنا في أول البحث ما يرفع الاشكال ويوضح ما هو المراد على أحسن وجه وأبلغ اسلوب وعلى ما تقتضيه لغة العرب وينبغيه كلام النحباء فلا وجه للعدول عن الظاهر لامن كتاب ولا من سنة ولا من لغة وأما ما حكي عن كعب الاحبار في هذا كما قدمنا فان كان هو سبب عدول أولئك الحنابلة الاجلاء عن الظاهر في تفسير الآية فليس مثل كعب رحمه الله ممن يقتدي به في مثل ذلك وقد نهى ذلك فيما سبق ان تفسير الحجاب اذا كان مستنده الرواية عن أهل الكتاب كما يقع ذلك كثيرا فلا تقوم به الحجة ولا يسوغ لاجل العدول من التفسير العربي نعم ان صحت قراءة أبي بن كعب كانت هي المستندة لهذه التفسير الخالف للظاهر وتكون كالزيادة المبيضة لمراد وان لم نصح فالوقوف على ما تقتضيه قراءة الجمهور من السبعة وغيرهم ممن قبلهم ومن بعدهم هو المتعين (يهدى الله لنوره) هداية خاصة موصلة الى المطلوب وليس المراد بالهداية هنا مجرد الدلالة قال ابن عباس لنوره لدين الاسلام وهو نور البصيرة (من يشاء) من عباده لان الاسباب دون

يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد كتب عليه انه من تولاه فانه يضل ويهدى الى عذاب السعير) يقول تعالى ذامان كذب بالبعث وأنكر قدرة الله على احياء الموتى معرضا عما انزل الله على انبيائه متبعاً في قوله وانكاره وكفره كل شيطان مريد من الانس والجن وهذا حال أهل البدع والضلال المعرضين عن الحق المتبعين للباطل يتركون ما انزل الله على رسوله من الحق المبين ويتبعون أقوال رؤس الضلالة الدعاة الى البدع بالاهواء والآراء ولهذا قال في شأنهم واشباههم ومن الناس من يجادل في الله بغير علم أي علم صحيح ويتبع كل شيطان مريد كتب عليه قال مجاهد يعني الشيطان يعني كتب عليه كآفة قدرته انه من تولاه أي اتبعه وقلمه فانه يضل ويهدى الى عذاب السعير أي يضل في الدنيا ويقوده في الآخرة الى عذاب السعير وهو الحار المولم الملقى المزعج وقد قال السدي عن أبي مالك نزلت هذه الآية في النضر بن الحرث وكذا قال ابن جرير وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمرو بن مسلم

البصري حدثنا عمرو بن الصخرى أبو قتادة حدثنا المعمر حدثنا أبو كعب المكي قال قال خبيث من خبيثاء قريش أخبرنا عن ربكم من ذهب هو أو من فضة هو أو من نحاس هو فنفقة عقت السماء قفقهة والقعة عقت في كلام العرب الرعد فإذا تخف رأسه ساقط بين يديه وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد جاءهم هودي فقال بالمجد أخبرني عن ربك من أي شيء هو من دراهم من ياقوت قال لجئات صاعقة فأخذته (يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الارض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ذلك بان الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في

(٣١٨)

القبور) لما ذكر تعالى المخالف

مشيئة لا غية اذ بها تمامها (ويضرب الله الامثال للناس) أي بين الاشياء بأشباهاها وتطأرها تقر بها اليها الى الافهام وتسهل الادراك كالان ابراز المعقول في هيئة المحسوس وتصويره بصورة يزيد وضوحا ويأينا (والله بكل شيء عليم) لا يغيب عنه شيء من الاشياء معقولا كان أو محسوسا ظاهرا كان أو باطنا ومنه ضرب الامثال (في بيوت) أي ذلك المصباح يوقد في بيوت وقيل متعلق بما قبله أي كشكاة في بعض بيوت الله وهي المساجد كأنه قيل مثل نوره كما يرى في المسجد نور المشكاة التي من صفتها كيت وكيت وقيل صفة الزجاجة وقال ابن الانباري سمعت أبا العباس يقول هو حال للمصباح والزجاجة والكوكب كأنه قيل وهي في بيوت وعلى هذا الاقوال لا يوقف على علمه وقيل متعلق بما بعده وهو يسبح الا في أي يسبح رجال في بيوت وعلى هذا يكون قوله فيها تكرر للتوكيد والتذكير والاذان بأن التقديم للاهتمام بالقصر التسبيح على الوقوع في البيوت فقط وقيل متعلق بمحذوف أي سجود في بيوت وعلى هذا القول لا يوقف على علمه فهذه ستة أوجه ذكرها السمين وغيره وقيل انه منفصل عما قبله كأنه قال تعالى الله في بيوت اذن الله ان ترفع قال الحكيم الترمذي وبذلك جاءت الاخبار انه من جلس في المسجد فاعلم بالسرب وقد قيل على تقدير تعلقه بشكاة أو بمصباح أو بيقودما الوجه في توحيد المصباح والمشكاة وجمع البيوت ولا تكون المشكاة الواحدة ولا المصباح الواحد الا في بيت واحد وأجيب بأن هذا من الخطاب الذي يفتح أولا بالتوحيد ويختم بالجمع كقوله سبحانه يا أيها النبي اذا طلقتم النساء فاحصوه وقيل معنى في بيوت في كل واحد من البيوت فكانه قال في كل بيت أو في كل واحد من البيوت واختلف الناس في البيوت على أقوال الاول انها جميع المساجد وهو قول مجاهد والحسن وغيرهما قال ابن عباس بيوت الله في الارض تضيء لاهل السماء كما تضيء النجوم لاهل الارض الثاني ان المراد بها بيوت بيت المقدس روى ذلك عن الحسن الثالث انها بيوت النبي صلى الله عليه وآله وسلم روى

اللبعث المنكر للامعاد ذكر تعالى الدليل على قدرته تعالى على المعاد بما يشاهد من بدئه الخلق فقال يا أيها الناس ان كنتم في ريب أي في شك من البعث وهو المعاد وقيام الارواح والاجساد يوم القيامة فانا خلقناكم من تراب أي أصل برئكم لكم من تراب وهو الذي خلق منه آدم عليه السلام ثم من نطفة أي ثم جعل نسلا له من سلالة من مائه من ثم من علقة ثم من مضغة وذلك انه اذا استقرت النطفة في رحم المرأة مكثت أربعين يوما كذلك يضاف اليه ما يجتمع اليها ثم ينقلب علقة جرابا اذن الله ففة ككذلك أربعين يوما ثم تسهل فتصير مضغة قطعة من لحم لا شكل فيها ولا تخطيط ثم يشرع في التشكيل والتخطيط فيه وورمها رأس ويدان وصدر وبطن وغذاة ورجلان وسايرا لاعضاء فتارة

هذا

تسقطها المرأة قبل التشكيل والتخطيط وتارة تلقى وقد صارت ذات شكل وتخطيط ولهذا قال تعالى ثم من نطفة مخلقة وغير مخلقة أي كما تشاهدونها النبين لكم ونقر في الارحام ما نشاء الى أجل مسمى أي وارة تستقر في الرحم لا تلقى المرأة ولا تسقطها كما قال مجاهد في قوله تعالى مخلقة وغير مخلقة قال هو السقط مخلوق وغير مخلوق فاذا ضي عليها أربعون يوما وهي مضغة ارسل الله تعالى اليها ملكا فنفخ فيها الروح وسواها كما يشاء الله عز وجل من حسن وقبح وذكروا نبي وكتب رزقها وأجلها وشقي أو سعيد كما ثبت في الصحيحين من حديث الامش عن زيد بن وهب عن ابن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدق ان خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين ليلة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه الملك فيؤمر بأربع كلمات فيكتب رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح وروى ابن أبي حاتم ابن

جرير من حديث داود بن هند عن الشعبي عن عاصم عن عبد الله قال النطفة اذا استقرت في الرحم جاءها ملك بكفه فقال يا رب مخلقة أو غير مخلقة فان قيل غير مخلقة لم تكن نسمة وقد فتها الارحام دما وان قيل مخلقة قال أي رب ذكرا أو أنثى شقي أو سعيد ما الاجل وما الاثر وبأي أرض يموت قال فيقال للنطفة من ربك فتقول الله فيقال من رازقت فتقول الله فيقال له اذهب الى الكتاب فانك ستجد فيه قصة هذه النطفة قال فتخلق فتعيش في أجهلها وتطأ أثرها حتى اذا جاء أجهلها ماتت فدفنت في ذلك ثم تلا عامر الشعبي يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة فاذا بلغت مضغة نكست في الخلق الرابع فكانت نسمة وان كانت غير مخلقة قد فتها الارحام دما وان كانت مخلقة نكست نسمة وقال ابن أبي حاتم - حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ (٣١٩) حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن

هذا عن مجاهد الرابع هي البيوت كلها قاله عكرمة الخامس انها المساجد الاربعة الكعبة ومسجد قباء ومسجد المدينة ومسجد بيت المقدس قاله ابن زيد والقول الاول أظهر اقله يسبح له فيها بالغدو والآصال والبيات بيوت تضم وتكسر كل ذلك ثابت في اللغة ومعنى (أذن الله) أمر وقضى ومعنى (ان ترفع) تبنى قاله مجاهد وعكرمة وغيرهما ومنه قوله سبحانه واذا رفع ابراهيم القواعد من البيت وقال الحسن البصري وغيره معنى ترفع تعظم فلا يذ - ر فيها الخنا من القول ويرفع شأنه وتظهر من الانجاس والافذار ورجحه الزجاج وقيل المراد بالرفع هنا مجموع الامرين (و) معنى (يذ كرفعها اسمه) كل ذكر لله عز وجل وقيل هو التوحيد وقيل المراد تلاوة القرآن والاول اولى وفي القرطبي قد كره بعض أصحابنا تعليم الصبيان في المساجد لانهم لا يتكبرون عن الافذار والافساخ فيؤدى ذلك الى عدم تنظيف المساجد وقد ورد في تعظيم المساجد وتنزيهها عن القذر واللغو وتنظيفها وتطعيمها أحاديث ليس هذا موضع ذكرها (يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال) قرئ يسبح مبني للفاعل ولله فاعول فعلى الثانية يكون رجال مرفوعا بفعل مقدر كأنه قيل من يسبحه فقيل يسبحه رجال وعلى الاولى يكون رجال فاعل يسبحه وقرئ يسبح بالفعولية وكسر الموحدة وعلى هذا يكون الفاعل أيضا رجال وانما أنت الفعل لكون جمع التكسير يعامل معاملة المؤنث في بعض الاحوال واختلف في هذا التسبيح ما هو فالأكثر حملوه على الصلاة المفروضة قالوا الغدوة صلاة الصبح والآصال صلاة الظهر والعصر والعشاء لان اسم الآصال يشملها والمعنى يصلى له فيها بالغداة صلاة الصبح وبالأصال صلاة الظهر والعصر والعشاء وانما حدد الغدوة لان صلاته واحدة وفي الآصال صلوات والآصال جمع أصل جمع أصيل وهو العشي وقيل صلاة الصبح والعصر وقيل المراد صلاة الضحى قاله ابن عباس وعنه في الآية قال هي المساجد تكرم وينهى عن اللغو فيها ويذكر فيها اسم الله يتلى فيها كتابه يسبح له فيها بالغدو والآصال صلاة

أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم بأربعين يوما أو خمس وأربعين فيقول أي رب أشقى أم سعيد فيقول الله ويكتبان فيقول أذكر أم أنسى فيقول الله ويكتبان ويكتب علمه وأثره ورزقه وأجله ثم تطوى الصحف فلا يراى على ما فيها ولا ينتقص ورواه مسلم من حديث سفيان بن عيينة ومن طريق آخر عن أبي الطفيل بنحو معناه وقوله ثم يخرجكم طفلا أي ضعيفا في بدنه رضعه وبصره وحواسه وبطشه وعقله ثم يعطيه الله القوة شيئا فشيئا ويلطف به ويحسن عليه والديه في آناء الليل والاطراف النهار ولهذا قال ثم لتبلغوا أشدكم أي تكامل النوى ويتزايد ويصل الى غنى وان الشباب وحسن المنظر ومنكم من يتوفى أي في حال شبابه وقواه ومنكم من يرد الى أرذل العمر

وهو الشيخوخة والهرم وضعف القوة والعقل والفهم وتناقص الاحوال من الخرف وضعف الفكر ولهذا قال لكيلا يعلم من بعد علم شيئا كما قال تعالى الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير وقد قال الحافظ أبو يعلى أحمد بن علي بن المشي الموصلى في مسنده حدثنا منصور بن أبي مزاحم حدثنا خالد الزيات حدثني داود أبو سليمان عن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن حزم الانصارى عن أنس بن مالك رفع الحديث قال المولود حتى يبلغ الحنث ما عمل من حسنة كتبت لوالده او لوالديه وما عمل من سيئة لم تكتب عليه ولا على والديه فاذا بلغ الحنث جرى عليه القلم أمر الملك ان اللذان كانا معه ان يحفظا وان يشدد اذا بلغ أربعين سنة في الاسلام آمنه الله من البلاء الثلاث الجنون والجذام والبرص فاذا بلغ الخمسين خفف الله حسابه فاذا بلغ ستين رزقه الله الابانة اليه بما يحب فاذا بلغ السبعين أحبه أهل السماء فاذا بلغ الثمانين

كتب الله حسنة وجاوز عن سيئاته فاذا بلغ التسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وشنعه في أهل بيته - وكتب أمين الله وكان أسير الله في أرضه فاذا بلغ أرذل العمر لم يكدر عليه من بعد علم شيئاً كتب الله له مثل ما كان يعمل في صحته من الخير فاذا عمل سيئة لم تكتب عليه - هذا حديث غريب جداً وفيه تكرار شديدة ومع هذا قد رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده موقوفاً ومرفوعاً عند ثناء أبو النضر حدثنا الفرج - حدثنا محمد بن عامر عن محمد بن عبد الله العاملي عن عمرو بن جعفر عن أنس قال إذا بلغ الرجل المسلم أربعين سنة أمتنه الله من أنواع البلايا من الجنون والبرص والجذام فاذا بلغ الخمسين إين الله حسابه وإذا بلغ الستين رزقه الله أنابة يحبه عليها وإذا بلغ السبعين أحبه الله وأحبه أهل السماء وإذا بلغ الثمانين تقبل الله حسنة ومحامنه سيئاته وإذا بلغ التسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وسمى أسير الله في أرضه وشنع في أهل

(٢٢٠)

ثم قال حدثنا هشام حدثنا الفرج حدثني محمد بن عبد الله العامري عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان عن عبد الله بن عمرو بن الخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله ورواه الإمام أحمد أيضاً حدثنا أنس ابن عبياض - حدثني يوسف بن أبي ذرة الانصاري عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري عن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من معمر يعمر في الاسلام أربعين سنة الا صرف الله عنه ثلاثة أنواع من البلاء الجنون والبرص والجذام وذكر تمام الحديث كما تقدم سواء ورواه الحافظ أبو بكر البرزعي عن عبد الله بن شبيب عن أبي شيبه عن عبد الله بن عبد الملك عن أبي قتادة العدوي عن ابن أخي الزهري عن عمه عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد يعمر في الاسلام أربعين سنة الا صرف الله عنه أنواعاً من البلاء الجنون

الغداة وصلاة العصر وهما أول ما فرض الله من الصلاة فأحب ان يذكركهما ويذكركمهما عباده وعنه قال ان صلاة الضحى لفي القرآن وما يغوص عليها الا غواص في هذه الآية وقيل المراد بالتسبيح ههنا معناه الحقيقي وهو توبته الله سبحانه عما لا يليق به في ذاته وصفاته وافعاله ويؤيد هذا ذكر الصلاة والزكاة بعده وهذا أخرج مما قبله لكونه المعنى الحقيقي مع وجود دليل يدل على خلاف ما ذهب اليه الاولون وهو ما ذكرناه قيل وخص الرجال بالذكور في هذه المساجد لان النساء ليس عليهن حضور المساجد للجمعة ولا للجماعة (لا تلهيهم تجارة ولا بيع) هذه صفة لرجال أي لا يشغلهم التجارة في السفر والبيع في الحضر وخص التجارة بالذكور لانها أعظم ما يشغل به الانسان وقال الفراء التجارة لاهل الجلب والبيع ما باعه الرجل على يديه وخص قوم التجارة ههنا بالشرا لذكر البيع بعدهما وبمثل قول الشراء قال الواقدي فقال التجار هم الجلاب المسافرون والباعة هم المقيمون وبعني (عن ذكر الله) هو ما تقدم في قوله يذكركم باسمه أي باللسان والقلب وقيل المراد الاذان وقيل ذكره باسمائه الحسنی أي يوحده ويحيده ويحده وقيل المراد الصلاة ويرده ذكر الصلاة بعد الذكركمها وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الآية قال هم الذين يضرئون في الارض يتبعون من فضل الله واخرج ابن مردويه والديلمي عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال هم الذين يتبعون من فضل الله وعن ابن عباس قال كانوا رجالا يتبعون من فضل الله يشترون ويبيعون فاذا سمعوا النداء بالصلاة أقاموا في أيديهم وقاموا الى المسجد فصولوا وعنه في الآية قال ضرب الله هذا المثل قوله كد شكوة لاولئك القوم الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وكانوا أتجبر الناس وابيعهم ولكن لم تكن تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وعنه قال عن ذكر الله عن شهود الصلاة وعن ابن عمر أنه كان في السوق فاقبعت الصلاة فاعلقوا حوائيتهم ثم دخلوا المسجد فقال ابن عمر فيهم زلات رجال لا تلهيهم تجارة

ولا

والجذام والبرص فاذا بلغ خمسين سنة إين الله له الحساب فاذا بلغ ستين سنة رزقه الله الأنابة اليه بما يحب

فاذا بلغ سبعين سنة غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وسمى أسير الله وأحبه أهل السماء فاذا بلغ الثمانين تقبل الله منه حسنة وتجاوز عن سيئاته فاذا بلغ التسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وسمى أسير الله في أرضه وشنع في أهل بيته وقوله وترى الارض هامدة هذا دليل آخر على قدرته تعالى على احياء الموتي كما يحيي الارض الميتة الهامدة وهي المتحلة التي لا نبات فيها ولا شيء قال قتادة غيرا متهمشة وقال السدي ميتة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج أي فاذا أنزل الله عليها المطر اهتزت أي تحركت بالنبات وحييت بعد موتها وربت أي ارتفعت لما سكن فيها الثرى ثم أنبت ما فيها من الالوان والفتون من ثمار وزروع واشتات النباتات في اختلاف ألوانها وطعومها ورائحتها واشكالها ومنافعها ولهذا قال تعالى وأنبتت من كل زوج

بهيج اى حسن المنظر طيب الريح وقوله ذلك بان الله هو الحق اى الخالق المدبر الفاعل لما يشاء وانه يحيى الموتى اى كما يحيى الارض الميتة وانبت منها هذه الانواع ان الذى احيها يحيى الموتى وانه على كل شئ قدير فاعلم امره اذا اراد شيئاً ان يقول له كن فيكون وان الساعة آتية لا ريب فيها اى كائنة لاشك فيها ولا مريية وان الله يبعث من فى القبور اى يعيدهم بعدما صاروا فى قبورهم ربما يوجددهم بعد العدم كما قال تعالى وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحيى الذى انشاها اول مرة وهو بكل خلق عليم الذى جعل لىكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون والآيات فى هذا كثيرة وقال الامام احمد حدثنا به زحدر ثنا جاد بن سلمة قال انبأنا يعلى بن عطاء عن وكيع عن عدس عن عمه ابى رزين العقيلي واسمه لقب بن عامر انه قال يا رسول الله اكلنا يربى رب عز وجل يوم القيامة وما آية ذلك فى خلقه فقال (٢٢١) رسول الله صلى الله عليه وسلم اليس كلتم

ينظر الى القمر محمداً به قلنا بلى قال قاله اعظم قال قلت يا رسول الله كيف يحيى الله الموتى وما آية ذلك فى خلقه قال اما مرت بوادى اهلك ممحلا قال بلى قال ثم مررت بهيم تتر خضر اقال بلى قال فكذلك يحيى الله الموتى وذلك آية فى خلقه ورواه ابوداود وابن ماجه من حديث جاد ابن سلمة به ثم رواه الامام احمد ايضا حدثنا على بن اسحق انبأنا ابن المبارك انبأنا عبد الرحمن بن يزيد ابن جابر عن سليمان بن موسى عن ابى رزين العقيلي قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله كيف يحيى الله الموتى قال امرت بأرض من ارضك مجدبة ثم مررت بها مخضبة قال نعم قال كذلك النشور وقال ابن ابى حاتم حدثنا ابى حدثنا عبيد بن مرحوم حدثنا بكير بن السميط عن قتادة عن ابى الحجاج عن معاذ بن جبل قال من علم ان الله هو الحق المبين وان الساعة آتية لا ريب فيها

ولا يبيع عن ذكر الله وعن ابن مسعود انه رأى ناسا من أهل السوق سمعوا الاذان فتر كوا أممعتهم فقال هؤلاء الذين قال الله فيهم لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وأخرج البيهقي وابن أبي حاتم وغيرهما عن أسماء بنت يزيد قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجمع الله يوم القيامة الناس فى صعيد واحد يسمعون الداعى وينفذهم البصر فيتقوم مناد فينادى ابن الذين منكم انوا بحمدون الله فى السراء والضراء فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب ثم يعود فينادى ابن الذين كانت تجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب ثم يعود فينادى ليقم الذين كانوا لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب ثم يقوم سائر الناس فيحاسبون وأخرجه الحاكم وصححه وابن مردويه عن عقبه بن عامر مرفوعا نحوه (واقام الصلاة) أى أقامتها المواقيت اى غير تأخير أو أدائها فى وقتها اجاعة لان مؤخر الصلاة عن وقتها لا يكون من مقبى الصلاة وحذفت التاء لان الاضافة تقوم مقامها فى ثلاث كلمات جمعها الشاعر فى قوله

ثلاثة تحذف تأاتها * مضافة عنه جميع النخاة

وهى اذا شئت أبوعذرهما * وليت شعري واقام الصلاة

وقيل الرابع عد الامر أى عدة الامر وقيل فى توجيهه حذفها غير ذلك وقد احتاج من حمل ذلك كراهته على الصلاة المفروضة ان يحمل أقام الصلاة على تأديتها فى أوقاتها فرارا من التكرار ولا ملجئ الى ذلك بل يحتمل الذكر على معناه الحقيقى كما قدمنا (وابناء الزكاة) المفروضة وقيل المراد طاعة الله والاخلاص اذ ليس لكل مؤمن مال (يتخافون يوما) أى يوم القيامة والنصب على انه مفعول للتعلى لا ظرف له يعنى ان هؤلاء الرجال وان بالغوا فى ذكر الله تعالى والطاعات فانهم مع ذلك وجلون خائفون لعلمهم بأنهم ما عبدوا الله حق عبادته ثم وصف هذا اليوم بقوله (تقلب فيه القلوب) أى تضطرب وتحول من الهول

(٤١ - فتح البيان سادس) وان الله يبعث من فى القبور دخل الجنة (ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله له فى الدنيا خزي وينذيقه يوم القيامة عذاب الحر يق ذلك بما قدمت يدك وان الله ليس بظلام للعبيد) لما ذكر تعالى حال الضلال الجهال المقلدين فى قوله ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد ذكر فى هذه حال الدعاة الى الضلال من رؤس الكفرة والبدع فقال ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير أى بلا عقل صحيح ولا نقل صحيح بل بمجرد الرأى والهوى وقوله ثانى عطفه قال ابن عباس وغيره مستكبر عن الحق اذ ادعى اليه وقال مجاهد وقتادة ومالك عن زيد بن أسلم ثانى عطفه أى لاوى عطفه وهى رقبته يعنى يعرض عما يدعى اليه من الحق وينثنى رقبته استكبارا كقوله وفى موسى اذ أرسلناه الى فرعون بسلاطان مبين فتولى بركته الآية وقال تعالى واذا قيل لهم تعالوا الى ما نزل الله

والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا وقال تعالى واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لو واروا أنفسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون وقال لقمان لابنه ولا تصرخ عليك للناس أى تخجل عنهم استكبارا عليهم وقال تعالى واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا الآية وقوله ليضل عن سبيل الله قال بعضهم هذه لام العاقبة لانه قد لا يقصد ذلك ويحتمل ان تكون لام التعليل ثم اما ان يكون المراد به المعاندون أو يكون المراد به ان هذا الفاعل لهذا انما جعلناه على هذا الخلق الذى لم يجعله من يضل عن سبيل الله ثم قال تعالى له فى الدنيا خزى وهوالا هانة والذل كما انه استكبر عن آيات الله لقاء الله المذلة فى الدنيا وعاقبه فيها قبل الآخرة لانها أكبر هموم ومبلغ علمه ونذيقه يوم القيامة عذاب الخريق ذلك بما قدمت يدك أى يقال له هذا تقر يعاونو ويخاون الله ليس بظلام للعبيد كقوله تعالى (٣٢٢) خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم ثم صوبوا فوق رأسه من عذاب

الجحيم ذق انك أنت العزيز الكريم ان هذا ما كنتم به تسترون وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أحمد ابن الصباح حدثنا يزيد بن هرون أنبأنا هشام عن الحسن قال بلغنى ان أحدهم يحرق فى اليوم سبعين ألف مرة (ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابه فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين يدعون من دون الله مالا يضره ومالا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد يدعون لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير) قال مجاهد وقتادة وغيرهما على حرف على شك وقال غيرهم على طرف ومنه حرف الجبل أى طرفه أى دخل فى الدين على طرف فان وجد ما يحبه استقر والا نشمر وقال البخارى حدثنا ابراهيم بن الحرث حدثنا يحيى بن أبى بكير حدثنا اسرائيل عن أبى حصين عن سعيد

والفرع وقيل المراد انتزاعها من أما كنها الى الخناجر فلا ترجع الى أما كنها ولا تخرج (و) تشخص (الابصار) من هول ذلك اليوم وقيل المراد بتقلبها عوان تصير عيا بعد أن كانت مبصرة وقيل المراد بتقلب القلوب انها تكون متقلبة بين الطمع فى النجاة والخوف من الهلاك وأما تقلب الابصار فهو ونظرها من أى ناحية يؤخذون والى أى ناحية يصيرون وقيل المراد بتحول قلوبهم وأبصارهم عما كانت عليه من الشك الى اليقين ومثله قوله فكشفنا عنك غطاءك فبصر لك اليوم حديدفا كان يراه فى الدنيا غيارا فى الآخرة رشدا وقيل المراد التقلب على جرحهم وقيل غير ذلك (ليجزىهم الله أحسن ما عملوا) اللام لام العاقبة والصيرورة للام العلة الباعثة أى يفعلون ما يفعلون من التسبيح والذكر وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ليجزىهم الله أحسن جزاء أعمالهم حسبا وعدهم من تضعيف ذلك الى عشرة أمثاله والى سبعمائة ضعف وقيل المراد بما فى هذه الآية ما يتفضل به سبحانه عليهم زيادة على ما يستحقونه والاول أولى لقوله (ويزيدهم من فضله) فان المراد به التفضل عليهم بما فوق الجزاء الموعود به أى يتفضل بأشياء لم تعد لهم بخصوصياتها أو بمقاديرها ولم يخطر ببالهم كفياتها ولا كلياتها بل انما وعدت بطريق الاجال فى مثل قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وقوله عليه السلام حكاية عنه عز وجل أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وغير ذلك من الموايد الكريمة التى من جلتها قوله تعالى (والله يرزق من يشاء بغير حساب) فانه تذييل مقرر للزيادة وعد كريم بأنه تعالى يعطيهم غير اجور أعمالهم من الخيرات بما لا ينفى به الحساب والمعنى من غير ان يحاسبه على ما أعطاه وان اعطاه سبحانه لانها ياله قال الكرخى وضع الموصول موضع نهيرهم للتنبيه بما فى حين الصلة على ان مناط الرزق المذكور محض مشيئة تعالى لأعمالهم المحكية وذلك تنبيه على كمال قدرته وكال جوده وسعة احسانه ولما ذكر سبحانه حال المؤمنين وما يؤل اليه أمرهم ذكر مثلا

ابن جبير عن ابن عباس ومن الناس من يعبد الله على حرف قال كان الرجل يقدم المدينة فان ولدت امرأته للكافرين غلاما وتجت خيله قال هذا دين صالح وان لم تلد امرأته ولم تنتج خيله قال هذا دين سوء وقال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا أحمد بن عبد الرحمن حدثنا أبى عن أبيه عن أشعث بن اسحق القمى عن جعفر بن أبى المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان ناس من الاعراب يأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيسلمون فاذا رجعوا الى بلادهم فان وجدوا عام غيث وعام خصب وعام ولاد حسن قالوا ان ديننا هذا صالح فتمسكوا به وان وجدوا عام جدوبة وعام ولاد سوء وعام قحط قالوا ما فى ديننا هذا خير فانزل الله على نبيه ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به الآية وقال العوفى عن ابن عباس كان أحدهم اذا قدم المدينة وهم أرض دونه فان سح بها جسمه وتجت فرسه مهر احسنا وولدت امرأته غلاما مرضى به واطمان اليه وقال ما أصبت منذ كنت

على ديفى هذا الاخير وان أصابته فتنة والفتنة البلاء اى وان أصابه وجع المدينة وولدت امرأته جارية وتأخرت عنه الصدقة أناته الشيطان فقال والله ما أصبت منذ كنت على دينك هذا الاشرار ذلك الفتنة وهكذا ذكر قتادة والضحاك وابن جرير وغير واحد من السلف في تفسير هذه الآية وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هو المفاق ان صلحت له دنياه أقام على العبادة وان فسدت عليه دنياه وتغيرت انقلب فلا يقيم على العبادة الا لما صلح من دنياه فان أصابته فتنة أو شدة أو اختبار أو ضيق ترك دينه ورجع الى الكفر وقال مجاهد في قوله انقلب على وجهه أى ارتد كافرا وقوله خسر الدنيا والآخرة أى فلا هو حصل من الدنيا على شئ واما الآخرة فقد كفر بالله العظيم فهو فيها فى غاية الشقاء والا هانة ولهذا قال تعالى ذلك هو الخسران المبين أى هذه هي الخسارة العظيمة والصفقة الخاسرة وقوله يدعون من دون الله ما لا يضره (٣٢٣) وما لا ينفعه أى من الاصنام والانداد يستغيث بها ويستنصرها ويستترزقها

وهي لا تنفعه ولا تضره ذلك هو الضلال البعيد وقوله يدعون من ضربه أقرب من نفعه أى ضرره فى الدنيا قبل الآخرة أقرب من نفعه فيها وأما فى الآخرة فضرره محقق متميق وقوله لبئس المولى لبئس العشير قال مجاهد يعنى الوثن يعنى بئس هذا الذى دعاه من دون الله مولى يعنى وليا وناصرا وبئس العشير وهو الخائن والمعاشر واختار ابن جرير ان المراد لبئس ابن السم والصاحب من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه وقول مجاهد ان المراد به الوثن أولى وأقرب الى سياق الكلام والله أعلم (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد) لما ذكر أهل الضلالة الاشقياء عطف بذكر الابرار السعداء من الذين آمنوا

للكافرين فقال (والذين كفروا أعمالهم) التي هي من أعمال الخير كالصدقة والعق والوقف والصلاة وفك العاني وعمارة البيت وسقاية الحاج (كسراب) هو ما يرى فى المناظر من لمان الشمس عند ادراك النهار على صورة الماء فى ظن من يراه وسمى سرايا لانه يسرب أى يجرى كالماء يقال سرب الفعل أى مضى وسار فى الارض ويسمى الآس وقيل الآس هو الذى يكون نضج كالماء الا أنه يرتفع عن الارض حتى يصير كأنه بين السماء والارض (بتبيعة) أى فيها قال الباء بمعنى فى وهو جمع قاع وهو الموضع المنخفض الذى يستقر فيه الماء مثل جيرة وجار قاله الهروي وقال أبو عبيدة قيعه وقاع واحد حكاه النحاس قال الجوهرى القاع المستوى من الارض والجمع اقوع وأقواع وقيعان صارت الواو ياء لكسرة ما قبلها والقيعة مثل القاع قال وبعضهم يقول هو جمع والقاع ما انبسط من الارض واتسع ولم يكن فيه نبت وفيه يكون السراب وقرئ بشيعاه بهاء مدورة كما يقال رجل عزهاه وقيعات بناء بسوطة وقيل الانف متولدة من اشباع العين على الاول وجمع قيعه على الثانى (يحسبه الظمان ماء) الظمان العطشان وقرئ الظمان بغير همز والمشهور عنهم الهمز وتخصيص الظمان بالحسب بان مع كون الريان يراه كذلك لتحقيق التشبيه المبني على الطمع ولانه أحوج اليه من غيره فالتشبيه به أتم (حتى اذا جاءه) أى اذا جاء العطشان ذلك الذى حسبه ماء أو جاء موضعه (لم يجده شيئا) مما قدره وحسبه وظنه ولا من غيره والمعنى ان الكفار يقولون على أعمالهم التي يظنونهم امن الخير ويطدعون فى ثوابها فاذا قدموا على الله سبحانه لم يجدوا منها شيئا لان الكفر أحبطها ومحاذرها عن ابن عباس قال هو مثل ضربه الله كرجل عطش فاشبعه عطشه فرأى سرايا حسبه ماء فطلبه فظن انه قدر عليه حتى أتى فلما أتاه لم يجده شيئا وقبض عند ذلك يقول الكافر كذلك اذا أتاه الموت لم يجد عمله يغنى عنه شيئا ولا ينفعه الا كان مع السراب العطشان (ووجد الله عنده) بالمرصاد وقيل وجد وعد الله بالخزاء على عمله وقيل وجد

بقلوبهم وصعدوا ايمانهم بافعالهم فعملوا الصالحات من جميع أنواع القربات وتركوا المنكرات فاورثهم ذلك سكنى الدرجات العاليات فى روضات الجنات ولما ذكر تعالى انه أفضل أولئك وهدى هؤلاء قال ان الله يفعل ما يريد (من كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فليمنظر هل يذهبن كيده ما يغيظ وكذلك أنزلنا آيات بينات وان الله به دى من يريد) قال ابن عباس من كان يظن أن لن ينصره الله محمد صلى الله عليه وسلم فى الدنيا والآخرة فليمدد بسبب أى بحبل الى السماء أى السماء ثم ليقطع يقول ثم ليختنقه وكذا قال مجاهد وعكرمة وعطاء وأبو الجوزاء وقتادة وغيرهم وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فليمدد بسبب الى السماء أى ليتوصل الى بلوغ السماء فان النصر انما يأتى محمد من السماء ثم ليقطع ذلك عنه ان قدر على ذلك وقول ابن عباس وأصحابه أولى وأظهر فى المعنى وأبلغ فى التكميل فان المعنى من كان يظن أن الله ليس بناصر محمد

وكتابه ودينه فليذهب فليقتل نفسه ان كان ذلك غائطه فان الله نادى ناسه لا محالة قال الله تعالى انال نصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا يوم يقوم الاشهاد الآية وهذا قال فليستظر هل يذهب كيد ما يغيب قال السدي يعني من شأن محمد صلى الله عليه وسلم وقال عطاء الخراساني فليستظر هل يشفي ذلك ما يجسد في صدره من الغيظ وقوله وكذلك أنزلناه أى القرآن آيات بينات أى واضحات في لفظها ومعناها حجة من الله على الناس وان الله يهدي من يريد أى يضل من يشاء ويهدي من يشاء وله الحكمة التامة والحجة القاطعة في ذلك لا يستل عما يفعل وهم يستلون أما هو فلحكمة ورجته وعدله وعلمه وقهره وعظمته لا معقب لحكمه وهو سر بع الحساب (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شئ شهيد) يخبر تعالى عن أهل هذه الاديان (٣٢٤) المختلفة من المؤمنين ومن سواهم من اليهود والصابئين وقد قدمنا في سورة البقرة التعريف بهم واختلاف

الناس فيهم والنصارى والمجوس والذين أشركوا فعباد واعم الله غيره فانه تعالى يفصل بينهم يوم القيامة ويحكم بينهم بالعدل فيدخل من آمن به الجنة ومن كفر به النار فانه تعالى شهيد على افعالهم حفيظ لا قولهم عليهم بسائرهم وماتكن ضمائرهم (ألم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والتجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله يفعل ما يشاء) يخبر تعالى أنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له فانه يسجد له عظمتة كل شئ طوعا وكرها وسجود كل شئ كما يختص به كما قال تعالى أولم يروا الى ما خلق الله من شئ يتفيق ظلاله عن اليمين والشمائل يسجد الله وهم داخرون وقال ههنا ألم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في

أمر الله عند حشره وقيل حكمه وقضاءه عند المحي وقيل قدم على الله وقيل عند العمل والمعنى متقارب (فوفاه حسابا) أى أعطاه وافيأ كما لا حساب عمله المذكور وجرأه فان اعتقاده لثبته بغير ايمان وعمد له وجبه كندر على كفره وجب للعقاب قطع او افراد الضميرين الراجعين الى الذين كفروا اما لارادة الجنس كالظمان الواقع في التمثيل واما للعمل على كل واحد منهم وكذا افراد ما يرجع الى اعمالهم (والله سر بع الحساب) لعباده من آمن منهم ومن كفر عن السدي عن أبيه عن أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ان الكفار يبعثون يوم القيامة ورد اعطاشا فيقولون أين الماء فيمثل لهم السراب فيحسبون ماء فينطلقون اليه فيجدون الله عنده فيوفهم حسابهم والله سر بع الحساب أخرجه ابن أبي حاتم وعبد بن جيد وابن المنذر في اسناد السدي عن أبيه وفيه مقال معروف (أو كظلمات) معطوف على كسر اب ضرب الله سبحانه مثلا آخر لا اعمال الكفار اي كما انها تشبه السراب الموصوف بتلك الصفات فهي أيضا تشبه الظلمات قال الزجاج أعلم الله سبحانه ان أعمال الكفار ان مثلت بما يوجب جفائها كمثل السراب وان مثلت بما يرى فهي كهذه الظلمات التي وصفت وقال أيضا ان شئت مثلت بالسراب وان شئت مثلت بهذه الظلمات فأولاباحة والتخيير حسما تقدم من القول في أو كصيب قال الجرجاني الآية الاولى في ذكر أعمال الكفار والثانية في ذكر كفرهم ونسق الكفر على أعمالهم لانه ايضا من اعمالهم قال القشيري فعند الزجاج التمثيل وقع لاعمال الكفار وعند الجرجاني لكثرة الكفار وقيل أوله تقسيم باعتبار وقتين فانها كالسراب في الدنيا وكالظلمات في الآخرة وقيل أوله التنويع يعني ان اعمالهم ان كانت حسنة فهي كسراب وان كانت سيئة فهي كظلمات (في بحر لجي) البعة معظم الماء والجمع ليج وهو الذي لا يدرك عمقه ثم وصف سبحانه هذا البحر بصفة أخرى فقال (بغشاء) اي بعلو هذا البحر (موج) فيستره ويغويه بالكلية والموج ما ارتفع من الماء ثم وصف هذا الموج بقوله (من فوقه)

الارض أى من الملائكة في أقطار السموات والحيوانات في جميع الجهات من الانس والجن أى والدواب والطيور وان من شئ الا يسبح بحمده وقوله والشمس والقمر والنجوم انما ذكر هذه على التنصيص لانها قد عبدت من دون الله فيبين انهم تسجد لها انها امر بية مسخرة لا تسجد والشمس وللأقمر والسجد والله الذي خالقهن الآية وفي الصحيحين عن أبي ذر رضى الله عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدري أين تذهب هذه الشمس قلت الله ورسوله أعلم قال فانها تذهب فتسجد تحت العرش ثم تستأمر فيوش أن يقال لها ارجعي من حيث جئت وفي المسند وسنن أبي داود والنسائي وابن ماجه في حديث الكسوف أن الشمس والقمر خلقان من خلق الله وانهم لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ولكن الله عز وجل اذا يحى شئ من خلقه خشع له وقال أبو العالصة ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر الا يقع لله ساجدا حين يغيب ثم لا ينصرف حتى

يؤذن له فيأخذ ذات اليمين حتى يرجع الى مطلعته وأما الجبال والشجر فسجدوا بما في ظلها من المين والسمائل وعن ابن عباس قال قال جابر بن جيل فقال يا رسول الله اني رأيتني الليلة وأنا نائم كافي أصلي خلف شجرة فسجدت فسجدت الشجرة لسجودى فسمعتها وهي تقول اللهم اكتب لى بها عندك أجر اوضع عني بها وزرا واجعلها لى عندك ذخرا وتقبلها منى كما تقبلتها من عبدك داود قال ابن عباس فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سجدة ثم سجد فسبعته وهو يقول مثل ما أخبره الرجل عن قول الشجرة رواه الترمذى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه وقوله والدواب أى الحيوانات كلها وقد جاء فى الحديث عند الامام أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن اتخاذ ظهور الدواب منابر قرب مر كوبة خيرا أو أكثر ذكر الله تعالى من راكبها وقوله وكثير من الناس أى يسجد لله طوعا محتارا متعبدا بذلك وكثير حتى عليه (٣٢٥) العذاب أى ممن امتنع وائى واستكبر

ومن بين الله قتاله من مكرم ان الله يفعل ما يشاء وقال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن شيبان الرملى حدثنا القداح عن جعفر بن محمد عن ابيه عن على قال قيل لعلى ان ههنا رجلا لا يتكلم فى المشيئة فقال له على يا عبد الله خلقك الله كما يشاء أو كما شئت قال بل كما شاء قال فيمرضك اذا شاء أو اذا شئت قال بل اذا شاء قال فيشفيك اذا شاء أو اذا شئت قال بل اذا شاء قال فى حيث شاء أو حيث شئت قال بل حيث يشاء قال والله لو قلت غير ذلك لضربت الذى فيه عنك بالسيف وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم السجدة اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويله أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فابيت فى النار رواه مسلم وقال الامام أحمد حدثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم وأبو

أبى من فوق هذا الموج (موج) ثان متراكم فيه اشارة الى كثرة الامواج وتراكم بعضها فوق بعض ثم وصف الموج الثانى فقال (من فوقه سحب) فيجتمع حينئذ جوف البحر وامواجه والسحاب المرتفعة فوقه وقيل ان المعنى يغشاها موج من بعده موج فيكون الموج يتبع بعضه بعضا حتى كأن بعضه فوق بعض والبحر اخوف ما يكون اذا توالى أمواجه فاذا انضم الى ذلك وجود السحاب من فوقه زاد الخوف شدة لانها تستر النجوم التى يهتدى بها من فى البحر ثم اذا امطرت تلك السحاب وهبت الريح المعتادة فى الغالب عند نزول المطر تكاثفت الهموم وتراذفت الغموم وبلغ الامر الى الغاية التى ليس وراءها غاية ولهذا قال سبحانه (ظلمات بعضها فوق بعض) أى هن ظلمات وهذه ظلمات متكاثفة مترادفة فى هذه الجملة بيان لشدة الامر وتعاضمه وبلوغه النهاية القصوى ووجه الشبه ان الله تعالى ذكر ثلاثة أنواع من الظلمات ظلمة البحر وظلمة الامواج وظلمة السحاب وكذلك الكافر له ثلاث ظلمات ظلمة الاعتقاد وظلمة التوكل وظلمة العمل وقال أبى بن كعب الكافر يتقلب فى خمس من الظلمات كلامه ظلمة وعمه ظلمة ومدخله ظلمة ومخرج ظلمة ومصيره الى ظلمات يوم القيامة فى النار قرئ سحاب ظلمات بالاضافة ووجهها ان السحاب ترتفع وقت هذه الظلمات فأضيف اليها هذه الملابس وقرئ بالقطع والتنوين ومن غرائب التفاسير انه سبحانه اراد بالظلمات اعمال الكافر وبالبحر اللجى قلبه وبالموج فوق الموج ما يغشى قلبه من الجهل والشك والخيرة وبالسحاب الرين والخم والطبع على قلبه وهذا تفسير هو عن لغة العرب يمكن بعيد وعن ابن عباس قال يعنى بالظلمات الاعمال وبالبحر اللجى قلب الانسان يغشاها موج يعنى بذلك الغشاوة التى على القلب والسمع والبصر ثم بالغ سبحانه فى هذه الظلمات المذكورة بقوله (اذا أخرج) أى الناظر أو الحاضر فى هذه الظلمات أو من ابتلى بها (يده) مع انها أقرب شئ اليه (لم يكديراها) أى لم يقرب من رؤيتها قال الزجاج وأبو عبيدة المعنى لم يرها ولم يكده وقال الفراء ان كاد زائدة والمعنى اذا

عبد الرحمن المقرئ قال احدثنا ابن لهيعة قال حدثنا مشر بن حمار عن أبى بصير المعافى قال سمعت عقبه بن عامر قال قلت يا رسول الله أفضل سورة الحج على سائر القرآن بسجدة قال نعم فمن لم يسجد به ما فلا يقرأهما ورواه أبو داود والترمذى من حديث عبد الله بن لهيعة به وقال الترمذى ليس بقوى وفى هذا نظر فان ابن لهيعة قد صرح فيه بالسماع وأكثرتا مقموا عليه تدليسه وقد قال أبو داود فى المراسيل حدثنا أحمد بن عمرو بن السرح أنبأنا ابن وشب أخبى معاوية بن صالح عن عامر بن جثب عن خالد بن معدان رجه الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت سورة الحج على سائر القرآن بسجدة ثم قال أبو داود وقد أسند هذا يعنى من غير هذا الوجه ولا يصح وقال الحافظ أبو بكر الاسماعلى حدثنى ابن أبى داود حدثنا يزيد بن عبد الله حدثنا الوليد حدثنا أبو عمرو حدثنا حفص بن غياث حدثنى نافع قال حدثنى أبو الجهم أن عمر سجد سجدة فى الحج وهو بالجدية وقال ان هذه

فصلت بسجدة تين وروى ابو داود وابن ماجه من حديث الحرث بن سفيان عن عبد الله بن مدين عن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأه خمس عشرة سجدة في القرآن منها ثلاث في الفصل وفي سورة الحج سجدة فان هذه شواهد يشهد بعضها بعضا (هـ) ان خصمان اختصما في ربهما فالذين كفروا قطع لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد كلما أرادوا ان يخرجوا منها من غم أو وعدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق ثبت في الصحيحين من حديث أبي حمزة عن قيس بن عباد عن أبي ذر انه كان يقسم قسما أن هذه الآية هـ ان خصمان اختصما في ربهما نزات في حجة وصاحبيه وعتبة وصاحبيه يوم رزوا في بدر لفظ البخاري عند تفسيره هـ قال البخاري حدثنا جاج بن المنهاج حدثنا المعتمر بن سليمان سمعت أبي حدثنا أبو حمزة عن قيس بن (٣٢٦) عباد عن علي بن أبي طالب انه قال أنا أول من يجرى بين يدي الرحمن الخصومة يوم

القيامة قال قيس وفيهم نرات هذان
خضمان اختصموا في ربهم قال هم
الذين بارزوا يوم بدر على وحشة
وعميصة وشيبة بن ربيعة وعتبة بن
ربيعه والوليد بن عتبة انفرديه
البحارى وقال سعيد بن أبي عروبة
عن قتادة في قوله هذان خضمان
اختصموا في ربهم - قال اختصم
المسلمون وأهل الكتاب فقال أهل
الكتاب ديننا قبل نبيكم وكتابنا قبل
كتابكم فنحن أولى بالله منكم وقال
المسلمون كتابنا يقضى على الكتب
كلها وديننا حاتم الانبياء فنحن أولى
بالله منكم فإلج الله الاسلام على
من نأواه وأُنزل هذان خضمان
اختصموا في ربهم وكذا روى العوفي
عن ابن عباس وقال شعبة عن قتادة
في قوله هذان خضمان اختصموا
في ربهم قال صدق ومكذب وقال
ابن أبي شيحة عن مجاهد في هذه
الآية مثل الكافرو المؤمن اختصما
في البعث وقال في رواية هو وعطاء
في هذه الآية هم المؤمنون

أخرج يده ليرها كما تقول ما كدت أعرفه وقال المبردين عن ليرها الامن بعد الجهد لشدة
الظلمة قال النحاس أسمع الاقوال في هذا ان المعنى لم يقارب رؤيته فاذن ليرها روية بعيدة
ولا قريبة (ومن لم يجعل الله له نورا فإله من نور) مقررة لمساكلمها من كون اعمال
الكثرة على تلك الصفة قال الزجاج ذلك في الدنيا والمعنى من لم يهده الله لم يهد
ان المعنى من لم يجعل له نورا يمشى به يوم القيامة فإله من نور يهتدى به الى الجنة وقيل
من لم يجعل له ديناً وإيماناً فلا دين له وقيل المعنى من لم يقدر له الهداية ولم يوفقه لاسبابها
فإله من نور خلاف الموفق الذي له نور على نور والآية عامة في حق جميع الكفار
وقيل خاصة فمن نزلت فيه وهو عتبة بن ربيعة كان يلتمس الدين في الجاهلية ويطلب
المسوح فلما جاء الاسلام كفر وعاند والاول اولى (ألم تر أن الله يمسح له من في السموات
والارض) قد تقدم تفسير مثل هذه الآية في تفسير سورة سبآن والخطاب لكل من له
أهلية النظر والرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم وقدها من جهة الاستدلال ومعنى
ألم تر أن الله علم ما بيننا وبينها بالشهادة والوثاقة بالوحي
وظاهره انه استعارة ومقتضى كلام النحويين أن رأى العلمية حقيقة قاله الشهاب
والتسبيح التنزيه في ذاته وأفعاله وصفاته عن كل ما لا يليق به ومعنى من في السموات
والارض من هو مستقر فيهما من العقلاء وغيرهم وتسبيح غير العقلاء ما يسمع من أصواتها
وبشاهد من أثر الصنعة البديعة فيها وقيل ان التسبيح هنا هو الصلوة من العنلاء
والتنزيه من غيرهم وقد قيل ان هذه الآية تشمل الحيوانات والجمادات وان آثار الصنعة
البديعة الالهية في الجمادات ناطقة ومخبرة بانصاف سبحانه بصفاته الجلال والكمال
وتنزيهه عن سمات النقص والزوال وفي ذلك تقرير للكفار وتوبيخ لهم حيث جحدوا
الجمادات التي من شأنها التسبيح لله سبحانه شركاء له يعبدونها كعبادته عز وجل وبالجملة
فانه ينبغي حل التسبيح على ما يليق بكل نوع من أنواع المخلوقات على طريقة عموم الجاز

والكافرون وقال عكرمة هذا خصمان اختصموا في ربهم قال هي الجنة والنار قالت النار جعلني للعقوبة (والطير
وقالت الجنة اجعلني للراحة وقول مجاهد وعطاء ان المراد بهذه الكافرون والمؤمنون يشعل الاقوال كلها وينتظم فيه قصة يوم بدر
وغيرها فان المؤمنين يريدون نصره دين الله عز وجل والكافرون يريدون اطفاء نور الايمان وخذلان الحق وظهور الباطل وهذا
اختيار ابن جرير وهو حسن ولهذا قال فالذين كفروا قطع لهم ثياب من نار اى فصلت لهم مقطعات من النار قال سعيد بن جبير
من لحاس وهو أشد الاشياء حرارة اذا حى يصب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما فى بطونهم والجلود اى اذا صب على رؤسهم الحميم
وهو الماء الحار فى غاية الحرارة وقال سعيد بن جبير هو الححاس المذاب اذاب ما فى بطونهم من الشحم والامعاء قاله ابن عباس ومجاهد
وسعيد بن جبير وغيرهم وكذلك تذوب جلودهم وقال ابن عباس وسعيد بن جابر وقال ابن جرير حدثني محمد بن المثنى حدثني ابراهيم

أبو إسحق الطالقاني حدثنا ابن المبارك عن سعيد بن يزيد عن أبي السرح عن ابن حجرية عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الحميم ليصب على رؤسهم فينفذ الجمجمة حتى يخلص إلى جوفه فيسل ما في جوفه حتى يبلغ قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان ورواه الترمذي من حديث ابن المبارك وقال حسن صحيح وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن أبي نعيم عن ابن المبارك به ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أحمد بن أبي الخوارى قال سمعت عبد الله بن السري قال يأتيه الملك يحمل الاناء بكلمتين من حرارته فإذا أدناه من وجهه تكبره قال فيرفع مقمعة معه فيضرب بها رأسه فيفرغ دماغه ثم يفرغ الاناء من دماغه فيصلى إلى جوفه من دماغه فذلك قوله يصهر به ما في بطونهم والجلود وقوله ولهم مقامع من حديد قال الامام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن رسول الله (٣٢٧) صلى الله عليه وسلم قال لو ان مقمعا من حديد وضع في الارض فاجتمع له الثقلان

ما أقبلوه من الارض وقال الامام أحمد حدثنا موسى بن داود حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ضرب الجبل بمقمع من حديد لتفتت ثم عاد كما كان ولو ان دلو من غسان يهراق في الدنيا لانت أهل الدنيا وقال ابن عباس في قوله ولهم مقامع من حديد قال يضربون بها فيقع كل عضو على حياله فيدعون بالنور وقوله كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها قال الامام عن أبي ظبيان عن سلمان قال قال النار سودا مظلمة لا يضيء بها ولا جسر هائم قسرا كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وقال زيد بن أسلم في هذه الآية كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها قال بلغني أن أهل النار في النار لا يتنفسون وقال

(والطير صافات) أي باسطات اجنحتها في الهواء وخص الطير بالذ كرمع دخولها تحت من في السموات والارض لعدم استقرارها في الارض وكثرة لبثها في الهواء وهو ليس من السماء ولا من الارض ولما فيها من الصنعة البديعة التي يقدر بها تارة على الطيران وتارة على المشي بخلاف غيرها من الحيوانات وذكر كرمعها من حالات الطيران كونه صدور التسبيح منها حال كونها صافات لا جنحتها لان هذه الحالة هي أغرب أحوالها فان استقرارها في الهواء مسجحة من دون تحريك لا جنحتها ولا استقرارها على الارض من أعظم صنع الله الذي اتقن كل شيء ثم زاد في البيان فقال (كل قد علم صلاته وتسبيحه) أي كل واحد من هذه المسجحات لله قد علم صلاة المصلي وتسبيح المسبح وقيل إن المعنى أن كل مصل ومسبح قد علم صلاة نفسه وتسبيح نفسه قال السمين وهذا أولى لتوافق الضمائر قبل والصلاة هنا بمعنى التسبيح وكررت للتأكيده والصلاة قد تسمى تسبيحا وقيل المراد بها هذا الدعاء أي علم دعاءه وفائدة الاخبار بأن كل واحد قد علم ذلك أن صدور هذه التسبيح هو عن علم قد علمها الله ذلك والهمها اليه لأن صدور هذه منها على طريقة الاتفاق بلا روية وفي ذلك زيادة دلالة على بدع صنع الله سبحانه وعظم شأنه من كونه جعله مسجحة له عالمة بما يصدر منها غير جاهلة له وقال السدي الصلاة للإنسان والتسبيح لما سوى ذلك من خلقه وقيل إن ضرب أجنحة الطير صلاته وصورته تسبيحه أو المعنى كل واحد من هذه المسجحة قد علم الله صلاته وتسبيحه أي أنه لا يرجح لاتفاق القراء على رفع كل ولو كان الضمير لله لكان نصب كل أولى وقيل المعنى علم كل صلاة الله وتسبيحه أي الذين أمرهم ما وبأن يفعلوا كإضافة الخلق إلى الخالق والاول أولى وقرئ علم على البناء للمفعول (والله عليم بما يفعلون) مقرر لما قبلها أي لا يخفى عليه طاعتهم ولا تسبيحهم ولا يعزب عن علمه شيء ثم بين سبحانه أن المبدأ آمنه والمعاد اليه فقال (ولله) لا تغیره (ملك السموات والارض) أي خزائن المطر والرزق والنبات لانه خالقهما ولا يملكهما أحد سواهما ومن ملك شيئا قبله يملكه

الفضيل بن عياض والله ما طعموا في الخروج ان الارجل لمقيدة وان الايدي لموثقة ولكن يرفعهم لهمها وتردهم مقامعها وقوله وذوقوا عذاب الحريق كقوله وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون ومعنى الكلام انهم يانون بالعذاب قولوا وفعلوا ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار يحملون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد لما أخبر تعالى عن حال أهل النار عذابا بالله من حالهم وما هم فيه من العذاب والشك والحرىق والاغلال وما أعد لهم من الثياب من النار كرجال أهل الجنة نسأل الله من فضله وكرمه فقال ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار رأى تخرق في كافها وارباها وجوانبها وتحت اشجارها وقصورها يصرفون ما حيث شاؤوا أين أرادوا يحملون فيها من الحلية من أساور من ذهب ولؤلؤا في أيديهم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم

في الحديث المتفق عليه تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الضوء وقال كعب الاحبار ان في الجنة ملكا لو شئت ان اسمه لميته يصوغ لاهل الجنة الحلي منذ خلقه الله الى يوم القيامة لو ابرز قبا من اى سوار منها لرد شعاع الشمس كما ترد الشمس نور القمر وقوله ولباسهم فيها حرير في مقابلة ثياب اهل النار التي فصات لهم لباس هؤلاء من الحرير استبرقه وسندسه كما قال عالمهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا وفي الصحيح لا تلبسوا الحرير ولا الديباج في الدنيا فانه من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة قال عبد الله بن الزبير ومن لم يلبس الحرير في الآخرة لم يدخل الجنة قال الله تعالى ولباسهم فيها حرير وقوله وهدوا الى الطيب من القول كقوله تعالى وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن (٣٢٨) ربهم تحية لهم فيها سلام وقوله والملائكة يدخلون عليهم من كل

تعالى اياه (والى الله) لالى غيره (المصير) أى الرجوع بعد الموت وقد تقدم تفسير مثل هذه الآية في غير موضع ثم ذكر سبحانه دليلا آخر من الآثار العلوية يقال (ألم تر أن الله يترجى سخاها) الاجزاء السوق قليلا قليلا والمعنى أنه يسوق السحاب سواقا رفيقا الى حيث يشاء يقال ربح الشيء ترجيه دفعه برفق وترجى بكذا اكتفى به وارجى الابل ساقها والمرجى الشيء القليل وبضاعة من جاة قليلة والمرجى السحاب والبقرة ترجى ولدها أى تسوقه (ثم يؤلف بيته) أى بين اجزائه فيضم بعضه الى بعض ويجمعه بعد تفرقه ليقوى ويتصل ويكشف والاصل في التأليف الهمز وقرئ يواف بالوارتخاف فسا والسحاب واحد في اللفظ ولكن معناه جمع ولهذا دخلت بين عليه لأن اجزائه في حكم المفردات له قال القراء الضمير في ينفه راجع الى جلة السحاب كما تقول الشجر قد جلست بينه لانه جمع وافرد الضمير باعتبار اللفظ (ثم يجعله ركاما) أى متراكما يركب بعضه بعضا والركم جمع الشيء يقال ركم الشيء يركه ركما أى جمعه والى بعضه على بعض وبابه نصر وارتكمت الشيء وتراكم اذا اجتمع والركمة الطين المجمع والركام الرمل المتراكب والسحاب ونحوه (فقرئ الودق) هو المطر عنه دجهورا المفسر ين يقال ودقت السحاب فهي وادقة وودق المطر يدق أى قطر يقطر وقيل ان الودق المطر ضعيفا كان او شديدا والرؤية هنا بصرية (يخرج من خلاله) أى من فوقه وفروجه التي هي مخارج القطر منه قال كعب ان السحاب غربال المطر لولا السحاب حين ينزل المطر من السماء لافسد ما يقع عليه من الارض وقرئ من خلله على الافراد وقد وقع الخلاف في خلال هل هو مفرد كجباب أو جمع كجبال (وينزل من السماء) أى من عال لان السماء قد يطلق على جهة العلو (من جبال) أى من قطع عظام تشبه الجبال (فيها من برد) من للتبعيض وهو مفعول ينزل قيل التقدير من برد بردا وقيل ينزل من السماء قدر جبال أو مثل جبال من برد الى الارض قال الاخفش ان من زائدة في الموضعين أى ينزل من السماء بردا يكون كالجبال

باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وقوله لا يسمعون فيها اغوا ولا تأثما الاقلا سلا ماسلاما فهدوا الى المكان الذى يسمعون فيه الكلام الطيب وقوله ويلتقون فيها تحية وسلاما لا كما هيان أهل النار بالكلام الذى يوجعون به ويقرعون به يقال لهم ذوقوا عذاب الحرير وقوله وهدوا الى صراط الحميد أى الى المكان الذى يحمدون فيه ربهم على ما أحسن اليهم وانعم به وأساده اليهم كما جاء في الحديث الصحيح انهم يلهمون التسييح والتحميد كما يلهمون النفس وقد قال بعض المفسرين في قوله وهدوا الى الطيب من القول أى القرآن وقيس لآله الله وقيل الاذكار المشروعة وهدوا الى صراط الحميد أى الطريق المستقيم في الدنيا وكل هذا لا ينافي ما ذكرناه والله أعلم (ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه

بالخاد بظلم ندقه من عذاب أليم) يقول تعالى منكر على الكفار في صدهم المؤمنين عن اتيان المسجد الحرام وقضاء والحاصل مناسكتهم فيه ودعواهم انهم أولياؤه وما كانوا أولياؤه الا المتقون الآية وفي هذه الآية دليل على أنهم امة دينية كما قال في سورة البقرة يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج أهله منه أكبر عند الله وقال ههنا الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام أى ومن صفتهم انهم مع كفرهم يصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام أى ويصدون عن المسجد الحرام من أراد من المؤمنين الذين هم أحق الناس به في نفس الامر وهذا الترتيب في هذه الآية كقوله تعالى الذين آمنوا وتطمئن القلوب أى ومن صفتهم انهم تطمئن قلوبهم بذكر الله وقوله الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد أى ينعون الناس عن الوصول الى المسجد الحرام وقد جعله الله شرعا سواء

لا فرق فيه بين المقيم فيه والناقي عنه البعيد الدار منه سواء العاكف فيه والباد ومن ذلك استواء الناس في ربايع مكة وسكناها كما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله سواء العاكف فيه والباد قال ينزل أهل مكة وغيرهم في المسجد الحرام وقال مجاهد سواء العاكف فيه والباد أهل مكة وغيرهم فيه سواء في المنازل وكذا قال أبو صالح وعبد الرحمن بن سابط وعبد الرحمن بن زيد وقال عبد الرزاق عن عمر بن قنادة سواء فيه أهله وغير أهله وهذه المسئلة هي التي اختلف فيها الشافعي والشافعي بن راهويه بمسجد الخيف واحمد بن حنبل حاضر أيضا فذهب الشافعي رحمه الله إلى أن ربايع مكة تملك وتورث وتؤجر واحتج بحديث الزهري عن علي ابن الحسن عن عمرو بن عثمان عن اسامة بن زيد قال قلت لرسول الله انزل غدا في دارك بمكة فقال وهل ترك لنا عقيل من ربايع ثم قال لا يرث الكافر المسلم ولا العلم الكافر وهذا الحديث مخرج (٣٢٩) في الصحيحين ومما ثبت ان عمر بن الخطاب اشترى من صفوان بن أمية دار بمكة فجعلها

والحاصل ان من في من السماء لا ابتداء الغاية باتفاق المفسرين بخلاف وفي من جبال ثلاثة أوجه الاول انها لا ابتداء الغاية والثاني انها لا تميم بعض كأنه قال وينزل بعض جبال الثالث انها زائدة أي ينزل من السماء جبالا وامان في من يرد فيها اربعة اوجه الثلاثة المتقدمة والرابع انها البيان الجنس قاله الحوفي والزمخشري أي وينزل من السماء بعض جبال التي هي البرد فالمنزل بر دلان بعض البرد يرد قال الزجاج معني الآية وينزل من السماء من جبال يرد فيها وذكروا البقاء ان التقدير شيأ من جبال قيل ان في السماء جبالا من برد كما في الارض جبال من حجر وقيل المراد بكرا الجبال الكثيرة كما يقال فلان يملك جبالا من ذهب وفضة (فمصيب به) أي بما ينزل من البرد كما في البيضاوي والخازن (من يشاء) ان يصيبهم من عباده (ويصرفه عن يشاء) منهم أو يصيب به مال من يشاء ويصرفه عن مال من يشاء وقد تقدم الكلام على مثل هذا في البقرة (يكاد سنابرقه) العامة على قصر سنا وهو الضوء وهو من ذوات الواو يقل سنا يسنا وسنا أي اضاء بضى وبالمد الرفعة كذا قال المبرد وغيره قرئ سنابرقه بالمد على المبالغة في شدة الضوء والصناء فاطلق عليه اسم الرفعة والشرف وقرئ بضم الباء من برقه وفتح الراء وهي على هذه جمع برق وقال النحاس البرقة المقدار من البرق والبرقة الواحدة والمعنى يكاد ضوء البرق الذي في السحاب (يذهب بالابصار) من شدة برقه وزيادة لمعانه وهو كقوله يكاد البرق يخطف ابصارهم وقرئ يذهب من الازهاب ويذهب من الذهاب والابصار جمع بصراي الناظرة والباء للاصاق وقيل للتعدية وقيل هي بمعنى من والمفعول محذوف تقديره يذهب النور من الابصار فسبحان من يخرج الماء والنار والنور والظلمة من شيء واحد وقيل زائدة (يقلب الله الليل والنهار) أي يعاقب بينهم ما يأتي بالليل ويذهب بالنهار ويأتي بالنهار ويذهب بالليل وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الله تعالى يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر يسدي الامرأ قلب الليل والنهار

سجنا باربعة آلاف درهم وبه قال طاوس وعمر بن دينار وذهب اصحق ابن راهويه الى انها لا تورث ولا تؤجر وهو مذهب طائفة من السلف ونص عليه مجاهد وعطاء واحتج اصحق بن راهويه بما رواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن عيسى بن يونس عن عمر بن سعيد بن حسن بن عثمان بن أبي سليمان عن علقمة بن نضلة قال توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وما تدعى ربايع مكة الا السوايب من احتاج سكن ومن استغنى أسكن وقال عبد الرزاق عن مجاهد عن أبيه عن عبد الله بن عمرو انه قال لا يحل بيع دور مكة ولا كراؤها وقال أيضا عن ابن جريج كان عطاء ينهى عن الكراء في الحرم وأخبرني ان عمر بن الخطاب كان ينهى عن تبويب دور مكة لان ينزل الحاج في عرساتها

(٤٢ - فتح البيان سادس) فكان أول من بوب داره سهيل بن عمرو فأرسل اليه عمر بن الخطاب في ذلك فقال انظرنى يا أمير المؤمنين انى كنت امرأتا جرافأردت ان اتخذ بابين يحبسان لى ظهري قال فإك ذلك اذا وقال عبد الرزاق عن معمر عن منصور عن مجاهد ان عمر بن الخطاب قال يا أهل مكة لا تتخذوا الدور كم أبو البائلزل البادى حيث يشاء قال واخبرنا معمر عن سمع عطاء يقول سواء العاكف فيه والباد قال ينزلون حيث شاؤوا وروى الدارقطني من حديث ابن أبي نجيح عن عبد الله بن عمرو موقوفا من أهل كراء بيوت مكة أن كل نار أو توسط الامام أحجـد فقال تملك وتورث ولا تؤجر جمع بين الأدلة والله أعلم وقوله ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم قال بعض المفسرين من أهل العربية الباهة نازدة كقوله تنبت بالدهن أي تنبت الدهن وكذا قوله ومن يردفه بالحاد تقديره الحاد وكما قال الاعشى ضمنت برزق عبدنا را ماحنا * بين المراحل والصريح الاجرد

وقال الآخر

بواديعان ثبت الشئ صدرة * وأسقله بالمرخ والشهبان

والاجود انه ضمن الفعل ههنا معنى يهم وللهذا اعداه بالباء فقال ومن يرد فيه بالحاء أى يهم فيه بأمر فطبع من المعاصى الكبار وقوله بظلم أى عامدا فاصدا انه ظلم ليس بمأول كما قال ابن جرير عن ابن عباس هو التعمد وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس بظلم بشرى وقال مجاهد ان يعبد فيه غير الله وكذا قال قتادة وغير واحد وقال العوفي عن ابن عباس بظلم هو ان تسهل من الحرم ما حرم الله عليك من اساءة أو قتل فتظلم من لا يظلمك وتقتل من لا يقتلك فاذا فعل ذلك فقد وجب العذاب الاليم وقال مجاهد بظلم يعمل فيه عملا سيئا وهذا من خصوصية الحرم انه يعاقب البادى فيه الشر اذا كان عازما عليه وان لم يوقعه كما قال ابن أبى حاتم فى تفسيره حدثنا أحمد بن سنان حدثنا يزيد بن هرون (٣٣٠) أنبأنا شعبة عن السدى انه سمع من يحدث عن عبد الله يعنى ابن مسعود

فى قوله ومن يرد فيه بالحاء بظلم قال لو ان رجلا أراد فيه الحادى بظلم وهو بعدن أبى لاذقه الله من العذاب الاليم قال شعبة هو رفعه لنا وانالنا أرفعه لكم قال يزيد بن قدره ورواه أحمد عن يزيد بن هرون به قلت هذا الاسناد صحيح على شرط البخارى ووقفه أشعبه من رفعه ولهذا صم شعبة على وقفه من كلام ابن مسعود وكذلك رواه أسباط وسفيان الثورى عن السدى عن مرة عن ابن مسعود موقوفا والله أعلم وقال الثورى عن السدى عن مرة عن عبد الله قال ما من رجل يهم ببينة فتكتب عليه ولو ان رجلا بعدن أبى يهم ان يقتل رجلا بهذا البيت لاذقه الله من العذاب الاليم وكذا قال الضحاك بن مزاحم وقال سفيان الثورى عن منصور عن مجاهد الحاد فيه لا والله وبلى والله وروى عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو مثله

أخرجه البخارى ومسلم وقيل يزيد فى احدهما وينقص الآخر وقيل يقلبهما باختلاف ما يقدره فيه ما من خير وشرو ونفع وشر وقيل بالحر والبرد وقيل المراد بذلك تغيير النهار بظلمة السحاب مرة وبضوء الشمس أخرى وتغيير الليل بظلمة السحاب تارة وبضوء القمر أخرى (ان فى ذلك) اشارة الى ما تقدم من ارجاء السحاب وانزال الودق والبرد وتقلب الجديدين (لعبرة) أى لدلالة واضحة يكون بها الاعتبار (لاولى الابصار) أى لكل من له بصيرة صريحة فهى براهين لا تحجة على وجوده ودلائل واضحة على صفاته ان نظروا تدبر ثم ذكر سبحانه دلائل انما من عجائب خلق الحيوان وبتدريج صنعته فقال (والله خلق كل دابة وقرى خالق والمغنيان صحیحان والدابة كل مادب على الارض من الحيوان يقال دب يدب فهو داب والهائم الهائم بالغة ومعنى (من ماء) من نطفة وهى المني كذا قال الجمهور ثم خالف بين المخلوقات من النطفة فمنها هوام ومنها همائم وقال جماعة ان المراد الماء المعروف لان آدم خلق من الماء والطين قيل وخلق كل دابة من نطفة انما هو بحسب الاغلب فى خلق حيوانات الارض المشاهدة والافلام لا تسكه خلقا وان نورهم أكثر المخلوقات عددا والجان خلقوا من نارهم بقدر تسعة أعشار الانس كما قيل وآدم خلق من الطين وعيسى من الريح التى نفخها جبريل فى جيب مريم وخلق الدود من نحو القناكه والعذونات ثم فصل سبحانه أحوال كل دابة فقال (فمنهم من يشى على بطنه) وهى الحيات والهوام والحوت والدود ونحو ذلك وسمى الزحف على البطن مشيا استعارة كما استعير المشفى للشفة وبالعكس كما يقال فى الامر المستقر قدمشى هذا الامر وفلان ما يشى له امر أو على طريق المشاكلة كذا الزحف مع المشاشين (ومنهم من يشى على رجلين) وهم الانسان والطيور والنعام (ومنهم من يشى على أربع) كالهمائم وسائر الحيوانات وقدم ما هو اعرف فى القدرة وهو المشاشى بغير آلة المشى من أرجل أو غيرهما المشاشى على رجلين ثم المشاشى على أربع وقال من لم يقل ما تعلم ان يفتل على ما لا يعقل لان جعل النفيس اصلا والخسيس

وقال سعيد بن جبيرة شتم الخادم ظلم فافوقه وقال سفيان الثورى عن عبد الله بن عطاء عن ميمون بن مهران تبعا

عن ابن عباس فى قوله ومن يرد فيه بالحاء بظلم قال تجارة الامير فيه وعن ابن عمر بيع الطعام بمكة الحاد وقال حبيب بن أبى ثابت ومن يرد فيه بالحاء بظلم قال المحتكر بمكة وكذا قال غير واحد وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا عبد الله بن اسحق الجوهري أنبأنا أبو عاصم عن جعفر بن يحيى عن عمه عمار بن ثوبان حدثنى موسى بن باذان عن يعلى بن أمية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال احتكروا الطعام بمكة الحاد وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير حدثنا ابن لهيعة حدثنا عطاء بن ديار حدثنى سعيد بن جبيرة قال قال ابن عباس فى قول الله ومن يرد فيه بالحاء بظلم قال نزلت فى عبد الله بن أنيس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه مع رجلين أحدهما مهاجر والاخر من الانصار فاقتحروا فى الانساب فغضب عبد الله بن أنيس فقتل

الانصارى ثم ارتد عن الاسلام ثم هرب الى مكة فنزلت فيه ومن يرد فيه بالحاد ينظم يعنى من لجأ الى الحرم بالحاد يعنى عيلى عن الاسلام وهذا الاثر وان دلت على ان هذه الاشياء من الاحاد ولكن هو اعم من ذلك بل فيها تنبيه على ما هو أغلظ منها ولهذا الماهم أصحاب القيل على تخريب البيت أرسل الله عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف ما كول أى دمرهم وجعلهم عبرة ونكالا لكل من أراد بسوء ولذلك ثبت في الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يغزو هذا البيت جيش حتى اذا كانوا ببغداد من الارض خسف بأولهم وآخرهم الحديث وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن كاسه حدثنا اسحق بن سعيد عن أبيه قال أتى عبد الله بن عمر عبد الله بن الزبير فقال يا ابن الزبير اياك والاحاد فى حرم الله فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه سيلحد فيه رجل من قريش لو توذن ذنوبه بذنوب الثقلين لرحمت (٢٣١) فانظر لا تكن هو وقال أيضا فى مسند عبد الله بن

عمر بن العاص حدثنا هشام حدثنا اسحق بن سعيد حدثنا سعيد بن عمر وقال أتى عبد الله بن عمر عبد الله بن الزبير وهو جالس فى الحجر فقال يا ابن الزبير اياك والاحاد فى الحرم فانى أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجعلها ويحجل به رجل من قريش لو وزنت ذنوبه بذنوب الثقلين لو زنتها قال فانظر لا تكن هو لم يخزجه أحد من أصحاب الكتب من هذين الوجهين (واذ بونا لابراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) هذا فيه تقريب ولو ينج من عبد غير الله واشرك به من قريش فى البقعة التى أسست من أول يوم على توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له فذكر تعالى انه بواى ابراهيم مكان البيت أى ارشده اليه

تبعاً أولى قال ابن عباس كل شئ يشى على أربع الا الانسان واقول هذه الطيور على اختلاف أنواعها تشى على رجلين وهكذا غيرها كانهامة فان شى على رجلين وليست من الطير فهذه الكاية المروية عنه رضى الله تعالى عنه لا تصح ولم يتعرض سبحانه لما يشى على أكثر من أربع لقلته وقيل لان المشى على أربع فقط وان كانت القوائم كثيرة وقيل لعدم الاعتداد بما يشى على أكثر من أربع ولا وجه يكون لهذا فان المراد التنبيه على بدع الصنع وكمال القدرة فكيف يقال لعدم الاعتداد بما يشى على أكثر من أربع وقيل ليس فى القرآن ما يدل على عدم المشى على أكثر من أربع لانه لم ينف ذلك ولا جاء بما يقتضى الحصر وفى مصحف أبى ومنهم من يشى على أكثر من أربع هذه الزيادة جميع ما يشى على أكثر من أربع كالسرطان والعناكب والحيوان المعروف بأربع وأربعين وكثير من خشاش الارض كالعقارب وقيل انما لم يتعرض لهذا القسم لدخوله فى قوله (يخلق الله ما يشاء) أى مما ذكره هنا وما لم يذكره كالجمادات مركبها وبسائطها نامية وغير نامية على اختلاف الصور والاعضاء والهيئات والحركات والطباع والقوى والافعال مع اتحاد العنصر بمقتضى شقيقته (ان الله على كل شئ قدير) لا يجهز شى ولا يمنع ما منع بل الكل من محله لقائه داخل تحت قدرته سبحانه (اقدارنا آيات مبينات) بكسر الباء وفتحها سبعيتان وكذلك فى كل ما جاء من هذا الجمع فى القرآن والمراد به القرآن فانه قد اشتمل على بيان كل شئ ما فرطنا فى الكتاب من شئ وفيه التفات قد تقدم مثل هذا فى غير موضع (والله يمدى من يشاء) بتوفيقه للنظر الصحيح وارشاده الى التأمل الصادق (الى صراط مستقيم) أى طريق مستوى لا عوج فيه فيتم وصل بذلك الى الخير التام وهو نعيم الجنة ثم شرع سبحانه فى بيان احوال من لم تحصل له الهداية الى الصراط المستقيم فقال (ويقولون آمنا بالله وبالرسل واطعنا) وهؤلاء هم المنافقون الذين يظهرون الايمان ويبطنون الكفر ويقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم فانهم كما حكى الله عنهم ههنا ينسبون الى

وسامعه وأذن له فى بناءه واستدل به كثير من قال ان ابراهيم عليه السلام هو أول من بنى البيت العتيق وانه لم يبن قبله كما ثبت فى الصحيح عن أبى ذر قال يا رسول الله أى مسجد وضع أول قال المسجد الحرام قلت ثم أى قال بيت المقدس قلت كم يبنه ما قال أربعون سنة وقد قال الله تعالى ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مبارك والآيتين وقال تعالى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود وقد قدمنا ذكر ما ورد فى بناء البيت من الصحاح والآثار بما أغنى عن اعادته ههنا وقال تعالى ههنا أن لا تشرك بي شيئا أى ابنه على اسمى وحده وطهر بيتى قال قتادة ومجاهد من الشرك للطائفين والنائمين والركع السجود أى اجعله خالصا للهؤلاء الذين يعبدون الله وحده لا شريك له فالطائف به معروف وهو أخص العبادات عند البيت فانه لا يفعل ببقعة فى الارض سواها والقائم أى فى الصلاة ولهذا قال والركع السجود فقرن الطواف بالصلاة لانهما

لا يشترعان الا مختصين بالبيت فالطواف عنده والصلاة اليه في غالب الاحوال الاما استثنى من الصلاة عند اشتباه القبلة وفي الحرب وفي النافلة في السفر والله أعلم وقوله وأذن في الناس بالحج أي نادى في الناس داعيهم الى الحج الى هذا البيت الذي أمرناك ببنائه فذكر انه قال يا رب كيف أبلغ الناس وصوتي لا يندفعهم فقال نادوا علينا البلاغ فقام على مقامه وقيل على الحجر وقيل على الصفا وقيل على أبي قبيس وقال يا أيها الناس ان ربكم قد اتخذ ذبيحة خبوة فيقال ان الجبال تواضعت حتى بلغ الصوت أرجاء الارض وأسمع من في الارحام والاصلاب وأجاب كل شيء سمعه من حجر ومدر وشجر ومن كتب الله أنه يحج الى يوم القيامة قلبه ليك اللهم ليبيك هذا مضمون ما روى عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبيرة وغير واحد من السلف والله أعلم اوردها ابن جرير وابن أبي حاتم مطولة وقوله يا أولئك رجالا

(٢٣٢)

الى أن الحج ماشيا لمن قدر عليه أفضل من الحج راكبا لانه قد هم في الذكر فدل على الاهتمام بهم وقوة همهم وشدة عزمهم وقال وكيع عن أبي العباس عن أبي حنيفة عن محمد بن كعب عن ابن عباس قال ما أساء على شيء الا اني وددت اني كنت حجت ماشيا لان الله يقول يا أولئك رجالا والذي عليه الاكثرون ان الحج راكبا أفضل اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه حج راكبا مع كمال قوته عليه السلام وقوله يأتين من كل فج يعني طريق كما قال وجعلنا فيها فجاءا سبيلا وقوله عتيق اي بعيد قاله مجاهد وعطاء والسدي وقتادة ومقاتل بن حيان والنوري وغير واحد وهذه الآية كتوله تعالى اخبرنا عن ابراهيم حيث قال في دعائه فاجعل فتنة من الناس تهوى اليهم فليس أحد من أهل الاسلام الا وهو يحسن الى روية

أنفسهم الايمان بالله وبالرسول والطاعة لله ولرسوله نسبة تجرد اللسان لاعتقاد صحيح وعن قتادة قال اناس من المنافقين اظهروا الايمان والطاعة وهم في ذلك يصدون عن سبيل الله وطاعته وجهاده مع رسوله (ثم يتولى) أي يعرض (فريق منهم) أي من هؤلاء المنافقين القائلين هذه المقالة (من بعد ذلك) أي من بعد ما صدر عنهم مما نسبوه الى انفسهم من دعوى الايمان والطاعة ثم حكم عليهم سبحانه وتعالى بعدم الايمان فقال (وما أولئك) القائلون بهذه المقالة (بالمؤمنين) على الحقيقة الموافقة لقلوبهم لاسنتهم فيشمل الحكم بنفي الايمان جميع القائلين ويندرج تحتهم من تولى اندراجا وليساقى قيل ان الاشارة بقوله اولئك راجع الى من تولى والاول اولى والكلام مشتمل على حكمين الحكم الاول على بعضهم بالتولى والحكم الثاني على جميعهم بعدم الايمان وقيل اراد بن تولى من تولى عن قبول حكمه صلى الله عليه وآله وسلم وقيل اراد بذلك رؤساء المنافقين وقيل اراد بتولى هذا الفريق رجوعهم الى السابقين ولا ينافي ما تحتكم له هذه الآية باعتبار انظها ورودها على سبب خاص ثم وصف هؤلاء المنافقين بان فريقا منهم يعرضون عن اجابة الدعوة الى الله والى رسوله في خدومتهم فقال (واذ ادعوا الى الله ورسوله) المبلغ عنه (ليحكم بينهم) أي الرسول فالضمير راجع اليه لانه المباشر للحكم وان كان الحكم في الحقيقة لله سبحانه ومثل ذلك قوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه (اذ فريق منهم معرضون) اذ اهل النجاسة أي فاجأ فريق منهم الاعراض عن المحاكمات الى الله والرسول وعن الاجابة والنجى اليه وهذا هو شان مقلدة المذاهب بعينه اليوم معرضون عن اجابة الداعي الى الله ورسوله وعن التجاكم اليهم أي الى كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ثم ذكر سبحانه ان اعراضهم انما هو اذا كان الحق عليهم واما اذا كان لهم فانهم يذعنون لعلمهم بان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يحكم الا بالحق فقال (وان يكن لهم الحق) أي اذا كان الحكم لهم على غيرهم (يا أيها الذين آمنوا) مطيعين منقادين لحكمه طابا لحقهم لارضاء بحكم رسولهم قال

الكعبة والطواف فالتامن بقصد ونها من سائر الجهات والافطار (ليشهدوا منافع لهم) وكروا اسم الله في أيام الزجاج مع ابواب على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها وأطعموا المائس النقي ثم ليقتضوا نعمهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق قال ابن عباس ليس هذا منافع لهم قال منافع الدنيا والآخرة أما منافع الآخرة فريضان الله وأما منافع الدنيا فبايصبون من منافع البدن والذبايح والتجارات وكذا قال مجاهد وغير واحد ان منافع الدنيا والآخرة كقوله ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم وقوله ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام قال شعبة وهشيم عن أبي بشر عن سعيد عن ابن عباس الايام المعلومات أيام العشرة وعلة البخاري عنه بصيغة الجزم ويرى مثله عن أبي موسى الاشعري ومجاهد وقتادة وعطاء وسعيد بن جبيرة والحسن والضحاك وعطاء الخراساني وابراهيم النخعي وهو مذهب الشافعي والمشهور عن أحمد بن حنبل

وقال البخاري حدثنا محمد بن عرعر حدثنا شعبة عن سليمان عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما العمل في أيام أفضل منها في هذه قالوا ولا الجهاد في سبيل الله لا الرجل يخرج بخاطر نفسه وما له فلم يرجع بشيء ورواه الامام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه بنحوه وقال الترمذي حديث حسن غريب صحيح وفي الباب عن ابن عمر وأبي هريرة وعبد الله بن عمرو وجابر قلت وقد تنصبت هذه الطرق وأقربت لها جزأ على حدة فمن ذلك ما قال الامام أحمد حدثنا عثمان أنبأنا أبو عوانة عن يزيد بن أبي زياد عن مجاهد عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب اليه العمل فيهن من هذه الايام العشر فأكثر وافيهن من التهليل والتكبير والتحميد وروى من وجه آخر عن مجاهد عن ابن عمر بنحوه وقدرى أحمد عن جابر مرفوعا ان هذا (٣٣٣) هو العشر الذي أقسم الله به في قوله والفجر

وليس عشر وقال بعض السلف انه المراد بقوله وأتمناها بعشر وفي سنن أبي داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصوم هذا العشر وقال البخاري وكان ابن عمر وأبو هريرة يجتريان الى السوق في أيام العشر فيكبران ويكبر الناس بتكبيرهما وهذا العشر مشتمل على يوم عرفة الذي ثبت في صحيح مسلم عن أبي قتادة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صيام يوم عرفة فقال أحسب على الله ان يكفر السنة الماضية والآتية وتشتمل على يوم النحر الذي هو يوم الحج الأكبر وقد ورد في حديث انه أفضل الايام عند الله وبالجملة فهذا العشر قد قيل انه أفضل أيام السنة كما نطق به الحديث وفضله كثير على عشر رمضان الاخير لان هذا يشرع فيه ما يشرع في ذلك من صلاة وصيام وصدقة وغيره ويتماز هذا باختصاصه

الزجاج الاذعان الاسراع مع الطاعة يقال اذعن لي بجي أي طاعني لما كنت التمس منه وصار يسرع اليه وبه قال مجاهد وقال الاخفش وابن الاعراب مذعنين مقرين وقال النقاش خاضعين والمعنى انهم لم يعرفتهم انه ليس معك الا الحق المر والعدل البحت يتنعون عن المحاكاة اليك اذ اركبهم الحق لئلا تنزعهم من احداقهم بقضائك عليهم لخصومهم وان ثبت لهم الحق على خصم اسرعوا اليك ولم يرضوا الا بحكومتك لتأخذ لهم ما وجب لهم في ذمة الخصم وما اصدق هذه الآية على المقلدين في صنعهم مع أهل القرآن واصحاب الحديث ثم قسم الامر في اعراضهم عن حكومته اذا كان الحق عليهم فقال (أفي قلوبهم مرض) هذه الهمزة للتوبيخ والتقرير لهم والمرض النفاق أي أكان هذا الاعراض منهم بسبب النفاق الكائن في قلوبهم وقيل مرض أي كفروم يميل الى الظلم (أم ارتابوا) وشكوا في امر نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعدله في الحكم أو رأوا منه تهمة فزال ثقتهم ويقتنهم به (أم يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله) في الحكومة والحيف الميل الى الحكم يقال حاف في قضيته أي جارفيا حكمهم ثم اضرب عن هذه الامور التي صدرها بالاستفتها بالانكارى فقال (بل أولئك هم الظالمون) أي ليس ذلك الشيء مما ذكر بل لعنادهم وظلمهم فاندلو كان الاعراض لشيء مما ذكر كما أتوا اليه مذعنين اذا كان الحق لهم وقيل اضرب عن القسمين الاخيرين لتحقيق القسم الاول ووجه التقسيم ان استماعهم اما لخلل فيهم أو في الحاكم والثاني اما ان يكون محققا عندهم أو متوقعا ولا هما باطل لان منصب نبوة وفرط أمانيته صلى الله عليه وآله وسلم لم ينعه فتعين الاول وظلمهم بعم خلل عقيدتهم وميل نفوسهم الى الحيف وضمير الفصل لتفي ذلك عن غيرهم سيما المدعوى الى حكمه قاله البيضاوي وفي هذه الآية دليل على وجوب الاجابة الى القاضى العالم بحكم الله العادل في حكمه لان العلماء ورثة الانبياء والحكم من قضاة الاسلام العالمين بحكم الله العارفين بالكتاب والسنة العادلين في القضاء هو حكم بحكم الله ورسوله فالداعى الى

باداء فرض الحج فيه وقيل ذلك أفضل لاشتماله على ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر وتوسط آخرون فقالوا أيام هذا أفضل وليالى ذلك أفضل وبهذا يجتمع شمل الادلة والله أعلم قول ثان في الايام المعلومات قال الحكم عن مقسم عن ابن عباس الايام المعلومات يوم النحر وثلاثة أيام بعده وروى هذا عن ابن عمر وابراهيم النخعي واليه ذهب أحمد بن حنبل في رواية عنه قول ثالث قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن المديني حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا ابن عجلان حدثني نافع ان ابن عمر كان يقول الايام المعلومات يوم النحر ويومان بعده والايام المعدودات ثلاثة أيام بعد يوم النحر وهذا السناد صحيح اليه وقاله السدي وهو مذهب الامام مالك بن انس وبعض هذا القول والذي قبله قوله تعالى على ما رزقهم من بهيمة الانعام يعني به ذكرا لله عند ذبحها قول رابع

انما يوم عرفه ويوم النحر ويوم آخر بعده وهو مذهب ابي حنيفة وقال ابن وهب حدثني ابن زيد بن اسلم عن ابيه انه قال المعلومات يوم عرفه ويوم النحر وأيام التشريق وقوله على ما رزقهم من بهيمة الانعام يعني الابل والبقر والغنم كما فصلها تعالى في سورة الانعام ثمانية أزواج الآية وقوله فكلوا منها واطعموا البائس الفقير استدل بهذه الآية من ذهب الى وجوب الاكل من الاضاحي وهو قول غريب والذي عليه الاكثر انهم من باب الرخصة أو الاستحباب كما ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما شخره ديه أمر من كل بدنه بيضة فتطبخ فاكل من لحمها وحسنا من مرقها قال عبد الله بن وهب قال لي مالك أحب ان تأكل من ذبيحته لان الله يقول فكلوا منها قال ابن وهب وسألت الليث فقال لي مثل ذلك وقال سفیان الثوري عن منصور عن ابراهيم فكلوا منها قال كان المشركون لا يأكلون من ذبائحهم (٣٣٤) فرخص للمسلمين في شأه أكل ومن لم يشأ لم يأكل وروى عن مجاهد وعطاء نحو ذلك قال هشيم عن حصين عن مجاهد في قوله فكلوا منها قال هي كقوله فاذا حللتم فاصطادوا فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وهذا اختيار ابن جرير في تفسيره واستدل من نصر القول بان الاضاحي يتصدق منها بالنصف بقوله في هذه الآية فكلوا منها واطعموا البائس الفقير بخراها نصفين نصف للمضحي ونصف للفقراء والقول الآخر انهم اتجزأ ثلاثة أجزاء ثلث له وثلث يهديه وثلث يتصدق به لقوله تعالى في الآية الاخرى فكلوا منها واطعموا الفقراء والمعتروسين أي الكلام عليها عندها ان شاء الله وبه الثقة وقوله البائس الفقير قال عكرمة هو المضطر الذي عليه البؤس المتعفف وقال مجاهد هو الذي لا يبسط يده وقال قتادة هو الزمن وقال مقاتل بن حيان هو الضرير وقوله ثم ليقتضوا قفهم

التحكما اليهم قد دعا الى الله والى رسوله الى حكمهما قال ابن خوارزمسند ادا واجب على كل من دعي الى مجلس الحيا كم ان يجيب ما لم يعلم ان الحيا كم فاسق قال القرطبي في هذه الآية دليل على وجوب اجابة الداعي الى الحيا كم لان الله سبحانه ذم من دعي الى رسوله ليحكم بينه وبين خصمه فأعرض بأقبح ذم فقال في قلوبهم مرض الآية انتهت فان كان القاضي مقصر الا يعلم بأحكام الكتاب والسنة ولا يعقل حجج الله ومعاني كلامه وكلام رسوله بل كان جاهلا جهلا بسيطا وهو من لا علم له بشي من ذلك أو جهلا مريكا وهو من لا علم عنده بما ذكرنا ولكنه قد عرف بعض اجتهادات المجتهدين واطلع على شي من علم الرأي فهذا في الحقيقة جاهل وان اعتقده انه يعلم بشي من العلم فاعتقاده باطل في مكان من القضاة هكذا فلا تجب الاجابة اليه لانه ليس من يعلم بحكم الله ورسوله حتى يحكم به بين المتخاصمين اليه بل هو من قضاة الطاغوت وحكام الباطل فان ما عرفه من علم الرأي انما رخص في العمل به للمجتهد الذي هو منسوب اليه عند عدم الدليل من الكتاب والسنة ولم يرخص فيه لغيره من يأتي بعده واذا انقرر ليدل هذا وفهمته حق فهمه علمت ان التقليد والانتساب الى عالم من العلماء دون غيره والتعبد بجميع ما جاء به من روايته ورأى واهمال ما عداه من أعظم ما حدث في هذه الملة الاسلامية من البدع المضلة والفواقر الموحشة فان الله وانا اليه راجعون وقد اوضحنا هذا في كافي الجنة وأرضه الشوكاني في القول المفيد وأدب الطب وغيره في غيرهما فمن أراد ان يقف على حقيقة هذه البدعة التي طبقت الاقطار الاسلامية فليرجع اليها وعن الحسن في الآية قال ان الرجل كان يكون بينه وبين الرجل خصومة أو منازعة على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاذا دعي الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو محق أذعن وعلم ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم سيقتضي له بالحق واذا أراد ان يظلم فدعي الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأعرض وقال انطلق الى فلان فانزل الله سبحانه واذا دعوا الى الله ورسوله الى قوله هم الظالمون فقال رسول الله صلى الله عليه وآله

وآله

وقص الاظفار

ونحو ذلك وهكذا روى عطاء ومجاهد عنه وكذا قال عكرمة ومجاهد بن كعب القرظي وقال عكرمة عن ابن عباس ثم ليقتضوا قفهم قال التفت المناسك وقوله وليوفوا نذورهم قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس يعني ما شخر ما نذر من أمر البدن وقال ابن ابي نجيج عن مجاهد وليوفوا نذورهم نذر الحج والهدى و. نذر الانسان من شي يكون في الحج وقال ابراهيم بن ميسرة عن مجاهد وليوفوا نذورهم قال الذبائح وقال ليث بن ابي سليم عن مجاهد وليوفوا نذورهم كل نذر الى أجل وقال عكرمة وليوفوا نذورهم قال جهم وكذا روى الامام ابن ابي حاتم حدثنا ابي حنيفة عن ابي عمر حذنا سفيان في قوله وليوفوا نذورهم قال نذورا للحج فكل

من دخل الحج فعليه من العمل فيه الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة وعرفة ومن دلفه ورمى الجمار على ما امروا به وروى عن مالك نحوه هذا وقوله وليطوفوا بالبيت العتيق قال مجاهد يعني الطواف الواجب يوم النحر وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا جاد عن أبي جزة قال قال لي ابن عباس أنقرا سورة الحج يقول الله تعالى وليطوفوا بالبيت العتيق فان آخر المناسك الطواف بالبيت العتيق قلت وهكذا صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لما رجع الى منى يوم النحر بدأ برمي الجمر فمرهاها بسبع حصيات ثم نحر هديه وحلق رأسه ثم أقاض فطاف بالبيت وفي الصحيحين عن ابن عباس أنه قال أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت لطواف الأنة خفف عن المرأة الحائض وقوله بالبيت العتيق فيه مستدل لمن ذهب الى انه يجب الطواف من وراء الحجر لانه من أصل البيت الذي بناه ابراهيم وان كانت قریش قد أخرجوه من البيت حين قصرت بهم النفقة ولهذا طاف رسول الله

صلى الله عليه وسلم من وراء الحجر وأخبر أن الحجر من البيت ولم يستلم الركنين الشاميين لانهم حاملان يتما على قواعد ابراهيم العتيقة ولهذا قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمير العدني حدثنا سفيان عن هشام بن حجر عن رجل عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية وليطوفوا بالبيت العتيق طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراءه وقال قتادة عن الحسن البصري في قوله وليطوفوا بالبيت العتيق قال لانه أول بيت وضع للناس وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم وعن عكرمة انه قال انما سمي البيت العتيق لانه أعتق يوم الفرق زمان فوح وقال خصيف انما سمي البيت العتيق لانه لم يظهر عليه جبار قط وقال ابن أبي نجيع وايث عن مجاهد أعتق من الجبارة أن يسلطوا عليه وكذا قال قتادة وقال جاد بن سلمة عن

والله وسلم من كان بينه وبين أخيه شيء فدعاه الى حكم من حكم المسلمين فلم يجب فهو ظالم لاحقه أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم قال ابن كثير بعد ان ساق هذا المتن ما لفظه وهذا حديث غريب وهو مرسل وقال ابن العربي هذا حديث باطل فأما قوله فهو ظالم فكلام صحيح وأما قوله فلا حق له فلا يصح ويحتمل ان يريد انه على غير الحق انتهى وأقول وأما كون الحديث مرسل فظاهر وأما دعوى كونه باطلا فمحتاج الى برهان فقد أخرجه ثلاثة من أئمة الحديث كذا كرنا ويعد كل البعدان يتفقوا على ما هو باطل وليس في اسناده عند ابن أبي حاتم كذاب ولا وضع ويشهد له ما أخرجه الطبراني عن الحسن بن سبرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من دعى الى سلطان فلم يجب فهو ظالم لاحقه انتهى ولا يخفك ان قضاة العدل وحكام الشرع الذين هم على الصفة التي قدمنا لك قريبا هم سلاطين الدين المترجون عن الكتاب والسنة المبينون للناس ما نزل اليهم ثم لما ذكرنا كان عليه أهل النفاق أتبعه بما يجب على المؤمنين ان يفعلوه اذا دعوا الى حكم الله ورسوله فقال (انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله) أى الى كتاب الله العزيز وسنة رسوله المطهرة (ليحكم بينهم) أى يقولوا اسمعنا وأطعنا أى هذا القول لا قولنا آخرو هذا وان كان على طريقة الخبر فليس المراد به ذلك بل المراد به تعليم الادب الشرعى عنده هذه الدعوة من أحد المتخاصمين للآخر والمعنى انه ينبغي للمؤمنين ان يكونوا هكذا اذا سمعوا الدعاء المذكور فابالوجه بالطاعة والاذعان والاجابة قال مقاتل وغيره يقولون سمعنا قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأطعنا أمره وان كان ذلك فيما يكرهونه ويضرهم وقد قدمنا الكلام على الدعوة الى الله ورسوله للحكم بين المتخاصمين وذكرنا من تجب الاجابة اليه من القضاة ومن لا تجب وهذه الآية على ايجازها حاوية لكل ما ينبغي للمؤمنين ان يفعلوه ثم أثبت سبحانه عليهم بقوله (وأولئك) المؤمنون الذين قالوا هذا القول (هم المنافقون) أى الناجون الفائزون بخيرى الدنيا والآخرة ثم أورد

حميد عن الحسن بن مسلم عن مجاهد لانه لم يرده أحد بسوء الا هلك وقال عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن الزبير قال انما سمي البيت العتيق لان الله أعتقه من الجبارة وقال الترمذي حدثنا محمد بن اسمعيل وغير واحد حدثنا عبد الله بن صالح أخبرني الليث عن عبد الرحمن بن خالد عن ابن شهاب عن محمد بن عروة عن عبد الله بن الزبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما سمي البيت العتيق لانه لم يظهر عليه جبار وكذا رواه ابن جرير عن محمد بن سهل المخبراني عن عبد الله بن صالح به وقال ان كان صحيحا وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب ثم رواه من وجه آخر عن الزهري مرسل (ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه واحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور حينما الله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خمر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق) يقول تعالى هذا الذي أمرنا به من الطاعات في أداء المناسك

وما لفا عليها من الثواب الجزيل ومن يعظم حرمان الله أي ومن يجتنب معاصيه ومحارمته ويكون ارتكابها عظيما في نفسه فهو خير له عند ربه أي فله على ذلك خير كبير وثواب جزيل فكذا على فعل الطاعات ثواب جزيل وأجر كبير كذلك على ترك المحرمات واجتناب المحظورات قال ابن جرير قال مجاهد في قوله ذلك ومن يعظم حرمان الله قال الحرمة مكة والحج والعمرة وما نهى الله عنه من معاصيه كلها وكذا قال ابن زيد وقوله واحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم أي احلنا لكم جميع الانعام وما جعل الله من بحيرة ولا سابقة ولا وصيلة ولا حام وقوله الا ما يتلى عليكم أي من تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخفة الآية قال ذلك ابن جرير وحكاها عن قتادة وقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور من ههنا البيان الجفس أي اجتنبوا الرجس الذي هو الاوثان وقرن الشرك بالله (٣٣٦) يقول الزور كلمة قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها

وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون ومنه شهادة الزور وفي الصحيحين عن أبي بكره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا أنبئكم باكبر الكبائر قلنا بلى يا رسول الله قال الاشرار بالله وعقوق الوالدين وكان متكئا فجلس فقال ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت وقال الامام أحمد حدثنا مروان بن معاوية الفزاري أنبأنا سفيان بن زياد عن قاتل بن دية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا فقال يا أيها الناس عدلت شهادة الزور الاشرار بالله ثلاثا ثم قرأ فاحسبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور وهكذا رواه الترمذي عن أحمد بن منيع عن مروان بن معاوية به ثم قال غريب انما نعرفه من حديث سفيان بن زياد وقد اختلف عنه في

الثناء عليهم بنفاء آخر فقال (ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقوه) هذه الجملة مقررة لما قبلها من حسن حال المؤمنين وترغب من عداهم الى الدخول في عدادهم والمتابعة لهم في طاعة الله ورسوله في كتابه وسنته والخشية من الله عز وجل فيامضى والتقوى له فيما يستقبل وفي يتقوه قرأت من الجزم والكسر (فأولئك) أي الموصوفون بما ذكر من الطاعة والخشية والتقوى (هم الفائزون) بالنعيم الدنيوي والاخروي لامن عداهم وعن بعض الملوك انه سأل عن آية كافية فقلت له هذه الآية وهي جامعة لاسباب النور والفلاح الكاملة الشاملة وبالله التوفيق وهو المستعان ثم حكى سبحانه عن المنافقين انهم لما كرهوا حكمه أقسموا بأنه لو أمرهم بالخروج الى الغزو لخروا فقال (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) المعنى يجهدون أيمانهم جهدا ومعناه طاقته ما قدر وأن يجلسوا مأخوذ من قولهم جهد نفسه اذا بلغ طاقته وأقصى وسعها وقيل التقدير مجتهدين في أيمانهم فنقولهم افعل ذلك جهدا وطاقتك وقد خلط النحسرى الوجهين فجعلهما واحدا وقيل جهد الميم ان يحلف بالله ولا يزد على ذلك شيئا (لئن أمرتهم بالخروج الى الجهاد لخرجن) وليغزون ولما كانت مقالتهن هذه كاذبة وأيمانهم فاجرة رداً على ما زجر افئدال (قل لا تتسموا) أي لا تحلفوا على ما نزعتموه من الطاعة والخروج الى الجهاد ان أمرتم به وهما تنكح الكلام ثم ابتدأ فقال (طاعة معروفة) أي طاعتهم طاعة معروفة بأنها طاعة نفاقية لم تكن عن اعتقاد وقيل طاعة معروفة أولى بكم من أيمانكم وقيل لا تكن منكم طاعة أو لتوجد وفي هذا ضعف لان الفعل لا يحذف الا اذا تقدم ما يشعر به وقيل أمركم طاعة بل قال الواسطي انه الاولى لان الخبر بحط الفائدة وعليه فالمعنى أمركم الذي يطلب منكم طاعة معروفة معلومة لا يشك فيها ولا يرتاب وقرئ طاعة بالنصب أي أطيعوا طاعة (ان الله خبير بما تعملون) من الطاعة بالقول وما

رواية هذا الحديث ولا تعرف لايين بن خريم سمعنا من النبي صلى الله عليه وسلم وقال الامام أحمد أيضا تضرعوا

حدثنا محمد بن عبيد حدثنا سفيان العنبري عن أبيه عن حبيب بن الاعماس الاسدي عن خريم بن قاتل الاسدي قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح فلما انصرف قام فاعلم فقال عدلت شهادة الزور الاشرار بالله عز وجل ثم تلا هذه الآية فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به وقال سفيان الثوري عن عاصم بن أبي النجود عن وائل بن ربيعة عن ابن مسعود انه قال تعدل شهادة الزور الاشرار بالله ثم قرأ هذه الآية وقوله حنفاء لله أي مخلصين له الدين من غيرتين عن الباطل قصد الى الحق ولهذا قال غير مشركين به ثم ضرب للمشرك مثلاً في ضلاله وهلاكه وبعده عن الهدى فقال ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء أي سقط منها فتعطفه الطير أي تقطعه الطير وفي الهواء وتهوى به الريح في مكان

سبحنى أى بعيد مهلك لمن هوى فيه ولهذا جافى حديث البراء أن الكافر إذا توفته ملائكة الموت وصعدوا بروحه الى السماء فلا تفتح له أبواب السماء بل تطرح روحه طر حامن هناك ثم قرأ هذه الآية وقد تقدم الحديث فى سورة إبراهيم بحرقه والناظره وطرقه وقد ضرب تعالى للمشرک مثلاً آخر فى سورة الانعام وهو قوله قل اندعومن دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونزد على عقابنا بعدد اذ هدانا الله كالذى استهوته الشياطين فى الارض حيران له اصحاب يدعون له الى الهدى انتقل ان هدى الله هو الهدى الآية (ذلك ومن يعظم شعائر الله فانهم من تقوى القلوب لكم فيها منافع الى أجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق) يقول تعالى هذا ومن يعظم شعائر الله أى أوامره فانهم من تقوى القلوب ومن ذلك تعظيم الهدايا والبدن كما قال الحكيم عن مقسم عن ابن عباس تعظيمها استسمانها واستحسانها وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا (٣٣٧) حفص بن غياث عن ابن أبى ليل عن

تضمرونه من المخالفة بالفعل وهذا دليل لما قبلها من كون طاعتهم طاعة شقاق ثم أمر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يأمرهم بطاعة الله ورسوله فقال (قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) طاعة ظاهرة وباطنة بخلاف اعتناد وصحة نية وهذا التكرير منه سبحانه لتأكيده وجوب الطاعة عليهم فإن قوله قل لا تنسوا طاعتكم معرفة في حكم الأمر بالطاعة وقيل إنه ما مختلفان فالأول نهى بطريق الرد والتوبيخ والثاني أمر بطريق التكليف لهم والایجاب عليهم (فان قولوا) خطاب للمأمورين وفيه رجوع من الخطاب مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الخطاب لهم لتأكيده الأمر عليهم والمبالغة في العناية بهدايتهم إلى الطاعة والانقياد وجواب الشرط قوله (فانما عليهم) أي على النبي (ما حمله) مما أمر به من التبليغ وقد فعل (وعليكم ما حملتم) أي ما أمرتم به من الطاعة والالابة وهو وعيد لهم - كما أنه قال لهم فان توليتم فقد صرتم حامليين للعمل المتبيل وفيه المشاكاة (وان تطيعوه) فيما أمركم بدونها كما عنه (تهدوا) إلى الحق وترشدوا إلى الخير وتنفروا بالاجر قد أخرج مسلم والترمذي وغيرهما عن علقمة بن وائل الحضرمي عن أبيه قال قدم زيد بن أسلم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال رأيت أن كان علينا امرأ يأخذون منا الحق ولا يعطونا قال فانما عليهم ما حالوا وعليكم ما حملتم وعن جابر أنه سئل أن كان على امام فاجر فلقبت معه أهل ضلالة فقال أم لا قال قاتل أهل الضلالة أينما وجدتهم وعلى الامام ما حمله وعليكم ما حملتم (و) جملة (ما على الرسول) (البلاغ المبين) مقرر لما قبلها واللام المالة العهد فيرد بالرسول نبينا صلى الله عليه وآله وسلم والجنس فيرد لكل رسول والبلاغ المبين التبليغ الواضح أو الموضح والمعنى ان الرسول قد أدى البلاغ فأتوا أيضا أنتم ما عليكم من طاعته (وعدا الله الذين آمنوا منهم وعملوا الصالحات) الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ولمن معه ومن للبيان وقيل للتبعيض

(٤٣ - فتح البيان سادس) رسول الله صلى الله عليه وسلم ضجى بكبشين عظيمين - ميمين أقرنين ألمحين موجوعين وكذا روى أبو داود وابن ماجه عن جابر ضجى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين أقرنين ألمحين موجوعين قيل هما الخصيان وقيل اللذان رض خصيا عما ولم يقطععهما والله أعلم - ولم وعن علي رضي الله عنه قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نستشرف العين والاذن وان لا نضجى عتابا ولا مدبرة ولا شرفا ولا خفاء رواه أحمد وأهل السنن وصححه الترمذى وفهم عنه قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نضجى بأعضب القرن والاذن قال - سعيد بن المسيب الأعضب النصف فأكثر - وقال بعض أهل اللغة ان كسر قرنها الأعلى فهي قهصاء فاما الأعضب فهو كسر الأسفل وأعضب الاذن قطع بعضها وعنه - الشافعى ان الاضحية بذلك محزنة لكن تذكره وقال أحمد لا تجزئ الاضحية بأعضب القرن والاذن لهذا الحديث وقال مالك ان كان الدم يسيل من القرن

لم يجزئ والاجر والله أعلم وأما المقابلة فهي التي قطع مقدم أذنها والمدبرة من مؤخر أذنها والشرقا هي التي قطعت أذنها طولاً قاله الشافعي والاصمعي وأما الخرقا فهي التي خرقت السمعة أذنها خرقا مدورا والله أعلم وعن البراء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع لا تجوز في الاضاحي العوراء البين عورها والمرضة البين مرضها والعرجا البين ضلعهما والكسيرة التي لا تنقي زواها أحدواهل السنن وصححه الترمذي وهذه العيوب تنقص اللحم لضعفها وعجزها عن استكمال الرعي لان الشاة يسبقونها الى المرعى فلهذا لا تجزئ التضحية بها عند الشافعي وغيره من الأئمة كما هو ظاهر الحديث واختلف قول الشافعي في المربضة مرضايسير على قولين وروى أبو داود عن عتبة بن عبد السلمي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن المصفرة والمستأصلة والخنقاء والمشيمة (٣٣٨) والكسيرة فالمصفرة قيل الهزيلة وقيل المستأصلة الاذن والمستأصلة مكسورة

القرن والخنقاء هي العوراء والمشيمة هي التي لا تزال تشيع خلف الغنم ولا تتبع لضعفها والكسيرة العرجاء فهذه العيوب كلها مانعة من الاجزاء فاما ان طرأ العيب بعد تعيين الاضحية فانه لا يضرب عند الشافعي خلافا لابي حنيفة وقد روى الامام أحمد عن أبي سعيد قال اشترت كبشا أضحي به فعدا الذنب فأخذ الألية فسألت النبي صلى الله عليه وسلم فقال ضح به ولهذا في الحديث أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نستشرف العين والاذن أي ان تكون الهدية أو الاضحية سمينة حسنة غنية كما رواه الامام أحمد وأبو داود عن عبد الله بن عمر قال أهدى عمر نجيبا فاعطى بها ثلثائة دينار فأتى النبي صلى الله عليه وسلم لم فقال يا رسول الله اني أهديت نجيبا فاعطيت بها ثلثائة دينار فأبى عنها واشترى بثمنها

والجمل مقرر لما قبلها من ان طاعتهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبب لهدايتهم وهذا وعدم من الله سبحانه لمن آمن بالله وعمل الاعمال الصالحة بالاستتلاف لهم كما قال سبحانه (ليستخلفنهم في الارض) بدلا عن الكفار وهو وعديهم جميع الامة وقيل هو خاص بالصحابة ولا وجه لذلك فان الايمان وعمل الصالحات لا يختص بهم بل يمكن وقوع ذلك من كل واحد من هذه الامة ومن عمل بكتاب الله وسنة رسوله فقد أطاع الله ورسوله واللام في ليستخلفنهم جواب لقسم محذوف أو جواب للوعد وقيل بمنزلة القسم لانه ناجز لا محالة والمعنى ليجعلنهم فيها خلفاء يتصرفون فيها تصرف المولى في مملوكاتهم وقد أبعد من قال انها مختصة بالخلفاء الاربعة أو بالمهاجرين أو ان المراد بالارض أرض مكة وقد عرفت ان الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب قال ابن العربي انها بلاد العرب والعجم وهو الصحيح لان أرض مكة محرمة على المهاجرين في الحديث لكن البائس سعد ابن خولة يرى انه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان توفي بمكة وقال في الصحيح أيضا يمكث المهاجر بمكة بعد قضاء نسكه ثلاثا وذا هو قوله (كما استخلف الذين من قبلهم) كل من استخلفه الله في أرضه فلا يخص ذلك بنى اسرائيل ولا أم من الامم دون غيرها ترى على البناء للفاعل والمفعول (ولم يكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم) معطوفة على ليستخلفنهم داخله تحت حكمه كأنه من جملة الجواب والمراد بالتكسين هنا التثبيت والتقرير أي يجعله الله ثابتا مقررا ويوسع لهم في البلاد فيمكثوا ويظهر دينهم على جميع الاديان والمراد بالدين هنا الاسلام كافي قوله ورضيت لكم الاسلام ديناً ذكر سبحانه وتعالى الاستخلاف لهم أولا وهو جعلهم ملوكا ذكر التكسين ثانياً فاذ ذلك ان هذا الملك ليس على وجه العروض والطرق بل على وجه الاستتار والنبوت بحيث يكون الملك لهم ولعقبهم من بعدهم (وليسلنهم من بعد خوفهم أمنا) معطوفة على التي قبلها اقربى من أبدل ومن بدل وهما الغتان وزيادة البناء تدل على زيادة المعنى فقراءة التشديد أرجح من التخفيف وزعم

بدنا قال لا تخرها ياها وقال الضحاك عن ابن عباس البدن

من شعائر الله وقال محمد بن أبي موسى الوقوف ومن دلفة والجار والرحى والحلق والبدن من شعائر الله وقال ابن عمر أعظم الشعائر البيت وقوله لكم فيها منافع أي لكم في البدن منافع من لبنها وصوفها وأوبارها وأشعارها وركوبها الى أجل مسمى قال مقسم عن ابن عباس في قوله لكم فيها منافع الى أجل مسمى قال ما لم تسم بدنا وقال مجاهد في قوله لكم فيها منافع الى أجل مسمى قال الركوب واللبن والولد فاذا سميت بدنة أو هديا ذهب ذلك كله وكذا قال عطاء والضحاك وقتادة وعطاء الخراساني وغيرهم وقال آخرون بل له ان ينتفع بها وان كانت هديا اذا احتاج الى ذلك كما ثبت في الصحيحين عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يراى رجلا يسوق بدنة قال اركبها قال انها بدنة قال اركبها ويحدث في الثانية والثالثة وفي رواية لمسلم عن جابر عن رسول الله

نعلب

صلى الله عليه وسلم انه قال اركبها بالمعروف اذا ألجئت اليها وقال شعبة عن زهير بن أبي ثابت الاعشى عن المعيرة بن خديف عن علي انه رأى رجلا يسوق بدنة ومعها ولدها فقال لا تنسب من لبنها الا ما فضل عن ولدها فاذا كان يوم النحر فاذهبها وولدها وقوله ثم حملها الى البيت العتيق أى محل الهدى وانتهأوه الى البيت العتيق وهو الكعبة كما قال تعالى هديا بالغ الكعبة وقال والهدى معكوفان يبلغ محله وقد تقدم الكلام على معنى البيت العتيق قريبا والله الحمد وقال ابن جرير عن عطاء قال كان ابن عباس يقول كل من طاف بالبيت فقد حل قال الله تعالى ثم حملها الى البيت العتيق (ولكل أمة جعلنا منسكاً ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام فالحكم اله واحد فله أسلموا وبشر الخبيثين الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة وعمارزقناهم ينفقون) يخبر تعالى انه لم يزل ذبح المناسك وازاقة الدماء على اسم (٢٣٩) الله مشر وعافى جميع الملل وقال على

ابن أبي طلحة عن ابن عباس ولكل ثعلب ان بينهما فرقاً وانه يقال بدلته أى غيرته وأبدلته أثرته وجعلت غيره مكانه قال النحاس وهذا القول صحيح والمعنى انه سبحانه يجعل لهم مكان ما كانوا فيه من الخوف من الاعداء أمنا ويذهب عنهم أسباب الخوف الذى كانوا فيه بحيث لا يخشون الا الله سبحانه ولا يرجون غيره وقد كان المسلمون قبل الهجرة وبعدها بقليل فى خوف شديد من المشركين لا يخرجون الا فى السلاح ولا يمسكون الا على تراب لنزول المضره بهم من الكفار ثم صاروا فى غاية الامن والدعة وأذل الله لهم شياطين المشركين وفتح عليهم البلاد ومهد لهم فى الارض ومكنهم منها فله الحمد وعن البراء قال فبنارنا ونحس فى خوف شديد وعن أبي العالقة قال كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه بمكة فنحوا من عشر سنين يدعون الى الله وحده وإلى عبادته وحده لا شريك له سراهم خائفون لا يؤمرون بالقتال حتى أمر وبالهمجرة الى المدينة فقدموا المدينة فأمرهم الله بالقتال وكانوا باخافين يمسكون فى السلاح ويصبون فى السلاح فغيروا بذلك ما شاء الله ثم ان رجلاً من أصحابه قال يا رسول الله ما أبى علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تعبروا لايسيرا حتى يجلس الرجل منكم فى الملا العظيم محتبياً ليست فيهم حديد فأنزل الله وعد الله الذين آمنوا الى آخر الآية فأظهر الله نبيه على جزيرة العرب فآمنوا ووضعوا السلاح ثم ان الله قبض نبيه فكانوا كذلك آمنين فى زمان أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله تعالى عنهم حتى وقعوا فيما وقعوا وكفروا بالنعمة فادخل الله عليهم الخوف الذى كان رفع عنهم واتخذوا الحجر والشرط وغيره فغير ما بهم وعن أبى بن كعب قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة وآتهم الانصار رمتهم العرب عن قوس واحد فكانوا لا يبيتون الا فى السلاح ولا يصبون الا فيه فقتلوا أنثرون انا نعيش حتى نبيت آمنين مطمئنين لا نخاف الا الله ففزلت هذه الآية وأنجز الله وعده وأظهرهم على جزيرة العرب وافتتحوا أبعد بلاد المشرق والمغرب ومن قوامك الا كاسرة وملكوا

ابن أبي طلحة عن ابن عباس ولكل ثعلب ان بينهما فرقاً وانه يقال بدلته أى غيرته وأبدلته أثرته وجعلت غيره مكانه قال النحاس وهذا القول صحيح والمعنى انه سبحانه يجعل لهم مكان ما كانوا فيه من الخوف من الاعداء أمنا ويذهب عنهم أسباب الخوف الذى كانوا فيه بحيث لا يخشون الا الله سبحانه ولا يرجون غيره وقد كان المسلمون قبل الهجرة وبعدها بقليل فى خوف شديد من المشركين لا يخرجون الا فى السلاح ولا يمسكون الا على تراب لنزول المضره بهم من الكفار ثم صاروا فى غاية الامن والدعة وأذل الله لهم شياطين المشركين وفتح عليهم البلاد ومهد لهم فى الارض ومكنهم منها فله الحمد وعن البراء قال فبنارنا ونحس فى خوف شديد وعن أبي العالقة قال كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه بمكة فنحوا من عشر سنين يدعون الى الله وحده وإلى عبادته وحده لا شريك له سراهم خائفون لا يؤمرون بالقتال حتى أمر وبالهمجرة الى المدينة فقدموا المدينة فأمرهم الله بالقتال وكانوا باخافين يمسكون فى السلاح ويصبون فى السلاح فغيروا بذلك ما شاء الله ثم ان رجلاً من أصحابه قال يا رسول الله ما أبى علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تعبروا لايسيرا حتى يجلس الرجل منكم فى الملا العظيم محتبياً ليست فيهم حديد فأنزل الله وعد الله الذين آمنوا الى آخر الآية فأظهر الله نبيه على جزيرة العرب فآمنوا ووضعوا السلاح ثم ان الله قبض نبيه فكانوا كذلك آمنين فى زمان أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله تعالى عنهم حتى وقعوا فيما وقعوا وكفروا بالنعمة فادخل الله عليهم الخوف الذى كان رفع عنهم واتخذوا الحجر والشرط وغيره فغير ما بهم وعن أبى بن كعب قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة وآتهم الانصار رمتهم العرب عن قوس واحد فكانوا لا يبيتون الا فى السلاح ولا يصبون الا فيه فقتلوا أنثرون انا نعيش حتى نبيت آمنين مطمئنين لا نخاف الا الله ففزلت هذه الآية وأنجز الله وعده وأظهرهم على جزيرة العرب وافتتحوا أبعد بلاد المشرق والمغرب ومن قوامك الا كاسرة وملكوا

فى سنه من حديث سلام بن مسكين به وقوله فالحكم اله واحد فله أسلموا أى عبودكم واحد وان تنوعت شرائع الانبياء ونسخ بعضهم بعضاً فالجميع يدعون الى عبادة الله وحده لا شريك له وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا أنا فاعبدون ولهذا قال فله أسلموا أى أخلصوا واستسلموا لحكمه وطاعته وبشر الخبيثين قال مجاهد المطمئنين وقال الضحاك وقتادة المتواضعين وقال السدى الوجليين وقال عرو بن أوس الخبيثين الذين لا يظلمون واذا ظلموا يمتنعون وقال الثوري وبشر الخبيثين قال المطمئنين الراضين بقضاء الله المستسلمين له وأحسن ما يفسر بما بعده وهو قوله الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم أى خافت منه قلوبهم والصابرين على ما أصابهم أى من المصائب قال الحسن البصرى والله لتصبرن أو لتهلكن والمقيمي الصلاة قرأ الجمهور بالاضافة السبعة وبقيّة العشرة أيضاً وقرأ ابن السميع والمقيمين الصلاة بالنصب وعن الحسن البصرى والمقيمي الصلاة وانما حذف

النون ههنا تخففوا ولو حذفتم للاضافة لوجب خفض الصلاة ولكن على سبيل (٣) القرب فنصبت أي المؤدين حق الله فيما أوجب عليهم من أدائها ونهوا عما رزقناهم ينتقون أي وينفقون ما آتاهم الله من طيب الرزق على أهليهم وأقاربهم وفقراءهم ومحتاجيهم ويحسنون إلى الخلق مع محافظتهم على حدود الله وهذه بخلاف صفات المنافقين فانهم بالعكس من هذا كله كما تقدم تفسيره في سورة براءة (والبدن جعلناها لكم من شعائرنا لكم فيها خير فاذا ذكروا اسم الله عليها صواف فاذا وجبت جنوبها فاكسوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون) يقول تعالى تمتعنا على عبده فيما خلق لهم من البدن وجعلها من شعائره وهو انه جعلها لهم إلى بيته الحرام بل هي أفضل ما يهدي إليه كما قال تعالى لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد ولا آمين (٣٤٠) البيت الحرام الآية قال ابن جرير قال عطاء في قوله والبدن جعلناها لكم من شعائر الله قال البقرة والبعير

وكذا روى عن ابن عمر وسعيد بن المسيب والحسن البصري وقال مجاهد انما البدن من الابل قلت أما اطلاق البدنة على البعير فتنبى عليه واختلفوا في صحة اطلاق البدنة على البقرة على قولين أحدهما انه يطلق عليها ذلك شرعا كما صح الحديث ثم جهور العلماء على انه تجزى البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة كما ثبت به الحديث عند مسلم من رواية جابر بن عبد الله قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نشترك في الاضاحي البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة وقال اسحق بن راهويه وغيره بل تجزى البقرة والبعير عن عشرة وقد ورد به حديث في مسند الامام أحمد وسنن النسائي وغيره ما قاله أعلم وقوله لكم فيها خيرا أي ثوابا في الدار الآخرة وعن سليمان بن يزيد الكعبي عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما عمل ابن آدم

خزائنه م واستولوا على الدنيا وفي الآية أوضح دلائل على صحة خلافة أبي بكر الصديق والخلفاء الراشدين بعده لان المستخلفين الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم وفي آياتهم كانت الفتوحات العظيمة وفكت كموزك كبرى وغريه من الملوك وحصل الامن والتسكين وظهور الدين وعن سفينة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكا ثم قال أسكن خلافة أبي بكر سنتين وخلافة عمر عشر سنين وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة وعلى ستا قال على قلت لحدا القائل لعبد أسكن سفينة قال نعم أخرجه أبو داود والترمذي قلت وفيه اجمال تفصيله ان خلافة أبي بكر كانت سنتين وثلاثة أشهر وخلافة عمر كانت عشر سنين وستة أشهر وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة وخلافة علي أربع سنين وتسعة أشهر وعلى هذا تكون مدة خلافة الائمة الاربعة تسعة وعشرين سنة وستة أشهر وثلث سنين بخلاف الحسن وكانت ستة أشهر ثم نزل عنها والله أعلم وجملة (يعبدوني) حالية أو مستأنفة مسوقة للشأن عليهم وفيه أوجه سبعة ذكرها السمين (لا يشركون بشيئا) أي يعبدوني غير مشركين بي في العبادة شيئا من الاشياء وقيل معناه لا يراون بعبادتي أحد أو قيل معناه لا يخافون أحدا غيري قاله ابن عباس وقيل معناه لا يحبون غيري (ومن كفر) هذه النعم (بعد ذلك) الوعد المخرج أي من استقر على الكفر أو من كفر بعد الايمان (فالولئك هم الفاسقون) أي الكفار لكونهم في النسق وهو الخروج عن الطاعة والطغيان في الكفر وعن مجاهد قال الفاسقون العاصون وعن أبي العالية قال الكفر به هذه النعمة ليس كفر بالله ولذلك قال الفاسقون ولم يقل الكافرون قال ابن التفسير أول من كفر بهذه النعمة ومجدها الذين قتلوا عثمان فلما قتلوه غير الله ما بهم من الامن وأدخل عليهم الخوف حتى صاروا يقاتلون بعد أن كانوا اخوانا والقصة معروفة (وأقيموا الصلاة) أي فآمنوا واعملوا الصالحات وأقيموا الصلاة (وأولوا الزكاة وأطيعوا الرسول) قد تقدم الكلام على

اقامة

هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما عمل ابن آدم

يوم النحر عملا أحب إلى الله من اهرق دم وانما التأتى يوم القيامة بقرنها وأظلافها وأشعارها وان الدم ليقع من الله بكان قبل ان يقع من الارض فطيبوها انفسا رواه ابن ماجه والترمذي وحسنه وقال سفينان الثوري كان أبو حازم كان يستدين ويسوق البدن فقبل له يستدين وتسوق البدن فقال اني سمعت الله يقول لكم فيها خير وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أتتكم الورق في شيء أفضل من خيرة في يوم عيذروا الدارقطني في سنه وقال مجاهد لكم فيها خير قال أجز ومنافع وقال ابراهيم النخعي يركبها ويحملها اذا احتاج اليها وقوله فاذا ذكروا اسم الله عليها صواف وقال ابن جرير بن عبد الله قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عيد الاضحي فلما انصرف أتني بكبش فذبحه فقال بسم الله والله أكبر اللهم هذا عني وعن لم يضح قوله القرب هي في بعض النسخ وفي بعض آخر يحملها ياض وعلى كل خير اه

من أمتي رواءاً حمداً وأبو داود والترمذي وقال محمد بن اسحق عن يزيد بن أبي حبيب عن ابن عباس عن جابر قال سخط رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين في يوم عرفة قال حين وجههما وجهي للذي فطر السموات والأرض حينئذ ما أنا من المشركين إن صلاتي ونسبي ومحبي ومحبي رسول الله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين اللهم منك ولك عن محمد وأئمة ثم سمي الله وكبر وذبح وعن علي بن الحسين عن أبي رافع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا نحي اشترى كبشين سمينين أقرنين أحمين فإذا صلى وخطب الناس أتى بأحدهما وهو قائم في صلاة فدبحه بنفسه بالمدينة ثم يقول اللهم هذا عن أمتي جميعهما من شهدك بالتوحيد وشهدك بالبلاغ ثم يؤتى بالآخر فيذبحه بنفسه ثم يقول هذا عن محمد وآل محمد فيعطيهم ساجداً للمساكين ويأكل هو وأهله منهم رواءاً حمداً وابن ماجه وقال الأعمش عن أبي (٣٤١) ظبيان عن ابن عباس في قوله فاذكروا

اسم الله عليها صواف قال قيساً على ثلاث قوائم معنولة يدعى اليسرى يقول بسم الله والله أكبر لا إله إلا الله اللهم منك ولك وكذلك روى عن جاهد وعلي بن أبي طلحة والعوفي عن ابن عباس نحوه هذا وقال إيث عن مجاهد إذا عقلت رجلها اليسرى قامت على ثلاث وروى ابن أبي نجيح عنه نحوه وقال الضحاك يعقل رجل واحد فتكون على ثلاث وفي الصحيحين عن ابن عمر أنه أتى على رجل قد أخذ بدنة وهو يخرها فقال ابعتها قياماً مقيمة ستة إلى القاسم صلى الله عليه وسلم وعن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا ينحرون البدن معنولة اليسرى قائمة على ما بقي من قوائمها رواء أبو داود وقال ابن لهيعة حدثني عطاء بن دينار أن سالم بن عبد الله قال لسلطان بن عبد الملك قف من شتهها الآين واخر من شتهها اليسرى وفي صحيح مسلم عن

إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وكررا الأمر بطاعة الرسول للتأكيده وخصه بالطاعة لأن طاعته طاعة الله ولم يذكر ما يطيعونه فيه لئلا يصدق التعميم كما يشعر به الحذف على ما نقرر في علم المعاني من أن مثل هذا الحذف مشعر بالتعميم (لعلكم ترجون) أي أفعلا ماذا كررا حين أن يرجوكم الله سبحانه (لا تحسبن) بالفوقية أي لا تحسبن يا محمد وقرئ بالتحسية (الذين كفروا محجزين) فائتين وقال قتادة سابقين (في الأرض) وقد تقدم تنسيبه وتفسير ما بعده (وما أوهام النار) عطف خبر على إنشاء أو على مقدراً أي بل هم مقهورون مدركون وما أوهام (ولبئس المصير) أي المرجع النار ولما فرغ سبحانه من ذكر ما ذكره من دلائل التوحيد رجع إلى ما كان فيه من الاستئذان فذكره ههنا على وجه أخص فقال (يا أيها الذين آمنوا) الخطاب للمؤمنين ويدخل المؤمنات فيه تغليبا كما في غيره من الخطابات قال العلماء هذه الآية خاصة ببعض الاوقات واختلفوا في المراد بقوله (ليستأذنكم) على أقوال الأول أنها منسوخة قاله سعيد بن المسيب وقال سعيد بن جبير أن الأمر فيها للندب لا للوجوب وقيل كان ذلك واجبا حيث كانوا الأنواب لهم ولو عاد الحال لعاد الوجوب حكاه المهرجاني عن ابن عباس وقيل إن الأمر ههنا للوجوب وإن الآية محكمة غير منسوخة وإن حكمها ثابت على الرجال والنساء قال القرطبي وهو قول أكثر العلماء وقال السلمي أنها خاصة بالنساء وقال ابن عمر هي خاصة بالرجال دون النساء والمراد بقوله (الذين ملكت أيما نكم) العبيد والاماء وعن مقاتل بن حيان قال بلغنا أن رجلا من الانصار وامرأته اسمها بنت مرشدة صنع النبي صلى الله عليه وآله وسلم طعاما فقالت أسما يا رسول الله ما أقبح هذا انه يدخل على المرأة وزوجها وهما في ثوب واحد غلامهما بغير إذن فأمر الله في ذلك هذه الآية يعني بها العبيد والاماء وعن السدي قال كان أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجهلون أن

جابر في سنة حجة الوداع قال فيه فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ثلاثا وستين بدنة جعل يطعن بها بحربة في يده وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة قال في حرف ابن مسعود صواف أي معنولة قياماً وقال سفيان الثوري عن منصور عن مجاهد من قرأها صواف قال معنولة ومن قرأها صواف قال تصف بين يديها وقال طائوس والحسن وغيرهما فاذكروا اسم الله عليها صواف يعني خالصة لله عز وجل وكذا رواه مالك عن الزهري وقال عبد الرحمن بن زيد صواف ليس فيها شرك كشرك الجاهلية لا صناتهم وقوله فاذ أوجبت جنوبها قال ابن أبي نجيح عن مجاهد يعني سقطت إلى الأرض وهو رواية عن ابن عباس وكذلك مقاتل بن حيان وقال العوفي عن ابن عباس فاذ أوجبت جنوبها يعني فخرت وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فاذ أوجبت جنوبها يعني ماتت وهذا القول هو مراد ابن عباس وشجاهد فإنه لا يجوز إلا كل من البدنة إذا فخرت حتى تموت وتبرحركتها وقد جاء في حديث مرفوع

لا تهللوا النفوس ان تزهق وقدر واه النورى فى جامعه عن أيوب عن يحيى بن أبى كثير عن فراقصة الخنفي عن عمر بن الخطاب انه قال ذلك ويؤيده حديث شداد بن أوس فى صحيح مسلم ان الله كتب الاحسان على كل شئ اذا قتلتم فاحسنوا القتلة واذا بجهتم فاحسنوا الذبحة وليحدأحدكم شفرته وليرخ ذبيحته وعن أبى واقد الليثي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قطع من البهيمة وهى حية فهو ميتة رواه أحمد وأبو داود والترمذى وصححه وقوله فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتز قال بعض السلف قوله فكلوا منها أمر اباحة وقال مالك يستحب ذلك وقال غيره يجب وهو وجه لبعض الشافعية واختلفوا فى المراد بالقانع والمعتز فقال العوفي عن ابن عباس القانع المستغنى بما أعطيته وهو فى بيته والمعتز الذى يتعرض لك ويلبك ان تعطيه من اللحم ولا يسأل وكذا قال مجاهد ومحمد بن كعب القرظي (٣٤٢) وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس القانع المعتد والمعتز السائل وهذا قول

قتادة وابراهيم النخعي ومجاهد فى رواية عنه وقال ابن عباس وعكرمة وزيد بن أسلم والكبي والحسن البصرى ومقاتل بن حيان ومالك ابن أنس القانع هو الذى يقنع بالكى ويسأل والمعتز الذى يعتريك يتضرع ولا يسأل وهذا لفظ الحسن وقال سعيد بن جبير القانع هو السائل قال أما سمعت قول الشماخ

لمال المرء يصلحه فيغنى

مفارقة أعف من القنوع قال يعنى من السوازه قال زيد وقال زيد بن أسلم القانع المسكين الذى يطوف والمعتز الصديق والضعيف الذى يزور وهو رواية عن ابنه عبد الرحمن بن زيد أيضا وعن مجاهد أيضا القانع جارك الغنى الذى يصير ما يدخل بيتك والمعتز الذى يعتريك من الناس وعنه ان القانع هو الطامع والمعتز هو الذى يعترب بالبدن من غنى أو فقر وعن

يوافقوا نساءهم فى هذه الساعات ليغتسلوا ثم يخرجوا الى الصلاة فامرهم الله ان يأمرؤا المملوكين والعلمان ان لا يدخلوا عليهم فى تلك الساعات الا باذن فلا يرد كيف أمرهم الله بالاستئذان مع انهم غير مكافئين ولو كان المقصود أمرهم بالذات لما كان لتخصيص النداء والخطاب بالمؤمنين وجه (والذين لم يبلغوا الحلم منكم) أى الصبيان والمراد الاخر اقرئ الحلم بسكون اللام وبضمها قال الاخفش الحلم من حلم الرجل بفتح اللام ومن الحلم حلم بضم اللام يحلم بكسر هاءوا تفتقوا على ان الاحتمال بلوغ واختلاف اعمارهم اذا بلغ خمس عشرة سنة ولم يحتمل فقال أبو حنيفة لا يكون بالغ حتى يبلغ غماني عشرة سنة ويستكملها والجارية سبع عشرة سنة وقال الشافعي وأبو يوسف ومحمد وأحمد فى الغلام والجارية بخمس عشرة سنة يصير مكافؤا تجرى عليه الاحكام وان لم يحتمل (ثلاث مرات) أى ثلاثة أوقات فى اليوم والليلة وعبر عن الاوقات بالمرات لان أصل وجوب الاستئذان هو بسبب مقارنة تلك الاوقات لمرور المستأذنين بالمخاطبين لانفس الاوقات واتصاب ثلاث مرات على المصدريه أى ثلاث استئذانات ورجع هذا أبو حيان وقال لانك اذا قلت ضربت ثلاث مرات لا يفهم منه الا ثلاث ضربات أو منصوب على الظرفية أى ثلاث أوقات ثم فسر تلك الاوقات بقوله (من قبل صلاة الفجر) وذلك لانه وقت القيام عن المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس ثياب البقطة وربما يبيت عرباناً وعلى حالة لا يجب ان يراهم غير ذفيا (وحين تضعون ثيابكم) التى تلبسونها فى النهار (من) شدة حر (الظهرة) وذلك عند انصاف النهار فانهم قد يجردون عن الثياب لاجل القيولة ومن للبيان أو بمعنى فى أو بمعنى اللام ثم ذكر سبحانه الوقت الثالث فقال (ومن بعد صلاة العشاء) وذلك لانه وقت التجرد عن ثياب البقطة والخلو بالاهل والاتخاف بثياب النوم ثم أجل سبحانه هذه الاوقات بعد التفصيل بقوله (ثلاث عورات لكم) أى أوقات ثلاث عورات وقبل جعل نفس ثلاث مرات نفس ثلاث عورات مبالغة وقبل هو ثلاث وقال

عكرمة فحواه وعنه القانع أهل مكة واختار ابن جرير ان القانع هو السائل

لانه من أقنع يده اذ ارفعها للسؤال والمعتز من الاعترأ وهو الذى يتعرض لكل اللحم وقد احتج بهذه الآية الكريمة من ذهب من العلماء الى ان الانصيحة تجزأ ثلاثة أجزاء فثلث لصاحبها يأكله وثلث يهديه لصحابه وثلث تصدق به على الفقراء لانه تعالى قال فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتز وفى الحديث الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للناس انى كنت نهيتكم عن ادخال لحوم الاضاحى فوق ثلاث فكلوا واذا ذروا ونصدقوا وفى رواية فكلوا وأطعموا وتصدقوا والقول الثانى ان المضى يأكل النصف ويتصدق بالنصف لقوله فى الآية المتقدمة فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ولقوله فى الحديث فكلوا واذا ذروا ونصدقوا فان كل الكل فقبل لا يضمن شيئاً به قال ابن شريح من الشافعية وقال بعضهم يضمنها كلها بعينها أو قيمتها وقيل بضمن نصفها وقيل بثلثها وقيل ادى جزء منها وهو المشهور ومن مذهب الشافعي وأما الجلود

ففي مسند أحمد عن قتادة بن النعمان في حديث الاضاحي فكلوا وتصدقوا واستمعوا بحلوها ولا تتبعوها ومن العلماء من رخص في بيعها ومنهم من قال يقاسم الفقراء فيها والله أعلم (مسند) عن البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول ما تبدأ به في يومنا هذا النبي صلى الله عليه وسلم فخرج ففعل فقد أصاب سنتنا ومن ذبح قبل الصلاة فأنما هو لحم قدمه لاهله ليس من التسل في شيء أخرجه فهذا قال الشافعي وجاعة من العلماء ان أول وقت ذبح الاضاحي اذا طلعت الشمس يوم النحر ومضى قدر صلاة العيد والخطبة ن زاد أحمد وان يذبح الامام بعد ذلك لما جاء في صحيح مسلم وان لا تذبحوا حتى يذبح الامام وقال أبو حنيفة وأما أهل السواد من القرى ونحوها فلهم ان يذبحوا بعد طلوع الفجر اذا لصلاة عيد تنشر عن عند لهم وأما أهل الامصار فلا يذبحوا حتى يصلي الامام والله أعلم ثم قيل لا يشرع الذبح الا يوم النحر (٢٤٢) وحده وقيل يوم النحر لاهل الامصار لتيسر الاضاحي عنده وأما أهل

القرى فيوم النحر وأيام التشريق بعده وبه قال سعيد بن جبير وقيل يوم النحر ويوم بعده للجميع وقيل ويومان بعده وبه قال الامام أحمد وقيل يوم النحر وثلاثة أيام التشريق بعده وبه قال الشافعي لحديث جبير بن مطعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أيام التشريق كلها ذبح رواه أحمد وابن حبان وقيل ان وقت الذبح يمتد الى آخر ذي الحجة وبه قال ابراهيم النخعي وأبو سلمة بن عبد الرحمن وهو قول غريب وقوله كذلك نسخناها لكم لعلمكم تشكرون يقول تعالى من أجل هذا نسخناها لكم أي ذللناها لكم وجعلناها مقادة لكم خاضعة ان شئتم ركبتهم وان شئتم حلبتم وان شئتم ذبحتم كما قال تعالى أولم يروا أنا خلقناهم مما علمت أيدينا أنعاما فهم لهم مال يكون انى قوله

أبو حاتم النصب ضعيف مردود وقال السراء الرفع أحب الى قال الكسائي العورات الساعات التي تكون فيها العورة قال الزجاج المعنى ليست أوقات ثلاث عورات وعورات جمع عورة وهي في الاصل الخلل ثم غلب في الخلل الواقع فيما يتم حفظه ويتعين ستره أي هي ثلاث أوقات يتخلل فيها السترة وقرئ عورات بفتح الواو وهي لغة هذيل وتقيم فانهم يفتحون عين فعلاات سواء كان واوا أو ياء والجملة مستأنفة مسوقة لبيان علته وجوب الاستئذان عن عبد الله بن سويد قال سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن العورات الثلاث فقال اذا أنا وضعت ثيابي بعد الظهر لم يبلغ على أحد من الخدم من الذين لم يباغوا الحلم ولا أحد لم يبلغ الحلم من الاحرار الا باذن واذا وضعت ثيابي بعد صلاة العشاء ومن قبل صلاة الصبح أخرجه ابن مردويه وعن ابن عباس قال انه لم يؤمن بها أكثر الناس يعني آية الاذن وانى لا أمر جاري هذه لحارية قصيرة قائمة على رأسه ان تستأذن على وعنه قال ترك الناس ثلاث آيات لم يعملوا بها هذه الآية والآية التي في سورة النساء واذا حضر القسمة الآية والآية التي في الحجرات ان أكرمكم عند الله أتقاكم وعنه قال اذا خلا الرجل بأهله بعد العشاء فلا يدخل عليه صبي ولا خادم الا باذنه حتى يصلي الغداة واذا خلا بأهله عند الظهر فقل ذلك وخص لهم في الدخول فيما بين ذلك بغير اذن وهو قوله ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن فاما من بلغ الحلم فانه لا يدخل على الرجل وأهله الا باذن على كل حال وهو قوله واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم وعنه ان رجلا سأله عن الاستئذان في الثلاث العورات التي أمر الله بها في القرآن فقال ان الله ستر يحب السترو كان الناس لهم ستور على أبوابهم ولا حجاب في بيوتهم فربما خال الرجل خادما أو ولده أو يتيما في حجره وهو على أهله فأمرهم الله أن يستأذنوا في تلك العورات التي سمي الله ثم جاء الله بعد الستور فبسط عليهم في الرزق فاتخذوا الستور واتخذوا الحجاب فرأى الناس ان ذلك قد كفاهم من الاستئذان الذي

أفلا يشكرون وقال في هذه الآية الكريمة كذلك نسخناها لكم لعلمكم تشكرون (ان ينال الله لحومها ولادماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك نسخناها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين) يقول تعالى انما شرع لكم هذه الهدايا والضحايا لتذكروا عندها فانه الخالق الرازق لأنه يناله شيء من لحومها ولادماؤها فانه تعالى هو الغني عما سواه وقد كانوا في جاهليتهم اذا ذبحوها لآلهتهم وضعوا عليها من لحوم قراينهم ونضخوا عليها من دماها فقال تعالى لن ينال الله لحومها ولادماؤها وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن أي حجاج حدثنا ابراهيم بن المختار عن ابن جريج قال كان أهل الجاهلية ينضحون البيت بلحوم الابل ودماها فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن أحق ان ننضح فأمر الله لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم أي يتقبل ذلك ويجزي عليه كما جاء في الصحيح ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى أفعالكم

ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم وجاء في الحديث ان الصدقة لا تقبض في يد الرحمن قبل ان تقع في يد السائل وان الدم ليقع من الله
 بمكان قبل ان يقع الى الارض كما تقدم في الحديث رواه ابن ماجه والترمذي وحسنه عن عائشة مرفوعة عنه انه سبق لتحقيق
 القبول من الله لمن أخلص في عمله وليس له معنى يتبادر عند العلماء المحققين سوى هذا والله أعلم وقال وكيع عن يحيى بن مسلم بن
 الفخار سألت عامراً الشعبي عن جلود الاضاحي فقال لن يخال الله لحومها ولا دماؤها وان شئت فسميت وان شئت
 فتصدق وقوله كذلك يخبرها لكم أى من أجل ذلك يخبركم الله ان لا تكبروا الله على ما هذا لكم كماله
 وشعره وما يحبه ويرضاه ومنها لكم عن فعل ما يكرهه ويأباه وقوله وبشر المحسنين أى وبشر يا محمد المحسنين أى في عملهم القائلين
 بحدود الله المتبعين ما شرع لهم (٣٤٤) المصدقين الرسول فيما بلغهم وجاءهم به من عند ربهم عز وجل (مسئلة) وقد

ذهب أبو حنيفة ومالك والثوري
 الى القول بوجوب الاضيحة على
 من ملك نصاباً وزاد أبو حنيفة
 اشتراط الإقامة أيضاً واحتج لهم
 بما رواه أحمد وابن ماجه بإسناد
 رجاله كلهم ثقات عن أبي هريرة
 مرفوعة عن وجدسعة فلم يضح
 فلا يقرب من مصلا ناعلى ان فيه غرابة
 واستنكره أحمد بن حنبل وقال
 ابن عمر أقام رسول الله صلى الله
 عليه وسلم عشرين يوماً يضحى رواه
 الترمذي وقال الشافعي وأحمد
 لا تجب الاضيحة بل هي مستحبة
 لما جاء في الحديث ليس في المال
 حق سوى الزكاة وقد تقدم انه
 عليه الصلاة والسلام ضحى عن
 أمته فاستقط ذلك وجوبها عنهم
 وقال أبو شريحة كنت جارا لابي
 بكر وعمر فكانا لا يضحيان خشية
 ان يقتدى الناس بهما وقال
 بعض الناس الاضيحة سنة
 كفاية اذا قام به واحد من أهل

أمرها به وعن ابن عمر في الآية قال هي على الذكور دون الاناث ولا وجه لهذا التخصيص
 فالاطلاع على العورات في هذه الاوقات كما يكرهه الانسان من الذكور يكرهه من
 الاناث وعن السلمي قال هي في النساء خاصة والرجال يستأذنون على كل حال بالليل والنهار
 وعن ابن مسعود قال عليكم اذن على أمهاتكم وعنه قال يستأذن الرجل على أبيه وأمه
 وأخيه وأخته أخرجه البخاري في الادب وعن جابر نحوه وسئل الشعبي عن هذه الآية
 أمسوخة هي قال لا والله قال السائل ان الناس لا يعملون بها قال والله المستعان وقال
 سعيد بن جبير ان ناسا يقولون ان هذه الآية نسخت والله ما نسخت ولكنها ممتاهاون به
 الناس وقال سعيد بن المسيب انها منسوخة والاول أولى (ليس عليكم ولا عليهم جناح
 بعدهن) أى ليس على الممالك ولا على الصبيان اثم في الدخول بغية يستأذنان لعدم
 ما يوجب من مخالفة الامر والاطلاع على العورات بعد كل واحدة من هذه العورات
 الثلاث وهي الاوقات المختلة بين كل اثنين منها والجملة مستأنفة مقررة للامر بالاستئذان
 في تلك الاحوال خاصة وقال أبو البقاء بعدهن أى بعد استئذانهم فيمن ورد بانه لا حاجة
 الى هذا التقدير الذي ذكره بل المعنى ليس عليكم جناح ولا عليهم أى العبيد والاماء
 والصبيان في عدم الاستئذان بعد هذه الاوقات المذكورة (طوافون) أى هم طوافون
 (عليكم) والجملة مستأنفة مبينة للعدول عن المرخص في ترك الاستئذان والمعنى يطوفون
 عليكم ومنه الحديث في الهرة انما هي من الطوافين عليكم أو الطوافات أى هم خدمكم
 فلا بأس ان يدخلوا عليكم في غير هذه الاوقات بغير اذن (بعضكم) يطوف أو طائف
 (على بعض) والجملة بدل مما قبلها أو مؤكدة لها والمعنى ان كلامكم يطوف على صاحبه
 العبيد على المولى والمولى على العبيد وانما أباح سبحانه الدخول في غير تلك الاوقات
 الثلاثة بغير استئذان لانها كانت العادة انهم لا يكشفون عوراتهم في غيرها (كذلك)

اي

دار او محلة أو بيت سقطت عن الباقي لان المقصود اظهار الشعار وقدرى الامام

أحمد وأهل السنن وحسنه الترمذي عن مخنف بن سليم انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعرفات على كل أهل بيت في
 كل عام انحاضة وعتيرة هل تدرون ما العتيرة هي التي تدعونها الرحبية وقد تكلم في اسنادها وقال أبو أيوب كان الرجل في عهد
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحى بالشاة الواحدة عنه وعن أهل بيته فبأكلون ويضعون حتى ينالها الناس فصار كما ترى رواه
 الترمذي وصححه وابن ماجه وكان عبد الله بن هشام يضحى بالشاة الواحدة عن جميع أهل له رواه البخاري وأما مقدار سن الاضيحة
 فقد روى مسلم عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تدبحوا الا مسنة الا ان تعسر عليكم فتذبحوا جذعة من الضأن
 ومن ههنا ذهب الزهري الى ان الجذع لا يجزى وقابله الاوزاعي فذهب الى ان الجذع يجزى من كل جنس وهما غريبان والذي عليه

الجهور وانما يجزئ النفي من الابل والبقر والمعز والجدع من الضأن فاما النفي من الابل فهو الذي له خمس سنين ودخل في السادسة ومن البقر ماله سنتان ودخل في الثالثة وقبل ماله ثلاث ودخل في الرابعة ومن المعز ماله سنتان واما الجدع من الضأن فقبل ماله سنة وقبل عشرة أشهر وقبل ثمانية وقبل ستة أشهر وهو أقل ما قيل في سنه وما دونه فهو حمل والفرق بينهما ان الحمل شعر ظهرة قائم والجدع شعر ظهرة نائم قد انشرق صدغين والله أعلم (ان الله يدفع عن الذين آمنوا ان الله لا يحب كل خوان كفور) يخبر تعالى انه يدفع عن عباده الذين توكلوا عليه وآبوا اليه بشر الاشرار وكيد النجار ويحفظهم (٣٤٥) ويكفؤهم وينصرهم كما قال تعالى أليس الله بكاف عبده وقال ومن يتوكل

أي مثل ذلك التبيين (بين الله لكم الآيات) الدالة على ما شرعه لكم من الاحكام (والله عليم) أي ككثير العلم بالمعلومات (حكيم) كثير الحكمة في أفعاله (واذا بلغ الاطفال منكم الحلم) بين سبحانه ههنا حكم الاطفال الاحرار اذا بلغوا الحلم بعد ما بين فيما مر حكم الاطفال الذين لم يبلغوا الحلم في انه لا جناح عليهم في ترك الاستئذان فيما عدا الاوقات الثلاثة فقال (فليستأذنوا) اذا دخلوا عليكم في جميع الاوقات (كما استأذن الذين من قبلهم) الموصول عبارة عن الذين قيل لهم لا تدخلوا بيوتكم حتى تسألوا الآية والمعنى استئذاننا كما استأذن الاحرار الكبار الذين أمروا بالاستئذان من غير استئناء قال عطاء واجب على الناس ان يستأذوا اذا دخلوا الاحرار كانوا أوعيدا وسئل حذيفة أي يستأذن الرجل على والدته قال نعم ان لم تفعل رأيت منها ما تكره وقال الزهري وسعيد بن المسيب يستأذن الرجل على أمه وفي هذا المعنى نزات هذه الآية (كذلك بين الله لكم آياته والله عليم) بأمر خلقه فيما بين من الاحكام (حكيم) بما دبر وشرع من مصالح الانام (واقواء من النساء) المراد بهن العجائز اللاتي قد عدن عن الحيض أو عن الاستمتاع أو عن الولد من الكبر فلا يلدن ولا يحضن واحداثها قاعد بلاهاء ليدل حداثها على انه قعود الكبر كما قالوا امرأة حامل ليدل حذف الهاء على انه حمل حبل ويقال قاعدة في بيتها وحامله على ظهرها قال الزجاج هن اللاتي قد عدن عن التزويج وهو معنى قوله (اللاتي لا يرجون نكاحا) أي لا يطعن فيهن لكبرهن وقال ابو عبيدة اللاتي قد عدن عن الولد وليس هذا بمستقيم لان المرأة تقعد عن الولد وفيها مستمتع وقيل هن العجائز اللواتي اذا رآهن الرجال استعذروهن فامامن كانت فيها بقية جمال وهي محل الشهوة فلا تدخل في حكم هذه الآية ثم ذكر سبحانه حكم القواعد فقال (فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن) التي تكون على ظاهر البدن كالجلباب والرداء الذي فوق الثياب والقناع الذي فوق الخمار ونحوها لا الثياب التي على العورة الخاصة والخمار وانما جازا لهن ذلك لانصراف الانفس عنهن اذ لا رغبة للرجال فيهن فأباح الله سبحانه لهن ما لم يبحه لغيرهن وعن ابن عباس في الآية قال هي المرأة لا جناح عليها ان تجلس في بيتها بدرع وخمار وتضع عنها الجللاب ما لم تتبرج بما كرهه الله وعنه انه كان يقرأ ان يضعن من

الله بكاف عبده وقال ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا وقوله ان الله لا يحب كل خوان كفور أي لا يحب من عباده من اتصف به ذا وهو الخيانة في العهود والمواثيق لا يفي بما قال والكفر الجدل لا نيم فلا يعترف بها (اذن) للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين اخرجوا من ديارهم بغريحتي الا ان يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت صوامع ويبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا وينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز قال العوفي عن ابن عباس نزات في محمد وأصحابه حين اخرجوا من المدينة وقال غير واحد من السلف كابن عباس ومجاهد وعروة بن الزبير وزيد بن أسلم ومقاتل بن حيان وقتادة وغيرهم هذه أول آية نزات في الجهاد واستدل بهذه الآية بعضهم على ان السورة مدنية وقاله مجاهد والضحاك وقتادة وغير واحد وقال ابن جرير حدثني يحيى بن داود الواسطي حدثنا اسحق بن

(٤٤ - فتح البيان سادس) يوسف عن سفيان عن الاعمش عن مسلم هو البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما أخرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة قال أبو بكر أخر جوائنهم ان الله وانا اليه راجعون ليهلكن قال ابن عباس فانزل الله عز وجل أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير قال ابو بكر رضي الله تعالى عنه فعرفت انه سيكون قتال ورواه الامام أحمد عن اسحق بن يوسف الازرق به وزاد قال ابن عباس وهي أول آية نزات في القتال ورواه الترمذي والنسائي في التفسيرين سننهما وابن أبي حاتم من حديث اسحق بن يوسف زاد الترمذي وو كسيع كلاهما عن سفيان الثوري به وقال الترمذي حديث حسن وقدره وغير واحد عن الثوري وليس فيه ابن عباس وقوله وان الله على نصرهم لقدير أي هو قادر على نصر عباده المؤمنين

من غير قتال ولكن هو يريد من عباده ان يلو جاهد هم في طاعته كما قال فاذا القيمم الذين كثر وافضرب الرقاب حتى اذا ائتمنتهم فشدوا الوثاق فاما منابعدوا ما فدا حتى تضع الحرب اوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليس ببعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يصل اهلهم سيدهم ويصل بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم وقال تعالى فانه لو هم بعدهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم - ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم وقال أم حسبكم ان تتركوا اوليا يعلم الله الذين (٢٤٦) جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله وللمؤمنين واجبة والله

خبير بما تعملون وقال ام حسبكم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين وقال ولنبلونكم حتى تعلم الجاهدين منكم والصابرين ونبأوا خبركم والاثبات في هذا كثيرة ولهذا قال وان الله على نصرهم لقدير ولهذا قال ابن عباس في قوله وان الله على نصرهم لقدير وقد فعل وانما شرع تعالى الجهاد في الوقت الاخير به لانهم لما كانوا بمكة كان المشركون أكثر عددا بلوا أمر المسلمون وهم أقل من العشر بقتال الباقي لاشق عليهم ولهذا الما يبيع أهل يثرب ليله العترة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا فيها وغنائين قالوا يا رسول الله الانجيل على أهل الوادي يعنون أهل منى ليا إلى منى فقتلهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لم أومر بهذا فلما بغي المشركون وأخرجوا النبي صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم وهموا بقتله وشردوا اصحابه شذر مذرف ذهاب منهم طائفة الى الحدة وآخرون الى المدينة فلما استقروا بالمدينة ووفاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتبعوا

ثيابهين ويقول هو الجلباب وعن ابن ع - ر قال تضع الجلباب وعن ابن مسعود ومثله وزاد الرداء ثم استننى حالة من حالاتهم فقال (غيره مبرجات بزينة) اي غيره مظهرات للزينة التي امرن باخذها في قوله ولا يبدن زينتهن لينظر اليهن الرجال اوزينة خفية كئلا لدة وسواروخ لخال والتبرج الكشف والظهور للعبون والله كف في اظهار ما يخفى و اظهار المرأة زينتها ومحاسنها للرجال ومنه بروج مشيدة وبروج السماء ومنه قولهم سفينة بارجة اي لا غطاء عليها (وان يستعفن) اي وان يترك وضع الثياب ويطلب العفة عنه وقرئ بغير السين (خير اهلن والله سميع عليم) اي كثير السماع والعلم بما يغيبها (ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج) اختلاف اهل العلم في هذه الآية هل هي محكمة او منسوخة قال بالاول جماعة من العلماء وبالثاني جماعة قيل ان المسلمين كانوا اذا غزوا خلفوا ازمناتهم وكانوا يدفعون اليهم مفاتيح ابوابهم ويقولون لهم قد احللنا لكم ان تأكلوا مما في بيوتنا وكانوا يخرجون من ذلك وقالوا لا ندخلها وهم غيب ففزلت هذه الآية رخصة لهم فعني الآية بقي الحرج عن الزمى في أكلهم من بيوت أفارهم أو بيوت من يدفع اليهم المفتاح اذا خرج للغزو وقال النحاس وهذا القول من أجل ما روى في الآية فيه عن الصحابة والنسابة من التوقيف وقيل ان هؤلاء المذكورين كانوا يخرجون من مؤاكلة الاصحاء حذرا من استقذارهم اياهم وخوف ان تأذيهم بما يفعلهم ففزلت وقيل ان الله رفع الحرج عن الاعمى فيما يتعلق بالكليف الذي يشترط فيه البصر وعن الاعرج فيما يشترط في التكليف به القدرة الكاملة على المشي على وجهه يتعذر الاتيان به مع العرج وعن المريض فيما يؤثر المرض في اسقاطه وقيل المراد بهذا الحرج المدفوع عن هؤلاء هو الحرج في الغزوى لا الحرج على هؤلاء في تأخيرهم عن الغزو وقيل كان الرجل اذا دخل أحد من هؤلاء الزمى الى بيته فلم يجد فيه شيئا بطعمهم اياه ذهب بهم الى بيوت قرابته فيخرج الزمى من ذلك ففزلت وعن سعيد بن جبير قال لما نزلت يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل قالت الانصار ما بالمدينة من مال أعز من الطعام كانوا يخرجون أن يأكلوا مع الاعمى يقولون انه لا يصبر موضع الطعام وكانوا يخرجون الاكل مع الاعرج يقولون ان الصحيح يسبقه الى المكان ولا يستطيع ان يراحم ويخرجون الاكل مع المريض يقولون لا يستطيع أن يأكل مثل الصحيح وكانوا

عليه وقاموا بنصره وصارت لهم دار اسلام ومعدلا لجئون اليه شرع الله جهادا لاعداء فكانت هذه الآية أول يخرجون منازل في ذلك فقال تعالى أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق قال العوفي عن ابن عباس أخرجوا من مكة الى المدينة بغير حق يعني محمد واصحابه الا ان يقولوا ربنا الله أي ما كان لهم الى قومهم اساءة ولا كان لهم ذنب الا أنهم وحدوا الله وعبدوه لاشربك له وهذا استثناء منقطع بالنسبة الى ما في نفس الامر وأما عند المشركين فانه أكبر الذنوب كما قال تعالى يخرجون الرسول واياكم ان تؤمنوا بالله ربكم وقال تعالى في قصة أصحاب الاخدود وما تقدموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحكيم ولهذا لما كان المسلمون يرتجزون في بناء الخندق ويقولون لاهل لولا أنت ما هتدينا ولا تصدقنا ولا صلنا

فانزلن سكينه علينا * وثبت الاقدام ان لا قيمنا ان الا الى قد بغوا علينا * اذا ارادوا فتنه ائمتنا

فيوافقه - هم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول معهم آخر كل فافية فاذا قالوا اذا ارادوا فتنه ائمتنا يقول ائمتنا عديهم صوته ثم قال تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض اى لولا انه يدفع بقوم عن قوم ويكف شرور الناس عن غيرهم عما يخلفه وبقدره من الاسباب لفسدت الارض ولاهلك القوى الضعيف لهدمت صوامع وهى المعابد الصغار للرهبان قاله ابن عباس ومجاهد وأبو العالية وعكرمة والضحاك وغيرهم وقال قتادة هى معابد الصابئين (٣٤٧) وفي رواية عنه صوامع الجوس وقال مقاتل

ابن حبان هى البيوت التى على الطرق ويبيع وهى أوسع منها وأكثر عابدين فيها وهى للنصارى أيضا قاله ابو العالية وقتادة والضحاك وابن صخر ومقاتل ابن حبان وخفيف وغيرهم وحكى ابن جبير عن مجاهد وغيره انها كنائس اليهود وحكى السدى عن حدثه عن ابن عباس انها كنائس اليهود ومجاهد انما قال هى الكنائس والله أعلم وقوله وصلوات قال العوفى عن ابن عباس الصلوات الكنائس وكذلك قال عكرمة والضحاك وقتادة انها كنائس اليهود وهم يسمونها صلوات وحكى السدى عن حدثه عن ابن عباس انها كنائس النصارى وقال أبو العالية وغيره الصلوات معابد الصابئين وقال ابن أبى نجيح عن مجاهد الصلوات مساجد لاهل الكتاب واهل الاسلام بالطرق واما المساجد فهى للمسلمين وقوله يذكرفها اسم الله كثير فقد قيل الضمير فى قوله يذكرفها عائدا الى المساجد لانه اقرب المذكورات وقال الضحاك الجميع يذكرفها

يتخرجون أن يأكلوا فى بيوتهم فنزلت ايس على الاعمى يعنى فى الاكل مع الاعمى وعن مقسم نحوه وعن مجاهد قال كان الرجل يذهب بالاعمى أو الأعرج أو المريض الى بيت أمه أو بيت أخيه أو بيت عمه أو بيت عمة أو بيت خاله أو بيت خالته فكان الرمنى يتخرجون من ذلك يقولون انما يذهبون بنا الى بيوت غيرهم فنزلت هذه الآية رخصة لهم وعن عائشة قالت كان المساكين يرغبون فى التفرغ مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم فيدفعون مفاتيحهم الى زمناهم ويقولون لهم قدأدملناكم أن تأكلوا مما احتجتم اليه فكلوا يقولون انه لا يحل لنا أن تأكل انهم أذنوا الثامن غير طيب نفس وانما نحن زمنى فانزل الله ولاعلى أنفسكم أن تأكلوا الى قوله أو مما ملكتم مفاتيحه كجاسياتى وعن ابن عباس قال لما نزلت يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل قال المساكين ان الله قد غفرنا ان تأكل أموالنا بيننا بالباطل والطعام هو أفضل الاموال فلا يحل لاحد منا أن يأكل عند أحد ففكف الناس عن ذلك فانزل الله ليس على الاعمى حرج الى قوله أو مما ملكتم مفاتيحه وهو الرجل يترك الرجل بضعته والذى رخص الله ان يأكل من ذلك الطعام والتروى شرب اللبن وكلوا أيضا يتخرجون أن يأكل الرجل الطعام وحده حتى يكون معه غير فرخص الله لهم فقال ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا واشتاتا وعن الضحاك قال كان أهل المدينة قبل ان يبعث النبى صلى الله عليه وآله وسلم لا يجالطهم فى طعامهم أعمى ولا مريض ولا أعرج لا يستطيع المزاوجة على الطعام فنزلت رخصة فى طعامهم وعن الزهرى انه سئل عن قوله ليس على الاعمى حرج ما بال الاعمى والأعرج والمريض ذكرها هذا فقال أخبرنى عبيد الله بن عبد الله ان المسلمين كانوا اذا غزوا واخذوا زمناهم وكلوا يدفعون اليهم مفاتيح أبوابهم يقولون قدأدملناكم أن تأكلوا مما فى بيوتنا وكلوا يتخرجون من ذلك يقولون لاندخلها وهم غيب فانزل الله هذه الآية رخصة لهم (ولا على أنفسكم) أى عليكم وعلى من يماثلكم من المؤمنين وهذا ابتداء كلام مستأنف أى ولا عليكم أيها الناس والحاصل ان رفع الحرج عن الاعمى والأعرج والمريض ان كان باعتبارهم أو كلمة الاصحاء أو دخول بيوتهم فيكون ولاعلى أنفسكم متصلا بما قبله وان كان رفع الحرج عن أولئك باعتبار التكليف التى يشترط فيها وجود البصر وعدم العرج وعدم المرض فقوله ولاعلى أنفسكم ابتداء كلام غير متصل بما قبله

اسم الله كثيرا وقال ابن جرير الصواب لهدمت صوامع الرهبان ويبيع النصارى وصلوات اليهود وهى كنائسهم ومساجد المسلمين التى يذكرفها اسم الله كثيرا لان هذا هو المستعمل المعروف فى كلام العرب وقال بعض العلماء هذا ترقى من الأقل الى الأكثر الى ان انتهى الى المساجد وهى أكثر عمارا وأكثر عبادا وهم ذوو القصد الصحيح وقوله لا ينصرون الله من ينصره كقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم والذين كفروا فتنصروا الله هم وأضل اعمالهم وقوله ان الله أقوى عزى وصف نفسه بالقوة والعزة فبقوته خلق كل شئ فقدره تقدير او بعزته لا يقهره قاهر ولا يغلبه غالب بل كل شئ ذليل لديه فقير اليه ومن كان القوى العزيز ناصره فهو المنصور وعدوه هو المقهور قال الله تعالى ولقد سبقت كتبنا العبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم

الغالبون وقال تعالى كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز (الذين أن مكأهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو الربيع الزهراني حدثنا جابر بن زيد عن أيوب وهشام عن محمد قال قال عثمان بن عفان فينا نزلت الذين أن مكأهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فأخرجنا من ديارنا بغير حق إلا أن قلنا ربنا الله ثم مكأ في الأرض فأقمنا الصلاة وآتينا الزكاة وأمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر ولله عاقبة (٣٤٨) الأمور فهي لي ولا أصحابي وقال أبو العالية هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم

وقال الصباح بن سوار الكندي سمعت عمر بن عبدالعزيز يحطب وهو يقول الذين أن مكأهم في الأرض الآية ثم قال ألا إنها ليست على الوالي وحده ولكنها على الوالي والمولى عاياه ألا أنبئكم بما لكم على الوالي من ذلكم وبما للوالي عليكم منه إن لكم على الوالي من ذلكم إن يأخذكم بحقوق الله عليكم وإن يأخذ بلبه منكم من بعض وإن يهديكم إلى هي اقوم ما استطاع وإن عليكم من ذلك الطاعة غير المبزوزة ولا المستكبر بها ولا الخائف سرها إعلانتها وقال عطية العوفي هذه الآية كقولهم وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض وقوله ولله عاقبة الأمور كقوله تعالى والعاقبة للمتقين وقال زيد بن أسلم ولله عاقبة الأمور وعند الله ثواب ما صنعوا (وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير فكلين من قرية

(أن تأكلوا) أنتم ومن معكم (من يوتكم) أي البيوت التي فيها متاعكم وأهلكم فيدخل بيوت الأولاد كذا قال المفسرون لأنها داخله في بيوتهم لم يكون بيت ابن الرجل بيته فإذ لم يذكر سبحانه بيوت الأولاد ذكر بيوت الآباء وبيوت الأمهات ومن بعدهم قال النحاس وعارض بعضهم هذا فقال هذا تحكم على كتاب الله سبحانه بل الأولى في الظاهر أن يكون الابن مخالفه ولأبويه واجب عن هذه المعارضة بأن رتبة الأولاد بالنسبة إلى الآباء لا تنقص عن رتبة الآباء بالنسبة إلى الأولاد بل للآباء خصوصية في أموال الأولاد لحديث أنت ومالك لا بد واحد حديث زيد الرجل من كسبه وقد ذكر سبحانه بيوت الأخوة والأخوات بل بيوت الأعمام والعلمات بل بيوت الأخوال والخالات فكيف ينبغي سبحانه الخرج عن الكل من بيوت هؤلاء ولا ينبغي عن بيوت الأولاد والمعنى من بيوت أزواجكم لأن بيت المرأة كبيت الزوج ولأن الزوجين صاروا كنفس واحدة وقيل أراد من أموال عيالكم والعوم أولى فيشمل الكل (أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت أخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم) وقد قيد بعض العلماء جواز الكل من بيوت هؤلاء بالأذن منهم لأن الأذن ثابت دلالة وقال آخرون لا يشترط الأذن قيل وهو هذا إذا كان الطعام مبدولا فإن كان محرزا دونهم لم يجزهاهم أم كله قال الخطيب هؤلاء يكفي فيهم أدنى قرينة بل ينبغي أن يشترط فيهم أن لا يعلم عدم الرضا بخلاف غيرهم من الجانب فلا بد فيهم من سر يخبر الأذن أو قرينة قوية هذا ما ظهر لي ولم أر من تعرض لذلك ثم قال سبحانه (أو أموالكم مفتاحه) أي البيوت التي تكون التصرف فيها بأذن آباءهم أو ذلك كلوا كلاً والخزان فأنهم لم يكونوا التصرف في بيوت من أذن لهم بدخول بيته وأعطاهم مفتاحه وقيل المراد بها بيوت المماليك قرى ملككم بفتح الميم وتخفيف اللام وبضم الميم وكسر اللام مع تشديد هاو قرى مفتاحه ومفتاحه على الأفراد والمفاتيح جمع مفتاح والمفاتيح جمع مفتاح (أو صدقكم) أي لا جناح عليكم أن تأكلوا من بيوت صدقكم وإن لم يكن بينكم وبينه قرابة فإن الصدق في الغالب يسمح لصديقه بذلك وتطيب به نفسه والصدق يطلق على الواحد والجمع ومثله العدو والخليطو القطين والعشيرة قال قتادة إذا دخلت بيت صديقك من غير موافقة ثم أكلت من طعامه بغير إذنه لم يكن ذلك بأس وعن ابن زيد

قال

أهدأها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطاة وقصر مشيد فلم يسروا

في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها وأذان يسمعون بها فأنهم لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور يقول تعالى مسلياً النبيه محمد صلى الله عليه وسلم في تكذيب من خلفه من قومه وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح إلى أن قال وكذب موسى أي مع ما جاء به من الآيات البينات والدلائل الواضحات فأمليت للكافرين أي أنظرتهم وأخرتهم ثم أخذتهم فكيف كان نكير أي فكيف كان انكارى عليهم ومعاقبتى لهم وذكر بعض السافه أنه كان بين قول فرعون أقومهم أنا ربكم الأعلى

وبين اهلالك الله له اربعون سنة وفي الصحاح عن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله ليلي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته ثم قرأ وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذ اليهم شديد ثم قال تعالى فكايين من قرية اهلكناها أي كم من قرية اهلكتموها وهي ظالمة أي مكذبة لرسولها فهي خاوية على عروشها قال الضحاك سقوطها أي قد خربت منازلها وتطلت حواضرها وبئر معطلة أي لا يستقي منها ولا يرد لها احد بعد كثرة واديعها والازدحام عليها وقصر مشيد قال عكرمة يعني المبيض بالخص وروى عن علي بن ابي طالب ومجاهد وعطاء وسعيد بن جبيرة وأبي المليح والضحاك (٣٤٩) نخوذ ذلك وقال آخرون هو المنيف المرتفع وقال آخرون المشيد المنيع الحصين

وكل هذه الاقوال متقاربة ولا منافاة بينها فانه لم يحرم اهل هذه بناءه ولا ارتفاعه ولا احكامه ولا حصاته عن حلول بأس الله بهم كما قال تعالى اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وقوله أفلم يسروا في الارض أي يابداهم وتفكرهم أي ايضا وذلك كاف كما قال ابن أبي الدنيا في كتاب التفكير والاعتبار حدثنا هرون بن عبد الله حدثنا سيار حدثنا جعفر حدثنا مالك بن دينار قال أوحى الله تعالى الى موسى بن عمران عليه السلام ان يا موسى اخذناك من حديد وعصا تمسح في الارض ثم اطلب الاثام والعبث حتى يخرق النعلان وتنكسر العصا وقال ابن ابي الدنيا قال بعض الحكماء احب قلبك بالمواعظ ونوره بالتنكير وموته بالزهد ودوقه باليقين وذلك بالموت وقسده بالغنى وبصره بخفايع الدنيا وحذره صولة الدهر وخش قلبه الايام وأعرض عليه أخبار الماضين وذكره ما اصاب من كان قبله وسيره في ديارهم وآثارهم

قال هذا شيء قد انقطع انما كان هذاني أوله ولم يكن لهم أبواب وكانت الستة ورمح خاة فربما دخل الرجل البيت وليس فيه أحد فربما وجد الطعام وهو جائع فسوغه الله أن يأكله وقال ذهب ذلك اليوم البيوت فيها أهلها فاذا خرجوا أغلقوا قال النسفي فاما الآن فقد غلب الشح على الناس فلا يترك الاباذن انتهى قال المحلى المعنى يجوز لا كل من بيوت من ذكر وان لم يحضروا أي الاصناف الاحد عشر اذا علم رضاهم به بصريح اللفظ او بالقرينة وان كانت ضعيفة وخصوا هؤلاء بالذكر لان العادة جارية بالنسب بينهم وقيل ان هذا كان جائزا في صدر الاسلام ثم نسخ والاو أولى ثم قال سبحانه (ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا واثنتان) أي مجتمعين او منفترقين جمع شت وهو المصدر بمعنى التفرق يقال شت القوم أي تفرقوا وهذا كلام مستأنف مشتمل على بيان حكم آخرون جنس ما قبله وقد كان بعض العرب يهرج أن يأكل وحده حتى يجده اكيلا يؤا كاه فيأكل معه بعض العرب كان لا يأكل الا مع ضيف قال قتادة كان هذا الحى منى فكانة بن خزيمة يرى أحدهم ان عليه مخزاة أن يأكل وحده في الجاهلية حتى ان كان الرجل يسوق الذود الحفل وهو جائع حتى يجده من يؤا كاه ويشاربه فأنزل الله هذه الآية وعن عكرمة وأبي صالح قال كانت الانصار اذا نزل بهم الضيف لا يأكلون حتى يأكل الضيف معهم فنزلت رخصة لهم وعن ابن عباس قال خرج الحارث غازيا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخاف على أهله خالد بن يزيد فخرج أن يأكل من طعامه وكان مجهودا ففترت وقد ترجم البخاري في صحيحه باب قوله تعالى هذا ومقصوده فيما قال أهل العلم في هذا الباب اباحة الاكل جميعا وان اختلفت أحوالهم في الاكل فقد سوغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك فصار سنة في الجماعات التي تدعى الى الطعام في الهند والواليات والاملاق في السمر وما ملكت منها فتحه بامانة أو قرابة أو صداقة فأتى تأكل مع التريب أو الصديق ووجدك والهند ما يجتمع الرفقاء من مال او طعام على قدر نفقتهم فينفقونه بينهم قال ابن دريد يقال من ذلك تناهد القوم الشيء بينهم قال الهزلي وفي حديث الحسن أخرجوا نهدكم فانه أعظم للبركة وأحسن لاخلادكم والهند ما تخرجه الرفقة عند المناهدة وهو استقسام النفقة بالسوية بالسفر وغيره (فاذا دخلتم بيوتا) هذا شروع في بيان أدب آخر أدب به عبادته أي اذا دخلتم بيوتا غير البيوت التي تقدم ذكرها (فسلموا على أنفسكم) أي على

وانظر ما فعلوا واين حلوا وعم انقلبوا أي فانظروا ما حل بالامم المكذبة من النقم والذكال فتكون لهم قلوب يعقلون بها وأذان يسمعون بها أي فيعتبرون بها فانه لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور أي ليس العمى عى البصر وانما العمى عى البصيرة وان كانت القوة الباصرة سليمة فانه لا تتبدى الى العبر ولا تدرى ما الخبر وما احسن ما قاله بعض الشعراء في هذا المعنى وهو أبو محمد عبد الله بن محمد بن جبار الاندلسي التستري وقد كانت وفاته سنة سبع عشرة وخمسة مائة يامن يصبح الى داعي الشقاء وقد نادى به الناعميان الشيب والكبر

ان كنت لاتسمع الذكرى فقمى ترى * فى رأسك الواعيان السمع والبصر
ليس الاصم ولا الاعى سوى رجل * لم يمهده الهاديان العين والاثر
لادهر يبقى ولا الدنيا ولا التلاك الاعلى ولا النيران الشمس والقمر
ليرحلن عن الدنيا وان كرها * فراقها الثاويان البدو والحضر

(ويستجلبونك بالعذاب ولن يخفاف
350) الله وعده وان يوما عند ربك كاف سنة مما تعدون وكاين من قرية أملت

أهلها الذين هم بمنزلة أنفسكم وقيل المراد البيوت المذكورة سابقا وعلى القول الاول
فتعال الحسن والخفى هي المساجد والمراد سلوا على من فيها من صنف منكم فان لم يكن فى
المساجد أحد فقيل يقول السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقيل يقول
السلام عليكم مرىب اللسانكة وقال بالقول الثانى اعنى انها البيوت المذكورة سابقا
جماعة من الصحابة والتابعين وقيل المراد بالبيوت هنا كل البيوت المسكونة وغيرها
فيسلم على أهل المسكونة وأما غير المسكونة فيه لم على نفسه بان يقول السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين قال ابن العربى القول بالعموم فى البيوت هو الصحيح ولا دليل على
التخصيص وأطلق القول ليدخل تحت هذا العموم كل بيت كان لغير أو لنفسه فإذا
دخل بيتا لغيره استأذن (تحية) أى تحية ثابتة صادرة مشروعة (من عند الله)
أى من جهته ومن لده يعنى ان الله حياكم بها وقال الفراء ان الله أمركم أن تفعلوها طاعة
له ثم وصف هذه التحية فقال (مباركة) أى كثيرة البركة والخير داعية ما يناب عليها (طيبة)
أى طيب بها نفس المستمع وقيل حسنة جميلة وقال الزجاج أعلم الله سبحانه ان السلام
مبارك طيب لما فيه من الاجر والثواب قال ابن عباس فى الآية وهو السلام لانه اسم الله
وهو تحية أهل الجنة وعن جابر بن عبد الله قال اذا دخلت على اهلك فسلم عليهم تحية من
عند الله مباركة طيبة أخرجه البخارى وغيره وعن ابن عباس قال هو المسجد اذا دخلته
فتل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وعن ابن عمر قال اذا دخلت البيت غير
المسكون او المسجد فقل السلام الخ (كذلك بين الله لكم الايات) أى يفصل لكم معالم
دينكم تأكيدهما سابق وقد قدمنا ان الاشارة بذلك الى مصدر النعل (لعلكم تعقلون)
تعليل لذلك التبيين برباءة تعقل آيات الله سبحانه وفهم معانيها (انما المؤمنون الذين آمنوا
بالله ورسوله) مستأنفة مسوقة لتقرير ما تقدمها من الاحكام وانما من صيغ الحصر
والمعنى لا يتم ايمان ولا يكمل حتى يؤمن بالله ورسوله (واذا كانوا مع رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم هوصلة ثانية ومحط الكمال (على أمر جامع) أى طاعة يجمعون
عليها انحاء الجماعة والجماعة والخروج والنظر والجهاد أو تشاور فى أمر واحد وبذلك يسمى
الامر جامعاً بالغة وفيه اسناد مجازى لان الامر لما كان سبباً فى جمعهم نسب الجمع اليه

اهواهى ظالمه ثم أخذتها والى
المصير) يقول تعالى لنبيه صلوات
الله وسلامه عليه ويستجلبونك
بالعذاب أى هؤلاء الكفار المخذون
المكذبون بالله وكتابه ورسوله واليوم
الاخر كما قال تعالى واذا قالوا اللهم
ان كان هذا هو الحق من عندك
فامطر علينا حجارة من السماء أو
اثننا بعذاب أليم وقالوا ربنا عمل لنا
قطنا قبل يوم الحساب وقوله ولن
بخلاف الله وعده أى الذى قد وعد
من اقامة الساعة والانتقام من
أعدائه والاكرام لاوليائه قال
الاصمى كنت عند أبى عمرو بن العلاء
فخافه عمرو بن عبد قيس قال يا أبا عمرو
هل يخالف الله المعاد فقال لا فذكر
آية وعيد فقال له أمن العجم أنت
ان العرب تعد الرجوع عن الوعد
لوما وعن الابعاد كرمأ ما سمعت
قول الشاعر

ليهرب ابن العم والجار سطوتى
ولا أنثنى عن سطوة المتدد
فانى وان أوعدته أو وعدته

لخلاف ابعادى ومنجز موعدى
وقوله وان يوما عند ربك كاف
سنة مما تعدون أى هو تعالى

لا يجعل فان مقدار ألف سنة عند خلقه كيوم واحد عند ما النسبة الى حامله لعله بانه على الانتقام قادر وأنه
لا يفوته شئ وان أجل وأنظروا أملى ولهذا قال بعده ذاك من قرية أملت لها وهى ظالمه ثم أخذتها والى المصير قال ابن
أبى حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا عبدة بن سليمان عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال يدخل فقرا المسلمين الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم خمسمائة عام ورواه الترمذى والنسائى من حديث الثورى عن محمد بن
عمرو به وقال الترمذى حسن صحيح وقد رواه ابن جرير عن أبى هريرة موقوفا قال حدثني يعقوب حدثنا ابن علية حدثني سعد

الجري عن أبي نصر عن حماد بن عمار قال قال أبوهريرة يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء مقدرا نصف يوم قلت وما مقدرا نصف يوم قال أو ما تقرأ القرآن قلت بلى قال وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون وقال أبو داود في آخر كتاب الملاحم من سننه حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان عن شريح بن عبيد عن سعد بن أبي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إنى لارجوان لا تجزأتى عند ربهم إلا أن يؤخرهم نصف يوم قيل له بعد وما نصف يوم قال خمسة مائة سنة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن إسرائيل عن سمك (٣٥١) عن عكرمة عن ابن عباس وأن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون

مجازا وقرئ على أمر جميع والخاص لئلا الأمر الجامع والجميع هو الذي يتم نفعه أو ضرره وهو الأمر الجليل الذي يحتاج إلى اجتماع أهل الرأي والتجارب (لم يذهبوا) أى يتفرقوا عنه ولم ينصرفوا عما اجتمعوا له لعروض عذرهم (حتى يستأذنه) واعتبار هذا في كمال إيمانهم لأنه كلما صدق لصحته والمميز للمخلص فيه عن المنافق فإن ديدنه وعادته التسلسل والنراوة لتعظيم الحرم في الذهاب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بغير إذنه قال المنسرون كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا دعاه المذنب يوم الجمعة وأراد الرجل أن يخرج من المسجد لحاجة أو لعذر لم يخرج حتى يقوم بحيال النبي صلى الله عليه وآله وسلم حيث يراه فيعرف أنه إنما قام ليس لأذن لمن يشاء منهم قال مجاهد وأذن الامام يوم الجمعة أن يشير بيده قال الزجاج أعلم الله أن المؤمنين إذا كانوا مع بينهم فما يختلف فيه إلى الجماعة لم يذهبوا حتى يستأذنه وكذلك ينبغي أن يكونوا مع الامام لا يخالفونه ولا يرجعون عنه في جمع من جوعهم الأباذنه وللإمام أن ياذن وله أن لا ياذن على ما يرى لقوله فأذن لمن شئت منكم قال العلماء كل أمر اجتمع عليه المسلمون مع الامام لا يخالفونه ولا يرجعون عنه الأباذن ثم قال سبحانه مؤكدا على أسلوب ابلغ ومعظمه هذا الأمر (ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله) فبين سبحانه ان المستأذنين هم المؤمنون بالله ورسوله كحكمه اولابان المؤمنين الكاملين الايمانهم الجامعون بين الايمان بهما وبين الاستئذان وان الذهاب بغير اذن ليس كذلك (فاذا استأذنتهم لم يلبسوا منهم) أى لاجل بعض الامور التي بهمهم كواقع لسيدهما عمر حنين خرج مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة تبوك حيث استأذن الرسول في الرجوع الى أهله فأذن له النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال له ارجع فليست بمنافق (فأذن لمن شئت منهم) فانه ياذن لمن شاء منهم وينعم من شاء على حسب ما تقتضيه المصلحة التي يراها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفيه رفع شأنه صلى الله عليه وآله وسلم واستدله به على ان بعض الاحكام مفوض الى رأيه ومن منع ذلك قيد المشيئة بان تكون تابعة لعلمه بصدقه أى فأذن لمن علمت ان له عذرا ثم أرشده الله سبحانه الى الاستغفار لهم فقال (واستغفر لهم الله) بعد الاذن فيه اشارة الى ان الاستئذان وان كان لعذر مسوغ فلا يخلو عن شائبة تأثير امر الدنيا على الآخرة لان اغتنام مجالسه أو فنى من الاستئذان (ان الله غفور رحيم) أى

لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك اصحاب الخيم) يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم حين طلب منه الكفار وقوع العذاب واستجلبوه به قل يا أيها الناس انما نالكم نذير مبين اى انما ارسلنى الله اليكم نذير اليكم بين يدي عذاب شديد وليس الى من حسابكم من شئ امركم الى الله ان شاء عمل لكم العذاب وان شاء أخره عنكم وان شاء تاب على من يتوب اليه وان شاء اضل من كتب عليه الشقاوة وهو الفاعل لما يشاء ويريد ويختار لا معقب لحكمه وهو مريب الحساب وانما انا انكم نذير مبين فالذين آمنوا وعملوا الصالحات اى آمنتم قلوبهم وصدقوا ايمانهم باعمالهم لهم مغفرة ورزق كريم اى مغفرة لما سلف

لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك اصحاب الخيم) يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم حين طلب منه الكفار وقوع العذاب واستجلبوه به قل يا أيها الناس انما نالكم نذير مبين اى انما ارسلنى الله اليكم نذير اليكم بين يدي عذاب شديد وليس الى من حسابكم من شئ امركم الى الله ان شاء عمل لكم العذاب وان شاء أخره عنكم وان شاء تاب على من يتوب اليه وان شاء اضل من كتب عليه الشقاوة وهو الفاعل لما يشاء ويريد ويختار لا معقب لحكمه وهو مريب الحساب وانما انا انكم نذير مبين فالذين آمنوا وعملوا الصالحات اى آمنتم قلوبهم وصدقوا ايمانهم باعمالهم لهم مغفرة ورزق كريم اى مغفرة لما سلف

من سيئاتهم ومجازاة حسنة على القليل من حسناتهم قال محمد بن كعب القرظي إذا سمعت الله تعالى يقول ويزقك كريم فهو الجنة وقوله والذين سعووا في آياتنا معاجزين قال مجاهد يبطون الناس عن متابعة النبي صلى الله عليه وسلم وكذا قال عبد الله بن الزبير منبطين وقال ابن عباس معاجزين مراغمين أوائل أصحاب الجحيم وهي النار الحارة الموجهة الشديدة غذاءهم وانكالها أجازنا الله منها قال الله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا دعى إلى الشيطان (٢٥٢) في أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله والله عليم حكيم

ليجعل ما يلقى الشيطان فتنه للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لن في شقاق بعيد ولعلم الذين أنووا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فقبضت له قلوبهم وإن الله لهادي الذين آمنوا إلى صراط مستقيم قد ذكر كثير من المفسرين ههنا قصص الغرائق وما كان من رجوع كثير من المهاجرة إلى أرض الحبشة طمأننتهم أن مشركي قريش قد أسلموا ولكنهم من طرق كلها مرسله ولم أرهم مسندة من وجه صحيح والله أعلم قال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن حبيب حدثنا أبو داود حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم عكة العجم فلما بلغ هذا الموضع أقرأ يثم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى قال فألقى الشيطان على لسانه تلك الرائي على العلى وإن شفاعتهم ترجى قالوا ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم فسجدوا سجدة فأنزل الله عز وجل هذه الآية وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا دعى إلى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله والله عليم حكيم

كثير المغفرة للشرط العمد والرحمة بالاتباع عليهم بالغ فيهم إلى الغاية التي ليس وراءها غاية (لا تجمعوا دعاة الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) مستأنفة مقررة لما قبلها أي لا تجمعوا دعاة الله أياكم كالدعاء من بعضكم بعضا في التسهيل في بعض الأحوال عن الإجابة بل أجيبوه فوراً وإن كنتم في الصلاة أو الرجوع بغير استئذان أو رفع الصوت وقال سعيد بن جبير ومجاهد المعنى قولوا يا رسول الله برفق وإن ولا تقولوا يا محمد بتجهم وعلى هذا جماعة كثيرة وقال قتادة أمرهم أن يشرفوه ويخفوه وقيل المعنى لا تعرضوا للدعاء الرسول عليكم بما يخاطبه فإن دعوته موجبة وقيل المعنى يحب عليكم المبادرة لأمره واختاره أبو العباس ويؤيده قوله فليحذر الذين يخالفون عن أمره وقيل معناه لا تجمعوا دعاة الرسول ربه من أجل ما يدعوه صغيركم وكبيركم وفقيركم وغنيكم يسأله حاجته فربما تجاب دعوته وربما لا تجاب فاندعوات الرسول مسموعة مستجابة وعن سعيد بن جبير في الآية قال يعني كدعاء أحدكم إذا دعاه بأسمائه وليكن وقروا قولوا يا رسول الله يا نبي الله قال لا تصحوا به من بعيد يا أبا القاسم ولكن كما قال الله في الحجرات أن الذين يغضون أصواتهم عنه يدرسون الله والاول أولى (قد بعث الله الذين يتسألون منكم لو إذا) أي يخرجون ويتسألون من المسجد في الخطبة واحدا بعد واحد من غير استئذان خفية مستترين بشيء وقد للتصديق والتسأل الخروج من البين في خفية يقال تسأل فلان من بين أعصابه إذا خرج من بينهم واللو إذا من الملازمة وهو أن تستتر بشيء مخافة من يرأى وأصله أن يلوذ هذا بذلك وذلك يهذو اللوذ بما يظف بالجبل وقيل اللوذ الروغان من شيء إلى شيء في خفية أي متلاذين يلوذ بعضهم ببعض وينضم اليه وقيل يلوذون لوذا وقري لوذا بفتح اللام وفي الآية بيان ما كان يقع من المنافقين فأنهم كانوا يتسألون عن صلاة الجمعة متلاذين ينضم بعضهم إلى بعض استتاراً من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد كان يوم الجمعة أثقل يوم على المنافقين لما يرون من الاجتماع للصلاة والخطبة فكانوا يفرون عن الحضور ويتسألون في خفية ويستتر بعضهم ببعض وينضم اليه وقيل اللوذ الفرار من الجهاد وبه قال الحسن عن مقاتل قال كان لا يخرج أحد لرأى أو أحداً حتى يستأذن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يشير إليه بأصبعه التي تلي الإبهام فيأذن له النبي صلى الله عليه وآله وسلم يشير إليه بيده وكان من المنافقين من ينقل عليه الخطبة والجحوس في المسجد

فكان

ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ورواه ابن جرير عن بندار عن غندر عن شعبة به

بخبر وهو مرسل وقد رواه البزار في مسنده عن يوسف بن حماد عن أمية بن خالد عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما أحسب الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ عكة سورة النجم حتى انتهت إلى أقرأ يثم اللات والعزى وذكره بقية ثم قال البزار لا نعلمه يروي متصلاً إلا به ذا الأسناد تفرد بوجه أمية بن خالد وهو ثقة مشهور وانما يروي هذا من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ثم رواه ابن أبي حاتم عن أبي العلية وعن السدي مرسلًا وكذا رواه ابن جرير

عن محمد بن كعب القرطبي ومحمد
ابن قيس مرسلًا أيضًا وقال قتادة
كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي
عند المقام اذ نكس فالتى الشيطان
على لسانه وان شفاعته الترتجي
وانهم الميع الغرائق العلى حفظها
المشركون واجترأ الشيطان
ان النبي صلى الله عليه وسلم قد
قرأها فذلت بها السننهم فانزل الله
وما أرسلنا من قبلك من رسول
ولا نبي الا آية فذكر الله الشيطان
ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا موسى
ابن أبي موسى الكوفي حدثنا
محمد بن امحق الشيبى حدثنا محمد
ابن فليح عن موسى بن عقبة عن ابن
شهاب قال أنزلت سورة النجم وكان
المشركون يقولون لو كان هذا
الرجل يذكر آلهتنا بخيرا لقرنا
وأصحابه ولكنه لا يذكر من خاف
دينه من اليهود والنصارى بمثل الذى
يذكر آلهتنا من الشتم والنسب وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد
اشتهد علمه ماناله وأصحابه من أذاهم
وتكذبهم وآخر نهض لا لهم فكان
يتننى هذاهم فلما أنزل الله سورة
النجم قال أفرأيتم اللات والعزى
ومناة الثالثة الاخرى **الكم**
الذكر وله الاننى ألقى الشيطان
عند هذا كلمات حين ذكر الله
الطواغيت فقال وانهم من لهن
الغرائق العلى وان شفاعتهن لهن
السى ترتجي وكان ذلك من جميع
الشيطان وقتنته فوقع هاتان
الكلمات في قلب كل مشرك بمكة
وذلت بها السننهم وتبأشر واهبا

فكان اذا استأذن رجل من المسلمين قام المتساق الى جنبه يستريح به حتى يخرج فانزل الله
هذه الآية أخرجه أبو داود في مراسيله (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) الفاء لترتيب
مابعدا على ما قبلها أى يخالفون أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بترك العمل بعة تضاه
ويذهبون سمما خلاف سمته وعدى بفعل المخالفة بعن مع كونه متمتعا بفساد نفسه لتضمينه معنى
الاعراض أو الصدوقيل الضمير لله سبحانه لانه الأمر بالحقيقة قال أبو عبيدة والاختش
عن زائدة هنا وقال الخليل وسيبويه ليست بزايدة بل هى بمعنى بعد كقوله ففسق عن أمر
ربه أى بعد أمر ربه والاولى ما ذكرنا من التضمين (ان تصيبهم فتنة) أى فليحذر المخالفون
عن أمر الله أو أمر رسوله أو أمرهم - ما جمعا اصابة فتنة لهم والفتنة هنا غير مقيدة بنوع
من أنواع الفتنة وقبل هى القتل وقبل الزلازل وقبل تسلط سلطان جائر وقبل الطبع على
قلوبهم وقبل اسباب النعم استدراجا ومحنة فى الدنيا (أو يصيبهم عذاب أليم) أى فى
الآخرة كما ان الفتنة التى حذرهم من امساكهم فى الدنيا وكلمة أو لمنع الخلق قال
القرطبي احتج الفقهاء على ان الامر للوجوب بهذه الآية ووجه ذلك ان الله سبحانه
حذرهم من مخالفة أمره وتوعد بالعقاب عليها بقوله ان تصيبهم فتنة الآية فيجب امتثال
أمره ويحرم مخالفتها والآية تشمل كل من خاف أمر الله وأمر رسوله ويدخل فيها
الجامدون على ضلالة التقليد من بعد ما تبين لهم الهدى وظهر الصواب من الخطا (ألان
لله) تنبيه على أن لا يخالفوا أمر من له (ما فى السموات والارض) من الخلق فالتبأسر هاهنا
ملكه وخلقه وعبيده (قد بعلم ما أنتم عليه) أيها العباد من الاحوال التى أنتم عليها
فيجازيكم بحسب ذلك ويعلم ههنا معنى علم وادخل قد ليؤكد علمه تعالى به من الخالفة
عن الدين الحق ويرجع تو كيد العلم الى تو كيد الوعيد (ويوم) أى ويعلم يوم (يرجعون
اليه) فيجازيهم فيه بما عملوا وفيه النفقات عن الخطاب وتعليق علمه سبحانه بيوم الرجوع
لا بنفس رجوعهم لزيادة تحقق علمه لان العلم بوقت وقوع الشيء يستلزم العلم بوقوعه على
أبلغ وجه (فينبئهم بما عملوا) من الاعمال التى من جملتها مخالفة الامر والظاهر من السياق
ان هذا الوعيد للمنافقين (والله بكل شئ عليم) لا يخفى عليه شئ من أعمالهم وغيرها عن
عقبة بن عامر قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقرأ هذه الآية فى خاتمة
سورة النور وهو جاعل اصبعه تحت عينيه يقول بكل شئ بصيرا أخرجه الطبرانى وغيره قال
السيوطى بسند حسن

*** (سورة الفرقان سبع وسبعون آية) ***

وهى مكية كلها فى قول الجمهور نزات قبل الهجرة وبه قال ابن الزبير قال القرطبي وقال ابن
عباس وقتادة الا ثلاث آيات منها فانما نزلت بالمدينة وهى والذين لا يدعون مع الله الها
آخر الايات وأخرج البخارى ومسلم ومالك والشافعى وابن حبان والبيهقى فى سننه عن عمر
ابن الخطاب قال سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان فى حياة رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم فاستعقت اقراءته فاذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئهم ارسول الله صلى

وقالوا ان محمد اقدر جمع الى دينه
الاول ودين قومه فلما بلغ رسول
الله صلى الله عليه وسلم آخر النجم
سجد وسجد كل من حضره من مسلم
أو مشرك غير ان الوليد بن المغيرة كان
رجلاً كبيراً فرفع ملء كفه تراباً
فسجد عليه فحجب الفريقان
كلهما من جماعتهم في السجود
لسجود رسول الله صلى الله عليه
وسلم فأما المؤمنون فمحبوا السجود
المشركين منهم على غير إيمان ولا
يقين ولم يكن المسلمون يسمعون
الذي ألقى الشيطان في مسامع
المشركين فاطمأنت أنفسهم لما
ألقى الشيطان في أمنيته رسول الله
صلى الله عليه وسلم وحدثهم به
الشيطان ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد قرأ هافى السورة فسجدوا
لتعظيم آلهتهم فنشئت تلك الكلمة
في الناس وأظهرها الشيطان حتى
بلغت أرض الحبشة ومن بهم من
المسلمين عثمان بن مظعون وأصحابه
وتحدثوا ان أهل مكة قد أسلموا
كلهم وصلوا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم وبمفعولهم سجد الوليد بن
المغيرة على التراب على كفه وحدثوا
ان المسلمين قد آمنوا بمكة فاقبلوا
سرا عا وقد نسخ الله ما ألقى الشيطان
وأحكم الله آياته وحفظه من
الفرية وقال الله وما أرسلنا من
قبلك من رسول ولا نبي الا اذا نحن
ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله
ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته
والله عليم حكيم ليجعل ما يلقي
الشيطان فتنه للذين في قلوبهم

الله عليه وآله وسلم فكذلك أساوره في الصلاة فتصبرت حتى سلم فليتيه بردائه فقلت من
أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ قال أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم
فقلت كذبت فان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أقرأنيها على غير ما قرأت فانطلقت
به أقوده الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت اني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان
على حروف لم تقرأنيها فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أرسله أقرأ يا هشام فقرأ عليه
القراءة التي سمعته يقرأ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كذلك أنزلت ثم قال أقرأ
يا عمر فقرأت القراءة التي أقرأني فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كذلك أنزلت ان
هذا القرآن انزل على سبعة أحرف فأقرؤا ما تيسر منه

*(بسم الله الرحمن الرحيم)

(تبارك الذي نزل الفرقان) تسلم سبحانه في هذه السورة على التوحيد لانه أقدم وأهم ثم في
النسبة لانها الواسطة ثم في المعاد لانه الخاتمة وأصل تبارك مأخوذ من البركة وهي النماء
والزيادة حسنة كانت أو عذبة قال الزجاج تبارك تفاعل من البركة وبه قال ابن عباس
قال ومعنى البركة الكثير من كل ذي خير وقال الفراء ان تبارك وتقدس في العربية واحد
ومعناها العظمة وقيل المعنى تبارك عطاؤه أي زاد وكثر وقيل دام وثبت قال النحاس
وهذا أولها في اللغة والاشتقاق من برك الشيء اذا ثبت ومنه برك الجمل أي دام وثبت
واعترض ما قاله الفراء بان التقديس انما هو من الظهارة وليس من ذاتي شيء قال العلماء هذه
اللفظة لا تستعمل الا لله سبحانه ولا تستعمل الا لفظ الماضي والمعنى تعالى الله عما سواه
في ذاته وصفاته وأفعاله التي من جلاله تنزل القرآن الكريم المعجز الناطق بعلمه شأنه تعالى
وسموصفاته وابتداء أفعاله على أساس الحكيم والمصالح وخلوها عن شائبة الخلل بالكلية
والفرقان القرآن وسعى فرقاً لانه يفرق بين الحق والباطل باحكامه أو بين الحق والمبطل
قال قتادة هو القرآن فيه حلاله وحرامه وشرائعه ودينه وقيل لانه نزل مرافق أوقات
كثيرة ولهذا قال نزل بالتشديد لتكثير التثنيق (على عبده) محمد صلى الله عليه وآله وسلم
ثم عمل التنزيل بقوله (ليكون للعالمين نذيراً) فان النذارة هي الغرض المقصود من
الانزال والمراد بالعالمين هنا الانس والجن لان النبي صلى الله عليه وآله وسلم مرسل اليهم
قال الخليل دون الملائكة ولم يكن غيره من الانبياء على نبينا وعليهم الصلاة والسلام مرسل
الى الثقلين والنذير المنذر أي ليكون محمد صلى الله عليه وآله وسلم منذراً وبشيراً أو
ليكون انزال القرآن منذراً أو ليكون انزاله انذاراً أو ليكون محمد صلى الله عليه وآله وسلم
انذاراً وجعل الضمير للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أولى لان صدور الانذار منه حقيقة ومن
القرآن مجاز والخل على الحقيقة أولى أو لكونه أقرب مذكور قال قتادة بعث الله محمداً
صلى الله عليه وآله وسلم نذيراً من الله لينذر الناس بأس الله ووقائعه عن خلاصكم وقيل
ان رجوع الضمير الى الفرقان أولى لقوله تعالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويصح
رجوعه لانزل وهو الله وقوله للعالمين متعلق بنذير أقدم عليه لرعاية الفاصلة ثم انه سبحانه
وصف ذاته المبكرية بصنات أربع الاولى (الذي له ملك السموات والارض) دون غيره

لا استقالة ولا ولا تباعفهم والمتصرف فيهم - وفيه تنبيه على افتقار الكل اليه في الوجود
وتوابعه من البقاء وغيره (و) الصفة الثانية (لم يتخذ ولدا) فيه رد على اليهود والنصارى
(و) الثالثة (لم يكن له شريك في الملك) فيه رد على طوائف المشركين من النورية والوثنية
وعباد الاصنام وأهل الشرك الخلق فثبت له الملك بجميع وجوه ثم اني ما يقوم مقامه
فيه ثم شبه على ما يدل عليه فقال (وخلق كل شيء) من الموجودات مما اطلق عليه صفة
المخلوق وهي الصفة الرابعة (فقدرة تقدير) أي قدر كل شيء مما خلق بحكمته على ما اراده
وهي ما يصلح له وسواء تسوية لا عوجاج فيه ولا زيادة على ما تقتضيه الحكمة والمصلحة
ولانقصا عن ذلك في بابي الدين والدين وقبل أحدثه احدا نامراعى فيه التقدير حسب
ارادته كخلق الانسان من مواد مخصوصة وصور وأشكال معينة فقدره وهيا لمأراد منه
من الخصائص والافعال أو فقدره للبقاء الى أجل مسمى قال قتادة بين الله لكل شيء من
خلقه صلاحه وجعل ذلك بقدر معلوم قال الواحدى قال المفسرون قدر له تقدير من
الاجل والرزق فخرت المقادير على ما خلق وقيل أريد بالخلق هنا مجرد الاحداث والايجاد
مجازا من غير ملاحظة معنى التقدير وان لم يخل عنه في نفس الامر فيكون المعنى أوجد
كل شيء فقدره لتلازم التكرار وهذا أرفع دليل على المعتزلة في خلق افعال العباد ثم
صرح سبحانه في تزييف مذاهب عبدة الاوثان فقال (واتخذوا من دونه) الضمير للكنار
أو المنذرين أوله المشركين وان لم يتقدم لهم ذكر دلالة العالمين ونفي الشريك والندير عليهم
أي اتخذ المشركون لانفسهم متجاوزين الله (آلهة) قال قتادة هي الاوثان التي تعبد من
دون الله (لا يخلقون شيئا) أي لا يقدرون على خلق شيء من الاشياء وغلب العقلاء على
غيرهم لان في معبودات الكفار الملائكة وعزير والمسيح (وهم يخلقون) أي يخلقهم الله
سبحانه قال قتادة أي هو الله الخالق الرازق وهذه الاوثان تخلق ولتخلق شيئا ولا تضر ولا
تنفع وقيل عبر عن الآلهة بضمير العقلاء بحر باعلى اعتقاد الكفار انها تضر وتنفع وقيل
المعنى عبدتهم يصورونهم ويختونهم ثم لما وصف سبحانه نفسه الكريمة بالقدرة الباهرة
وصف آلهة المشركين بالعجز البالغ فقال (ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا) أي
لا يقدرون على ان يجلبوا لانفسهم نفعا ولا يدفعوا عنها ضررا وقدم ذكر الضر لان دفعه
أهم من جلب النفع واذا كانوا بحيث لا يقدرون على الدفع والنفع فيما يتعلق بانفسهم
فكيف يملكون ذلك ان يعبدهم وهذا يدل على غاية عجزهم ونهاية ضعفهم ثم زاد في بيان
عجزهم فنص على هذا الامر فقال (ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا) أي لا يقدرون
على اامة الاحياء ولا احياء الموتى ولا بعثهم من القبور لان النشور هو الاحياء بعد الموت
يقال أنشرا الله الموتى فنشروا وقدم الموت لمناسبة للضرر المتقدم ولما نزع سبحانه من بيان
التوحيد وتزييف مذاهب المشركين شرع في ذكر شبه منكري النبوة فالشبهة الاولى
ما حكاها عنهم بقوله (وقول الذين كذبوا) أي مشركوا العرب (ان هذا) أي ما هذا القرآن
(الافول) أي كذب (افتراه) أي اختلقه محمد صلى الله عليه وآله وسلم (وأعانه عليه) أي على
الاختلاق (قوم آخرون) يعنون من اليهود قيل وهم أبوفكيهة يسار مولى الحضرمي

مرض والقاسية فلوهم - وان
الظالمين لني شقاق بعيد فلما بين الله
قضاه وبرأه من صبيح الشيطان
انقلب المشركون بضاللتهم
وعداوتهم المسلمين واشتدوا عليهم
وهذا ايضا مرسل وفي تفسير ابن
جرير عن الزهري عن أبي بكر بن
عبد الرحمن بن الحرث بن هشام نحوه
وقد رواه الحافظ أبو بكر البيهقي
في كتابه دلائل النبوة فلم يجزه موسى
ابن عقبة ساقه من مغازيه بنحوه
قال وقد روي عن أبي اسحق هذه
القصة (قلت) وقد ذكرها محمد بن
اسحق في السيرة بنحو من هذا وكما
مرسلات ومنقطعات والله أعلم
وقد ساقها البغوي في تفسيره مجموعة
من كلام ابن عباس ومحمد بن كعب
القرظي وغيرهما بنحو من ذلك ثم
سأل ههنا سؤالا كيف وقع مثل
هذامع العصمة المضمنة من الله
تعالى لرسوله صلاة الله وسلامه عليه
ثم حكى أجوبة عن الناس من ألفتها
ان الشيطان أوقع في مسامع
المشركين ذلك فتوهوا وأنه صدر عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس
كذلك في نفس الامر بل انما كان
من صنيع الشيطان لاعن رسول
الرحمن صلى الله عليه وسلم والله
أعلم وهو كذا تنوعت أجوبة
المستكلمين عن هذا بتقدير صحة
وقد تعرض القاضي عياض رحمه
الله في كتاب الشفاء لهذا وأجاب بما
حاصله انما كذلك لثبوتها وقوله الا
اذا اتى ألقى الشيطان في أمينة
هذا منه تسلمة من الله لرسوله صلاة

الله وسلامه عليه أى لا يميدنك
فقد أصاب مثل هذا من قبلنا من
المرسامين والأنبياء قال البخارى
قال ابن عباس فى أمنيته اذا حدث
ألقى الشيطان فى حديثه فيسطل
الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم
الله آياته قال على بن أبى طلحة عن
ابن عباس اذا غنى ألقى الشيطان
فى أمنيته يقول اذا حدث ألقى
الشيطان فى حديثه وقال مجاهد
اذا غنى عنى اذا قال ويقال
أمنيته قراءته الامانى يقرؤن
ولا يكتبون قال البغوى وأكثر
المفسرين قالوا معنى قوله غنى أى
تلا وقرأ كآب الله ألقى الشيطان
فى أمنيته أى فى تلاوته قال
الشاعر فى عثمان حين قتل
غنى كآب الله أول ليلة

وآخره الا فى حمام المقادر
وقال الضحالك اذا غنى اذا تلا قال
ابن جرير هذا القول أشبه بتأويل
الكلام وقوله فينسخ الله ما يلقى
الشيطان حقيقة النسخ لغة
الازالة والرفع قال على بن أبى طلحة
عن ابن عباس أى فيسطل الله
سجانه وتعالى ما ألقى الشيطان
وقال الضحالك نسخ جبريل بأمر
الله ما ألقى الشيطان وأحكم الله
آياته وقوله والله أعلم أى بما يكون
من الامر والحوادث لا تخفى عليه
خافية حكيم أى فى تديره وخلقه
وأمره له الحكمة التامة والحجة
البالغة ولهذا قال اجمع ما يلقى
الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم
مرض أى شك وشبهة وكفر

وعداس مولى حويط بن عبد العزى وجبر مولى ابن عامر وكان هؤلاء الثلاثة من اليهود
وقدم الكلام على مثل هذا فى سورة النحل ثم رد الله سبحانه عليهم فقال (فقد جاؤا ظلمنا
وزورا) أى فقد قالوا لما هم لا عظميا وكذا باظهار الوفاء لترتيب ما بعدهما على ما قبلهما لكن
لا على انهما أمران متغايران حقيقة بل على ان الثانى هو عين الاول حقيقة وانما الترتيب
بحسب التغير الاعتبارى وقد انقضى ما جاؤا به من الظلم والزور وانصابت ظلمنا بحجوا
فان جاء قد تستعمل استعمال أى وتعدى تعديته وقال الزجاج الاصل جاؤا بظلم وقيل
على الحال وانما كان ذلك منهم ظلم لانهم نسبوا القبيح الى من هو مبرأ منه فقد وضعوا
الشيء فى غير موضعه وهذا هو الظلم وقيل هو جعل الكلام المجزأ كاختلاف ما تعلقا من
اليهود وأما كون ذلك منهم زورا فظاهر لانهم قد كذبوا فى هذه المقالة ثم ذكر الشبهة الثانية
فقال (وقالوا أساطير الاولين) أى ادبهم وما سطره من الاخبار مثل خبر رستم
واسفنديار قال الزجاج واحد الاساطير أسطورة مثل أحاديث وأحذوثة وقال غيره جمع
أساطير مثل أقاويل وأقوال (اكتتبها) أى استكتبها أو كتبها لنفسه أو المعنى جمعها من
الكتب وهو الجمع لاسر الكتابة بالقلم والاول أولى زحيل اكتتبها الله صب على الحال أو الرفع
على انه خبر ثان وقرئ اكتتبها مبنيا للمفعول والمعنى اكتتبها له كاتب لانه كان أميا
لا يكتب ولا يقرأ (فهى غلى عليه) أى تلقى عليه تلك الاساطير بعدما كتبها ليحفظها من
أفواه من يعلمها عنه من ذلك المكتتب لكونه أميا لا يقددر على ان يقرأها من ذلك
المكتوب بنفسه أو المعنى اراد اكتبها فهى تلقى عليه لانه يقال أمليت عليه فهو يكتب
(بكرة وأصيل) أى غدوة وعشيا كأنهم قالوا ان هؤلاء يعلمون محمد صلى الله عليه وآله
وسلم طرق النهار وقيل معنى بكرة وأصيل اذا غنى جميع الاوقات فاجاب الله سبحانه عن
هذه الشبهة بقوله (قل أنزل الله الذى يعلم السر فى السموات والارض) أى ليس ذلك مما
يفترى ويفتعل بأعانة قوم وكاتب آخرين من الاحاديث الملققة وأخبار الاولين بل هو أمر
سبأوى أنزل الذى يعلم كل شىء لا يغيب عنه شىء من الاشياء فلهذا عجزتم عن معارضته ولم
تأتوا بسورة مثله وخص السر للاشارة الى انطواء ما أنزل سبحانه على اسرار بدية لا يبلغ
اليها قول البشر والسر الغيب أى يعلم الغيب الكائن فيهم ما (انه كان غفورا رحيمًا)
تعليل لتأخير العقوبة أى انكم وان كنتم مستحقين لتعجيل العقوبة بما تفعلونه من
الكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والظلم لانه لا يعجل عليكم بذلك لانه كثير
المغفرة والرحمة ثم لما فرغ سبحانه من ذكر ما طعنوا به على القرآن ذكر ما طعنوا به على
الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال (وقالوا مال هذا الرسول) فى الاشارة هنا
تصغيره ان المشار اليه وهو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
وسخرية وحاصل ما ذكرهنا ستة قبائح والاخيرة هى قوله لارجل الله سبحانه وافرده الله
عليهم هذه الستة اجمالا فى البعض وتفصيلا فى البعض والمعنى أى نبي وأى سبب حصل
لهذا الذى يدعى الرسالة حال كونه (ياكل الطعام) كأننا كاه (ويشئ فى الاسواق)
ويتردد فيه الطلاب المعاش كأنهم ترددوا عما انه كان يجب أن يكون الرسول ملكا مستغنيا

عن الطعام والكسب والاستفهام لا انكار وهو يرجع الى السبب مع تحقق السبب وهو
الاكل والمشى ولكنه استبعد تحقق ذلك لانتفاء سببه عندهم ثم كما واسـ تزاء والمعنى انه
ان صح ما يدعيه من النبوة قبله. يخالف حاله حالنا (لولا) للخصيصة هذا ما استظهره
ابن هشام بعد نقله عن الهروي انه اللاسـ تفهام أى هلا (أنزل اليه ملك فيكون معه
نذيرا) طلبوا أن يكون النبي مصحوبا بملك يعضده ويساعده تنزوا عن اقتراح كون الرسول
ملكاً معه - تغنيا عن الاكل والكسب الى اقتراح أن يكون معه ملك يصـ دقه وبشهادة
بالرسالة (أوليت اليه كنز) تنزلوا من مرتبة تنزل الملك معه الى اقتراح أن يكون معه
كنز يلقي اليه من السماء ليستغنى به عن طلب الرزق (أو تكون له جنة يأكل منها) قرأ
الجمهور بالتوقية وقرئ بالتحسية لان تأنيث الجنة غير حقيقى وقرئنا كل بالنون أى بستان
نأكل نحن من ثماره وبالتحسية أى يأكل هو وحده منه ليكون له بذلك منزلة علينا حيث
يكون أكله من الجنة قال النحاس والقراءتان حسنتان وان كانت القراءة بالياء أبين لانه
قد تقدم ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحده فعود الضمير اليه أبين عن ابن عباس
قال ان عتبة بن ربيعة وأبا سفيان بن حرب والنضر بن الحرث وأبا الجحترى والاسود بن عبد
المطلب وزمعة بن الاسود والوليد بن المغيرة وأبا جهل بن هشام وعبد الله بن أمية وأممية
ابن خلف والعاص بن وائل ومنسب بن الحجاج اجتمعوا فقال بعضهم لبعض ابعثوا الى محمد
وكلوه وخاصموه حتى تencedروا منه فبعثوا اليه ان اشراف قومه قد اجتمعوا لك ليكملوك
قال فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا يا محمد انا بعثنا اليك لتعذر منك فان
كنت انما جئت به - هذا الحديث تطلب به ما لا جعلنا لك من أموالنا وان كنت تطلب به
الشرف فنحن نسودك وان كنت تريد به ملكا ملكناك فقال رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم ما بى مما تقولون ما جئتمكم بما جئتمكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك
عليكم ولا كن الله بعثنى اليكم رسولا وأنزل على كتابا وأمرنى أن أكون ليكم بشيرا ونذيرا
فبلغتكم رسالته الربى ونصحت لكم فان تقبلوا منى ما جئتمكم به فهو حظكم فى الدنيا
والآخرة وان تردوه على أصـ بر لا امر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم قالوا يا محمد فان كنت
غير قابل مناشيا معارضنا عاين أو قالوا فاذالم تفعل هذا فسل لنفسك وسل ربك أن
يبعث معك ملكا يصـ دقنا تقول ويراجعنا عنك وسله أن يجعل لك جنانا وقصورا من
ذهب وفضة يغنيك عما نراك تبتغى فانك تقوم بالاسواق وتلبس المعاش كما نلتهم حتى
نعرف فضلك ومنزلتك من ربك ان كنت رسولا كما تزعم فقال لهم رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم ما أنا بفاسل ما أنا بالذى يسأل ربه هذا وما بعثت اليكم به مذول كن الله
يعنى بشيرا ونذيرا فانزل الله فى ذلك هذه الآية أخرجه ابن اسحق وابن جرير وابن المنذر
(وقال الظالمون) المراد بهم هنا هم انقلبوا بالذنات الاول وانما وضع الظاهر وضع
المضمر مع الوصف بالتلم للتسجيل عليهم به (ان تتبعون الارجال مسحورا) أى مخدوعا
مغلوبا على عقله بالسحر وقيل ذا سحر وهى الرئة أى بشره الرئة لا ملكا فالمراد بالسحر هنا
لازمه وهو اختلال العقل وقد تقدم بيان مثل هذا فى سحجان (أتظركيف) استعظام

ونفاق كالشركين - من فرحوا
بذلك واعقدوا انه صحيح من عند
الله وانما كان من الشيطان قال
ابن جرير الذين فى قلوبهم مرض
هم المنافقون والفاسية قلوبهم هم
المشركون وقال مقاتل بن حيان
هم اليهود وان الظالمين لى شقاق
بعيد أى فى ضلال ومخالفة أو عناد
بعيد أى من الحق والصواب وليعلم
الذين أتوا العلم انه الحق من ربك
فيؤمنوا به أى وليعلم الذين أتوا
العلم النافع الذين يفرقون بين
الحق والباطل والمؤمنون بالله
ورسوله انما أوحينا اليك هو الحق
من ربك الذى أنزل بعلمه وحفظه
وحرسه ان يختلط بغيره بل هو كتاب
عزيز لا يأتى به الباطل من بين يديه
ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد
وقوله فيؤمنوا به أى يصـ دقوا
ويصدقوا له وتخبت له قلوبهم أى
تخضع وتذل له قلوبهم وان الله
لهادى الذين آمنوا الى صراط
مستقيم أى فى الدنيا والآخرة
أما فى الدنيا فيرشدهم الى
الحق وتباعه ويوفقهم لمخالفة
الباطل واجتنابه وفى الآخرة
يهدىهم الصراط المستقيم الموصل
الى درجات الجنات ويرزقهم
عن العذاب الأليم والدرجات (ولا
يزال الذين كفروا فى هزبة منه حتى
تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب
يوم عقيم الملك يومئذ الله يحكم بينهم
فالذين آمنوا وعملوا الصالحات فى
جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا
بآياتنا فاولئك لهم عذاب مهين)

يقول تعالى مخبراً عن الكفار أنهم لا يزالون في مريبة أي في شك وريب من هذا القرآن قاله ابن جرير واختاره ابن جرير وقال سعيد بن جبيرة وابن زيد منه أي مما ألقى الشيطان حتى تأتهم الساعة بغتة قال مجاهد خافه وقال قتادة بغتة بغت القوم أمر الله وما أخذ الله وما قط الا عند سكونهم وغرتهم ونعمتهم فلا تغتروا بالله انه لا يفتر بالله الا القوم الفاسقون وقوله أو يأتهم عذاب يوم عقيم قال مجاهد قال أبي بن كعب هو يوم بدر وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد ابن جبيرة وقتادة وغير واحد واختاره ابن جرير قال عكرمة ومجاهد في رواية عنهما هو يوم القيامة لاليل له وكذا قال الضحاك والحداد البصري وهذا القول هو الصحيح وان كان يوم بدر من جملة ما وعدوا به لكن هذا هو المراد ولهذا قال الملك يومئذ الله يحكم بينهم كقوله مالك يوم الدين وقوله الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوم على الكافرين عسيراً فالذين آمنوا وغلبوا الصالحات أي آمنت قلوبهم وصدقوا بالله ورسوله وعملوا بقتضى ما علموا ووافق قلوبهم وأقوالهم وأعمالهم في جنات النعيم أي لهم النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول ولا يبسد والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أي كفرت قلوبهم بالحق وصدقته وكذبوا به وخالفوا الرسل واستكبروا عن اتباعهم فأولئك لهم عذاب مهين أي مقابلة

للباطيل التي اجتروا على التفوه بها وتجب منها أي انظر كيف (ضربوا لك الامثال) وقالوا في حقك تلك الاقاويل العجيبة الخارجة عن العقول الجارية بحجى الامثال واخترعوا لك تلك الصفات والاحوال الشاذة البعيدة من الوقوع ليتوصلوا بها الى تكذيبك والامثال هي الاقوال النادرة والافتراحت الغريبة وهي ما ذكره ههنا من المفتري والممل عليه والمسحور (فضلوا) عن الصواب فلا يجحدون طريقاً اليه ولا وصلوا الى شيء منه بل جاؤا بهذه المقالات الزائفة التي لا تصدر عن أدنى العقلاء وأقلهم تمييزاً ولهذا قال (فلا يستطيعون سبيلاً) يعني لا يجحدون الى القدر في نبوة هذا النبي طريقاً من الطرق (تبارك) أي تكاثرت خبر (الذي ان شاء جعل لك) في الدنيا ومجلا (خيراً من ذلك) الذي اقترحوه من الكثرة والبسطة ثم فسره الخبير فقال (جنات تجري من تحتها الانهار) أي في الدنيا لان الله تعالى شاء أن يعطيه اياها في الآخرة (ويجعل لك قصوراً) قد تقرر في علم الاعراب ان الشرط اذا كان ماضياً جازى جوابه الجزم والرفع فجعل ههنا في محل جزم ورفع فيجوز فيه اعطف عليه ان يجزم كافترا الجهور وان يرفع كما قرأ ابن كثير والقصر البيت من الحجارة لان الساكن به قصور عن ان يوصل اليه وقيل هو بيت الطين ويوت الصوف والشعر عن خيثة قال قيل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ان شئت أعطيناك من خزان الارض ومفاتيحها ما لم يعط نبى قبلك ولا نعطيها أحدا بعدك ولا ينقص ذلك مما لك عند الله شيئاً وان شئت جمعنا لك في الآخرة فقال اجعوهما لي في الآخرة فأمر الله سبحانه هذه الآية أخرجه الترمذي وابن أبي شيبه وابن جرير وغيرهم ثم أضر به الله سبحانه عن أبي يحيى بن عمار كما عنهم من الكلام الذي لا يصدر عن العقلاء فقال (بل كذبوا بالساعة) أي بل أقروا بحجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة فلهذا لا ينتفعون بالدلائل ولا يتأملون فيها ثم ذكر سبحانه ما أعد لمن كذب بالساعة فقال (وأعدنا) أي والحال اننا أعدنا وهياً لنا وخلقنا لمن كذب بالساعة سعيراً قال أبو مسلم أي جعلناهم سعيراً ومعد لهم انتهى والسعير هي النار المتسعة المشتعلة والنار موجودة اليوم لهذه الآية كما أن الجنة كذلك لقوله تعالى أعدت للمتقين ووضع الساعة موضع ضميرها للمبالغة في التشنيع واعداد السعير لهم وان لم يدعون لخصوص تكذيبهم بالساعة بل لاى تكذيب بشئ من الشريعة لكن الساعة لما كانت هي العلة القريبة لدخولهم السعير اقتصر على ترتيب الاعداد على التكذيب بها (إذا رأتهم) قيل معناها اذا ظهرت لهم فكانت بمثابة الناطق في البعد وقيل المعنى اذا رأتهم خزنتها وقيل ان الرؤية هنا حقيقة وكذلك الغيظ والنفير ولا مانع من أن يجعلها الله سبحانه مدركة هذا الإدراك وهو الأرجح ومعنى (من مكان بعيد) انهم رأتهم وهي بعيدة عنهم قيل بينها وبينهم مسيرة خمسمائة عام وقيل عام وعن ابن عباس قال من مسيرة مائة عام وذلك اذا أتى بجهنم نقاداً بسبعين ألف زمام يشد بكل زمام سبعون ألف ملك لو تركت لانت على كل بر وفاجر فتري زفر زفرة لا تبقى قطرة من دمع الابد ثم تفر الثانية فتقطع القلوب من أمانتها وتباع القلوب الحناجر وعن رجل من الصحابة قال قال النبي صلى الله

عليه وآله وسلم من يقل على ما لم أقل أو ادعى إلى غير والديه أو انتفى إلى غير مواليه فليتبوأ
بين عيني جهنم مقعدا قبل يارسول الله وهل لها من عيينين قال نعم أما سمعتم الله يقول إذا
راهم من مكان بعيد أخرجه عبدين حديد وابن جرير من طريق خالد بن دريك ونحوه عند
رزين في كتابه وصححه ابن العربي في نفسه وله لفظ بعناه وأخرج الترمذي من حديث أبي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخرج عنق من النار يوم القيامة له
عينان يصران وإذا نأى به عنان ولسان ينطق يقول اني وكنت ثلاث بكل جبار عبيد
وبكل من دعا مع الله الها آخر وبالصورين وفي الباب عن أبي سعيد قال أبو عيسى هذا
حديث حسن غريب صحيح (سمعوها تغيطا) أي غلينا كالغضببان إذا غلى صدره
من الغضب يعني ان لها صوتا يدل على التغيط على الكفار ولغليانها صوتا يشبه صوت
المغطاط (وزفيرا) هو الصوت أي سمعوها صوتا يشبه صوت المنغيط وقال قطرب أراد
علموها تغيطا وسمعوها زفيرا وقيل المعنى فيها تغيطا وزفيرا لعذابين كما قال لهم فيما زفيرا
وشهيق وفي اللام متقاربان بان تقول هذا الله وفي الله (وإذا أنفقوا منها) أي طرحوا
(مكنا ضيقا) وصف المكان بالضيق للدلالة على زيادة الشدة وتناهي البلاء عليهم وعن
يحيى بن أسد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما سئل عن هذه الآية قال والذي
نفسى بيده أنهم ليسوا بتكرهون في النار كما يستكره الوثني في الحائط وعن ابن عباس أنه
يضيق عليهم كما يضيق الزج في الرح (مقرنين) أي حال كونهم قد قرنت أيديهم إلى أعناقهم
بالجوامع مصفدين بالحديد وقيل مكتفين وقيل قرنوا مع الشياطين أي قرن كل واحد منهم
إلى شيطانه وقد تقدم الكلام على مثل هذا في سورة إبراهيم (دعواهمالك) أي في ذلك
المكان الضيق (نبورا) أي هلاك كما قال الزجاج وقال ابن عباس نبورا أي وبلا وقيل
ثبنا نبورا وقيل مفعول له والمعنى أنهم يتنون هلاك الهلاك وينادونه لما حل بهم من
البلاء ويقولون يا نبورا أي احضر فهذا أو أنك لا تكتمهم لا يملكون وأجيب عليهم بقوله
(لا تدعوا اليوم نبورا واحدا) والقائل لهم هم الملائكة خزنة جهنم أي اتركوا دعاء
نبورا واحدا (وادعوا نبورا كثيرا) والنبور مصدر يتبع على القليل والكثير فلهذا لم
يجمع ومثله ضربته ضربا كثيرا وقعد قعدوا طويلا فالكثره ههنا هي بحسب كثرة الدعاء
المتعلق به لا بحسب كثرة في نفسه فانه شيء واحد والمعنى لا تدعوا على أنفسكم بالنبور
دعاء واحد أو دعوه أدعية كثيرة فان ما أنتم فيه من العذاب أشد من ذلك اطول مدته
وعدم تناهيه وقيل هذا تخيل وتصوير لحالهم بحال من يقال له ذلك من غير أن يكون
هنالك قول وهو خلاف ظاهر القرآن وقيل ان المعنى انكم وقعتم فيما ليس بنبوركم فيه
واحد بل هو نبور كثير لان العذاب أنواع كثيرة كل نوع منها نبور لشدة أولانه يتجدد
لقوله تعالى كلما نضجت لودهم بدلناهم لودا غير هالذقوا العذاب أولانه يتقاع فهو
في كل وقت نبور والاولى ان المراد بهذا الجواب عليهم الدلالة على خلود عذابهم واقتطاعهم
عن حصول ما يتمنون من الهلاك المنجى لهم مما هم فيه أخرج أحمد والبراز والبيهقي
وغيرهم قال السيبوطي بسند صحيح عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

استبكارهم وأبائهم عن الحق كقوله
تعالى ان الذين يستكبرون عن
عبادتي سيدخلون جهنم داخرين
أي صاغرين (والذين هاجروا في
سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقهم
الله رزقا حسنا وان الله لهو خير
الرازقين ليدخلنهم مدخلا يرضونه
وان الله لعليم حلیم ذلك ومن عاقب
بمثل ما عوقب به ثم بقي عامه لينصرته
الله ان الله لعفو غفور) يخبر تعالى
عن خروج مهاجرا في سبيل الله
ابتغاء مرضاته وطبعا الماعنده وترك
الوطن والاهلين والخلان وفارق
بلاده في الله ورسوله ونصرة لدين
الله ثم قتلوا أي في الجهاد أو ماتوا
أي حنفا أنفسهم من غير قتال على
فرشهم فقد حصوا لواء على الأجر
الجزيل والثناء الجليل كما قال تعالى
ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله
ورسوله ثم يدره الموت فقد وقع
أجره على الله وقوله ليرزقهم
الله رزقا حسنا أي يجزيهم عليهم
من فضله ورزقه من الجنة ما تقربه
أعينهم وان الله لهو خير الرازقين
ليدخلنهم مدخلا يرضونه أي
الجنة كما قال تعالى فاما ان كان من
المقر بين فروع وريحان وجنة نعيم
فاخبرانه يحصل له الراحة والرزق
وجنة النعيم كما قال ههنا ليرزقهم
الله رزقا حسنا ثم قال ليدخلنهم
مدخلا يرضونه وان الله لعليم أي
عن مهاجروا يجاهد في سبيله وعن
يستحق ذلك حلیم أي يحلم ويصفح
ويغفر لهم الذنوب ويكفرها عنهم
فهم تسم اليه وتوكلهم عليه فاما

من قتل في سبيل الله من مهاجر أو غير مهاجر فإنه حتى عند ربّه يرزق كما قال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون والاحاديث في هذا كثيرة كما تقدم وأما من توفي في سبيل الله من مهاجر أو غير مهاجر فقد تضمنت هذه الآية الكريمة مع الاحاديث الصحيحة أجر الرزق عليه وعظيم احسان الله اليه قال ابن أبي حاتم حدثنا أي حدثنا المسيب بن واضح حدثنا ابن المبارك عن عبد الرحمن بن شريح عن ابن الحرث يعني عبد الكريم عن ابن عقبة يعني أباعبيدة بن عقبة قال قال شرحبيل بن السمط طال رباطنا وأقامتنا على حصن بأرض الروم فربى سلمان يعني الفارسي رضي الله عنه فقال اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من مات مراً بطلا أجرى الله عليه مثل ذلك الاجر وأجرى عليه الرزق وأمر من الفتيانين وأقرأوا ان شئتم والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا يرزقهم الله رزقاً حسناً وان الله له خير الرازقين اي دخلهم ثم مدخله يرزونه وان الله لعليم حليم وقال أيضاً حدثنا أبو زرعة حدثنا زيد بن بشر أخبرني همام انه سمع أبا قبيل وربيعة بن سيف المغافري يقولان كابرودس ومعنا فضالة ابن عبيد الانصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فترجنا زتين احدهما

ان أول ما يبكيه حلقه من النار ابليس فيضعها على حاجبيه ويسحبها من خلفه ودرية من بعده وهو ينادي يا ثوراه ويقولون يا ثوراهم حتى يقف على الناس فيقول يا ثوراه ويقولون يا ثوراهم فيقال لهم لا تدعوا اليوم ثوروا واحداً وادعوا ثوراً كثيراً ثم ينجهم الله سبحانه وتعالى بالغيا على لسان رسوله فقال (قل أذلت) أي السعير المتصفه بتلك الصفات العظيمة (خير أم جنة الخلد) وفي اضافة الجنة الى الخلد اشعار بدوام نعمها وعدم انقطاعه والجنى بافظ خيرها مع انه لا خير في النار أصلاً لان العرب قد تقول ذلك ومنه ما حكاه سيدي به عنهم انهم يقولون السعادة أحب اليك أم الشقاوة وقد علم ان السعادة أحب اليه وقيل ليس هذا من باب التفضيل وانما هو كقولك عنده خير قال النحاس وهذا قول حسن (التي وعد) أي وعدها (المتقون) فالراجع الى الموصول محذوف ثم قال سبحانه (كانت) أي تلك الجنة (لهم) أي للمتقين (جزاء) على اعمالهم (ومصيراً) يصيرون اليه وهذا في علم الله وفي اللوح المحفوظ قبل خلقهم بأزمنة متطاولة أو قال ذلك لان ما وعد الله به فهو في تحفته كأنه قد كان (لهم فيها) أي في الجنة (ما يشاؤون) أي ما يشاؤونه من النعم وضروب الملاذ كما في قوله ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولعنة تقصدهم كل طائفة على ما يليق برتبها لان الطاهران الناقص لا يدرك شيئاً مما هو لا يكامل بالتشهي وفيه تنبيه على ان كل الارادات لا تحصل الا في الجنة قال النهاب وانه تعالى لا يلقى في خواطرهم ان ينالوا رتبة من هو أشرف منهم ولا يفتنوا الى حال غيرهم (خالدين) أي في نعم الجنة ومن تمام النعم ان يكون دائماً اذ لا ينقطع لكان مشوباً بضرب من الغم وقد تقدم تحقيق معنى الخلود (كان) أي ما يشاؤونه وقيل كان الخلود وقيل الوعد المدلول عليه بقوله وعد المتقون (على ربك وعداً مسؤولاً) أي الوعد الحقيقي بان يستل ويطلب كما في قوله ربنا وآتينا ما وعدتنا على رسلك وقيل ان الملائكة تسأل لهم الجنة كونه وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم وقيل المراد به الوعد الواجب وان لم يستل وقال ابن عباس يقول تعالى سلوا الذي وعدكم ثم تزوه (ويوم يحشرهم) أي اذ ذكر وتعالى التذكير باليوم مع ان المقصود ذكر ما فيه للمباغلة والتأكيده كما مر مراراً (وما يعبدون من دون الله) غلب غير العقلاء من الاصنام والاولان ونحوها على العقلاء من الملائكة والجن والمسيح فنبها على انها جميعاً مشتركة في كونها غير صالحة لكونها آلهة أولان من يعبد من لا يعقل أكثر من يعبد من يعقل منها فغلبت اعتباراً بكثرته من يعبدها وقال مجاهد وابن جريج المراد الملائكة والانس والجن والمسيح وعزير بدليل خطابهم وجوابهم فيما بعد وقال الضحاك وعكرمة والكبي المراد الاصنام خاصة وانما وان كانت لا تسمع ولا تتكلم فان الله سبحانه يجعلها يوم القيامة سامعة ناطقة وقيل عام وما ينال العقلاء وغيرهم لانه أراده الوصف كأنه قيل ومعبوديهم (فيقول) الله تعالى اثباتاً للجمعة على العابدين وتقريعاً وتبكيها لهم (أنتم أضللتم عبادي هؤلاء) الاستفهام للتوبيخ والتقريع والمعنى ان كان ضلالهم بسببكم وبدعوتكم لهم الى عبادتكم (أم هم ضلوا السبيل) أي طريق الحق بانفسهم لعدم التذكير فيما يستدل به على الحق والتسدير فيما توصل به الى الصواب (قالوا) أي

قبيل والاخرى متوفى في مال الناس

على القليل فقال فضالة ما لي ارى
الناس ما لو امع هذا ورتكوا
هذا فقالوا هذا القليل في سبيل
الله فقال والله ما أبالي من أي
حفر تيه - ما بعثت اجمعوا كتاب
الله والذين هاجر وافي سبيل الله
ثم قتلوا أو ماتوا حتى بلغ آخر الآية
وقال أيضا حدثنا أي حدثنا
عبد بن سليمان أنبأنا ابن المبارك
أنبأنا ابن لهيعة حدثنا سلامان
ابن عامر الشيباني ان عبد الرحمن
ابن جهم الحولاني حدثه أنه
حضر فضالة بن عبيد في الجرمع
جنابا بين أحدهما أصيب بمخنيق
والآخر توفي بفلس فضالة بن
عبيد عند قبر المتوفى فقبل له تركت
الشهيد فلم تجلس عنده فقال
ما أبالي من أي حفر تيه ما بعثت ان
الله يقول والذين هاجر وافي سبيل
الله ثم قتلوا أو ماتوا البرزقهم الله
رزقا حسنا الآيتين فاتبعني أيها
العبد اذا أدخلت مدخلا مرضاه
ورزقت رزقا حسنا والله ما أبالي
من أي حفر تيه ما بعثت ورواه ابن
جرير عن يونس عن عبد الاعلى
عن وهب أخبرني عبد الرحمن بن
شريح وسلامان بن عامر قال كان
فضالة بروندس أميرا على الارباع
فخرج بجحاش في رجلين أحدهما
قبيل والاخر متوفى فسد كرفخو
ما تقدم وقوله ذلك ومن عاقب
بمثل ما عوقب به الآية ذكر مقاتل
ابن حيان وابن جرير انهم انزلت في
سرية من الصحابة لقوا جعلا من
المشركين في شهر محرم فمات منهم

المعبودون - ثمانية جواب سؤال مقدر ومعنى (سبحانك) التمجيد بما قيل لهم
ليكونهم ملائكة أو أنبياء معصومين أو جادات لا تعقل أي تنزهها لك (ما كان ينبغي)
وقرى ينبغي مبنيا للمفعول قال ابن خالويه زعم سيبويه انه لغة أي ماصح ولا استقام (لنا)
أن نتخذ من دونك أي متجاوزين اياك (من أولياء) فنعبدهم فكيف ندعو عبادك
الى عبادتنا نحن مع كوننا لا نعبد غيرك والولى يطلق على التابع كما يطلق على المتبوع هذا
معنى الآية على قراءة الجمهور نتخذ مبنيا للفاعل وقرى مبنيا للمفعول والمعنى ان يتخذنا
المشركون أولياء من دونك وقال أبو عبيدة لا تجوز هذه القراءة بوجه قال أبو عمرو بن العلاء
وعيسى بن عمر لانه سبحانه ذكر من مرتين ولو كانت صحيحة لقال ان نتخذ من دونك أولياء
أي لحذفت من الثانية وقبل انما ازائدة ثم حكى عنهم سبحانه بأنهم بعد هذا الجواب ذكروا
سبب ترك المشركين للايمان فقال (ولكن ممتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر) وفي هذا ما يدل
على انهم هم الذين ضلوا السبيل ولم يضلهم غيرهم والمعنى ما ضللتناهم وليكنك يارب ممتهم
ومتعت آباءهم بالنعم ووسعت عليهم الرزق واظلت لهم العمر حتى غفلوا عن ذكرك ونسوا
موعظتك والتدبر لكتابك والنظر في عجائب صنعك وغرائب مخلوقاتك وجعلوا ذلك ذريعة
الى ضلالهم عكس القضية وقيل المراد بنسيان الذكركرهمناهو ترك الشكر (وكافوا)
هؤلاء الذين أشركوا بك وعبدوا غيرك في قضائك الازلي (قوم ابورا) أي هلكتي قاله ابن
عباس مأخوذ من البوار وهو الهلاك يقال رجل بائرو قوم يورستوى فيه الواحد والجماعة
لانه مصدر يطلق على القليل والكثير أوجع بائرو قيل البوار الفساد يقال بارت بضاعته أي
فسدت وأمر بائرا أي فاسد وهي لغة الازد وقيل المعنى الاخير فيهم مأخوذ من بوار الارض
وهو تعطيلها من الزرع فلا يكون فيها خير وقيل ان البوار الكساد ومنه بارت السلعة اذا
كسدت وهذا كله يرجع الى معنى الهلاك والفساد ثم يقال لا كفار بطريق الخطاب
عدولاً عن الغيبة (فقد كذبوكم) وفي الكلام حذف والتقدير فقال الله عند تيرى المعبودين
مخاطبا للمشركين العابدين لغير الله فقد كذبكم المعبودون وقرى مخففا أي كذبوكم في
قولهم (بما تقولون) أي في قولكم انهم آلهة وهذه المفاجأة بالاحتجاج والالزام حسنة
رائعة وخاصة اذا انضم اليها الالتفات وحذف القول ونظيرها يا أهل الكتاب قد جاءكم
رسولنا بين لكم على فترة من الرسل الى قوله فقد جاءكم بشير وبشير وقول القائل
قالوا خاسان أقصى ما يراد بنا * ثم القنول فقد جئنا خاسانا
وقال ابن زيد المعنى فقد كذبوكم أيها المؤمنون هؤلاء الكفار بما جاء به محمد صلى الله عليه
 وآله وسلم وعلى هذا المعنى بما تقولون بما تقولونه من الحق وقرى فقد كذبوكم مخففا وبما
يقولون بالتحنية أي كذبوكم في قولهم (فانستطيعون) أي الكفار (صرفا) أي دفعنا
للعذاب عنكم بوجه من الوجوه وقبل حيلة (ولانصرا) أي نصركم وقرى بالتحنية فالمعنى
فما يستطيع آلهتكم ان يصرفوا عنكم العذاب أو ينصروكم وقبل المعنى فما يستطيع
هؤلاء الكفار لما كذبكم المعبودون صرفا للهذاب الذي عذبكم - الله به ولا نصر من الله
وقال أبو عبيد المعنى فما يستطيعون لكم صرفا عن الحق الذي هذاكم الله اليه ولا نصرا

المسلمون اثليقاتلوهم في الشهر الحرام فإني المشركون الاقتالهم وبغوا عليهم فقاتلهم المسلمون فنصرهم الله عليهم ان الله اعفو غفور (ذلك بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وان الله سميع بصير ذلك بان الله هو الحق وان ما يدعون من دونه هو الباطل وان الله هو العلي الكبير) يقول تعالى منها على انه الخالق المتصرف في خلقه بما يشاء كما قال قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير تولى الليل في النهار وتولى النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب ومعنى ايلاجه الليل في النهار والنهار في الليل ادخاله من هذا في هذا ومن هذا في هذا فتارة يطول الليل ويقتصر النهار كما في الشتاء وتارة يطول النهار ويقتصر الليل كما في الصيف وقوله وأن الله سميع بصير أى سميع باقوال عباده بصير بهم لا يخفى عليه منهم خفية في أحوالهم وحركاتهم وسكاتهم ولما تبين انه المتصرف في الوجود الحاكم الذي لا معقب لحكمه قال ذلك بان الله هو الحق أى الاله الحق الذي لا تنبغي العبادة الاله لانه ذو السلطان العظيم الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وكل شيء فقير اليه ذليل لديه وان ما يدعون من دونه هو الباطل أى من الاصنام والانداد والاونان وكل ما يدعون دونه تعالى

لانفسهم بما ينزل بهم من العذاب تكذيبهم اياكم (ومن يظلم منكم بذقه عذابا كبيرا) هذا وعيد لكل ظالم ويدخل تحتهم الذين فيهم السياق دخولا وليا والعذاب الكبير عذاب النار وقدر بالخلود فيها وهو يلدق بالمسرك دون الفاسق الاعلى قول المعترلة والخوارج وقرئ بذقه بالتحنية وهذه الآية وأمثالها مودة بعدم التوبة وعن الحسن قال اظلم هو الشرك وقال ابن جرير يظلم بشرك ثم رجع سبحانه الى خطاب رسوله موضحا لبطان ما تقدم من قولهم يا كل الطعام ويعشى في الاسواق فقال (وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق) قال الزجاج الجملة الواقعة بعد الاصفه اوصوف محذوف والمعنى ما أرسلنا قبلك أحدا منهم الا كليلين ومشين فأنت مثلهم في ذلك وقد قيل لهم مثل ما قيل لك وقال الفراء لا محمل له من الاعراب انما هي صلة للموصول محذوف والتقدير الامن انهم كافي قوله الا وادها أى الامن يردها وبه قال الكسائي وقال الزجاج هذا خطأ لان من الموصولة لا يجوز حذفها وقال ابن الابارى التقدير الا وانهم وقرئ انهم يكسر ان لوجود اللام في خبرها وهو مجمع عليه عند النحاة وقال المبرد يجوز فيه الفتح قال النحاس وأحسبه وهما وقرئ يشون مخففة ومثقلا قال قتادة يقول ان الرسل قبل محمد صلى الله عليه وآله وسلم كانوا بهذه المنزلة يأكلون ويمشون (وجعلنا بعضهم لبعض فتنة) هذا الخطاب عام للناس وفيه تسوية له صلى الله عليه وآله وسلم أيضا فإنه أشرف الاشرف وقد ابتلي باخس الاخساء وقد جعل سبحانه بعض عباده فتنة لبعض فالصحيح فتنة للمريض والغنى فتنة للفقير وقيل المراد ببعض الاول كفار الامم وبالعرض الثاني الرسل ومعنى الفتنة الابتلاء والخنة والاول أولى فان البعض من الناس معتقن بالعرض مبتلي به فالمرضى يقول لم أجد عمل كالصحيح وكذا صاحب كل آفة والصحيح مبتلي بالمرضى فلا يضجر منه ولا يحقره والغنى مبتلي بالفقر وبواسييه والفقير مبتلي بالغنى بحسده ونحوه فذامته وقيل المراد بالآية انه كان اذا أراد الشريفة أن يسلم ورأى النضيع قد أسلم قبله أنف وقال لأسلم بعد فكون له على السابقة والفضل فيقيم على كفره فذلك اقتنان بعضهم ببعض واختار هذا الفراء والزجاج ولا وجه لتفسير الآية على هذا فان هؤلاء ان كانوا سبب النزول فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وقال الحسن في الآية يقول الفقير لو شاء الله لجعلني غنيا مثل فلان ويقول السقيم لو شاء الله لجعلني صحيحا مثل فلان ويقول الاعمى لو شاء الله لجعلني بصيرا مثل فلان وعن أبي الدرداء أنه سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول ويل للعالم من الجاهل وويل للجاهل من العالم وويل للمالك من المملوك وويل للمملوك من المالك وويل للضعيف من الضعيف وويل للضعيف من الشديدي وويل للسلطان من الرعية وويل للرعية من السلطان بعضهم لبعض فتنة وهو قوله تعالى وجه لنا به ضحككم لبض فتنة أسنده الشعلبي ثم قال سبحانه بعد الاخبار يجعل البعض فتنة للبعض (أنصبرون) هذا الاستفهام للتقدير والتقدير أنصبرون على ماترون من هذه الحالة الشديدة والابتلاء العظيم فتوجروا أم لا تنصبرون فيزداد غمكم وعليه جرى الاكثرون وقيل معنى أنصبرون اصبر وامثل قوله فهل أنتم

فهو باطل لانه لا يعلم ضرا ولا نفعا
 وقوله ان الله هو العلي الكبير كما
 قال وهو العلي العظيم وقال وهو
 الكبير المتعال فكل شيء تحت
 قهره وسلطانه وعظمته لا اله الا هو
 ولا رب سواه لانه العظيم الذي
 لا أعظم منه العلي الذي لا أعلى منه
 الكبير الذي لا أكبر منه تعالى
 وتقدس وتزه عز وجل عما يقول
 الظالمون المعتدون علوا كبيرا (ألم
 تر ان الله أنزل من السماء ماء فتصبح
 الارض مخضرة ان الله لطيف خبير
 له ما في السموات وما في الارض وان
 الله هو الغني الجيد ألم ان الله سخر
 لكم ما في الارض والفلك تجري في
 البحر بأمره ويسكن السماء ان تقع
 على الارض الا باذن الله بالانس
 لرؤف رحيم وهو الذي أحياكم ثم يمتكم
 ثم يحكمكم ان الانسان لكدور)
 وهذا أيضا من الدلالة على قدرته
 وعظيم سلطانه وان يرسل الرياح فتثير
 سحابا فيطر على الارض الحرز التي
 لانبات فيها وهي هامة يابسة سوداء
 قلحة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت
 وربت وقوله فتصبح الارض مخضرة
 الفاء ههنا لا تعقب وتعقب كل شيء
 بحسبه كما قال تعالى خلقتنا النطننة
 علقه خلقتنا العلقه مضغة الآية وقد
 ثبت في الصحيحين ان بين كل شيئين
 أربعين يوما ومع هذا هو معقب
 بالقاء وهكذا ههنا قال فتصبح الارض
 مخضرة أي خضراء بعد ياسها
 وطولها وقد ذكر عن بعض أرض
 الحجاز انها تصبح عقب المطر خضراء
 فالتة أعلم وقوله ان الله لطيف خبير
 أي علم بما في أرجاء الارض

منتهون أي انتهوا روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال انظروا
 الى من هو أسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله
 عليكم ثم وعده الله الصابرين بقوله (وكان ربك بصيرا) أي بكل من يصبر ومن لا يصبر
 فيجازي كلامه بما يستحقه (وقال الذين لا يرجون لقاءنا) هذه المذلة من جملة
 شهم التي قد حو بها في النبوة أي وقال المشركون الذين لا يبالون بلقاء الله وقيل
 المعنى لا يخافون لقاء ربهم بالشرك وهي لغة تهامة وأصل اللقاء الوصول الى الشيء ومنه
 الرؤية فانهم ما وصلوا الى المرمى والمراد به الوصول الى جزائه ويمكن أن يراد به الرؤية على
 الاول قال الفراء وضع الرجا موضع الخوف وقيل لا يأملون لقاءنا بالخير لكنهم
 بالبعث والحل على المعنى الحقيقي أولى فالمعنى لا يأملون لقاء ما وعدنا على الطاعة من
 الثواب ومعهم أن من لا يرجو الثواب لا يخاف العقاب (ولولا) هلا (انزل علينا
 الملائكة) فنجبر وننا أن محمد صلى الله عليه وآله وسلم صادق أو هلا انزلوا علينا رسلا
 يرسلهم الله (أو نرى ربنا) عما نأمن به باننا نحمد الله عليه وآله وسلم رسول ثم أجاب الله
 سبحانه عن شبهتهم هذه فقال (لقد استكبروا في أنفسهم وعصوا وعصاوا كبيرا) أي أنصروا
 الاستكبار عن الحق والعناد في قلوبهم كما في قوله تعالى ان في صدورهم الاكبر ما هم ببالغيه
 والعنوا مجاوزة الحد في الطغيان والبلوغ الى اقصى غايته قال ابن عباس عصوا أي شدة
 الكفر وصفه بالكبر ليكون التكلم بما تكلموا به من هذه المقالة الشنيعة في غاية الكبر
 والعظم فانهم لم يكتفوا بإرسال البشر حتى طلبوا ارسال الملائكة اليهم بل جازوا ذلك الى
 التخيير بينه وبين مخاطبة الله سبحانه ورؤيته في الدنيا من دون ان يكون بينهم وبينه ترجان
 ولقد بلغ هؤلاء الرذالة بانفسهم مبلغا في حقهم ما أقل وأرذل من أن تكون من أهله
 أو تعد من المستعدين له وهكذا من جهل قدر نفسه ولم ينف عنه دحده ومن جهل
 نفسه قدر رأى غيره منه ما يرى (يوم) أي اذ كريوم (يرون الملائكة) أي ملائكة
 العذاب رؤيته ليست على الوجه الذي طلبوه والصورة التي اقترحوها بل على وجه آخر
 وهو يوم ظهروا لهم عند الموت أو عند الحشر قال مجاهد يوم القيامة وعن عطية العوفي
 نحوه (لابشري يومئذ للمعمرين) أي ينعون البشري يوم يرون اولادهم بشري
 فيه فأعلم سبحانه بان الوقت الذي يرون فيه الملائكة وهو وقت الموت او يوم القيامة قد
 حرمهم الله البشري بخلاف المؤمنين فلمهم البشري بالجنة قال الزجاج المجرمون في هذا
 الموضع الذين اجترأوا الكفر بالله وهو ظاهر في موضع مضمر أو عام يتناولهم بعمومه وهم
 الذين اجترأوا الذنوب والمراد الكفار لان مطلق الاسماء يتناول الكل المسميات
 (ويقولون) عند مشاهدتهم للملائكة (حجرا) حراما (محجورا) هذه كلمة كانوا
 يتكلمون بها عند لقاء عدوهم ونائلة هائلة يضعونها موضع الاستعاذة يقال للرجل
 أتفعل كذا فيقول حجرا محجورا أي حراما عليك التعرض لي والمعنى يطلبون من الله أن
 يمنع المكروه فلا يلحقهم أي نسأله أن يمنع ذلك منعا ويحججه حجرا وقيل ان هذا من قول
 الملائكة أي يقولون للكفار حراما محراما أن يدخل أحد منكم الجنة وأن تكون

وأقطارها وأجرائها من الحب وان
صغر لا يخفى عليه خافية فيوصل الى
كل منه قطه من الماء فينبته به كما
قال لقمان يا بني انك من تلك منقال
حبة من خردل فتسكن في شجرة أو
في السموات أو في الارض يأت
بها الله ان الله لطيف خبير وقال
الابجد والله الذي يخرج
الحب في السموات والارض
وقال تعالى وماتسقط من ورقة الا
يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض
ولارطب ولا يابس الا في كتاب مبين
وقال ويبرز عن ربك من مثقال
ذرة في الارض ولا في السماء ولا
أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب
مبين ولهذا قال أمية بن أبي الصلت
أوزيد بن عمرو بن نفيل في قصيدته
وقولاه من بنبت الحب في الثرى
فيصبح منه البقل يهتز رايها
ويخرج منه حبة في رؤسه
ففي ذلك آيات لمن كان واعيا
وقوله له ما في السموات وما في الارض
أى ملكه جميع الاشياء وهو غنى
عما سواه وكل شئ فقير اليه عبد
لديه وقوله ألم تر أن الله خفض راسكم
ما في الارض أى من حيوان وجماد
وزروع وغار كما قال وخفض راسكم
ما في السموات وما في الارض جميعا
منه أى من احسانه وفضله وامتنانه
والفلك تجري في البحر بأمره أى
بتسخيره وتسييره أى في البحر الججاج
وتلاطم الامواج تجري الفلك
بأهلها بريح طيبة ورفق وتودة
فيحملون فيها ماشاءوا من تجار
وبضائع ومنافع من بلد الى بلد
وقطر الى قطر ويأتون بما عند أولئك

البشرى في اليوم الا للؤمنين وقال أبو سعيد الخدري حرام محرمان نبشكم بما نبشركم
المتقين وعن الحسن وقادة قاله كنه كانت العرب تقول لها عند الشدائد وقال مجاهد
أى عودا معاذ الملائكة تقوله والحجر صدر بمعنى الاستعانة والكسر والفتح لغتان
وقرى بهم ما وقرى بالضم وهولعة فيه وهو من حجره اذا منعه وقد ذكر سيبويه في باب
المصادر المنصوبة بما لم يتروك اظهارها هذه السكاهة وجهلها من جملتها وبه قال السمين
والبيضاوى والحجر العـ قل لانه يمنع صاحبه ومججور صفة مؤكدة للمعنى كقولهم ذيل
ذائل وموت مائت (وقد علمنا الى ما علموا من عمل) هذا وعيد آخر وذلك أنهم كانوا يعملون
أعمالا لها صور الخير من صلة الرحم وانعانه الملهوف واطعام الطعام وامثالها ولم يمنع من
الاثابة عليهم الا الكفر الذى هم عليه فغلت حالهم وأعمالهم بحال قوم خالفوا سلطانهم
واستهصوا عليه فقدم الى مامعهم من المتاع فانسد ولم يترك منه شيئا والا فلا قدوم ههنا
أو هو من الصفات كالجنى والنزول فيجب الايمان به من غير تاويل ولا تعطيل ولا
تكيف ولا تشبيه ولا تعطيل كما هو مذهب السلف الصالحاء وهو الحق قال الواحدى
معنى قد مناعمنا وقصدنا يقال قدم فلان الى امر كذا اذا قصده وقيل
هو قدوم الملائكة اخبر به عن نفسه تعالى والقصد فى حق الله يرجع لمعنى الارادة
(لجعلناه هباء منثورا) أى باطلا لا ثواب له لانهم لم يعملوا لله عز وجل ومنه الحديث
الصحيح كل عمل ليس عليه أمر نافه ورد والهبة واحدة هباءة والجمع هباءة قال النضر بن
شميل الهباء التراب الذى تطيره الريح كانه دخان وقال الزجاج هو ما يدخل من الكوة مع
ضوء الشمس شبه الغبار وكذا قال الخليل والازهرى وقال ابن عرفة الهباء والهبة التراب
الدقيق وقيل هو ما يسقط من حواف الدواب عند السير من الغبار وعن علي قال الهباء
شعاع الشمس الذى يخرج من الكوة وعنه الهباء وهج الغبار يسقط ثم يذهب فلا يبقى منه
شئ وعن ابن عباس قال الهباء الذى يطير من النار اذا اضطربت يطير منها الشرر فاذا وقع
لم يكن شيئا وعنه قال هو ما تنفى الريح وتبته من التراب وحطام الشجر وعنه هو الماء
المهراق والمعنى الاول هو الذى ثبت في لغة العرب ونقله العارفون بها والمنثور المفرق
والمعنى ان الله سبحانه احبط اعمالهم حتى صارت بمنزلة الهباء المنثور لم يكتف سبحانه
بتشبيه عملهم بالهباء حتى وصفه بأنه مفرق متبدد وبالجملة هو استعارة عن جعله بحيث
لا يقبل الاجتماع ولا يقع به الانتفاع اذ لا ثواب فيه لعدم شرطه ويجازون عليه في الدنيا
ثم ميز سبحانه حال الابرار من حال الفجار فقال (أصحاب الجنة يومئذ) أى يوم القيامة
(خير من متقرا) أى أفضل منزلا في الجنة من الكافرين في الدنيا (وأحسن مقيلا) أى
موضع قائله فيها أو هم خير منهم في الآخرة لو فرض أن يكون لهم ذلك أو أفعـ لمجرد
الوصف من غير مفاضلة عن ابن عباس قال في الغرف من الجنة قال النحاس والكوفيون
يجيزون العسل أحلى من الخلل قال ابن مسعود لا ينتصف النهار من يوم القيامة حتى يقبل
أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار وقال الازهرى القيلولة عند العرب الاستراحة
نصف النهار اذا اشتد الحر وان لم يكن مع ذلك نوم لان الله تعالى قال وأحسن مقيلا والجنة

الى هؤلاء كما ذهبوا بجماعة - دهؤلاء
الى أولئك مما يحتاجون اليه
ويطلبونه ويريدونه ويسكن السماء
أن تقع على الارض الا باذنه أى لو شاء
لاذن للسماء فسقطت على الارض
فهلك من فيها ولكن من لطفه
ورحمته وقدرته يسكن السماء أن
تقع على الارض الا باذنه ولهذا قال
ان الله بالناس لرؤوف رحيم أى مع
ظلمهم كما قال فى الآية الأخرى
وان ربك لذو مغفرة للناس على
ظلمهم وان ربك لشديد العقاب
وقوله وهو الذى أحياكم ثم يميتكم
ثم يحييكم ان الانسان لكفور كقوله
كف تكفرون بالله وكنتم أمواتا
فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم
اليه ترجعون وقوله قل الله يحييكم
ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة لا
ريب فيه وقوله قالوا ربنا أمتنا اثنتان
وأحييتنا اثنتان ومعنى الكلام كيف
تجعلون لله أئذا وتعددون معه
غيره وهو المستقل بالخلق والرزق
والتصرف وهو الذى أحياكم أى
خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئا يذكرون
فأوجدهم ثم يميتكم ثم يحييكم أى
يوم القيامة ان الانسان لكفور
أى بحود (لكل أمة جعلنا منسكا
هم ناسكوه فلا ينزعنك فى الامر
وادع الى ربك انك لعلى هدى
مستقيم وان جادلوك فقل الله أعلم
بما تعون - محلون الله يحكم بينكم يوم
القيامة فيما كنتم فيه تختلفون)
يخبر تعالى أنه جعل لكل قوم منسكا
قال ابن جرير يعنى لكل أمة نبي
منسكا قال وأصل المنسك فى كلام
العرب هو الموضع الذى يعتاده

لأنهم فيها وقال ابن عباس الحساب فى ذلك اليوم فى أوله ويرى ان يوم القيامة يقصر على
المؤمنين حتى يكون كما بين العصر الى الغروب والآية أشارت الى أن كلام من أهل الجنة
واهل النار قد قالوا أى استعقروا فى وقت القيامة وان كان استعقروا المؤمنين فى راحة
واستعقروا الكافرين فى عذاب فيكون الحساب لجميع الخلق قد انقضى فى هذا الوقت
(ويوم تشق السماء بالغمام) وصف سبحانه ههنا بعض حوادث يوم القيامة وتشقق
التفخ قرئ بتخفيف الشين وأصله تشقق وقرئ شدد على الادغام والمعنى انها تشقق
عن الغمام لان السماء وعن تعاقبان كما تقول رميت بالقوس وعن القوس قال أبو علي
القاسمى تشقق السماء عليها غمام كما تقول ركب الأمير سلاحة أى وعليه سلاحة وخرج
بشابه أى وعليه ثيابه وروى أن السماء تشقق عن سحاب رقيق أبيض مثل الضباب
ولم يكن الا لنبى اسرائيل فى تيههم وقيل ان السماء تشقق بالغمام الذى بينها وبين الناس
والمعنى انه يشقق السحاب بتشقق السماء وقيل انها تشقق لتزول الملائكة كما قال
سبحانه (ونزل الملائكة تنزيلا) وقيل الباء للسببية يعنى بسبب طلوع الغمام منها
كانه الذى يشقق به السماء وقيل أى متلبدة بالغمام وقرئ تنزل مخففا من الانزال
مضارع أنزل وقرئ نزل مشددا ماضيا مبني للمفعول وقرئ مبنية للفاعل وفاعله الله سبحانه
والملائكة منصوبة على المفعولية وقرئ أنزل وقرئ تنزلت الملائكة تنزلا كما دهم هذا
الفعل بتولاه تنزلا يدل على أن هذا التنزيل على نوع غريب وغضب عجيب قال أهل العلم
هذاتنزيل رضا ورجة لاتنزيل سخط وعذاب وعن ابن عباس قال فى الآية يجمع الله
الخلق يوم القيامة فى صعيد واحد الجن والانس والبهايم والسباع والطيور وجميع الخلق
فتشق السماء الدنيا فينزل أهلها وهم أكثر ممن فى الارض من الجن والانس وجميع
الخلق فيصيطون بالانس والجن وجميع الخلق فيقول أهل الارض أفيكم ربنا فيقولون
لا ثم تشق السماء الثانية وذكروا مثل ذلك ثم كذلك فى كل سماء الى السماء
السابعة وفى كل سماء أكثر من السماء التى قبلها ثم ينزل ربنا فى ظلال من الغمام وحوله
الكروريون وهم أكثر من أهل السموات السبع والانس والجن وجميع الخلق لهم قرون
ككعب القضاة وهم تحت العرش لهم زجل بالتسبيح والتهليل والتكديس لله تعالى ما بين
اخص قدم أحدهم الى كعبه مسيرة خمسمائة عام ومن ركبته الى خلفه مسيرة خمسمائة
عام ومن خلفه الى ترقوته مسيرة خمسمائة عام ومفوق ذلك مسيرة خمسمائة عام أخرجه
الحاكم وابن أبي الدنيا وابن جرير وغيرهم (الملك يومئذ الحق للرحمن) أى الملك الثابت
الذى لا يزول ولا يشركه فيه أحد للرحمن يومئذ لان الملك الذى يزول وينقطع ليس بملك
فى الحقيقة ولان السلطان الظاهر والاستيلاء الكلى العام الثابت صورة ومعنى ظاهرا
وباطنا بحيث لازوال له أصلا لا يكون الا الله تعالى فالملك مبدء الخلق صفته والرحمن خبره
ويومئذ متعلق بالملك وفائدة التقييد بالطرف ان ثبوت الملك المذكور له سبحانه خاصة فى
هذا اليوم وأما فيما عداه من أيام الدنيا فغيره أيضا ملك فى الصورة وان لم يكن حقيقيا
وقيل ان خبر المبتدا هو الطرف والحق نعت للملك والمعنى الملك الثابت للرحمن خاصة فى

الانسان ويتردد اليه اما الخير أو
شر قال ولهذا سميت مناسبة
الحج بذلك لترداد الناس اليها
وكوفهم عليها فان كان كما قال من
أن المراد لكل أمة نبي جعلنا منسكا
فيكون المراد بقوله فلا يازعناك
في الامر أي هؤلاء المشركون وان
كان المراد لكل أمة جعلنا منسكا
جعلنا قدرها كما قال ولكل وجهة
هو مولها ولهذا قال ههنا هم
ناسكوا أي فاعلموا فالضمة ههنا
عائد على هؤلاء الذين لهم مناسبة
وطرائق أي هؤلاء انما يفعلون هذا
عن تدبر الله وارادته فلا تتأثر
بما زعمتم لك ولا يصرفك ذلك
عما أنت عليه من الحق ولهذا قال
وادع الى ربك انك لعلي هدى
مستقيم أي طريق واضح مستقيم
موصول الى المقصود وهو هده كقوله
ولا يصدك عن آيات الله بعد اذ
أنزلت اليك وادع الى ربك وقوله
وان جادلوك فقل الله أعلم بما
تعملون كقوله وان كذبوك فقل لي
على ولكم عملكم أنتم بريئون مما
أعمل وأنا بريء مما تعملون وقوله
الله أعلم بما تعملون تهديد شديد
وعيداً كيد كقوله هو أعلم بما
تفيضون فيه كفي به شهيداً بيني
وبينكم ولهذا قال الله يحكم بينكم
يوم القيامة فيما كنتم تختلفون
وهذه كقوله تعالى فذلك فادع
واستمع كما أمرت ولا تتبع أهواءهم
وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب
الآية (ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء
والارض ان ذلك في كتاب ان ذلك
على الله يسر) يخبر تعالى عن كمال

هذا اليوم وقيل الملك مبتدأ والحق خبره وللرجن متعلق بالحق (وكان يوماً على الكافرين
عسيراً) أي وكان هذا اليوم مع كون الملك فيه لله وحده شديداً على الكفار لما يصابون به
فيه وينالهم من العقاب بعد تحقيق الحساب وأما على المؤمنين فهو يسيراً غير عسير
لما ينالهم فيه من الكرامة والبشرى العظيمة وجاء في الحديث أنه يوم القيامة على
المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة وصلاة في الدنيا (و) اذكر (يوم بعض
الظلم على يديه) الظاهر ان العوض هنا حقيقة ولا مانع من ذلك ولا موجب لتأويله قال
عطاءياً كل الظالم يديه حتى يأكل مرقبه ثم يندب ثياباً كلها وهكذا كما انبت يده
أكلها ما تحسرا على ما فعل ذكره الخازن وقيل هو كناية عن الغيظ والحسرة والاولى
والمراد بالظالم كل ظالم يرد ذلك المكان وينزل ذلك المنزل ولا ينافيه ورود الآية على سبب
خاص فالاعتبار بعينه وم اللفظ لا بخصوص السبب وعن ابن عباس قال في الآية هو
أبي بن خلف وعقبة بن أبي معيط وهما الخليلان في جهنم (يقولان) قوم (ليتنى
اتخذت مع الرسول سبيلاً) أي طريقاً وهو طريق الحق ومشت فيه حتى أخلص من
هذه الامور المضلة والمراد اتباع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما جاء به يعني ليتنى اتبع
محمد صلى الله عليه وآله وسلم واتخذت في الدنيا معه طريقاً الى الهداية (يا ويلتى) وقرئ
يا ويلت بالياء الصريحة وقرئ باللاملة وقرئ كما أحسن (ليتنى) لم اتخذ فلان خيلاً دعا
على نفسه بالويل والشبور على محالة الكافر الذي أضله في الدنيا وفلان كناية عن الاعلام
قال النيسابوري زعم بعض أئمة اللغة انه لم يثبت استعمال فلان في النصيح الاحكامية
لا يقال جاءني فلان ولكن يقال قال زيد جاءني فلان لانه اسم اللفظ الذي هو علم الاسم
وكذلك جاءني كلام الله وقيل فلان كناية عن علم ذكر كور من يعقل وفلان عن علم اناتهم
وهو منصرف وقيل كناية عن نكرة من يعقل من الذكور وفلان عن يعقل من الاناث
وأما الفلان والفلانة بالالف واللام فكناية عن غير العقلاء وفل يحتمل بالنداء الا في
ضرورة الشعر وليس فل مرخاً من فلان خلافاً للفرأ وزعم أبو حيان ان ابن عصفور وابن
مالك وهما في جعل فلان كناية عن علم من يعقل وفي لامة وجهان أحدهما انها واو والثاني
انها ياء وحكم الآية عام في كل خليين ومضامين اجتمعوا على عصية الله عز وجل وعن
أي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحشر المرء على دين خليله فلينظر
أحدكم من يخال آخر جه أبوداد والترمذي وله ما عن أبي سعيد الخدري قال قال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تصاحب الا مؤمناً ولا يأكل طعامك الا تقي وروى
الشيخان عن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال مثل الجليس
الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافع الكبر كحامل المسك اما ان يحذيك واما ان
تبتاع منه واما ان تجده منه ربحاً طيبة ونافع الكبر اما يحرق ثيابك واما ان تجده منه
ربحاً خبيثة (انقد) أي والله لقد (أضاني) هذا الذي اتخذته خليلاً له لميل لفتنه المذكور
وتوضيح: لعله وتصديره باللام التسمية له بالغة في بيان خطئه واطهاره وندمه وحسرة
(عن الذكر) أي القرآن أو كتاب الله أو ذكره أو الموعظة أو كلمة الشهادة أو مجموع ذلك

علمه بخلقه وأنه محيط بما في السموات وما في الأرض فلا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر وأنه تعالى علم الكائنات كلها قبل وجودها وكتب ذلك في كتابه اللوح المحفوظ كما ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله قدر مقادير الخلائق قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء وفي السنن من حديث جماعة من الصحابة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أول ما خلق الله القلم قال له اكتب قال وما أكتب قال اكتب ما هو كائن بخبري القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا ابن بكير حدثنا ابن لهيعة حدثنا عطاء بن دينار حدثنا سعيد بن جبيرة قال قال ابن عباس خلق الله اللوح المحفوظ كسيرة مائة عام وقال للقلم قبل أن يخلق الخلق وهو على العرش تبارك وتعالى اكتب فقال القلم وما أكتب قال على في خلق إلى يوم تقوم الساعة بخبري القلم بما هو كائن في علم الله إلى يوم القيامة فذلك قوله للنبي صلى الله عليه وسلم ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض وهذا من تمام علمه تعالى أنه علم الأشياء قبل كونها وقدرها وكتبها أيضا فالعباد عاملون قد علمه تعالى قبل ذلك على الوجه الذي يفعلونه فيعلم قبل الخلق أن هذا بطبع باختياره وهذا بعض باختياره وكتب ذلك عنده وأحاط بكل شيء

(بعد إذا جاءني) وتمكنت منه وقد رت عليه بأن ردني عن الإيمان به (وكان الشيطان للانسان خذولا) بأن يتركه ويتبرأ منه عند البلاء والخذل ترك الأنغاة ومنه خذلان ابليس للمشركين حيث يوالونه ثم يتركهم عند استغاثتهم به وهذه الجملة مقررة لمضمون ما قبلها ويحتمل أن تكون من كلام الله تعالى أو من تمام كلام الظالم وأنه سمي خذله شيطانا بعد أن جعله مضلا أو أراد بالشيطان ابليس لكونه الذي حمله على مخالفة المضلين (وقال الرسول) أي يقول في يوم القيامة بشاوش كاية لله مما صنع قومه أو هو حكاية لقوله صلى الله عليه وآله وسلم في الدنيا (يا رب انقضي هذا القرآن) الذي جئت به إليهم وأمرتني بإبلاغه وأرسلتني به (مهاجورا) أي متروكا لم يؤمنوا به ولا قبلوه بوجه من الوجوه أوليهم لموايه وقيل من هجر أذا هذى والمعنى أنهم اتخذوه هجرا هذيانا وقيل المعنى مهاجورا فيه وهجرهم فيه قولهم أنه هجر وشعر وأساطير الأولين (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا ومن المجرمين) هذا نسلمه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى أن الله جعل لكل نبي من الأنبياء الداعين إلى الله عدوا به من مجرى قومه فلا تجز عيا محمد فان هذا دأب الأنبياء قبلك واصبر كما صبروا قال ابن عباس في الآية كان عدو النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبو جهل وعدو موسى قارون وكان قارون ابن عم موسى (وكفى بربك) الباء زائدة (هاديا) يهدي عباده إلى مصالح الدين والدنيا (ونصيرا) ينصرهم على الأعداء (وقال الذين كفروا والوا تنزل عليه القرآن جملة واحدة) هذا من جملة اقتراحاتهم وتعتاتهم أي هلا أنزل الله عليه الكتاب دفعة واحدة غير منجم كما أنزل التوراة على موسى والإنجيل على عيسى والزبور على داود عليهم السلام واختلف في قائل هذه المقالة ف قيل كفار قريش وقيل اليهود قالوا هلا أتينا بالقرآن جملة واحدة وهذا زعم باطل ودعوى داحضة فان هذه الكتب نزلت مفرقة كما نزل القرآن ولكنهم معاندون أو جاهلون لا يدرون بكيفية نزول كتب الله سبحانه على أنبيائه واعتراض منهم لاطائل تحته لان الإعجاز لا يختلف بنزوله جملة أو متفرقا مع أن المتفرق فوائد منها أن نزوله بحسب الوقائع يوجب مزيد بصيرة وغوص على المعنى ولأنه إذا نزل منجم فكل فحجم فيجوز عن معارضته زاد ذلك في قوة قلبه ومنها انضمام القرائن الحاسمة إلى الدلالات اللفظية فانه يعين على البلاغة ثم رد الله سبحانه عليهم فقال (كذلك) إشارة إلى ما يفهم من كلامهم أي مثل ذلك التفرق الذي قد حو افهمه واقترحوا خلافة نزولناه (انثبت) انقوى (به) أي بهذا التبريل على هذه الصفة (فوائد) فان انزاله مفرقا منجم على حسب الحوادث أقرب إلى حفظك له وفهمك لمعانيه وذلك من أعظم أساليب النيب وقرأ النبي بالتحسية أي الله سبحانه وقيل قوله كذلك هي من تمام كلام المشركين والمعنى كذلك أي كالتوراة والإنجيل والزبور فيوقف على قوله كذلك ثم يبتدأ بقوله ان ثبت به فوائد على معنى أنزلناه عليك متفرقا لهذا الغرض قال ابن الأنباري وهذا أجود وأحسن قال النحاس وكان ذلك أي انزال القرآن منجبا من اعلام النبوة لانهم لا يسألونه عن شيء إلا أجيبوا عنه

علما وهو سهل عليه يسر له ولهدا
قال تعالى ان ذلك في كتاب ان ذلك
على الله يسير (ويعبدون من دون
الله مالم ينزل به سلطانا وما ليس لهم
به علم وما للظالمين من نصير واذا تتلى
عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه
الذين كفروا والمنكر يكادون
يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا
قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار
وعدها الله الذين كفروا وبئس
المصير) يقول تعالى مخبرا عن
المشركين فيما جهلوا وكفروا
وعبدوا من دون الله مالم ينزل به
سلطانا يعني حجة وبرهاننا كقوله
ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان
له به فأنما حاسبه عند ربه انه لا يفلح
الكافرون ولهذا قال ههنا مالم
ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم أى
ولا علم لهم فيما اختلقوه وائتفكوه
وانما هم وأمر تلقوه عن آباءهم
واسلافهم بلا دليل ولا حجة وأصله
محاسول لهم الشيطان وزينه
لهم ولهذا توعدهم تعالى بقوله
وما للظالمين من نصير أى من ناصر
ينصرهم من الله فيما يحل بهم من
العذاب والنكال ثم قال واذا تتلى
عليهم آياتنا بينات أى واذا ذكرت
لهم آيات القرآن والحجج والدلائل
الواضحات على توحيد الله وانه
لا اله الا هو وان رساله الكرام حق
رصدق يكادون بسطون بالذين
يتلون عليهم آياتنا أى يكادون
يسادرون الذين يحبسون عليهم
بالدلائل الصحيحة من القرآن
ويسطون اليهم أيديهم وأسنتهم
بالسوء قل أى يا محمد لهؤلاء أفأنبئكم

وهذا لا يكون الا من نبى فكان ذلك تنبيها للفوائد وأفندتهم قال ابن عباس اى لنشد به
فؤادك وزيبط على قلبك والمعنى أنزله فمفرقاته وتحتفظه فان الكتب المتقدمة نزلت
على أنبياء يكتبون ويقرؤون وأنزل القرآن على نبى أسمى لا يكتب ولا يقرأ ولان من القرآن
الناسخ والمنسوخ ومنه ما هو جواب سؤال عن أمور تحدث في الاوقات المختلفة فمفرقاته
ليكون أدعى لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأيسر على العامل به (ورتلنا ترتيلا)
بديعا لا يقادر قدره ومعنى الترتيل أن تكون آية بعد آية قاله النخعي والحسن وقناة وقبل
ان المعنى بيناه تبيينا وقال السدى فصلناه تفصيلا وقال ابن عباس رسلناه ترسيلا يقول
شيأ بعد شئ وقال مجاهد بفضه في أثره بض قال ابن الاعرابى ما علم الترتيل الا التحقيق
والتيبين وقيل قرأناه عليك بله ان جبريل شيأ بعد شئ في عشر من أو ثلاث وعشرين سنة
على تودة وتهل لتيسر فهمه وحفظه ثم ذكر سبحانه أنهم محجوجون في كل أوان مدفوع
قولهم بكل وجه وعلى كل حالة فقال (ولا يأتونك) أى لا يأتيتك يا محمد المشركون (بمثل)
من أمثالهم التى من جللتها اقترحاتهم المتعنتة في ابطال أمرك (الاجتنالك) في مقابلة
مثلهم (بالحق) أى بالجواب الحق الثابت الذى يبطل ما جاؤا به من المثل ويدفعه ويدفعه
فالمراد بالمثل هنا السؤال والاقتراح والحق جوابه الذى يقطع ذريعتيه ويبطل شبهته
ويحسم مادته والاستثناء مفرغ من أعم الاحوال والجملة في محل الحال أى لا يأتونك بمثل
في حال من الاحوال الا في حال ايماننا بذلك (وأحسن تفسيراً) أى جئتلك بأحسن
تفسير بياننا وتفصيلنا وبما هو أحسن معنى ومؤدى من مثاهم أى من سؤالهم وانما حذف
من مثلهم لأن في الكلام دليلا عليه ثم أوعد هؤلاء الجاهلة وذمهم فقال (الذين يحشرون)
كائنين (على وجوههم) ومعنى الحشر على الوجوه أنهم يستحشرون على الوجوه يطؤون الارض
على رؤسهم مع ارتفاع اقدامهم بقدرة الله ويساقون ويمحرون عليهم (الى جهنم أو لئلك
شركنا) أى منزلا ومصيرا ومسكوا وجوههم (وأفضل سبيلا) واخطأ طريقا من
غيرهم وهو كفرهم وذلك لانهم قد صاروا في النار وهو من الاسناد المجازى وقد تقدم
تفسير مثل هذه الآية في سورة سجنان وقد قيل ان هذا متصل بشوله أصحاب الجنة يؤثمد
خير مسـتقروا أحسن مقيلا (ولقد) أى والله لقد (آتيناموسى الكتاب) أى التوراة كما
آتيناك القرآن ذكر سبحانه طرفا من قصص الاولين تسلية له صلى الله عليه وآله وسلم بان
تكذيب قوم أنبياء الله لهم عادة للمشركين بالله وليس ذلك بخاص بعبد صلى الله عليه
وآله وسلم (وجعلناهم أئمة هرون وزيرا) أى عونا وعضدا في الدعوة واعلاء الكلمة
قاله قتادة وقال الزجاج الوزير فى اللغة الذى يرجع اليه ويعمل برأيه والوزير ما يعصم به
ومنه كلالا وزر وقد تقدم تفسير الوزير في طه والوزارة لاننا في النبوة فقد كان يعصم في
الزمان الواحد أنبياء ويؤمنون بان يوازر بعضهم بعضا وقد كان هرون في أول الامر وزيرا
لموسى عليهما السلام أولا شرا كهما في النبوة لان المشاركين في الامر متوازان عليه
(فقلنا اذهب الى القوم الذين كذبوا) وهم فرعون وقومه يعنى القبط (بآياتنا) هى التسع

المذكورة التي تقدم ذكرها وان لم يكونوا قد كذبوا بها عند امر الله لموسى وهرون بالذهاب
 فيحمل الماضي على معنى الاستقبال أى سيكذبون بها وقيل انما وصفوا بالكذب عند
 الحكاية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بآثاره لاستحقاقهم للعذاب وقيل يجوز ان
 يراد الى القوم الذين آل حالهم الى ان كذبوا وقيل ان المراد بوصفهم بالكذب عند
 الارسال انهم كانوا مكذبين للآيات الالهية وليس المراد آيات الرسالة قال القشيري وقوله
 تعالى في موضع آخر اذهب الى فرعون اندطعي لا ينافي هذا لانهم اذا كانوا من المؤمنين فكل
 واحد من اموريه يمكن ان يقال ان تخصيص موسى بالخطاب في بعض المواطن لكونه الاصل
 في الرسالة والجمع بينهم في الخطاب لكونهم من سلبين جميعا (فدمرناهم تدميرا) في الكلام
 حذف أى فذهب اليهم فكذبوهم فاعادناهم اترك ذلك التفسير اهلا كاعظيما فاقصر
 على حاشيتي القصيدة كتناسها هو المتصور ومنها وهو الزام الحجة بعبئة الرسل واستحقاق
 التدمير بتكذيبهم وقيل ان المراد بالتدمير هنا الحكم به لاندلج يحصل عقب بعث موسى
 وهرون اليهم بل بعده بعدة (و) اذكر (قوم نوح لما كذبوا الرسل) أى كذبوا نوحا وانما جمع
 اطول لبثه فيهم فكأنه رسل في المعنى أو كذبوه وكذبوا من قبله من رسل الله لاشتراكهم
 في الجحى بالتوحيد قال الزجاج من كذب نبيا فقد كذب جميع الانبياء (أغرقناهم)
 بالاطوفان كما تقدم في هود (وجعلناهم) أى جعلنا غرقهم أو قصتهم للناس كلهم بعدهم
 (آية) أى عبرة يتعظ بها كل مشاهد لها وسمع خبرها (واعندنا) في الآخرة (لظالمين)
 الكافرين أى قوم نوح خاصة فيكون وضع اللفظ موضع الضمير تسجيلا عليهم بوصف
 الظلم ويجوز ان يكون المراد كل من سلك مسلكهم في التكذيب (عذابا أليما) هو عذاب
 الآخرة سوى ما حل بهم من عاجل العذاب في الدنيا (و) اذكر (عادا) قوم هود (وغود)
 قوم صالح وقصته ما قد ذكرنا فيما سبق وغود بالصرف على معنى الحى وتركه على تأويله
 بالقبيل لقراءتان سبعيتان (وأحباب الرس) هو في كلام العرب البئر التي تكون غير
 مطوية أى لم تبني بالحجارة والجمع رساس كذا قال أبو عبيدة وقيد هاهنا هل اللغة كصاحب
 القاموس بانها التي طويت أى بنيت بالحجارة فيؤخذ من مجموع النقل ان الرس يطلق
 على البئر مطلقا أى سواء طويت أم لا وفي القاموس الرس ابتداء الشيء ومنه رس الحى
 ورسيها والبئر المطوية بالحجارة انتهى قال السدي هي بئر بانطاكية قتلوا فيها حبيب
 النجار فنسبوا اليها وهو صاحب يس الذي قال يا قوم اتبعوا المرسلين وكذا قال مقاتل
 وعكرمة وغيرهما وقيل هم قوم باذر بجان قتلوا انبياءهم خفت أشجارهم وزرعهم فأتوا
 جوعا وعطشا وقيل كانوا يعبدون الشجر وقيل كانوا يعبدون الاصنام فارسا لرسول الله اليهم
 شعبيا عليه السلام فكذبوه وآذوه وقيل بئر بقلج اليمامة قرية عظيمة بناحية اليمن
 وموضع باليمن من مساكن عادوهم قوم أرسل الله اليهم نبيا فأكوه وقيل هم أصحاب
 الاخ-دود وقيل ان الرس هي البئر المعطلة التي تقدم ذكرها وأصحابها أهلها وقال
 في الصحاح الرس اسم بئر كانت لبقيع غود وقيل الرس ما وفضل ابنى أسد وقيل هو الثلج

بشر من ذلكم النار وعدها الله
 الذين كفروا أى النار وعذابها
 ونكالها أشد وأشق وأظم وأعظم
 مما تخوفون به أولياء الله المؤمنين
 فى الدنيا عذاب الآخرة على
 صنيعكم هذا أعظم مما تنالون منهم
 ان نلتهم بزعمكم وارادة بكم وقوله
 وبئس المصير أى وبئس النار مقبلا
 ومنزلا ومرجعا وموتلا ومقاما
 انها ساءت مستقرا ومقاما (يا أيها
 الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان
 الذين تدعون من دون الله لن
 يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلمهم
 الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف
 الطالب والمطلوب ما قدر والله
 حق قدره ان الله لقوى عزيز) يقول
 تعالى منها على حقارة الاصنام
 وسخافة عول عابديها يا أيها الناس
 ضرب مثل أى لما يعبد الجاهلون
 بالله المشركون به فاستمعوا له أى

المتراكم في الجبال أو الرس اسم واد قريب من البصرة قاله ابن كثير والرس أيضا
 الاصلاحي بين الناس والافساد بينهم فهو من الاضداد وقيل الرس نهر بالشرق وقيل
 هم قوم كذبوا بينهم ورسومه أي دسوه في بئرفيناهم حول الرس وهي البئر الغير المطوية
 فانهارت تخسف بهم وبمنازلهم وديارهم وقيل هم أصحاب حنظلة بن صفوان وهم
 الذين ابتلاهم الله بالطائر المعروف بالعنقاء قال ابن عباس الرس قرية من ثمود وعنه
 بئر بأذربيجان وعنه انه سأل كعبا عن أصحاب الرس قال صاحب يس وورد عن محمد بن
 كعب القرظي في صاحب الرس خبر طويل مرفوع فيه نكارة وغرابة ولعل فيه
 ادراجا كما قال ابن كثير في تنسيه والحديث أيضا مرسل (وقرونا بين ذلك كثيرا)
 القرون جمع قرن أي أهل قرون يعني واذا كرا أقواما والقرن مائة سنة قاله قتادة
 وقيل مائة وعشرون سنة قاله زرارة بن أوفى وقيل أربعون سنة وقيل سبعون سنة
 قاله قتادة أيضا وقد روى مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال القرن مائة سنة
 وقال القرن خمسون سنة وقال القرن أربعون سنة وما أظنه يصح شيء من ذلك وقد سمي
 الجماعة من الناس قرنا كما في الحديث الصحيح خير القرون قرني وأخرج الحاكم في المستدرك عن
 ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا انتهى إلى معدن عدنان أمسك
 ثم يقول كذب النسابون قال الله وقرؤنا بين ذلك كثيرا والاشارة بقوله بين ذلك إلى ما تقدم
 ذكره من الامم أي بين عادات أصحاب الرس وهم جماعات فلذلك حسن دخول بين عليه وقد
 يذكر الذاكر أشياء مختلفة ثم يشير إليها بذلك ويحسب الحاسب أعدادا متكررة ثم يقول
 فذلك كيت وكيت أي ذلك المحسوب أو المعداد (وكلا) أي كل الامم (ضربنا الامثال)
 أي القصص العجيبة من قصص الاولين التي تشبه الامثال في الغرابة وينسأ لهم الحجة فلم
 نعلمكمهم الا بعد الانذار ولم نضرب لهم الامثال الباطنة كما يفعل هؤلاء الكفرة (وكلا تبرا
 تنبيها) التنبيه الالهلاك بالعذاب قال الزجاج كل شيء كسرتة وفتته فقد تبرته ومنه التبر
 لفتات الذهب والنفضة وقال المؤرج والخنفس معناه دمرا تاميرا أبدلت التاء والباء من
 الدال والميم (ولقد أنزلنا على القرية) مستأنفة مبنية مشاهدتهم لا تارها لكان بعض الامم
 ضمن أي معنى مرلانه يستعمل متعديا بنفسه أو بالي والمعنى ولقد أنزلنا مشركا في
 أسفارهم إلى الشام على قرية قوم لوط وهي سدوم وهي أعظم قرى قومه وكانت خسا
 أهلك الله أربعا مع أهلها وبقيت واحدة وهي أصغرهما وكان أهلها لا يعمل الخبائث
 (التي أمطرت مطر السوء) وهو الحجارة قاله ابن عباس والامطار معناه الرمي أي هلكت
 بالحجارة التي أمطروا بها ورميت رمي الحجارة والمعنى أعطيتهم وأوليتها مطر السوء أي
 امطارا مثل مطر السوء وقد تقدم تفسير السوء في براءة (أفلم يكونوا يرونها) الاستفهام
 للتقرير والتوبيخ أي يرون القرية المذكورة عند سفرهم إلى الشام للتجارة فأنهم يرون
 بها ما را أي يرون آثارها وآثار ما حل بها لها وقيل للتقرير أي حل الخطاب على الاقرار
 بما يعرفه وهو ما بعد النفي أي ليقروا بانهم رأوها حتى يعتبروا بها وانقاء للعطف على مقدر
 أي لم يكونوا يتظرون اليها فلم يكونوا يرونها وكانوا يتظرون اليها فلم يكونوا يرونها في مرات

انصتوا وتفهموا ان الذين تدعون
 من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو
 اجتمعوا له أي لو اجتمع جميع
 ما تعبدون من الاصنام والانداد
 على ان يقتلوه على خلق ذباب
 واحد ما قدروا على ذلك كما قال
 الامام أحمد حدثنا أسود بن عامر
 حدثنا شريك عن عمار بن القعقاع
 عن أبي زرعة عن أبي هريرة مرفوعا
 قال ومن أظلم ممن ذهب يخلق
 كخلق فليخلقوا مثل خلق ذرة أو
 ذبابة أو حبة وآخرجه صاحبنا الصحيح
 من طريق عمار عن أبي زرعة عن
 أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه
 وسلم قال قال الله عز وجل ومن
 أظلم ممن ذهب يخلق كخلق فليخلقوا
 ذرة فليخلقوا شعيرة ثم قال تعالى أيضا
 وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه
 منه أي هم عاجزون عن خلق ذباب
 واحد بل أبلغ من ذلك عاجزون

مرورهم ليتعظوا بما كانوا يشاهدونه من آثار العذاب فالمنكر في الاول ترك النظر وعدم الرؤية معا والمنكر في الثاني عدم الرؤية مع تحقق النظر الموجب لها (بل كانوا لا يرجون) أي لا يأملون (نشورا) أي بعثنا أضرب سبحانه عما سبق من عدم رؤيتهم لتلك الآثار الى عدم رجاء البعث منهم المستلزم لعدم رجائهم للجزاء أو بمعنى يرجون يخافون على اللغة التهامية (واذا رأوا أولادنا) أي ما (يتخذونك الاهزوا) أي مهزوا بك قصر معاملتهم له على اتخاذهم اياه هزوا قيل نزلت في أبي جهل كان اذا مر مع أصحابه قال مستهزيا (أهذا الذي بعث) أي بعثه (الله رسولا) أي مرسلاني دعوا وفي اسم الإشارة دلالة على استحقاقهم له وتهكمهم به (ان كاد) أي قالوا انه كاد هذا الرسول (ليضلنا) ليصرفنا (عن آلهتنا) فتترك عبادتها بفطر اجتهاده والدعاء الى التوحيد وكثرة ما يورده مما يسبق الى الذهن انه حجب ومعجزات (لولا أن صبرنا عليها) أي حبسنا أنفسنا على عبادتها ثم انه سبحانه أجاب عليهم بقوله (وسوف يعلمون حين يرون العذاب) عيانا أي عذاب يوم القيامة الذي يستحقونه ويستوجبونه بسبب كفرهم (من اضل سبيلا) أي أبعد طريقا عن الحق والهدى أهم أم المؤمنون ثم بين لهم سبحانه انه لا تمسك لهم فيما ذهبوا اليه سوى التقليد واتباع الهوى فقال محجبا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (أرايت من اتخذ الهه هواه) قدم المفعول الثاني للعناية به كما تقول علمت منطلقا زيدا قاله الزمخشري أي اطاع هواه طاعة كطاعة الاله أي انظر اليه يا محمد وتعجب منه والوجه الآخر انه لا تقديم ولا تأخير لاستوائهم في التعريف قاله السمين فادعاء القلب ليس بجيد دلالة من ضرورات الشعر وقال أبو السعدي بالوجه الاول ثم قال ومن توهم انه مما على الترتيب بناء على تساويهم في التعريف فتدغاب عنه أن المفعول الثاني في هذا الباب هو المتلبس بالحالة الحادثة أي أرايت من جعل هواه الهه النفسه من غير أن يلاحظه وبني عليه أمر دينه معرضا عن استماع الحجة الباهرة والبرهان النير بالكلية عن ابن عباس قال كان الرجل يعبد الحجر الأبيض زمانا من الدهر في الجاهلية فاذا وجد حجرا أحسن منه رمى به وعبد الآخر فانزل الله الآية وعنه قال ذلك الكافر لا يهوى شيئا الا اتبعه وعن الحسن مثله (أفانت تكون عليه وكيفا) أي حفيظا وكفيا حتى ترده الى الايمان وتخرجه من الكفر وتحفظه من اتباع الهوى وعبادة ما يهواه من دون الله والاستهتاف بالانكار والاستبعاد فإعني لست تقدر على ذلك ولا تطبقه فليست الهداية والضلالة موكولتين الى مشيئةك وانما عليك البلاغ وقد قيل ان هذه الآية منسوخة بآية القتال قاله الكلبي ثم انتقل سبحانه من الانكار الاول الى انكار آخر فقال (أم تحسب أن اصنعهم بسمعهم) ماتلوع عليهم من آيات القرآن ومن المواعظ سماع تفهم واعتبار (أو يعقلون) معاني ذلك ويفهمونه حتى تعنى بشأنهم وتطمع في ايمانهم ولبسوا كذلك بل هم غفلة من لا يسمع ولا يعقل وتخصيص الاكثر بالذکر لانه كان منهم من آمن ومنهم من عقل الحق وكبر استكبارا وخوفا على الرياسة ثم بين سبحانه حالهم وقطع مادة الطمع فيهم فقال (انهم) أي ما هم

عن مقاومته والانتصار منه لوسلها شيئا من الذي عليه من الطيب ثم أرادت ان تستنقذه منه لما قدرت على ذلك هذا والذباب من أضعف مخلوقات الله وأحقرها ولهذا قال ضعف الطالب والمطلوب قال ابن عباس الطالب الصنم والمطلوب الذباب واختاره ابن جرير وهو ظاهر السياق وقال السدي وغيره الطالب العابد والمطلوب الصنم ثم قال ما قدر الله حتى قدره اي ما عرفوا قدر الله وعظمتهم حين عبدو معه غيره من هذه التي لا تقاوم الذباب لضعفها وعجزها ان الله لقوى عزيز أي هو القوى الذي بقدرته وقونه خلق كل شيء وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ان بطش ربك لشديد انه هو يبدئ ويعيد ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين وقوله

في الانتفاع بما يسهونه (الا كالانعام) التي هي مسلوكة العقل والفهم فلا تطمع فيهم فان
فائدة السمع والعقل مفقودة وان كانوا يسهون ما يقال لهم وينفقون ما يتلى عليهم
واكتنهم للملم ينتفعوا بذلك كانوا كالفاقد له ثم أضرب سبحانه عن الحكم عليهم بانهم كالانعام
الى ما هو فوق ذلك فتدل (بل هم أضل) من الانعام (سبيلا) أى طريقا قال مقاتل
البهايم تعرف ربهم سادتهم تدى الى مراعيها ومشاربها وتنفق ادلا ربها وهؤلاء لا ينقادون
ولا يعرفون ربهم الذي خلقهم ورزقهم والمعنى انهم انفقوا لمن يتعهدوا وتميز من يحسن
اليها من يسي اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وهؤلاء لا ينقادون لربهم
ولا يعرفون احسانه من اساءة الشيطان ولا يطلبون الثواب الذي هو أعظم المنافع
ولا يتقون العقاب الذي هو أشد المضار ولا نجهالها لتضر باحد وجهاته هؤلاء تؤدى
الى تهيج الفتن وصدد الناس عن الحق ولا نهائهم كمنه من طلب الكمال فلا تقصير منها
ولازم عليهم اوعلا مقصرون ومستهترون أعظم العقاب على تقصيرهم وقيل انما كانوا
أضل من الانعام لانه لا حساب عليها ولا عقاب لها وقيل انما كانوا أضل لان البهايم اذالم
تعقل صحة التوحيد والنبوة لم تعتد بطلان ذلك بخلاف هؤلاء فانهم اعتقدوا البطلان
عنادا ومكابرة وتعصبا ونمط الحق وقيل ان الانعام تسجد وتسبح والكفار لا يفعلون ذلك
وقيل الملائكة تروح وعقل والبهايم نفس وهوى والا دعى مجمع الكل ابتلاء فان غلبته
النفس والهوى فضلتها الانعام وان غلبته الروح والعقل فضل الملائكة الكرام ولما
فرغ الله سبحانه من ذكر جهالة الجاهلين وضلالهم اتبعه بذكر طرف من دلائل التوحيد
مع ما فيها من عظيم الانعام وحاصل ما ذكر منها خمسة فالاول الاستدلال باحوال الظل
فتقال (ألم ترالى ربك كيف) أى على أى حالة وعلى أى وجه (مد الظل) هذه الرؤية اما
بسريرة والمراد بها ألم تبصر الى صنع ربك او ألم تبصر الى الظل كيف مدد ربك واما قلبية
بمعنى العلم فان الظل متغير وكل متغير حادث وكل حادث موجد قال الزجاج ألم تر ألم تعلم
وهذا من رؤية القلب قال وهذا الكلام على القلب والتقدير ألم ترالى الظل كيف مدده
ربك يعنى الظل من وقت الاسفاد الى وقت طلوع الشمس هو ظل لشمس معه وبه قال
الحسن وقتادة وقيل هو من غيمو به الشمس الى طلوعها قال القرطبي والاول أنصح
والدليل على ذلك انه ليس من ساعة أطيب من تلك الساعة فان فيها يجد المريض راحة
والمسافر وكل ذي علة وفيها تزد نفوس الاموات والارواح منهم الى الاجساد وتطيب
نفوس الاحياء فيها وهذه الصفة مفقودة بعد المغرب وقال أبو العالية انها راحة هكذا
وأشار الى ساعة المصلين صلاة الفجر قال أبو عبيدة الظل بالغة والنبي بالعشى لانه يرجع
بعد زوال الشمس سمى قبا لانه فاه من المشرق الى جانب المغرب وقال ابن السكيت الظل
ما نحتته الشمس والنبي ما نسخ الشمس وعن رؤية قال كل ما كانت عليه الشمس فزال
عنه فهو في وظل ومالم تكن عليه الشمس فهو ظل انتهى وحقيقة الظل انه أمر متوسط
بين الضوء الخالص والظلمة الخالصة وهذا المتوسط هو العدل من الطرفين وأطيب
الاحوال لان الظلمة الخالصة يكرها الطبع وينفر عنها الحس والضوء الكامل لقوته يبه

عزيراي قد عز كل شيء فقهه
وغلبه فلا يناع ولا يغالب لعظمته
وسلطانه وهو الواحد القهار (الله
يصطفي من الملائكة رسلا ومن
الناس ان الله سميع بصير يعلم ما بين
أيديهم وما خلفهم والى الله ترجع
الامور) يخبر تعالى انه يختار من
الملائكة رسلا فيما يشاء من شرعه
وقدره ومن الناس لا يبلغ رسالاته ان
الله سميع بصير أى سميع لاقوال
عباده بصير بهم عليهم بمن يستحق
ذلك منهم كما قال الله أعلم حيث
يجعل رسالاته وقوله يعلم ما بين أيديهم
وما خلفهم والى الله ترجع الامور
أى يعلم ما يفعل برسله فيما أرسلهم به
فلا يخفى عليه شئ من أمورهم كما
قال عالم الغيب فلا يظهر على غيبه
أحد الى قوله وأحصى كل شئ
عددا فهو سبحانه رقيب عليهم
شهيد على ما يقال لهم حافظ لهم

الحس البصرى ويؤذى بالتسخين ولذلك وصفت به الجنة في قوله وظل محدود قال ابو
 السعود واما ما قيل من ان المراد بالظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس فغير سديد اذ
 لا ريب في ان المراد تنبيه الناس على عظم قدرة الله عز وجل وبالحكمة فيما يشاهدونه
 فلا يدان براد بالظل ما يتعارفونه من حالة مخصوصة يشاهدونها في موضع يحول بينه
 وبين الشمس جسم كشيء مخالف لما في جوانبه من مواقع ضج الشمس وما ذكر وان كان
 في الحقيقة ظلالا لافق الشرق لكانهم لا يعدونه ظلولا ولا يصنفونه باوصافه المعهودة انتهى
 وعن ابن عباس قال كيف مد الظل أى بعد الفجر قبل أن تطلع الشمس وعنه قال ألم تر أنك
 اذا صليت الفجر كان ما بين مطلع الشمس الى مغربها ظل ثم بعث الله عليه الشمس دليلا
 فقبض الظل وعنه قال ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس وبه قال الجمهور واعترض
 عليه بأنه لا يسمى ظلالاته من بقايا الليل واقع في غير النهار ومعنى الآية كيف انشأ ظللا
 لا يظل كان من جبل أو بناء أو شجر عند ابتداء طلوع الشمس ممتدا وأنه تعالى مدده بعد
 أن لم يكن كذلك كما بعد نصف النهار الى غروبها فان ذلك مع خلوه عن التصريح بكون نفسه
 بانشاءه تعالى واحدا منه ياباه سباق النظم الكريم (ولو شاء) سكونه (لجعل له ساكنا)
 ثابتا دائما لا يزول ومستقرا لا تنسخه الشمس ولا يذهب عن وجه الارض وقيل المعنى لو
 شاء لمنع الشمس الطلوع فلا يزول أو جعلها مسالوبة الضوء والاول أولى والتعبير بالسكون
 عن الإقامة والاستقرار شائع ومنه قولهم سكن فلان بلد كذا اذا اقام به واستقر فيه
 (ثم جعلنا الشمس عليه) أى على الظل بنسخها اياه عند مجئها (دليلا) أى حجة وبرهانا
 ولاما يستدل باحواله على احواله وذلك لان الظل يتبعها كما يتبع الدليل في الطريق
 من جهة انه يزيد بها وينقص ويمتد وينقص والمعنى انه لو لم تكن الشمس لما عرف الظل
 ولولا النور لما عرفت الظلمة فالاشياء تعرف باضدادها ولم يؤت الدليل وهو صفة للشمس
 لانه في معنى الاسم كما يقال الشمس برهان والشمس حق (ثم قبضناه) أى ذلك الظل
 الممدود ومحوناه عند ايقاع شعاع الشمس موقعه بالتدريج حتى انتهت تلك الاطلال الى
 العدم والاضمحلال ومعنى (الينا) أن مرجعه اليه سبحانه كما أن حدوثه منه وجاء به
 استعارة تبعية لتفاضل ما بين الامور الثلاثة مد الظل وجعل الشمس عليه دليلا وقبضه
 يسيرا فكان الثاني أعظم من الاول والثالث أعظم من الثاني شبه تباعدا ما بينهما في الفضل
 بتباعد ما بين الحوادث في الوقت او لتفاضل مبادئ اوقات ظهورها وقيل المراد في الآية
 قبضه عند قيام الساعة بقبض اسبابه وهى الاجرام النيرة والاول اولى وقيل المعنى ان الظل
 يبقى في هذا الجو من طلوع الفجر الى طلوع الشمس فاذا طلعت الشمس صار الظل
 مقبوضا جزأ جزأ وخلفه في هذا الجو شعاع الشمس فانقرت على الارض وعلى الاشياء
 الى وقت غروبها فاذا غربت فليس هنالك ظل انما ذلك بقية نور النهار وقال قوم قبضه
 بغروب الشمس لانها اذا لم تغرب فالظل فيه بقية وانما يتم زواله لحي الليل ودخول الظلمة
 عليه وقيل ان هذا القبض وقع بالشمس لانها اذا طلعت اخذ الظل في الذهاب شيئا فشيئا
 قاله مالك وابراهيم التيمي وقيل المعنى ثم قبضنا ضياء الشمس بالني (قبضا يسيرا) أى قليلا

ناصر لجنابهم يا أيها الرسول بلغ
 ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل
 فما بلغت رسالته والله يعصمك
 من الناس الآية (يا أيها الذين آمنوا
 اركعوا واسجدوا واعبدوا
 ربكم واقولوا الخير لعلمكم تفعلون
 واجاهدوا في الله حق جهاده هو
 اجتباكم وما جعل عليكم في الدين
 من حرج ملة آيكم ابراهيم هو
 سماكم المسلمين من قبل وفي هذا
 ليكون الرسول شهيدا عليكم
 وتكونوا شهداء على الناس فاقيموا
 الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله
 هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير)
 اختلف الائمة رحمهم الله في هذه
 السجدة الثانية من سورة الحج هل
 هى مشروع السجود فيها ام لا على
 قولين وقد قدمنا عند الاولى حديث
 عتبة بن عامر عن النبي صلى الله
 عليه وسلم فضلت سورة الحج

قليل على تدريج بقدر ارتفاع الشمس اتنظم بذلك مصالح الكون ويتحصل به مالا
يحصى من منافع الخلق وقيل يسير أى سر يعاقله الضحالك وقيل المعنى يسير اعلمنا ليس
بعسير وقال قتادة أى خفيفا كلما قبض جرم منه جعل مكانه جرم من الظلمة وليس يزول
دفعة واحدة وهو قول مجاهد (وهو الذى جعل لكم الليل لباسا) شبه سبحانه ما يستمر من
ظلام الليل باللباس الساتر قال ابن جرير وصف الليل باللباس تشبيها من حيث انه يستر
الاشياء ويغشاها (و) جعل (الليوم سباتا) أى راحة لكم لانكم تقطعون عن
الاشتغال وأصل السبات التمدد يقال سبت المرأة شعرها أى نقضته وأرسلته ورجل
مسهبوت أى ممدود الخلقه وقيل للنوم سبات لانه بالتمدد يكون وفي التمدد معنى الراحة
وقيل السبات القطع فالنوم انقطاع عن الاشتغال ومنه سبت اليه ولا تقطعاهم عن
الاشتغال قال الزجاج السبات النوم الخفيف وهو أن يقطع عن الحركة والروح في بدنه
أو ابتدأه في الرأس حتى يبلغ القلب أى جعلنا نومكم راحة لكم وقال الخليل السبات
نوم ثقيل أى جعلنا نومكم ثقيلا ليكمل الاجسام والراحة وقيل السبات الموت
والمسبوت الميت لانه منقطع والحياة وهو كقوله تعالى وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعضده
ذكر النشور في مقابلة ذكره الزنجشري والنسفي (وجعل النهار نشورا) أى ذان شور
وانتشار ينتشر فيه الناس للعاش أى جعله زمان بعث من ذلك السبات شبه اليقظة
بالحياة كما شبه النوم بالسبات الشبيه بالمات وهذه الاية مع دلالتها على قدرة الخالق فيها
اظهار لنعمة على خلقه لان في الاحتجاب بستر الليل فوائد دينية ودنيوية وفي النوم
واليقظة المشبهين بالموت والحياة عبرة لمن اعتبر قال لقمان لابنه كما نام فتوقظ كذلك
تموت فتنشئ (وهو الذى أرسل الرياح بشرا) جمع بشور وقرئ نشر بالنون (بين يدي
رجته) أى متفرقة قدام المطر لانه ريح ثم سحب ثم مطر وهذه استعارة مألوفة والمراد
بالرياح الجنس وهى الصبا والجنوب والشمال بخلاف الدبور فانها ريح العذاب التى
أهلكت بها عاد والشمع تأتى من ناحية الشام والجنوب تهب بالهاوى هى اليمانية والصبا
تأتى من مطاع الشمس وهى القبول أيضا والدبور تأتى من ناحية المغرب والريح مؤنثة
على الأكثر فيقال هى الريح وقد تدكر على معنى الهوا فيقال هو الريح وهب الريح فتهل
أبوزيد وقال ابن الانبارى انها مؤنثة لاعلامه فيها وكذلك سائر أسمائها الا الاعصار
فانه مذكر وقد تقدم تفسير هذه الآية مستوفى في الاعراف (وأترلنا من السماء ماء
طهورا) وصف الماء به اشعارا بالنعمة وتقيما للمنة بما بعده فان الماء الطهور أى
وأنتفع مما خالطه ما يزيل طهوريته وفيه تنبيه على أن ظواهرهم لما كانت مما ينبغي أن
يطهروها فبواطنهم أولى بذلك قال الأزهرى الطهور فى اللغة الطاهر المطهر قال وفعول
فى كلام العرب لمعان منها ففعول لما ينعل به مثل الطهور لما ينطهر به والوضوء لما يتوضأ
به قال ابن الانبارى الطهور بفتح الطاء الاسم وكذلك الوضوء والوقود وبالضم المصدر
هذا هو المعروف فى اللغة وقد ذهب الجمهور الى ان الطهور هو الطاهر المطهر ويؤيد ذلك
كونه بناء مبالغة ويدل له ما روى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال فى البحر هو

بمسجدتين فمن لم يسجد هما فلا
يقرأهما وقوله وجاهدوا فى الله حق
جهاد هاءى باموالكم وأنفسكم
وأنافسكم كما قال تعالى اتقوا الله
حق تقاته وقوله هو اجبتاكم اى
يا هذه الامة الله اصطنعناكم واختاركم
على سائر الامم وفضلكم وشرفكم
وخصكم باكمل رسول واكمل شرع
وما جعل عليكم فى الدين من حرج
اى ما دس لكم ما لا تطيقون وما
ألزكم بشئ يشق عليكم الاجل
الله لكم فرجا ومخرجا قاله
التي هى أكبر اركان الاسلام بعد
الشهادتين بحسب فى الحضرة اربعاً وفى
السفر تنص الى اثنتين وفى الخوف
يصلها بعض الأئمة ركعة كما ورد به
الحديث وتصلى رجالا وركبانا
مستقبلي القبلة وغير مستقبليها
وكذا فى النافلة فى السفر الى القبلة
وغيرها والقيام فيها يسقط لعذر

الظهور ماؤه الحل ميتته اخرجهم ابوداود والترمذي والنسائي وروى عن أبي حنيفة
انه قال الظهور هو الطاهر واستدل لذلك بقوله تعالى وسقاهم ربه ثم شرابا طهورا يعني
طاهرا وعلى كل حال فقد ورد الشرع بان الماء طاهر في نفسه مطهرا غيره قال الله تعالى
وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم خلق الماء
طهورا واخرج اهل السنن واجماد وغيرهم من حديث ابي سعيد قال قيل يا رسول الله
أتتوضأ من بئر بضاعة وهي بئر تلقى فيه الحيض ولحوم الكلاب والنتن فقال ان الماء طهور
لا ينجسه شيء وفي اسناد هذا الحديث كلام طويل قد استوفاه الحافظ ابن حجر في التلخيص
وقبعه الشوكاني في شرحه على المنتقى ثم ذكر سبحانه علة الانزال فقال (لتحيي به) أي
بالماء المنزل من السماء (بلدة ميتة) وصف البلدة بالميت وهي صفة للمذكر لانها بمعنى
البلد وقال الزجاج أراد بالبلد المكان أو بسبب ما فيه المذكر والمؤنث والمراد بالاحياء
هنا اخراج النباتات من المكان الذي لانبات فيه (ونسقيه) بضم النون وقرئ بفتحها
والضمير المنصوب راجع الى الماء (مما خلقنا أنعاما) أي بما تم أي ابلا وبقرا وغنما وقدم
تقدم الكلام عليها وخصها بالذكر لانها خيرتنا ومدار معاش أكثر أهل المدبر ولذلك قدم
سقيها على سقيهم كما قدم عليها احياء الارض فانها سبب لحياتها وتعيشها فقدم ما هو سبب
حياتهم ومعاشهم (وأناسي كثيرا) جمع انسان على ما ذهب اليه سيديويه وهو الراجح
وقال المبرد والفراء والزجاج انه جمع انسي أي ببناء النسب وفيه ان ما هي فيه لا يجمع على
فعلى وللغراء قول آخر انه جمع انسان والاصل على الاول اناسين مثل سرحان وسراحين
وبستان وبساتين فعملوا الياء عوضا من النون (ولقد صرفناه بينهم ليدكروا) أي كثرنا
احوال الاظلال وذكر انشاء السحاب وانزال المطر في القرآن وفي سائر الكتب السماوية
ليتنسكروا ويعتبروا وقرئ صرفناه مثقلا ومخففا وكذا ليدكروا ومخففة من الذكر
ومثقله من التذكير وقيل ضمير صرفناه يرجع الى اقرب المذكرات وهو المطر أي
صرفنا المطر بينهم في البلدان المختلفة والافات المتغيرة وعلى الصفات المتفاوتة من وابل
وطش وطل وجود ورذاذ ودقيقة فتريد منه في بعض البلدان وتنقص في بعض آخر منها
وقيل الضمير راجع الى القرآن وقد جرى ذكره في أول السورة حيث قال تبارك الذي
نزل الفرقان على عبده وقوله لقد أضلني عن ذلك بعد اذ جاءني وقوله اتخذوا هذا
القرآن مهجورا والمعنى ولقد كثرنا هذا القرآن بانزال آياته بين الناس ليدكروا به
ويعتبروا بما فيه وقيل هو راجع الى الريح وعلى رجوع الضمير الى المطر فقد اختلف
في معناه فقيل ما ذكرناه وقيل تصرفه تنويع الانتفاع به في الشرب والسقي والزراعات
والطهارات عن ابن عباس قال ما من عام بأقل مطرا من عام ولكن الله يصرفه حيث يشاء
ثم قرأ هذه الآية (فأي أكثر الناس الا كفورا) أي كفران النعمة وبجودها وقلة
الاكثر لها قال عكرمة ان المراد هو قولهم في الانواع مطرنا بنوء كذا قال النحاس ولا
نعلم بين أهل التفسير اختلافان الكفر هنا قولهم مطرنا بنوء كذا والنوء كافي المختار
سقوط نجم من المنازل في المغرب وطلوع رقيقه من المشرق في ساعته في كل ثلاثة عشر يوما

المرض فيصليها المريض جالسا
فان لم يستطع فعلى جنبه الى غير
ذلك من الرخص والتخفيفات
في سائر الفرائض والواجبات
ولهذا قال عليه السلام بعثت
بالحنيفية السمعة وقال لمعاذ
وأبي موسى حين بعثهما أميرين الى
الين بشر ولا تنفرا ويسرا ولا تعسرا
والاحاديث في هذا كثيرة ولهذا
قال ابن عباس في قوله وما جعل
عليكم في الدين من حرج يعني
من ضيق وقوله مله أيبكم
ابراهيم قال ابن جرير نصب على
تقدير ما جعل عليكم في الدين من
حرج أي من ضيق بل وسعه
عليكم كمله أيبكم ابراهيم قال
ويحتمل أنه منصوب على تقدير الزموا
مله أيبكم ابراهيم قلت وهذا المعنى
في هذه الآية كقوله قل اني
هداني رب الى صراط مستقيم
دينا قيامه ابراهيم حنيفا الآية

ما خلا الجهة فان لها أربعة عشر يوما وكانت العرب تضيف الامطار والرياح والحر والبرد الى الساقط منه - ما وقيل الى الطالع لانه في سلطانه والجمع أنوار (ولوشنا لبغشنا) أى فى زمنا (فى كل قرية نذرا) أى رسولا يندبرهم ليكون الرسل المبعوثون معارنين لك فتخف عليك اعباء النبوة كما قسمنا المطر بينهم ولكالم نفعل ذلك بل جعلنا نذير او احدا هو أنت يا محمد وقصرنا الامر عليك اجلا لالك وتعظيما شأنك وتفضيلا لك على سائر الرسل ولعظم اجر لك فقابل ذلك بشكر النعمة وبالثبات والاجتهاد فى الدعوة واطهار الحق (فلا تطع الكافرين) فيما يدعونك اليه من اتباع آلهتهم بل اجتهد فى الدعوة واثبت فيها ولا تضجر (وجاهد هم به) اى بالقرآن واقل عليهم ما فيه من القوارع والنواذر والزواجر والاوامر والنواهي وقبل الضمير يرجع الى الله والأسلام او الى السيف والاول أولى وهذه السورة مكية والامر بالقتال انما كان بعد الهجرة وقيل راجع الى ترك الطاعة المنهوم من قوله فلا تطع الكافرين وقبل الضمير يرجع الى ما دل عليه ولوشنا لبغشنا فى كل قرية نذير امن كونه نذير كافة القرى لانه سبحانه لو بعث فى كل قرية نذير لم يكن على كل نذير الا مجاهدة القرية التى أرسل اليها وحين اقتصر على نذير واحد لكل القرى وهو محمد صلى الله عليه وآله وسلم فلا جرم اجتمع عليه كل الجاهدات فكبر جهاده وعظم فكاكه قال له وجاهد هم بسبب كونك نذير كافة القرى جهادا جامعيا لكل مجاهدة ولا يخفى ما فى هذين الوجهين من البعد (جهادا كبيرا) أى شديد اعظم موقعه عند الله لما يحتمل فيه من المشاق لان مجاهدة السفهاء بالحق أكبر من مجاهدة الاعداء بالسيف وأريد بهم - لذاتهم يجهدهم ويهيج المؤمنين وتحريكهم ثم ذكر سبحانه دليلا رابعا على التوحيد فقال (وهو الذى مرج البحرين) أى أرسلهما متجاورين أو خلاهما امتلاصقين بحيث لا يمتازان من مرج أى خلى وخط وأرسل يقال مرجت الدابة وأمر جت اذ أرسلتها فى المرى وخليتها تذهب حيث تشاء قال مجاهد أرسلهما وأفاض أحدهما الى الآخر وقال ابن عرفة خلطهما فهما يلتقيان يقال مرجته اذا خلطته ومرج الدين والامر اختلط واضطرب ومنه قوله تعالى فى أمر مريم وقال الازهرى مرج البحرين خلى بينهما ما لا يلتبس أحدهما بالآخر يقال مرجت الدابة اذا خلطتها نرعى وقال ثعلب المرج الاجراء فالمرعى أجراهما وقال الاخفش وتقول قوم أمرج مثل مرج فععل وأفعل يعنى (هذا عذب فرات) هو البليغ العذوبة المائلة الى الخلاوة والجلالة مستأنفة كأنه قيل كيف مرجهما فقل هذا عذب الخ أحوال بتقديره مقولا فيهما قيل سمي الماء الخلو فراتا لانه يفرت العطش أى يقطعه ويشقه ويكسره ولا يجمع الا نادرا على فرتان كغريبان (وهذا ملح أجاج) أى بليغ الملوحة وقيل البليغ فى الحرارة وقيل البليغ فى المرارة وقرئ ملح بفتح الميم وكسر اللام قال ابن عباس خلع أحدهما على الآخر فليس يفسد العذب المالح وليس يفسد المالح العذب وهذا من أحسن المقابلة حيث قال عذب فرات وملح أجاج (وجعل بينهما ما برزخا) هو الحاجز والحائل الذى جعله الله بينهما من قدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج ولا يحس (وجعرا محجورا) أى ستر

وقوله هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا قال الامام عبد الله بن المبارك عن ابن جرير عن عطاء عن ابن عباس فى قوله هو سماكم المسلمين من قبل قال الله عز وجل وكذا قال مجاهد وعطاء والضحاك والسدى ومقاتل بن حيان وقتادة وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم هو سماكم المسلمين من قبل يعنى ابراهيم وذلك لقوله ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك قال ابن جرير وهذا الوجه لانه من المعلوم ان ابراهيم لم يسم هذه الامة فى القرآن مسلمين وقد قال الله تعالى هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا قال مجاهد الله سماكم المسلمين من قبل فى الكتب المتقدمة وفى الذكر وفى هذا يعنى القرآن وكذا قال غيره قلت وهذا هو الصواب لانه تعالى قال هو اجتباكم

مستورا يمنع أحدهما من الاختلاط بالآخر فلا ينبغي أحدهما على الآخر ولا يفسد
 الملح العذب فالبرزخ الجاهل والجار المانع وقيل معناه هو ما تقدم من أنها كلمة تقولها
 المتعود كأن كل واحد من البحرين يتعود من صاحبه ويقول له هذا القول وهو استعارة
 تمثيلية وقيل حدا محدودا وقيل المراد من البحر العذب الأنهار العظام كالنيل والفرات
 وجيكون ومن البحر الاجاج البحار المشهورة والبرزخ بينهما الحائل من الارض
 وقيل معناه حراما محرما ان يعذب هذا الملح بالعذب او يلح هذا العذب بالمالح ومثل هذه
 الآية قوله سبحانه في سورة الرحمن مرج البحرين يلتقيان بينهما ما برزخ لا يبغيان وعن
 ابن عباس قال جبرأ حدهما عن الآخر بأمره وقضائه ثم ذكر سبحانه حالة من أحوال خلق
 الانسان من الماء فقال (وهو الذي خلق من الماء بشرا) أي خلق من ماء النطفة انسا نا
 وقيل المراد بالماء الماء المطلق الذي يراد في قوله وجعلنا من الماء كل شيء حي وقيل هو الماء
 الذي خرت به طينة آدم عليه السلام وجعله جزءا من مادة البشر ليجتمع ويتسلسل
 ويستعد لقبول الاشكال والهيئات بسمولته قاله أبو السعود (فجعل له نسبا وصهرا) أي
 جعله ذان نسب وصهر قيل المراد بالنسب هو الذي لا يحمل نسكاحه والصهر ما يحمل نسكاحه
 قاله الفراء والزجاج واشتقاق الصهر من صهرت الشيء اذا خلطته وسميت المناكح صهرا
 لاختلاط الناس بها وقيل الصهر قرابة النكاح فقرابة الزوجة هم الاختان وقرابة
 الزوج هم الاجاء والاصهار نعمة ما قاله الاصمعي وفي القاموس الصهر باليكسر
 القرابة والختن وجعه أصهار وفي المصباح قال الخليل الصهر أهل بيت المرأة قال ومن
 العرب من يجعل الاجاء والاختان جميعا أصهارا وقال الازهرى الصهر يشتمل على
 قرابات النساء ذوى المحارم وذوات المحارم كالابوين والاخوة واولادهم والاعمام والاقوال
 والخلالات فهؤلاء أصهار زوج المرأة ومن كان من قبل الزوج من ذوى قرابته المحارم فهم
 أصهار المرأة أيضا وقال ابن السكيت كل من كان من قبل الزوج من أبيه أو أخيه أو عمه
 فهم الاجاء ومن كان من قبل المرأة فهم الاختان ويجمع الصنفين الاصهار وصاهرت لهم
 واليهم وفيهم صهرت لهم صهرا انتهى وفي القرطبي النسب والصهر معنيان يعلمان كل قريب
 تكون بين آدميين قال الواحدى قال المفسرون النسب سبعة أصناف من القرابة
 يجمعها قوله حرمت عليكم أمهاتكم الى قوله وأمهات نسائكم ومن هنا الى قوله وان
 يجمعوا بين الاختين تحريرا بالصهر وهو الخلطة التي تشبه القرابة وهو النسب المحرم
 للنكاح وقد حرم الله سبعة أصناف من النسب وسبعة من جهة الصهر أي السبب قد
 اشتملت الآية المذكورة على ستة منها والسابعة قوله ولا تنكحوا ما نكح ابؤكم من النساء
 وقد جعل ابن عطية والزجاج وغيرهما الرضاع من جملة النسب ويؤيده قوله صلى
 الله عليه وآله وسلم لم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب أراد سبحانه تقسيم البشرية
 ذوى النسب أي ذكورا ينسب اليهم فيقال فلان بن فلان وفلانة بنت فلان وذوات صهر
 أي اناثا يصاهرهن كقوله تعالى فجعل منه الزوجين الذكرو والانثى وسئل عمر بن الخطاب
 عن نسب وصهر فقال ما أراكم الا وقد عرفتم النسب وأما الصهر فلاختان والعجوبة

وما جعل عليكم في الدين من حرج ثم
 حثهم وأغراهم على ما جاء به الرسول
 صلوات الله وسلامه عليه بانه ملة
 ابيهم ابراهيم الخليل ثم ذكر تعالى

(وكان ربك قدرا) أي بلغ القدرة عظمها ومن جله قدرته الباهرة خلق الانسان من
الطينة الواحدة وتقسيمه الى القسمين المذكورين ولما ذكر سبحانه دلائل التوحيد عاد
الى ذكر قبائح الكفار وفضائح سيرتهم فقال (وبعبدون من دون الله ما لا ينفعهم) ان
عبادته (ولا يضرهم) ان تركوه (وكان الكافر على ربه ظهيرا) هو المظاهر أي
المعاون على ربه بالشرك والعداوة والمظاهرة على الرب هي المظاهرة على رسوله وأعلى دينه
قال الزجاج لانه يتابع الشيطان ويعاونه على معصية الله لان عبادتهم للصنام معاونة
للشيطان وقال أبو عبيدة المعنى وكان الكافر على ربه هيناه هينا ذليلا من قول العرب
ظهرت به أي جعلته خلف ظهره لم تلفت اليه ومنه قوله تعالى واتخذ ذنوبهم وراءكم
ظهريا وقيل ان المعنى وكان الكافر على ربه الذي يعبدوه وهو الصنم قويا غالبا عليه
ما يشاء لان الجهاد لا قدرة له على دفع ونزع ويجوز أن يكون انظهير جمعاً كتقوله
والملائكة بعد ذلك ظهيرا والمعنى ان بعض الكفرة مظاهرا لبعض على رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم أو دين الله والمراد بالكافر هنا الخفس ولا ينافيه كون سبب النزول هو كافرا
معينا كما قيل انه أبو جهل وقال ابن عباس يعني أبا الحكم الذي سماه رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم أبا جهل بن هشام فالأصح انه عام في كل كافر (وما أرسلناك) في حال
من الاحوال (الا) حال كونك (مبشرا) للمؤمنين بالجنة (ونذيرا) للكافرين بالنار
فلا تحزن على عدم ايمانهم واقتصر على صيغة المبالغة في الانذار لتخصيصه بالكافرين
اذ الكلام فيهم والانذار الكامل لهم ولو قيل ان المبالغة باعتبار الكمال لشعوره للعصاة
جاز (قل) يا محمد (ما أسألكم عليه) أي على القرآن أو على تبليغ الرسالة المدلول عليها
بالارسال أو على ما أذعوك اليه (من اجر) أي عرض من عرض الدنيا قاله ابن عباس
والاستثناء في قوله (الا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا) منقطع أي لكن من شاء فليعمل
وقيل هو متصل والمعنى الا من شاء ان يتقرب اليه سبحانه بالطاعة وصور ذلك بصورة
الاجر من حيث انه مقصود الحصول ولما بين سبحانه ان الكفار متظاهرون على رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم وأمره ان لا يطلب منهم أجر البتة أمره ان يتوكل عليه في دفع
المضار وجلب المنافع فقال (وتوكل) في استكفاه شرورهم والاستغناء عن أجورهم
(على الحي الذي لا يموت) فانه الحقيق بان يتوكل عليه وخص صفة الحياة اشارة الى ان
الحي الدائم هو الذي يوثق به في الصالح والمنافع ودفع المضار والحياة على الدوام الا الله
سبحانه دون الاحياء المنقطعة حياتهم فانهم اذا ما تواضع من يتوكل عليهم وقرأ أحبا بعض
الصالحين فقال لا يصح لذي عقة أن ينقض بعد ما يخلق والتوكل اعتماد العبد على الله
في كل الامور والاسباب وسائط أمرهم من غير اعتماد عليها (وسبح) أي نزهه عن صفات
النقصان فقترنا (بحمده) وقيل معنى سبح صل والصلاة تسمى تسبيحا (وكفى به ذنوب
عباده خيرا) أي حسبك وهذه كلمة يراد بها المبالغة كقولك كفى بالله ربا والخير المطاع على
الامور بحيث لا يخفى عليه منها شيء فلا يلزم عليك ان آمنوا وكثروا وقيل معناه انه لا يحتاج

منته تعالى على هذه الامة بما توبه
من ذكرها والثناء عليها في سالف
الدهر وقديم الزمان في كتب
الانبياء يتلى على الاحبار والرهبان

معه الى غيره لانه خبر عالم قدير على مكافاتهم وفيه وعيد شديد كانه قال اذا قدمتم على محابنة امره كنوا كم علم في مجازاتكم عما تستحقون من العقوبة ثم زاد في المبالغة فقال (الذي خلق السموات والارض) لعل ذكره زيادة تقرر بكونه حقيقا بان يتوكل عليه من حيث انه الخالق لا لكل والمتصرف فيه (وما بينهما) ولم يقل بينهما لانه أراد النوعين والمعنى خلقهما (في ستة أيام) بخلاف الارض في يومين الاحد والاثنين وما بينهما في يومين الثلاثاء والاربعاء والسموات في يومين الخميس والجمعة وفرغ من آخر ساعة من يوم الجمعة وقيل في مقدار هذه المدة لانه لم يكن حينئذ ليل ولا نهار وانما خلقها في ستة أيام وهو يقدر على أن يخلقها في لحظة تعلمها خلقه الرفق والتثبت والتأني في الامر والتؤدة والتسدرج فان قيل يلزم أن يكون خلق العرش بعد خلق السموات والارض كما ينهيه قوله (ثم استوى على العرش) فيقول ان كلمة ثم لم تدخل على خلق العرش بل على علاه على السموات والارض والعرش في اللغة سرير الملك والمراد هنا الجسم العظيم المحيط بالعالم السموات السبع والاستواء صفة لله سبحانه معناه ما ينته عن الخلق وكونه على الذات وفوق العالم وقد تقدم الكلام عليها في سورة الاعراف واخواتها قال الشوكاني رحمه الله تعالى اعلم ان الكلام في الآيات والاحاديث الواردة في الصفات قد طالت ذنبه وتشعبت أطرافه وتباينت فيه المذاهب وتفاوتت فيه الطرائق وتخالفت النحل وسبب هذا عدم وقوف المنتسبين الى العلم حيث أوقفهم الله ودخولهم في أبواب لم يأذن الله لهم بدخولها ومحاولتهم لعلم شيء استأثر الله بعلمه حتى تفرقوا فارقا وتشعبوا شعبا وصاروا حزا باو كانوا في البداية ومحاولة الوصول الى ما يتصورونه من العامة محتاجي المقاصد متبايني المطالب فثائفة وهي أخف هذه الطوائف المتكلمة علم ما لم يكن الله سبحانه بعلمه انما وأقلها عقوبة وجرما وهي التي أرادت الوصول الى الحق والوقوف على الصواب لكن سلكت في طلبه طريقة متوعدة وصعدت في الكشف عنه الى عتبة كؤود لا يرجع من سلكها سالما فضلا عن أن يظن فيها بطوب صحيح ومع هذا أصلوا أصولا ظنوها حقا فدفعوا بها آيات قرآنية وأحاديث صحيحة نبوية واعتلوا في ذلك الدفع بشبهة واهية وحالات مختلفة وهؤلاء هم طائفتان الطائفة الاولى هي الطائفة التي غلت في التنزيه فوصلت الى حد يقشع عنه دمه الجلود يضطرب له القلب من تعطيل الصفات النابتة بالكتاب والسنة ثبوتها أوضح من شمس النهار وأظهر من فلق الصباح وظنوا هذا من صنيعهم موافقا للحق مطابقا لما يريد الله سبحانه ففضلوا الطريق المستقيمة وأضلوا من رام سلوكها والطائفة الاخرى هي الطائفة التي غلت في اثبات القدرة غلوا بلغ الى حد أنه لا تأثير لغيرها ولا اعتبار بما سواها وأفضى ذلك الى الجبر المحض والتفسير الخالص فلم يبق لبعثة الرسل وانزال الكتب كثر فائدة ولا يعود ذلك على عبادته بعائدة وجاؤا بتأويلات للآيات البيّنات ومحاولات لحجج الله الواضحات فكانوا كالطائفة الاولى في الضلال والاضلال مع ان كلا المقصدين صحيح ووجه كل منهما صحيح لولا ما شأنه من الغلو القبيح وطائفة توسّطت ورامت الجمع بين الضب والنون وظنت انها قد وقفت بمكان بين الافراط والتفريط ثم

فقال هو سماكم المسلمين من قبل
أى من قبل هذا القرآن وفي هذا
روى النسائي عند نفسه به هذه
الآية أنبأنا هشام بن عمار حدثنا

أخذت كل طائفة من هذه الطوائف الثلاث مجادل وتناضل وتحقق وتدقق في زعمها
وتجول على الأخرى وتوصل بما ظفرت به مما وافق مذهب الیسة وكل حزب بما لديهم
فرحون وعند الله تلتقى الخصوم ومع هذا فهم متفقون فيما بينهم على أن طريق السلف
أسلم ولكن زعموا أن طريق الخلف أعلم فكان غاية ما ظفروا به من هذه العلمية بطريق
الخلف أن تنفى محققوهم وأذكياءهم في آخر أمرهم دين المجازر وقالوا هنيئاً للعامة فتدبر
هذه العلمية التي كان حاصلها أن يهنا من ظنر لاهل الجهل البسيط ويتنى أنه في
عدادهم ومن تدبر دينهم ويمشى على طريقهم فان هذا ينادى بأعلى صوت ويدل
بأوضح دلالة على أن هذه العلمية التي طلبوها الجهل خير منها بكثير فإظنك بعلم يتر
صاحبه على نفسه ان الجهل خير منه ويتنى عند البلوغ الى غايته والوصول الى نهايته
ان يكون جاهلاً به عاطلا عنه ففي هذا عبرة للمعتبرين وآية بينة للناظرين فهلا علموا
على جهل هذه المعارف التي دخلوا فيها بادي بدء وسلموا من تبعاعتها وأراحوا أنفسهم
من تعبها وقالوا كما قال القائل

أرى الامر يفضى الى آخر * فصر آخره وأولا

ورجعوا الخلوص من هذا التقى والسلامة من هذه التهمة للعامة فان العاقل لا يتنى رتبة
مثل رتبته أو دونها ولا يهني لمن هو مثله أو دونه بل لا يكون ذلك الا من رتبته أرفع من رتبته
ومكانه أعلى من مكانه فبإلله العجب من علم يكون الجهل البسيط أعلى رتبة منه وأفضل
مقداراً بالنسبة اليه وهل سمع السامعون بمثل هذه الغريبة أو نقل الناقلون ما يمثّلها أو
يشابهها وإذا كان هذا حال هذه الطائفة التي قد عرفنا انهم أخف الطوائف تكلفاً وأقلها
تبعه فإظنك بما عدا من الطوائف التي قد ظهرت ادمقاصدها وتبين بطلان مواردها
ومصادرها كالطوائف التي أرادت بالمظاهر التي تظاهرت به كإداس السلام وأهله والسعي في
التشكيك فيه بإيراد الشبهة وتقرير الامور المفضية الى القدح في الدين وتنقيع أهله عنه
وعند هذا تعلم ان خير الامور السالفات على الهدى وشر الامور المحدثات البدائع وان
الحق الذي لا شك فيه ولا شبهة هو ما كان عليه خير القرون ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم
وقد كانوا رجعهم الله تعالى وأرشدنا الى الاقتداء بهم والاهتداء بهم يهيمهم يرون آيات
الصفات على ظاهرها ولا ينكفون علم ما لا يعلمون ولا يحرفون ولا يباولون وهذا المعلوم من
أقوالهم وأفعالهم والمقرر من مذاهبهم لا يشك فيه شك ولا ينكره منكر ولا يجادل فيه
مجادل وان نزغ من بينهم نازغ أو نعيم في عصرهم ناجم أو ضحو للناس أمره وينو الهمة
على ضلالة وصرحوا بذلك في الجامع والمحافل وحذروا الناس من بدعته كما كان منهم لما
ظهره عبيد الجهنى وأصحابه وقالوا ان الامر أنف فتبر وأمنه وينوا ضلالتهم وبطلان
مقاتلته للناس فحذروه الامن ختم الله على قلبه وجعل على بصره غشاوة وهكذا كان من
بعدهم يوضح للناس بطلان أقوال أهل الضلال ويحذرهم منها كما فعله التابعون رجعهم
الله بالجمع دين درهم ومن قال بقوله واتحل فحلته الباطلة ثم ما زالوا هكذا لا يستطيع
المبتدع في الصفات ان يتظاهر ببديعته بل يسكتون بها كما يسكتون الزادقة بكفرهم وهكذا

محمد بن شبيب أنبأنا معاوية
ابن سلام أن أخاه زيد بن سلام
أخبره عن أبي سلام أنه أخبره قال
أخبرني الحرث الأشعري عن رسول

سائر المبتدعين في الدين على اختلاف البدع وتفاوت المقالات الباطلة ولكنها تقتصر
ههنا على الكلام في هذه المسئلة التي ورد السؤال عنها وهي مسئلة الصفات وما كان من
المتكلمين فيها بغير الحق المتكلمين علم ما لم يأذن الله بيان يعلموه وبيان ان امرار آيات
الصفات على ظاهرها هو مذهب السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم وان كل
من أراد من نزاع المتكلمين وشذاذ المحرفين والمتأولين أن يظهر ما يخالف المروى على ذلك
الظاهر قاموا عليه وحذروا الناس منه وبينوا لهم أنه على خلاف ما عليه أهل الاسلام
فصار المبتدعون في الصفات القائلون بأقوال تخالف ما عليه السواد الأعظم من الصحابة
والتابعين وتابعيهم في خبايا وزوايا لا يتصل بهم الامور ولا يندفع بزخارف اقوالهم
الاخذوع وهم مع ذلك على تخوف من أهل الاسلام وترقب لنزول مكروههم من حجة
الدين من العلماء الهادين والرؤساء والسلطين حتى نجهم ناجم الحنة وبرق بأرق الشر
من جهة الدولة ومن لهم في الامر والنهي والاصدار والايراء اعظم صولة وذلك في الدولة
المأمونية بسبب قاضيها أحمد بن أبي دؤاد فعند ذلك اطلع المنكسرون في تلك الزوايا
رؤسهم وانطلق ما كان قد خرس من ألسنتهم وأعلنوا مذاهبهم الزائفة وبدعهم المضلة
ودعوا الناس اليها وجادلوا عنها واناضلوا المخالفين لها حتى اخلط المعروف بالمنكر واشتبه
على العامة الحق بالباطل والسنة بالبدعة وما كان الله سبحانه قد تكفل باظهار دينه على
الدين كله وحفظه عن التحريف والتغيير والتبديل أو جدم من علماء الكتاب والسنة في كل
عصر من العصور من بين للناس دينهم وينكر على أهل البدع بدعهم فكان لهم ولله
الحمد المقامات المحمودة والمواقف المشهورة في نصر الدين وهتك المبتدعين وبهد الكلام
القليل الذي ذكرناه تعرف أن مذهب السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم هو امرار
أدلت الصفات على ظاهرها من دون تحريف لها ولا تأويل متعسف لشيء منها ولا جبر ولا
تشبيه ولا تعطيل يفضي اليه كثير من التأويل وكانوا اذا سأل سائل عن شيء من الصفات
تلوا عليه الدليل وأمسكوا عن القول والقبيل وقالوا قال الله هكذا ولا ندري بما سوى ذلك
ولا نتكاف ولا نتكلم عالم نعلمه ولا نأذن الله لنا بما جاوزته فان أراد السائل أن يظفر منهم
بزيادة على الظاهر زجروه عن الخوض فيما لا يعنيه ونهوه عن طلب ما لا يمكن الوصول
اليه الا بالوقوع في بدعة من البدع التي هي غير ما هم عليه وما حفظوه عن رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم وحفظه التابعون عن الصحابة وحفظه من بعد التابعين عن التابعين
وكان في هذه القرون الفاضلة الحكمة في الصفات متعددة والطريقة لهم جميعا متفقة
وكان اشتغالهم بما أمرهم الله بالاستغفال به وكفهم القيام بفرائضه من الايمان بالله واقام
الصلاة وإيتاء الزكاة والصيام والحج والجهاد واتفاق الاموال في أنواع البر وطلب العلم
النافع وارشاد الناس الى الخير على اختلاف أنواعه والمحافظة على موجبات الفوز بالجنة
والنجاة من النار والقيام بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر والاخذ على يد الظالم بحسب
الاستطاعة وبما تبلغ اليه القدرة ولم يشتغلوا بغير ذلك مما يكفهم الله بعلمه ولا تعبدهم
بالوقوف على حقيقته فكان الدين اذ ذاك صافيا عن كدر البدع خالصا عن شوب قدر

الله صلى الله عليه وسلم قال من
دعا بدعى الجاهلية فانه من جنى
جهنم قال رجل يا رسول الله وان
صام وصلى قال نعم وان صام وصلى

التذهب فعلى هذا النمط كان الصحابة والتابعون وتابعوهم وبه دى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اهتدوا وبأفعاله وأقواله اقتدوا فمن قال انهم تلبسوا بشئ من هذه المذاهب الناشئة فى الصفات أو غيرها فقد أعظم عليهم القرية وليس يعقبول فى ذلك فان فتول الأئمة المطلعين على أحوالهم العارفين بها الأخذين لها عن الثقات الأثبات ترد عليه وعليهم وتدفع فى وجهه بعلم ذلك كل من له علم ويعرفه بكل عارف فاشدد يدك على هذا واعلم أنه مذهب خير القرون ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ودع عنك ما حدث من تلك التذهبات فى الصفات وأرح نفسك من تلك العبارات التى جاء بها المتكلمون واصطلحوا عليها وجعلوها أصلا يراد إليه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فان وافقها فقد وافق الأصول المقررة فى زعمهم وان خالفها فقد خالف الأصول المقررة فى زعمهم ويجعلون الموافق لها من قسم القبول والمحكم والخالف لها من قسم المردود والمتشابه ولو جئت بألف آية واضحة الدلالة ظاهرة المعنى أو ألف حديث مما ثبت فى الصحيح لم يبالوا به ولا رفعوا اليه رؤسهم ولا عده شيئا ومن كان منكر هذا فعليه بكتب هذه الطوائف المصنفة فى علم الكلام فإنه سيف على الحقيقة ويسلم هذه الجملة ولا يتردد فيها ومن العجب العجيب والنبأ الغريب أن تلك العبارات الصادرة عن جماعة من أهل الكلام التى جعلها من بعدهم أصولا لاستندلها لا مجرد الدعوى على العقل والقرية على القطر وكل فرد من أفرادها تنازعت فيه عقولهم وتختلفت فيه ادراكهم فهذا يقول حكم العقل فى هذا كذا وهذا يقول حكم العقل فى هذا كذا ثم يأتي بعدهم من يجعل ذلك الذى يعقله من يقلده وبقندين به أصلا يرجع إليه ومعيار الكلام الله وكلام رسوله يقبل منه ما وافقه ويرد ما خالفه فيا لله وبالله المبین وبالعلماء الذين من هذه الفواق الموحشة التى لم يصب الاسلام وأهله بعثها وأغرب من هذا وأعجب وأشنع وأقطع انهم بعد أن جعلوا هذه التعقلات التى تعقلوها على اختلافهم فيها وتناقضهم فى معتولاتها أصولا ترد اليها أدلة الكتاب والسنة جعلوها أيضا معيار الصفات الرب سبحانه فأتعقله هذا من صفات الله قال به جرما ومات عقله خصمه منها قطع به فأثبتوا لله تعالى الشئ ونقيضه استدلالا بما حكمت به فى صفات الله عقولهم الفاسدة وتناقضت فى شأنه ولم يلتفتوا الى ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بل ان وجدوا ذلك موافقا لما تعقلوه جعلوه مؤيداً له ومقويا وقالوا قد ورد دليل السمع مع ما بالدليل العقل وان وجدوه مخالفا لما تعقلوه جعلوه واردا على خلاف الأصل ومتشابهها وغيره معقول المعنى ولا ظاهر الدلالة ثم قابلهم المخالف لهم بنقيض قوالهم فافتري على عقله بأنه قد تعقل خلاف ما تعقله خصمه وجعل ذلك أصلا يراد إليه أدلة الكتاب والسنة وجعل المتشابه عند أولئك محكما عنده والخالف لدليل العقل عندهم موافقا له فكذا كان حاصل كلام هؤلاء انهم يعلمون من صفات الله ما لا يعلمه وكفالك بهذا وليس بعده شئ وعنده يتعثر القلم حياء من الله عز وجل وربما استبعد هذا مستبعد واستكبره مستكبر وقال ان فى كلامي هذا مباغلة ونهويلا وتشنيعا وتطويلا وان الامر أيسر من ان يكون حاصله هذا الحاصل الذى ذكرت

فادعوا بدعوة الله التى سماكم بها
المسلمين المؤمنين عباد الله وقد قدمنا
هذا الحديث بطوله عند تفسير قوله
يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى

وغيره مثل هذه الثمرة التي أشرت إليها فأقول خذ جملته البلوى ودع تفصيلها واسع
ما يصح سمعك ولولا هذا الإلحاح منك ما سمعته ولا جرى القلم عنه لهذا أبوعلى وهو رأس
من رؤسهم وركن من أركانهم واسطوانة من أساطينهم قد حكى عنه البكار منهم
وآخر من حكى ذلك عنه صاحب نرح القلائد يقول والله لا يعلم الله من نفسه إلا ما يعلم
هو فخذ هذا التصريح حيث لم يكنف بذلك التلويح وانظر هذه المرأة على الله التي
ليس بعد هاجرة في الآم أبي على الويل أينق بمنزل هذا التهيق ويدخل نفسه في هذا
المضيق وهل سمع السامعون بين أجزر من هذه اليمين الملعونة ونقل الناقلون كلمة تقارب
معنى هذه الكلمة المفتونة أو بلغ مقتضرا إلى ما بلغ اليه هذا الخيال الفخور أو وصل من
يفجر في إيمانه إلى ما يقارب هذا النجور وكل عاقل يعلم أن أحدنا لو حلف أن الله أو بأه
لا يعلم من نفسه إلا ما يعلم هو لكان كاذبا في عيونه فاجر فيها إلا أن كل فرد من أفراد الناس
ينطوى على صفات وغرائز لا يحب أن يطلع عليها غيره ويكره أن يقف على شيء منها سواء
ومن ذا الذي يدري بما يحول في خاطره غيره ويستمكن في ضميره ومن ادعى علم ذلك ولنه
يعلم من غيره من بنى آدم ما يعلم ذلك الغير من نفسه ولا يعلم ذلك الغير من نفسه إلا ما يعلمه
هذا المدعى فهو إما ماصاب العقل بهذا بما لا يدري ويتكلم بما لا يفهم أو كاذب شديد
الكذب عظيم الافتراء فان هذا الأمر لا يعلمه غير الله سبحانه فهو الذي يحول بين المرء وقلبه
ويعلم ما توسوس به نفسه وما يسر عباده وما يعلنون وما يظهرن وما يكتمون كما أخبرنا
بذلك في كتابه العزيز في غير موضع فنندخاب وخسر من أثبت لنفسه من العلم ما لا يعلمه
إلا الله سبحانه من عباده فإظنك بمن جاوز هذا وتعداه وأقسم بالله أن الله لا يعلم من نفسه
إلا ما يعلمه هو ولا يصح لنا أن نحملة على اختلاف العقل فلو كان مجنوناً لم يكن رأساً
يقتدى بقوله جماعات من أهل عصره ومن جاء بعده وينقلون كلامه في الدفاتر ويحكون
عنه في مقامات الاختلاف ولعل أتباع هذا ومن يقتدى بذهبه لوقال لهم فائق وأورد
عليهم مورد قول الله عز وجل ولا يحيطون به علما وقوله ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما
شاء وقال لهم هذا يريد ما قاله صاحبهم ويدل على أن عيونه هذه فجرة من فجرة ألقوا هذا ونحوه
مما يدل دلالة قوية يفيد مفاده من التشابه الوارد على خلاف دليل العقل المدفوع بالاصول
المقررة وبالجملة فاطالة ذبول الكلام في مثل هذا المقام اضاعة للأوقات واشتغال
بمحاكاة الخرافات المبكات لا المنحركات وليس مقصودنا ههنا إلا إرشاد السائل إلى أن
المذهب الحق في الصفات هو أمرها على ظاهرها من دون تأويل ولا تحريف ولا تكلف
ولا تعسف ولا جبر ولا تشبيه ولا تعطيل وإن ذلك هو مذهب السلف الصالح الصحابة
والتابعين وتابعيهم فإن قلت وماذا تريد بالتعطيل في مثل هذه العبارات التي تكررها فان
أهل المذاهب الإسلامية يتزهون عن ذلك ويتحاشون عنه ولا يصدق معناه ويوجد
مدلوله إلا في طائفة من طوائف الكفار وهم المنكرون للصانع قلت يا هذا إن كنت ممن
له المام بعلم الكلام الذي اصطلح عليه طوائف من أهل الإسلام فإنه لا محالة قد رأيت
ما يقوله كثير منهم ويدكرونه في مؤلفاتهم ويحكونه عن أكابرهم أن الله سبحانه وتعالى

خلقكم والذين من قبلكم لعلكم
تتقون من سورة البقرة ولهدا قال
ليكون الرسول شهيدا عليكم
وتكونوا شهداء على الناس أي

وتقدس لا هو جسم ولا جوهر ولا عرض ولا داخل العالم ولا خارجة فأنشدك الله أي
عبارة تبلغ مبلغ هذه العبارة في التني وأي مبالغة في الدلالة على هذا التني تقوم مقام هذه
المبالغة فكان هؤلاء في فرارهم من شبه التشبيه إلى هذا التعطيل كما قال القائل
مكنك كالساعي إلى مثعب * موثلاً من سبل الراعد

أو كالمستجير من الرمضاء بالنار والهارب من لسعة الزنبور إلى لدغة الحية ومن قرصة
النملة إلى قضة الأسد وقد كان يعني هؤلاء وأمثالهم من المتكلمين المتكافئين لكتمان من
كتاب الله تعالى وصفهم بأنفسهم وأنزلهم على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وهما ولا
يحيطون به علماً وليس كمثل شيء فان هاتين الكلمتين قد اختلفتا على فصل الخطاب
وتضمنتا ما يعني أولى الالباب السالكين في ذلك الشعاب والهضاب الصاعدين في
متوعدات هاتيك العقاب فالكلمة الأولى منهما دلت دلالة يينة على ان كل ما تكلم به
البشر في ذات الله وصفاته على وجه التدقيق ودعاوى التحقيق فهو مشوب بشبهة
من شعب الجهل مخلوط بمخلوط هي منافية للعلم مباينة له فان الله سبحانه قد أخبرنا أنهم
لا يحيطون به علماً فنزعم ان ذاته كذا أو صفته كذا فلا شك ان صحة ذلك متوقفة على
الاحاطة وقد نفيت عن كل فرد لان هذه القضية هي في قوة لا يحيط به فرد من الافراد علماً
فكل قول من أقوال المتكافئين صادر عن جهل امام كل وجه أو من بعض الوجوه وما
صدر عن جهل فهو مضاف إلى جهل ولا سيما اذا كان في ذات الله وصفاته فان ذلك من
الخطورة بالدين مالم يكن في غيره من المسائل وهذا بعلمه كل ذي علم ويعرفه كل عارف ولم يحظ
بفائدة هذه الآية ويقف عندها ويقتطف من غارها الاممرون للصفات على ظاهرها
المريحون أنفسهم عن التكلفات والتعسفات والتأويلات والتعريفات وهم السلف
الصالح كما عرفت فهم الذين اعترفوا بعدم الاحاطة وأوقفوا أنفسهم حيث أوقفها الله
وقالوا الله أعلم بكيفية ذاته وما هي صفاته بل العلم كله وقالوا كما قال من قال من اشتغل
بطلب هذا المحال فلم ينظر بغير القيل والقال

انما جعلناكم هكذا أمة وسطاً عدلاً
خياراً مشهوراً بعد التكم عند
جميع الامم لتكونوا يوم القيامة
شهداء على الناس لان جميع الامم

العلم للرجح جل جلاله * وسواه في جهلانه يتغمغم

ماللتراب وللعالم وانما * يسعى ليعلم انه لا يعلم

بل اعترف كثير من هؤلاء المتكافئين بأنه لم يستقدم تكلفه وعدم قنوعه بما قنع به السلف
الصالح الابجد الحيرة التي وجد عليهم اغيره من المتكافئين فقال

وقد طفت في تلك المعاهد كلها * وسرحت طرفي بين تلك المعالم

فلم أرا الا واضعاً كفاتر * على ذقن أوقار عا سن ناد

وها أنا أخبرك عن نفسي وأوضح لك ما وقعت فيه في أسمى فاني في أيام الطلب
وعنفوان الشباب شغلت بهذا العلم الذي سموه تارة علم الكلام وتارة علم التوحيد وتارة
علم أصول الدين وأكبت على مؤلفات الطوائف المختلفة منهم ورميت الرجوع بفائدة
والعود بفائدة فلم أظفر من ذلك بغير الخيبة والحيرة وكان ذلك من الاسباب التي حبيت
إلى مذهب السلف على اني كنت من قبل ذلك عليه ولكن أردت أن أزد انصه بصيرة وبه

شغفا وقلت عند النظر في تلك المذاهب

وغاية ما خلاصته من مباحثي * ومن نظري من بعد طول التدبر
هو الوقف ما بين الطريقتين حيرة * فما علم من لم يلق غير التعبير
على اننى قد خضت منه غماره * وما قنعت نفسي بدون التبر

وأما الكلمة الثمانية وهى ليس كمثل شئ فيها يستفاد فى المماثلة فى كل شئ فيدفع به هذه
الآية فى وجه المجسمة ويعرف به الكلام عند وصفه سبحانه بالسميع والبصير وعند ذكر
السمع والبصر واليد والاستواء ونحو ذلك مما اشتمل عليه القرآن والسنة فيقرر بذلك
الاثبات لتلك الصفات لآعلى وجه المماثلة والمشاكلة للمخلوقات فيدفع به جانبى الافراط
والتفريط وهما المبالغة فى الاثبات المفضى الى التجسيم والمبالغة فى النفي المفضية الى
التعطيل فيخرج من بين الجانبين وغلو الطرفين حقيقة مذهب السلف الصالح وهو قولهم
باثبات ما أثبت لنفسه من الصفات على وجه لا يعلم الا هو فانه القائل ليس كمثل شئ وهو
السميع البصير ومن جملة الصفات التى أمرها السلف على ظاهرها وأجروها على ما جاء به
القرآن والسنة من دون تكلف ولا تأويل صفة الاستواء التى ذكرها السائل فانهم
يقولون نحن نثبت ما أثبتته الله لنفسه من استوائه على عرشه على هيئة لا يعلمها الا هو وفى
كيفية لا يدري بها اسوا ولا تكاف أنفسنا غير هذا فليس كمثل شئ لآ فى ذاته ولا فى صفاته
ولا يحيط عباده به علما وهكذا يقولون فى مسئلة الجهة التى ذكرها السائل وأشار الى بعض
ما فيه دليل عليها والادلة فى ذلك طويلة كثيرة فى الكتاب والسنة وقد جمع أهل العلم منها
لا سيما أهل الحديث مباحث طويلة هاذن كآيات قرآنية وأحاديث صحيحة وقد وقفت من
ذلك على مؤلف بسيط فى مجمل جمعه مؤرخ الاسلام الحافظ الذهى استوفى فيه كل ما فيه
دلالة على الجهة من كتاب أو سنة أو قول صاحب والمسئلة أوضح من أن تلبس على
عارف وأبين من أن يحتاج فيها الى التطويل ولكننا لما وقعت فى تلك القلاقل والزلازل
السكانة بين بعض الطوائف الاسلامية كثرة الكلام فيها وفى مسئلة الاستواء وطال
خصوصا بين الحنابلة وغيرهم من أهل المذاهب فلم فى ذلك تلك الفتن الكبرى والملاحم
العظمى وما زالوا هكذا فى عصر بعد عصر والحق هو ما عرفناك من مذهب السلف الصالح
فالاستواء على العرش والكون فى تلك الجهة قد صرح به القرآن الكريم فى مواطن يكثر
حصرها ويطول نشرها وكذلك صرح به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى غير حديث
بل هذا مما يجده كل فرد من افراد المسلمين فى نفسه ويحسه فى فطرته وتجذبه اليه طبيعته
كما تراه فى كل من استغاث بالله سبحانه والتجأ اليه ووجه أدعيته الى جنبه الرفيع وعزه
المنيع فانه يشير عند ذلك بكفه أو يرمى الى السماء بطرفه ويستوى فى ذلك عند عروض
اسباب الدعاء وحدوث بواعث الاستغاثة ووجود مقتضيات الانزعاج وظهور دواعي
الالتجاء عالم الناس وجاهلهم والمأشى على طريقة السلف والمقتدى باهل التأويل القائمين
بان الاستواء هو الاستيلاء كما قاله جمهور المتأولين والاقبال كما قاله أجد بن يحيى ثعلب
والزجاج والفرافره وغيرهم أو كناية عن الملك والسلطان كما قاله آخرون فالسلامة والنجاة فى
امر اذن ذلك على الظاهر والادعان بالاستواء والكون على ما نطق به الكتاب والسنة من

معترفة يومئذ بسيادتها وفضلها
على كل أمة سواها فلهذا تقبل
شهادتهم عليهم يوم القيامة فى أن

دون تكليف ولا تكلف ولا قبل ولا قال ولا فضول في شيء من المقال فمن جاوز هذا المقدار
بافراط أو تفريط فهو غير مقرب بالسلف ولا واقف في طريق النجاة ولا معتمد عن الخطأ
ولا سالك في طريق السلامة والاستقامة وكان قول هكذا في الاستواء والكون في تلك
الجهة فكذلك قول في مثل قوله سبحانه وهو معكم أينما كنتم وقوله ما يكون من نجوى
ثلاثة الا هو ربهم ولا خمسة الا هو سادسهم وفي نحو ان الله مع الصابرين ان الله مع الذين
اتقوا والذين هم محسنون الى ما يشابه ذلك وما ثله ويقاربه ويضارعه في قول في مثل هذه
الآيات هكذا جاء القرآن ان الله سبحانه مع هؤلاء ولا تكلف بتأويل ذلك كما يتكلف غيرنا
بان المراد بهذا الكون وهذه المعية هو كون العلم ومعيته فان هذه شعبة من شعب التأويل
تخالف مذاهب السلف وتباين ما كان عليه الصحابة والتابعون وتابعوهم
واذا انتبهت الى السلا * مة في مدال فلا تجاوز
وهذا الحق ليس به خفاء * فدعني من بنيات الطريق

الرسول بلغتهم رسالة ربهم والرسول
شهد على هذه الامة أنه بلغها
ذلك وقد تقدم الكلام على هذا

وقد هلك المتنطعون ولا يهلك على الله الا هلك وعلى نفسه ابراقش تجنى وفي هذه الجملة
وان كانت قليلة ما يغني من يشع بيده ويجرح عليه عن تطويل المقال وتكثير ذيوله
وتوسيع دائرة فروعه وأصوله والمهدى من هداية الله والله أعلم انتهى (الرحمن) خبر مبتدأ
محذوف أي هو الرحمن أو بدل من الضمير في استوى وقرئ بالجر على انه نعت للهي أو
للموصول وقبل أو مبتدأ وخبره (فاسأل به خبيراً) على رأى الاخفش والضمير المجرور يعود
الى ما ذكر من خلق السموات والارض والاستواء على العرش والمعنى فاسأل بتفاصيل
ما ذكر اجالاً من هذه الامور عليهما وقال الزجاج والاختش الباء بمعنى عن أي فاسأل
عنه كقوله سأل سائل بعد ما وقع والمراد بالخبير الله سبحانه لانه لا يعلم تفاصيل تلك
الخلوقات الا هو وقيل جبريل عليه السلام والاقول أولى وما قيل ان التقدير ان شككت
فيه فاسأل به خبيراً على ان الخطاب له صلى الله عليه وآله وسلم والمراد غيره فهو بعزل من
السداد وقيل فاسأل به من وجده في الكتب المتقدمة ليصدق فيه وقيل الضمير للرحمن
أي ان أنكروا اطلاقه عليه سبحانه فاسأل عنه من يخبرك من أهل الكتاب ليعرفوا محجى
ما يراده في كتبهم وانتصاب خبيراً على المفعولية أو على الحال المؤكدة واستضعف الحالية
أبو البقاء وقال ابن جرير المعنى فاسأل حال كونه خبيراً وعلى هذا الباء في زيادة وقيل قوله
به يجرى مجرى القسم كقوله واتقوا الله الذي تساءلون به والوجه الاول أقرب هذه الوجوه
ثم أخبر سبحانه عنهم بانهم جهلوا معنى الرحمن فقال (واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا
وما الرحمن) قال المنسرون انهم قالوا ما نعرف الرحمن الارحمن اليا مة يعنون مسيلة قال
الزجاج الرحمن اسم من أسماء الله فلما سمعوه أنكره وافقوا وقالوا وما الرحمن (أنسجد)
الاستفهام للانكار أي لا نسجد (لما تأمرنا) أي للرحمن الذي تأمرنا بالسجود له ومن قرأ
بالتحنية فالمعنى أنسجد لما يأمرنا بحمد بالسجود له قيل هذه السجدة من عزائم السجود
فيسن للقارئ والمستمع أن يسجد عند سماعها وقراءتها (وزادهم) الامر بالسجود
(نفورا) عن الدين وبعدا عنه وقيل زادهم ذكر الرحمن تباعداً من الايمان كذا قال
مقاتل والاول أولى ثم ذكر سبحانه ما لو تفكروا فيه لعرفوا وجوب السجود للرحمن فقال

(تبارك الذي جعل في السماء بروجاً) المراد بها بروج النجوم السبعة السيارة أى منازلهم ومحالها الاثناعشر التى تسير فيها وقال الحسن وقتادة ومجاهد هى النجوم البكار سميت بروجاً لظهورها والاول اولى وأصل البروج القصور العالية لانها للكواكب كالنوازل الرفيعة لمن يسكنها واشتقاق البروج من التبرج وهو الظهور وقال الزجاج ان البرج كل مرتفع فلا حاجة الى التشبيه أو النقل قال ابن عباس فى الآية هى هذه الاثنا عشر برجاً اولها الحمل ويسمى بالكبش ثم الثور ثم الجوزاء ثم السرطان ثم الاسد ويسمى بالليث ثم السنبلة ثم الميزان ثم العقرب ثم القوس ثم الجدى ثم الدلو ويسمى بالدلى ثم الحوت وقد نظمها بعضهم فى قوله

حمل الثور جوزة السرطان * ورعى الليث سنبل الميزان

ورعى عقرب بقوس الجدى * نزع الدلو بركة الحيتان

وهى منازل الكواكب السيارة السبعة المربوطة بالحمل والعقرب والزهرة ولها الثور والميزان وعطارد وله الجوزاء والسنبلة والقمر وله السرطان والشمس ولها الاسد والمشتري وله القوس والحوت وزحل وله الجدى والدلو قال الخليل وقد نظم بعضهم هذه السبعة بقوله

زحل شرى مريخه من شمس * فتزاهرت لعطارد الاقمار

فزحل نجم فى السماء السابعة والمشتري نجم فى السماء السادسة والمريخ نجم فى السماء الخامسة والشمس فى الرابعة والزهرة فى الثالثة وعطارد فى الثانية والقمر فى الاولى والحاصل ان خمسة من الكواكب السبعة أخذت عشرة بروج كل واحد أخذ اثنين وان اثنين من السبعة وهما الشمس والقمر كل واحد منهما - ما أخذوا احداً من البروج المذكورة (وجعل فيها سراجاً) أى شمساً ومثله قوله وجعل الشمس سراجاً وقرئ سراجاً بالجمع أى النجوم العظام الواقعة ورجح الاولى أبو عبيد وقال الزجاج فى تأويل الثانية أراد الشمس والكواكب (وقرأ منيراً) أى ينير الارض اذا طلع وقرئ قرابضم القاف واسكان الميم وهى قرام ضعيفة شاذة وخص القمر بالذكور ففضله عند العرب لانها تبنى السنة على الشهور القمرية (وهو الذى جعل الليل والنهار خليفة) قال أبو عبيد الخليفة كل شئ بعد شئ الليل خليفة للنهار والنهار خليفة لليل لأن أحدهما يخلف الآخر ويأتى بعده ومنه خليفة النبات وهو ورق ينخرج بعد الورق الاول فى الصيف قال الفراء يقول يذهب هذا ويحى هذا وقال مجاهد وابن عباس خليفة من الخلاف هذا أبيض وهذا أسود والاول أقوى وقيل يعاقبان فى الضياء والظلام والزيادة والنقصان وقيل هو من باب حذف المضاف أى جعل الليل والنهار ذوى خليفة أى اختلاف قال ابن عباس وعرو الحسن يقول من فاته شئ من الخير بالليل أن يعمله أدركه بالنهار ومن فاته بالنهار أدركه بالليل وعن الحسن ان عمر أطل صلاة الضحى فقبل له صنعت اليوم شيئاً لم تكن تصنعه فقال انه بقى على من وردى شئ فاحببت أن أتمه أو قال أقضيه وتلا هذه الآية (لمن اراد أن يذكر) مشدداً من التذكير لله وقرئ مخففة من الذكركه والمعنى أن المتذكر

عند قوله وكذلك جعلناكم أمّة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً

المعتبر اذا نظر في اختلاف الليل والنهار علم انه لا بد في انتقاهما من حال الى حال من ناقل وقيل المعنى يتدكر فيعلم ان الله لم يجعلهما كذلك عبثا فيعتبر في مصنوعات الله ويشكره سبحانه على نعمه عليه في العقل والفكر والفهم قال الفراء يذكرو بتدكرياتين بمعنى واحد قال الله تعالى واذكروا ما فيه وفي حرف عبد الله ويذكروا ما فيه (أو أراذكورا) أي أراد أن يشكر الله على ما أودعه في الليل والنهار من النعم العظيمة والالطاف الكثيرة وأودع في التنوع وهي مانعة خلوف تجوز الجمع (وعباد الرحمن الذين يشنون على الأرض هونا) هذا كلام مستأنف مسوق لبيان أوصاف صالحى عباد الله سبحانه وأحوالهم الدنيوية والآخرية بعد بيان حال المنافقين قبل هذه الاضافة للتخصيص والتشريف والتفضيل والا فالخلق كلهم عباد الله وهونا مصدر وهو السكينة والتواضع والوقار وقد ذهب جماعة من المفسرين الى ان الهون متعلق بيشنون أي مشيا هونا قال ابن عطية ويشبه أن يتأول هذا على ان يكون أخلاق ذلك الماشي هونا مناسبة لمشيئه وأما أن يكون المراد صفة المشي وحده فباطل لانه رب ماش هونا رويده وهو ذئب أطلس وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتكلم في مشيه كأنما يشي في صلب قال ابن عباس في الآية هم المؤمنون الذين يشنون على الأرض هونا أي بالطاعة والعفاف والتواضع وقال أيضا هونا أي علما وحلما والمعنى يشنون بالسكينة والوقار متواضعين غير أشربين ولا مكرين ولا متكبرين بل علماء حكماء أصحاب وقار وعفة ولذا كره بعض العلماء الركوب في الاسواق لقوله ويشي في الاسواق (واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) ذكر سبحانه انهم يتعلمون ما يرد عليهم من اذى أهل الجهل والسفه فلا يجهلون مع من يجهل ولا يشافهون أهل السفه قال النحاس ليس هذا السلام من التسليم انما هو من التسلم تقول العرب سلاما أي تسلمانك أي براءة منك يعني قالوا تسلمانا سلاما وهذا على قول سيبويه أو مقول به أي قالوا هذا اللفظ ورجحه ابن عطية وقال مجاهد معنى سلاما سدا أي يقولون للجاهل كلاما يدفعه به برفق ولين قال سيبويه لم يؤمر المسلمون يومئذ أن يسلموا على المشركين لكنه على معنى قوله تسلمانكم ومشاركة لا خير ولا شر بيننا وبينكم قال المبرد كان ينبغي ان يقال لم يؤمر المسلمون يومئذ بحجرتهم ثم أمر وبجرتهم وقال محمد بن يزيد المبرد أخطأ سيبويه في هذا وأساء العبارة قال النحاس ولا نعلم لسيبويه كلاما في معنى النسخ والمنسوخ الا في هذه الآية لانه قال في آخر كلامه فنسختها آية السيف وأقول هكذا يكون كلام الرجل اذا تكلم في غير علمه وشي في غير طريقته ولم يؤمر المسلمون بالسلام على المشركين ولانهم واعنه بل أمر وبالصفح والهجر الجليل فلا حاجة الى دعوى النسخ وفي الخطيب عن أبي العالية نسختها آية القتال ولا حاجة الى ادعاء النسخ بها ولا غيرها لان الاغضاء عن السفهاء وترك المقابلة مستحسن في الادب والمرواة والشرعية وأسلم للعرض والورع وقال ابن العربي لم يؤمر المسلمون يومئذ أن يسلموا على المشركين ولانهم واعن ذلك بل أمر وبالصفح والهجر الجليل وقد كان عليه الصلاة والسلام يقف على أنديتهم ويحييهم ويدانهم ولا يداهنهم قال النضر بن شميل حدثني

وذكرنا حديث نوح وأمتيه بما أغنى عن اعادته وقوله فاقبوا الصلاة وآتوا الزكاة أي قابلوها هذه النعمة

الخليل قال أتيت أبا ربيعة الاعرابي وكان من أعلم من رأيت فاذا هو على سطح فسلمنا فرد
 علينا السلام وقال لنا استموا فبقينا متكئين ولم ندر ما قال فقال لنا اعرابي الى جنبه
 أمركم أن ترتفعوا قال الخليل هو من قول الله ثم استوى الى السماء فصعدنا اليه فقال
 هل ليكم في خبر فطير وابن هجير فقلنا الساعة فارقناه فقال سلاما فلم ندر ما قال فقال الاعرابي
 انه سالمكم متاركة لا خير فيهما ولا شر قال الخليل هو من قول الله عز وجل واذا خاطبهم
 الجاهلون قالوا سلاما قال الحسن هذا وصف نهارهم ثم وصف ليلهم بقوله (والذين يبيتون
 لربهم سجدا) على وجوههم (وقياما) على أقدامهم بيان لحالهم في معاملة الخالق بعد بيان
 حالهم في معاملة الخلق وتخصيص البيوتة لان العبادة بالليل أحض وأبعد عن الرياء
 وتأخير القيام لافاصلة والبيتوتة هي أن يدركك الليل نمت أم لم تنم قال الزجاج من أدركه
 الليل فتدبأت نام أو لم ينم كما يقال بات فلان قلعا قال النبي والظاهر أنه وصفهم باحيا
 الليل أو أكثره (والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما) أي
 لزوما كليا في حق الكفار ولزوما بعده اطلاق الى الجنة في حق عصاة المؤمنين أي هم مع
 طاعتهم وحسن معاملتهم لخالقهم وخلقه لا يأمنون مكر الله بل هم مشفقون وجلون
 خائفون من عذابه والغرام الشر اللازم الدائم قاله ابن زيد كما ورد مر فوعا اليه صلى الله
 عليه وآله وسلم ومنه سمي الغريم للآزمتة ويقال فلان مغرم بكذا أي ملازم له ولعل به
 هذا معناه في كلام العرب كما ذكره ابن الاعرابي وابن عرفة وغيرهما وقال الزجاج الغرام
 أشد العذاب وقال أبو عبيدة هو الهالك الدائم (انها ساءت) تعليل لما قبلها أي بسئت
 جهنم أو أخرت أصحابها وادخلها (مستقرا ومقاما) المراد بهما جهنم فلذلك جاز تأنيث
 فعله قيل هما متردان وانما عطف احدهما على الآخر لاختلاف لفظهما وقيل بل هما
 مختلفان معنى فالمستقر للعصاة فانهم يخرجون والمقام للكنار فانهم يخلدون والخصوص
 بالذم محذوف أي هي ويجوز أن يكون هذا من كلام الله سبحانه ويجوز أن يكون حكاية
 لكلامهم ثم وصفهم سبحانه بالتوسط في الانفاق فقال (والذين اذا أنفقوا) على عيالهم
 (لم يسرفوا ولم يقتروا) بفتح التحتية وضم النونية من قتر يقتري كقعد يقعد وقرئ بفتح التحتية
 وكسر التاء وهي لغة معروفة حسنة وقرئ بضم التحتية وكسر النونية قال أبو عبيدة يقال
 قتر الرجل على عياله يقتروا يقتري قترا أو قتر يقترا او معنى الجميع التضييق في الانفاق قال
 النحاس من أحسن ما قيل في معنى الآية ان من أنفق في غير طاعة الله فهو الاسراف ومن
 أمسك عن طاعة الله فهو الاقتار ومن أنفق في طاعة الله فهو القوام وقال ابراهيم النخعي
 هو الذي لا يجوع ولا يعرى ولا ينفق نفقة تقول الناس قد أسرف وقال يزيد بن حبيب
 أولئك أصحاب حمزة كانوا لا يأكلون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون ثوبا للجمال ولكن كانوا
 يريدون من الطعام ما يسد عنهم الجوع ويقويهم على عبادة الله ومن اللباس ما يستر
 عوراتهم ويقويه من الحر والبرد وقال أبو عبيدة لم يزيدوا على المعروف ولم يبخلوا كقوله ولا
 تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط قال ابن عباس هم المؤمنون لا يسرفون
 فينفقوا في معصية الله ولا يقرعون فيمنعوا حق الله قال عمر بن الخطاب كفى سرفا

العظيمة بالقيام بشكرها فأدوا حق
 الله عليكم في أداء ما افترض وطاعة
 ما أوجب وترك ما حرم ومن أهم

أن لا يشتهي شيئا الا اشتراه وأكله وقيل الاسراف مجاوزة الحد في الانفاق حتى يدخل في حد التبذير والاقتار التقصير عما لا بد منه (وكان بين ذلك قوما) بفتح القاف وقرئ بكسرهما فقل هما بمعنى وقيل القوام بالكسر ما يدوم عليه الشيء ويستقر وبالفتح العدل والاستقامة قاله ثعالب وقيل بالفتح العدل بين الشئين وبالكسر ما يقام به الشيء لا يفضل عنه ولا ينقص وقيل بالكسر السداد والمبلغ واسم كان مقدر فيها وخبرها قوما قاله الفراء أى كان انفاقهم قصدا وسطا بين الاسراف والاقتار وحسنة بين السيئتين وروى عن الفراء قول آخر وهو أن اسم كان بين ذلك وتبين بين على الفتح لانهم من الظروف المنقوحة وقال النحاس ما أدرى ما وجه هذا الآن بينما اذا كانت في موضع رفع رفعت (والذين لا يدعون مع الله الها آخر) لما فرغ من ذكر آياتهم بالطاعات شرع في بيان اجتنابهم للمعاصي والمعنى لا يدعون معه رباً من الارباب ولا يشركون به شيئاً بل يؤحدونه ويخلصون له العبادة والدعوة وقد أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود قال سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أى الذنب أكبر قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم أى قال ان تقتل ولدك خشية أن يطعم معك قلت ثم أى قال أن تراني يجملد جارك فانزل الله تصديق ذلك والذين لا يدعون مع الله الاية وأخرج الشيخان وغيرهما أيضاً عن ابن عباس أن ناساً من أهل الشرك قد قتلوا قاتلاً كثيراً ووزنوا قاتلاً كثيراً ثم أتوا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا ان الذى تقول وتدعوا اليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملناه كفارة فنزلت والذى لا يدعون الاية ونزلت قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم الاية (ولا يقتلون النفس التى حرم الله) قتلها بسبب من الاسباب (الا بالحق) أى بسبب الحق المزيل لحرمتها وعصمتها أى بما يحق أن تقتل به النفوس من كفر بعد ايمان أو زنا بعد احصان أو قتل نفس بغير نفس (ولا يزنون) أى لا يستحلون الفروج المحرمة بغير نكاح ولا ملاءمة (ومن يفعل ذلك) أى شيئاً مما ذكر (يلقى أثاماً) هو فى كلام العرب العقاب قال الفراء آثم الله نومه أثاماً وأثاماً أى جازاه جزاء الاثم فهو مأثوم أى مجزى جزاء الاثم وقال عبد الله بن عمرو وعكرمة ومجاهد ان أثاماً واد فى جهنم جعله الله عقاباً للكفرة وقال السدى جبل فيها وقرئ بضم الياء وثـ سـ ديد القاف قال أبو مسلم لم الاثام والاثم واحد والمراد هنا جزاء الاثام فاطلق اسم الشئ على جزائه وقرأ الحسن ايا ما جمع يوم يعنى شداًئد والعرب تعبر عن ذلك بالايام وما أظن هذه القراءة تصح عنه (يضاعف) وقرئ بضعف بالتشديد وكل من القراءتين يحكى مع جزم الفعل ورفعها فالقراآت أربع وكلها سبعة وقرئ بضعف بضم النون وكسر العين المشددة والجزم (له العذاب يوم القيامة) سبب المضاعفة ان المشرك اذا ارتكب المعاصي مع الشرك يضاعف له العذاب على شدة معصيته (ويجحد) وقرئ بالنوقية خطاباً للكافر وقرئ بضم الياء وفتح اللام قال أبو علي الفارسي وهى غلط من جهة الرواية وضمير (فيه) راجع الى العذاب المضاعف وقرئ فيهى بالاشباع مبالغة فى الوعيد والعرب تميل للمبالغة مع أن الاصل فى هاء الكناية الاشباع (مهانا) ذليلاً حقيراً جامعا للعذاب الجسماني والروحاني قال ابن عباس قرأناها على عهد رسول الله صلى الله

ذلك اقام الصلاة وابتأ الزكاة وهو
الاحسان الى خلق الله بما أوجب
للتقير على الغنى من اخراج جزء

عليه وآله وسلم ستمين ثم نزلت (الامن تاب وآمن وعمل عملا صالحا) فصار آيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرح بشئ قط فرحه بها وفرحه بانا فتحنا لك فتحا دينيا قبيلا والاسم تنفعا متصل من الضمير المستتر في يلق أي الامن تاب فلا يلق أنما ما يلزاده في الاكرام بتبديل سيئاته حسنات وقيل منقطع قال أبو حيان لا يظهر الاتصال لان المستغنى منه محكوم عليه بأنه يضاعف له العذاب فيصير التقدير الامن تاب وآمن وعمل صالحا فلا يضاعف له العذاب ولا يلزم من انتفاء التضعيف انتفاء العذاب الغير المضعف قال والاولى عندي أن يكون منقطعا أي لكن من تاب قال القرطبي لا خلاف بين العلماء أن الاسم تنفعا عام في الكافر والزاني واختلفوا في القاتل من المسلمين وقد تقدم بيان في المسألة والاشارة بقوله (فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) الى المذكورين سابقا ومعنى تبدلها حسنات أنه يجمعونهم سوابق المعاصي بالنوبة ويثبت لهم مكانها لواحق الطاعات قال النحاس من أحسن ما قيل في ذلك أنه يكتب موضع كافر مؤمن وموضع عاص مطيع قال الحسن قوم يقولون هذا التبديل في الآخرة وليس كذلك انما التبديل في الدنيا يبدل الله لهم ايماننا مكان الشرك واخلاصنا مكان الشرك واحسانا مكانا الفجور وقتل المشرك مكان المؤمن قال الزجاج ليس يجعل مكان السيئة الحسنة ولكنه يجعل مكان السيئة التوبة والحسنة مع التوبة وقيل ان السيئات تبدل الحسنات وبه قال جماعة من الصحابة ومن بعدهم وقيل تبدل ملكة المعصية ودواعيها في النفس بملكاة الطاعة بان يزيل الاولى ويأتي بالثانية مكانها وقيل التبديل عبارة عن الغفران أي يغفر الله لهم تلك السيئات لانه يبدلها حسنات قلت ولا يعدي في كرم الله تعالى اذا صحت توبة العبد أن يضع مكان كل سيئة حسنة وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم لم أعاذ وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وقال ابن عباس أسبغ الله بالكفر الاسلام وبالمعصية الطاعة وبالنكار المعرفة وبالجهالة العلم وعنه قال هم المؤمنون كانوا من قبل ايمانهم على السيات فرغب الله بهم عن ذلك فحولهم الى الحسنات فابدلهم مكان السيئات الحسنات واخرج أحمد وهناد والترمذي وابن جرير والبيهقي عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغارتونه فيعرض عليه صغارها وينحى عنه كبارها فيقال عملت كذا وكذا وهو يقول ليس ينكر وهو مشفق من الكبار أن تجي فيقال اعطوه بكل سيئة عملها حسنة والا حاديت في تكفير السيئات وتبديلها بالحسنات كثيرة (وكان الله غفورا رحيمًا) مقرر لما قبلها من التبديل وتكفير السيئات بالحسنات أي لم يزل متصفا بذلك (ومن تاب عن المعاصي يتركها والاسم عليها) (وعمل صالحا) يتلافى به ما فرط (فانه يتوب) يرجع (الى الله متابا) رجوعا صحيحا مرضيا قويا عند الله ما حيا للعقاب محصلا للثواب أو متابا الى الله الذي يحب التائبين ويحسن اليهم أو فانه يرجع الى الله والى ثوابه مرجعا حسنا وهذا تعميم بعد تخصيص قال القفال يحتمل أن تكون الآية الاولى فيمن تاب من المشركين ولهذا قال الامن تاب وآمن ثم عطف عليه ومن تاب من المسلمين

نزل من ماله في السنة للضعفاء
والخارجين كما تقدم بيانه وتفصيله
في آية الزكاة من سورة التوبة

وأتبع توبته عملا صالحا فله حكم التائبين أيضا وقيل أى من تاب بلسانه ولم يحقق
 التوبة بفعله فليست تلك التوبة نافعة بل من تاب وعمل صالحا حقق توبته بالاعمال
 الصالحة فهو الذى تاب الى الله متابا أى تاب حق التوبة وهى النصوح ولذلك أكد
 بالمصدر ومعنى الآية من أراد التوبة وعزم عليها فليتب الى الله فالخبر فى معنى الامر
 كذا قيل لثلاث بعد الشرط والجزاء فانه لا يقال من تاب فانه يتوب وقيل المعنى من تاب
 من الشرك وأدى الفرائض عن لم يقتل ولم يرتز فانه يعود الى الله بعد الموت حسنا يفضل
 على غيره ممن قتل وزنا فالتوبة الاولى رجوع عن الشرك والثانية رجوع الى الله للجزاء
 والمكافأة والاول أولى ثم وصف سبحانه هؤلاء التائبين العاملين للصالحات فقال (والذين
 لا يشهدون الزور) أى لا يقيمون الشهادة الكاذبة أو لا يحضرون الزور وهو الكذب
 والباطل ولا يشاهدونه والى الثانى ذهب جمهور المفسرين قال الزجاج الزور فى اللغة
 الكذب ولا كذب فوق الشرك بالله قال الواحدى أكثر المفسرين على ان الزور ههنا
 بمعنى الشرك والحاصل ان يشهدون ان كان من الشهادة فى الكلام مضاف محذوف أى
 لا يشهدون شهادة الزور وان كان من الشهود والحضور كما ذهب اليه الجمهور فقد اختلفوا
 فى معناه فقال قتادة لا يساعدون اهل الباطل على باطلهم وقال محمد بن الحنفية
 لا يحضرون الله وهو الغناء وقال ابن جرير الكذب وعن مجاهد أيضا وقيل ينفرون
 عن محاضر الكذابين ومحاسن الخطائين فلا يقربونهن تنزهها عن مخالطة الشر وأهله
 وقيل أعياد المشركين وقيل الذوح والاولى عدم التخصيص بنوع دون نوع من أنواع
 الزور بل المراد الذين لا يحضرون ما يصدق عليه اسم الزور كائنا ما كان وعن
 ابن عباس قال ان الزور كان صفيا بالمدينة يلعبون حوله كل سبعة أيام (واذا هم وباللهغو)
 على سبيل الاتفاق من غير قصد (مروا كراما) أى معرضين عنه غير ملتفتين اليه مكرمين
 أنفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الاغضاء عن الفواحش والصفح عن
 الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح به قال ابن عباس كان أصحاب رسول الله صلى
 الله عليه وآله وسلم اذا مروا به يعنى الصنم المذكور مروا كراما لا ينظرون اليه كقوله
 واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقال الباقر اذا ذكروا الفروج كنوا عنها وقيل الشتم
 والاذى واللغو كل ساقط من قول أو فعل قال الحسن اللغو المعاصى كلها وقيل المراد
 مروا بذوى اللغو يقال فلان يكرم عما يشينه أى يتنزه ويكرم نفسه عن الدخول فى اللغو
 والاختلاط باهله (والذين اذا ذكروا آيات ربهم) أى بالقرآن أو بما فيه من موعظة
 وعبرة (لم يحزوا) أى لم يسقطوا ولم يقعوا (عليها) حال كونهم (صما وعميانا) وليكنهم أكبوا
 عليها سامعين مبصرين بأذان واعية وعميون راعية واتفَعُوا بِهَا قال ابن قتيبة المعنى
 لم يتغافلوا عنها كأنهم صم لم يسمعوها وعى لم يبصروها قال ابن جرير ليس ثم خروج بل كما
 يقال قعد يبكى وان كان غير قاعد قال ابن عطية كأن المسقع للذكر قائم فاذا أعرض
 عنه كان ذلك خروجا وهو السقوط على غير نظام قيل المعنى اذا تليت عليهم آيات الله وجلت
 قلوبهم فخروا وسجدوا وبكوا ولم يحزوا عليها صما وعميانا قال الفراء أى لم يقعدوا على حالهم

وقوله واعتصموا بالله أى اعتضدوا
 بالله واستعينوا به وتوكلوا عليه
 وتأيدوا به هو مولاكم أى حافظكم

الاول كأن لم يسمعوا قال في الكشف ليس بنفي للغرور وإنما هو إثبات له ونفي للصمم
والعمى وأراد أن النفي متوجه الى القيد لا الى المقيد (والذين يقولون زيناها بلسان
ازواجنا) من ابتدائية أو بيانية قاله الزمخشري (وذرياتنا) قرئ بالجمع وبالأفراد وهما
سبعيتان والذرية تقع على الجمع كما في قوله ذرية ضعافا وتقع على الفرد كما في قوله ذرية طيبة
(قرة عين) يقال قرت عينه قرة قال الزجاج يقال أقر الله عينه أي صادف قوادلك
ما تحبه وقال المفضل في قرة العين ثلاثة أقوال أحدها بردها لانه دليل السرور
والضحك كما ان سره دليل الحزن والغم والثاني نومها لانه يكون مع فراغ الخاطر وذهاب
الحزن والثالث حصول الرضا قال ابن عباس يعنون من يعمل بالطاعة فتقر به عيننا في
الدنيا والآخرة فإنه ليس شيء أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله
عز وجل فيطمع ان يحلوا معه في الجنة فيتم سروره وتقر عينه بذلك (واجعلنا للمتقين
اماما) أي قدوة يقتدى بنافي الخير وإقامة مراسم الدين بإفازة العلم والتوفيق للعمل
الصالح وإنما قال اماما ولم يقل أئمة لانه أريد به الجنس كقوله ثم يخرجكم طفلا قال الفراء
قال اماما ولم يقل أئمة كما قال للثنين ان رسول رب العالمين يعني أنه من الواحد الذي أريد به
الجمع وقال الاخفش الامام جمع آمن من أم يؤم جمع على فعال فهو صاحب وصحاب وقائم
وقيام وقيل ان اماما مصدر يقال أم فلان فلانا اماما مثل الصيام والقيام وقيل ارادوا
اجعل كل واحد منا اماما وقيل ارادوا اجعلنا اماما واحدا لاتحاد كلمتنا واتفاق
طريقتنا وقيل انه من الكلام المقلوب وان المعنى واجعل المتقين لنا اماما وبه قال مجاهد
وقيل ان هذا الدعاء صادر عنهم بطريق الانفراد وان عبارة كل واحد منهم عند الدعاء
واجعلني للمتقين اماما ولكن احكي عبارات القوم بصيغة المتكلم مع الغير لقصد الإيجاز
كقوله يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وفي هذا ابقاء اماما على حاله قال
القفال وعندى ان الامام اذا ذهب به مذهب الاسم وحده كانه قيل اجعلنا حجة للمتقين
ومثله البيضة يقال هؤلاء بيضة فلان قال الحفناوى ولفظ امام يستوى فيه الجمع وغيره
فالمطابقة حاصله قال النيسابورى قيل في الآية دلالة على أن الرئاسة الدينية مما يجب أن
تطلب ويرغب فيها والا قرب انهم سألوا الله أن يلقهم في الطاعة المبلغ الذي يشار اليه
ويقتدى بهم وقال ابن عباس في الآية أئمة هدى يهتدى بنا ولا تجعلنا أئمة ضلالة لانه قال
لاهل السعادة وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا ولا هل الشقاوة وجعلناهم أئمة يدعون الى
النار (أولئك) إشارة الى المتصفين بتلك الصفات المفصلة في حيز الموصولات الثمانية من
حيث اتصافهم بها وفيه دليل على انهم متميزون بذلك أكمل تميز ومنظمون في سلك الامور
المشاهدة وهو مبتدأ وخبره ما بعده والجملة مستأنفة وقيل غير ذلك (يجزون الغرفة) أي
الدرجة الرفيعة وهى أعلى منازل الجنة وأفضلها كما ان الغرفة أعلى مساكن الدنيا وهى فى
الاصل كل بناء مرتفع والجمع غرف وقال الضحاك الغرفة الجنة أى يجزون الجنة ووجد
الغرفة دلالتها على الجنس لدلالة قوله وهم فى الغرفات آمنون وعن سهل بن سعد عن
النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال الغرفة من ياقوتة جراهوز برجدة خضراء ودرية بيضاء

وناصر كم ومنظر كم على أعدائكم
فنعلم الولي ونعم النصير يعنى نعم
الولي ونعم الناصر من الأعداء قال
وهيب بن الورد يقول الله تعالى

ليس فيها فصح ولا وصم أخرجه الحكيم الترمذي (بما صبروا) أي بسبب صبرهم على مشاق
التكليفات والطاعات ورفض الأهواء والشهوات وتحمل المجاهدات (ويلقون فيها
تحية وسلاماً) بضم الياء مشدداً واختاره أبو عبيد أي يعطون لقوله وإلقاهم نضرة
وسروراً وقرئ يلقون بفتح الياء مخففاً واختاره القراء ومعناه يمجّدون ويصادفون قال لان
العرب تقول فلان يلقي بالسلام والتحية والخير ولما يقولون يلقي والمعنى انه يحيي بعضهم
بعضاً ويرسل اليهم الرب سبحانه بالسلام وقيل التحية البقاء الدائم والملايك العظم وقيل هي
معنى السلام وقيل ان الملايكة تحييهم وتسلم عليهم واطاهر أن هذه التحية والسلام هي
من الله سبحانه لهم ومن ذلك قوله سبحانه تحييتهم يوم يلقونه سلام وقيل معنى التحية الدعاء
لهم بطول الحياة والتعمير ومعنى السلام الدعاء لهم بالسلامة من الآفات وقيل المراد
بالتحية اكرام الله تعالى لهم بالهدايا والتحف وبالسلام سلامه عليهم بالقول (خالد بن) أي
مقيم (فيها) من غير موت ولا خروج (حسن) الغرفة (مستقراً) أي موضع قرار
يستقرون فيه (ومقاماً) يقيمون فيه وهذا في مقابل ما تقدم من قوله ساءت مستقراً ومقاماً
(قل ما يعبدكم ربّي) بن سبحانه انه غني عن طاعة الكل وانما كلهم ليعتقدوا بالتكليف
يقال ما عبادت بفلان أي ما باليت به ولاله عندي قدر وأصل يعبد من العب وهو الثقل قال
الخليل ما أعبد بفلان أي ما أصنع به كأنه يستقله ويستحقه ويدعي أن وجوده وعدمه
سواء وكذا قال أبو عبيدة قال الزجاج ما يعبدكم ربّي يريد أي وزن يكون لكم عنده
أو ما يصنع بكم أو يعبد بكم والعب الثقل وما استغفاهم أي أو نافية وصرح القراء بانها
استغفاهم أي قال ابن الشجري وحقيقة القول عندي أن موضع ما نصب والتقدير أي
عب يعبدكم أي أي مبالاة يبالى بكم وأي اعتداد يعتد بكم (لولا دعاؤكم) أي لولا
دعاؤه أي لكم لتعبدوه وعلى هذا فالصدر الذي هو الدعاء مضاف الى متعبدوه وهو اختيار
القراء وفاعله محذوف وجواب لولا محذوف تقديره لولا دعاؤكم لم يعبد بكم ويؤيد هذا
قوله وما خفت الجن والانس الا ليعبدون والخطاب لجميع الناس وعن ابن عباس في
الآية قال يقول لولا ايمانكم فاخبر الله سبحانه انه لا حاجة له بهم اذ لم يخلقهم مؤمنين
ولو كانت له بهم حاجة لحبب اليهم الايمان كما حبه الى المؤمنين وقيل ان المصدر مضاف
الى الفاعل أي لولا استغاثتكم اليه في الشدائد وقيل المعنى ما يعبد بكم أي بعفوة ذنوبكم
لولا دعاؤكم الا لهمة معه ومن قال ان الدعاء مضاف الى الفاعل القتيبي والفارسي قال
والاصل لولا دعاؤكم آلهة من دونه وجواب لولا محذوف أي لولا دعاؤكم لم يعبد بكم قال
أبو السعود أمر رسوله بان يبين للناس أن الفائزين بتلك النعماء الجليلة التي يتنافس
فيها المتنافسون انما نالوها بما عد من محاسنهم ولولاها لم يعتد بهم أصلاً يعني انما كثرت
بأولئك وعبادهم وأعلى ذكرهم لاجل عبادتهم وحدها لا المعنى آخرو لولا عبادتهم لم يكثر
بهم البتة ولم يعتد بهم ولم يكونوا عنده شيئاً يبالي به قاله الزمخشري ثم خص الكفار منهم
فقال (فقد كذبتم) وقرأ ابن الزبير فقد كذب الكافرون وبه قرأ ابن عباس وابن مسعود
كما حكاه ابن جني وفي هذه القراءة دليل بين على أن الخطاب لجميع الناس ويكون معنى فقد

ابن آدم اذ كرفي اذا غضبت اذكرك
اذا غضبت فلا محضك فين أمحق
واذا ظلمت فاصبر وارض بصبري
فان نصبري لك خير من نصرتك
لنفسك رواه ابن أبي حاتم والله أعلم

كذبتم على الاول (١) فقد كذبتم ما دعيت اليه وعلى الوجه الثاني فقد كذبتم بالتوحيد ثم قال سبحانه (فسوف يكون لزاما) أى يكون جزاء التكليف لازما لكم وجهه والمفسرين على أن المراد باللام هنا ما لزم المشركين يوم بدروبه قال ابن مسعود وقالت طائفة هو عذاب الآخرة قال أبو عبيد لزاما فيه لا بينكم وبين المؤمنين وقال الزجاج يكون تكذيبكم لزاما يلزمكم فلا تعطون التوبة وجهه والقراء على كسرة اللام من لزاما قال ابن جرير لزاما عذابا دائما وهلا كما فنيا يلحق بعضكم بعضا وقرأ أبو السمال لزاما بفتح اللام قال أبو جعفر يكون مصدر لزم والكسر أولى قال ابن عباس لزاما مونا وقيل وبالواو الصحيحين عنه قال خسر قدمه من أى خمس علامات دالات على قيام الساعة الدخان والقمر والروم والبطشة واللام (١)

سورة الحج والله

الجد والملة *

(١) المراد بالوجه الاول ان يكون

الخطاب عاما والمراد بالثاني أن

يكون الخطاب للكفار اه منه

ولما اطلع على هذا التفسير الجليل وحظي من غنية انسه بالخط الجزيل الامام العلامة والواحد التكلامه رأس المفسرين ونبراس الحديث ورئيس الموحدين المتبعين مولانا الشيخ محمد بن عبد الله بن حميد مفتي السادة الخنابلة في الحرم الشريف المكي أعلى الله تعالى مقامه وأنفج في الدارين مرامه انبعثت خواطره لمدحه فكتب مقررنا له مانصه

(بسم الله الرحمن الرحيم)

أحمد من أطلع من شاء من خواص أحبابه على لطائف كلامه وأسرار كتابه ورفع عنهم الحجاب فادشهم لذيق الخطاب فهم في رياضه يرتعون ولبديع معانيه يسمعون وله يعون وأصلى وأسلم على الرحمة المرسله والبركة الشاملة المترلة من جعل الله السعادة الدنيوية والاخرية في اتباعه والحق لا يخرج عنه وعن اصحابه وأتباعه وعلى آله واصحابه وانصاره وأحزابه (وبعد) فان أرفع العلوم قدرا وأعلاها جلالة ونفرا وأعظمها نوراً في الجنة وأكرمها هاديا الى الجنة واعصمها حصنا من الفتنة وابرکها شافيا من المحنة فهم كآب الله العظيم على ما فهمه رسوله النبي الكريم واصحابه ذوو القدر العظيم عليه وعليهم افضل الصلاة وكل التسليم وكان ممن وفق لذلك منذ كان صبيا فحذفه واجتهد الى أن ارتقى مكانا عليا الامام الكامل والهمام العالم العامل زينة العلماء والملوك وملاذ الغنى والفقر الصعلوك ناصر السنة السنية وقامع البدعة الدنية سلاله السلسلة النبوية وطرأ العصابة المصطفوية وفرع الدوحة العلوية (نواب والاحاء أمير الملك سيد محمد صديق حسن خان بهادر) فتحه الله سبحانه من الذهن السليم والفهم المستقيم والذكاء الذي يضيء في الليل البهيم والضبط والتحرير والبحث

والتقرير والتحقيق والتدقيق والتسديد والتوفيق ومساهمة العلوم فليس غيرها له
برفيق في شدة الاتباع للسنة النبوية ومنزلة المناصرة على الآثار المصطفوية مع
الحفظ الباهر والخلق الطاهر والأدب الزاهر وكمال الباطن والظاهر والارتواء من غير
جميع العلوم والتضلع من المنطوق والمفهوم والاحتواء على زيد المعقول والمنقول
والأخذ بأزمة الفروع والأصول ما لم يره مجموعا في شخص في زمانا بل منذ أزمان
فسيهان من أوجده مفردا في هذا الأوان

ليس على الله بمستنكر * أن يجمع العالم في واحد

* لكل زمان واحد يقتدي به * وهذا زمان أنت لاشك واحد

هذا مع ما جمع الله له من البينة والأمانة والعفة والزهادة والصيانة والاعراض عن
خارف الدنيا مع اقبالها على الله واحتقارها إياها مع تزامنها على قدميه والاشتغال بنشر
العلوم مع الملك وإهتمامه بنفع الأمة المحمدية في البر والفلاح

فلا هو في شغل الرعايا مقصر * ولا هو للآخرى بلا العلم يفتقر

فأبدع في هذا التفسير الجليل الذي لم يوجد ولا ظن بوجوده من قبل وسمعه بفتح البيان
في مقاصد القرآن وانتهى فيه لباب لتأويل وكتف فيه عن أسرار التنزيل واعتمد
الآثار الواردة وترك ضعف الأقاويل فلقد أوجده الله سبحانه خادما للكتابة في هذا
الجيل ولسنة نبية المخصوص بالتجليل فهو أحق بأن يسمى بمحمد الألف الثاني لما
حواه من حفظ الآثار النبوية بالالفاظ والمعاني وما منحه الله من فهم الكتاب العزيز
والسبع المثاني فهذا التفسير أعدل شاهد صادق ومن لم يسلم فهو مكابر مشاقق فان هذا
المؤلف من نعم الله سبحانه على هذه الأمة المحمدية في هذا الزمن الذي اندرست فيه السنة
النبوية ودرثت فيه الآثار المصطفوية فلا ترى فيه إلا رسوما على الجهل والابتداع
مبناها وتلبسات بالباطل والزيف انظها ومعناها وخرساعن انكار المنكر والامر
بالعروف وعوائد بخلاف الشريعة فعلها لهم مألوف فالتهديم عز هذا الهمام وبعلى
مجدده وينشر في الخافقين ارشاده ونفعه وهدايته وسعده ويدبر على السنة العالم عربا
وعجمًا شكره وحده والمجد لله وحده وصلى الله وسلم عن من لا نبي بعده وآله وصحبه
ومن تبع عهده

كتبه بينانه وأنشأه بجنانه الفقير الحقير القاصر المتعدي محمد بن

عبد الله ابن حميد خادم الاقتناء الحنبلي في الحرم الشريف

علاء خلاً وجلاً مرتجلاً خامساً عشر ذى

الحجة الحرام ختام العام الحادى

والتسعين بعد المائتين

والألف أحسن

الله ختامها

آمين

Post G
College of A

